Mngool.com

اللطائف السنية
في أخبار
الممالك اليمنية

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الناشر

مكتبة الجيل الجديد

اليمن - صنعاء

هاتف ٢١٣١٦٢/٤/٥ - فاكس ٢١٣١٦٣
ص.ب ٥٤٤ - صنعاء
aljeel@y.net.ye
www.aljel-aljadeed.com

حققه وضبط نصه وعلق عليه

(أبو حسان) خالد أبازيد الأذرعي

قسم الكتب والمطبوعات

صنعاء - شارع الرباط

هاتف ٢٠٧٦٩٨ - ٢٠٧٨٧٢ / فاكس ٢٠٧٥٨٩
aag@y.net.ye

mmgool.com

اللطائف السنية
في أخبار
الممالك اليمنية

تأليف
العلامة المؤرخ
محمد بن إسماعيل الكبسي
المتوفى ١٣٠٨ هـ

حققه وضبط نصه وعلق عليه
(أبو حسان) خالد أبا زيد الأذرعي

مكتبة الجيل الجديد
صنعاء


بسم الله الرحمن الرحيم




لَن يُنْسى هَذا الغَربُ أنَّ جُندياً مِن أُمَّة محمد وَصَل بجوادِه
على بُعد مائة ميل مِن بَاريس واستُشهِدَ هُناك . .
إنَّهُ القائدُ الشَّهيدُ عبدُ الرَحمن الغَافقي
مِن قبيلة عَكِّ العَربيَة
مِن أَرضِ تِهامَة
اليَمن







غالِ في التاريخِ واجعَل كُتبَه ۞ من كِتابِ اللهِ في التَّقديرِ قَابا

مَثَلُ القومِ نَسوا تاريخَهُم ۞ كلَقيطٍ عَيَّى في الناسِ انتِسابَا

أَو كمَغلوبٍ على ذاكِرةٍ ۞ يَشتَكي مِن صِلَةِ الماضي انقِضابَا

أحمد شوقي




مُقدمَة المُحَقق :

إنَّ تاريخَ كُل أُمة هوَ ذاكِرتُها ، وما حَوى تاريخُها هوَ جسرُ وجودِها ، وهَل يُعقَلُ أَنْ تَرى أُمةً بِلا تاريخ ... كيفَ تكون ؟.

إنَّ الأَحداثَ التي حَواها هَذا الكِتابُ هيَ في ذِمَةِ التَاريخ ، بَلْ أَصبَحَت منَ الماضِي البَعيد ...!

أُدْعُ القَومَ الذينَ مَرُّوا بِالأَمسِ مِن هُنا .. بَنو زياد .. الصليحيون .. لا مُجيب ...!

نادِ الحُصونَ والقِلاعَ في دَولةِ بني أَيوب .. لا مُجيب ...!

اسأَل المَدارسَ والنَواديَ في دَولةِ بني رَسول .. لا مُجيب ...!

أُطلُب الأَئمةَ من الإمامِ الهادي .. إلى الأَئمَةِ مِن آلِ حَميدِ الدين .. رَجِعَ الصَدى .. لا مُجيب ..!

أَينَ الجيوشُ الجَرارَة ، أَينَ المَواكبُ والقُصور ، أَينَ الذي .. وسارَ في مَوكبٍ مَهيبٍ في صَنْعاء ، وكانَ يَوماً مَشهودا .. !

أَينَ مُلوكُ بني عُثمان ...!

أَينَ الانتِصاراتُ التي حَقَّقها فُلان ؟ ، و أَينَ الهزيمَةُ التي لَحقَت بعَلان ؟.

كانُوا بِالأَمسِ مِلءَ السَمعِ والبَصر ..

أَينَ أَضحَوا .. الجميعُ طَواهُم الموتُ والفَناء..

لكِنهُم تَركوا شَواهدَ وآثاراً تَدلُ على أَنَّهُم كانوا هُنا .

لَمْ يَترُكِ المَوتُ منهُم مَن يُخبِرُني ... عَنهُم فيُوضِحُ ما قَالوهُ تِبْيَانا
بَادُوا جَميعاً و مَا شَادُوا فَوَا عَجَباً ... للخَطب أَهْلَكَ عُمَّاراً و عِمْرانا

هَذي قُصُورهُم أَمْسَتْ قُبورهُم   كَذاكَ كانُوا بِها مِن قَبلُ سُكّانَا[1]

بالأَمسِ خَرجَ أَبناءُ كِندَةَ (أَبناءُ حَضْرَموت) ، مِن هُنا مَخرَت سُفُنهم البِحارَ والمُحيطات ، كانوا آحاداً من تُجارِ التَوابلِ والبَخور ، نَقلُوا ديناً وثقافَة إلى أَقوامٍ من ملايين البَشر في جنوبِ شرقِ آسيا .

لَم يَحتاجُوا أَنْ يُطلقوا رَصاصةً واحدَة أَو حتى ضَربةَ حَجر ، كيفَ دخلَت هذه الشُعوبُ في الإِسلام ، إنَّها المُعجزة الكُبرى .

واليومَ جاءُونا بأَساطيلِهم و بَوارِجهم ، جاءَت غِربانُهم ، جاءُونا بِقَضِّهم وقَضيضِهم ، لِيَنقُلوا لَنا ثقافَةً و (ديمُقراطيةَ) ، بعدَ أَنْ قَصَفَت طائِراتُهم وبوارِجُهم قُرانا ومُدُنَنا في البَصرة وبَغداد وجَلال آباد .

أُمَتي كُتبَ عليكِ الامتِحانُ والصَبرُ والجَلَد والمُواجَهَة ، بِدءاً من صَبرِ آلِ ياسرِ إلى صَبرِ أَهلِ فِلسطين وأَهلِ العِراق .

إلى مَعاقِلِ الشَّمَمِ والإِباء، ومُنطَلَقِ العُروبَةِ مِن أَبناء هَمْدان وحِمْيَر ، أَهلِ اليَمَن .

إلى أَرواحِ شُهدائِنا في اليَرموكِ و نَهاوَند والزلاقة ، إلى الأَنفاسِ الطاهِرة التي أُزهقَت على أَرض الإِسراء وجبالِ الأُوراس وجِبالِ ردفان وصحراءِ بُرقَة وميسلون وأُم قصر .

إلى الرجالِ الذينَ يُنافِحونَ ويُدافِعونَ بأَجسادِهم عن شَرَفِ الأُمة على امتِدادِ أَرضِ الإِسلامِ من طَنجَةَ إلى جاكَرتا ، ... تَحيَّة .

خالد

[1] – من ديوان أسامة بن منقذ .

بين يدي الكتاب

القِراءَةُ أمُّ المَعارِف ، والإطّلاعُ وِعاءُ الثَقافَة ، والسَمَعُ والرُؤيَةُ شَواهِدُ على الأَحداث.

والمؤلفُ رَحِمَهُ الله واسعُ الإطّلاعِ غَزيرُ الثَقافَةِ مُلمٌ بتاريخِ اليَمنِ قَديمِهِ ووَسيطِه ، عاصَرَ أَحداثَ القَرنِ الثالث عَشَر الهِجري في مِنطقةِ جَزيرةِ العَرب وفي اليَمَن الأَعلى على وَجهِ الخُصوص.

في عَصْرِه كانَت منطقَةُ تَهامَة العُليا والمخلافُ السُليماني تَحتَ حُكمِ الإمام الإِدْريسي وعاصِمَتهُ صَبْيا ، ومِنطقةُ عَسير تَحت سُلطة أَولادِ عايض ومَقرُ إمارَتِهم أَبْها ، وعَدَن ولَحج تَحت الاحتِلالِ الإنْجليزي ، والسَلطناتُ المُجاوِرَة حتى حَضْرَموت تَدورُ في فَلَكِ المُحتَلينَ الإنجليز ، والدَّولَةُ العُثمانيَة ما انْفَكَت تُسَيطِرُ على بلادِ الشَّام والعِراق والحِجاز واليَمنِ الأَعلى واليَمن الأَوسَط حتى مدينَة تَعز ، وهيَ التي تَكتَسِبُ الشَرعيَةَ باعتِبارِها مُعلِنَةً نَفسَها مَركزَ خِلافَةِ المسلمين ومَرجعيَتَهم مُنذُ قُرون ، والسُلطانُ ابن سعود يَصعَدُ نَجمُه في بلادِ نَجد وشَرقِ الجَزيرَة العَربية وشمالِها ، وأَئمَةُ اليَمن الأَعلى في صِراعٍ مَريرٍ معَ القُواتِ العُثمانيَة.

وشَعبُ اليَمن يُطحَنُ في صِراعاتٍ لا يُقرِرُ هوَ مَداخِلَها ولكنهُ وَقودُها ، لا يُعَبِرُ بالضَرورَةِ عن اخْتيارٍ في غالِبِ الأَحيان ، مَرَةً يَسيرُ معَ الأَقوى حتى يَنالَ السَلامَة ، وغَالبَ الأَحيانِ لا يَرى نَفسهُ إلا ضِمنَ واقِعٍ لَم يَختَرهُ وذلكَ بِحُكمِ انتمائِه للقَبيلَةِ أَو للمَذهَب أَو للإِقليم.

ويَكونُ السَلاطينُ والأَئمَةُ والأُمراءُ أَو أَعيانُ المَناطِق هُم المُحَركونَ لِهذهَ الأَحداث ، فَيُجَيِّشونَ السُكانَ والأَهالي ويوهِموهُم أَنَّهُم مُستَهدَفونَ في أَرضِهم ومَذهَبِهم وقَبيلَتِهم

فيَقتَتلُ أَبناءُ المنطَقَة الواحِدَة والبَلدَة الواحِدَة تَعصُباً للإمامِ فُلان أَو الانتصارِ للسُلطان عَلان ، من أَجلِ أَشخاصٍ قَد يَصطَلِحونَ بعدَ انتهاء المَعرَكة فيَذهبُ القَتلى بلا هَدَف.

لا يُعقَلُ أَن هذه الدماءَ التي سالَت مُنذ اليومِ الأَول لِنُشوءِ أَولِ قوَة تَمَرُد على مَركزِ الخلافَة الإسلاميَة في بَغداد في عَصرِ القوةِ في أَواخرِ القَرن الثالث الهجري وحتى سُقوط آخرِ الأَئمةِ من آلِ حَميدِ الدين في نِهاياتِ القَرن الرابع عشر الهجري ، كُل هذه المسافَة المُمتدَة التي تَتجاوَز عَشرةَ قُرون ، كَم سالَ من الدماء وكَم دُمرَت قُرى وبَلدات ، لا يُعقَلُ أَنَّ هذا السيلَ من الدماء كُلهُ من أَجلِ الحَق ومن أَجل رَفعِ رايةِ الإسلام ومن أَجل نُصرَةِ مَذهَبِ آلِ بيتِ رَسولِ الله ﷺ .

هَل من أَجلِ رَفعِ رايةِ التَوحيدِ واستئناف الخلافة أَو الإمامَة – سيَّان – أَن يُحَمَّلَ أَلفُ أَسيرٍ أَلفَ رَأسٍ مِن رُؤوسِ رِفاقِهم من مَوكَل إلى صَنعاء ثم إلى صَعْدة ..

إنَّ بعضَ الأَئمَة وبَعضَ السَلاطين يُريدونَ أَنْ يَجعَلوا من الصراعِ على السُلطَة والصِراعِ على المُلك صراعاً بينَ الأُمةِ على أَساسِ أَنَّهُ صِراعٌ مَذْهَبي أَو صِراعٌ مَناطِقي أَو صِراعٌ قَبَلي مَرةً أُخرى.

إنِّي لَم آخُذ على المؤَلفِ رَحمَهُ الله مَأخَذاً فَهوَ يَكتُب ويَنتَصرُ للأُمة ويَنحازُ للصالحين وقَلبُهُ على أُمَته ويَحملُ على المُفسِدين وعلى البَاطنيَة ويَصِفُهم بأَتباعِ المَذهَب الخَبيث ويتَرَحَمُ على سَلَفِ الأُمَّة ويَلعَنُ مَن يَلعنُ صَحابةَ رَسولِ الله ﷺ السابقين .

فإنْ رَأيتُ لهُ عَيباً – وهوَ مُجتَهِدٌ على كُلِ حَال – فهوَ أَنَّهُ يَرى الصَوابَ في كُلِ ما يَفعَلهُ الأَئمَةُ ، فهوَ يُصَّوبُ ما يَفعَلونَ مُطلَقاً ولا دَليلَ على ذَلك ، فإن قَتَلوا وكَحَّلوا قَالَ هَذا جَزاءُ الخَارجينَ على أَئمَةِ الهُدى من آلِ البَيت ، وإنْ عَفَوا فَهذا مِن شِيَّمِ الأَئمَة ، شِيَمُهم العَفو والمَغفرَة ، وهَذا من الغُلوِ فيهم – غَفَرَ اللهُ لِلجميع – .

هَل مِن أجلِ مَذهَب أَهلِ البَيتِ يَخرُجُ أَربَعةٌ من الأَئمة فَوْرَ وَفاة الإمام المهدي محمد ابن المطهر سنة ٧٢٨هـ ، خَرجَ الأَربَعةُ يَطلُبونَ الإمامَة ، أَلا يَحقُّ لَنا أَنْ نَظُنَّ أَو نَتَّهِمَ الأَربعَةَ أَو بَعضَهُم أَنَّ في نُفوسِهِم شَيئاً من حُبِّ المُلكِ وحُبِّ الجَاه والسُّلطان ، ولا عَلاقَةَ للمَذهَب أَو آلِ البَيتِ في تَوَجُّهِهِم ، وبالتَالي يَفقدونَ صِدْقَ دَعواهُم.

إنَّ شِعارَ الإمامَة الذي يَرفَعونَهُ ـــ مَع إخْلاصِ البَعْض ـــ هو إيهامُ العامَّة وإيهامُ الأَتباع ، والحَقيقَةُ خِلافُ الدَعوى ، فحَقيقَةُ الأَهوالِ التي مَرَّت بِها اليَمَن خِلالَ القُرونِ السَالِفَة ومَدى التَعَسُف والظُلمِ الذي عاناهُ أَهلِ اليَمن من صِراع الأَئمَة مَع بَعضِهِم تَارةً ومَع السلاطِينِ والأُمراءِ من بَني زُرَيع وبَني أَيوب و بَني رَسول وبَني طاهِر و غَيرِهِم ، هذهِ الحَقائِق تُثْبتُ أَنَّ المَسأَلَةَ هيَ مَسأَلَةُ حُكمٍ وسَيطَرةٍ واسْتِحواذٍ وتَثبيت أَركانِ الحُكمِ وجبايَة الأَموالِ منَ الرَعيَّة لَيسَ غَير ، لا فَرقَ بين السَّلاطِين والأَئمَّة والأُمرَاء ... وغَيرِهِم كُلٌّ يَبحَثُ عن المُلك والسَّيطَرَة .. ونيَّاتُهم عندَ الله تعالى .

يَتحدَثُ كِتابُ اللَطائِفِ السَّنيَة عنِ الفَترَة التي تَبدَأُ بِوصُول أُولى بَشائِرِ الإسلام إلى اليَمَن وحَتى أَحداثِ العامِ ١٣٠٥هـ مع إضافةٍ بعدَ وَفاة المؤلف قامَ بِها أَحدُ أَحفاده وانْتَهى بِها إلى أَحداثِ عام ١٣٢٥هـ ، ويَتِمُّ تَرتيبُ الأَحداث فيه حَسبَ سَنوات حُدوثِها بأَنْ يَقول : " وفي سَنة كَذا .. " ، وقَد يَستَطردُ المؤلفُ أَحياناً فَيخرُجُ عَنِ السِّياقِ الزَمَني للأَحداثِ بِسببِ حَديثِه عَن مَكانٍ مُعَين أَو دَولةٍ ما حتى يُكْمِلَ أَحداثَ هذهِ الدَولة ، وفي ذلكَ فائِدَةٌ يَرتَيها المؤلف ويُذَكِرُ القارئَ أَنَّهُ قَد خَرجَ عَن السِّياقِ الزَّمَني.

والكتابُ الذي بينَ أَيدينا طُبِعَ قَبلَ أَكثَر من عِشرينَ سنة خَلَت ، قَدَّمَ لهُ القَاضي محمد بن علي الأَكوَع رَحمَهُ الله ، ولا يَحقُ لِمثلي أَنْ يَتجاوَزَ على ما قَامَ به القَاضي محمد رَحمَهُ الله ، ولكنَ واقِعَ الحال أَنَّ الكتابَ في طُبعَته تلكَ وهَو بينَ أَيدينا على كُلِ حَال لا يُحَققُ هَدَفَ الكِتاب ولا أَمَلَ القُراءِ والمُهتَمينَ بهذا السِّفرِ العَظيم ، فالطُبعَة

كَثيرةُ الأَخطاءِ المَطبَعيَة ويَكثُرُ فيها التَحريفُ والتَصْحيف ، ويَبْدوا لي أَنَّ الكتابَ قَد ذَهَبَ للطَبعِ قَبلَ أَي مُراجَعَةٍ أَو تَصحيحٍ مِن أَحد ، وكذلكَ هيَ خاليَةٌ مِن أَي مُلاحَظَةٍ أَو تَعليقٍ أَو تَعريف .

لذا رَأيتُ مِن واجبي إعادَةَ طَبعِ الكِتاب بَعدَ أَنْ حَصَلتُ على مَخطوطٍ بخَط المؤلف أَو من إملاءه ، تَقعُ المَخطوطَةُ في ٢٨٧ صَفحَةً من القَطْعِ المُتوسط بخط نَسخيٍ لا بَأسَ بِه ، وجَعَلتُها الأَصل واعتَمدتُ المَطبوعَ كَنُسخَة أُخرى وقارَنتُ بَينَهُما ، وإذا دَعَت الحَاجةُ أَذْكرُ " كَذا ذُكرَ في المَطْبوع " أَو " لَم تُذكَر في المَطبوع " ، وجَعَلتُ مابينَ مَعْقوفَين [ ] زِيادَةً مِن عَملِ المُحَقق لِيَستَقيمَ المَعنى ، وقَسَّمت الكِتابَ حَسبَ التَّواريخ ابتَداءً من بعثَةِ النَّبي محمد ﷺ وجَعلتُ بدايَتها { إبْتداءُ قيامِ دَولةِ الإسلام وابْتداءُ المائَة الأُولى للهجرة النبوية } وهَكَذا في بداية كُلِّ مائة سَنَة، وهَذه الزِّيَادَة لم تَرِد وإنَّما ذَكَرتُها اجتهَاداً مِنّي ، وعَرَّفتُ بالمؤلف منَ المَصادرِ المُعتَبرَة ، وعَرَّفتُ بالأَعلامِ المَذكورينَ في الكِتابِ قَدْرَ الإمكان ، وعَرَّفتُ بالبُلدانِ والأَمكنة والبقاع ما وَجَدتُ إلى ذلكَ سَبيلا ، وعَرَّفتُ بالفِرَّقِ والنِّحَل وما شَابَه ، وعَلَّقتُ على بَعضِ الحَوادث والمَقالات التي وَرَدَت إذا ما اقْتَضَى الأَمرُ ذَلك .

الشُكرُ لله أَولاً وآخراً ، وبَعدَ أَنْ أَصبَحَ الكِتابُ مَاثلاً للطَبعِ لا يَسعُني إلا أَنْ أَشكُرَ كُلَ مَن قَدَّمَ لِيَ المُساعَدَةَ والعَونَ في إخراجِه ، وأَخُصُ منهُم بالشُكر عالمُ اليَمَن وأُستاذي وشَيْخي القَاضي إسماعيلَ بن علي الأَكوَع حَفظهُ الله ، كَما أَشكرُ الأُستاذَ الدُكتور عبد الرحمن الشُّجاع رَئيسَ قِسمِ التَاريخِ بِجامعَة صَنعاء الذي قَدَّمَ لي من خالصِ مَكتَبَته ما سَاعَدَني على تَجاوزِ كثيرٍ من الصُعوبات ، كما أَشكرُ وَلَدَيَّ المُهَندسَين حَسَّان وفارِس اللَّذَينِ ساعَدايَ في القِراءَة والمُراجَعَة وقَاما بِصَفِّ الكِتاب وتَنْضيدِه ، كَما أَشكُر الأَخَ البَاحِث عَبدِ الحَميد بن صَالِح آل أَعوَج سَبر الذي قَدَّمَ

لِيَ المَخطُوطَة بَعدَ أن أَعيَانِي البَحثُ في الحُصُولِ عَليهَا من مَظانِّها ، كَما أَشكُر الإِخوةَ الكُثُر الذينَ قَدَّموا لِيَ المُساعدَةَ والعَوْن .

قَد يَكونُ بَدَرَ مِني في الكِتابِ أَخطاءٌ قَليلَةٌ أَو كَثيرةٌ وحَسْبي أَنِّي اجْتَهدتُ ولَم أُصِب ، والذي يَبحَثُ عن الخَطَأ سَيَجدُهُ وما أَكثَرَه، وأَستَغفرُ الله من كُل ذَنبٍ والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمين.

أبو حَسَّان خالد أبازيد الأَذرُعي
صَنْعاء
٢٢ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ
٣٠ نيسان ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للمؤرخ الكبير

القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي

رحمه الله

إن من تَتَبّع تَواريخَ الشّعبِ اليَمني يَجِدُ أن أبرزَ مُؤرِّخَيْن في القَرنِ الحادي عشر الهجري والقَرن الثالث عشر :

إثنانِ أَوَّلُهُما المُؤَرِّخ الكَبِير العَلاَّمة صَاحِب المُؤلَّفات العَدِيدَة يحيى[(١)] بن الحسين بن الإمَام القَاسِم بن محمد المُتوفى سنة ١١٠٠هـ ألف ومائة سَنة منَ الهجرَة النَّبويَّة على صَاحِبها أَفضَل الصَّلاة والسَّلام ومؤلَّفُهُ في التَّاريخ اليَمَني هو كِتاب (أَنباءُ الزَّمَن في تَاريخِ اليَمَن) ويَقَعُ في ثَلاثَة مُجلَّدات ، تَناوَلَ فيه تَاريخَ اليَمنِ السِّياسِي من حِين أَشرقَت شَمسُ النُّبوَّة في رُبُوعِ اليَمَن إلى عَصرِه القَرن الحادي عشر الهجري ، والكِتَابُ لا يَزالُ مَخطُوطاً وتُوجَدُ منهُ نُسخَةٌ في خزانَة الجَّامِع الكَبِير بصَنْعاء وأُخرَى بدَار الكُتُب المِصريَّة ، ولَعَمري إنَّهُ مُصنِّف جَمعَ كُلَّ شَارِدةٍ ووارِدَة وذلك لأنَّ مَكتبَة المُؤلِّف كَانَت زَاخِرَة بأُمَّهات الكُتُب من العُلُوم والآدَاب وغَيرهِما ، ومُؤلَّفاتُ هذا العَالِم الجَّلِيل تَنُوف على أَربَعِين مُجلَّداً مِنهَا أَنباءُ الزَّمَن وللأَسَف فإنَّه لم يَهتَمَّ أَحدٌ

(١) – وهذا يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم هو غير يحيى بن الحسين بن المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم صاحب كتاب الأماني في أخبار القطر اليماني الذي حققه ونشره الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور و بمراجعة الأُستاذ محمد مصطفى زياده وقد وقعا في خطأ حيث نسباه في العنوان إلى يحيى بن الحسين بن القاسم والواقع أنه كما ذكرنا ليحيى بن الحسين بن الإمام المُؤيَّد محمد بن القاسم ولم يتنبها إلى ما كتباه في نفس الكتاب بصفحة ٤٨ حيث قالا أنه من جمع و تأليف يحيى ابن الحسين أمير المؤمنين المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم بالإضافة إلى أخطاء في نصوص الكتاب وتعاليقه و أيضاً أخطاء مطبعية و الخطأ والنسيان من صفات الإنسان والكمال لله وحده جل شأنه ومهما يكن فجزاهما الله خير الجزاء ومن أشهر من أرخ لليمن المؤرخ بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي المتوفى سنة ٧٣٢هـ ، والمؤرخ عماد الدين إدريس بن علي بن عبدا لله الحمزي المتوفى سنة ٧١٤هـ ، و المؤرخ موفق الدين علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ .

بنَشرِها وتَحقيقِهَا ، وجَديرٌ بأبناءِ هَذا الشّعبِ اليَمني وخَاصَّةً الشَّبابَ منهُم أن يَنهَضُوا لإحيَاءِ تُراثِهم ويَبعَثُونَه من زَوَايا الإهمَالِ إلى حَياةِ النُّورِ والعِرفَانِ ولا سِيَما وقَد أتاحَت لَهُم الثَّورَةَ المُبارَكة الفُرَصَ المُواتِيَة لِنَشرِ كُلِّ ما كُتِبَ عن مَاضِي اليَمن من حَضارةٍ وتَقدُّمٍ وازدِهَار .

أمَّا المُؤرِّخ الثَّاني فَهُو صَاحِبُ هذا الكتاب (اللّطَائِفُ السَّنِيَّةُ في أَخْبارِ المَمالِك اليَمَنيَّة) وهو الحُجَّةُ البَالغَة والحَافظُ الوَاعي والمُؤرِّخُ النَّابغه محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى الكبسِي ، وبِحَقٍ أَقُولُ أنَّ هَذا الكِتَاب سجِلٌ حَافِلٌ لِتَاريخِ اليَمن وأَحداثه مُنذُ أن بَعَثَ رَسُول الله ﷺ عُمَّالَهُ إلى اليَمن إلى أَيَّام المُؤلِّف مِن أَواخِرِ القَرنِ الثَّالث عشر الهجري ، وقَد تَركَ المُؤلِّفُ الكَلامَ عن إسلامِ أَهلِ اليَمن واحتِضَانِهم الدَّعوَة النَّبويَّة وذِكر وُفُودَهُم ومُراسَلاتِهم إلى النَّبي ﷺ وكَذَا العُهُود والمَواثيق التي مَنَحها لِمُلوكِ اليَمن وزُعَمائِهَا إعتماداً على الكُتُبِ المُطوَّلَة كَسيرَة عبد الملك بن هِشَام المعافري المُتوفى سنة ٢١٦هـ وتَاريخُ محمد بن جرير الطَّبري المتوفى سنة ٣١٠هـ .

وتَظهَرُ قِيمَةُ هَذا الكِتَاب في أَنَّ مُؤلِّفَهُ واسِعُ الأُفُقِ والإطِّلاعِ ممَّا جَعلَهُ يَحرِصُ أن يَضمَنَ كِتابُه هذا كُلَّ ما عَلِقَ بذهنِه عن الأَحوَالِ الإقتِصاديَّة والإجتماعيَّة المُلابسَة للأَحدَاث السِّياسيَّة ، وقَد عَالَج تلكَ الأَوضَاع بِإدرَاكٍ وفِهمٍ دَقيق حَيثُ أنَّه عَاصَرَها ولَمَسهَا بإحسَاسه ومَشاعِره وإن انسَحَبَ عليه ما كان عَليه عَصرُه من مُراعَاة السَّجَع والمُحافَظَة عَليه لَكنَّهُ غيرُ مُخلٍ ولا مُتَكلِّف بَل جَاءَ مُنَسَّقاً لِسَرد الحَقائقِ وسُرعَانَ ما يَعلَقُ بذهنِ القَارئ ويَلتَصِقُ بوجدَانه الإحسَاسُ بالعِبرَة والمَوعظَة ، وكُنتُ حَريصاً على أن أُطيلَ دراسَة هَذا التَّاريخ غَيرَ أن رَائدَ العَجَلَة حال دُونَ ذلك نَظَراً لأنَّ الكتابَ قد صَارَ مَاثلاً للطَّبعِ والنَّشر.

وقَد كَانَ المُؤلِّفُ رَحمهُ الله حِينَما جَمعَ هذا الكِتاب بَعيداً عن مَوطنه ومَسقَط رَأسه بَلدَة الكِبس وعن صَنْعاء حَاضِرة اليَمن لِذلك لم يَكُن لَديهِ من المَراجِع والمَصادِر

الكَافِيَة التي يَرجِعُ إليهَا بَل كَانَ حِينَذَاكَ في المِخلاف السُّلَيماني المَنسُوبِ إلى القَيِّل سُليمَان بن طرف الحَكَمي ، والمِخلافُ السُّلَيماني جُزءٌ لا يَتجزَّأ من اليَمن الكُبرى فكَتَبَ هَذا المُؤلِّفُ من حِفظِه وذاكِرَتِه فهُو يَقُول في خُطبَته ما يَلي :

" سَألَني مَن لا يَسعُني رَدُّه ولا يحِلُّ لي صَدُّه وهو سَيِّدي الوَالد العَلاَّمَة المُصقَّع الفَهَّامَة المُبدِع فرعُ الدَّوحَة العَلَويَّة وطِرازُ العصَابَة الحَسَنية أَحْمَد بن عَلي المُعافى من أَشرَافِ المِخْلاف السُّلَيماني أَنعَمَ الله عَليه بالعلمِ والعَمَلِ وبَلَّغَهُ غَايَةَ السُّؤلِ والأَمَلِ في رَصدِ تَاريخ من وَلِيَ هَذه الأَقطَارِ اليَمنيَّة من أَوَّل الإسلاَم ومَن عَاصَرَهُم من العُلَمَاء الأَعلام وهو حِينَئِذٍ على جَناحِ السَّفر ومُصاحَبَة الأَصائِلِ والبُكَر وأَنا في الحَالِ مُتخَلٍ عن جَوامِعِ الأَسفَارِ ودَفاترِ التَّواريخ والأَخبَارِ وإنَّما نَقلتُ ما عَلِقَ بالخَاطِر وبَقى في خِزَانَةِ الحفظ القَاصِر على وِفقِ اقترَاحه في يَومَين وطِبقَ سُؤاله في الإشَارَة إلى الأَثَر لا إلى العَين فَوافَقتُه إلى المُساعَدَة في المُدَّة اليَسِيرة وتَكلُّفِ هذه المَشَقَّة رَجاءً لِنيلِ دَعوةٍ منهُ مُتَقبَّلَةٍ وَوُفورِ المَودَّة المُتَّصلة " .

فأَنتَ تَرى في هَذه الكَلمَة ما يَتمتَّعُ به المُؤلِّفُ من ذَاكِرةٍ نَادرةٍ وحَافظةٍ واعِيَة وإنَّهُ لَوِعَاءُ عِلمٍ ومَنارُ هُدَى يَشِعُّ بِكُلِّ فَضيلَةٍ لِكُلِّ حَاضِرٍ وبَاد .

- التَّعريف بالمؤلِّف -

قالَ الزِّركلي في أَعلامه ...

هو : محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن بدر الدين الكِبْسي بَلداً والحَسَني نَسباً ، من سُلالةِ النَّفسِ الزَّكيَّةَ ، ولِدَ عَام ١٢٢١هـ في هجرَة الكِبْس بخَولان ، مُؤرِّخٌ من أَهلِ صَنعاء تَولَّى القَضاءَ بِمدينَة ذَمار أَيامَ الإمامِ المتَوكِّل المُحسن ابن أَحمد ، أَشهرُ كُتبهِ اللطائف السَّنيَّة في أَخبارِ المَمالكِ اليَمَنيَّة ، انتَهَى فيهِ إلى حَوادِثِ عامِ ١٣٠٥هـ الموافق ١٨٩١م أ. هـ .

وآلُ الكِبْسي من العَائلاتِ المَعروفَةِ في اليَمن وهُم من البُيوتَاتِ المَشهورَةِ ، مَساكِنُهم في صَنْعاء وذَمار وخَولان وتَعز وغَيرِها.

وقَد تَرجَمَ لهُ العَلامَة أحمد بن محمد بن يحيى زَبَارة رحِمَهُ الله في كِتَابه نُزهَة النَّظَر في رِجال القَرن الرَّابع عشَر

وقال : هو السَّيِّد العَلامَة الحَافظ المُؤرِّخ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن يحيى بن أحمد ابن علي بن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبدالله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن حسين بن الناصر بن علي بن المعتق بن الهيجَان الكِبسِي ، مَولدُه في جُمادَى الأولى سَنة ١٢٢١هـ بهجرَة الكِبسِي من خَوْلان العَاليَة ونَشأَ بها في حِجرِ والِده وأَخَذ عَنهُ عِلمَ النَّحو والأُصُول والحَديث وأَخَذ عن السَّيد الإمَام إسماعيل بن أحمد بن عبدالله المغلس الكِبسِي في النَّحو وغَيرِه وأَخَذ بِصَنعاء عن القَاضي الحَافظ شَيخ الإسلامِ محمد بن علي الشَّوكاني بِإملاءِ القَاضي محمد بن علي العمْرَاني في شَهرِ رَمضان في صَحيح مُسلم وسَنَّهُ أبو دَاوود والترمِذي والنّسائي وابن مَاجَه ثُمَّ في شَهرِ رَمضان من السَّنة الثَّانيَة .

أما عن مُؤلَّفاته :

فَقَد ذَكَرهَا عبد السَّلام الوَجيه في كِتَابه أعلامُ المُؤلِّفين الزَّيديَّة .

١) – العِنايَةُ التَّامَة بِشرحِ أنوارِ الإمامَة تَكملَةُ (ذَيلِ البَسَّامَة) وهوَ نَظمٌ وشَرحٌ لِذَيلِ البَسَّامَة وهوَ الذيل الخامس لها ، شَرحَ فيهِ تاريخَ اليَمَن من عامِ ١١٤٧هـ – ١٢٩٥هـ ، مَخطوطَةٌ بِمَكتبَةِ زَبارَة الخَاصَة .

٢) – السيرَةُ المُختارَة عَراض (مُعارَضة) لِقَصيدَة القَارَة (قصيدة حِميَرية) ومَوضوعُها في التاريخِ والنَقدِ التاريخي .

٣) – جواهرُ الدُرِ المَكْنون في سيرَةِ الإمام مُحمد بن عبدالله الوَزير المتوفى سنة ١٣٠٧هـ ، طُبِعَ بِتَحقيقِ زَيد بن عَلي الوَزير .

٤) – تاريخُ الزَمان وسَبَبُ تَفرقِ الناسِ في البُلدان من لَدُنْ نوحٍ عليه السلام إلى سَيدِ وَلد عدنان عليه السلام ، قالَ الشيخ عبدالله الحبشي مَخطوطٌ بِمَكتبةِ زَبارَة الخاصَة من نُسخةٍ أخرى بالتَيْمورِيَة وأُخرى بِمَكتَبة طَلعَت باسْطَنْبول .

٥) – النُبْذَةُ اليَسيرةَ في الأَخبارِ والسيرَة ، ذَكَرهُ الحبشي في مَصادرِ الفكرِ العَربي

٦) – النَفَحاتُ المِسْكيَة بالأَسانيد القَويَة والسيرَةُ الإماميَةُ المتوكليَة والتَراجمُ البَهِيَّة في سيرَةِ الإمامِ المُحسن بن أحمد المُتوفى سنةَ ١٢٩٥هـ .

٧) – اللطائفُ السَنِيَّة في أَخبارِ المَمالِكِ اليَمَنية ، وهوَ كِتابُنا هَذا .

تُوفيَ المؤلِّفُ في هِجْرَةِ الكِبْس من أَرضِ خَولان في عامِ ١٣٠٨هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُؤلِّــف هَذا الكِتَاب التَّاريخي السَّيِّد العَلامَة الجَهبَذ الحَافظ النَّسابَة المُؤرِّخ مُحمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد الكِبسي الحَمزي الحَسني رَحِمهُ الله ، مَولِــدُه بِهجرَة الكِبسي في يَومِ ثمان عَشرَة جُمادَى الأول سنة ١٢٢١ هــ إحدَى وعَشــرين واثنا عَشرَ مَائَة وأَخذَ في فُنُون العلمِ عن عِدَّةٍ من عُلَماءِ عَصرِه من الأَكابر بالكِبس وصَنعَاءِ ومِنهُم السَّيِّد العَلامَة زَيد بن أحمد بن عبدالله الكِبسي والسَّيِّد العَلامَة إسماعــيل بن أَحمد بن عبدالله الكِبسي المغلس والسَّيِّد العَلامَة أحمد بن علي بن مَهدي الكِبســي المــرَاجل والسَّــيِّد العَلامَــة مُحمَّد بن محمد بن عبدالله الكِبسي الصَّنعَاني والقَاضي العَلامَة إسْمَاعيل بن حسين جغمان والقَاضي العَلامَة عبدالله بن علي بن علي الغَالبي والقَاضي العَلامَة علي بن محمد بن علي الشَّوكَاني والقَاضي العَلامَة حُسَين بن أحمــد الحــرَاز ، وتَضَــلَّعَ في فُنُون العُلُوم وحَقَقَّ حُدُودَها والرُّسُوم حَتى صَارَ خَاتمَة الأَكابر العُلَماء الحُفَّاظ المُجتَهدين ومن مُؤلَّفَاته هذا الكِتَاب المُسمَّى اللَّطَائفُ السَّنيَّة في أَخبَارِ المَمَالك اليَمَنيَّة وكِتَابُ أَنبَاء الزَّمَان وسَبَبُ تَفرُّق النَّاسِ في البُلدَان ولَهُ النَّفَحاتُ المســكيَّة والإجــازَاتُ السَّنيَّة والسِّيرَةُ المُتوكِّليَّة المُطَهريَّة والتَّراجمُ البَهيَّة جَعلهَا سيرَةً بَســيطَة للإمَــامِ المُتوكِّل على الله مُحسن بن أحمد وتَرجَمَ لِكَثيرٍ من أكابر العُلَماءِ في الــيَمَن تَراجمَ مُستَوفَاةٍ وهو في مُجَلَّدَين ضَخمَين ومن أَنفَسِ الكُتُب ولَهُ العِنَايَة التَّامَّة تَكملَــة أَبــيَات البسَامَة وشَرحهَا ولَهُ غَيرُ ذَلك ، وكَانَ آيةً في التَّاريخ ووَفَاتُه بِهجرَة الكِــبْس في نَهارِ الخَميس ٢٦شهر جُمادَى الآخرَة سَنة ١٣٠٨هــ عن نَيفٍ وثمانين سَنَة رَحِمَهُ الله ، كَتبَهُ الرَّاجي من الله غُفرَانَ ذَنبه عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد

ابـــن محمد بن حسين بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد الكِبسي وفَّقَهُ الله ، وكَانَ نَقلُه بِمَدينَةِ تَعز ، وحُرِّرَ يَوم غُرَّة شَهرِ المُحرَّم سَنة ١٣٩٥هـــ وفي ١٤يَنايِر سَنة١٩٧٥م .

[كَاتِبهُ هو نَاسِخُ المَخطُوطَة لِلكِتَابِ المَطبُوعِ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمـــد بن حسين بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد الكِبسي يَلتَقِي مَعَ المُؤَلِّف في وَالِدِ جَدِّ جَدِّ المُؤَلِّف يحيى بن أحمد بن علي بن محمد الكِبسِي ــ ورَحِمَ الله الجَّمِيع ...][1]

---

[1] ـ ما بين المعقوفتين إضافة من المحقق .

هذا الكتاب الجليل المسمى اللطايف السنية
في اخبار الممالك اليمنية عني بجمعه وتاليفه وترتيبه
وترصيفه والدنا العلامة عز الاسلام وبقية العلما
الاعلام خاتمة المحققين وواسطة عقد الها
شميين بدر الدين محمد بن اسمعيل بن محمد
بن يحيى بن احمد بن علي بن محمد بن احمد
الكبسي بلدا الحسني نسبا
رحمه الله تعالى ورضي عنه
آمين وصلى الله على سيدنا
محمد الامين وآله
الطاهرين وصحبه
الراشدين
وسلم الى
يوم الد
ين

عنوان الكتاب من المخطوطة

الصفحة الأولى والثانية من المخطوطة

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

الأمين وآله الطاهرين

وصحبه الراشدين

إلى يوم

الدين

الصفحتان الأخيرتان من المخطوطة

مقدمة المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

رب يسر وأعن يا كريم

وبَعد: أَحمدُ من لا يَستحقُ الحمدَ سواه ، وصلاتهُ وسلامهُ على رَسولهِ و مُصطفاه وعلى آلهِ سُفنِ النجاةِ وأَصحابهِ القادةِ الهُداة ، فيقولُ العبدُ الحقير المُستَجيرُ من عذابِ السَّعير محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أَحْمَد الكِبْسي الحَمْزي الحَسَني أَلبسَهُ ملابسَ التَقوى وهداهُ إلى السبيلِ الأَسوى.

فهذا كَشكولٌ[1] لَطيف ومحمُولٌ على الأَرواحِ خَفيف ، سأَلني من لا يَسعُني رَدُّه ولا يَحلُ لي صَدُه ، وهو سيدي الوالد العلامة المصقعُ الفهامةُ المُبدع فرعُ الدوحَةِ العَلويةِ وطرازُ العصابةِ الحَسَنية أَحْمَد بـن علي المعافى[2] من أَشْرافِ المِخْلافِ السُليماني[3] أنعمَ الله عليه بالعلمِ والعَمل وبَلغهُ غايةَ السُؤلِ والأَمَل في رَصدِ تاريخِ من وَلِيَ هذهِ الأَقطار اليَمَنية من أَولِ الإِسلام ومن عاصرَهُم من العُلماءِ الأَعلام ، وهو حينئذٍ على جَناحِ السفَر ومُصاحبةِ الأَصائل والبكَر ، وأَنا في الحال مُتخلٍ عن جوامعِ الأَسفار ودفاترِ التواريخِ والأَخبار ، وإنَّما نقلتُ ما عَلِق بالخاطرِ وبقيَ في خَزانةِ الحفظِ

(١) – كشكول: وعاء من الفخار يستعمله الشحاذون لجمع حاجياتهم واللفظ فارسي مؤلف من قطعتين : كش بمعنى سحب وكول بمعنى كتف ، قال ابن منظور : الكشكول كلمة أرامية بمعنى وعاء المتسول الذي يجمع فيه كل الحاجيات .

(٢) – المعافى: أصل هذه الأسرة من صبيا في تِهَامَه من أعمال جيزان وهم من ولد المعاف بن رديني بن يحيى بن داوود ... من نسل سيدنا الحَسَن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) – المِخلاف السُليماني: أحد مَخَاليف اليَمَن على ساحل البحر الأحمر من مدنه جيزان ، صبيا ، أبو عريش ، وينتهي عند قنفذه على ساحل البحر الأحمر في أعلى سهل تِهَامَة ، ويتبع الآن أراضي المملكة العربية السعودية .

القاصِرِ على وفقِ اقتراحه في يومين وطِبقَ سُؤالهِ في الإشارة إلى الأَثرِ لا إلى العَين ، فوافقتُهُ إلى المُساعدةِ في المُدةِ اليسيرةِ وتَكلُّفِ هذهِ المشقَةِ رجاءً لِنيلِ دعوةٍ منهُ مُتقبلةٍ وَوُفورِ المودَةِ المُتصلةِ فأَقول ...

كانَ عُمالُ رَسولِ الله ﷺ على اليَمَن : أبان بن سعيد بن العَاص على صَنْعَاء وأَعمالها ومُعَاذ بن جَبَل ﵁ على الجَنَد وأعمالها ، وزيَاد بن لُبَيْد الأنصاري على حَضْرَموت وأَعمالِها ، وَ قيلَ إنَّ رَسول الله ﷺ إستَعملَ المُهَاجر بن أُمية على كِندَة وحَضْرَمَوت فمَرِضَ في المدينَة فكَتَبَ رَسولُ الله ﷺ إلى زيادِ بن لُبيد أَنْ يقومَ على عملِ المُهاجر ، فلَما تُوفيَ رَسولُ الله ﷺ أَقرَّه أَبو بكر الصديق وأَمرَهُ أَنْ يُقاتِلَ أَهلَ الرِدَّة ، واستعملَ أَبو بكرٍ على الجَنَد ومَخَاليفها عبدالله بن أَبي ربيعة المخزومي وعلى صَنْعَاء و جهاهَا يَعْلى بن أُمية ويقال ابن أَمينة[1] نسبةً إلى أُمهِ ، وهو من بني أُمية بن عبد شمس .

قالَ المؤَرِّخون : وأَبقى عمر بن الخطاب عُمالَ أَبي بكر إلا يَعْلى بن أُمية فإنَّهُ أَشخَصَهُ إلى المدينَة مرَتين لأَسباب مذكورةٍ في كُتبِ التاريخ لا يَسعُها هذا المُختصر ، وبَقِيَ يَعْلى بن أُمية على الأَعمالِ حتى بُويعَ لأَميرِ المُؤمنينَ علي ﵇ واستعملَ على صَنْعَاء وجِهاهَا عبيدالله بن العباس وعلى الجَنَد وما يَليها سعيد بن سعد بن عبادة .

وفي سنةِ أربعين للهجرةِ النبوية بَعَثَ معاويةُ بن أَبي سفيان بُسْر بن أَرطأَة العامري[2] والياً على اليَمَن في ثلاثة ألآف مُقاتل وأَمرَهُ أَنْ يقتل شيعة علي ﵇ ، فقَدِمَ المدينَةَ النبويةَ المُشرفة وقَتلَ فيها جَماعَةً ، وتقَدَّم مَكَّة وقَتلَ جماعةً من أولادِ أَبي لهب وكذلك

---

[1] - قال ابن حجر في الإصابة: يعلى بن (مُنْيَة) صحابي من الولاة أسلم بعد الفتح قتل شهيداً مع سيدنا علي﵁ في صفين عام ٣٧ هـ .

[2] - بسر بن أرطأة: قائد فتاك من الجبارين من رجال معاوية قَتَلَ جمعاً من أنصار سيدنا علي ﵁ أصيب في عقله في أواخر عمره ، مات في دمشق سنةَ ٨٦ هـ .

فعلَ في الشرَاة ونَجْران ، فلما قَرُبَ من صَنْعَاء هربَ منهُ عبيدالله بن العباس وتركَ ولَدينِ صغيرَين عند أُمهِما يُسمى أحدهما قثم والآخر عبد الرحمن فقَتلَهما بُسْر لَعنهُ الله وعليهما مشهدٌ بمسجد الشهيدين المعروفِ بصَنْعَاءَ المدينَة ، ولما صَالَحَ الحَسَنُ بن علي السِّبطُ عليه السلام معاويةَ ، إستعملَ معاويةُ على اليَمَن عثمان بن عفان الثقفي فأَقامَ مُدةً ثُم عزله بأَخيه عُتبة بن أَبي سفيان ، ولما تُوفيَ عتبةُ استعملَ معاويةُ على اليَمَن النعمان بن بشير الأَنصاري فأَقامَ سنةً ثُم عزلهُ معاوية ببشير بن سعيد الأَعرَج فأقامَ سبعةَ أَشهرٍ ومات ، فاستعملَ معاويةُ الضَّحَاك بن فيروز الديلمي فلم يَزَل في اليَمَن حتى ماتَ معاوية ، فاستعملَ يزيد بن معاوية على اليَمَن يحيى بن رشان الحميري[١] .

فلما استَقرَّ الأمرُ لإبن الزُبير استعملَ على اليَمَن الضَّحَاك بن فيروز الديلمي فأقامَ سنةً ثُم عزلهُ بعبدالله بن عبدالرحمن بن الوليد المخزومي فأقامَ أَياماً ثُم عزلهُ بعبدالله بن عبدالمطلب بن وداعة السهمي فأقامَ فيها سنةً وثمانية أَشهر ثُم عزلهُ بحسن بن عبدالله الفقيه ثُم عزلهُ بقيس بن يزيد السعدي .

ولما قُتلَ ابن الزُبير[٢] استوَلَى عبدالملك بن مروان على الحِجَاز واليَمَن وجعلَ أمرَهُما إلى الحجاج بن يُوسُف فاستعمَلَ على صَنْعَاء ومَخَاليفها أخاهُ محمد بن يُوسُف وعلى الجَنَد واقد بن مسلمة الثقفي فأقامَ سنةً ثُم عزلهُ الحجاجُ وجمعَ المِخْلافين لأَخيه محمد بن يُوسُف ، فلم يَزَل عاملاً عليهما إلى أَنْ هلكَ في آخرِ أَيامِ عبدالملك ، فاستعملَ الحَجَّاجُ إبن عمهِ أيوب بن يحيى الثقفي فلم يَزَل والياً عليهما أيام الوليد بن عبدالملك وهو الذي زادَ في جامع صَنْعَاء ويقال أنَّ المقدم[٣] من بنائه.

---

[١] – يحيى بن رشان الحميري : لم أجد ترجمته .

[٢] – مقتل ابن الزبير: مقتل عبدالله بن الزبير بن العوام في مَكّة عام ٧٢ هـ على يد جنود عبد الملك بن مروان وكان عبدالله قد أعلن نفسه خليفة المسلمين بعد بيعة أَهلِ الحِجَاز والعراق لهُ .

[٣] – المقدم : مقدم المسجد ، المحراب .

فلما ماتَ الوليد بن عبد الملك وَلِي الأَمرَ أخوهُ سليمان بن عبدالملك فاستَعملَ على اليَمَن عروَة بن محمد السعدي فأَقامَ فيها أَيامَ سليمان وأَيامَ عمر بن عبد العزيز ﷺ واستعملَ وهب بن منبه الأَنبَاوي[1] على قَضاءِ صَنْعَاء .

[1] – وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني الذماري: مؤرخ ، يُكثر الأخبار عن الكُتُبِ القديمة ، عالمٌ بأساطير الأولين ومنها الإسرائيليات ، يُعد في التابعين ، فارسيُ الأصل أُمهُ من حِميَر ، ولد ومات في صنعاء وتولى القضاء فيها في عهد الخليفة عمر ابن عبد العزيز ﷺ مات سنة ١١٤هـ .

وفي سنةِ إحدَى ومائة للهجرةِ النبوية تُوفيَ عمر بن عبد العزيز ﷺ وقامَ بالأمرِ يزيد ابن عبدالملك[1] بعهدٍ من أَخيه سليمان فاستعملَ على اليَمَن مسعود بن عوف الكلبي فأقامَ فيها أيامَ يزيد.

وفي سنةِ خمس ومائة للهجرةِ النبوية ماتَ يزيد بن عبدالملك وقامَ بَعدَهُ بالأَمرِ أَخوهُ هشام بن عبد الملك فأقرَّ في اليَمَن مسعود بن عوف الكلبي ثُم عزلهُ بيوسف بن عمر الثقفي فأَقامَ عاملاً على اليَمَن جميعه ثلاثَ عشرة سنةً .

وفي سنةِ أَربعة عشر ومائة ماتَ عالمُ اليَمَن وهب بن منبه الأَنباوي التابعي وكان من كبارِ التابعين لَقيَ جماعةً من أَصحابِ رَسول الله ﷺ .

وفي سنةِ سبعةَ عشر ومائة عَزلَ هشامُ بن عبد الملك خالدَ بن عبدالله القسري عن العراق واستَدعى لِولايتها يُوسُف بن عمر الثقفي عاملَ اليَمَن فاستَخلَف إبنهُ الصَلت ابن يُوسُف فلم يَزَل عاملاً عليها إلى وَفاة هشام.

فلما هلكَ هشامُ في سنة إثنين وعشرين ومائة وَلَيَ بعدَهُ الوليد بن يزيد فاستعملَ على اليَمَن مروانَ بن محمد بن يُوسُف الثقفي.

فلما قُتلَ الوليدُ الجبارُ العنيد وأَراحَ اللهُ منهُ العبادَ وطهرَ البِلاد قامَ بَعدَهُ يزيد بن الوليد المُلقَّب بالناقِص ، فاستعملَ على اليَمَن الضَّحَاك بن واصل السكسكي فأَقامَ فيها إلى آخرِ أَيامِ يزيد بن الوليد ، وكانَ يزيد بن الوليد حَسَن السيرةِ ، وبعد موتهِ وَلِيَ الأَمرَ مروان بن محمد المُلقَّب بالحمار فاستعملَ على اليَمَن القاسم بن عمر الثقفي.

---

[1] – يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان: قام بالخلافة بعد مقتل ابن عمه الوليد بن يزيد عام ١١٦ هـ ومات مطعونا بنفس العام وكانت مُدةُ حكمه ٦ شهور .

وفي أيامه ظَهَر عبدالله بن يحيى المُلقَّب طالِبَ الحَق الخَارجي الإباضي بحَضْرَمَوت ، ثُم قَصدَ صَنْعَاء في أَلفي رجُل وجَرَت بينهُ وبين القاسم بن عمر حُروبٌ كثيرة إنتصرَ فيها الخارجي وهُزم فيها القاسم بن عمر الثقفي وقُتل إبنُ أَخيه الصلت بن يُوسُف ، واستَولَى على صَنْعَاء ثُم على مَكَّة والمدينَة وقَتَل[1] أَهلِ المدينَة في وادٍ يُقال لهُ قُديد ، فأَرسلَ مروانُ بن محمد عبدالملك بن عطية السعدي ، كَتَبَ إليه مروان بولاية الموسم للحج فخرجَ في قلةٍ من الجُنْدِ حتى وَصلَ الجَوْف فلَقيهُ الخوارجُ وقَتَلوه ، فلما بَلَغ مروانَ قَتلُه بعثَ على اليَمَن الوليد بن عروة فلم يَزَل فيها إلى أَنْ زالَت دَولَةُ بني أُمية من الشام وسائرِ البلاد.

ودَخلَت سنةُ اثنين وثلاثين ومائة ، وفيها زالَت دَولَةُ بني مروان وبُويع لأَبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس المُلقَّب بالسَّفَّاح ، وكانَت بيعتهُ يومَ الجمعة لثلاثَ عشرة ليلةً خَلَت من شهرِ ربيع الآخر ، ومن أشهُرِ الروم في تشرين الثاني والشمسُ يومئذٍ في القَوس والقمرُ في الدَلو وزُحل وعُطارد في العقرب ، فاستعملَ السفاحُ على اليَمَن عمهُ داوود بن علي فاستنابَ داوود بن علي على اليَمَن جميعه عمر بن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زَيْد بن الخطاب القرشي العدوي ، وهو أَولُ من دَخلَ اليَمَن نائباً لبني العباس و أَولُ من أَحدَثَ الأَبوابَ بجامع صَنْعَاء ولم تَكُن قبل ذلك.

ولما ماتَ داوود بن علي استعملَ السفاحُ على اليَمَن محمد بن يزيد بن عبدالمدان الحارثي ، فقَدمَها لسبعٍ بقينَ من رجب سنةَ ثلاثةٍ وثلاثين ومائة ، فساءَت سيرتهُ في اليَمَن حتى أَنَّهُ هَمَّ بإحراقِ المجذومين فعاجلهُ الله بالنقمَة وهَلَك قبل ذلك ، وكان أَخوهُ نائباً عنهُ في عَدَن أَبْيَن فهلكا في يومٍ واحد ، فلما علمَ السفاح بموتهما بَعث إلى اليَمَن

(١) – قتْلَة وادي قُديد: قام بها أبو حمزة الخارجي الذي بعثه طالب الحق الخارجي على مَكّة والمدينة ، ذكرها الإمام أبو جعفر الطبري في تارخه .

عبدالله بن مالك الحارثي فلَبِث أَربعة أَشهر فعزلهُ بالأَميرِ علي بن ربيع بن عبدالله بن عبدالمدان وهو الذي جدَدَ عِمارَةَ جامع صَنْعَاء وزادَ فيه.

وفي سنةِ ستة وثلاثين ومائة ماتَ أَبو العباس السَّفاح ، وقامَ بَعدَهُ أَخوهُ أبو جعفر المنصور[1] عبدالله بن محمد المنبوذ بالدوانيقي[2] ، فاستعملَ على اليَمَن عبدالله بن الربيع الحارثي فأَقامَ مُدةً ثُم سارَ إلى المنصور واستَخلفَ ولدَهُ فلَم يَزَل في اليَمَن إلى أَنْ قَدِمَها مَعْنُ بن زائدة الشيباني المَشهور بالجُود .

ودَخلَت سنةُ أَربعين ومائة وفيها قَدِمَ مَعْنُ بن زائدة[3] المذكور عاملاً للمنصور فبَقيَ في اليَمَن مدةً وقاتَل أَهلِ حَضْرَمَوت وكانوا على رَأي الخَوارِج ، قِيلَ أَنَّهُ قَتلَ منهم خَمسةَ عشر أَلفاً ، ثُم استدعاهُ المُنصور فاستَخلفَ على اليَمَن إبنهُ زائدةَ بن مَعْن فأَقامَ باليَمَن ثلاثَ سنين ، ثُم عزلهُ المنصورُ بالحجاجِ بن منصور فأقامَ مُدةً ثُم عزلهُ بالفرات ابن سالم العبسي فأقامَ فيها إلى سنةِ أَربعٍ وخمسين ومائة ، ثُم عزلهُ المنصور بيزيد بن منصور الحارثي خالِ ولَدِه المَهدي فأَقامَ فيها خمسَ سنين .

ثُم قامَ المَهدي بعد أبيه فأَبقى خالَهُ يزيد بن منصور[4] سنةً واحدة ، ثُم كَتَبَ إليه أَنْ يستخلفَ على اليَمَن ويَسيرَ إلى مَكَّة ليقِيمَ للناسِ حَجَّهُم ، فاستَخلفَ على اليَمَن عبد الخالق بن محمد الشَيباني فَلبِثَ شهرين وماتَ يزيد بن منصور ، فاستعملَ المَهدي على

---

[1] – أبو جعفر المنصور: هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب شقيق أبو العباس السفاح ، ثاني خلفاء بني العباس وهو الذي بنى مدينة بغداد سنةَ ١٤٥ هــ كان جاداً مثابراً متابعاً بعيداً عن اللهو والعبث . تُوفيَ عام ١٥٨ هــ .

[2] – الدوانيقي أو أبو الدوانيق لقب لــ أبي جعفر المنصور في خلافته لأنه كان يحاسب العمال على المال القليل (الدوانيق جمع دانق) .

[3] – معن بن زائدة الشيباني: من أشهر أجواد العرب ، أحد الشجعان الفصحاء وَليَ اليَمَن من قبل أبي جعفر المنصور ولم تطع لهُ وتوفي في سجستان عام ١٥١ هــ .

[4] – يزيد بن منصور: من ولد ذي الجناح الحميري كان مقدماً في دَولَةِ بني العباس ، وَلِيَ البصرة ثُم اليَمَن عام ١٥٤ هــ تُوفيَ بالبصرة عام ١٦٥ هــ .

اليَمَن رجاء بن حَيوَه الجُذامي فَلَبِثَ فيها ثلاثةَ عشر شهراً ، ثُم عزلهُ بعلي بن سليمان العباسي فأقامَ مُدةً ثُم سارَ إلى العراق واستَخلفَ واسع بن عصمة فأَقامَ فيها إحدى عشر شهراً ، ثُم لم يَزَل المَهدي يبعثُ عمالاً إلى اليَمَن وهم عبدالله بن سليمان المذكور ، ثُم منصور بن يزيد الحميري ، ثُم عبدالله بن سليمان النَوْفَلي ، ثُم سليمان بن يزيد ابن عبدالله بن عبد المَدَان الحارثي .

ثُم ماتَ المَهدي في سنةِ تسعٍ وستين ومائة ، وقامَ بالأمرِ ولَدُه موسى المُلقَّب بالهادي فاستعملَ على اليَمَن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، فأقامَ فيها سنةً وحصلَ في اليَمَن اضطِرَاب فبَعثَ إليها الربيع بن عبدالله الحارثي فتَغلَّبَ عليهِ أَهلِ صَنْعَاء فعزلهُ بإبراهيم بن سليمان الباهلي فمَكَث أَربعةَ أشهر.

ثُم ماتَ الهادي وقامَ بالأَمرِ أَخوهُ هارون المُلقَّب بالرشيد فاستعملَ خالد الغطريف والفِتنَةُ قائمةٌ بين أَهلِ الجَنَد وصَنْعَاء ، فأَصلحَ أُمورهم ولَبِثَ في الجَنَد ثلاثَ سنين وسبعةَ أَشهر، ثُم سارَ نحوَ الرشيد واستَخلَفَ على اليَمَن عباد بن محمد .

وفي سنة أَربعٍ وسبعين ومائة بَعثَ الرشيدُ إلى اليَمَن الربيع بن عبدالله بن عبد المَدَان الحارثي ، ثُم إنَّ الرشيد عَزلَ الربيعَ بأَيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، ثُم عَزلهُ وأَعادَ الربيعَ بن عبدالله الحارثي على الخَراجِ والصلاة ، والعباسَ بن محمد الهاشمي على الجِّباية فأَقامَ سنتين ، ثُم عَزلهُ بمحمد بن إبراهيم الهاشمي وجَمعَ لهُ الرشيدُ بين ولايةِ الحِجَاز واليَمَن ، فأقامَ بالحِجَاز وبَعثَ إلى اليَمَن إبنهُ العباس فَشكاهُ الناسُ فعزلهُ الرشيد بعبدالله بن مصعب الزبيري فأَقامَ سنةً ثُم عَزلهُ بأَحْمَد بن إسماعيل الهاشمي .

وفي هذهِ السَّنةِ ثارَ الهيضم بن عبد المجيد[1] في جبلِ مَسْوَر[2] وحاربَ جُنودَ السُّلطانِ وهَزمهُم ، فعَزلَ الرشيدُ أَحْمَد بن إسماعيل بإبراهيم بن عبيدالله بن عبدالله بن طلحة بن أَبي طلحة فأقامَ سنةً فَفسَد عليهِ الجُنْد وكانَ في ولايَته ضَعْف .

وفي سنةِ ثلاث وثمانين ومائة عَزلَ الرشيدُ إبراهيم بن عبيدالله المذكور بمحمد بن بَرْمَك وهو الذي أَخرجَ النهر المعروفَ بالبَرْمَكي في جنوبِ صَنْعَاء ، وكانَ من أَحسنِ العُمالِ القادمينَ إلى اليَمَن ، وكان كثيرَ الصدَقة كثيرَ التفقُّد لأَحوالِ الرعية مُشفقاً عليهم ، يُحكى عنهُ أنَّهُ خرجَ يوماً إلى سَوادِ صَنْعَاء فرأى أَهلِ السَّواد وعَلَيهم لِباسُ الصُوف فظَنَ أنَّهُم من أَهلِ السُؤالِ فقالَ لأَصحابه: " تصدقُوا على هؤُلاء المساكين " فَقيلَ لهُ:" إنهم الرَعيةُ الذينَ يُؤخذُ منهم الخَراج " ، فَرقَّ لهم وقال: " ما يَنبَغي أَنْ يُؤخذَ من هؤُلاء شَيء " ، فَرَفعَ عنهُم الطَلَب وبَقِيَ يُنفق من مالهِ الذي خَرجَ بهِ من جِهةِ العراق.

وخَرجَ عن طاعَتهِ أَهلِ تَهَامَه ، فشَكَاهُم إلى هارون الرشيد فبَعثَ الرشيدُ في سنةِ أَربعٍ وثمانين مَولاهُ حَماد البربري وقال لهُ: " أسمِعني أَصواتَ اليَمَن " ، فقَدمَها في شوالِ من هذهِ السَّنةِ وعامَلَ أَهلِ صَنْعَاء بالعُنفِ حيثُ لم يَستَقيموا على العَدلِ ، وقَتلَ رُؤسَائَهم حتى دانَت لهُ البِلاد وقَبضَ الخَرَاج ، وعُمرَت اليَمَن في أيامه وأُمنَت السُبلِ وحتى القَوافلُ تَقدُم من اليمامة إلى صَنْعَاء وفيها القَطيعُ من الغَنم على كُلِ شاةٍ مخلتان في كلِ مخلةٍ ستةُ أَمداد من التمر ، وأُخصبَ اليَمَنُ في أَيامه خِصباً لم يُعهد مثلهُ ، ولما اشتدَّ عُنفهُ على أَهلِ اليَمَن شَكَوهُ إلى الرشيد فلم يَسمَع لهم شَكوى ، فخالَفوا عليه

[1] – الهيضم بن عبد المجيد اليماني: وردت "الهيضم" بالضاد ، والصواب " الهَيْصَم بن عبد المجيد " خرج على الخليفة الرشيد العباسي في اليَمَن وقوي أمره في جبل مَسْوَر وكان والي اليَمَن حماد البربري الذي استنجد بالخليفة فأمده بجيش وهرب الهيصم إلى تَهَامَه وقبض عليه وأرسل محمولاً إلى الرقة حيث قَتَله الرشيد عام ١٩٢ هـ .

[2] – جبل مَسْوَر: جبلٌ عظيم يطل على بلاد حَجَّه وتِهَامَة ينسب إلى مَسْوَر بن عمرو بن معدي كرب وقد غلب عليه اسم مَسْوَر المنتاب لسكن آل المنتاب فيه .

إلى رَئيسهم الهَيْضَم[1] بن عبد المجيد ، فاستَمَدَّ الرشيدَ فأمدهُ بعشرة قُوَاد فهرَبَ الهيضم إلى بَيْشَة[2] فَظَفَرَت به الأَجنَادُ فَحملُوهُ إلى حَمَّاد فَحملَهُ حَمَّادُ إلى الرَشيد فضَرَبَ عُنقهُ وبَقِيَ أَصحابهُ في سِجنِ الرَشيد إلى أَنْ مَات ، وفي أَيامِ الرشيد كانَ خُروجُ الإمامِ محمد ابن إدرِيْس الشافعي إلى اليَمَن ، ودَخلَ صَنْعَاء وأَخذ العِلمَ عن هشام بن يُوسُف قاضي صَنْعَاء وعن مُطَرِّف بن باذان وهُما من كِبارِ أَصحابِ إبنِ جُرَيْج[3] ، وأَخذَ الشافعي عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني وعن إسحق بن إبراهيم البربري.

وفي سنةِ ثلاث وتسعين ومائة ماتَ الرشيد بطُوس[4] ، وقامَ بَعدَهُ ولَدُه الأَمين فأبقى حماد البربري على اليَمَن سنةً ثُم عزلهُ بمحمد بن عبدالله ، ثُم عزلهُ الأمينُ بمحمد بن سعيد الكناني فقَدمَ صَنْعَاء في شعبان من سنةِ خمس وتسعين [بعد المائة][5] وأقامَ حتى قُتِلَ الأمين على يَدِ طاهِر بن الحُسَيْن الخزاعي .

فاستعملَ طاهِرُ على اليَمَن يزيدَ بن جرير بن خالد القسري ، فساءَتْ سيرتهُ في اليَمَن فعزلهُ المأمونُ بعمر بن إبراهيم من وَلدِ عمر بن الخطاب ، فأَقامَ العُمريُ مُدةً ثم عزلهُ المأمونُ بإسحق بن عيسى العباسي فقَدمَ اليَمَن في ذي القعدة من سنةِ تسعٍ [بعد المائتين][6] ثُم سارَ إلى الحِجَاز ، واستعملَ على اليَمَن إبن عمهِ القاسم بن إسماعيل.

ثُم وَجَّه المأمونُ على اليَمَن حمدويه بن عيسى بن ماهان وكان إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن علي بن الحُسَيْن بن علي بن أَبي طالب عليه السلام قد تَغلَّب على اليَمَن ، فَجرَت بينهُ وبينَ حمدويه عدةُ وَقَائِع ، ثُم بَعثَ المأمونُ على اليَمَن عيسى بن

---

[1] – الهيضم : الصواب الهَيْصَم .

[2] – بَيْشَه: مدينةٌ في أعلى جبالِ عَسير إلى الجنوبِ من الطائف قالَ الحميري في الرَوضِ المعطار : بَيشَة من أودية تهَامَه.

[3] – عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج . فقيه الحرم المكي وكان إمام أهل الحجاز في عصره توفي سنة ١٥٠هـ .

[4] – طُوس : من بلادِ فارس (إيران اليوم) فيها قَبرُ هارون الرشيد ، ومعروف مكانه حتى هذا التاريخ .

[5] – (بعد المائة) لم ترد في المطبوع .

[6] – بعد المائتين لم ترد في المخطوط و لا المطبوع ، زيادة من المحقق ، و ما بين المعقوفتين [ ] زيادة من المحقق ليستقيم المعنى .

يزيد الجلودي فَتغلَّبَ إبن ماهان وأبى أَنْ يُسَلِّم إليهِ الولايةَ وجمعَ ماهانُ عشرة ألآف مُقاتِل ولَقِيَ الجلودي فهزمَهُ الجلودي وقَبضَ عليه ، واستقرَ الجلودي بصَنْعَاء ثُم سارَ إلى العراق واستَخلفَ على اليَمَن الخضر بن المنهال فأقامَ أَياماً حتى قَدِمَ إبراهيم الإفريقي الشَّيباني .

وفي سنةِ ثلاثٍ ومائتين قَلَّدَ المأمون الأعمالَ التَهَاميةَ من أَرض اليَمَن محمد بن عبدالله ابن زياد الأموي ، ووَلى على القضاء فيها محمد بن هارون التغلبي جدُّ بني عقامة الآتي ذكرُهُم ، فاستَولَى ابن زِياد على التِّهَائِم أجمَع من مَكَّة إلى عَدَن بعدَ حروبٍ شديدة بينهُ وبينَ الأشاعِرَة[1] وغيرهم وقد كانوا نَزعوا أيديَهُم عن طاعةِ عاملِ اليَمَن ، واختَطَّ ابن زِياد مدينة زَبِيْد وأَدارَ عليها سُوراً ، وأَما الإفريقي فإِنَّهُ بَقِيَ على وِلايَةِ الجِّبال حتى عُزِلَ عنها بِنعيم الوضاح والمظفر بن يحيى الكندي .

وفي سنةِ خمسٍ ومائتين بَعثَ المأمونُ عيسى بن زَيْد الجلودي عاملاً على جبالِ اليَمَن ، وكانَ حمدويه بن ماهان قَد نَزعَ يدهُ عن طاعةِ المأمون فأَسرهُ الجلودي وبَعثَ به إلى المأمون .

وفي سنةِ ثمانٍ ومائتين قَدِمَ محمد بن عبدالله بن محرز والياً على اليَمَن ، فاستعملَ على الجَنَد إبنهُ يحيى فخالفَ عليهِ أَهلِ الجَنَد فخرجَ عن اليَمَن واستَخلفَ عليهِ عباد بن محمد الشهابي .

وفي سـنةِ إحدَى عشر ومائتين ماتَ الحافظُ المُحَدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني[2].

---

[1] – الأشاعرة: قبيلة مشهورة إلى اليوم مساكنها زَبِيْد والسهول الموازية لشرعب من ولد الأشعر بن ... من ولد كهلان من سَبَأ وقد تفرعت عنها قبائل و بطون عديدة ، وهم الذين عناهم النبي ﷺ يوم قدومهم إليه بعد فتح مَكَّة "جاءكم أهلُ اليَمَن أرق أفئدة وألين قلوباً . ومن مشاهيرهم الصحابي أَبو موسى الأشعري ومنهم أيضاً صاحب المذهب المشهور (بالأشعرية) أبو الحَسَن الأشعري .

[2] – عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني: من الثقات من حفاظ الحديث من أَهلِ صنعاء كان يحفظ نحو ١٧ ألف حديث ، لهُ كتاب المصنف في الحديث وتفسير القرآن العظيم وغيرها ، تُوفيَ عام ٢١١ هـ .

وفي سنةِ ست عشرة ومائتين ماتَ عاملُ اليَمَن إسحق بن علي العباسي ، واستَخلفَ ولدَهُ يعقوب بن إسحق فلم يَصْفُ لهُ الجَو في اليَمَن ووَقعَ بينهُ وبين أَهلِ صَنْعَاء شِقاقٌ أَفْضَى إلى القِتالِ فخرجَ إلى ذَمَار ، ثُم عزلهُ المأمون بعبدالله بن عبدالله بن العباس .

وفي سنةِ ثمانية عشر ومائتين ماتَ المأمون وقامَ بالأَمرِ من بعدهِ أخوهُ المعتصم محمد ابن هارون ، وكانَ عاملُ اليَمَن قد سارَ إلى العراقِ بعدَ وَفاة المأمون ، واستَخلَفَ عباد ابن عمر الشهباني[١] فأقرَّهُ المعتصمُ سنتين ، ثُم عزلهُ بجعفر بن عبد الرحمن بن سليمان الهاشمي فأقامَ في اليَمَن إلى سنة خمسٍ وعشرين ، ثُم عزلهُ بمولاه جعفر بن دينار فاستنابَ[٢] فيها منصورَ بن عبدالرحمن التنوخي فقَدمَها في صَفر من السَّنة المذكورة وضَبَط البِلاد وبَعثَ عُماله إلى المَخَالِيف[٣] ، وقَدمَ عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عيسى بن ماهان وقد شَاركَ جعفر بن دينار في وِلايَة اليَمَن ، فأقامَ مع المنصور التنوخي أياماً ثُم عُزِلَ جعفر بن دينار بإيتاجَ التُّركي مَولى المعتصم ، فأَقرَ منصوراً وعبد الرحمن على عَمَليهِما حتى ماتَ المعتصم .

وفي سنةِ سبعٍ وعشرين ومائتين ماتَ المعتصم وقامَ بالأَمرِ بَعدهُ ولَدُه الواثق هارون ، فأقرَّ إيتاجَ التركي على وِلايَة اليَمَن ، فوجَّه إليها أبا العُلى أَحْمَد بن العُلى العامري فلما وَصلَ صَعْدَه ، أَرسلَ الأَميرُ يَعْفُر بن عبد الرحيم الحوالي مولاهُ طريفَ بن ثابت في عسكرٍ إلى صَنْعَاء ، فقاتلَهُ منصور التنوخي بأهلِ صَنْعَاء فهزَمهُم وقَتلَ منهُم أَلفَ رجلٍ وأَسرَ آخرين وضربَ أعناقَ الأَسارى[٤] ، ووفَدَ أَبو العُلى العامري بعدَ الوقعَة إلى صَنْعَاء فأقامَ مُدةً ثُم ماتَ ، واستَخلَفَ أخاهُ عمرو بن العلى ثُم إيتاجَ التركي

---

[١] – ورد في المطبوع الشهابي ولعله الصواب .

[٢] – فاستناب: جعله نائباً عنه فترة غيابه .

[٣] – المَخَاليف: جمع مِخْلاف وهو الإقليم (منطقة جغرافية تضم عدداً من المدن والقرى) .

[٤] – ألم يذكرنا الله تعالى (فإما مناً بَعدُ و إما فداء) ، أليس العفو من شيم المؤمنين ، لا شك أن هناك ظلم وقع – الله المستعان – .

[الذي][1] إستعملَ على اليَمَن هرَيْمَة[2] بن بشير مَولى المعتصم ، فورَدَ كتابُ هرَيْمَة على منصور التنوخي بولاية اليَمَن .

وفي سنةِ ثلاثين ومائتين قَدِمَ هرَيْمَة بن بشير بنفسه إلى اليَمَن ، وأقامَ بصَنْعَاء أياماً ثُم خرجَ لمحاربةِ الأَميرِ يَعْفُر بن عبد الرحيم الحوالي وهو بشبَام ، ثُم رَجعَ إلى صَنْعَاء ، وعزلَ الواثقُ إيتاجَ التركي عن عَمالةِ اليَمَن .

وفي سنةِ اثنين وثلاثين ومائتين ماتَ الواثق ، وقامَ بَعدَهُ أَخوهُ المتوكل جعفر بن المُعتصم فاستعملَ على اليَمَن جعفرَ بن دينار فأقامَ فيها أَياماً ثُم استَخلفَ ولَدَه محمد ابن جعفر وخرجَ إلى العراق ، ولم يَزَل ولَدُه على اليَمَن حتى قُتِلَ المتوكل ، وذَكَرَ المُؤَرخونَ أَنَّ هذا المتوكل[3] أولُ من قَلدَ الشافعي وأمرَ بتركِ المُناظَراتِ وجَزمَ بتقليدِ الأَربعةِ المَذاهب ورَفَض ما عداها ووَضعَ المقامَات حَولَ البيتِ الحرام ، وفي خلافته سنةَ خمس وأَربعين ومائتين ماتَ محمد بن زياد صاحبُ زَبِيْد وبيده أَعمالُ تِهَامَه ، فقامَ بالأمرِ بَعدَهُ ولَدُهُ إبراهيم بن محمد بن زياد .

وفي سنةِ سبع وأربعين ومائتين قُتِلَ المتوكلُ على يدِ إبنه المُلقَّب بالمُنتصر ، فجعلَ ولايَةَ اليَمَن إلى الأميرِ محمد بن يَعْفُر الحوالي فأقامَ فيها إلى أَنْ ماتَ المنتصر .

وفي سنةِ ثمانية وأربعين مات المنتصر ووَلِي بَعدَهُ المستعينُ أَحْمَد بن الواثق فأقرَّ محمد ابن يَعْفُر على ولايَةِ اليَمَن فأقامَ فيها إلى أَنْ قُتل المهتدي .

وفي سنةِ ثلاث وستين قُتِل المهتدي ووَلِي بَعدَه المُعتمد أَحْمَد بن المتوكل وكانَ المُتولي على أَمرِه أخوهُ الموفق طلحة بن المتوكل فأقرَّ محمدَ بن يَعْفُر على اليَمَن ، فوَجَّهَ عُمالهُ

---

[1] – [الذي] : زيادة من المحقق ليستقيم المعنى .

[2] – هريمة : ورد في المطبوع (هرثمة) ولعله الصواب .

[3] – المتوكل : أبو الفضل الخليفة المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، بويع بعد قتل أخيه الواثق في سامراء عام ٢٣٢ هـ .

إلى المَخَاليف ، وخالَفَ عليه أَهلِ حَضْرَموت فَسارَ إِليها وفَتَحها بعد إمتناعها على من قَبْله ، ثُم سارَ يُريدُ الحجَ فاستخلفَ على اليَمَن إبنهُ إبراهيم بن محمد وعادَ إلى صَنْعَاء وبَنَى جامعَهَا ووَقفَ لهُ ضياعاً في شَاهِره[1] غَربيَ صَنْعَاء بجهةِ ضِلاَع .

فَقالَ المؤَرخون : و إِلى هُنا إنتَهتْ قوةُ دَولةِ بني العباس ــ فسُبحانَ من لا يَزولُ مُلكُه ــ وبقِيَ بنو يَعْفُر[2] مُتغلبينَ على اليَمَن معْ كَونهم مُعتزلينَ إلى بَني العباس في الظَّاهِر من إقامة الخُطبةِ والسِّكَّة ، وفي هذه المُدة أمرَ الأميرُ يَعْفُر بن عبد الرحيم بقَتْلِ وَلديه محمد وأَحْمَد ، فانتَشَرت عليهِ الأُمورُ وخالَفَ عليه الفضلُ بن يعيش بالجَّوْف وغيرُهُ من العُمال ، ومالُوا إلى جعفر بن أَحْمَد المناخي الذي يُنسَبُ إليه مخْلافُ جعفر ، واستعملَ إبراهيم بن محمد بن يَعْفُر على الجَوفَين الدُّعام بن إبراهيم الأرحَبي فتَغلَّبَ الدُّعامُ على آل يَعْفُر ، فسارَ إليهِ إبراهيم فلَقيهُ الدُّعام وهزمَهُ وقَتلَ من جُنْدِ بني يَعْفُر كثيراً.

وفي هذهِ المُدَّة وَصلَ من صَاعِد بن مَخْلَد وزيرِ المقتدي عهدٌ للأميرِ يَعْفُر بن إبراهيم ابن محمد بن يَعْفُر بن عبد الرحيم ، فلم يَلبَث أَنْ قُتل في شِبَام وقامَ بَعدَهُ إبنُ عمه عبدالقاهر بن أَحْمَد بن يَعْفُر ، فَلَبثَ أَياماً حتى قَدمَ علي بن حُسَيْن جفتم عاملاً على اليَمَن ، فقاتَله الدُّعام فهزمَهُ جفتم ودَخلَ صَنْعَاء فطَردَ الدُّعام ولم يَزَل عليها حتى مات المعتمد العباسي في رَجب من السَّنة المذكورة وهي سنةُ سبعٍ وسبعين ومائتين وقامَ بَعدَهُ إبن أَخيه المعتضد أَحْمَد بن طلحة فأقرَّ جفتم على وِلايَةِ اليَمَن .

---

[1] – شَاهِرة: وادي خصيب شرق ضِلاَع هَمْدان إلى الغرب الشمالي من صنعاء بمسافة ١٢ كم .

[2] – بنو يعفر: عشيرة من آل عامر ذي حوالي الحميري، كانت لهم الإمارة في شبام كوكبان وقد امتد نفوذهم إلى صنعاء والجَنَد وغيرها ومؤسسها يعفر بن عبد الرحيم الحوالي وهو أولُ من انفصل عن السلطة المركزية في بغداد ولا كرامة .

وفي سنةِ ثمانين ومائتين خَرجَ إلى اليَمَن الإمامُ الهادي[1] إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب سلامُ الله عليهم أجمعين ، وهي الخَرجةُ الأُولى ، و وَصلَ إلى الشَرَفه[2] من أَطرافِ بلادِ نِهْم وأَذعنَ الناسُ لهُ بالطاعة إذْ كان باستدعائهم لهُ ، فَلبث مُدةً يسيرةً فلم تُحمَدْ طاعةُ أَهلِ اليَمَن في الأُمورِ المُطابقة للشريعةِ النبويةِ فرَجعَ إلى الحِجَاز بجبالِ الرس بالقُربِ من المدينة المُشرفة ، فعاودَ أَهلِ اليَمَن المراسلةَ إلى الإمامِ الهادي عليه السلام فرَجعَ إليهم في شهرِ صفر سنةَ أربعٍ وثمانين ومائتين ، فعَملَ بالحَق وسارَ بالعدلِ ووَضعَ الحُقوقَ في مَواضعِها واستَولَى على صَعْدَه وأعمالِها ونَجْران والمَشارِق من بَرَط[3] وغيرِها بعدَ حُروبٍ وخُطوب تُذهلُ الطالبَ عن المَطلوب .

وفي سنة ستة وثمانين ومائتين كَتبَ أبو العَتاهية بن الروية صاحبُ صَنْعَاء إلى الهادي عليه السلام بالمُوَالاة ، فنَهضَ عليه السلام إلى جهةِ صَنْعَاء وأزالَ الرُسومَ الجُورَ في طريقه ونَهى عن المُنكَرات ، وأَقامَ شَرائعَ الإسلام بعدَ أَنْ كانَ قد عَظُم الخَطبُ واستَرسَلُوا في المَعاصي وشُربِ الخُمور واستعمالِ الذُكور ، فلما وَصلَ الهادي قريباً من صَنْعَاء تَلقَّاهُ أبو العَتَاهيةِ رحمهُ الله فجَثا بين يَديه وبايعَهُ وحلَفَ لهُ على السمعِ والطَّاعة ، فأمرهُ الهادي بالقيامِ بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكر ، وصَلى الهادي عليه السلام في حَدَقَان[4] صلاةَ العصرِ وطلبَ أَبو العَتَاهية من الهادي عليه السلام المسارعة إلى دُخولِ صَنْعَاء لِمَا يَخشَى من وُثوبِ بني عمهِ عليها ، فدَخَلَ الهادي صَنْعَاء ليلةَ الجمعة لِسبعٍ بَقينَ من

---

[1] – الإمام الهادي : ولد في المدينَة المنورة دعاه أبو العَتَاهية الهمداني إلى اليَمَن ونَزلَ بصعدة عام ٢٨٣ هـ وبايعته خَوْلان وبعض قبائل اليَمَن ، مَلَكَ صنعاء عام ٢٨٨ هـ وامتد ملكه وخطب لهُ في مَكَّة وفي أيامه ظهر أمر علي بن الفضل القرمطي وقاتله، تُوفيَ عام ٢٩٨هـ لهُ عدة مؤلفات مطبوعة .

[2] – الشرَفه : (مركز إداري) من منطقة بني حشيش من أعمال صنعاء بالقرب من بلاد نِهْم إلى الشرق من صنعاء .

[3] – بَرَط : جبل مشهور ومنطقة آهلة إلى الشمال الشرقي من صنعاء ينسب إلى بَرَط بن كريم من بكيل .

[4] – حدقان : من قرى آل جابر إحدَى قبائل خَوْلان من أعمال صعدة .

المحرم ولَما بَلغَ جغتم وعبدالله بن الجراح دخولُ الهادي صَنْعَاء أقبَلُوا مُسرِعينَ وأظهَروا الكَراهيةَ لِما فعلَهُ أبو العَتَاهية من مُوالاةِ الهادي و إدخاله صَنْعَاء ، فأثاروا الفتنةَ وَقتَ صلاةِ الجمعة والهادي عليه السلام على المِنبَرِ فجَعلوا يَنهَبون ويَسلبون ، فلَم يَلتفت الهادي عليه السلام حتى أتَمَّ صلاةَ الجمعة ولَبِس لامَتَهُ[1] وخرجَ إليهم فأوقعَ بهم وقَتلَ منهُم عدةً وأخرجَهم من صَنْعَاء ، واستَمر الهادي عليه السلام على عَمله وهي مُلْكُ صَنْعَاء ، وراَودَ أبا العَتَاهية أنْ يبقى على عمله فأبى وقال: " إنِّي لا أُريدُ ذلكَ يا أميرَ المؤمنين وإنما قَصَدتُ بموالاتكَ وجهَ الله وأُريدُ الجهادَ بين يَديكَ وطلب الشهادة " .

وقد ذَكرَ بعضُ المؤَرخين أنَّ أَبا العَتَاهية هذا كانَ من أَهلِ الرفاهيةِ والتَّرف فَقعدَ مع كاتبٍ لهُ يوماً فاحتاجَ إلى الطعامِ فقالَ لهُ الكاتبُ: " لو مُنعتَ الطعامَ على شِدة الحاجة ، بكَم تطلُبه " ، قال: " بشَطرِ مُلكي " ، ثُم احتاجَ إلى شُربِ الماءِ فقالَ الكاتب: " لو مُنعتَ الشَّربةَ هذه بكَمْ تشتَريها " ، قال: " بالشَّطرِ الآخرِ من مُلكي " ، فقال لهُ الكاتب: " أُفٍ لمملَكة لا تُساوي أَكلةً وشربَة " ، قالَ لهُ أَبو العَتَاهية: " فما المخرجُ مما نحنُ فيه " ، قال: " مُوالاةُ هذا العَلَوي الذي بصَعْدَه فإنَّهُ على الحق وهو من بيتِ النُّبوة " .

فسَاقَ الله إليهِ النيةَ النصُوح واستَمرَ عليها فكانَ يُديمُ الصومَ ويجتهدُ في العبادة حتى نَحُلَ بَدَنه ، وكان يقول: " أُريدُ أن يذهبَ اللحمُ الذي نَبتَ من السُحت " ، ثُم إنَّهُ بَقيَ في الجهادِ مع الهادي عليه السلام ولهُ مواطنُ مشهورةٌ ذكرُها في سيرة الهادي ، حتى رَزقَهُ الله الشهادةَ فرُميَ بسهمٍ في قاعِ صَنْعَاء مات مِنهُ شهيداً حميداً في سنةِ ثمانٍ وثمانين ومائتين.

---

[1] – لامته : لِباسُ الحربِ و القِتال .

وفي سنة إحدَى وتسعينَ ومائتين بَعثَ مَيمُونُ القَداحُ المجوسي[1] دُعاةَ ولَده عبيدالله المُلقَّب بالمهدي أَولَ دُعاةِ العُبَيْديين إلى اليَمَن ، و هُم علي بن الفضل الحميري الخَنْفَري[2] ومنصورُ بن حَسَن الكوفي وكَانا على مَذهَبِ الإثنا عشرية ، فدَعاهما إلى مذهبِ المُتَسمينَ بالإسماعيلية فأجابُوه ، و ذَكرَ بعضُ المؤَرخين أَنَّ علي بن الفضل حَجَّ في هذه السَّنة ثُم خرجَ لزيارةِ قَبرِ الحُسَيْن السبط ﷺ فأكثرَ البُكاءَ والنَّحيب والأسفَ على الحُسَين ، فَتفَرس فيه ميمون القَداح وكانَ منجماً فلكياً وظَهرَ لهُ من إبن الفضل ومنصور بن حَسَن الشهامةُ وبُعدُ الهمة فعَرَّفَهما أَنَّهُ المَهدي بن عبيدالله وأَنَّهُ علَويُ النَّسَب ورغَّبَهما في القيامِ بدَعوته فوجَدَهُما قابلَينِ لِقَوله ، ثُم سَارا إلى اليَمَن وافترَقا من بَنْدَرِ البُقْعَة فقَصدَ إبن الفضل بلادِ يَافِع ، وقَصدَ منصور بن حَسَن بلاد عَدَن لاعَة[3] وكلاهُما يُظهِر الزُّهدَ والتقشُف ، حتى قَصدَهُما الناسُ وجَمعُوا لَهما الصَدقات ، فقَصدَ منصور بن حَسَن جَبل مَسْوَر لاعة وحَصَّنَهُ ثُم جَمعَ الجُموعَ و أغارَ بِهم على تلك الناحيةِ حتى استَولَى علَيهم ثُم قَصدَ بهم بني شَاوِر[4] فاستَولَى علَيهم .

وأمَّا علي بن الفضل فإنَّهُ أَظهرَ مثلَ ما أَظهرَ صاحبُهُ من الزُّهد والعبادة فأقبلَ إليه أَهلِ تلكَ الجهةِ وطَلَبوا منهُ النُزولَ علَيهِم ، فشَرَطَ عليهِم الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن

[1] – ميمون بن داوود بن سعيد القداح: رأس الفرقة الميمونية من الإسماعيلية كان يظهر التشيع ويبطن الزندقة ، ولد بمَكّة روى عن الإمام الباقر والإمام الصادق ، استقر في سلمية بالشام إلى الشمال الشرقي من حماة ، واظهر دعوته الباطنية و مات في سلمية عام ١٧٠هـ .

[2] – علي بن الفضل الحميري القرمطي : أحد المتغلبين على اليَمَن أظهر الدعوة للمهدي المنتظر سنةَ ٢٩٠ هـ واستَولَى على جبال اليَمَن وتِهَامَة ودخل صنعاء وادعى النبوة وأباح المحرمات وكان المؤذن يقول لهُ في حضرته أشهد أن علي بن الفضل رَسول الله واتخذ المذيخرة من أعمال إب عاصمة للملكه مات مسموما عام ٣٠٣ هـ .

[3] – عدن لاعة: بلدة في جنوب (بني العوام) بالقرب من جبل مَسْوَر جنوب شرق حَجَّه، كانَت قديما من أكبر أسواق العرب وكانَت منطلق الحركة الباطنية القرمطية وهي اليوم أطلال وخرائب .

[4] – بني شاور: من قرى بني القدمي في بني العوام جنوب حَجَّه نسب إليها عدد من العلماء .

المُنكَر وأَلزمَهُم بأنْ يُغيروا على أَطرافِ البِلادِ وأَنْ يُجاهِدوا أَهلِ المَعاصي ، فَدَوَّخَ ما حَولهُ من البُلدان .

وفي سنةِ اثنين وتسعين ومائتين قَصدَ المُذَيْخِرة بمخلاف جعفر فدَخَلها وأخذَ حصنَ التَّعْكَر[١] ، وانهزمَ سُلطانُ المِخْلاف جعفر بن إبراهيم المناخي إلى تِهَامَة مُستَمداً من إبراهيم بن محمد بن زياد العَائَة على علي بن الفضل فأعانهُ ، ورَجعَ فالتقاهُ إبن الفضلِ إلى وادي نَخلَة و حَصلَت بينهُما وقعةٌ قَتلَ فيها جعفرَ المناخي وجَعلَ بلادهُ مُستَقر مُلكه .

وفي سنةِ ثلاث وتسعين ومائتين استولَى إبنُ الفضل على اليَمَن الأعلى ذَمَارَ وصَنْعَاء ، وحاربهُ الأميرُ أسعد بن أبي يَعْفُر فلَم يَقدر عليه ، ودَخلَ صَنْعَاء عُنوةً وأباحَها لأصحابِه قَتْلاً ونهباً وسَبياً ، وهَربَ أَسعد بن أبي يَعْفُر إلى شِبَام[٢] ، فأقبل إليه منصور ابن حَسَن مُعيناً لأبي الفضل فخرجَ من شِبَام بأهله وأولاده إلى الجَوْف[٣] .

ولما تَمكَّنَ إبن الفضل من صَنْعَاء أظهرَ مَذهبهُ[٤] الخَبيثَ وإدِّعائهُ النُّبوة وخَطبَ على مِنبَرِ صَنْعَاء وصَرحَ بالكُفرِ والتَعطيل ، ومن قُبحِ فعلِه أنَّهُ اتخذَ جامعَ صَنْعَاء صُبُولاً[٥] للخيل ، وتوَجهَ إلى تِهَامَه ودَخلَ زَبِيْد وهربَ منهُ ابن زياد ، ففَعلَ في زَبِيْد مِثل ما فعلَ

---

[١] – حصن التَّعْكَر: هو الحصن الموجود في جبل الورين بالجنوب من جِبْلَة ، قال القاضي محمد علي الأكوع : التَّعْكَر أشهر جبال اليَمَن وهو خزانة الملوك وحافظهم من غارات المعتدين وعاديات الأيام ، فهي أرض ذي الكلاع من مخلاف جعفر .

[٢] – شبام: مدينة أثرية قديمة بسفح جبل كوكبان تبعد عن صنعاء مسافة ٤٥ كم سُميت باسم شبام بن عبدالله بن أسعد بن جشم بن حاشد كما تسمى شبام يعفر وقد كانت مقراً للدولة اليعفرية في أواخر القرن الثالث الهجري .

[٣] – الجَوْف : منطقة واسعة إلى الشرق والشمال الشرقي من صنعاء بمسافة تزيد عن ١٥٠كم مركزها مدينة الحزم .

[٤] – الإسماعيلية فرقة من الباطنية ينسبون إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، وكان الإمام الصادق قد عينه خلفاً لهُ ثُم عاد فعين ولده موسى (الكاظم) لأنه وجد إسماعيل هذا ثملاً ، وأصحابه لم يسلموا بنزع إمامة إسماعيل لأنه في رأيهم وإن شرب الخمر لا يفسد عصمته ، ولهم آراء شاذة أخرى تراجع في مظانها تُوفيَ إسماعيل عام ١٤٣ هـ قبل والده بخمس سنوات ودُفنَ في البقيع .

[٥] – صُبُولاً : الصَّبل: هو بناء يكون على جانب الطريق العام كالخانات البسيطة ، يبنى ليستظل به المسافرون من حرارة الشمس ويقيهم من الأمطار .

في صَنْعَاء وسَبَا من زَبِيْد أربعةَ آلافِ عَذراء ، فلما خرجَ من زَبِيْد قال لأصحابه: " إنَّ هؤُلاءِ النساء يُشْغلنَكُم عن الجهادِ فَاذْبَحوا ما في أيديكُم منهُن " ، فقَتلُوهنَّ قَتَلَهم الله ، وسُميَ ذلك الموضِعُ المشَاحيط .

وفي سنة أَربعٍ وتسعين ومائتين استدعى أَهلِ صَنْعَاء الهادي عليه السلام فوصلَ وأخرجَ القرامِطَةَ عنها ، وأرسلَ ولَدَهُ محمداً إلى ذَمَار ومَخَاليفها ، فقَصَدَتهُ القرامِطَةُ فرَجعَ إلى أبيه بصَنْعَاء ، وأرادَ الهادي عليه السلام الخُروجَ بنفسه لقتالِ القرامطَة فخَالفَ عليه مَوالي آل يَعْفُر ونافَسُوه على صَنْعَاء ، فرَجعَ إلى صَعْدَه وتَرَكهُم ، فقَصدتْهُم القرامِطَةُ وقَتلوا ابن الرَوية الذي أثارَ الفتنةَ على الهادي ، ودَخلَ صَنْعَاءَ الطَوقُ القرمَطي صاحبُ ابن الفضل ، فاستدعى أَهلِ صَنْعَاء الإمامَ الهادي عليه السلام فأجابَهُم حَمِيَّةً على دينِ الإسلام ، وسُبحان الله العظيم ما أقلَ حَياءَ هؤُلاءِ الناس وما أحسنَ سَجيةَ هذا الإمامِ حيثُ لَم يُعاملهُم بما قد أساؤا إليه المرةَ بعد المرة ، بَل أجابَهُم إلى الإغاثة من هؤُلاءِ الكُفار ، وذلك سَبيلُ سَلفه الأطاهِر ، فأرسلَ علي بن جعفر العَلَوي العباسي والدُّعام بن إبراهيم في جُنْدٍ ثُم أَتبعَهُم بولَده محمد المُرتضَى ، فلما قَرُبوا من صَنْعَاء خرجَ منها القرامِطَةُ الفُجَّار ودَخلَها محمد بن الهادي عليه السلام فخرجَ ابن الفضل من المُذَيْخِرة بجموعٍ عَظيمَة ، فلما قَرُب من صَنْعَاء خرجَ عنها محمد بن الهادي ، ودَخلَها القرامطةُ فاستَباحُوها وفَعلوا العَظائم ، ولبِثَ فيها ثلاثَ سنين حتى ابتَلى اللهُ جُندهُ بالأسقَام ، فخرجَ عنها إلى المُذَيْخِرة .

ودَخلَت سنةُ ثمان وتسعين ومائتين ، فيها تقبَّل اللهُ الإمامَ الهادي يحيى بن الحُسَين إلى جواره الكريم ، وبَوأهُ دارَ النعيم ، وقَبرُهُ في صَعْدَه في مَشهَده المُبارك ، وقامَ بالأمرِ بَعدَهُ ولَدُهُ محمد المرتضى عليه السلام بوَصية من والده ، وكان عابداً زاهداً مُتَقللاً من الدُنيا مؤثراً للعلمِ والعَمل ، وكانت بيعتُهُ في المحرم من السَّنة المذكورة ، فقامَ بالأمرِ وحَاربَ القرامطَةَ وبَقِي على دَعوته إلى شهرِ القعدة من السَّنةِ المذكورة ، ثُم جمعَ أعيانَ الجُنْدِ

ووُجوهَ أَصحَابِهم وخَطبَ فيهم خُطبةً بَليغةً عابَ عليهم أَشياءَ أنكرَها مِن سيرَتهم وعَزمَ على التَّنحي عن الإمامةِ والتَّخلي لعبادةِ الله ، ورَفعَ عُمالهُ من نَجْران وخَولان وهَمْدان ولَزِم منزلهُ ، وسارَ الطَّبَريون[1] إلى بِلادهم وقامَ بعضُ قَرابَته للنظرِ بينَ الناسِ وكان أخوهُ الناصر أحْمَد بن الهادي غائباً في الحِجاز وقَدِمَ بعد ذلك فَحَث الُمرتضى على القيامِ بأمرِ الدين وجِهادِ الظالمين.

وفي سنةِ ثلاثمائة قَدمَ الناصرُ في مُحرم أحْمَد بن الهادي من الحجَاز ، وفي صَفَر بايعهُ أخوهُ الُمرتضى ووُجوهُ الناسِ وكانَ حازماً شُجاعاً عالماً فصيحاً ، ولهُ في حروب القرامطَةِ الحظُ الوافرُ والسَّهمُ الغامرِ ، فهو الذي قَلَّلَ شَوكَتهُم في اليَمَن وأوهَنَ قُوتَهم ، وفي هذهِ السَّنة خَالفَ إبنا الدُّعام على أَبيهما ووَثَبا على مدينة عَرْوة[2] فنَهباهَا بعد أَنْ خرجَ منها عاملُ الناصر عَباد بن عبدالله أَبي المراشي ، فخرجَ عليهما الناصرُ في جَيشهِ وهزمَهُما إلى جَبَلِ لهم[3] ، واستعملَ الناصرُ على عَرْوةَ علي محمد العَلَوي وعلى أَثافَت[4] أخوهُ[5] القاسم بن محمد العَلَوي ، وخرجَ الناصرُ في طَلَبِ أبناء الدُّعام فلَم يَشعُر به أَهلِ تَنْعِم[6] حتى غشيهم فالتَجَؤا إلى ملح[7] ثُم إلى حَرِيْب ثم إلى خَولان

---

[1] – الطبريون : بنو الطبري من مشايخ وادي حاشد في بلاد حمر إلى الشمال الغربي من صنعاء .

[2] – عروة : بلدة إلى الغرب من صنعاء تتبع (مديرية) الحيمة .

[3] – لهم : لعل الصواب (نهْم) وقد وردت (لهم) في المخطوط والمطبوع .

[4] – أَثَافَت : بلدة قديمة خاربة من أعمال حمر إلى الشمال الغربي من صنعاء وقد ذَكَرَها الأعشى الشاعر بقوله:

أحب أَثَافَت ذات الكروم   عند عصارة أعنابها

[5] – الصواب : أخاه

[6] – تنعم : جبل تنعم ، قرية ووادٍ في بلاد خَوْلان العالية إلى الشرق من صنعاء بمسافة ٢٥ كم .

[7] – ملح وحريب : ملح لم أجدها فيما وقعت عليه من تراجم البلدان وحريب مدينة إلى الجنوب الشرقي من مأرب فيها الكثير من الآثار القديمة تعود لمملكة قتبان القديمة .

العالية ، فقبَضَ الناصرُ رجلاً من قُوادِهم يُقالُ لهُ مروج وعادَ إلى صَعْدَه فواجَهَتهُ[١] البِلادُ الشامية أَجمَع ، وسيرةُ الناصر بن الهادي عليه السلام طويلةٌ وإنَّما نُشيرُ إلى لُمَعٍ يسيرةٍ على شرطِ السائلِ واستعجالهِ لهذا القدرِ المذكور.

---

[١] – واجهته أو واجهت إليه : (كثيراً ما يستعملُ المؤلف – رحمه الله – هذه العبارة) بمعنى أنَّها قد انضَوَّت تحتَ لِوائه وأقرَت لهُ بالطاعةِ ، والكلمة المعاكسة لها التي يستخدمها المؤلف هي (خَالَفَت عليه قبيلة كذا أو خالَفَ عليه أهل القبيلة الفلانية) .

وفي سنةِ ثلاثٍ وثلاثمائة أراحَ اللهُ العبادَ والبلادَ بهلاكِ الطَّاغي علي بن الفضل على يدِ شريفٍ حَسَني وَصلَ من العِراق إلى الأميرِ أسعد بن أبي يَعْفُر وهو والٍ بصَنْعَاء من ابن الفضل ، فوجَدهُ في غايةِ الخوفِ من علي بن الفضل متوقعاً لنازلةٍ تَنزلُ منهُ فقالَ هذا الشّريف لأسعد بن أَبي يَعْفُر: " أنا أقتُلهُ بالسُم " ، فقال لهُ: " إنْ فعلتَ ونَجوتَ سالماً قاسمتُك في مُلكي ، وإن قُتلتَ فما عندَ اللهِ من الجَزاءِ الأوفرِ خيرٌ وأَبْقى " .

فعزَم الشّريف إلى حضرةِ إبن الفضل وكانَ طبيباً ماهراً في مُداواته الجِراحَات والطَّبائع فما زَالَ يُداوي الجراحاتِ والمَرضى حتى إشتُهرَ في المُذَيْخرة ، فاحتاجَ ابن الفضل إلى الفَصدِ ، فوُصِف لهُ الشّريف فاستدعاهُ وقد عَرفَ ما يُريد فجَعلَ السُمَّ في أطرافِ لِحيتهِ ودَخلَ عليهِ ومَصَّ المِبضَعَ بحضرَته كما يُصنعُ عند المُلوكِ لرفعِ الشكوكِ ثُم جَفَّف المِبضَعَ في لحيتهِ حتى عَرفَ أنْ قَد علقَ السُم في المِبضع ففَصَدهُ وخرجَ عنهُ ففَشَا السُم في بدنِ إبن الفضل ، فأمرَ بإرجاعِ الطبيبِ فهَرَب فأُدرِكَ في السَّحُول[1] وقُتلَ هناكَ شهيداً حميداً .

فلَما بَلَغَ الأميرَ أسعدَ موتُ ابن الفضل ، استنفرَ القَبائِل ونَهضَ إلى المُذَيْخرة[2] تاسعَ

---

[1] – السَّحُول: حقل واسع كبير يمتد من سفوح جبال سمارة حتى سفوح عقبة مدينة إب جنوباً ، ومدينة المخادر من أهم بلدات بلاد السَّحُول ، وكانَت في ما مضى تحوي مصانع للغزل والنسيج ، وقد اشتهر قماشها في بلاد العرب حتى أَن الرَسول ﷺ قد كفن بها يوم وفاته .. (..وأدرج في ثلاثة أثواب سحولية ..) – الحديث – .

[2] – المذيخرة: من أَعمال إب وهي منطقة جبلية كائت عاصمة بني المناخي الحميريين وقد تنازعت عليها الدويلات المتعاقبة في اليَمَن الأوسط والأسفل ، وذَكَرَها القاضي محمد بن علي الأكوع رحمه الله و قال :

روض من الرياض الفناد   ذات البساتين النظرة ....

رجب من السَّنة المذكورة فلما وَصلَ يَريم[1] كَتبَ إلى المَخَاليف واستنفر أهلَها .

وفي سنة أَربعٍ وثلاثمائة دَخلَ المُذَيْخِرة قَهراً وانتَهبَ ما فيها منَ الخَزائنِ العظيمة وسَبَا بناتِ أهلِها ، وسَبَا بناتِ علي بن الفضل وكُنَّ ثلاث ، فأَعطى إحداهُن إبن أَخيه قحطان بن عبدالله بن أَبي يَعْفُر ، وانقطَعَت دَولَةُ القرامِطَة من مِخْلاف جعفر وخُرِّبَت المُذَيْخِرة .

وفي سنة خمسٍ وثلاثمائة كانَت وقعة نُفَاش[2] بين الناصرِ لدين الله أحْمَد بن الهادي والقرامِطَة أَهلِ المَغارِب[3] ، وسَبَبُها أنَّ القرامِطَةَ الذين بجبل مَسْوَر لما كَثُرَ منهُم على المسلمينَ الضَررُ ، جمعَ الناصرُ عليه السلام أجْنادَهُ وحشَدَ قُوادهُ وهُم إبراهيم بن الحسن العَلَوي العباسي و أَحْمَد بن محمد الضَّحَاك الهَمْدَاني و عبدالله بن عمر الجبري ، ونَهضَ من صَعْدَه في ألفٍ وسبعمائة ، واجتمعَت القرامِطَةُ إلى قائدهم عبد الحميد بن محمد المسوري ، فنَهضُوا إلى حِلَمْلَم[4] من ناحية الأَشْمُور[5] ، وهم زُهاءُ سبعة آلاف واجتمعوا من جِهةِ تَهَامَه ، والشَرَف ، وحَجَّه ، ولاَعَا ، وحُفَاش ، ومِلْحَان وسائِر بِلاد المَغَارِب ، وأَقْبَلَ الناصرُ عليه السلام بجُنْده ، فكان أَولُ قتالٍ وَقعَ يومِ الأَحد الثامن والعشرين من شهرِ شعبان في محلٍ يُعرف ببَيتِ الوَرد[6] من الظهرِ إلى المَغرب قُتلَ فيه كثيرٌ من القرامِطَة .

---

[1] – يَريم: مدينة قديمة معروفة إلى الجنوب من ذَمَار فيها الكثير من المعالم الأثرية وبقايا العمائر الحميرية وفيها القلعة التاريخية التي تتوسط المدينَةَ من أعلاها .

[2] – نُفَاش: بلدة في جبل عيال يزيد من بلاد الأَشْمُور إلى الشمال من صنعاء وقعت بها الحرب التي دارت بين جيش عبد الحميد المنتاب وجيش الإمام الناصر عام ٣٠٧ هـ وأسفرت عن هزيمة جيش المنتاب .

[3] – المَغَارِب ، الغرب: المَخَاليف والبلدات الواقعة إلى الغرب من صنعاء وذمار و مغارب اليَمَن الأعلى

[4] – حِلَمْلَم: قريتان في جبل الأَشْمُور إلى الغرب من عَمْرَان إلى الشمال الغربي من صنعاء هما حِلَمْلَم الأعلى وحِلَمْلَم الأسفل يحيط بالقرية سور أثري عظيم وقد تهدم أكثره.

[5] – الأَشْمُور: جبل إلى الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٦٥ كم وتضم بلاد الأَشْمُور عدداً كبيراً من القرى .

[6] – بيت الورد: قرية من بلدات اليمن الأعلى إلى الغرب من صنعاء .

وفي اليومِ الثاني نَهضَ الجُندُ الناصري إلى قَصرِ الحمودي بالقربِ من نُقَاش ومَنَعُوا القرامِطَةَ من الماء ،وفي اليومِ الثالث وقعَ حربٌ عظيمٌ الذي أيدَ الله بهِ الحق وأذهبَ الباطل ، فإن الجُندَ الناصري قَتَلوا من هذه الطائفة أُمماً لا يُحصيها العَدد ولا ينتهي إلى حَد ، حتى رُوِيَ أنَّ الدماءَ سالَت وسُمِعَ لها دَويٌّ كدَوي السَّيل ، واستَولَى الجُندُ الناصري على جميعِ ما أجلَبُوا بهِ من السِّلاح والأَثاث ، ولم ينجُ من القرامِطَةِ إلا من فَرَّ إلى جبلِ مَسْوَر وهُم القليل ، وبهذهِ الواقِعةِ انحَلَت عُرَى القرامِطَةِ باليَمَن ، وكُسِرَت شوكَتُهم وخَمدَت نارُ فِتنتِهم ، والحمدُ لله رب العالمين .

وفي سنةِ اثنين وعشرين وثلاثمائة تُوفيَ المرتضى محمد بن الهادي عليه السلام ، وقُبِرَ عندَ والدهِ الإمامِ الهادي عليه السلام ، ولم يَزَلْ الناصرُ عليه السلام مجاهداً للظالمين ، فاستَولَى على كثيرٍ من جِهةِ اليَمَن ، ودَخلَ بَنْدَر عَدَن في ثمانين ألفاً ودانت لهُ تلكَ الناحيةُ وخَضَعت لهُ الرقابُ العاصيةُ ، حتى تُوفيَ عليه السلام يومَ الأَربعاء الثامن عشر من شهر جمادي الآخرة من سنةِ اثنين وعشرين وثلاثمائة .

وفي سنةِ إحدَى وثلاثين وثلاثمائة ماتَ الأميرُ أَسعد بن أَبي يَعْفُر في كُحْلان[1] وحُمِلَ في تابوتٍ إلى شَاهِره التي وقَفَها على جامع صَنْعَاء ، وفيها هَلَكَ منصور بن حَسَن القرمَطِي ، صاحبُ مَسْوَر بعد أَنْ عَهِدَ إلى وَلَدِه حَسَن بن منصور ، وإلى رجلٌ من أَصحابهِ يسمى عبدالله الشاوري ، وأَمرهُما أَنْ يَكتُبا إلى القائمِ العُبيدي[2] ويَعتمدَ أمرهُ في تَولية أَحدهما ، وعَزَمَ إليه حَسَن بن منصور بن حَسَن ، وجَعلَ الشاوري رسالةً فاستَصوَبَ ولايةَ الشاوري ، ورَجعَ حَسَن بن منصور خائباً .

---

[1] – كُحْلان : اسم مشترك لعدد من الأماكن والحصون والمقصود هنا على ما يظهر كُحْلان عَفَّار ويقع إلى الشمال الشرقي من حَجَّه .

[2] – القائم العبيدي : الحاكم الفاطمي بمصر (دَولَةُ العبيديين) وكانوا على مذهبه .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة عَامَلَ حَسَن بن منصور جماعةً على قَتْلِ الشاوري ، وكان يُكرِمُ أَولادَ منصورٍ ويُجلُّهم ولا يَقطَعُ أمراً دُونَهم ، ودَخلَ عليهِ حَسَن بن منصور في بعضِ الأيامِ فوَجدهُ خالياً عن الناسِ مُنفرداً بنَفسه فقَتلَهُ واستولَى على البِلاد ، وجمعَ أَهلِ بلدهِ ووُجوهَ أَهلِ مَملَكته وأَشهَدَهُم على نفسه أَنَّهُ قد خَرجَ من مذهبِ القرامطَة إلى مذهبِ أَهلِ السُنَّة ، فأَحبهُ الناسُ ودانُوا لهُ ، وأَقبلَ على من حَولَهُ من القرامِطَة فقَتَّلهُم وشرَّدَهُم في كلِ ناحيَة .

وفي سنةِ ستٍ وثلاثين وثلاثمائة خرجَ حَسَن بن منصور إلى محلٍ يُقال لهُ عينُ محرم[1] واستَخلفَ على مَسْوَر إبراهيم بن عبد الحميد ، فوثب على حَسَن بن منصور نائبُ أَبي العرجاءِ فَقَتلهُ ، واستَولَى على ما تحتَ يَدهِ ، واستَولَى إبراهيم بن عبد الحميد على مَسْوَر ، وأخرجَ أولادَ منصور بن حَسَن وحَريمَهُم إلى بني عَشَب[2] ، فوثبَ الناسُ عليهِم وقَتلوهُم عن آخرِهم وسَبَوا حَريمَهُم .

واصطَلحَ إبن العرجاء وإبراهيم بن عبد الحميد واقتَسمُوا البِلاد ، ورَجعَ إبن عبد الحميد إلى مذهبِ أَهلِ السُنَّة ، وخَطبَ للخليفةِ العباسي وكَتبَ إلى إبن أبي الجيش اسحق بن إبراهيم بن محمد بن زِياد وانتَمى إلى طاعَته ، فأَرسلَ ابن زِياد صاحبُ زَبِيْد رجلاً من أَصحابهِ يُقال لهُ إبن السَراج ، وأَمرهُ بقَتلِ إبراهيم بن عبد الحميد إذا أَمكَنَتهُ فُرصةٌ ، فنَمَا الخبرُ إلى إبراهيم فقبضَ على ابن السَراج وحلقَ لِحيتَهُ و نفَاهُ ، وقَطعَ مُواصلةَ ابن زِياد ، وتَتبَّعَ القرامطة قَتْلاً وأَسراً حتى أَبادَهم ، ولم يَبقَى إلا جماعةٌ يسيرةٌ كما تَميَّزَ أَمرُهُم .

---

[1] – عين محرم : لم أجدها والظاهر أنها في نفس المنطقة واعتقد أنها مكان لنبع ماء .

[2] – بني عَشَب : بطن من قبائل هَمْدان تقع مساكنهم في جبل كُحْلان عَفَّار إلى الشرق من حَجَّه .

واستَمرَ إبراهيم على وِلايَته إلى أَن ماتَ واستَخلفَ ولَدَهُ المُنتاب الذي يُنسبُ إليه مَسْوَر فيُقالُ مَسْوَر المُنتاب ولَما استقلَ بالأمرِ كَتبَ إلى العُبَيدي إلى مِصر بعد استيلاءه على مَملكَتها ، ولما حَضرَت المُنتاب الوَفاةُ استَخلفَ رجلاً من شِبَام يُعرف بإبن الأَسد ، فقامَ بالدعوةِ إلى أَنْ حضرتهُ الوفاةُ ، فاستَخلفَ سليمانَ بن عبدالله الزُوَاحي وأَصلُهُ من قرية بَحْرَان[1] شرقي حِصن مَتْوَح صَعْفَان يُنسبُ إليها ، وكان ذا مالٍ كثير ، فاستمَالَ الرعَاعَ ودعَاهُم إلى مَذهبه الخَبيثِ ، وكان كُلما هَمَّ به المُسلمونَ دافَعَهم بالحِيَل وقال لَهُم :" أَنا مُسلم أَشهد أَنَّ لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رَسولُ الله " ، فيكُفوا عنهُ ، فلما حَضرتهُ الوفاةُ استَخلفَ على الدعوةِ علي بن محمد الصُلَيْحي الآتِي ذِكرُه .

وفي سنةِ أَربعٍ وأَربعين وثلاثمائة وَصلَ المختار بن القاسم بن الناصر أَحْمَد بن الهادي إلى رَيْدَة[2] ، فوَصلَ إليهِ الضَّحَاك واستمدَ مِنهُ ولايةً على صَنْعَاء فوَلاهُ ودَخلَها ابن الضَّحَاك.

وفي سنةِ خمسٍ وأَربعين وثلاثمائة غَدر الضَّحَاك بالمختار بن القاسم بن الناصر أَحْمَد ابن الإمامِ الهادي فَحبسَهُ في قصر رَيْدَة ولَم يَزَلْ كذلك إلى شهر شوال ، ثُم قَتلُوه ظُلماً قَتلَهم الله .

وفي هذهِ السَّنة غَلَبَ علي بن وردان أَحدُ مَوالي بني يَعْفُر على صَنْعَاء ، وعارضَهم الأَسمر بن أَبي الفُتوح، فقَصَدوه إلى حِرَان[3] فهزمَ مَوالي بني يَعْفُر وقَتَّلهم ، وماتَ علي ابن وردَان بعد أَن استَخلَفَ أَخاهُ سَابور ، وبعد أَيامٍ خرجَ سَابور يُريدُ ذَمَار فتلَقَّاه إبن أَبي الفُتوح إلى يَكْلا[4] فقَتَله .

---

[1] – بَحْرَان : بلدة في جبال حَرَاز إلى الغرب من صنعاء أحد مراكز الحركة الإسماعيلية .

[2] – رَيْدَة : بلدة مشهورة في قاع البَوْن إلى الشمال الغربي من صنعاء .

[3] – حِرَان : حي من بني سليم أحد بطون حِميَر منازلهم إلى الجنوب من ذَمَار ذَكَرَها الهمداني في صفة جزيرة العرب .

[4] – يكلا : لعله قصد (يَكْلِي) وهي بلدة ومقر قديم في منطقة الحدا من أعمال ذَمَار .

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة دَخلَ الأَمير عبدالله بن قحطان بن أَبي يَعْفُر صَنْعَاء فخرجَ منها الضَّحَاك مُنهَزماً ، ولم يَلبَث الأَمير عبدالله أَنْ خرجَ منها ، فدَخلها إبن الضَّحَاك وأَعادَ الخُطبةَ لإبن زِياد صاحبِ زَبِيْد ، ولم يَستقرَ لهُ أَمرٌ بَل عادَتْ البلادُ لعبدالله بن قحطان ، ولم يَزَل يتتبع القرامطَة حتى ظَفرَ بولَدين لعلي بن الفضل وجماعة من رُؤساءِ القرامِطَة فقَتلَهُم وبَعثَ برُؤوسِهم إلى مَكَّة أَيامَ المَوسِم .

وفي سنةِ ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة قامَ الإمامُ الدَاعي يُوسُف بن يحيى بن أَحْمَد بن الناصر بن الهادي يحيى عليه السلام ، فنَهض إلى نَجْران وجهاتها ، ثُم عادَ إلى رَيْدَة فاستَخرجَ منها جَسدَ عمهِ المختار بن الناصر رحمه الله فوَجدَهُ على حالَته ، وسارَ إلى صَنْعَاء فدَخلَها وخرجَ عنها إبن الضَّحَاك إلى بيت بَوْس[1] ، وخرجَ الإمامُ إلى الرَحَبة[2] فوَافَى جُنودَ إبن الضَّحَاك وأَسعد بن أَبي الفُتوح ، فظَفرَ ابن الضَّحَاك بآخرِ جُنودِ الإمامِ فقَتلَ منهُم جماعةً ، فعَطفَ الإمامُ على جُنْد ابن الضَّحَاك ، فهزمَهُم وقَتلَ منهم عدةً ودَخلَ صَنْعَاء ، ثُم خرجَ إلى بِلادِ ابن أَبي الفُتوح ، ثُم وَالاهُ ابن أَبي الفُتوح ورَجعَ بهِ إلى صَنْعَاء فلَبثوا فيها سنتين .

وفي سنةِ ست وسبعين وثلاثمائة سارَ الأَمير عبدالله بن قحطان إلى زَبِيْد فلقيَهُ ابن زِياد إلى حِجْرَة حَرَاز[3] فاقتتَلُوا هناك ، فانهَزمَ ابنُ زياد وقُتِلَ من عَسكَرِه عدةٌ ، ثُم تَبعهُ عبدالله بن قحطان فدَخلَ زَبِيْد ونهبها نهباً شديداً وأَقامَ فيها ستةَ أَيام ، ثُم رجعَ إلى كُحْلان ، ثُم خرجَ إلى مِخْلاف جعفر فاستَولَى عليه .

---

[1] – بيت بَوْس: حصن بالقرب من صنعاء إلى الجنوب الغربي وهو اليوم أحد أحياء صنعاء ، وقد ورد في المطبوع بيت برس.

[2] – الرحبة: لعلها القرية المعروفة من (مديرية عيال يزيد) إلى الشمال الغربي من عَمْرَان .

[3] – حجرة حَرَاز: الحجرة بكسر الحاء ارض منبسطة من أعمال الحيمة إلى الغرب من صنعاء غرب جبل حضور تعرف اليوم بحجرة ابن مهدي .

وفي سنةِ تسعٍ وثمانين وثلاثمائة وَصلَ الإمامُ المنصور بالله القاسم بن علي بن عبدالله ابن محمد بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب سلامُ الله عليهم أجمعين إلى صَعْدَه ، وكان مُقيماً في بلاد خُثْعُم[١] في تَباله من الحِجَاز ، فلما وَصلَ صَعْدَه سالَمَهُ الإمامُ يُوسُف الدَاعي وبايَعَهُ لكونه أكمَلَ في العِلم ، ثُم استعملَ على صَعْدَه ولَدَهُ جعفر وخرجَ عنها الدَاعي يُوسُف بن يحيى ، ثُم تَوَجهَ إلى عِيَان[٢] فوصلَتهُ كُتب أهلِ صَنْعَاء وآل الدُّعام يَستَدعونهُ للوصول إلى بِلادِهم فسارَ إلى الجَوْف وتلقَّاهُ آل الدُّعام[٣] فوَلَى عليهم ، ثُم رَجعَ إلى عِيَان ، ثُم نَهضَ إلى خيوان[٤] وتقَدَّمَ إلى عَجِيْب[٥] ، فتَلَقاهُ أهلِ اليَمَن واجتمَعَت لهُ جُموعٌ عَظِيمَة وطلبُوهُ أَنْ يبعَثَ عاملاً إلى صَنْعَاء ، فبَعثَ إليهِم الشَّرِيف قاسم بن حُسَيْن الزَيدي من ذُرية الإمامِ زَيْد بن علي عليه السلام ، فلما وَصَلها سَكَنت الفتَن ، ونَهضَ الإمامُ القاسم إلى حِلَمْلَم فأقامَ فيها أياماً ، واستعملَ عليهِم الشريف إسماعيل بن أَحْمَد بن أَبي البركات الذي يُنسبُ إليهِ أشْرافُ الجَاهلي من بلاد الشَرَف ، والإمام المَهدي أَحْمَد ابن حُسَيْن، فإنَّهُ في عَمودِ نَسبِه ، وكَتبَ الإمامُ إلى الشَّرِيف الزَيدي أَنْ يَعزِمَ إلى ذَمَار فسارَ إليها ووَاجَهتهُ تلكَ البِلاد .

وفي سنة تسعين وثلاثمائة وَصلَ إلى الإمامِ القاسم الأَشْرافُ آلُ أَبي الطَّيب من الحِجَاز في أُبَّهةٍ عَظِيمَة ، فاستَوقفَهم الإمامُ في صَنْعَاء ، ونَهضَ إليهِم من العِيان[٦] ،

---

[١] – خُثْعُم : أَحد بطون كهلان منازلهم في سراة عبيدة من ارض الحِجَاز .

[٢] – عِيَان : قرية مشهورة في حرف سُفْيَان إلى الشمال من صنعاء أحد بطون بكيل ، وكانت أحد مراكز العلم فيها مرقد الإمام القاسم بن علي العياني ، المتوفى نهاية القرن الرابع الهجري .

[٣] – الدُّعام : بتشديد وضم الدال: بطن من قبائل بكيل من هَمْدان منازلهم اليوم في الزاهر من أعمال الجَوْف .

[٤] – خيوان : بلدة إلى الشرق الشمالي من حُوْث إلى الشمال الغربي من صنعاء.

[٥] – عَجِيب : بفتح العين منطقة بالقرب من بلدة ريدة .

[٦] – العيان : جبل عالٍ يطل على مدينة حَجَّه من الجهة الجنوبية .

وأَحسنَ إليهم وأَعانُوه بمالٍ واسعٍ ، وطَلَبوا منهُ وِلايَةً على تَهَامَه الشام ، فوَعَدهم بذلك ولَم يتمَكَن من طَلَبِهِم لَمَّا لَم تَثبُت طاعةُ أَهلِ اليَمَن ، فعادُوا إلى بِلادِهم .

وفي سنةِ إحدَى وتسعين وثلاثمائة ماتَ أَبو الجَيش[1] إسحق بن إبراهيم بن محمد بن زِياد مَلك زَبِيْد ووَالِيها ، وخَلَّفَ ولداً لهُ يُقالُ لهُ إبراهيم صغيراً فتولَّت كَفالتَهُ أُختهُ هند بنت أَبي الجَيش وعبدٌ حَبَشي يُسمى رشيد ، فلَم يلْبَث رشيد أَنْ مات ، وكان لهُ عبدٌ نَجيبٌ من مَواليدِ النُوبة[2] ، يُقالُ لهُ الحُسَيْن بن سَلامَة نسبةً إلى أُمه ، وكانَ حازماً عفيفاً حَسَن السيرةِ ، فتَولى كثيراً من أَعمالِ مَولاه رشيد في حياته ، فلمَّا ماتَ رشيد قامَ بَعدَهُ حُسَيْن بن سلامة فذَبَّ عَن مُلكِ مَواليهِ بني زِياد وكانَت دَولَتهم قد تَضَعْضَعَت في أَيامِ أَبي الجَيش فأَحيا ذِكرَها حُسَيْن بن سلامة ، وقَصدَ المُتغلبينَ على أَطرافِ البِلادِ فدانُوا لهُ وحَملُوا لهُ الخَراج ودَخلوا تحت طاعته ، وعاد مُلْكُ بني زِياد كَما كان ، وهَو الذي اختطَ مدينة الكَدْرَاء وجَدَّدَ عمارة الجَامع بعَدَن وغيره من المآثرِ الكبيرةِ والمساجد ، وعلى الجُملةِ فمحاسنُ هذا الرجُل[3] كثيرةٌ ، وسيرتُهُ أَحسنُ سيرة .

وفي هذه السَّنة خالفَ الشَّرِيف الزَيدي على الإمامِ القاسم بن علي وأَسرَ جعفر بن الإمامِ وإخوتَهُ ، ثُم رَاسلهُ الإمامُ وذَكَّرهُ الإحسان فأَطلقَ أَولادَهُ ، وسارَ إليه واستَعطَفَهُ ، ثُم وَلاهُ الإمامُ وِلايَةً عامةً ، واستَنابَ في صَنْعَاء الشَّرِيف هِلال بن جعفر العَلَوي ، وفي خلال ذلك وَصلَ الإمامُ صَنْعَاء فمالَ عنهُ الشَّرِيف هِلال نائبُ الزَيدي ، وكَتبَ

[1] – أبو الجيش: اسحق بن إبراهيم بن محمد بن زِياد من نسل زِياد بن أبيه ، أمير اليَمَن في دَولَة بني زِياد كان يخطب لبني العباس وَلِيَ بعد وفاة أخيه تُوفيَ في زَبِيْد ٣٧١ هـ .

[2] – النوبة: إقليم في وادي النيل هي المنطقة بين مصر والسودان .

[3] – الحُسَين بن سلامة : أبو عبدالله ، أمير تَهَامَه اليَمَن ، عصامي من الدهاة اسود البشرة من موالي بني زِياد تَغَلَبَ على أكثر بقاع اليَمَن بعد وفاة سيده عبدالله بن اسحق وملكها و نشر الأمن وحارب العصاة فانتظم لهُ عقد اليَمَن كله ، كان عادلا حَسَن السيرة بنى الجوامع الكبار والمنابر وحفر الآبار تُوفيَ في زَبِيْد عام ٤٠٢ هـ .

إلى الإمامِ يُوسُف الدَّاعي واستدعَاهُ ، ثُم كَتبَ الإمامُ إلى الزَيدي واستدعى الإمامَ أَبي الصيد ، ثُم افترقا فرَجعَ الزَيدي إلى اليَمَن والإمامُ إلى وَادعَه[1] ، ثُم سارَ إلى عيَان واستقرَّ فيها وتَركَ الأمرَ والنهيَ لعدمِ طاعةِ الناسِ ، ولم يَزَل كذلكَ إلى أَنْ ماتَ في التاريخِ الآتي ذِكرُهُ ، وأَما الإمامُ يُوسُف بن يحيى فإِنَّهُ تَوجهَ إلى صَنْعَاء ثُم سارَ منها إلى الهان[2] ومنهُ إلى ذَمَار.

وفي سنةِ ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة في شهرِ رمضان تُوفيَ الإمامُ المنصور بالله القاسم بن علي العياني[3] وتُوفيَ في عِيَان ، وعليه مَشهدٌ مَزورٌ مُبارك ،ومن مآثرِه عليه السلام استِخراجُ غَيلِ آلاف[4] جَنوبي صَنْعَاء على يَدِ عامله الزَيدي .

وفي سنةِ أَربعٍ وتسعين وثلاثمائة تُوفيَ الشَّريف قاسم بن حُسَيْن الزَيدي في مدينةِ ذَمَار، ودُفنَ في الجَامع وقامَ بَعدَهُ ولَدُه محمد القاسم .

وفي سنةِ ست وتســعين وثلاثمائة خَرجَ إبنُ أَبي الفُتوح إلى الهان ، فوثَبَ عليهِ غلمانُه[5] فَقتَلُوه وأَقَاموا ولَدَهُ منصور بن أَسعد ، وفيها كَثُرت الفِتَن وعَظُمَت المِحن في أَرضِ اليَمَن .

وفي سنةِ ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة دخلَ الإمامُ يُوسُف بن يحيى ، والشَّريف محمد بن قاسم الزَيدي صَنْعَاء ، ولَبِثا فيها قَدْرَ نِصفِ شهرٍ ولَم يَنْتظِم لهُما أَمْر ، وثَارَت على

[1] – وَادعَه: قبيلة كبيرة من حاشد منتشرة في أنحاء عديدة داخل اليَمَن وجنوب الجزيرة أشهرها ثلاث قبائل وَادِعَة حاشد ، وادعة الشام ، وادعة هَمْدان .

[2] – الهان : هي بلادُ آنس ، كانت تسمى قديماً الهان .

[3] – المنصور بالله القاسم بن علي العياني: أَبو الحُسَيْن من أئمة الزيدية لهُ مؤلفات تجاوزت المائة كتاب ، بويع لهُ في اليَمَن.

[4] – غيل آلاف: تفيدنا المصادر أن مكانه إلى الجنوب من صنعاء على مسافة ساعتين وأن منبعه غرب جبل السواد بقاع أرتل وأثناء سيره يروي الصافية ، وفي نهاية سيره يصب في بير العزب ، وقد ذَكَرَ أهالي قرية بيت بَوْس أن السيد علي زهرة استخرج هذا الغيل من جديد عام ١٤١٤ هـ ، وكان المعسكر القريب يستفيد منه . .

[5] – وردت في المطبوع (غلمان) .

صَنْعَاء الأُمراء المُتَغلبونَ من هَمْدان وخَولان وبني شِهاب وحِميَر فَفي كُلِ شهرٍ ولَها أَمير والغَالبُ آلُ الضَّحَاك ، وقَد تَخَلوا عن الأُمراء في بعض الأَوقَات[1] .

[1] – ربما أراد أن صنعاء وبعض المناطق تبقى بدون أمير يسوسها في بعض الأحيان لكثرة التنافس والإقتتال على صنعاء.

وفي سنةِ إحدَى وأَربعمائة وَصلَ الإمامُ المَهدي لِدين الله الحُسَيْن بن القاسم بن علي العياني عليه السلام إلى صَنْعَاء ووَصلَ أولاً إلى البَوْن[1] ، فأَجابتهُ هَمْدان وحِميَر والمَغارِب ، ومَالُوا عَن الشَّرِيف الزَيدي وقَد كانَ دَعا إلى نفسه وتَسمَّى بالإمامة واستَخلفَ ولَدَهُ زَيْد بن محمد على صَنْعَاء ، ثُم بَدَا لهُ أَنْ يُخرِج مَنْ في السِجنِ في صَنْعَاء ، وسارَ إلى ذَمَار فدَخلَ صَنْعَاءَ ابنُ الضَّحَاك في سنة اثنين وأَربعمائة .

وفي أَيامهِ أَرسلَ الإمامُ المَهدي الحُسَيْن بن القاسم العياني رَسولاً يُعرفُ بابن أَبي النَجم إلى صَنْعَاء فَقَبضَ الواجبات[2] ، فلَم يَعتَرِضهُ ابن الضَّحَاك .

وفي آخرِ هذهِ السَّنة وَصلَ الإمامُ إلى صَنْعَاء ، وفيها ماتَ الحُسَيْن بن سلامة الكَافِلُ لِمَملَكة بني زِياد ، ولَم يبقَى من بني زِياد إلا صبيٌ صَغير ، كَفلَتهُ عَمتهُ وعبدٌ حَبَشي يُقالُ لهُ مَرجان من عَبيد الحُسَيْن بن سَلامة ، وكان لَمرجان عَبدان فَحلان يُسمى أَحدُهما نَفيس والآخرُ نَجَاح ، فَعَهِدَ إلى نَفيس نِيابَةَ الحَضرة وإلى نَجَاح أَعمالَ الكَدْرَاء[3] والمَهْجَم ومَوْر والمخلاف السُليماني ، فلَبثَا على ذلك أَياماً ثُم تَنافَسا وعَظُمت الوَحشةُ بَينهُما ، وكان نَفِيس ظَالماً غَشُوماً ونَجَاح عادلاً مُحَبَّباً إلى الرَعية ، ومَولاهُما مَرجان يُفضلُ نَفيس على نَجَاح ، وابنُ زِياد وعَمتُهُ يُفضلان نَجَاح ويُكاتبانه ، فشكاهُما نَفيس إلى مَرجان فدَفعَهُما إليهِ فأدخلَهما في جِدارٍ وبَنا عليهِما [وهما]

---

[1] - البَوْن: قاع البَوْن هو قاع فسيح (سهلي) إلى الشمال الغربي من صنعاء وهو قسمان الأعلى ومن بلدانه عَمْرَان ، قهال ... والبون الأسفل من بلدانه رَيْدَة ، جوب ، والنسبة جوبي .

[2] - الواجبات: وهي الزكوات وما يدفع من إنتاج الأرض والمواشي وعروض التجارة إلى الولاة أو أئمة المسلمين .

[3] - الكَدْرَاء: مدينة أطلال قديمة خاربة كانت لها شهرة عظيمة وكانت مقراً لسلاطين بني زِياد في القرن الخامس الهجري بناها السُلطان حُسَيْن بن سلامة أحد ملوك بني زِياد .

حَيَّين وهُما يَنشُدان الله ، فَلم يَلتفت إلى قَولهما وخَتمَ عليهما الجدار ، وبهما انقَطعَت دَولَةُ بني زياد من زَبِيْد وأَعمالها ، وكانَت مُدةُ مُلكهم من سنة ثلاثٍ ومائتين إلى سنة اثنين وأَربعمائة ـــ مائتين إلا سنةً واحدةً ـــ .

وكانوا استقلوا بالأمر وتَغَلَّبوا على الخَراجِ ورَكبوا بالمظَلة[1] ، ولم يبقَ لبَني العباس إلا ذِكرُهُم في الخُطبة استمالةً لقُلوبِ الرَعية ، فَوثبَ على مَملكتهم نَفيس المَذكور وتَكبَّرَ ورَكِبَ بالمظلة ، وكان نَجَاحُ غائباً في البلادِ الشامية ، فلما بَلغهُ ما فعلَ نَفيس بإبن زياد وعمته غضبَ لذلك ، فاستَنفرَ الأَسوَد والأَحمر ونَهضَ لمحُاربة نفيس بعزيمةٍ صادقة ، فَتَلَقَاهُ نَفيس بجيوشٍ كثيرةٍ فوقَعت بينهما وقائعُ كبيرةٌ ، وفي آخره قُتلَ نَفيس على بابِ زَبِيْد ، ودَخلَ نَجَاح زَبِيْد فقبَضَ على مَولاهُ مَرجان ، وسائَلَهُ عن مَولاته ومَولاه من بَني زِياد الذين قَتَلهُما نَفيس ، فأَخبرهُ أَنَّهما في هذا الجدار ، فأَخرجَهُما نَجَاح وجَهزهُما وصلى عليهما وجَعَلَ مَرجان في مَوضعَهُما ، وهو حَي وضَم إليه جُثَةَ نَفيس ، وخَتَمَ عليهما كما فَعَلا بمواليهما ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[2] ، ثُمَ استَولَى نَجَاح على مُلْكِ تِهَامَه ؛ ورَكبَ بالمظلة وضَربَ السِّكَّة بإسمه وكاتَب بَني العباس وبَذلَ لهُم الطاعةَ ، وضَبطَ أَمرَ تِهَامَه وهابتهُ المُلوك ، ولم يَزَل كذلك إلى أَن قَتلهُ علي بن محمد الصُلَيْحي بالسُّم على يدِ جاريةٍ أَهداها إليهِ كما سَيأتي .

---

[1] – ركبوا بالمظلة: استتب لهم الأمر وملكوا وسادوا ، والمظلة كانت تحمل في مسيرة السُلطان لتعطي موكبه هيبة وأبهة وتقيه حر الشمس .

[2] – الأنعام ١٢٩.

وفي سنة ثلاث وأربعمائة ماتَ الإمامُ يُوسُف بن يحيى[1] في صَعْدَه ودُفنَ في مَشهد الهادي عليه السلام ، وفيها قَدِمَ محمد بن قاسم الزَيدي إلى صَنْعَاءَ بجيشٍ عظيم ، وأمرَ بهدم منازلِ شيعةِ الإمامِ الحُسَيْن بن القاسم العياني ، فلَما بلغَ الإمامَ الحُسَيْن قُدومهُ جمعَ عسكرة من هَمْدان وحمير وغيرهم ، وسارَ بهم إلى صَنْعَاء فوقعَ بينهُ وبينَ الزَيدي حربٌ عَظيم إنهزمَ فيه الزَيدي فتبعهُ الإمامُ وقَتلهُ ، ودُفنَ في نَجْد عُصْفُر[2] واستَخلَفَ أَخاهُ جعفر بن القاسم العياني على صَنْعَاء ولَما عَلمَ إبن أَبي الفُتوح بما وقعَ تَلَقى أَصحابَ الزَيدي المُنهزِمين وقَتلَ جماعةً منهُم ، وأَخذَ راياتِ إبن الزَيدي.

ثُم سارَ الإمامُ إلى صَعْدَه فاستَولَى عليها وعادَ إلى صَنْعَاء فَفَسدَ ما بينهُ وبين ابن أَبي الفُتوح ، ثُم ما بَرحَت الحروبُ بين الإمامِ وبين أَبي الفُتوح وغيره في هَمْدان حتى وقَعَتْ وقعةٌ بينهُ وبينَ الضَّحَاك في رَيْدَة ، حَملَ الإمامُ فيها على هَمْدان ففَرَّقَ صُفوفَهُم ، وقَتلَ منهم كثيراً ثُم تكاثَروا عليه فمَضَى شهيداً حميداً وهو في حَدِّ الثلاثين سنةً من العُمْر ،وقد أَحرزَ من علوم الإسلام كثيراً حتى حُصرَت مُصنَفاتُهَ مائةَ مُصنف ، وفي جهلَةِ الشيعة من يَزعُم أَنَّهُ حيٌ وأَنَّهُ المَهدي المُنتظر ، وقد بَقيَ على هذا الإعتقادِ كثيرٌ منهُم ويقالُ لهم الحُسَينية ، وقد انقرضَ هذا الإعتقاد .

وقال السيدُ العلامة صَارمُ الدين إبراهيم بن محمد الوزير، في بَسامَته عند ذكرِ هذا الإمام :

وقَــالَ قَومٌ هوَ المَهدي مُنْتَظَرٌ ... قُلنَـا : كَذَبْتُم حُسَيْنٌ غَيْرُ مُنْتَظَرِ
كَيْفَ انتِظَارُكُمُ نَفْسَاً مُطَهَّرَةً ... سَالَتْ عَلَى البِيْضِ وَالصَمْصَامَة الذكْرُ

---

[1] – الإمام يوسف: أحد أئمة الزيدية ، من العلماء لهُ تصانيف ، عاش في فترة مضطربة غير مستقرة كلها فتن وحروب فلم تستقر لهُ الأمور، تُوفيَ سنةَ ٤٠٣ هـــ ودُفنَ في صعدة .

[2] – نجد عُصْفُر: المقصود بالنجد ما ارتفع من الأرض وهو اخفض من النقيل أو العقبة ، وموقع نَجْد عُصْفُر في ضوران من أعمال ذَمَار .

وقال نشوان[1] بن سعيد الحميري العالِمُ المشهورُ رَحمَهُ الله في النَقَائِضِ بينهُ وبينَ أَشْرافِ القاسميين :

أَمَّا الحُسَيْن فقَدْ حوَاهُ المُلْحَدُ وَاغْتَالَهُ الزَّمَنُ الرَشِيْدُ الأَنْكَدُ[2]

فَتَنبهُوا يَا جَاهِلينَ فَإِنَّهُ في ذِيْ عَرَارٍ وَيْحَكُمْ مُسْتَشْهدُ

ومشهدهُ مَزُورٌ في عَرَار[3] قِبْلِّيَّ قرية رَيْدَة .

وكانَت صَنْعَاء في هذهِ الأَيامِ كالخِرقَةِ الحمراءِ بين اللاعبين ، إعتَوَرَهَا أَيدي المُتغلبينَ ، تارةً يدخُلُها إبن أَبي حاشد ، وتارةً إبن الضَّحَاك ، وتارةً ابن أَبي الفُتوح ، وتارةً بنو شهاب ، وتَلاشَى بُنيانُها ورَحَلَ سُكانُها حتى لم يَبقَ فيها سوى أَلف دارٍ وأَربعينَ داراً ، ومن المساجدِ العامرةِ مائةَ مسجدٍ وستةَ مساجد ، واثنا عشرَ حماماً ، بعد أَنْ بَلغَت في أَيامِ هارونَ الرشيد وابنِه المَأمون إلى مائة ألف دارٍ وعشرين أَلف دارٍ ، ولم يزَلْ فيها النُقصانُ إلى أَيام علي بن محمد الصُلَيْحي ، ثُم عُمرَت بعضَ العِمارَة ، ثُم رَجعَت إلى النُقصان .

---

[1] - نشوان بن سعيد الحميري العلامة : أَبو سعيد أو (أبوالحسن) من نسل حسان ذي مراثد من ملوك حِميَر من أهلِ بلدة حُوْث في بلاد حاشد إلى الشمال من صنعاء ، تبعه قوم من حاشد واستَولَى على عدة بلدات وقلاع وحصون حتى صار مَلكاً . واستَولَى على جبل صَبِر المطل على مدينة تعز ، من كُتُبِه شمس العلومِ طبع في ١٥ مجلداً وكُتُبٌ أخرى تُوفيَ في ٥٧٣هـ ودُفِنَ في صعدة شمال اليَمَن .

[2] - الرشيد : وردت الخؤون في كتاب هجر العلم ومعاقله ، وذَكَرَ القاضي اسماعيل الأكوع أن هذه الأبيات للجعيد بن الحجاج الوادعي وليست لنشوان بن سعيد الحميري .

[3] - عرار: قرية في قاع البَوْن إلى الشمال الغربي من صنعاء .

وفي سنةِ عشر وأَربعمائة كانَت اليَمَن مُشتَرَكةً بين أُمرائِها ، كانَت التَهَائِم[١] وأَعمالُها في يَدِ موالي بني زِياد ، وعَدَن ، ولحج ، وأَبْيَن ، وحَضْرَمَوت ، والشِّحر إلى بني مَعْن ، والمُذَيْخِرة ، والتَّعْكَر ، والدُّمْلُوَه ، وصَبِر إلى بني الكِرَنْدي ، واستَمرَت صَنْعَاء على اختلافِ الأَيدي للأُمراء إلى قيامِ الصُلَيْحي ، كما سَنَذكرُه قريباً .

وأَمَّا اليَمَن الأَعلى فانقسم بين آل أَبي يَعْفُر ، وآل الضَّحَاك ، وآل أَبي الفُتوح ، وأَولادِ الإِمامِ يُوسُف الدَّاعي وبين أَولادِ القاسم العياني .

وفي سنةِ ستٍ وعشرين وأَربعمائة ظهرَ الإِمامُ أَبو هاشم الحَسَن[٢] بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحُسَيْن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب عليه السلام ، فقَصدَ صَنْعَاء فخرجَ عنها ابن أَبي حَاشِد ، ووَصلَ إليها منصور ابن أَبي الفُتوح ، فبايعَ الإِمامَ ورَجعَ إلى بلَدهِ نُعُضْ[٣] من بِلاد سَنْحَان ، ولَبثَ الإِمامُ مُدةً يسيرةً فعارضه حُسَيْن بن مروان .

وفي سنةِ ثلاثين وأَربعمائة تعطَّلَت صَنْعَاء عن الإِمارَة ، وفيها ماتَ أَمير مَكَّة المشرفة الشَّرِيف أَبو الفُتوح الحَسَن بن جعفر بن الحَسَن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب رضي الله عنهم .

وأَولُ من وَلِيَ مَكَّة[٤] من أَهلِ البيت ، جعفر بن الحَسَن ، ثُم إبنهُ عيسى ، ثُم إبنهُ الآخر أَبو الفُتوح المذكور ، ثُم محمد بن أَبي الفُتوح ، ثُم إبنهُ شكر[٥] ، ثُم وَلِيَها علي

---

[١] – التهائم : هي السهول المتاخمة لساحل البحر الأحمر الممتدة من المخا جنوباً إلى الحِجَاز شمالا ، ومن أَشهرِ مدنها الحديدة وزَبِيْد وجيزان و أَبو عريش وقنفذة وغيرها ، وتتقاسم أراضي تَهَامَه اليَمَن والمملكة العربية السعودية .

[٢] – أَبو هاشم : من أئمة اليَمَن قال العرشي تلقب بالمعيد لدين الله ، قدم من الحِجَاز وساعده الأَشراف ورؤساء قبائل هَمْدان أقام في نَاعِطْ من بلاد حاشد تُوفِيَ في ٤٣٦ هـ .

[٣] – نُعُضْ : بلدة في بلاد سَنْحَان إلى الجنوب الشرقي من صنعاء .

[٤] – استدراك و إدراج لا يستقيم مع التاريخ (للذين تولوا مَكَّة من قبل الدول المتعاقبة) .

[٥] – شكر : هو شكر بن أبي الفتوح وليها بعد وفاة أبيه عام ٤٣٠هـ واستمر إلى أن مات .

ابن محمد الصُلَيْحي ، ثُم أَبو هاشم محمد بن عبدالله الحَسَني ، من آل موسى الجُون ، وتَناقلَها أَولادُه المُسَمَّوْن بالهواشِم نسبةً إلى أَبي هاشم المذكور .

ثُم غَلبَ عليها في سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسمائة الشَّرِيف العالم الفصيح المُسمَّى نابغة بني الحَسَن أَبو عزيز قتادة بن إِدْرِيْس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حُسَيْن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب عليه السلام ، وكان شريفاً منيفاً عالماً عاليَ الهمَّة من شُجعان الأَشْراف عادلاً مرضياً حَسَن السيرةِ صالِحَ السَريرة ، وله أَخبارٌ وأَشعارٌ كثيرةٌ تَتزَينُ بها الأَسفار مَنعَنا من ذِكرِها ما قَصَدنا من الاختِصار ، وهيَ في تواريخِ مَكَّة مسطورةٌ ، وفي صَفَحاتِ الدفاترِ مَذكورَة .

ثُم وَلِيَها بَعدَهُ إبنهُ الحَسَن بن قتادة ، ونازَعهُ أَخوهُ راجح بن قتادة ، واعتَضَدَ بسُلطان اليَمَن نور الدين بن عمر بن علي بن رَسول ، ثُم وَلِيَ الشَّرِيف علي بن قتادة ، ثُم وَلِيَها بَعدَهُ الشَّرِيف الأَمير أَبو أَسعد بن الحَسَن بن علي بن قتادة ، ثُم ولِيَها بَعدَهُ إبنهُ الأَميرُ الكبير أَبو نُمَيّ محمد بن أَبي أَسعد .

ثُم تنازَعَ أَولادُهُ من بعده حُمَيْضَة ورُمَيْثَة وأَبو الغيث وعطيفة ، وجَرَى بينهُم ما يَطُولُ ذِكرُهُ واستقرَتْ وِلايَتُها للشريفِ رُمَيْثة.

ثُم وليها بَعدَهُ إبنهُ الشَّرِيف عَجْلان بن رُمَيْثَة ، ثُم وَلِيَها بَعدهُ إبنهُ الحَسَن بن عجلان ،ثُم وَلِيَها بَعدَهُ إبنهُ الشَّرِيف بَرَكَات بن الحَسَن ، ثُم وَلِيَها بَعدَهُ إبنهُ الشَّرِيف الكبير محمد بن بَرَكَات .

ثُم وَلِيَها إبنهُ بَرَكَات بن محمد بن بَرَكَات ، وعارَضهُ أَخوهُ هَزاع وأَخوهُ الحارابي ، واستقرَتْ لِبركات بعدَ حُروبٍ وخُطوب .

ثُم وَلِيَها إبنهُ الشَّرِيف الكبير صاحبُ السعادة أَبو نُمَيّ محمد بن بَرَكَات ، وطالَت مُدَّتهُ فيها من أَيامِ الغُورية مُلوكِ مِصر إلى أَنْ استَولَى على مَملَكَتِهم السُّلطان سليم[1] ابن محمد بايزيد صاحبُ الرُوم ، ودَخلَ إليهِ الشَّرِيف أَبو نُمَيّ محمد إلى مصر ، وأَبقاهُ على وِلايَةِ الحِجَاز ، واستَمرَ على ولايتها من سنةِ ثمان عشرة وتسعمائة إلى سنةِ اثنين وتسعين وتسعمائة .

ثُم وَلِيَها إبنهُ الشَّرِيف الهُمام الحَسَن بن أَبي نُمَيّ محمد المذكور ، ثُم أَخوهُ أَبو طالب ، ولَم تَطُل مُدتُه ، ثُم وَلِيَها الشَّرِيف إِدْرِيْس بن الحَسَن ، وأَشركَ ابن أَخِيه الشَّرِيف العظيم مُحْسن بن حُسَيْن بن حَسَن .

ثُم قامَ بالأَمرِ الشَّرِيف مُحْسِن ، وأَخرجَ عَمهُ الشَّرِيف إِدْرِيْس حتى نازَعهُ أَحْمَد بن عبدالمطلب بن حَسَن ، واستعانَ بالأَترَاك الخارجِينَ على أَولادِ الإمامِ القاسم ، وأَخرجَهُ عن مُلكِه ، ووَصلَ اليَمَن مُستَنجداً بالمُؤيَّد بالله محمد بن الإمامِ القاسم بن محمد ، فَتُوفيَ في صَنْعَاء في مَسجده بباب السباح[2] غربيَ صَنْعَاء .

ثُم وَلِيَ بعد أَنْ قُتِل أَحْمَد بن عبدالمطلب في سنةِ ثمانٍ وثلاثين وأَلف الشَّرِيف مسعودُ بن إِدْرِيْس ، ولم تَطُل مُدتُهُ .

ثُم وَلِيَها الشَّرِيف عبدالله بن حَسَن بن أَبي نُمَيّ ثُم تَنَحى عنها لولَدِه محمد بن عبدالله ابن الحَسَن والشَّرِيف زَيْد بن مُحْسِن بن الحَسَن .

ثُم خَالَفَتْ الأَصَاحيةُ على الباشا قانْصُوه من زَبِيْد فخرَجوا عَنها إلى مَكَّة المُشرفة ، فقُتِلَ الشَّرِيف محمد بن عبدالله ، وفَرَّ الشَّرِيف زَيْد بن مُحْسِن إلى جِبال الحِجَاز ، وأَقامَ

---

[1] – السُلطان سليم الأول : من أهم سلاطين بني عثمان وفي عهده توسعت الدولة العثمانية هذا التوسع الهائل حيث أمتدت الدولة لتشمل كل بلاد الشام ومصر والحجاز والعراق واليمن وطرابلس الغرب (ليبيا اليوم) وتسمى بخليفة المسلمين حج عام ٩٢٤ هـ تُوفيَ عام ٩٢٦ هـ ودُفنَ في قلعة جعبر إلى الشرق من حلب ونقل رفاته من هناك عام ١٣٩٠ هـ ودُفنَ مرة ثانية في قبور سلاطين بني عثمان في الآستانة .

[2] – باب السباح : يسمى الآن باب السبح و هو أحد أبواب صنعاء ، ومكانه معروف حتى اليوم وسط صنعاء .

الأَصَاحيةُ الشَّرِيف نَامي بن عبدالمطلب ، فلما بَلغَ السُّلطان مُرَاد صاحبَ الرُوم غَضبَ لِذلكَ وجَهَّزَ على هؤُلاءِ المُفسدِين الباشا قانْصُوه في أَجناد كثيرة ، فوَصلَ إلى الحِجَاز وقَبضَ على الأُمراء من الأَصاحية[١] وضَربَ أَعناقَهُم ، فقُتلَ الشَّرِيف نامي وأَخوهُ المسمى السَّيد ، وَوَلِيَ الشرَافَةَ الشَّرِيف العالِمُ النَبيه الملكُ العادل زَيْد بن مُحْسِن بن حَسَن ، واستَمرَ فيها إلى أَنْ ماتَ .

وفي سنةِ سبعٍ وسبعين وأَلف وَلِيَها بَعدَهُ إبنهُ الشَّرِيف سعد بن زَيْد ، حتى جرَتْ منهُ أُمورٌ أَنكَرها السُّلطان أَحْمَد بن مراد فَبعثَ إليهِ الأَجْنادَ فخرجَ عن مَكَّة إلى بجَيْله[٢] ، وَوَلِيَها الشَّرِيف بَرَكَات من آل أَبي نُمَيّ حتى تُوفيَ ، وَوَلِيَها إبنهُ أياماً يسيرةً ثُم وَصلَ الشَّرِيف أَحْمَد بن زَيْد بالوِلايَةِ من السُّلطان ، ثُم بَعدَهُ الشَّرِيف أَحْمَد بن غالب ، ثُم عادَت بَعدَهُ إلى الشَّرِيف سعيد بن سعد ، ثُم إلى ابنهِ الشَّرِيف مُساعد بن سعيد بن سعد بن زَيْد ، ثُم وَلِيَها إبنهُ الشَّرِيف الماجد الهمام سرور بن مساعد ، ثُم وليها بَعدَهُ صنوُهُ الشَّرِيف غالب بن مساعد ، ثُم بَقيَ الشَّرِيف يحيى بن سرور إلى أَنْ حصَلَت منهُ هَفْوَةٌ بقَتْلِ بعضِ الأَشْراف .

ثُم كانَت المَملَكةُ لأَهلِ مصر أَصحابِ محمد علي باشا مصر ، ثُم وَلِيَها الشَّرِيف عبد المطلب بن غالب مُدةً يَسيرةً وجرَى ما يَطولُ ذكرُهُ ، ثُم خَرجَ عَنها وبَقيَ في الحِجَاز أَياماً حتى تَيَسرَ لهُ النُفوذُ إلى إسْطَنْبُول حَضْرَةَ السُّلطان وفي شَرافَةِ مَكَّة من جِهةِ السُّلطان أَميرُ زَمانِنَا الشَّرِيف محمد بن عُون ، ثُم بعدَ وفاته استَمرَت وِلايَةُ إبنهِ

---

[١] – الأصاحية : وجدت اسمهم الجلالية في كتاب (أمراء البلد الحرام) ، وهم جماعة من الجند التركي فروا من معسكر قائدهم في زبيد ونزلوا القنفذة ، فأسرع إليهم الشَريف نامي واتخذهم جيشاً لهُ لمقاومة أخويه محمد و زيد وسلبِ إمارة مَكَّة منهما ، فدخل هذا الجَيش مَكَّة المكرمة ونهب بيوتها ......

[٢] – بجَيْلة: في الأصل هي بطن من مذحج من بني سعد وهم رهط الصحابي جرير بن عبدالله البجلي واليهم تنسب قرية بجيلة وهي قرية كبيرة من أعمال الحديدة في سهل تهَامَه .

صاحبِ عصرنا الشَّريف عبدالله بن محمد بن عون ، وهو الآنَ[1] عَقيدُ دَولَتها وعَميدُ وِلايَتها .

وذَكَرْتُ هذا عَرضاً في ذِكرِ وُلاة اليَمَن تبرُّكاً بذِكرِ تلكَ المواقف الطَّاهِرَة ، والمقامَات المُشرَّفة ، وتَتمَةً لسَردِ وِلايَة أَهلِ بيت النُبوَة ومَعدَن الرسالة وقُرَناء التَنزيل ومَهبَطِ أَمينِ الله جبريل ، وإلا فقَد عُرِفَ المَقصَدُ الأَولُ في هذا المُختَصرِ الحقير ، ومَطلَبِ ذلكَ الشَّريف الخطير .

وليَعذُرني المُطَّلعُ إذا وَجدَ أَيَ غَلطٍ أَو عَثرٍ على شَطَطْ فإنَّهُ عن ظَهرِ قَلْب ، معَ تَقادُمِ العَهدِ بالأَسفَار وجَوامعِ الأَخبار ، ولنَعُد إلى مَا نَحنُ بِصَدَدِه من ذِكرِ أَحوالِ اليَمَن خُصوصاً حسبَ اقتِرَاحِ السَائِل .

وفي سنةِ إحدَى وثلاثين وأَربعمائة استَدَعى ابنُ أَبي حاشد الإمامَ أَبي هاشم الحَسَن ابن عبدالرحمن إلى صَنْعَاء فوَصلَها ولَبثَ فيها ثمانية أيام ثُم استعملَ عليها عاملاً ، وخرجَ إلى رَيْدَة ، وسارَ منها إلى نَاعطْ[2]، وكانَت وَفاتُهُ في السَّنة المَذكُورَة وقَبرُهُ هنالكَ مشهورٌ مَزُور ، وهو جَدُّ الحَمزات أَينما كانَ كائِنُهم فهُم يَنتَسبُونَ إلى ابنه الدَّاعي حمزة بن أَبي هاشم المذكور .

وفي سنةِ سبعٍ وثلاثين وأَربعمائة وَصلَ الإمامُ الناصر أَبو الفَتح الحُسَيْن بن ناصر بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أَحْمَد بن عبدالله بن علي بن الحُسَيْن بن زَيْد بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب عليه السلام من بِلاد الدَيْلَم[3] إلى اليَمَن ، فجمعَ الأَجنادَ ودَخلَ صَعْدَه فنَهبَها وأَخربَ دُوراً ، وقَتلَ من خَولانَ مقْتَلَةً عَظيمَة ، وسارَ إلى صَنْعَاء

---

(1) – تولاها في ١٢٧٤ هـ .

(2) – نَاعطْ: مدينة أثرية في جبل ثنين أحد جبال قاع البَوْن إلى الشمال الغربي من صنعاء وقد أفاض العلامة الهمداني في وصف قصورها في كتابه الإكليل وفي صفة جزيرة العرب .

(3) – الديلم: في بلاد فارس (إيران اليوم) .

فمَلَكَها وقَبضَ الأعشارَ والواجبات ، واستعملَ عليها رَجُلين من وَلدِ القاسم بن حَسَن الزَيدي ، وولَى قضائَها رَجلاً يُقال لهُ سعيد بن يزيد من بَوادي صَنْعَاء ، ورَجعَ إلى ذِيْبِين[1] فأقامَ فيه بَقيةَ السَّنة ، وهو الذي اختَط ظَفَار داوود[2].

وفي سنةِ ثمان وثلاثين وأربعمائة ، خرجَ الإمامُ أبو الفتح من ذِيْبِين إلى حَدَّان[3] أسفلَ وَادي السِّرّ ، ثُم سارَ إلى عَلِب[4] خارج صَنْعَاء فبَنَى حِصنَ عَلب بالآجُر ، ودَخلَ في طاعَتِه ابن أَبي الفُتوح ، واستَدعا قَبائل عَنْس ، فأقبلَ إليه رُؤساؤهُم مائةً فَبايَعوا الإمامَ ، واستدَعى جعفرَ بن الإمام القاسم العياني ، فوَصلَ إليه فجعلَهُ أميرَ الأُمراءِ وأَعطاهُ الرُبعَ من الخَرَاج ، ثُم فَسدَ ما بينَهُما ، ودَخلَ صَنْعَاء جعفر بن القاسم باستدعاءِ ابن أَبي الفُتوح ، وابن أَبي الحاشدي .

وفي سنةِ تسعٍ وثلاثين وأربعمائة ، ثَارَ علي بن محمد الصُلَيْحي في جبلِ مَسَار من أعمالِ حَرَاز[5] ، فملَكَ اليَمَن من مَكَّة إلى عَدَن في أقربِ مُدةٍ وسيرتُهُ مشهورةٌ وأَخبارهُ مَأثورَة ، ولم يَكُن من أَهله من وَليَ قَبلَهُ ، وإنَّما أَبوهُ القاضي محمد بن علي الصُلَيْحي كان حاكماً في جِهَتِه شَافعيَ المَذهَب مُطاعاً في عَشيرَته ، فَنشأ ولَدُهُ علي بن محمد على طَريقَته في بِدايته ، ولاحَتْ عليه مَخايلُ النَجابَة .

وكان الدّاعي عامر بن عبدالله الزَوَاحي من دُعاة البَاطنيَة في حَرَاز ، ممن يتصل بالقاضي محمد بن علي الصُلَيْحي في أَكثرِ الأَوقات ، ويَركَبُ إليه عندَ الحاجَة ،

---

(١) – ذِيْبِين: بلدة إلى الشمال الغربي من صنعاء تقع بين هضبتين كبيرتين ، في أعلاها حصن مرتفع يعود للقرن الخامس الهجري .

(٢) – ظفار داوود: حصن اثري إلى الشمال من صنعاء بمسافة ٨٥ كم يطلق عليها الآن ظفار الظاهر ونسبت إلى داوود بن الإمام عبدالله بن حمزة ولا تزال بقايا الحصن والأسوار ظاهرة حتى الآن .

(٣) – حدان: قرية إلى الشرق من مدينة رداع .

(٤) – علب: حصن قديم في أعلى جبل حبيش من مركز جبل خضراء وهو اليوم أطلال و خرائب .

(٥) – حَرَاز: مجموعة جبال شاهقة صعبة المرتقى إلى الغرب من صنعاء باتجاه الحديدة وقد وصفها الهمداني بقوله(حَرَاز المستحرزة) .

لِرياسَته وعِلمه وصَلاحه ، فظَهرَ لهُ من شهامةِ ولَده علي بن محمد وسُمُوِ نَفسه ما أَطمعَهُ فيه ، وكانَ فيمَا يَزعُمونَ عندَهُ كتابُ الصُّوَر ، فرأَى صورةَ الصُلَيْحي فيه وأنَّهُ لهُ شأنٌ وأَنَّهُ يَملكُ اليَمَن ، فكَشفَ لهُ عن باطنِ سَريرَته واستجذَبهُ إلى مذهَبه الخَبيث ، ولما حَضرَت الزُوَاحيَ الوَفاةُ أوصَى بجميعِ كُتبه وما قَد جمَعَهُ من المالِ للصُلَيْحي ، فأَقبل علي بن محمد على دَرسِ تلكَ الكُتب ، وكان فَطناً ذَكياً فأَحرزَها ، وسَمَتْ نَفسهُ إلى القيامِ بالدعوةِ وتحدَّثَ كثيرٌ من الناسِ أَنَّهُ سَيَملكُ اليَمَن ، فاجتمعَ بِرجالٍ يَعرفُهم في مَكَّة المشرفة وتَمالَئُوا على إظهارِ الدَعوَة في اليَمَن للقائمِ من العُبَيديين وهو حينَئذٍ المُنتظر ، ثُم رَجعَ من مَكَّة وقَصدَ مَسَارَ حَرَاز وهو جبلٌ عالٍ ، ولما أَرادَ أَنْ يُحصنَ مَسار أنكرَ عليهِ المُسلمون ، وقَصدَهُ جعفر بن القاسم العياني ، ورئيسٌ آخرٌ يُقالُ لهُ جعفر بن العباس ، فَنَزلَ إليهما فأَوقعَ بِهما ، وقَتلَ جعفر بن العباس وتَفرقَ الناس ، وانهزَمَ جعفر بن القاسم .

واستفَحلَ أَمرُ الصُلَيْحي فقَصدَ حَضُوْر[1] واستَولَى علَيها ، واجتمَعت هَمْدان مع ابن أَبي حاشِد وغيرِهم من بني شِهاب وبني الرَاعي فلَقيَهم في صَوْف[2] بالقُرب من قرية يَازِل ، فوقَعت وقعةٌ عَظيمَة يُضرَبُ فيها المَثلُ في اليَمَن فيُقالُ : قتْلَةُ صَوْف[3] ، وقُتلَ ابن أَبي حاشِد وأَلفٌ من هَمْدان ، ثُم سارَ الصُلَيْحي إلى صَنْعَاء فمَلكَها ، وبَثَّ أَعمالَهُ[4] إلى مَخَاليف اليَمَن ، ولَم تَمضِ مُدةٌ يسيرةٌ حتى استَولَى على اليَمَن سَهله ووَعره ، ولقد حَكَى بعضُ المؤرخين أَنَّهُ خَطَبَ في منبَر الجَنَد ، ثُم قال: " في مِثلِ هذا اليومِ يُخطَبُ في منبَرِ عَدَن " ، فاستهزَأَ بعضُ الحاضِرينَ وقالَ: " سُبُوحٌ قُدُوسٌ " ،

---

(١) – حضور: جبل شامخ في بني مطر إلى الغرب من صنعاء والمعروف اليوم بجبل شعيب .

(٢) – صَوْف: قرية في منطقة بني مطر ومكانها تحت جبل عصفرة في الجنوب الغربي من قرية يازل إلى الغرب من صنعاء .

(٣) – قتلة صَوْف: نسبة إلى المقتلة التي حدثت في هذا الموضع .

(٤) – الصواب عُماله ، لعله خطأ من الناسخ .

فأمرَ الصُلَيْحي بالإحتياطِ عليه وحِفظه معهُ ، فبَقِيَ في الحفظ إلى الجُمعة الثانية . وخَطبَ الصُلَيْحي في منبر عَدَن ، فقامَ ذلك الرجل وقالَ : " سُبوحَان قُدوسَان " . وتَعالَى في القولِ بما يُخرجُ عن الطورِ ، وعندَ ظُهور الصُلَيْحي تَقاعدَ الناسُ عن طاعةِ الإمامِ أبو الفتح لِقوةِ شَوكَةِ الصُلَيْحي ، وقَهرِه لسائرِ مُلوكِ اليَمَن ، فجعلَ ينتقلُ من بلَدٍ إلى بَلَد .

وفي سنة أَربعٍ وأَربعين وأَربعمائة سارَ الإمامُ أبو الفتح إلى بلاد عَنْس[1] فقَصدَه الصُلَيْحي إلى قاعِ فَيْد[2] ، فاستشهدَ الإمامُ أبو الفتح في نيفٍ وسبعينَ نفساً من أَصحابه رحمهُم الله في نَجْد الجَاحْ[3]، وعليه مشهدٌ مزور .

وفي سنة ثمانٍ وأَربعين وأَربعمائة خرجَ رُؤساءُ هَمْدان ، وتَفرقوا في البلادِ حتى اجتَمعَ لهُم جَمعٌ غَفير واستَنهَضُوا الشَّريف الفاضل القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني ، وقد تقَدمَ رَفعُ نسبِ جده الإمامِ القاسم عليه السلام ، فلم يَجدْ بُداً من النهوضِ معَهُم ، غيرَ أَنَّهُ لَم يَدعُ للإمامَة مع أَنَّهُ كاملٌ في العلمِ والعَملِ لِمَا تَزعُمُ الحُسَينيةُ منْ حياة المَهدي الحُسَيْن بن القاسم ، وهذا الشَّريف الفاضل وأَخوهُ الأَميرُ ذو الشَرَفين محمد بن جعفر مُنَزَّهان عن هذه العَقيدَة ، لكنَهُما كانَا يَكتُمان عن الحُسَينية مُعتَقَدهُما تأَلُفاً لهُم ومُداراةً كَونَهُم أنصارَهُم وأَعضادَهُم كَما نَقلَ ذلِكَ عنهُم بعضُ أَهلِ السِّيَر .

فنهَضَ الشَّريف الفاضل مع هَمْدان إلى صَنْعَاء وحاوَلَ الشَّريف غزوَّ عَسكرِ الصُلَيْحي إلى بَلدَةِ قَرَاتل[4]، فلَمْ تُساعدهُ هَمْدان ، فَصبَّحَهُم عَسكرُ الصُلَيْحي فَوَلَوا

---

[1] – عَنْس: قبيلة كبيرة لها أراضي واسعة في مغرب ذَمَار ومشرقها وهم بنو عنس بن مالك من قحطان .

[2] – قاع فَيْد: سهلٌ إلى الشرق من ذمار .

[3] – نَجْد الجاح: من أرض تَهَامَة .

[4] – قراتل : وردت في المطبوع "قواتل" ، والصواب قَرَاتِيل : وهي قرية ووادٍ من همدان غربي صنعاء بمسافة ١٥كم تقريباً .

مُنهَزمين ، وثَبتَ الشَّريف الفاضلُ وأَخوهُ فقاتُلا قتالاً شَديداً حَتى لَم يَبْقَ معَهُما أَحد ، فرَجعَا إلى الهَرَابة[1] ـــ أَكَمَةٌ في بلادِ وَادعَة الظَّاهر قَريبَةٌ من الحِصنِ الذي فيه مَشهَد الشَّريف الفَاضل ـــ فجَمَعَ الشَّريف إليها أهلَهُ وكَثيراً من شيعَته ، فنَهضَ إليهم الصُلَيْحي في جيشٍ عَظيمٍ فحاصَرهُم وضَيَّقَ علَيهم ومُنعُوا من الماءِ فَبَقوا سبعينَ ليلةً ، ونَصبَ علَيهم المَنجَنيقات والعَرَادات ، فَصبَروا على الحِصارِ صَبراً لم يُعهَدْ مثلُهُ في سالفِ الأَعْصَار ، وقاتَلُوا جُنْدَ الصُلَيْحي قتالاً عظيماً ، حتى ماتَ من المَحصُورينَ الكثيرُ عَطشاً واضطُر الشَّريف الفاضلُ ومن معَهُ إلى الخُروجِ إلى الصُلَيْحي ، ولما وَصلَ الشَّريف الفاضلُ إليهِ أكرَمهُ وخَلعَ عليه ، وأَخربَ الهَرَابة وعَجبَ من صَبرِ أَهلِها ، وقال: " لو مَلَكتُ رِجالاً كرجالِ الهَرَابة لأَخَذتُ بهم العِراق والرُوم " .

وفي سنةِ تسعٍ وأَربعين وأَربعمائة ، أَطلَقَ الصُلَيْحي الشَّريف الفاضلَ ، وعَزمَ الحَج ورَجعَ إلى بِلادِ خُثْعُم بالحِجَاز، ثُم سارَ الشَّريف الفاضلُ إلى مَكَّةَ المُشرفة فأقامَ فيها سبعَ سنين ، فوَردَت عليه كُتُبِ أَهلِ اليَمَن بقيامِ الشَّريف الدَاعي العالم حمزة ابن الإمامِ أَبي هاشم بن الحَسَن بن عبدالرحمن المتقَدمِ ذِكرُ نَسبهِ ، وأَنَّ وصُولَهُ مُتحَتمٌ للمُعاضدةِ على حَربِ الصُلَيْحي ، فرَجعَ إلى اليَمَن .

وفي سنةِ اثنين وخمسين وأَربعمائة ماتَ نَجَاح صاحِبُ زَبيْد بالسُّم في مدينةِ الكَدْرَاء ، ذَكرَ أَهلِ التاريخِ أَنَّ الصُلَيْحي دسَّ إليهِ السُّمَ على يدِ جاريةٍ أَهدَاهَا إلى نَجَاح ، وكانَ يَهابُهُ ولا يَتمكنُ من الاستيلاءِ على مَملَكتهِ ، فلَما هَلَكَ نَهضَ الصُلَيْحي إلى تَهَامَه فاستَولَى عليها وعلى مَملَكَةِ زَبيْد .

---

[1] – الهَرَابة: حصن اشتهر بالقرن الخامس الهجري حيث تحصن فيه الأمير القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم لما حاصره جيش الصُلَيْحي عام ٤٤٨ هـ ، وموقعه في منطقة وَادِعَة حاشد من بلاد حمر إلى الشمال الغربي من صنعاء .

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة كَتبَ الصُلَيْحي إلى المُستَنصرِ العُبَيدي صاحبِ مصر وأَرسلَ إليه بهَدية عَظيمَة ، واستأذَنهُ في إظهارِ الدعوَة في اليَمن فأذنَ لهُ وأَرسلَ إليه بالخِلَع والرَايات وكَتبَ لهُ الألقَابَ ، وعَقدَ لهُ الولاية على جَميعِ اليَمن .

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة سارَ الصُلَيْحي إلى مَكَّة المُشرفة وأَنفقَ فيها نَفقةً عَظيمَة ، وحَمَلَ إليها الأَقواتَ من جميعِ الجِهَات ، ثُم عادَ إلى تَهَامَه وفيها أَولادُ نَجَاح ، فخرَجُوا إلى جَزيرَة دَهْلَك[1] .

ولم تخرُج هذه السنةُ حتى استولَى الصُلَيْحي على جميعِ اليَمَن ، سَهلِه ووَعرِه ، بَرِه وبَحرِه ، واتخَذَ صَنْعَاء دارَ مُلكِه وعَمَّرَ بها قُصوراً ، وجمعَ مُلوكَ اليَمَن الذين أَزالَ مُلكَهم وأَسكَنهُم لديه في صَنْعَاء.

وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وَجَهَ الصُلَيْحي إلى زَبيْد وأَعمالِها صِهرهُ أَسعد بن شهاب ، وكانَ قد أَقسمَ على نفسه أَنْ لا يُولِيَ زَبيْد إلا من حملَ إليه مائةَ ألف دينار ، ثُم حمَلَت إليه زوجتُهُ أَسماء بنت شهاب مائةَ أَلف دينار من مالِه عن أَخيها أَسعد بن شهاب ، فقالَ لها : " أَنّى لَكِ هَذْا ؟ " ، قالت : " هُوَ مِنْ عِنْد اللهِ " ، قال : " هذه بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا " ، قالَت : " ونَميْرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا ".

فلما وَلِيَ أَسعد بن شهاب التَهَائِم ، أَحسنَ إلى الرَعيةِ وسارَ بالعدلِ ، وعامَلَ أَربابَ الدَّولة النَجَاحيَة مُعامَلَةً حَسَنَةً ، و رُبَّما ظَفَر بِبَعضِهِم فعفَى عنهُم ، وكان يَحمِلُ إلى الصُلَيْحي خَراجَ التِهَائم في كُلِ سنةٍ أَلفَ أَلف دينار بعدَ المُؤَن اللازِمَة .

وفي سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة ، قامَ الأَميرُ العالِمُ الزاهد حمزة بن أَبي هاشم لِمُحاربة الصُلَيْحي في جيشٍ كثيرٍ قَدرَ ثمانيةِ آلآف ، فخرجَ لِقتاله عامر بن سليمان الزُوَاحي في

---

[1] – دهلك : أرخبيل من الجزر يزيد عن مائة جزيرة أغلب سكانها من الهجرات اليمنية المتعاقبة ، وتشكل دهلك الكبير أكبرها ، تبعد عن الحديدة أكثر من ٥٠كم داخل البحر الأحمر ، فيها آثار عربية و إسلامية وشواهد قبور تعود للمائة الثالثة للهجرة ، شديدة الحرارة والرطوبة كانت منفى للمغضوب عليهم من المعارضين للدول المتعاقبة .

أَلف وخمسمائة فارسٍ وعشرة ألآف راجلٍ ، فوَقعت بينهُما حُروبٌ قُتلَ الشَّريف حمزة ابن أَبي هاشم الحمزي شهيداً بالمَثْوَه[1] في بلادِ نِهْم من بَلد الخَشَب ، وقد وَقفَ لَديه سبعونَ شَيخاً من هَمْدان يُقاتلونَ حتى قُتلوا عن آخرِهم رحمهُم الله ، ولم تَطُلْ مُدة الصُلَيْحي بعدَ هذه الوَقعةِ ، فإنَّهُ في هذه السَّنة تَجهزَ الصُلَيْحي للمَسيرِ إلى مَكَّة المُشرفة ، وقيلَ كانَ قَصْدُه السَيرَ إلى مِصر لِزيارَةِ العُبَيدي وتَولي أَمرِ الديارِ المصريَة ، واستَخلفَ على اليَمَن ولَدَهُ المُكَرَّم أَحْمَد بن علي ، وسارَ في أُبَّهةٍ عَظيمَة ومُلك كَبير ومعهُ جميعُ آل الصُلَيْحي ومُلوكُ اليَمَن الذينَ أَزالَ مُلكَهُم ، وصَحبَتهُ كثيرٌ من الخيلِ والرِجال ، وبينَ يَدَيه خمسمائَة فَرَسٍ من مَراكِبه الخاصَة بالسُروجِ و الذَّهب والفضة ، فلَما وَصلَ تهَامَه نَزلَ بِظاهرِ المَهْجَم[2] ، وضَربَ مُخيمَهُ في ضَيعةٍ تُعرف بأُمِ الدُهَيْم وبِئرِ أُمِ مَعْبَد ، وخَيَّمَت عساكرُه والُملوكُ الذينَ معَهُ حولَه.

وكانَ أَولادُ نَجاح بعدَ أَنْ أَزالَ مُلكَهُم في دَهْلَك ، فلما بلغَ سعيدُ الأَحوَّل بن نَجاح مَبلَغَ الرِجال ، خرجَ منها إلى وادي زَبِيْد ، ولَمْ يَزَل يَترَقَّب فُرصَةً في استرجاعِ مَملكَة أَبيه ، وقَد شاعَ على أَلسنَة المُنَجمينَ أَنَّ سعيدَ الأَحوَّل يَقتلُ الصُلَيْحي ويستَعيدُ مَملكَةَ التهَائم ، فلَما سَمعَ بخُروجِ الصُلَيْحي ونُزولهِ التَهائم ، كَتَبَ إلى أَخيه جَيَّاش وهوَ في دَهْلَك يَستَدعيهِ لِغَزوِ الصُلَيْحي ، وأَمَرهُ أَنْ يستَنهِضَ من وَجدَ من مَواليهم ، فوَصلَ جَيَّاش في أَربعمائَة نَفَر ، وخرجَ سَعيد في سبعينَ من عَبيدهم ، لم يَكُن معَهُم سِلاحٌ إلا جَريدُ النَخلِ ، قَد جعَلُوا على رُؤُوسِها مَساميرَ الحَديد ، فَبلَغَ الصُلَيْحي خُروجَهُم من دَهْلَك ، فوجهَ إليهم من استخدَمَ من عبيدِهم قَدْرَ خمسة آلاف حَربَة ، وأَمَرهُم أَنْ يَأتُوا بِرأسِ الأَحْول بن نَجاح وأَخيه جَيَّاش ، فخالَفُوهُم في الطَريقِ ، فلَما

---

[1] – المثوه : حصن مَثْوَه في وادي زَبِيْد جنوب غرب ذَمَار وهو اليوم أطلال وخرائب .

[2] – المَهْجَم : مدينة تهَامية مشهورة تقع شرقي مدينة الزيدية وقد ذَكَرها الهمداني في صفة جزيرة العرب .

وَصلَ بَنُو نَجَاح إلى أَطْرَاف مَحطَة الصُلَيْحي[1] ، دَخَلُوا في غمار النَاس وظَّنَ من شَاهدهُم أَنَّهُم منْ عَبيد مَنْ في المُخَيَّم ، وقَد أَصابَ بني نَجَاح الجُوعُ والعَطَش ، فقَصدَوا خَيمةَ الصُلَيْحي ، فعَرفهُم أَخوهُ عبدالله بن محمد بن الصُلَيْحي ، فقالَ لأَخيه: " إركَب يا مَولانَا فَهذا والله الأَحول بن نَجَاح " ، فقالَ: " إنِّي لا أَموتُ إلا بأُم الدُهَيْم ، وبئْرِ أُم مَعبَد " ، مُعتَقداً أَنَّهَا أُم مَعبَد الخُزاعية التي نَزلَ بها رَسولُ الله ﷺ حينَ هَاجرَ المَدينةَ المُشرَفَة ، فقالَ لهُ رَجلٌ من جُلَسائه: " قاتل عَن نَفسكَ فَهذه والله أُم الدُهَيْم و بئر أُم مَعَبد " ، فلَحقَهُ اليَأسُ منَ الحياة وَبالَ في ثيابه من خَوفه ، ولَم يَبْرح من مَكانه حتى قُطعَ رَأسهُ بسَيفه ، وكانَ أَخوهُ عبدالله بن محمد الصُلَيْحي قَد أَرادَ الرُكوبَ ، فتَعلقَ به أَصحابُ الأَحول حتى طَرحُوهُ فقَتلُوه ، وقَتلُوا من حَضرَ من الصُلَيْحيين ، ورَكبَ الأَحول فَرسَ الصُلَيْحي المُسمَّى بالدَيَّان ، وركبَ أَخوهُ جَيَّاش فَرَسَ عبدالله بن محمد الصُلَيْحي ، ورَفعُوا الرَأسَين على الرِمَاح ، ونَادى المُنادي في العَسكَرِ : إنَّ الصُلَيْحي قَد قُتلَ فافتَشَلَ العَسكَرُ وذَهبُوا في كُلِ وَجه وتَخطَفَتهُم القَبائل ، واستَولَى [بَنُو] نَجَاح على خزائن الصُلَيْحي ، وكانَت أَسماءُ بنتُ شهاب زَوجَةَ الصُلَيْحي معَهُ فأَسرَها الأَحوَّل وجَعلَ رَأسَ زَوجِها وأَخيه أَمامَ هَودَجها في رَأسِ المظَلة ، فقالَ العُثماني من شُعراءِ دَولَةِ الصُلَيْحي يُهَنئُ سعيد الأَحوَّل ويَذُمُ الصُلَيْحي بعدَ قَتْله شعراً :

بَكَــرَتْ مظَلَتهُ عَليه فَلَمْ تبتْ إلاَ عَلَى المَلك الأَجَلِ سَعيْدهَا

مَا كَانَ أَقْبَحَ رأَســهُ فِي ظلهَا مَا كَانَ أَحْسَنَ رأَسَـهُ في عُودهَا

[1] – محطة الصُلَيْحي : مكان توضعه وعساكره وحيث يحط الرحل .

سُودُ الأَرَاقِمِ قَابَلَتْ أُسْدَ الشَرَى وَاهَاً لِفَرْطِ أُسُودِهَا مِنْ سُودِهَا[1]

وأَقامَت الحُرةُ أَسماء بنت شهاب في أَسرِ الأَحول ثمانيةَ أَشهر ، وقيلَ سنةً حتى كانَت سنةُ ستين وأَربعمائة فأَعملَت الحِيلَةَ بأَن جَعلَت كتاباً لطيفاً إلى ولَدها المُكَرَّم أَحْمَد بن علي ، وذَكرَت فيهِ أَنَّها قَد صارَت حاملاً من العَبدِ الأَسوَد ، ولَم يكُن الأَحول قَد رَآها ولا عرَفَها ، وإنما أَرادَت أَنْ تُثيرَ حَفَائظَ العرَب ، وتَلَطفَت بأَنْ جعلَت الكتابَ في باطِنِ رَغيف ، ورَمَت بهِ إلى الفَقيرِ الغَريب وهوَ من أَهلِ المَشرِق[2] فأَوصلَهُ إلى ابنِها المُكَرَّم ، فلَما قرأَهُ أَظهرَهُ على سائرِ العرَب ، فَدَبت الحَميَّةُ والهِمَمُ العَربيةُ من رُؤُوسهِم فخرجَ المُكَرَّم في ثلاثةِ آلآف فارسٍ غيرِ الرَاجلَة ، ولَما بَرزَ الجَيشُ قالَ لهُم المُكَرَّم : " إنَّكُم ستُقدِمونَ على الموتِ أَو العز ، فمَن كانَ منكُم يَرغبُ في الحياة فليَرجِع ، ومن كانَ عازِماً على الموتِ فليَتقَدم " ، فرَجعَ القَليلُ منهُم ونَفَذَ في شُجعانِ القَوم ، فلَما وَصلَ التُّرَيْبَه[3] صَلَّى فيها الفَجر ، ثُم رَكبَ ورَكبَ أَصحَابُهُ وقَصدَ بابَ الشَبَارِق[4] ، وخرجَ إليهِم سعيد الأَحول في عشرينَ أَلفِ حَربَة ، ثُم انطَبَقَ عليهِم الجَناحانِ من عَسكَرِ المُكَرَّم ، ومَالَوا عليهِم مَيلَةً واحدةً ، وهرَبَت الحَبَشَة فتَبعَتهُم الخَيلُ فقَتَلوهُم حتى لَم يَنجُ إلا القَليلُ منهُم ، وفَرَّ الأَحول إلى جَزيرَةِ دَهْلَك.

ودَخلَت العربُ زَبِيْد وكانَ أَولُ فارسٍ وَقَفَ تحتَ طاقَة الحُرة أَسماء بنت شهاب ولَدُها المُكَرَّم ، فقالَت : " من أَنتَ حَياكَ الله ؟ " ، قالَ : " أَنا أَحْمَد بن علي " ،

---

[1] – سود الأراقم : الأفاعي السوداء جاءت من قبيل الذَّم والتحقير ، أُسد الشرى : قال الفيروز أبادي:الشرى جبل بتَهَامَة كثير السباع .

[2] – أَهلُ المشرق : مشارق صنعاء ومشارق ذمار والمَخَاليف الشرقية في اليَمَن الأعلى .

[3] – التُّرَيْبَه: قرية كبيرة قرب زَبِيْد وهي من بلاد الأشاعر من أرض تَهَامَه .

[4] – باب الشَبَارِق: أحد أبواب مدينة زَبِيْد .

فقالَت : " إنَّ أَحْمَد بن علي في العرب كَثير " ، فَرَفَعَ المغفَرَ[1] عن وَجهه فعرَفَتهُ ، فقالَت : " مَرحباً بِمَولانَا المُكَرَّم ، من جاءَ بِمثلِ مَجيئكَ فَما أَبْطَأَ ولا أَخْطَأَ " ، وحينَ رَفَعَ المِغفَرَ وقَد عَطَشَهُ[2] العَرَقُ في القِتالِ ، ضَرَبتهُ الرِيحُ فارتَعَشَ بَدَنُهُ وأَصابَهُ الفَالِجُ .

ودَخلَ رؤُساءُ العرَبِ على الحُرةِ أَسماء ، فسَلمَت عليهِم وهي بَارزَةٌ وجهَها ، وكانَت عادَتَها في أيامِ زَوجِها علي بن محمد بن الصُلَيْحي ، فاستَقَر المُكَرَّم أياماً في زَبيْد ، ثُم وَلَّى عليها خَالَهُ أَسعد بن شهاب ، ورَجعَ إلى صَنْعَاء مَفلُوجاً ، فَفَوضَ جميعَ أَعمالِ المَملكَةِ إلى زَوجَتِه السيدةِ الملكة أَرْوَى[3] بنت أَحْمَد بن محمد الصُلَيْحي وكانَت من أَعظَمِ النِساءِ في وَقتِها عَقلاً وأَدَباً وحُسنَ سياسَة ، حتى قيلَ لَها بَلْقيْسُ الصُغرى .

وفي هذهِ السَّنة تَوَجهَ المُكَرَّم إلى بِلاد ذَيْبَان من بِلاد بَكيل فخرجَ عنها الشَّريف الفاضل القاسم بن جعفر[4]، وفي شهرِ رمضان من السَّنةِ المذكورةِ دَخلَ الشَّريف الفاضل وأَخوهُ الأَميرُ ذو الشرفين حصنَ شُهَارة المَشهور واتخذَها دارَ وَطَن ، فتَجهزَ عليهِم المُكَرَّم في أَجْناد عَظيمَة ومعَهُ أَعيانُ بني الصُلَيْحي فحَاصرَهُم ، ثُم رَجعَ إلى صَنْعَاء وترَكَ بَقِيةَ بني الصُلَيْحي على حِصارِ شُهَارة ، فنَزلَ إليهم الأَميرُ ذو الشَرَفين محمد بن جعفر في اللَيلِ فأَوقَعَ بِهِم وَقعَةً عَظيمَة ، قَتلَ من أَجْنادهم قَدرَ ثمانمائة نَفر ، فانهَزَموا وعادَ الأَميرُ ذو الشَرَفين إلى شُهَارة مُؤيَداً مَنصُوراً ، ومابَرِحَ القتالُ بينَ ذي الشَّرَفين وأَجْنادِ الصُلَيْحي في اليَمَن الأَعلَى واستَولَى ذو الشرفين على أَكثرِ البِلادِ ،

---

[1] – المغفر: اللثام ، واقي الرأس ، غطاء .

[2] – عطشه: ورد في المطبوع غطسه ولعله الصواب .

[3] – اختلف المؤرخون على إسمها ، أهي السيدة أم أروى ، وقد قطع القاضي إسماعيل الأكوع بأن إسمها السيدة بنت أحمد .

[4] – الشَريف الفاضل: القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني ، كانَت بينه وبين الصُلَيْحيين ملاحم في بلاد وَادِعَه وقَتَلَه أَهلُ الجَوْف في بِلادهم غيلة ودُفنَ في وَادِعَه .

مثلَ الحَيْمَتَين[١] ، وحَرَاز ، وجبلِ مَسْوَر ، وبلاد الشَرَفَين ، وصَعْدَه ، والظَّواهر ، وحاصَرَ أَهلِ صَنْعَاء حتى ضَعُفَ أَعوانُ الصُلَيْحي ، ثُم نَظَرُوا إلى كَثْرَة النَفَقات على أَهلِ المَعاقل وقِلة المَوارِدِ من البلادِ التي تحتَ أَيديهم ، فرَفَعوا أَجْنادَهُم من كثيرٍ من البلادِ واستَقَلوا بصَعْدَه وبِلادِها ، والجَوفَين والظَّاهر وشُهَارة وما يَليهَا مثلَ الشَرَفَين وظُلَيمَة[٢] والسُّودَة.

وفي سنةِ ثمانٍ وستين وأَربعمائة سارَ الشَّريف الفاضلُ إلى الجَوفَين[٣] ، واستَقَرَّ فيه بأَهلِه وشيعَته ، وأَقبَلَ على أَعمالِ الزراعَة ، وأَحيَا مواتَ الأَرضِ ، وأَخذَ على أَهلِ تلكَ الأَرضِ العَهدَ المُغَلَّظَ في الإستقامَة على طاعَته وحُسنِ جوارِه ، فوَقعَ من قَبائلِ نِهْم الغَدرُ والنُكْثُ فقَتلُوهُ غَدراً ومَضى شَهيداً ، وقُتلَ معَهُ الشَّريف القاسم بن إبراهيم من قَرابَته في شهرِ ذي الحجة من السَّنة المَذكورة رَحمَهُما الله تعالى ،ونُقلَ إلى مَشهَده المُبارك بالحصنِ من وَادعَةَ الظَّاهر وهو مَزُورٌ مَشهُور ، ويُقالُ إنَّ المُعاملَ على قَتله المُكَرَّم الصُلَيْحي ، واللهُ أَعلَم .

وفي سنةِ تسعٍ وستين وأَربعمائة نَهضَ الأَميرُ ذو الشَرَفين إلى الجَوْف للأَخذِ بثَأرِ أَخيه الفَاضلِ ، فأَوقعَ بأَهلِ القُرى[٤] التي قُتلَ فيها ، وَفَّرَ عنهَا أَهلُهَا ، وقَد قَتلَ منهُم طائفةً ، وأَمرَ بِقطعِ رُؤوسِهِم وأَنْ تُحمَلَ إلى قريَةِ غروا[٥] وأَمرَ بِنبشِ قَبرِ أَخيه الفاضل ونَقله كَما ذَكرَنا .

---

[١] - الحَيْمَتَين : الحيمة الخارجية والحيمة الداخلية من أعمال صنعاء .

[٢] - ظليمة : بضم الظاء ، جبل واسع و آهل من بلاد حاشد إلى الشمال من صنعاء .

[٣] - الجوفين : الجوفان واد وبلدة من (مديرية) حرف سُفْيَان إلى الشمال من صنعاء .

[٤] - القرى: ورد في المطبوع أنفرا ، ولم أجدها فيما رجعت إليه .

[٥] - غروا : لم أجدها ولعلها قرية عُرْوَ من أعمال صعدة .

وفي سنة خمسٍ وسبعين وأربعمائة ، بَعثَ ذو الشَرَفين ولَدَهُ جعفر في عدةٍ من الأَشْراف والسَلاطينِ إلى بلادِ عُذَر وبلاد الجَبْر[١] لأَسباب أَوجَبت ذلكَ ، فلَما وَصلَ إلى بلادِ عُذَر أَصلَحهَا وأَدَّبَ أهلهَا ، ثُم نَهضَ إلى قَريةِ الصَّايَةِ[٢] من الجَبْر فقَتلَ منهُم كثيراً وأَسرَ جماعَةً وأرسلَ بِهم إلى أَبيه وهوَ في شُهَارة.

قالَ صاحبُ السيرةِ : " ولَقَد كانَ في هذهِ القَريةِ من المُنكَرات ما لا يُقدَرُ قَدرُهُ ، فإنَّ أَهلَها عَكَفُوا على شُربِ الخُمورِ وارتكابِ الفُجورِ ، وبَلغَ بِهمُ البَطَرُ والأَشَرُ إلى أَنَّهُم سَمَّوا الفَواسِدَ والبَغَايا بِأَسماءِ أَكابِرِ الأَشْراف " .

وفي سنة ثمان وسبعين وأَربعمائة ، ماتَ الأَميرُ ذو الشَرَفين محمد بن جعفر رحمَهُ الله في شُهَارة ودُفنَ فيها وقَبرُهُ مَشهُور ، وشُهَارة تُنسَبُ إليه فيُقَالُ لَها شُهَارة الأَمير ، وبايَعَ أَصحَابهُ لِولَدِهِ جعفر بن محمد ، وهو أَخرُ من وَلِيَ الأَمرَ من أَولادِ القاسم العيانِي عليه السلام .

وفيمَا مَضى من السنينِ لَعلها [سَنَةُ] تسعٍ وسبعين وأَربعمائة ، أَعمَلَت السَيدةُ المَلكةُ بنت أَحْمَد بن محمد الصُلَيْحي الحِيلةَ على قَتلِ سعيدِ الأَحول بن نَجَاح ، فأَمَرَت حُسَيْن التُبَّعِيَ عاملَ بَعْدَان والشعر[٣] أَنْ يُكاتبَ سعيد الأَحول أَنَّ المُكرَّم قد صارَ مَفلُوجَاً ، ولَم يَكُن أَمرُهُ إلا بيدِ امرأَةٍ ، وأَنتَ الآنَ أَقوى سَلاطينِ اليَمَن وتَملكُ البلاد ، أَحبُ إِلَينَا من الصُلَيْحي ، فإذا رَأَيتَ أَنْ تَنهَضَ من تَهامَه ونَحنُ من الجبال .

فلَما وَصلَ إليهِ الكتابُ إستَحَثه الطمَعُ ، وخرجَ من زَبيْد في ثلاثينَ أَلف حَربَة ، وقَد كَتبَت السَيدةُ إلى عمر بن مفضل وأَسعد بن شهاب أَنْ يَخلُفَا سعيد الأَحول على زَبيْد

---

[١] – عُذَر وبلاد الجَبْر : عُذَر قبيلة كبيرة من حاشد منازلهم إلى الشمال الغربي من صنعاء ، وبنو جبر : فرع من قبيلة خارف من حاشد منازلهم ببلدة ذِيْبِيْن ودرب هرَّان إلى الشمال من صنعاء أيضاً .

[٢] – الصاية : قرية في بني مديخة بالشرف الأسفل من مخْلاف حَجَّه تبعد عن صنعاء شمالاً أكثر من ١٢٠ كم .

[٣] – بَعْدَان : جبل مشهور يطل على إب من الشرق ، فيه قرى ومزارع وحصون كثيرة .

والشعر من أعمال إب تبعد عنها حوالي ٤٥ كم .

، فخَرجا في ثلاثة الآف مُقاتل ، فوَصَلا زَبيْد بعدَ خُروجِ الأَحولِ منهَا ، فدَخلاها وتَفرقَ أَولادُ نَجاح في الجِهاتِ ولَحقَ جَيَّاشُ بأَرضِ الهِنْدِ ، وأَمَا سعيد الأَحول فإِنَّهُ لَما قَرُبَ من حِصنِ الشعْرِ ، طَبقَت علَيه أَجْنادُ السَيدة وابن التُبَّعِ في وادٍ ضَيق ، فقُتِل سعيدُ الأَحول وأَصحابُهُ جميعاً إلا مَنْ شَذَّ منهُم ، وكانَت أُمُ المَعارِكِ زَوجَةُ الأَحول معَهُ ، فجعَلُوا يَعرِضُونَ رُؤوسَ القَتلى فلَما رَأَت زَوجَها عَرَفَتهُ ، فاحْتَز رَأسَهُ وجُعِلَ أَمامَ هَودَجِهَا كَما فَعلَ سعيدُ الأَحول مع أَسماءَ بنت شهاب ، حينَ قَتلَ علي بن محمد الصُلَيْحي ، وسَارُوا بأُمِ المعارِكِ إلى السَيدةِ بنت أَحْمَد ، فَسُرَّت سُروراً عَظيماً ، وقالَت: " لَيتَ أَسماء بنت شهاب شَهِدَت هذا اليَوم " .

ولما قُتلَ الأَحول استَعملَ المُكرَّمُ خالَهُ أَسعدَ بن شهاب ، فأَحسنَ المُعامَلةَ مع أَهلِ زَبيْد ومَوالِي بني نَجَاح ، وأَمَا جَيَّاش بن نَجَاح فإِنَّهُ سارَ إلى الهند وصَحبَهُ الوزيرُ خَلَف ابن طاهرِ الأموي ، فمَكثَ في الهِند سَنَةً واشتَرى جاريَةً هُنالك ، ثُم خرجَ إلى اليَمَن ، فلَما وَصلَ إلى عَدَن أَمرَ الوزيرَ خَلَف أَنْ يتقَدمَه إلى زَبيْد ويَستأمِنَ لنفسه ويُخبِرَ بموتِ الأَميرِ جَيَّاش في الهندِ ، لأَجلِ أَنْ يُخفي خَبَرُه ، وأَنْ يَكشفَ لهُ حَقيقَةَ أَحوالِ زَبيْد ، ثُم صَعدَ إلى ذي جِبْلَة على هَيئَة الهُنودِ من تَطويلِ الأَظافِرِ والشَّعرِ ، ووَضعَ خِرقَةً على إِحدَى عَينَيه فعَرفَ أَحوالَ المُكرَّم ، ثُم انحَدرَ إلى زَبيْد ، فاجتَمعَ بوَزيره خَلَف فأَخبَرهُ بما طابَتْ به نَفسهُ من وفُودِ أَوليائه وأَقاربِه في زَبيْد ، فَلَبثَ جَيَّاش في مَنزِلٍ قَريبٍ من مَنزِلِ ابن القَيِّم وَزيرِ أَسعد بن شهاب ، وقَد كانَت جَرَت بينَ ابن القَيِّم وأَسعد بن شهاب مُنافَرَةٌ ، فسَمعَهُ جَيَّاش وهو يَقول: " لَو وَجدْتُ كَلباً من آل نَجَاح لَمَلَّكْتُه زَبيْد " ، فطمعَ جَيَّاش في انخراطِ ابن القَيِّم في طاعَته .

وكانَت لِجَيَّاش اليدُ الكُبرَى في لَعبِ الشَّطرَنْج ، فدَخلَ يوماً على الوزيرِ ابن القَيِّم وهوَ على هَيئَة الهُنود ، وكانَ الوزيرُ بارِعاً في هذه الصناعَة ، فلَعبَ معَهُ وخَفَّ عليه ، وما زالَ يَستَدعيه يَلعَبُ وهوَ يَظنهُ من الهُنود ، وكانَ جَيَّاشُ يُظهرُ لِلوزيرِ العَجزَ عن

مُقاوَمَته ، وفي بعضِ الأيامِ أَظهَرَ جَيَّاشُ صَنعَتهُ وشَدَ على الوزيرِ بلَعبِ الشَّطَرَنْج فغَلبهُ ، فلَطمَهُ الوزيرُ لَطمَةً مُنكَرَةً ، فنَهضَ جَيَّاش مُغْضَباً ، وقالَ: " أَنا أَبو الطَّائي " ، وهيَ كُنيَةُ جَيَّاش التي يَعلَمونَها ، أَخرجَهَا الغَضبُ ، فَسمعَهُ الوزيرُ ابن القَيِّم فبادَرَ إليه وأَخرجَ مُصحَفاً من تحت يَمينِه وحَلفَ لهُ يميناً ، وانعَقدَ الأَمرُ بينهُما على إظهارِ الأَمرِ والوثُوب على عاملِ الصُلَيْحي ، وكانَ جَيَّاش قَد أرسلَ إلى الحَبَشَة فاجتَمعَ لهُ من زَبِيْد ومَا حَولَها خمسةُ آلافِ حَربَة[1] ، فأَخبرَ ابن القَيِّم بذلكَ فقالَ لهُ: " قَد مَلَكتَهَا فَقُمْ وأَظهِرْ أَمرَكَ " ، وكانَت دارُ الأَغَّرِ ابن الصُلَيْحي قد أُخليَت لجَيَّاش ، ونُقلَت جاريَتهُ إلَيها فوَضَعَت لهُ فاتِك بن جَيَّاش تلكَ الليلَةَ ، ويُحكَى أَنَّ بعضَ المُنَجِّمينَ أَخبرَهُ أَنَّهُ سَيملِكُ الأَمرَ حينَ تَضَعُ الجاريَةُ الهنديَةُ حَملَهَا فوَقَعَ ذلك .

ثُم إنَّ ابن القَيِّم أَمرَهُ بِضَربِ الطُبُولِ والأَبواقِ ، واجتَمعَ أَصحابُهُ ، وثارَ معَهُم عامَةُ المدينَة ، فقَبضَ أَسعدَ بن شهاب وقَبضَ المدينَةَ ، ثُم أَطلَقَ أَسعد بن شهاب وأَحسنَ إليه وإلى أَهلِه وأَصحابِه مُكافأَةً لِحُسنِ صَنيعِه معَ مَوالي آلِ نَجاح ، ولَم يَمضِ الشهرُ حتى عادَ مُلكُ آلِ نَجاح كَما كان .

وفي سنة أَربعٍ وثمانين وأَربعمائة ، ماتَ المُكَرَّم أَحمَد بن علي الصُلَيْحي ، وكانَ شُجاعاً كَريماً أَديباً شاعِراً فَصيحَاً ، يُثِيْبُ على الشعرِ ويَمدَحُ ، كما قالَ فيه الحُسَيْن ابن القُم الشاعرُ المشهور:

وَلَمَّا مَدَحْتُ الهِزَبْري ابنَ أَحْمَد ... أَجَازَ وَكَافَئَني عَلَى المَدْحِ بِالمَدْحِ
وَعَوضَني شِعْراً بِشعْرٍ وَ زادَني ... نَوالاً فَهَذا رَأْسُ مَالِي وَ ذَا رِبْحِي

---

[1] – مُقاتل من أنصاره وعبيده .

وكانَ مُستَقر مُلكه حصنهُ المُسَمَّا أَشْيَح[1] في بِلاد آنس ، وهوَ نَظيرُ مَسْارِ حَرَاز في الإرتفاعِ والحَصانَة ، وكانَت حُصونُ بَني المُظَفَّر مُشرِفَةً على زَبيْد ، ولَم تَزَل الحُروبُ بينَهُم وبينَ آلِ نَجَاح سِجَالاً ، هُم وأهلُ زَبيْد ، فَمنها يومُ الكَظَائم[2] ، نَزلَ الأميرُ سَبَأ في ثلاثة آلافِ فارس وعشَرة آلافِ رَاجلٍ ، فلَقيَهُ جَيَّاش في أَجْناده وقَد استَعانَ بالشَريف يحيى بن حمزة بن وَهَّاس فجَعَلَهُ جَيَّاش كَميناً ، فلَما وَصلَ الداعي سَبَأ وشَرعَ الحَربُ ظَهرَ الكَمينُ ، وحَملَ جَيَّاش وأَصحابُهُ فانهَزمَ الداعي سَبَأ على رِجلَيه حتى أَركَبهُ بعضُ عَبيدِهِ على جَواده ، ولم يَزل بَنو نَجَاح وبَنو الصُلَيْحي يَتصاوَلونَ على مُلْك تَهامَه ، فإذا حَصلَ الشتَاءُ نَزلَ الصُلَيْحيون تَهامَه وقَبَضُوا خَرَاجَها ، وإذا وَصلَ الصيفُ رَجعَ بَنو نَجَاح من دَهْلَك واستَولَوا على تَهامَه واحتَسَبُوا لِلرعية بِما جَباهُ الصُلَيْحيون .

وفي سنة خَمسٍ وثمانين وأَربعمائَة ، ماتَ زُرَيْع بن العَباس[3]، صاحِبُ عَدَن وهَؤُلاء بَنو زُرَيْع كَانوا عُمالاً لآلِ الصُلَيْحي ، فلَما ضَعُفَت دَولَةُ الصُلَيْحيين في اليَمَن تَغَلبوا على عَدَن وأعمالِها ، واستَقلوا بالأمرِ فيها .

وفي سنةِ إحدَى وتسعينَ وأَربعمائة ماتَ سَبَأ بن زُرَيْع[4] مَلكُ عَدَن وأَوصَى بالدَعوَة المُستُنصرِية لِولَده الأَغرّ بن سَبَأ .

وفي سَنةِ اثنين وتسعين وأَربعمائة ، ماتَ الداعي سَبَأ بن أَحْمَد الصُلَيْحي ، وبِمَوته خَرجَت صَنْعَاء وأَعمالُها عن طاعَةِ بَني الصُلَيْحي ، واستَولَى علَيها السُلطان حاتِم

---

[1] – حصن أشيَحْ : في بلاد آنس إلى الشرق من ذَمَار وهو اليوم أطلال وخرائب .

[2] – اسم المعركة أو الوقعة التي حدثت بين الصُلَيْحين وبني نجاح .

[3] – زُرَيْع بن العباس : بن المُكَرَّم اليامي الهمداني من دعاة الباطنية الإسماعيلية ، امتدت إمارتهم من عدن إلى الدُمْلُوَه وتعز حتى نقيل صَيْد ، مات عام ٤٨٤ هـ .

[4] – سَبَأ بن زُرَيْع : إبن السابق ذِكرُهُ وهو أيضاً من دعاة الباطنية الإسماعيلية وكانوا عمالاً للدولة الصُلَيْحية ثُم استولوا على عدن ومَخَاليفها والمعافر والجَنَد ، تُوفيَ ٥٣٣ هـ .

الغشم الآتي ذِكرُهُ ، ولما ماتَ الداعي سَبَأ بن أَحْمَد أقامَت السيدةُ للذَّبِ عن مَملَكَتِها والقيامِ بِدَولَتِها المُفَضَلَ بن أبي البركات الحمِيَري .

وفي هذه السَّنة حَصلَ الإختلافُ بينَ بني زُرَيْع ، فاقتَسَما البلادَ ، ولِهؤُلاءِ (بنو زُرَيْع) سيرَةٌ مُستَقلةٌ ، وقد ذَكرَ الخَزرجي[1] والدَّيْبَع[2] أحوالَهُم وامتدادَ وِلايَتِهم ، واستَمَروا في الوِلايَة.

واستَمَر الدَّاعي محمد بن سَبَأ وولَدُه عَمْرَان بن محمد ، ووَزيرهُ بلال بن جرير المحَمَدي وولَدُه ياسر بن بلال ، إلى أَنْ خرجَ إلى اليَمَن الملكُ المُعظَّمُ شَمس الدَولَة تُورَان شاه بن أيوب في التاريخِ الآتي ذِكرُهُ ، فاستَولَى على مَملَكَتِهم ، وانقَرضَت أَيامُهُم ، وكانُوا أَهلَ كَرَمٍ وإحسَان إلى أَهلِ الأَدبِ والشُعرَاء ، وقَصدَهم جماعَةٌ من فُحول شُعراءِ الديارِ المِصريَة ، مثلَ إبن قَلاَقس[3] ، والرَشيد بن الزُبير ، ومَدَحهُم عَمارَةُ بن أَبي الحَسَن اليَمَني نَزيلُ الديارِ المِصريَة في كِتابه المُسَمى بالمُفيد في أخبارِ زَبيْد ، ومَدَحهُم شَيخُه أبو بكر العَبدي بغُرَرِ القَصائدِ ، وكانَ في الإمكانِ ذِكرُ بعضِ أخبارِهِم ولكنَ هذا الموضُوعَ مَبنيٌّ على الإختصار.

[1] – الخَزْرَجي :علي بن الحَسَن بن أبي بكر بن الحَسَن بن وَهَّاس الخزرجي الزَبيْدي ، مؤرخٌ بحاثة من أهلِ زَبيْد من كُتُبه الكفاية والإعلام فيمن وَلِيَ اليَمَن وسكنها من الإسلام ، والعسجد المسبوك في تاريخ الإسلام وطبقات الملوك ،و العقود اللؤلؤية ، وغيرها ، تُوفيَ ٨١٢ هـ .

[2] – إبن الدَّيْبَع : عبد الرحمن بن علي الشيباني الزَبِيْدي الشافعي ، مؤرخ محدث من أهلِ زَبيْد ، من كُتُبه بُغية المستفيد في أخبار مدينة زَبيْد ، و قرة العيون في أخبار اليَمَن الميمون ، و تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرَسول.

ولقب الدَّيْبَع بلغة السودان يعني الأبيض ،وهو لقبٌ لأَحد أجداده ، تُوفيَ ٩٤٤ هـ .

[3] – ابن قلاقس الإسكَندَري الأزهري شاعر من الكتاب المترسلين ، ولد ونشأ في الإسكَندَرية فكان من شعراء الملوك تُوفي في عام ٥٦٧ هـ وقد أفاض الزركلي في ترجمته .

وفي هذهِ السَّنة وهي سنةُ إحدَى وتسعين وأَربعمائة إستَولَى السُّلطانُ حاتم بن أَبي الغشم المغلسي الهَمْدَاني[١] على صَنْعَاء وأَعمالِها ، فضَبطَ أَمرَها وأطَاعَتهُ هَمْدان ، وكان لهُ ثلاثَةُ أَولاد : محمد و عبدالله و مَعن ، فقامَ محمد بن حاتم في حِمايَة مَملَكة أَبيه ، وكانَ يَعتَريهِ العَطَشُ مع شَجاعَته ونَهضَته ، وقيلَ : أَنَّهُ كان إذا تَزَوجَ امرأَةً قَتلَها ، حتى تَحامَى الناسُ عن تَزويجه ، حتى خَطبَ امرأَةً من بني الصُلَيْحي من أَهلِ قَيْضَان[٢] ، فأَبَوا أَنْ يُزَوجُوه إلا أَنْ يَضمَنَ أَبوهُ أَلا يَقتلَها ، فَعَوَّلَ على أَبيه أَنْ يَكفلَ لَهُم ، فقالَ لهُ أَبوه : " إنْ قَتلتَها بعدَ أَنْ كفَّلتَني قَتلتُكَ " ، قالَ : " نَعَمْ " ، ثُم تَزوجَها وقَتلَها وهرَبَ إلى حِصن بَرَاش[٣] ، فما زَالَ أَبوهُ يَسُوسُهُ حتى نَزلَ سَوايلَ نُقُمْ[٤] فلَقيَهُ وقَتلَه هُناك ، فتَأَسفَ عليهِ ورَثاهُ بأَشعارٍ ذَكرَها الخَزرَجي في تاريخِه[٥] ، لأَنَّهُ كانَ يَسعَى في حِماية مُلْك أَبيه .

وفي سنةِ ثمانٍ وتسعين وأَربعمائة ، ماتَ الأَميرُ جَيَّاش بن نَجَاح[٦] مَلكُ زَبِيْد ، وولي الأَمرَ بَعدَهُ ابنُهُ فاتك بن جَيَّاش ، ابنُ الجاريةِ الهندية التي تقَدمَ ذكرُها ، وعارَضَهُ إخوتهُ عبدالواحد و إبراهيم ، فَظَفرَ فاتكُ بأَخيه عبدالواحد فَسَجنَهُ ، ولَحِقَ إبراهيمُ بأسعد ابن وائل صاحِبُ وُحاظَه[٧] .

---

[١] – حاتم بن أبي الغشم : وردت الغشم في المخطوط والمطبوع مصحفة ، والصواب : حاتم بن الغشيم الهمداني ، سلطان اليمن ، استولى على صنعاء بعد وفاة سبأ بن أحمد الصليحي ، واستمر إلى أن توفي بصنعاء .

[٢] – قَيْضَان : حصن خارب في جبل بني الحارث من بلاد يَرِيْم .

[٣] – حصن بَرَاش : هذا الاسم يطلق على عدد من الحصون وجميعها تحمل هذا الاسم وبراش جبل عظيم متصل بجبل نُقُم المطل على مدينة صنعاء .

[٤] – سوايل نُقُم : لعلها الأَودية والسفوح في جبل نُقُم المطل على صنعاء .

[٥] – العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرَسولية .

[٦] – الحبشي ابو الطائي صاحب تَهَامَه اليَمَن ، كان داهية شجاعاً أديباً عارفاً بالتاريخ ، أبوه من موالي بني زياد ملوك اليَمَن وقصته طويلة مع الصُلَيْحي لهُ كتاب المفيد في أخبار زَبِيْد ت ٤٩٨ هـ .

[٧] – وُحاظَة: بضم الواو حصن أثري في أعلى منطقة شُباع من جبل حُبَيش من أَعمال إب.

وفي سنة اثنين وخمسمائة ماتَ السُّلطان حاتم بن أَبي الغشم ، ووَلِيَ بَعدَهُ ابنهُ عبدالله ابن حاتم ، فَلبثَ في الإمارَةِ سنَتين ثُم ماتَ بالسُمِ ، ووَلِي بعدَ ابنه عبدالله إمارةَ صَنْعَاء أَخوهُ مَعن بن حاتم ، وحَصلَ في وِلايَته قَلَقٌ واضطِرابٌ وجَورٌ على هَمْدان أنكرَهُ كِبارهُم ، منهُم القاضي أَحْمَد بن عَمْرَان بن مُفضَل ، فخَلعَ مَعْنَاً عن الإمارَة ، وكانَ مُطاعَاً في هَمْدان وجَعلَها في ابني القُبَيب هِشام وحَمَاش ، وسَيأتِي من أَخبارِهم .

وفي سنة ثلاثٍ وخمسمائة ماتَ فاتك بن جَيَّاش بن نَجَاح ، ولهُ ولدٌ صغير [هو] منصور بن فاتك فقامَ بِكَفالَته عبيدالله[1] ، وأَقبَلَ إبراهيم بن جَيَّاش لُمحارَبة العَبيد ، ولما خَرجُوا للقائه ثَارَ عَمهُ عبد الواحد بن جَيَّاش فدَخلَ دارَ الإمارَة ومَلَكَ المدينَةَ ، فخَرَجَ الأُستاذون[2] بمَولاهم منصور بن فاتك عن زَبيْد خَوفاً عليه من عبد الواحد ، ولما عَلِمَ إبراهيم بن جَيَّاش أَنَّ أَخاهُ قد سَبقَهُ إلى إمارَة زَبيْد أَيِسَ من تَمَلُّكها وتَوجَهَ بأَصحابه إلى الحَسَن بن أَبي الحُفاظ الحَجُوري ، وهو بالحَرِيْب[3] ، وأَما مَنصور بن فاتك فسارَ به عَبيدُ أَبيه إلى المُفَضَل بن أَبي البركات الحميري ، والسيدَةَ الملكَةَ الصُلَيْحية ، وبَذَلُوا للمُفضل رُبعَ البِلادِ على أَنْ يَنصُرَهُم ، فسارَ معَهُم واستولَى على زَبيْد فلَم يَبْرَح ، حتى أَنَّ فقيهاً من مَخَاليفِ التَّعْكَر استولَى على حِصنه المذكورِ ، وفيهِ ذَخائرُهُ بإشارَةٍ من الرَعيةِ ومُساعَدَة ابن عَمِ المُفضَل ، فخرجَ المُفضَلُ من زَبيْد لا يَلوِي على شَيء ، فحاصرَ مَن في الحِصنِ وهَلكَ في خِلالِ الحِصارِ في شَهرِ رمَضان

---

[1] – وردت في المطبوع (عبيد أبيه) ولعله الصواب .

[2] – الاستاذون : لعلهم الأتباع والموالي القائمون على إدارة شؤون الإمارة .

[3] – الحريب: بلدة مشهورة إلى الجنوب الشرقي من مأرب وهي من أعمالها .

سنةَ أَربعٍ وخمسمائة ، وجعلَت السَيدةُ في عُهدَته ابنَ عَمه أَسعدَ بن أَبي الفُتوح بن الوَليد ، وكانَ عامِلاً على تَعِزْ وصَبر فلَم يَزَل في وِلايَته حتى غَدرَ بِهِ رَجُلانِ من أَصحابه فقَتلاهُ بينَ البَابَينِ في حِصنِ تَعِزْ في سنة أَربعةَ عَشر وخمسمائة .

وفي سنة عشرٍ وخمسمائة جَمعَ القاضي أَحْمَد بن عَمْرَان اليَامِيّ هَمْدان إلى مصب الدُرْوَع[1] ، وخَلعَ مَعن بن حاتم بن الغشم عن الإمارَة ، وَولّى إبنَي القُبَيب فتقَدمَا إلى صَنْعَاء وحَاصَرا مَعن بن حاتم في حِصنه ، حتى خرجَ على يدِ القاضِي أَحْمَد بن عَمْرَان ، فاستَقَر الأَمرُ لِهشام بن القُبَيب[2] ، واستَمَر فيه إلى أَنْ مات .

وفي سنةِ إِحدَى عشر وخمسمائة وَصلَت إلى اليَمَن دَعوَةُ الإمامِ أَبي طالِب الأَخير ، وهو يحيى بن محمد بن الإمامِ المُؤيِّد بالله أَحْمَد بن الحُسَيْن الهاروني ، دَعا في بِلادِ الدَّيلَمِ ، وبَعثَ دَعوَتَهُ إلى اليَمَن وهيَ دَعوَةٌ في غايَة البلاغَة والفَصاحَة ذَكرَها في الحَدائقِ الوَردية الفَقيه حُمَيْد المحلي[3] ، فتلَقى تلكَ الدَعوَةَ الأَميرُ المُحسن بن أَحْمَد المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحَق عليه السلام ، تلَقاهَا بالقَبُولِ التامِ وقامَ بها أَتَم القيام ، ودَعا الناس إِليها فأَجابَهُ أَكثرُ الناسِ إِليها كصَعْدَه ، ونَجْران ، والجَوفَين ، والظَّاهر ، ومَصانِعِ جَبْر ، ومَلَكَ حِصن ثلاء[4] ، وهوَ الذي قَتَلَ عامرَ بن سُليمان الزُوَاحي ، وأَخذَ بِثأرِ الداعي الكبير حمزة بن أَبي هاشمٍ منهُ كَونَهُ الذي قتلَهُ ولم يَزَل الدَاعي المحسن بن أَحْمَد

---

[1] – الدروع : حصن مشهور في بني قشيب في (مديرية) الشرق من أعمال آنس إلى الشرق من ذَمَار .

[2] – هشام بن القبيب : لم أجده .

[3] – حُمَيْد بن أحمد المحلي الهمداني : المعروف بالقاضي الشهيد ، فقيه زيدي من أهل صنعاء ، قتله الأشراف بنو حمزة في عام ٦٥٢هـ ، من مؤلفاته "الحدائق الوردية في سير الأئمة الزيدية" وغيره .

[4] – ثلا : بالضم ، وتنطق اليوم بالكسر ، قرية مشهورة إلى الغرب الشمالي من صنعاء بمسافة ٤٥كم تقع إلى الشمال الشرقي من شبام كوكبان وبها حصن وقلعة معالمها قائمة حتى الآن .

في إمارَتِه حتى قَتلَه الحَدَّادُونَ[1] بصَعْدَه ، وقتلُوا ولَدَهُ وجماعَةً من أَصحَابه في منزله ، وأَحرَقُوا جَسَدَهُ بسببِ أَنَّهُ قَتلَ رَجلاً باطنياً كانَ ضَيفاً لَهم ، فقامَ بِثأرِه الشيخُ العالِمُ المَاجدُ محمد بن علَيَّان النجري ، بعدَ أَنْ خرجَت ابنَتُهُ إلى خَولان ، فحَرضتهُ على الأَخذِ بثأرِ أَبيها ومُثَوِّرةً لِحفَائظ القَبائل ، وعَضَدَهُ محمد بن سليمان ، وأَمَدهُم الأَميرُ غانم بن يحيى بن حمزة بن سليمان ، صاحبُ المِخْلاف السُليماني بعشرةِ آلاف دينار ، فاجتَمعَت القَبائل ، وحاصَروا صَعْدَه حتى طَلَبَ أَهلُهَا الأَمانَ ، فأَمنوهم ثمانية أيام حتى يُخرِجوا أَثاثَهُم ويَخرُجوا عن المدينَة ، وبعدَها دَخلَت القَبائل صَعْدَه وهَدَّمُوا وبالَغُوا في هَدمِ دارِ الحَدادِينَ الذي قُتلَ فيه الشَّرِيف المُحسن ، حتى لَعبَ الشيخُ محمد بن علَيَّان بفرسه في هذا الدَربِ ، وكان أَقسمَ على نَفسه أَنْ يفعلَ ذلك ، فأَبَر اللهُ قَسَمَهُ .

وفي سنة سبعٍ وعشرين وخمسمائة ماتَ حَماشُ بن القبيب أَميرُ صَنْعَاء ، وكانَ قد وَلِيَها بعدَ أَخيه هشام ، فأَحسنَ الوِلايَةَ وقَوِيَت شَوكَتُهُ ، وعَظُمَت رِئَاسَتُهُ ، وكانَ قَد غَزا بِلادَ خَشَب[2] ، في هِرَّان ، وقَتلَهم قَتلاً ذَريعَاً ولَما حَضَرتهُ الوَفاةُ جَمعَ إِخوَتهُ ، وهُم : أَبو الغَارات و أَبو الفُتوح و عامر و محمد ، وحَثهُم على الأُلفَة وجَمعِ الكَلمة ، وأَنْ يجعَلُوا أَميرَهُم أَبا الغارات ويَحلِفُوا لهُ على الطاعَة فأَبَوا ذلكَ وقالوا : " لا نُقدمُ إلا محمداً " ، وهو أَصغَرُهُم فعندَ ذلكَ بَكَى حَماشُ بُكاءاً شَديداً وتَفرسَ فيهِم المُنازَعةَ وافتِراقَ الكلمةِ ، فكانَ الأَمرُ كما تَوسَمَهُ فإِنَّهُم تَفرقُوا حتى عَزلَهُم أَهلِ صَنْعَاء .

وفي سنة إِحدَى وثلاثين وخمسمائة قامَ الأَميرُ علي بن زَيْد بن إبراهيم من ذُرِيَةِ الهادي عليه السلام مُحتسِباً حيثُ لَم يَكُن في دَرجَةِ الإمامَةِ بِدَربِ سَليم من أَعمالِ صَعْدَه

[1] - الحدادون : هُم من يستخرجون الحديد ويُصنعونه في صعدة وكان لهم شأن في تلك الفترة حيث اشتهرت صناعة السيوف والخناجر والدروع وأدوات الحراثة والزراعة ، ومادة الحديد متوفرة في جبال صعدة وتظهر على سطح الأرض ولكنها مادة خام مختلطة بشوائب أخرى .

[2] - خشب : بلاد الخشب : الصواب ما ورد في المطبوع وهي بلاد جنب : قبيلة قديمة قرب حصن هران من أعمال ذمار .

وسارَ إليهِ الإمامُ أحْمَد بن سليمان قبلَ دَعوَته ، وهوَ في الجَوْف مُناصراً ، وسارَ معَهُ إخوَتُهُ : يحيى و عبدالله و القاضي نَشوان بن سعيد الحميري ، وكانَ من أسبابِ قيامِ علي بن زَيْد المَذكورِ عَلى ما كانَ عليهِ من قِلةِ المَعرفة وتَحصيل العُلوم أنَّ القاضي نَشوان أنشأَ قَصيدةً إلى الإمامِ أحْمَد بن سليمان يُحرضُهُ على القيامِ ، فأنشدَها بين يَديهِ رَجلٌ يُقالُ لهُ بُحير بن مُفضل العَمراني ، ثُم تقَدمَ بها إلى صَعْدَه فأنشدَها الأشْرافَ أولاد الهادي وفيهِم الشَّريف علي بن زَيْد ، فحَملَهُ ذلكَ على الدعوَة ، فدَخلَ صَعْدَه وجَمَعَ جَمعاً كثيراً ، وأَرادَ القُدومَ على شَظَب[1] ، فنَهاهُ الإمامُ أحْمَد بن سليمان عن ذلك ، وأَشارَ عليهِ بالقُدومِ إلى صَنْعَاء فإنَّها أمُ البلادِ ولَيسَ فيها مَن يَدفَعهُ ، فامتَنعَ عن ذلك ، فلَما وَصلَ جَبلَ بني حَجَّاج ثَقُلَت وَطأَتُهُ على أَهلِ البلادِ ، فتَمالَئوا على الغَدرِ بهِ وبِأَصحَابه ، وكانَ أَهلِ هذهِ الجهَةِ يَحملونَ إليهِم الطعامَ في كلِ يَوم ، فاجتَمعَ منهُم في يومٍ واحدِ قَدرُ خمسمائة نَفَرٍ حاملينَ الطَعام ، وقد ستَرُوا أسلحَتهُم تحتَ ثيابهِم ، فلَما خالَطُوا أَصحابَ علي بن زَيْد ثَارُوا عليهِم فقتَلُوهم قَتلاً ذَريعاً ، وفَرَّ علي بن زَيْد بنفسهِ ، فتَبِعُوهُ وقَتَلُوهُ ، وقَبرُهُ في شَظَب مَشهور ، ورَثاهُ الإمامُ أحْمَد بن سليمان بمرثاةٍ طويلَةٍ ، ذَكَرَ فيها نَصيحَتَهُ لهُ وعَدمَ قُبولِها منهُ ومُستَهلُها :

مَن ضَيعَ الحزمَ لم يَرشُدولم يُصبِ　　واغتَالَه الدَهرُ بالحِرْمانِ والنَصَبِ
دعَا ابنُ زَيدٍ فَلَبينَا لِدَعْوَتهِ　　وَغَيْرُهُ قد دَعا قِدَماً ولم نُجبِ

– إلى آخرِها وهيَ طويلَة –

[1] – شَظَب : جبل واسع فيه قرى ومزارع بالقرب من بلدة خمر إلى الشمال الغربي من صنعاء وهي من أحد منازل قبائل حاشد .

وفي سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ماتَت السيدَةُ المَلكةُ بنت أَحْمَد بن محمد الصُلَيْحي ، عن ثمانٍ وثمانينَ سَنةً ، ودُفنَت في جامِعِ ذي جِبْلَة الذي من بنائِهَا ، ومن أَبنيَتِها الجَناحُ الشَرقِيُ في جامعِ صَنْعَاء ، ولها مآثِرُ كبيرَةٌ وسُبُلٌ وأَوقافٌ ، وهيَ آخِرُ مُلوكِ الصُلَيْحيين في اليَمَن الأَسفَل ، وانتَقلَ ما تحتَ يَدِها من المُدنِ والحُصونِ والبلادِ إلى منصور بن مُفضَل بن أَبي البركاتِ الحميري ، فلَما كَبُرَ وضَعُفَ عنِ القِيامِ بأَمرِ هذهِ البِلاد باعَ الحُصونَ والمُدنَ وبِلادهَا إلى الداعي محمد بن سَبَأ بن أَبي السعود الزُرَيْعي ، وبَقِيَ في حِصنِ تَعزْ عاكِفاً على اللذَّات والشُّرب .

وفي هذه السَّنة قامَ الإمامُ السابقُ المُتوكل على الله أَحْمَد بن سليمان بن المُطهر بن محمد بن المُطهر بن علي بن الناصر أَحْمَد بن الهادي يحيى بن الحُسَيْن عليه السلام ، فاستَقامَ أَمرُهُ في صَعْدَه ومَخَالِيفها ، ونَجْران والجوف والظَّاهِر واشتَهرَ بِحُسنِ السيرَةِ في أَقطارِ اليَمَن ، وهو الذي بَنى حِصنَ تُلُمُّص[1] .

وفي سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة اجتَمعَت قَبائِل هَمْدان وطَلَبُوا من السُّلطان حاتم ابن أَحْمَد بن عَمْرَان اليامي القِيامَ بأَمرِهِم ، فأَجابَهُم ودَخلَ صَنْعَاء في سبعمائةِ فارسٍ من هَمْدان .

وفي سنةِ خمس وثلاثين وخمسمائة دَخلَ الإمامُ أَحْمَد بن سليمان ،وقد كان الأَشْرافُ في مَدينَة صَعْدَه أَعرَضُوا عن دَعوَته ، فلَما سَمعُوا بِحُسنِ سيرَته في نَجْران رَغبُوا في طاعَتِه واستَدعوهُ إلى بِلادهِم ، ثُم تَحولَ إلى الجَبْجَب[2] ، وأَقامَ فيها الحَدَّ الشَرعِي على رجُلٍ شَرِبَ الخُمور .

---

[1] – حصن تُلُمُّص : حصن خرائب جنوب غرب صعدة بمسافة قريبة ، و كان هذا الحصن منازلاً لملوك حِميَر .

[2] – الجبجب : بجيمين وبائين ويحمل هذا الاسم عدة بلدات وقرى وأمكنة ووديان في مناطق عدة في صعدة وذَمَار وإب وصنعاء .

وفي سنةِ ستةٍ وثلاثين وخمسمائة اشتَهرَ علي بن مهدي الرُعَيْني الحميري الثَائرُ في أَسفلِ وادي زَبِيْد بِمَحلٍ يُعرفُ بالعَنْبَرَة[1] فعَكفَ على العبادَة والزهد والتَقشف ، على نَمطِ أَهلِ التَصَوف في الُمكاشَفاتِ والإِخبارِ بالُمغَيباتِ ، فَلبثَ على ذلكَ مُدةً من الزمن ، وبلَغ خَبرُهُ القينَةَ عَلَمْ أُمَ فاتِك بن منصور بن فاتك وكانَت الُمستَوليَة على أَكثَرِ مَملَكة ولَدِها الَمذكور ، فأَسقَطَت عنهُ وعن أَقارِبهِ ومن يلُوذُ به خَراجَ أَرضِهم ، فلَم تَمضِ مُدةٌ حتى تَولَوا ورَكِبُوا الخَيلَ ، وقَصدَه أَهلِ الجِبال واعتَقَدُوهُ ، حتى بايَعوا بالقَضْب من أَسفلِ وادي زَبِيْد ، فظَهرَ أَمرُهُ فانتَقلَ إلى الجِبال ، واستَقر في حِصن الشَرَف[2] بِجهَةِ وُصَاب الأَعلَى[3] ، واجتمَعَ إليه عالَمٌ كثير ، يُقالُ أَنَّ قَدرَهُم أَربعونَ أَلفاً ، فقَصدَ بهم الكدراء[4] ، وبها القائدُ بن مرزوق السحريّ من قَبائل آل نَجَاح ، فوقَعَ بينهُم قِتالٌ شَديد ، فانهَزمَ ابن الَمهدي إلى الجِبالِ ، ثُم كَتبَ إلى الجارِيةِ عَلَمْ وسأَلَها الذمَّةَ لهُ ولِمَن يَلُوذُ به ، فأَجابَتهُ إلى ذلكَ على كُرهٍ من أَهلِ دَولَتِها وفُقهاءِ بَلدَتِها لِيَقضِيَ اللهُ أَمراً كانَ مَفعولاً .

ولما رَجعَ إلى بَلدَته إستَمَرَ على قَبضِ غَلاَّت أَرضِه سنينَ عديدَة ، وليسَ عليه وعلى قَرابَته خَراجٌ ولم يَزَل على ذلكَ حتى ماتَتَ عَلَم الَمذكُورة ، فقَويَت دَولَتُهُ وكَاشَفَ دَولةَ زَبِيْد ومَواليهِم ، فحَصلَت بينهُم حُروبٌ شَديدةٌ ، حتى مَلَكَ زَبِيْد كما سَيأتي في مَوضِعِه .

وفي سنةِ خمسةِ وأَربعين وخمسمائة نَهضَ الإِمامُ أَحْمَد بن سليمان في صَعْدَه إلى جِهةِ

---

[1] – العنبرة : قرية عامرة إلى الغرب من زَبِيْد كان لها شأن في القرن السادس الهجري .

[2] – حصن الشَرَف : أحد الحصون المنيعة وهو الآن خرائب .

[3] – وُصَاب الأعلى (العالي) : من أعمال ذَمَار وتمتاز بجبالها الشاهقة التي تحوي الحصون والقلاع الأثرية .

[4] – الكَدْرَاء : سبق التعريف بها .

اليَمَن ، فلما وَصلَ سُفْيان[1] كَتبَ إليه صنوُهُ[2] عبدالله بن سليمان يَذكُرُ انتشارَ الفَساد في بلاد حُوْث، وأنَّ الرَأيَ عَدَمُ الحَركَة إلى اليَمَن ، وقَد وفَد إليه الشيخ محمد ابن علَيَّان ، والقاضي جعفر بن أَحمد بن عبد السلام ، يَحُثونَهُ على الخُروجِ إلى اليَمَن ، وقَصْد صَنْعَاء ، فلَم يُعَرِج على ما كَتبَ به أخوهُ فنَهضَ إلى عيَان ، ثُم إلى وَادعَة الظَّاهر فتَلَقاهُ الشيخُ عيسى الوادعي ، وأَعانهُ على إزالَة المُنكُرات ، وارتَفعَت الخُمور ، وهُدِّمَت بُيوتُ المُتظاهرينَ بشُربِها ، ورَجعَ الإمامُ إلى الجَوْف ، فَسعَى السُّلطانُ حاتم ابن أَحْمَد في خلالِ ذلكَ في قَتلِ الشيخ محمد بن علَيَّان على يد رَجلٍ من يَامْ[3] ، فقَتلَه في سِهْمَان[4] في سُوقٍ فيها وتقَدمَ حاتم بن أَحْمَد لحَربِ الإمامِ فلَم يتَمكَّن من الوصُولِ إليه ، فوَصلَ إلى الإمامِ كَثيرٌ من أَهلِ اليَمَن يَطلُبونَ منهُ القُدومَ إلى اليَمَن ، وأَخذ صَنْعَاء ، والأَخذ بِثَأرِ الشيخِ محمد بن علَيَّان إذ كانَ من كِبارِ الشيعَة والمُناضلَ عن آلِ رَسولِ الله ﷺ ، كما ذَكَرنا عنهُ بالقيامِ بِثأرِ الأَميرِ المُحسن بن أَحْمَد ، فسارَ الإمامُ حتى استَقرَّ بحِصنِ بيتِ بَوْس[5] ، بالقُربِ من صَنْعَاء ، وأَقبلَت إليه قَبائلِ اليَمَن من كُلِ أَوْب ، فكَتبَ إليه حاتم وقد أرسلَ الإمامُ إلى صَنْعَاء رَسولاً يشتَري لهُ صَابونَاً وورَقَ الكتابة ، فشَعرَ به حاتم ، فكَتبَ معَهُ بَيتَينِ وهُما :

أَبا الورقِ الطلحـي تَأخُذُ أَرضَـنا و لَم نَستَجرْ وَسطَ العَجاجِ رِماحُ
و تَأخُذُ صَنْعَاءَ وَهيَ كُرسي مُلْكِنا و نَحنُ بأَطـرَافِ البِلاد شِحَـاحُ

---

[1] – سُفْيَان : قبيلة من ولد سُفْيَان بن أرحب من بكيل ، ديارهم إلى الشمال من حُوْث وتسمى اليوم حرف سفيان .

[2] – صنوه : أخوه .

[3] – يام : قبيلة من حاشد كانت منازلهم في جبل يام ، موطنهم الحالي نَجْران وبعضهم في حَرَاز وما زال بعضهم على مذهب الإسماعيلية .

[4] – سهمان : بطن من آل الغوث ينسبون إلى حقل سهمان ، منازلهم بين جبل حضور وجبل عيبان إلى الغرب من صنعاء .

[5] – حصن بيت بَوْس : إلى الجنوب من صنعاء حي كبير الآن من أحياء صنعاء وما زالت آثار الحصن باقية إلى الآن ورد في المطبوع بيت برس خطأً، وقد تكرر .

فلَما قرَأَهَا الإمامُ قالَ : " نَعَم نَأخُذُها إنْ شاءَ الله " .

ثُم نَهضَ من ساعَته لِحربِ حاتم ، فوَقعَ بينهُما حربٌ شَديد ، فمَالَ أَهلِ السَّرَار[1] من دَربِ صَنْعَاء إلى الإمامِ ، ودَخلَت خَيلٌ ورَجلٌ من أَصحاب الإمام إلى المَيدان فَحيلَ بينهُم وبيَن أَصحَابِهم ، فقَاتَلُوا قتالاً شَديداً وأَبلَوا بَلاءً حَسناً حتى أَخذُوا دَربَ القَطيْع[2] ، وكانَ رجلٌ من أَهلِ صَنْعَاء قَد أَعطاهُ الإمامُ رَايةً فَدَنَا بِها من الدرب ، وأَعطى رجلاً مِمَن في الدربِ تلكَ الرايةَ فأَخَذَها ونَصَبها ، فأَذعَنَ أَهلِ الدربِ بالطاعَة وفَتَحُوا بابَ الدربِ وطلَبُوا الأَمان ، فَكَفَ عنهُم أَصحابُ الإمامِ ، وهُم في بيتِ بَوْس ، فلَما بَلغَهُ الخبرُ لَم يَسَعه إلا الرِضَا بما فعلَهُ أَصحابهُ من تَأمينِ القَوم .

ولما علِمَ حاتم بن أَحْمَد عَجزَهُ عن دَفعِ الإمامِ عن صَنْعَاء طَلبَ الأَمانَ لهُ ولأَصحابه ، وأَنشدَ عندَ ذلكَ وكانَ شاعِراً فَصيحَاً مُفَوهَاً لهُ أَشعارٌ جيدةٌ ذَكَرَ بعضاً منها أَهلِ التاريخِ شِعراً:

غَلَبنا بَني حَوى مَجداً وسُؤدُداً ... و لَكنَنا لَم نَستطعْ غَلبَ الدَهرِ
فَلا لَومَ فيمَا لا يُطاقُ و إنَما ... يُلامُ الفَتى فيما يُطاقُ مِنَ الأَمرِ

ثُم خرجَ إلى الإمامِ مع جماعَةٍ من أَصحابِ الإمامِ ومشَايخَ من مَذْحِجِ إلى بيت بَوْس ، وأَنشدَ عِندَ وصُولهِ قَولَ كَعب بن زُهير في اللامِيَة :

---

[1] – أَهلُ السرار : بلدة تابعة لمنطقة بَرَط إلى الشمال الشرقي من صنعاء .

[2] – درب القَطِيْع : ذَكَرَه الرازي في تاريخ صنعاء ومكانه اليوم هو الشارع الموازي لسوق باب السلام والطريق المتجه والموصل إلى قصر السِلاح .

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني   و العفوُ عندَ رَسولِ اللهِ مَقبولُ[1]

فعفَا عنهُ الإمامُ وبايَعَ هوَ وأَصحابُهُ ، وسارَ الإمامُ في اليومِ الثاني إلى صَنْعَاء ودَخلَها دُخولاً مُعظماً ، واستعملَ على قضاءِ صَنْعَاء القاضي العلامة جعفر بن أَحْمَد ابن عبد السلام ، وخرجَ حاتم بن أَحْمَد إلى المَنْظَر ، وهي المُسَماةُ بالرَوضَة[2] ، يُقال روضة أَحْمَد حاتم نِسبةً إليهِ وبَقِيَ على ذلكَ مُدةً من الزَمان ، حتى وَقعَ الإختلافُ بينَهُ وبينَ الإمامِ فسارَ حاتم إلى حِصنِ الظفر، فأَقامَ فيهِ إلى أَنْ تَفرقَت الأَشْرافُ ، فزَحفَ على صَنْعَاء بِمَن معَهُ ، وخرجَ الإمامُ لِمُحاربتِه إلى شِعْبِ الحَسَن[3] تحتَ بَرَاش[4] ووَقعَ هُنالكَ طَرَفُ قتال .

وفي سنةِ ستةٍ وأَربعين وخمسمائة كانَت بَيعَةُ علي بن مهدي الرُعَيْني البَيعَةَ الثانيَة بعدَ مَوتِ عَلَم النَجَاحيَة بوادي زَبِيْد وأَمرَ أَصحابَهُ بقَتلِ من خَالفَ مَذهبَهُ ، ثُم ارتَفعَ إلى حِصنِ الشَرَف ، ثُم سَمَّى مَن صَعدَ معَهُ من تِهَامَه المُهاجِرينَ ، ومَن أَتاهُ من أَهلِ الجبال الأَنصَار ، ومازَالَ يُكررُ الغَاراتِ على زَبِيْد حتى أَخربَ البِلادَ المُتوسطَةَ بينَ زَبِيْد والجبال .

وفي سنةِ خمسينَ وخمسمائة نَهضَ الإمامُ أَحْمَد بن سليمان عليه السلام بقَبائلِ مَذْحِج وغيرِهِم قَدْرَ ثلاثةِ آلافِ فَارسٍ رَئيسُهُم زَيْد بن عمرو الحَسَني[5] حتى نَزلَ في نَجْد الشَرْزَة ، وآكامِ شَيْعَان من جهةِ سَنْحَان ، وأَقبَلَت هَمْدان وغيرُهُم مع حاتم بن أَحْمَد ، فتَلازَم القِتالُ واشتَد النِّزالُ وعَظمَ الخَطبُ ، وكادَت الدَائِرةُ أَنْ تكونَ على الإمامِ

[1] - مقبول : وردت في ديوان كعب بن زهير (مأمول) .

[2] - الروضة : قرية إلى الشمال من صنعاء وهي أحد أحياء صنعاء اليوم .

[3] - شعب الحَسَن : لم أتعرف عليه ، ولكن يبدو لي من السياق أنه الطريق مسلوك إلى جبل بَرَاش .

[4] - جبل عظيم متصل بجبل نُقُم المطل على صنعاء من جهة الشرق فيه آثار قديمة وكهوف منحوتة وسدود .

[5] - ورد في المطبوع (الجنبي) .

وحزبه في أَولِ النَهارِ ، فرفع الإمامُ يَدهُ بالدُّعاءِ إلى اللهِ والإبتهال إليه وقالَ : " اللهُمَ لَم يَبقَى إلا نَصرُكَ فإنْ تظهَر البَاطنَيةُ على المُسلمينَ يَذهَبُ دينُكَ " ، فاستَجَابَ اللهُ دُعائَهُ ، وهَبت ريحٌ عاصِفٌ من جهةِ الشرقِ قابَلَت وُجُوهَ البَاطنية فاستَبشرَ الإمامُ ، وأمرَ أَصحابَهُ بالحَملَةِ وحَملَ هُوَ فأَيدَهُ اللهُ بالنصرِ ، فانهزمَ حاتم وبقيةُ أَصحابه ، وأَيدَ اللهُ الإمامَ حتى انجلَت المعرَكةُ عن خمسمائَة قَتيلٍ من أَصحاب حاتم ، وخمسمائَة أَسير ، وانهَزَمَ حاتم وقَومُهُ إلى صَنْعَاء ، ثُم خرَجُوا عَنها وتعلَقُوا بالحُصون ودَخلَ الإمامُ صَنْعَاء وأَمرَ بِهَدمِ الدرب الذي بَناهُ حاتم بن أَحْمَد بِقَصرِ غَمْدَان ، وهُنِّئَ الإمامُ بِقصائدَ كثيرةٍ ذُكِر بعضِها في الحَدائقِ الوَرديةِ للفقيهِ حُمَيْد المحلى ، مِنها قَصيدةُ القاضِي محمد بن عبدالله الحميري مُستَهلُها :

تَهْنأْ بكَ الأيامُ إذْ أنتَ عيدُها ... و إذْ أنتَ فيها بَدرُها وسُعودُها
نَهضْتَ إلى غَايات كُلِ فَضيلة ... منَ المجدِ تُبديها لنَا وتعيدُها
و أَشرقَتِ الأيامُ منكَ بِعزةٍ ... كثيرٌ لِربِ العالمينَ سُجودُها

إلى أَنْ قالَ فِيها :

غَداةَ نَهضنَا مِن ذمَارَ بِخيلنَا ... و زيدُ بن عمرو عندَ ذاكَ عَميدُها
فَصالتْ على الأَنجاسِ في النجدِ ... صَوْلةً تَبددَ منها شَملُها وعَديدُها

فخمسُ مِئِينَ حُزَّ منها وَريدُها و خَمسُ مِئِينَ أَثقَلَتْها قُيودُها[1]

– إلى آخرِها وهيَ طويلَة –

وفي سنةِ إحدَى وخمسين وخمسمائة دَبَّرَ[2] علي بن مهدي الرُعَيْني على القائد سُرور الفاتكِي ، وكان جازِمَاً ضَابِطاً لمملَكة بني نَجَاح ، فدَسَّ إليه رجلاً من أصحابه يُسمى مُحرَم ، فلم يَزَل يَرصُدُهُ حتى قَتلَه غِيلَةً في مَسجِده المَعروف بمسجد سُرور في زَبِيْد وأُمسِكَ في المَسجدِ قَاتلهُ فقَتلُوه ، وبقَتلِ القائد سُرور ضَعُفَ أمرُ الحَبشَة في زَبِيْد، وتنافَسَ العبيدُ على مَرتبة سُرور ، فاغتَنمَ الفُرصَةَ ابن مهدي وهَبطَ من الجبالِ وتَفرقَ الرَعيَةُ عن الحَبَشَة ، فزَحفَ ابن مهدي بجُنوده على زَبِيْد بجمُوعه الكثيرة ، فوَقعَ القتالُ الشَديدُ ، وظَهرَ من ثَباتِ أَهلِ زَبِيْد وصَبرِهم على القتالِ ما يُبهرُ العُقولَ حتى قالَ مَن شاهدَ حَربَهُم أَنَّها لَم تَصبر أُمةٌ على القِتالِ ومُقاسَاة الأَهوَالِ كَصَبرِ أَهلِ زَبِيْد، فإنَّها بَلغَت الوقائعُ بينهُم وبينَ عَسكَرِ ابن مهدي إلى نَيفٍ وسبعينَ وَقعَةً ، فقُتِلَ من عَسكَرِ ابن مهدي مِثلُ من قُتِلَ منهُم ، وصَبَرُوا على الجُوعِ حتى أَكلُوا المَيتَةَ .

وفي سنةِ ثلاثٍ وخمسين وخمسمائة استعانَ أَهلِ زَبِيْد بالإمامِ أَحْمَد بن سليمان عليه السلام ، على مُدافَعَة ابن مهدي ، فأَجابَهُم وتَجَهزَ على زَبِيْد ووَصلهَا وقَد قَويَ أَمرُ ابن مهدي ، ولَبِثَ فيها ثَمانيةَ أَيام ، وقَتلَ صاحِبَها فاتك بن محمد بن فاتك لَمَّا صَحَّ لهُ أَنَّهُ يرمى بالأَبنَة[3] ويُمَكنُ من نَفسِه، لما رُوِيَ عن رَسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال :

[1] – يشير إلى الـ ٥٠٠ قتيل ولـ ٥٠٠أسير ، المعركة التي دارت بين جند الإمام وبين حاتم بن أحمد (أحد رؤوس الباطنية) ومن معَهُ وانهَزَمَ فيها الأخير .

[2] – دبر : حبك مؤامرة .

[3] – اللواط ، كيف يمكننا أن نتحقق من صدق هذه الرواية ، هل هو كيد الخصوم ودعوى المناوئين أم الحرب النفسية التي يبثها الخصم – الله تعالى أعلم – .

﴿من وَجَدتُمُوه يَعملُ عَملَ قَومِ لُوط فاقتُلُوا الفَاعِل والمَفعُول به ﴾[1] ، فقَتَلَهُ الإمامُ أَحْمَد بعدَ أَنْ بذلُوا لهُ في سَلامَته مَالاً جزيلاً فلَم يقبل ، وقالَ: " لو أَعطَيْتُم في تَركه مُلْكَ زَبِيْد ما قَبلتُ ذلكَ ، وكَيفَ أُضيعُ حَداً من حُدود الله " ، ثُم عادَ إلى ذَمَار حيثُ لم تَستَقم لهُ طاعَةُ من نَهضَ معَهُ من الحُسَينِيين ، فأَعادَ ابن مهدي الحِصارَ على زَبِيْد وضَيَّقَ عليهم ، فدَخلَ زَبِيْد في الرابعِ عشر من شهرِ رَجب سنةَ خمسٍ وخمسين وخمسمائة ، وزالَت دَولَةُ بني نَجَاح وانقَرضَ مُلكُهم ، فسُبحانَ من لا يَزُولُ مُلكُه .

ولم يَلبَث ابن مهدي في زَبِيْد إلا شَهرَينِ ونِصفَاً ، وماتَ في شَوال من السَّنة المذكورة ، وقامَ بَعدَهُ ولَدُهُ مهدي بن علي بن مهدي ، فَغزَى المُلوكَ ودَوَّخَهُم ، وصالَحَهُ الدَاعي عَمْرَان بن محمد بن سَبَأ صاحِبُ عَدَن بمالٍ يَحملُهُ إليه ، وسيَأتي تَمامُ خَبرِه وخَبَرِ ابن أَخيه عَبد النَبي .

وفي سنةِ ستٍ وخمسين وخمسمائة ماتَ السُّلطان حاتم بن أَحْمَد اليامي في دَربِ صَنْعَاء ، وقامَ بَعدَهُ الوحيد علي بن حاتم ، وبايَعَتهُ هَمْدان ، ثُم خالَفَت عليه هَمْدان ، ومالُوا إلى محمد بن حماش القُبيب ، واجتَمَعوا في دارِه بحافَّةِ القَطِيْع ، فبَلغَ السلطان علي بن حاتم فقَصدَهم في جَمعٍ كَثير من القَبائِل فِيهم مائَةُ فارس ، واجتمَعَ من هَمْدان سبعمائَة فارسٍ عند باب شعُوب[2] ، فلَما وَصلَ علي بن حاتم تَفرقَ أَكثَرهُم ، وقاتَلَتهُ طائِفَةٌ منهُم قِتالاً شَديداً . ثُم وَلَّوا عنهُ وخرجَ أَخوهُ وهو عَمْرَان بن حاتم وهو صَبيٌّ صَغير فقاتَلَهُم في أَزِقَة المدينَة حتى قُتِل ، فاضطَرَبَت هَمْدان لقَتله خَوفاً من علي بن حاتم ، حيث قُتلَ أَخوهُ عَمْرَان ، فوَهَبَ لهُم علي بن حاتم دَمَ أَخيه تأَلفاً لَهُم وتَسكيناً للفِتنَةِ ، وفي هذهِ السَّنةِ حصَلَ اضطِرَابٌ في صَعْدَه وخلافٌ على الإمامِ أَحْمَد بن سليمان ، فحاصَرَها من جميعِ جَوانبها حتى دَخلَها ، وأَخرَبَ دُورَ أَهلِ الفَساد .

---

[1] – رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجة وأحمد في مسنده وهو موقوف على ابن عباس .

[2] – باب شعوب : أحد أبواب صنعاء المعروفة وهو الآن أحد أحياء مدينة صنعاء .

وفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أغارَ مهدي بن علي الرُعَيْني على لَحْج ودَخلَها وقَتَلَ كثيراً من أَهلِها وانتَهَبَها أصحابُهُ ، ثُم أَغارَ على الجَنَد فأَخَذَها ، وقَتلَ جميعَ من فيها من صَغيرٍ وكَبير ، ورَمَى بأَجسَادِهم في بِئرِ المسجد ، وأَخربَ دُورَها ، واحرَقَ المسجدَ على مَن فيه من الضُعفَاء ، ثُم رَجعَ إلى زَبِيْد وقَد أَصَابهُ الله بالطَائِرَة[1] في جَسدِهِ حتى ظَهَرَ فيهِ شَبَهُ إحراقِ النَّارِ ، ولَم يَصِل زَبِيْد إلا في مَحَفَةٍ ، ثُم هَلَكَ إلى غَضَبِ الله .

وفي سنة تسعٍ وخمسين وخمسمائة قامَ عبد النبي بن علي بن مهدي بعد أَخِيه المذكور فسارَ سيرَتَهُ ، وغزا أَبْيَن فحرَقَها .

قالَ بَعضُ المُؤرخين : تَفرقَ مُلْكُ اليَمَن في هذا التَاريخ ، فكان عَدَن أَبْيَن ، والدُّمْلُوه ، وتَعزْ ، إلى نقيل صَيْد[2] لآلِ زُرَيْع مُلوكِ عَدَن ، وذَمَار ومَخَاليفُها لِسلاطِين جَنْب ، وصَنْعَاء وأَعمالُها إلى حُدودِ الظَّاهِرِ لعلي بن حاتم صاحبِ صَنْعَاء ، والجوف وصَعْدَه وما يَليها للإمامِ أَحْمَد بن سليمان ، والخَرِيْب وما حَولَهُ لآلِ عمرو بن شُرَحبيل ، وتِهَامَة الشَامِيَة إلى حَرَض للشريفِ غانم بن يحيى بن حمزة بن وَهَّاس السُليماني وزَبِيْد وما إليها إلى حَرَض لِعبد النبي بن مهدي ،وأَما الإمامُ أَحْمَد بن سليمان فإنَّهُ لَم يُعَمِر دَاراً ولا جَبَا خَرَاجَاً ، وإنما مَضَى على الجِهاد ومُثاغَرَة أهلِ الفَساد ، فجَزاهُ الله عن الإسلامِ خَيراً .

وفي سنة ستين وخمسمائة أغارَ عبدُ النبي بن مهدي على الأَشْرافِ بني سُليمان ، فلَما سَمعُوا بِقُدومه نَهضُوا إليه فقُتِلَ أَميرُهُم الشَّرِيف وَهَّاس بن غانم ، فاهَزَمُوا فَنَهَبَ أَموالَهُم وسَبَا نِسائَهُم من تِلكَ البِلاد .

[1] – الطائرة : مرض الزهري أحد الأمراض الجنسية الخطيرة – نعوذ بالله من البلاء – .

[2] – نقيل صيد : هو نقيل سمارة ونقيل صيد الإسم القديم له .

وفي سنةِ اثنين وستين وخمسمائة نَهضَ عبد النبي المَذكور ، فدَخلَ مِخْلاف جعفر وقَصدَ مدينة إِب واستَولَى علَيها .

وفي سنةِ ستٍ وستين وخمسمائة تُوفيَ في شهر ربيع الآخرةِ الإمامُ المُتوكلُ على الله أَحْمَد بن سليمان عليه السلام ، ودُفنَ في حَيْدَان من بلادِ خَولان الشَّام وقَبرُهُ فيها ظَاهِرٌ مَزُور ، أَعادَ الله علَينا من بَركَاته[1] ، وفي هذهِ السنة زالَت دَولَةُ العُبَيديِينَ من مِصر وغَيرِها على يَدِ السُّلطان المَلكِ النَاصرِ صلاحِ الدين يُوسُف بن أَيوب بن شَاذي بن مروان .

وفي سنةِ ثمانٍ وستين وخمسمائة وَصلَ حاتم بن علي الزُرَيْعي إلى السُّلطان علي بن حاتم يَستَنجِدُه على عبد النبي بن علي بن مهدي لَمَّا استَولَى على بِلادِ آل زُرَيْع ، فقَابلَهُ السُّلطانُ علي بن حاتم بالإِكرام ، ووَعَدهُ التُّصرَةَ على عَدوهِمُ المَذكور .

وفي سنةِ تسعٍ وستين وخمسمائة نَهضَ السُّلطان علي بن حاتم بِمَن اجتمَعَ معَهُ من هَمْدان وقَبائِل جَنْب وخَولان ، فلما وَصلَ السَّحُول أَقامَ فيه حتى لَحقَت به القَبائل من كُلِ وِجهَة ، فقَصدَ السُّلطانُ علي بن حاتم أَصحابَ ابن مهدي الذي في الجبال ، وهُم أَجوَدُ عَسكرِ ابن مهدي وأَشجَعُهُم ، فهزَمهُم وقَتلَ منهُم كثيراً ، وأَسرَ نحوَ مائَة أَسَير ، وغَنِمَ ستينَ فَرَساً ، وفي اليومِ الثاني قَصدَ ذي جِبْلَة فلَم يَجد فيها من عَسكرِ ابن مهدي غَيرَ جَماعةٍ يَسيرةٍ استَجارُوا بدارِ الحُرةِ أَروى بنت علي بن عبدالله بن علي ابن عبدالله بن محمد الصُلَيْحي ، فأَمنَهُم ثم نَهضَ إلى الجَنَد ، فوَجدَها خاليَةً عن عَسكرِ ابن مهدي ، فأَقامَ فيها عَشرَةَ أَيام ، وبَلَغهُ أَنَّ عبد النبي في حِصنِ تَعِزْ ، فسارَ إلى تَعِزْ ، وظَفرَ بِعسكرِ ابن مهدي في ذي عُدَيْنَة[2] ، فقَتلَ منهُم مَقتَلَةً عَظيمَة ، وغَنِمَ من

---

[1] – هذا الكلام غير مقطوع به عند علماء المسلمين إذ كيف تنال البركات من ميت ، ويراه آخرون جائزاً وهناك كلام كثير ذَكَرَه العلماء في مصنفاتهم ، ويحسن الرجوع إليه .

[2] – ذي عُدَيْنَة : لعلها المنطقة الموجودة في الطرف الجنوبي من مدينة تعز أسفل جبل صَبِر .

عدَّتهم وأسلحَتِهم شَيئاً كثيراً ، وكانَ عبد النبي في حِصنِ تَعزْ ، فلَما رأى جُموعَ علي ابن حاتم قد هَزمَت جُموعَه تَمثلَ بِقولِ أَسعد الكامِل ، وهو :

وَاعْلَمْ بُنَيَّ بأَنَّ كُل قَبيلةٍ سَتُذَلُ إِنْ نَهضَتْ لَها قَحْطانُ

ثُم فَرَّ عبد النبي إلى زَبِيْد ، ورَجعَ علي بن حاتم إلى صَنْعَاء .

وفي السنة المذكورة اتَّصلَت الأَخبارُ بِقُدومِ الملكِ المُعظَّمُ شَمسِ الدولة توران شاه ابن أَيوب من الديارِ المِصريَةِ إلى الجزيرَةِ اليَمَنية في ثلاثةِ آلافِ فارسٍ وأُبَّهَةٍ عَظيمَة ومَملَكَة جَسيمَة .

وسَببُ ذلكَ دُخولِ الشَّريف قاسم بن يحيى بن حمزة السُليماني مُستَنجداً بالسُّلطان صلاح الدين بعد قَتلِ أَخيه الشَّريف وَهَّاس ، وما فَعلَ ابن مهدي في مِخْلافهم من القَتلِ والسَّبي والنَهبِ ، فوَصلَ الشَّريف قاسم إلى الخليفَةِ الناصرِ أَحْمَد بن العباسي ، فكَتبَ لهُ الخليفةُ إلى السُّلطان صلاحِ الدين ، وأَمرَهُ بالتجهيزِ على ابن مَهدي ، فأَرسلَ أَخاهُ شَمسَ الدَّولة ، فوَصلَ صَبْيا[1] من المِخْلاف السُليماني ، واجتمَعَ معَهُ الأَشْرافُ ومن تَابعَهُم ، وقَصدَ شَمسُ الدَّولة زَبِيْد فأَخذَها قَهراً بالسَيفِ ، وقَتلَ عبد النبي بن علي مهدي ، وأَسرَ جميعَ إخوَته وأَولادَهُم ، ثُم قَتلَهم بعدَ إِزالة دَولَة بني مهدي .

ولَما تَمكَّنَ شَمسُ الدولة من زَبِيْد سارَ إلى الجَنَد ودَخلَ بعضَ تَعزْ ، وسارَ إلى عَدَن ، ودَخلَها واستَولَى على مملَكَةِ آلِ زُرَيْع وأَزالَ دَولَتهُم ، ثُم نَهضَ إلى مِخْلاف جعفر وأَخذَ حصنَ التَّعْكَر ، ووَصلَ إلى نَقيلِ صَيْد المُسَمَّى الآنَ في زَمانِنا نَقيلَ سُمَارَه ثُم نَهضَ إلى ذَمَار فاعتَرَضتهُ قَبائل جَنْب إلى قريةٍ تُسمَّى رَخَمَه شَرقِيَ مَدينة ذَمَار فقتَلُوا

---

[1] - صبيا : بلدة مشهورة آهلة في سهل تَهَامَة من المِخلاف السُليماني .

من أَصحابِهِ نَيفاً وستينَ رجُلاً ، فدَخلَ ذَمَار ثُم نَهضَ إلى صَنْعَاء واعترَضَتهُ جَنْب ، فقالَ لأَصحابه : " قاتِلُوا عن أَنفُسكُم وإلا استَحَلتكُم العرَب ، وأَينَ مصرَ منكُم ، فأصْدقُوا القِتال " ، حتى قَتلَ من العربِ سبعمائَةِ قَتيل وانهَزمَ بَقيتهُم إلى هِرَّان ، وفي ذلكَ يقولُ شاعِرهُ :

وَقالَ لِقومِهِ مُوتُوا كِرَاماً فأَينَ دِيارُ مِصرَ مِنْ ذمَارِ

ولَمَّا حصلَت هذهِ القِتلَةُ ارتاعَ لها السُّلطان علي بن حاتم ، وعَلِمَ أَنَّهُ لا طاقةَ لهُ بالسلطان شَمسِ الدَّولة ، فجمَعَ خزائنهُ وسلاحَهُ في حِصنِ بَرَاش وشَحَنهُ شُحنَةً كاملَة ، وانتقلَ إليهِ بعد أَنْ خرَّبَ سُورَ صَنْعَاء ، وانتقَلَ أَخوهُ بشر بن حاتم إلى عزَّان[1] ، ونَهضَ شَمسُ الدَّولةِ إلى صَنْعَاء فدَخلَها دُخولاً مُعظَماً ، فأقامَ في صَنْعَاء أَياماً ورَجعَ إلى تِهَامَه على طَريقِ نَقيلِ السَوْد ، فَاتَّبعَهُ قَومٌ من سَنْحَان وبني شِهاب ، فانتَهَبُوا أَواخرَ عَسكرِهِ ، فمَضَى ولَم يُعرِّج علَيهِم ، فلَما صارَ في حُدودِ براع[2] وَثبَ قومٌ فأَخَذوا بعضَ أَثقالِه ، فوصلَ زَبِيْد وأَقامَ فيها أَياماً ثُم نَهضَ إلى الجَنَد ، فوَصلَ إليه عاملُ صَبر وسَلَّمَ إليهِ حِصنَ صَبر ، ثُم سارَ إلى المَعَافِر فتَسلمَ حِصنَ ذَخرْ ، ثُم تَسلمَ حِصنَ مُنيف ، وتَسلمَ حِصن سَمَدَان من النَائبِ فيه ، ثُم نَهضَ إلى الدُّمْلُوَه ، وفيها أَولادُ الدَاعي عَمْرَان بن محمد بن سَبَأ ، ومَولاهُم جَوهر المُعظَمي ، فلَم يَنلْ منهُم شيئَاً ، ثُم تَوَجهَ إلى ذي جِبْلَة فأقامَ فيه أَيامَاً ثُم رَجعَ إلى زَبِيْد وأَقامَ فيه تَمامَ الحَول ، ثُم اشْتاقَ إلى الشامِ ، حتى بلَغَهُ أَنَّ أَخاهُ السُّلطانَ صلاحَ الدين استوَلَى على دِمَشق وأَكثَرِ مَدائنِ الشام ،

---

[1] – عزان : اسم مشترك لعدد من البلدات والحصون أشهرها البلدة الواقعة بالقرب من رداع ولعلها هي المقصودة .

[2] – براع : لعلها بُرَع وهو جبل آهل يشكل أحد أعمال الحديدة وهو من الجبال الوعرة صعبة المرتقى تحيط به المهاوي والوهاد ومنه تنحدر المسل وفيه قرى وحصون ومزارع كثيرة .

وكانَ مَنشَأُهُ فيها ، وهوَ أكبَرُ سناً من صلاح الدين[١] ، فكَتبَ إلى أخيه صلاحِ الدين يَستأذنهُ في القُفُول ، فأجابَ عليه صلاحُ الدين يُرَغِّبهُ في المَقامِ في اليَمَن ويَذكُرُ لهُ أنَّهُ قُطرٌ مُباركٌ كثيرُ الخيرِ ، فشقَّ به ذلكَ وَعاودَ المُكاتَبة والتَبرمَ من البَقاءِ في اليَمَن ، وذَكرَ أشعاراً لهُ في ذلكَ منها قَولُهُ شِعراً :

إذا أرادَ اللهُ أنْ يُشقي امْرءاً   و أرادَ أنْ يُحييه غيرَ سَعيد
أغْراهُ بالترحالِ عَن مصرٍ بلا   سَبَبٍ و أسْكنَهُ بأرضِ زَبِيْد

فعرَفَ أخوهُ بأنَّهُ قَد ضَاقَ ذَرعُهُ في اليَمَن[٢] ، فأذنَ لهُ في العَودَةِ إلى الشام .

وفي سنة إحدَى وسبعين وخمسمائة ارتَحلَ شَمسُ الدَّولةِ ، وكانَت طَريقُه ذي جِبْلَة ، ثُم صَنْعَاء ، واستَخلَفَ على اليَمَن عُمالاً ، فجعَلَ على زَبِيْد وما إليها أبا مَيمُون مُبارك بن مُنقذ الكناني ، وعلى تَعِزْ وأعمالها ياقُوتَ التعزي ، وعلى جِبْلَة وبلادِها مُظفَر الدين قايمَان ، وعلى عَدَن ونواحيها عُثمان الزَنجَبيلي .

وفي سنة ست وسبعين وخمسمائة تُوفيَ شَمسُ الدَّولة توران شاه بن أيوب المذكور بالإسكَندَرية ودُفنَ فيها ، وكانَ عُمالُهُ على اليَمَن يَبعَثونَ بخراجِ اليَمَن إليه ، فلَما ماتَ أظهرَ عُمالُهُ الخلافَ ومَنَعوا الخَراج ، وضَربَ كلٌ منهُم السِّكَّةَ[٣] بإسمه ، إلا مُظفرُ الدين قايمَان فإنَّهُ ضَعيفٌ عن العملِ ، فنهضَ إليه عُثمان الزَنجَبيلي من عَدَن وأخذَ

---

[١] – توران شاه : أخو صلاح الدين الأيوبي لأمه .

[٢] – وله أشعار أخرى أرسلها لأخيه السُلطان صلاح الدين حتى يسمح لهُ بالعودة ، يقول فيها:

ما الدار إلا دمشق والمنا حلب   والسؤل مصر وفي الزوراء مزداري
تلك المنازل لا لحج ولا   عدن ولا زبيد ولا أكناف عشتار

[٣] – السِّكَّة : النقد المعدني .

البلادَ التي بيده ، وتَوَجهَ عثمان المَذكورُ إلى حَضْرَمَوت ، فاستَولَى علَيها وقَتلَ من أَهلِها كثيراً واستَفحلَ أمرهُ وقَويَت شَوكَتهُ ، ورَجعَ إلى عَدَن فأقامَ فيها حتى مَلَكَ العزيزُ سيفُ الإسلامِ أَبو الفَوارِسِ طُغْتكِين بن أَيوب في التاريخِ الآتِي ذِكرُهُ .

وفي سنةِ تسعٍ وسبعين وخمسمائة قَدمَ السُّلطان طُغْتكين بن أيوب في أَلف فارسٍ وخمسمائةِ راجلٍ ، فدَخلَ زَبِيْد وقَبضَ على مُبارك بن منقذ ، وأَخذَ أَموالَهُ ، ووَصلَ إليه ياقُوت التَعزي وسَلَّمَ إليه مَفاتيحَ حصنِ تَعزْ ، فأَعجَبهُ ذلكَ منهُ ورَدَّهُ على عمله ، وحَمَلَ معَهُ مُبارك بن مُنقذ تحتَ الحفظ ، ثُم أَمرَ بقَتْله فلَما سمعَ عثمان الزَنجَبيلي بقَتلِ ابن مُنقذ حملَ أَموالَهُ في البحرِ ورَكبَ وفَرَّ إلى العِراق .

وفي سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسمائة نَهضَ سيفُ الإسلامِ إلى ذَمَار فاستَولَى عليها ، فلَما عَلِمَ السُّلطان علي بن حاتم بذلكَ أَخربَ دارَ غَمْدَان وسُورَ صَنْعَاء ، ووَقفَ هوَ وإخوانُهُ في حِصنِ بَرَاش ، وخرجَ القاضي حاتم بن أَحْمَد ابنُ عَم علي بن حاتم ، فصالَحَ سيفَ الإسلامِ على ثمانينَ أَلفِ دينارٍ حاتِميَة ومائَة حِصان ومُدةُ الصُلح سَنَةٌ كاملَة ، ورَجعَ سيفُ الإسلامِ إلى اليَمَن الأَسفلِ ، واستعملَ على ذَمَار وأَعمالِها مُظفر الدين قايمان مَملوكَ أَخيه شَمسِ الدَّولة فجمَعَ الشيخُ زَيْد بن عمرو الحَسَني[1] جُموعاً كثيرةً وقَصدَ بهم ذَمَار فأخَذَها ، وانْحازَ أَصحابُ السُّلطان إلى حِصنِ هرَّان ، وكَتَبوا إلى السُّلطان طُغْتكِين وهو في ذي جِبْلَة ، فأَغارَ عليهم على الفَورِ ، فلَما عايَنَهُ أَهلِ جَنْب انهَزَمُوا ، فوَضعَ فيهمُ السيفَ وقَتلَ مِنهُم مَقتَلَةً عَظيمَة ، ثُم تَبعهُم إلى مَوضعٍ آخر كانوا يَأوونَ إليه فقَتلَ منهُم ستمائة نَفَر .

وفي هذه السَّنة كانَت دَعوَةُ الإمامِ المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة ابن علي بن حمزة بن الإمام أَبي هاشم الحَسَن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحُسَيْن بن القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن

[1] – الحسني : وردت الجنبي في المطبوع .

أَبي طالب عليه السلام ، وهيَ الدَعوةُ الأُولى بالجَوف ، ولم يَتّسم بالإمامة في ذلكَ الوقت ، وإنَّمَا قامَ بالأمرِ مُحتَسباً ، ثُم كَتبَ إلى الأَميرينِ الكبيرين يحيى ومحمد ابني أَحْمَد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحَسَن بن عبدالله المعتصم بالله بن محمد المنتصر بن قاسم المختار بن أَحْمَد بن الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن ، وكانَا يَصلُحان للإمامَةِ وعُيونُ الناسِ نَاظرةٌ إليهما ، فكَتبَ إليهِما يُخبرهُما بِدعوَته ، فنَهضَ إلى صَعْدَه ، فتَلَقاهُ الأَميرانِ في جيشٍ كثيرٍ من خَولان الشام وغيرِهم .

وكانَ الناسُ مُتوقعينَ الدَّعوةَ من الأَمير شَمسِ الدين يحيى بن أَحْمَد لِمَحله من العُلومِ الشرعية ، ولكنهُ جَنحَ إلى القُعودِ عن الدعوةِ ، وعَرفَ أَنَّ الإمامَ المَنصور بالله عليه السلام أَفضَلُ وأَكمَل ، كَما ظَهرَ واشتَهرَ فيه من البرَكة الظاهرةِ والتَصانيفِ النافعة ، وجاءَت كُتُبُ الأَشْرافِ والمشايخِ من مَيْتَك[1] وهوَ المَشهورُ في زَمَانِنا بعَفّار ، يَطلُبونَ من الإمامِ الوصُولَ إليهِم لِيَدفعَ عنهُم عَسكرَ السُّلطان علي بن حاتم ، وكَانوا قد استَولَوا على مَيْتَك ، فاعتَذرَ الإمامُ ، فلَم يَقبلُوا عُذرَهُ ، فسارَ إلى صَبْرَة ثُم قَصدَ حِصن جِزْع فتَسَلمهُ ، فلَما استَقرَّ في الحِصنِ المَذكورِ أَرسلَ لأَهله وقالَ لهُم : " مَلَكنا هذا الحِصنَ ولَكُم فيهِ العمارَةُ ، فإنْ أَذنتُم لَنا بالسُكونِ فيه وإلا خرَجنا عنهُ " ، فأَجابُوه: " أَنْ قَد مَنَّ اللهُ علَينا بِكَ ، أَمَّنتَنَا منَ القومِ الظَالمين ، فاسْكُن فيهِ عن رِضَا منَا وطِيبَة من نُفوسِنا " ، فأقامَ سنتين أَو ثلاثاً وبَعثَ عُمالَهُ إلى بني عَشَب ، وما زَالَت الحُروبُ بينهُ وبينَ أَصحاب علي بن حاتم في تلكَ الجهاتِ وفي بِلادِ الشرَف حتى خرجَ السُّلطانُ عمرو بن علي بن حاتم من كَوْكَبان في أَجْنادٍ كثيرة ، ولَقيَهُ محمد بن حُسَيْن صاحِبُ مَسْوَر ، وخالفت بنو عَشَب على عُمالِ الإمامِ وفي خلالِ ذلكَ وَصلَ

[1] - مَيْتَك : وردت مصحفة ميتك والصواب "مَوْتك" الاسم القديم لبلاد عَفّار وتقع إلى الشمال الشرقي من حَجَّه .

السلطانُ سيفُ الإسلام طُغْتكِين إلى صَنْعَاءَ في قوةٍ عَظِيمَة وأَخذَ الأَهْجِرِ والفُص والظَّفِيْر[١].

وفي سنة أَربعٍ وثمانين وخمسمائة رَجعَ السُّلطان سيفُ الإسلام إلى اليَمَن وحاصَرَ جَوهر المُعظمي وأَولادَهُ في الدُّمْلُوَه ، فلَما عَجزَ جَوهر عن حفظ حصنِ الدُّمْلُوَه المَذكورِ بَاعَها من السُّلطانِ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ملَكيَة ، وشَرطَ على السُّلطان أَنْ لا يَطلعَ الدُّمْلُوَه حتى يَخرُجَ أَولادُ مَولاه إلى أي مَوضعٍ يُريد ، فجَهزَ جميعَ أَولادِ مَولاه ومن يلُوذُ معَهُم ونَفائسِ ذخائرِهم ، وخرجَ معَهُم في زيٍّ امرأَة حتى نَزلَ ساحلَ المَخَا . ثُم رَكبَ في سُفنٍ قد أَعَدهَا وخرجَ إلى ساحلِ الحَبَشَة ، وقد كانَ تَركَ نائباً في حصنِ الدُّمْلُوَه وأَعدَ عندهُ أَوراقاً عليهَا عَلامَتهُ ، وأَمرَ النائبَ أَنْ يكتُبَ إذا عَرضَ ما يُوجبُ الكتبَ إلى السُّلطانِ أَو غيرِه إيهاماً لهُم أَنَّهُ باقٍ في الدُّمْلُوَه ثُم يُسلمُها إلى السُّلطان ، فلما وَصلَ كتابُهُ إلى السُّلطانِ قالَ: " أَلَم يَكُن جَوهر في الدُّمْلُوَة ؟" ، قالَ لهُ الرَسولُ: " إنَّهُ أَولُ من خرجَ منها " ، فعَجبَ السُّلطانُ من مُوافاته[٢] لَمواليه ، ثُم أَرسلَ إلى النائبِ بكتابِ جَوهر فامتَنعَ النائبُ عن تَسليم الحِصنِ ، فعَظُمَ الأَمرُ على السُّلطان وعاوَدَ المَحطةَ على الحِصن .

وفي خلال ذلك وَصلَ بشر بن حاتم إلى السُّلطانِ فأَكرَمهُ وعظَّمهُ وأَعطاهُ خيلاً سُروجُها مُذهَّبَة وسُيوفاً ، وأَسقطَ عن أَخيه السلطانِ علي بن حاتم بعضَ خَراجِ بِلادِه ، وطَلبَ النائبُ لِجوهَر الصُلحَ على يدِ بشر بن حاتم ، فسَعَى فيه وتَم على تَسليم عشرةِ آلافِ دينارٍ للنائب ، وخرجَ النائبُ إلى صَنْعَاء ودَخلَ السلطانُ حصنَ الدُّمْلُوَه وحين رَجعَ بشر بن حاتم إلى أَخيه أَقبَلا على عمارَةِ الحصونِ وشَحنها ، فلَما انقَضَت

---

[١] – الظفير : بلدة من أعمال حَجَّه ، وهذه البلدات كانت مراكز العلم والهَجَر التي يقصدها الطلبة وخاصة في القرنين التاسع والعاشر الهجري .

[٢] – ورد في المطبوع (وفائه) .

مُدةُ الصُلحِ نَهضَ السُّلطان طُغْتكِين ، فلَقيه القاضي حاتم بن أَسعد ، وطلَبَ منهُ الصلحَ مُدةً مَعلومةً على تَسليمِ ثلاثينَ أَلفاً وثلاثين فَرساً ورَهنَ في ذلكَ رَهائن ، ورَجعَ إلى بني حاتم فامتَنَعوا عن تَسليم ما التزَمهُ ، فرَجعَ القاضي حاتم مُتغيرَ الحالِ ووَصفَ لهُ ما وَقع ، فقالَ لهُ السُّلطان : " كُنْ منا ونحنُ نُطلقُ رَهينَتكَ " ، ثُم كَساهُ وأَحسَنَ إليه ، وتقَدمَ على الحُصون ، فأَخذَ حِصن أَشْيَح ، وقتَلَ السلطان يحيى بن مَظفر من آلِ الصُلَيْحي وقبَضَ على بَقيتهِم وأَرسَلهُم إلى ذي جِبْلَة ، واستَولَى على جبلِ الشِّرْق ، وعادَ إلى جَهْرَان .

وفي سنةِ خمسٍ وثمانين وخمسمائة نَهضَ السلطانُ إلى صَنْعَاء ، وحاصَرَ ذي مَرْمَر والفُص ، وسَوادَ عِزَّان ، واستَولَى على عِزَّان قَهراً وقَبضَ الشَيخينِ إبنَا مفرح ، ثُم سارَ إلى العَروس[1] وضَيَّقَ على من فيه ، فنَزلَت إمرأةٌ من الحِصنِ بطفلٍ صغير إلى السلطان واستأذنَت عليه ، فقالَت: " إنَّا سَمينَا هذا الطفلَ بإسمكَ لتهَبَ لهُ هذا الحصن " ، فأَعجبَهُ كلامُها ورَفعَ المَحطةَ إلى الظَّفيْر ، فامتَنعَ عليه أَهلُه ، ثُم استولَى على الفُص ، وسارَ ابنَا بشر بن حاتم بأَمانٍ من السُّلطان إلى ذي مَرْمَر ثُم رَجعَ إلى أَهلِ الظَّفِيْر فأَخَذهُ قهراً ، ثُم سارَ إلى كَوْكَبان ، ومَيْتَك ، فأَخذَ بعضَ حُصونها ، فاضطَرَبَ أَصحابُ المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، واستَأذَنُوهُ في الإنتقالِ فأَذنَ لهُم ، فلَما قَرُبَت أَجْنادُ السُّلطانِ من الإمامِ جادَلهُ أَصحابُهُ في الإِنتقالِ فَأَبَى ذلكَ ، وأَمرَ أَخاهُ الأَميرَ محمد بن حمزة أَنْ يتقَدمَ إلى صَبْرة ، ويُناجزَ مَن في قَريةِ شَوْحَطين[2] ، فسارَ إليها وحصلَ حربٌ استَشهدَ فيه الأَميرُ محمد بن حمزة ، بعدَ أَنْ قاتَلَ قتالاً عَظيماً مُنفرِداً بعدَ هَزيمَةِ أَصحابهِ ، ثُم نَهضَ السلطانُ بِنفسهِ إلى شَوْحَطين ، فكَثُرَ الإِلحاحُ على الإمامِ في

---

[1] – العروس : جبل آهل في بني مطر إلى الغرب من صنعاء بموازاة جبل كوكبان .

[2] – شَوْحَطين : شَوْحَط قرية خربة في قاع بكيل من بلاد آنس النسبة إليها شَوْحَطي .

الخُروجِ عن ذلكَ المَحَل ، فخرجَ إلى شَرِس ، ووَقعَ بينَهُ وبينَ أَهلِ بيت قُدَم[1] بعضُ قتال ، ثُم تَوَجهَ الإمامُ إلى الجَوْف ، ولم يَزَل السُّلطان مُلازماً لِحصارِ كَوْكَبان ، ثُم استَولَى السُّلطانُ على كَوْكَبان ، وعَوضَ بَني حاتم بالعَروس[2] .

وفي سنةِ ست وثمانين وخمسمائة سارَ السُّلطان طُغْتكين إلى صَعْدَه فدَخلَها ورَتبَها بثلاثمائَة فارِس ، ثُم سارَ إلى شُهَارة فاستَولَى على الأَهْنُوم ، وبلاد الشرَف ، وعلى جميعِ المُدن واليَمَن سَهلِه ووَعرِه ، وزالَت عنهُ الدُولُ التي كانَت فيه من آل الصُلَيْحي وبني حاتم الإسماعيليةِ بعد أَنْ مَلكُوه بأَجمَعَهُ كما قالَ السيدُ العلامة إبراهيم بن محمد بن عبدالله الوزير في القصيدة التي كَتبَها إلى الزُحَيْف شارِحِ بَسَّامَةِ ابن الوزير ، قالَت :

وَ تَمَلكُوا سهلَ البلاد وَ حربَها ... وَ عَدَوا بِأَلويَةٍ عليهم تُعقدُ
وَ بَنُو عُبَيد بِالنَوالِ تُمدُهُم ... وهُمُ دُعاةٌ للمُعزِ و أَعْبَدُ
وَ تَمَلكُوا اليَمَنَينِ وَ استَولوا على ... مَا في زَبيْد وَ ما حَواهُ السيدُ
ثُم انقضَتْ تلكَ السنونُ و أَهلُها ... فَكأَنَّهُم في ظلها ما خُلِّدُوا

وفي سنة سبعِ وثمانين وخمسمائة تَسَلَّمَ السُّلطانُ طُغْتكين حصنَ بَرَاش ، وجَعلَ في صَنْعَاء أَميراً يُقالُ لهُ ابن الهُمام ، وفَوضَهُ على الأَعمالِ والعُمالِ في اليَمَنِ الأَعلى ، واستَقَر في تَعزْ وأَمرَ بعمارَةِ الدُورِ وتَشييدِ القُصور ، واختَط مَدينةَ المَنصورة في الجهة التَّعزِية ، وأَجرَى إليها النَّهرَ من جَبلِ صَبر ، وهوَ الذي ابتَدأَ بناءَ سورِ صَنْعَاء ،

---

[1] – بيت قدم : بلدة آهلة في منطقة شرس إلى الشرق من حَجَّه ولعل عائلة القديمي منها .

[2] – وهبهم وأملكهم جبل العروس .

وأَدخلَ فيها الجهةَ الغَربيةَ من السَايلَة إلى باب السَبَح ، وبنى الدارَ السُّلطانيةَ في البُستانِ المَعروفِ ببُستان السُّلطان نسبَةً إليه ، ثُم سارَ إلى حَضْرَموت واستَولَى على مُدنها مثلَ شبَام ويَريم[1] ، وجعلَ إلى ولَده إسماعيل ولايَةَ كَوْكَبان وبلادِ الظَّاهر ، فسَاءَت سيرَةُ أَصحابه وأظهَروا المُنكراتِ العظيمة ، فأَجْمَعَ رَأيُ حاشد ورجالِ بَكيل من أَقاصِي بلادهم أَنْ يُباشرُوا أَصحابَ السُّلطان بالحروبِ العَوانِ في أُثَافَت[2] والمصْنَعة ، فقتَلوا منهُم زُهاءَ سبعمائة قَتيل ، وعَقَروا الخَيلَ وأَخَذوا ما في أَيديهم من الأَثاثِ والأَسلحَة ، فجَهزَ السُّلطانُ جيشاً إلى عَجيب ، فاجتَمعَ الأَشْرافُ وقَبائلِ الظَّاهر مع الإمامِ المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام ، ووَقعَ حربٌ عظيمٌ فانهَزَمَت القَبائل وثَبتَ الإمامُ والأَشرافُ وقاتَلُوا قتالاً عظيماً حتى قُتلَ منهُم فوقَ مائَتي نَفَر ، ولم يَبرَح الإمامُ من مَكانه حتى دَقَّهُ أخوهُ عمادُ الدين بأَسفَلِ الرمحِ دقَّةً عَظيمَة .

وفي سنةِ تسعٍ وثمانين وخمسمائة ماتَ السُّلطان صلاحُ الدين يُوسُف بن أَيوب[3] .

وفي سنةِ تسعين وخمسمائة ماتَ السُّلطانُ طُغْتكين بن أَيوب بالمنصورَة من بلادِ تَعزْ ، التي مَرَّ ذكرُها قريباً ، ثُم نَقلَهُ ولَدُهُ المُعزُ إلى المَدرسةِ المَعروفة بالسيفيَة نسبةً إليه .

قال الجَندي والخَزرَجي : إنَّ السُّلطان طُغْتكين لما استَولَى على اليَمَن ، وأَطاعَهُ جميعُ من فيهَا دَعَتهُ نَفسُهُ إلى شراء أَرضِهم بأَسرِها ، فأَرسلَ للمُثَمِّنينَ وأَمَرهُم أَنْ يُثَمنُوها ، وأَرادَ أَنْ يكونَ اليَمَنُ ملكاً للديوان ومَن أَرادَ حَرثَ شَيءٍ منها وَصلَ إلى الديوان واستَأجرَ منهُ الأَرضَ ، فَشقَّ ذلكَ على أَهلِ اليَمَن وعَظُمَ عليهُم الخَطبُ ، فاجتمعَ جماعَةٌ من الصالحينَ وأَجمعَ أَمرُهُم على لُزومِ المَساجدِ ، فلَزموهَا قِيامَاً بالليلِ وصِياماً في

---

[1] – لعله أراد تريم ، وردت مصحفة .

[2] – أُثَافَت:وردت خطأً في المطبوع – ثاقب – ، وقد تقدم التعليق عليها .

[3] – صلاح الدين الأيوبي : تُوفيَ في دمشق وقبره فيها ، وهو الذي أنهى الوجود الصليبي في أرض الإسلام . ولما دخل الجنرال غورو قائد الحملة الفرنسية دمشق في عام ١٩٢٠م ذهب من توه إلى قبر صلاح الدين وركل القبر بقدمه وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين .

النَّهارِ ، وفي الثالث أو الرابعِ خرجَ أحدُهُم بالليلِ لقَضاءِ حاجَةٍ ، فنَادى بَصوتِه يا سُلطانَ السَماءِ إكْفِنَا سُلطانَ الأَرض ، فَسمِعَ قارئاً يَقرَأ : ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[1] فرَجعَ إلى أَصحابِه وقالَ لَهُم : " قُضيَت الحاجَةُ وحَقِّ المَعبُودِ " ، وأَخبَرَهُم بما سَمع .

فلَما كانَ ثالثُ ذلكَ اليومِ تُوفيَ السُّلطانُ طُغْتكِين بن أيوب وبَطُلَ ذلكَ الأَمرُ ولَم يَعتَمدهُ أحدٌ من المُلوك قَبلَهُ ولا بَعدَهُ ، وكانَ مُلكُه أربعَ عشرة سنةً وأَربعةَ وعشرينَ يوماً ، وقامَ بَعدَهُ ولَدُهُ المُعز إسماعيل بن طُغْتكِين بعدَ أَنْ كانَ قَد ارتَحلَ عن اليَمَن مُغاضِباً لأَبيهِ وأَرادَ الوصُولَ إلى أَعمَامه بمصرَ والشَّام ، حيثُ كانَ والدُهُ أَرادَ الإدلاءَ بالمَملَكة إلى ولدٍ لهُ آخَر ، فأَنكرَ على ولَدِهِ المُعزِ الخُروجَ من مَذهبِ أَهلِ السُنة إلى مَذهبِ الباطنيَة ، فأَمضَاهُ فأَدركَتهُ الرُسلُ بحرَض ، وحَرَّضُوهُ على الرُجوعِ إلى اليَمَن والقيامِ بالمملَكة فرَجعَ من حَرَض بعد أَنْ قَتلَ العاملَ فيه وهو القاضي الأَسعد واستَقصَى أموَالَهُ ، وهوَ حَقدَ عليهِ حيثُ لم يَحتَفِل بهِ عندَ وصولِه إليهِ قبلَ أَنْ يَلِيَ السَلطَنَة .

وفي سنةِ ثلاث وتسعين وخمسمائة جَدَّدَ الإمامُ المنصور بالله عبدالله بن حمزة الدعوَةَ ، فأَجابَهُ أعيانُ عُلماءِ الهَادَوية[2] ، وأَعظَمُ من أَعانَهُ وحَرَّضهُ على القيامِ السُّلطانُ علي ابن حاتم ، وأَرسلَ إليهِ أخاهُ بشر بن حاتم إلى الجَوْف فنَهضَ الإمامُ إلى ثلاَ ، وبَعثَ جُنْداً إلى حَضُوْر غربي مدينةِ صَنْعاء ، فخرجَ إليهم عَسكرُ السُّلطان فأَوقَعوا بهم ، وقُتلَ الأَميرُ محمد بن علي .

---

[1] - سورة يوسف ٤١ .

[2] - الهادوية : نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق رحمه الله المتوفى سنةَ ٢٩٨ هـ ، والهادوية الزيدية ما خلا الجارودية لا ترى سب الصحابة وتترحم على الشيخين ، وترى أن علياً عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ ، وترى صحة إمامة الشيخين مع وجود علي عليه السلام على قاعدة جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل .

وفي سنة أَربعٍ وتسعين وخمسمائة نَهضَ الملكُ المُعز إلى صَنْعَاء فقَتلَ الأَميرَ ابن الهُمام عاملِ أَبيهِ على صَنْعَاء ، وجعلَ علَيها الشهاب الجَزْري ، وكَتبَ إلى السُّلطانِ علي بن حاتم[1] أَنَّهُ سَيوليهِ صَنْعَاء وأَعمالَها وحَلفَ لهُ على ذلك ، فأَرسلَ إليه أَخاهُ بشر بن حاتم وولَدَهُ عمرو بن علي بن حاتم ، فأَمسَكهُما ونَكثَ عَهدَهُ ، ثُم سارَ وصَحبَهُ الأَميرُ حَكُو بن محمد لمُحاربةِ الإمامِ المنصور بالله ، فوَقعَ بينهُما قتالٌ فثبَتَ الأَمير حكو بن محمد وكان شُجاعاً باسلاً .

وفيها سارَ الإمامُ إلى صَعْدَه وبَعثَ عُمالَهُ إلى البلادِ المواجهَة إليه[2] ، ثُم خرجَ الإمامُ عن صَعْدَه واستَولَى على الجِهةِ القِبلِّيَةِ حتى وَصلَ كَوْكَبان ، فتَلَقاهُ السُّلطانُ عمرو بن علي بن حاتم بجيوشٍ كثيرة ، ومَشَى بين يَديه حتى دَخلَ حصنَ كَوْكَبان ، ثُم استَولَى على حِصنِ الظَّفيْر ، ثُم أَجمعَ رَأيُ السَلاطينِ والأُمراء على قَصْد حَضُوْر ، فأَسعَدَهُم الإمامُ وجَعلَ عليهِم الأَميرَ العَفيفَ محمد بن مُفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يُوسُف الدَاعي بن يحيى بن المنصور بن أَحْمَد الناصر بن الهادي يحيى بن الحُسَيْن عليه السلام ، وهو جَدُّ السادَة الأَعلامِ بني الوَزير ، والسُّلطانَ بشر بن حاتم ، و وَصلَ إليهِم الأَميرُ الحَسَن بن علي بن داوود القاسمي من المَغرب[3] وسارَ الجَميعُ إلى حَضُوْر بعد أَنْ أَخربُوا محلاتٍ كانَ يَأوي إليها عسكرُ السُّلطان ، فخرجَ إليهِم عسكرُ السُّلطانِ من صَنْعَاء معَ الشِهاب الجَزْري والأَميرِ حَكو بن محمد ، فانهَزمَ جُنْدُ الإمامِ وتَفرقوا ، فرَجعَ [عَسكرُ] المُعزِ إلى قَريةِ بيتِ خَولان[4] فانتَهَبُوها .

---

[1] – علي بن حاتم بن أحمد اليامي : سُلطان من الباطنية الإسماعيلية قام بالأمر بعد وفاة أبيه ، كان داهيةً شجاعاً كريما أديباً تُوفيَ في عام ٥٩٧ هـ .

[2] – المواجهَة إليه : المُنضَويَةُ تحت لوائه وتحت حُكمه .

[3] – المغرب : المقصود مغارب اليَمَن الأعلى باتجاه جبال وسهول تِهَامَة .

[4] – بيت خَوْلان : موضع في رأس جبل حضور المعروف بجبل شعيب إلى الغرب من صنعاء .

وفي هذه المُدة فَسدَ ما بينَ الأميرَ حَكو بن محمد[1] والشهاب الجَزْري ، فكَتبَ الأميرُ حَكو إلى الإمامِ على جهة الكِتْمان أنَّهُ يُريدُ الخُروجَ إليه والإعتزالَ إليه ، فأجابَهُ الإمامُ بما يَشفي الوِئامَ وأَرسلَ إليه الإمامُ الشَّريف علي بن موسى العباسي العَلَوي ، فلَقيَهُ في جهة ذَمَار فأَخذَ منهُ البَيعةَ والعَهدَ للإمام .

فلَما بلغَ السُّلطانَ المُعز مَيلُ الأَميرِ حَكو إلى جَنابِ الإمامِ ، أَرسلَ طائفةً من الجُنْد للقبضِ عليه فأَكرَمهُم وهوَ في ذَمَار ، وأَخبرَهُم أَنَّهُ قَاصدٌ إلى مَخدومه المُعز ، فصَدقُوهُ ، وأَظهَروا المُجاملَةَ وسارَ معَهُم إلى الحَقل ، فلما كانَ الليلُ إنْسَل هوَ وجماعَةٌ ورَجعَ إلى جبلِ كَنن المَعروف ، فأَمرَ الإمامُ قَبائل سَنْحَان بتَلَقيه ، ففَعلوا وسارُوا من جبلِ كَنن[2] إلى حِصنِ لَحْج فاستَولَى عليه ، وفي خلالِ ذلكَ أَرسلَ المَلكُ المُعز إلى الشهاب الجَزْري بخزانَة عَظيمَة ، وأَمرَهُ بمُناجزَة الأَميرِ حَكو والإمامِ ، وصَحبَت الخزانةَ جماعةٌ من العسكَرِ والمُسافرينَ ، فاعتَرَضهُم الأَميرُ حَكو وقَتلَهم وأَخَذوا الخِزانةَ وبضاعةَ المُسافرين .

وكان الشهابُ الجَزْري قَد أَرسلَ جماعةً من العسكَرِ لحفظِ الخزانَة ، فقَتلَهم الأَميرُ حَكو وأَخذَ أَسلحتَهُم وحلِّيَهُم وأَسرَ بعضَ المَماليك ، ثُم قَصدَ المسيرَ إلى الإمامِ ، فوصلَ أَولاً إلى السُّلطان علي بن حاتم فأَكرَمهُ غايَةَ الإكرام ، فبَقيَ لَديه أَياماً يُغيرُ على البلادِ الداخلة في طاعَة المُعز ، ثُم تَركَ أَثقالَهُ في ذي مَرْمَر[3] ، وسارَ إلى الإمامِ فبالَغَ في إكرامه وقَدَّمَه على الأَجْناد وسَماهُ السُّلطانَ حَكو بن محمد ، وأَمر الجُنْدَ بالركوب معَهُ وحَمْلِ الغَاشيَةِ بينَ يَديهِ ، ثُم عَزمَ عن أَمرِ الإمامِ لُمناجَزةِ من في الجَنَّاتِ من أَجْنادِ

[1] – الأمير حكو : هو الأمير سيف الدين حكو بن محمد الكردي قتل عام٥٩٥هـ وهو من قادة قوات بني أيوب .

[2] – جبل كنن : جبل مشهور في بلاد سَنْحَان .

[3] – وردت في المطبوع ذي قرقر وهو خطأ .

المُعز ، فانهَزمُوا إلى صَنْعَاء وتقَدمَ الأميرُ حَكو إلى رَيْعَان[1] لمُحاصَرة صَنْعَاء ، فوصَلَ السُّلطانُ المُعز إلى صَنْعَاء وأَرادَ أَنْ يخرُجَ إلى شِبَام لمُحارَبة الإمامِ ، فخالَفَ عليه أكبرُ أُمرائِهِ [ويُدْعَى] شَمسَ الخَواص ، وخرجَ من صَنْعَاء إلى عَصِر[2] مُغاضِباً لمَولاه المَذكور ، فرَجعَ السُّلطانُ إلى اليَمَن الأَسفَل ، وكَتبَ شَمسُ الخواص إلى الإمامِ أَنْ يَلقَاهُ إلى عَصِر ، فَكثُرَ الإرْجافُ على الإمامِ من أَصحابِهِ ، وتَوَسَّمُوا أَنَّها خَديعةٌ وأَنَّ قَصْدَهُم الغُدرَ به ، فلَم يَلتَفِت الإمامُ إلى ذلكَ ، وخرجَ مُتوَكلاً على الله حتى وَافا شَمسَ الخواص في عَصِر .

ثُم نَهضَ إلى صَنْعَاء وفيها أَجْنادُ السُّلطان سبعمائَة فارِس ، ففَتحَ أَهلِ صَنْعَاء للإمامِ بابَها ، فدَخلَها في سبعَة أَفراس ، وبَقيةُ أَصحابه خارجَ صَنْعَاء فقَصدَ مسجدَ الجامع ، فلَما علِمَت به جُنْدُ المُعز أَحاطَت بالجامعِ ، فَلَبثَ بالجامعِ إلى المَغرب ، وصَلى الإمامُ وقَعدَ مُنتظِراً لِلفَرجِ من الله تعالى ، وأَمرَ أَخاهُ أَنْ يُشرِفَ عليهِم ، فَشَتمُوه ، فأَشرَفَ عليهِم الإمامُ من ذلكَ المَوضِعِ ، فلَم يَنطِق أَحدٌ منهُم بكلمَة .

ثُم إنَّ أَهلِ صَنْعَاء أَخرَجوا الإمامَ في غِمارِهِم ، ووَقَاهُ اللهُ سُبحانَهُ شَرَّ الأَعداء فدَخلَ دُورَ بعضِ أَهلِ صَنْعَاء فَلَبثَ فيه هُنَيةً من الليلِ ، وخافَ أَهلِ صَنْعَاء على الإمامِ لِشدة مَحبَتهِم لهُ ، فرَأَوا بَقائَهُ بِبَيتٍ لا يَعرِفُها المُعز ، وأعيى[3] أَهلِ صَنْعَاء في تَحويلِ المُعز ، وأَجمعَ رَأيهُم على نُصرَةِ الإمامِ ومُقاتَلةِ المُعز ، فَذُل المُعز ذُلاً شديداً واستَسلَمُوا لِطاعَة الإمامِ ، وفُتِحَت الأَبوابُ للإمامِ وبايَعهُ الخاصُ والعامُ ، والحمدُ للهِ رب العالَمين .

[1] – ريعان : قرية إلى الغرب من صنعاء بعد قرية الصباحة ، وتقع القرية فوق تل صخري .

[2] – عَصِر : قرية إلى الغرب من صنعاء وهي اليوم أحد أحيائها .

[3] – ورد في المطبوع (واعتنى) .

وأما شَمسُ الخَواص[1] فإنّهُ استأذنَ الإمامَ بالرَحيلِ إلى تَهامَه ، فظَفِرَ بهِ المَلكُ المُعز وسَجنَهُ في دَهْلَك حتى مات .

وفي هذه الأَيامِ[2] سارَ الإمامُ إلى ذَمَار فدَخلَها عُنوَةً بعدَ حربٍ شَديد ، وأَسرَ جماعَةً من جُنْدِ المُعز الذي في ذَمَار وأَخذَ خيلَهُم ، وفيها نَهضَ المُعز بجُموعٍ كثيرَة ، فلَقيَهُ الأَميرُ حَكو عن رأيِ الإمامِ فقَاتلَهُ في الحَقْل[3] ، فقُتلَ الأَميرُ حَكو وانهَزمَ أَصحابهُ إلى ذَمَار ، وكانَ الإمامُ قد نَهضَ من صَنْعَاء مُمِداً للأَميرِ حَكو ، فلَما بَلَغهُ قَتْلُهُ رَجعَ إلى شبَام فأَقبَلَ المُعز إلى صَنْعَاء فدَخلَها ووَلّى عليها الشهابِ الجَزْري ، ورَجعَ الإمامُ الظّاهِر وأَنْفذَ دَعوَتهُ إلى الحِجَاز ، فأُقيمَت لهُ الخُطبةُ في يَنْبُع ، والظفر ، وخَيبَر ، ووَصلَت الحُقوقُ من تلكَ الجِهات ، وبَعثَ دُعاتَهُ إلى الجَبلِ والدَيلَم[4] ، فقامَ بها مَن هُنالكَ مِن الأَشْرافِ وعُلماءِ الشيعةِ ، ونَفذَت أَوامرُ الإمامِ المَنصورِ باللهِ هُنالِكَ وأَقاموا الخُطبَة .

وفي سنةِ سبعٍ وتسعين وخمسمائة ماتَ السُّلطانُ الوَحيدُ علي بن حاتم اليَامي ، وكانَ فَصيحاً شاعِراً بَليغاً كَريماً ، قَصدَهُ كثيرٌ من شُعراءِ الديارِ المِصريَةِ ومَدَحوهُ بغُررِ المَدائحِ فأَثَابَهُم ، مِن جُملَتِهِم الرشيد بن الزبير وغَيرُه ، فلَما رَجعَ الرشيد المذكورُ إلى الديارِ المِصريَةِ سُئلَ عن الديارِ اليَمَنية وأَهلِها ، فقالَ لَهُم: " وَجدتُ أُموراً من المَحاسِنِ لا توجَدُ في غيرِها ، مِنها مَدينةٌ وهي زَبِيْد ونُزهَة وهي صَنْعَاء ومَلكٌ كريمٌ وهو علي بن حاتم ".

---

[1] – شمس الخواص : أحد القادة المتبقين من جيش بني أيوب في اليَمَن .

[2] – أراد ذلك التاريخ : ٥٩٤ هـ .

[3] – الحقل : حقل كتاب في بلاد يَريم نسبة إلى قتاب بن زيد بن زرعة . وكان يعرف أيضاً قبلها بحقل يحصب.

[4] – الجبل والديلم : من بلاد فارس .

وفي سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة وَصلَ كتابُ ورِدْسان ، وهوَ من كبارِ الأُمراءِ مع السُّلطانِ [إسماعيل بن] طُغْتكين إلى الإمام المَنصور بالله ، يُشعِرُهُ بأَنَّهُ قد خالَفَ على سُلطانه ، وأَنَّهُ يُريدُ الإعتزالَ إلى الإمامِ وأَنْ يكونَ معَهُ والجهادَ بينَ يديه ، فأَجابَهُ الإمامُ إلى ما طَلَب ، وهو إنَّما فعلَ ذلكَ خَوفاً من المُعز إسماعيل ، لأَنَّهُ فَتَكَ بكثيرٍ من أُمراءِ جُنْده ، وأَغْرَى بأَكلِ بَني آدَم كما ذَكرَ بعضُ المُؤرخين ،وكانَ إذا أَعجَبهُ سُمْنُ أَحدٍ من أَهلِ دَولَته أَمرَ به فيُذبَحُ ليأكُلهُ فَخافَهُ كثيرٌ من الناس[1] ونَفَرُوا عنهُ ، وكانَ ورِدْسان استَشعَرَ أَنَّهُ سيقتُلهُ ، فأَرسلَ الإمامُ بعضاً من أَصحابه ليلقاهُ ، فبَلغَ الشهابَ الجَزْري فخرجَ من صَنْعَاء إلى الهان، ومَنعَ رُسُلَ الإمامِ عن تَلَقي ورِدْسان ، فأَرسلَ الإمامُ غيرَهُم إلى جهةِ رَيْمَة ، فلَما وَصلُوا الهان تَلَقاهُم أَهلُها بالإكرامِ ، وصَحبُوا معَهُم ورِدْسان إلى أَنْ وَصلَ لَدَى الإمامِ وهوَ يَومَئذٍ في صَعْدَه ، فأَمرَ الإمامُ الجُنْدَ بتلَقيه ، فدَخلَ دُخولاً مُعظماً .

وفي هذه السَّنة سَوَّلَت لإسماعيل بن طُغْتكين[2] نَفسُهُ وادَّعَى الخلافَةَ ، وانتَسبَ إلى بني أُميةَ ، فوَرِدَت عليه من مِصرَ والشَام كُتُبُ أَهله يُنكرونَ عليه أَشدَ الإنكارِ ، فلَم يَرعَوِ بَلْ تَمادَى على ذلكَ الإصْرار ، ولما أَنكرَ عليه الأَتابكُ سَنْقَر ، والأَميرُ يُوسُف الدَقيق هَمَّ بقَتلهما ، فَفارَقَهُ الأَتابكُ سَنْقَر وأَظهرَ الخلافَ عليه ، ومَالَ إليه أَكثَرُ الجُنْد ، فسارَ بِهِم إلى المَهْجَم ، واستَولَى على ما فيه من الأَموالِ فسارَ إليه المُعز إلى الكَدْرَاء واقْتَتَلا ، فكانَت الدائِرَةُ على المُعز فرَجعَ إلى الكَدْرَاء مُنهزِماً ، وحَملَ نِسائَهُ على الخيلِ ، وكانَ لا يُفارِقُهُن سَفراً ولا حَضَراً ، وسارَ الأَتابكُ خلفَهُ فاستَولَى على

[1] – الظاهر أنها إشاعة حامت حول الرجل وليست حقيقية .

[2] – إسماعيل بن طُغْتكين : أحد سلاطين اليَمَن : كان من جند أبيه في اليَمَن ، وخرج من مذهب أهلِ السنة واتبع مذهب الإسماعيلية فطرده أبوه ، وبعد وفاة أبيه دخل زبيد وخرج إلى تعز وأظهر مذهبه وقويت به الإسماعيلية ، وكان سفاكاً للدماء ظالماً ، ادعى الألوهية ،قَتَلَه بعض جنده في زبيد ونصبوا رأسه على رمح وطافوا به في بلاد اليَمَن .

الكَدْرَاء وأعمالِها ، وكَتبَ إلى الإمامِ المَنصورِ بالله، ومالَ إليه خَوفاً من المُعز ، فأَجابَهُ الإمامُ ورَغَّبَهُ في الدُخولِ تحتَ طاعَته .

وما زَالَت أُمورُ المُعز مُضطَرِبَةً وأَحوالُهُ مُتقلبَةٌ حتى قَتلَهُ الجُنْدُ بباب زَبِيْد ، واختَلفَ المُؤرخونَ في صفَة قَتْله ، فقالَ الخَزرَجي : أَنَّهُ خَرج يَوماً من زَبِيْد راكباً على بَغلَة ، وعليه حُلَةٌ طَويلَةُ الأَكمَامِ ، فوَثَب عليه الأَكرادُ[1] عندَ مَسجد شاشه ، على نَحو ميلَين من زَبِيْد فقَاتَلهُم بالمِقرَعَة ودَعا بحصانه ، فحالَ الأَكرادُ بينَهُ وبينَ جَواده واستَلَّ سيفَهُ فحالَت بينَهُ وبينَ الضَرب بالسَيف أكمامُهُ ، فقُتلَ وقُتلَ معَهُ مَملوكُهُ شرفُ الدين الحَبَشي ، واحتَزُوا رَأسَهُ ودَخلوا به إلى زَبِيْد ، وذَكرَ صاحبُ تاريخ بَني أَيوب ، أَنَّ سَنْقَر لَما خافَ من المُعز سَعَى في إفسادِ عَسكرِه حتى وَقعَ ما ذَكَرناه ومُدَةُ مَلكِه خمسُ سنين تَقريباً .

ولما قُتلَ المُعز أُعيدَت الخُطبة في صَنْعَاء وزَبِيْد لبَني العباس ، ونَصَّبُوا لِمَملَكة بني أَيوب ابنَ الملك المُعزِ بن طُغْتكين ، وكانَ طفلاً في عشرِ سنين أَو نَحوَ ذلكَ ورَجعَ الأَتابكُ سَنْقَر وتَولَى أُمورَ المَملَكة وكانَ شُجاعاً شَهماً مُدبراً وكاتَبَ الأَكرادَ واستَمالَهُم .

وفي هذه المُدة كَتبَ بنو حاتم بن أَحْمَد إلى الإمامِ يَذكُرونَ لهُ اختلافَ المُعز و يَستَنهضُونَهُ إلى صَنْعَاء ، وقَد كانَ الإمامُ جَهزَ الأَميرَ صَفيَ الدين محمد بن إبراهيم الحميري ، والأَميرَ وردْسار[2] إلى حَرَض ، فتَرجحَ لهُ إرسالهُ إلى صَنْعَاء ، وخَلعَ على وردْسان ، وأَركَبَهُ من كِرامِ خَيله ، ووَعَدهُ بولاية صَنْعَاء بعدَ فَتحها ، وفي خلالِ ذلكَ وَصلَ الإمامَ كِتابُ ظَهيرِ الدين مُفضَل بن منصور بن أَبي رَباح يَذكرُ للإمام افتراقَ

---

[1] – الأكراد : مجموعة من جيش بني أيوب الذين بقوا في اليَمَن ويقال لهم الغز أيضاً .

[2] – وردسار : الصواب وردْسان : وهو أحد القادة الذين بقوا في اليَمَن من جيش بني أيوب . وقد ورد في المطبوع والمخطوط (وردسار) .

المُعز وأنَّهُ قَد نَهضَ إلى ذي جِبْلَة وفَتحَها بإسم الإمامِ ، وأنَّ أَهلِ حُصونِ اليَمَن قد خالَفُوا على الغز[1] ، وصارَ الجميعُ ينتَظرونَ حَرَكَةَ الإمامِ ، ووَصلَ إلى وِرِدْسان كِتابٌ من الغَز الذي بصَنْعَاء يَستَدعونَهُ للوصُول ، فأَذنَ لهُ الإمامُ ولأَصحابه ، وكأنَّما نَشطوا من عِقال ، لأنَّهُم مُنعوا عندَ الإمامِ من المُحرمات التي يَعتادونَها فَساروا وهُم شاكِرونَ لإنعامِ الإمامِ وما أَسدَاهُ إليهم من الإكرام ، إلا أنَّهُم كَفروا بنعمَته ، كما سنَذكرُ من أَخبارِ وِرِدْسان قَريباً .

فلما وَصلَ وِرِدْسان إلى صَنْعَاء ، واجتَمعَ بالشِهاب الجَزْري ، وجَدَه خائفاً على نفسهِ من أَصحابه وغيرِهم ، فأَخبَرهُ بما يُريدُهُ من مُوالاة الإمامِ ، فكَتبَ وِرِدْسان إلى الإمامِ بِتحقيقِ ما عَرفَهُ من إرادَة شهابِ الدين بِموالاته والدخولِ في طاعَته ، وأنَّهُ يُرسِلُ بِرجلٍ من خَواصه ، فبَعثَ الإمامُ رَجلَين من خُلَّص أَصحابه ، فعَرَّفهُما الشهاب بمُرادِه وخُلوصِ القِيادَة ، وبايَعَ للإمامِ على المُوالاة الصَحيحَة ، فتَوجهَ الإمامُ بعدَ وصولِ الرُسل إلى الظَّاهِر ، وبَعَثَ الأَميرَ محمد بن إبراهيم ، فوَقعَ بين الشهاب وأَصحابه اختِلافٌ واضطِراب ، فأَشارَ على الأَمير محمد بن إبراهيم أَصحابُهُ بالتَوقف حتى يَتبَيَّنَ الأَمرَ فلَم يَفعَل ، بَل نَهضَ مُتوكلاً على الله سُبحانه ، فتَلَقاهُ الشهاب بالقَبول وأَنزَلَهُ بِدارِ الضيافَة ، وراجَعَ على النُهوضِ إلى الإمامِ فَنهضَ الشهاب وصَحبَهُ أَربعونَ فارساً من أَصحابه حتى وَصلَ الجنات[2] ، فأَمرَ بِتَلَقيه إلى مشوط[3] ، ونَهضَ الإمامُ إلى مَيْتَك ، ووَصلَ أَخوهُ الأَميرُ عمادُ الدين من ثلاَ ، وبَعثَ الشهاب الجَزْري قبلَ وصُوله إلى الإمامِ بكسوَةٍ عَظيمَة ، فلَما قَرُبَ من الإمامِ تَرَجلَ تَعظيماً للإمام ، حتى وَصلَ بينَ يَديهِ فَسلَّمَ وتَواضَعَ وحَمدَ الله على الإتصالِ بِذُرية الرَسولِ الأَمين بعدَ

---

[1] – الغز : أيضاً مجموعة من الجند من جيش بني أيوب المتبقين في اليَمَن ومن ذراريهم ومن التحق بهم .

[2] – الجنات : مدينة أثرية قديمة في قاع البَوْن إلى الشمال و الشمال الغربي من صنعاء .

[3] – مشوط : لم أجدها ولكنها في المناطق التي تدور بها هذه الأحداث .

الإفتراقِ والأُلفَةِ بعد الشقاق ، وطَلَبَ الخُلوَةَ بالإمامِ في ذلكَ المَقام ، فأَجابَهُ ، فلَما خَلا بالإمامِ أَظهرَ سِرهُ المَكنُونَ بالطاعَةِ ، وبايعَ وتَعهَد .

وفي مَوضعٍ آخرٍ سأَلَ الإمامَ بتأدُبٍ واحتشام : ما الحُجةُ في تَقديمِ أَميرِ المؤمنين علي عليه السلام في رَأيِ الشّيعَةِ[١] على مَن عَدَاه ، وفي مَسائلَ أُخرى فأَجابَهُ الإمامُ عن كُلِ مَسأَلَةٍ بمُقتَضاها بمَحضَرٍ من أَصحابه ، وأَنَّهُ لا يُجَوِّزُ سَبُّ الصَحابَةِ رضي الله عنهم أَحدٌ من أَهلِ البَيتِ المُحقين ، وذَكرَ لهُ مَناقِبَهُم ومَواقِفَهُم وتَعظِيمَهُم لأَهلِ البَيت ، وتَعظيمَ أَهلِ البيتِ لَهُم ، فطابَت نُفوسُ أَصحابِ الجَزْري واعتَقَدُوا الإمامَةَ للإمامِ المَنصور بالله ، وظَهرَ خَطأُ صاحِبِهم المَلك إسماعيل بن طُغْتِكين كَونَهُ أَظهرَ مَذهبَ الإسماعيليَة خُلفاء مصر ، وكانُوا على طَرِيقَة خَبيثَة في شَأنِ أَصحاب رَسول الله ﷺ ، وهُم يَظُنونَ [أَيْ] هؤُلاء أَصحابُ الجَزْري أَنَّ ذلكَ اعتِقادُ الشيعَةِ المُحقينَ ، والله سُبحانَهُ قَد نَزهَهُم عن هذه الطَرِيقَةِ المُخالفة لعقائِد أَهلِ الإسلام ، فطَلَبَ الشهاب الجَزْري من الإمامِ تَعيينَ من يَنهَضُ معَهُ إلى صَنْعَاء لإقامَةِ الخُطبَة والجُمعة والأَذان ، فعَيَنَ أَخاهُ الأَميرَ عِماد الدين يحيى بن حمزة ، وعَزمَ صُحبَةَ الجَزْري ، فأَقامَ الجُمعةَ على كُرْه كثيرٍ من الغز ، وصَلُحَت الأَحوالُ ، ونَفذَ الأَميرُ عماد الدين إلى ذَمَار ، وصَلُحَت أَحوالُ الجُنْد الذين فيها واستَقامَت طاعَتهُم .

وفيها بَعثَ الإمامُ رَسائِلَهُ إلى الشَّريف أَبي عزيز قتادة بن إدْريْس ، أَميرِ مَكَّة المُشرفَة ، فتَلَقى رُسُلَ الإمامِ بالقَبولِ والإكرام ، وانْتَمى إلى الإمام وخَلَصَت المَودَةُ والمُراسَلَةُ بينَهُ وبينَ الإمامِ ، وخَطبَ بإسمه وعَمَّرَ مَشاهِدَ الأَئمَة بفَتحٍ[٢] والمدينَة المُنورة عن أَمرِ الإمام .

---

[١] – أراد الشيعة الزيدية تحديداً .

[٢] – مَكّة المكرمة .

وفيها استأذَنَ وِرِدْسان من الإمامِ في عَزمِه إلى الأَتابكِ سَنْقَر ، فأَذنَ لهُ الإمامُ وقَد أَضْمَرَ وِرِدْسان المَيلَ إلى الأَتابكِ ومُخالَفةَ الإمام ، فلَما وَصلَ نَقيلَ صَيْد مَنَعتهُ البلادُ المُواليةُ للإمامِ من النُفوذ ، فكَتبَ إلى سيفِ الدين الأَتابك أَنْ يُمدهُ بِمَن يَدفعهُم ، فلَم يتَمكَن الأَتابك من إمدادِه ، فأَظهرَ وِرِدْسان مَرسومَ الإمامِ بيَده وأَظهرَ عَلامَتهُ ، وأَنَّهُ على طاعَته ، فترَكوهُ فَمرَّ في الطَريق ، فلَما وَصلَ اليَمَن أَظهرَ النَكثَ ، وشَربَ الخَمرَ كما وُصفَ في السيرَة ، فلَما استَقرَّ عندَ سيفِ الإسلام وَلاهُ صَنْعَاء وأَعمالَها ، وهيَ في يد الإمامِ فنَكثَ وِرِدْسان ونَهضَ إلى جِهة صَنْعَاء .

وكانَ من أَقوَى الأَسباب في نُهوضِ وِرِدْسان إلى صَنْعَاء أَنَّ الغز جَهزوا عَسكراً إلى ذَمَار ، وفيها من قِبَلِ الإمامِ الشَّريف علي بن موسى العَباسي ، فصَمَّمَ الشَّريف وأَهلُ ذَمَار على حَربِهم ، والتَقوهُم على غيرِ تَعبئَة ، فانهَزمَ أَهلِ ذَمَارَ والشَّريف ، وقُتلَ منهُم زُهاءُ ثمانينَ رَجلاً ، فكَتبَ عمرو بن زَيْد شيخُ بني سَرْحَة إلى وِرِدْسان يَحُثُهُ على النُهوضِ ، ويَكفَلُ لهُ بأَمرِ بَني سَرْحَة .

وفي هذه المُدة خرجَ الإمامُ من ذي مَرْمَر إلى حُوْث ، وكَتبَ إلى وِرِدْسان يُعاتبُهُ ، فأَجابَ أَنَّهُ على الطاعَة مُخادَعةً ، وأَرسلَ بهديَةٍ للإمام .

وفيها تَحركَ وِرِدْسان على أَطرافِ بلادِ بني حاتمِ الدَاخلَة في صُلحِ الإمامِ ، وأَرسلَ طائفةً من عسكَرِه إلى بيتِ نُعْم[١] أَعلَى وادي ظَهْر ، وكانَ أَهلُهُ قَد قَطَعوا عليه أَكثرَ مَوادِه أَيامَ الحرب بينهُ وبينَ الإمامِ ، وكانَ يظُنُ أَنَّ ذلكَ الحِصنَ لا يُمنَعُ عليه ، فخرجَ مَن في الحِصنِ عليهِم وهَزَموهُم وقَتَلوا منهُم ، فرَجعُوا صَنْعَاءَ خائبين ، ولَما أَيسَ وِرِدْسان من أَخْذ الحِصنِ مالَ إلى المُخادعَة ، فبَعثَ قُوادَهُ على تَسليمِ الحِصنِ على مالٍ يُؤَديه إليهِم ، فتَم لهُ قَبضُ الحِصن ، ومَنعَ آلَ حاتمِ من أَملاكهِم في المَنْظَر وظَهْر .

---

[١] – بيت نُعْم : بضم النون وسكون العين ، إلى الغرب الشمالي من صنعاء بالقرب من وادي ظهر .

وفي خلالِ ذلكَ خالَفَ أَهلِ صَنْعَاء على ورِدْسان وقَبضُوا أَخاهُ ، فأَتاهُ الخبرُ وهوَ في حَضُوْر ، فكَتمَ الأَمرَ وأَظهرَ أَنَّهُ سَيعزِمُ [السيرَ إلى] كَوْكَبان بعدَ المُرورِ من صَنْعَاء ليأَخُذَ منها ما يحتاجُ من آلة الحرب ، فلَما قَرُبَ من صَنْعَاء مَنعهُ أَهلُها عن دُخولها ، فبَقيَ في جَبلِ نُقُم ، وخاطَبَ أَهلِ صَنْعَاء باللينِ وطَلَبِ الصُلح ، فوصلَ إليه قَبائل من سَنْحَان ، وبني شهاب ، وكانوا يَقولونَ من قَبْلُ : " لَو يُخالفُ أَهلِ صَنْعَاء كُنَّا أَولَ من يَنصُرهُم " ، فكانوا أَجبَرَ الناسِ عليهِم فإِنَّهُم أَحاطُوا بهم من كُل ناحيَة ، وكَتبَ بنو حاتم إلى الإمامِ يُحرِضونَهُ على انتهازِ الفُرصَة وإغاثَة أَهلِ صَنْعَاء ، فأَرسلَ أَخاهُ الأَميرَ يحيى بن حمزة ، وكَتبَ إلى الأَميرِ العَفيف محمد بن مفضل إلى وَقَش ، فنَهضَ كلٌ من جِهتهِ ، حتى اجتَمَعوا في بيتِ بَوْس وعَزمُوا على هَجمِ مَحطَة ورِدْسان[1] فلَم يَتمكنوا.

وقد استَغاثَ ورِدْسان بسَيفِ الدين سَنْقَر فوَصلَ في جيشٍ كثيرٍ قَدرَ سبعمائَة فارسٍ غيرَ الرَجالة مُغيراً على ورِدْسان ، فتَفرقَت مَحطةُ بيتِ بَوْس ، ورَجعَ كلُ أَميرٍ إلى مَحله ، فقَرُبَ سيفُ الدين من دائرِ صَنْعَاء بجماعَةٍ من خيله وعَرَّفَ أَهلِ صَنْعَاء من نَفسه ، فصَاحُوا بالدُعاء لهُ وطَلَبوا منهُ الأَمانَ فأَمنَهُم وأَعطاهُم سَيفَهُ ، فخرجَ إليه طائفةٌ من أَهلِ صَنْعَاء وأَرادُوا أَنْ يَشْكُوا من ورِدْسان ، فلَم يَتَمكنُوا لحُضوره في مَجلسه، فوَقعَ الخَوضُ من سَنْقَر على تَسليمِ مالٍ عُقوبَةً ، فوَقعَ التَمامُ على عشرَة آلاف دينار ، وعَشرٍ من الخَيل ، ففَتَحُوا أَبوابَ صَنْعَاء ، فدَخلَ أَصحابُ ورِدْسان ، وانتَهَبُوا بعضَ دُورِ القَطِيْع ، فبَلغَ سيفَ الدين سَنْقَر ، فدَخلَ في نَفسه وأَمَرَ بالكَف وأَمَّنَ الناس ، وحصَلَت على أَهلِ صَنْعَاء من نائبِ ورِدْسان مَظالمُ ومُصادَرات ، حتى نَفدَ ما في أَيديهم ، وذَهبَ أَكثرُهُم في البُلدانِ حتى قالَ بعضُ شُعرائِهم يُحَرضُ الإمامَ على إنقاذِهِم ونُصرَتِهم بِهذا الشعرِ :

---

[1] – الهجوم على ورِدسان و قواته في مكان تجمعَهُم .

أَميرَ المُؤمنينَ خَلَتْ أَنْزَالٌ   و شَرِدَ أَهلَهَا أَهلِ الفَسادِ

فَبعضٌ منهُمُوا أُوذُوا وبَعضٌ   أَسيرٌ قَد أَطَل على الفَسادِ

و قَد طَالَ انْتِظَارهُمُ و مَلوا   تَشَتَتَ شَملُهُم في كُلِ وادِ

أَسَارَى لِلخُطُوبِ و للأَعادِي   و لِلدهرِ المُلّمِ و لِلبعادِ

وعلى الجُملَة ، إنَّ الإمامَ المَنصورَ بالله وعَلَم الدين وِرِدْسان الكُردي وسَنْقَر تَصاوَلُوا على اليَمَن تَصاولَ العجلَين[1] ، وحَصلَت وَقائعُ كثيرةٌ وخُطوبٌ عَسيرَة ، وكانَت الحُروبُ سِجالاً و الأَيامُ بينَهُم دُولاً ، وهكذا شَأنُ الأَيامِ و مَيلهَا عن أَهلِ الفَضلِ الكِرام ، وسيرَةُ هذا الإمامِ طَويلَةٌ والتَطويلُ بَذكرِ الوَقائعِ يُخرجُنا عن المَقصود.

وفي هذه المُدة انتَقضَ الصُلحُ بينَ الأَتابك سَنْقَر والأَكرادِ الذينَ في زَبِيْد ، فاستَدَعى سيفُ الدين وِرِدْسان لِحربِهم فنَزلَ إليه إلى تِهَامَة بعسكَرٍ كثير ، وسارَ سَنْقَر بعسكَرِهِ فالتَقَاهُم الأَكرادُ إلى التُرْبَة[2] فأَوقَعَ بالأَكرادِ واستَولَى على زَبِيْد وشَرَدَهُم في كلِ أَوب .

وفي سنةِ ستمائة ماتَ الأَميرُ العالِمُ العَفيف محمد بن مُفضَل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يُوسُف الداعي بن يحيى المنصور بن أَحْمَد بن الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن عليه السلام بِهجرَة وَقَش[3] ، وكانَ عالِماً فاضِلاً يَصلُحُ للإمامَةِ والرياسَةِ العَامَة ، و لِلمنصورِ بالله عليه السلام فيه مَرثاةٌ بَليغَةٌ ، مَنعَنا عَن ذِكرِها الإِختصارِ وتَحَري السائِل في البِدار .

---

[1] – أراد المعنى فقط من مناطحة الثيران ، وهو الصراع على السطلة واتساع الملك .

[2] – التُرْبَة : من أعمال تعز وهي مركز مخْلاف الحجرية .

[3] – هجرة وقش : من قرى بني مطر إلى الغرب من صنعاء وكانت إحدَى مراكز العلم .



ابْتداءُ المَائَـــةِ الســـابعَـــةِ للهجــرةِ النبويةِ

وفي سنةِ إحدَى وستمائَة خرجَ وِرِدْسان إلى الظَّاهر في جيشٍ جَرارٍ فأَخرَبَ دارَ الإمامِ ببلدَةِ حُوْث ، ورَجعَ إلى صَنْعَاء ، وفي لَيلَةِ وصولِه وَقعَ المَطرُ في جنوبِ مدينة صَنْعَاء فاجتَمعَتْ السُيول ، وكان وِرِدْسان قَد بَنا لنفسه دَاراً في بُستان السُّلطان[1] طُغْتكِين بالقُربِ من الخَندَق ، وجَعلَ في البُستان حَماماً وأَجْرَى إلى البُستان غَيْلَ البَرمَكي[2] ، وكانَت الخَنادقُ مُنسَدةً قبلَ رَفعِها ، فرَجعَ السَيلُ إلى قُرَّة العَينِ المَعروفة ، فرَجعَ السَيلُ وطَمَّ البُستانَ فأَخرَبَ دُورَ وِرِدْسان والحَمامَ والمُتنَزَهات ، وذَهبَت أَموالُهُ ونَفائسهُ ، فحملَ وِرِدْسان امرَأتَهُ على عاتقِه وخاضَ المَاءَ ونَجا بنَفسه ، بعدَ أَنْ كادَ يَغرَق ، والأَجلُ حصنٌ حَصين .

قالَ في سيرَةِ الإمامِ المنصورِ بالله[3] : ولَقَد أخربَ ذلكَ السَيلُ جميعَ الدورِ المَعمورَةِ بجانبِ المَجرى ، ولما وَصلَ السَيلُ إلى الخَنادقِ القبليَّة ماجَ ذلكَ الســـيلُ قريَةَ بَني غانم[4] ومَساكنَ بني الطماح ، وهلَكَ عالَمٌ[5] من الناسِ والدَواب ، وهذه القَضيةُ مَعدودَةٌ عندَ الشيعةِ من كَراماتِ المَنصورِ بالله ، لأَنَّها وَقَعَتْ عُقَيبَ إخرابِ وِرِدْسان لدارِ المَنصورِ بالله ودُورِ أَصحابِه وما وَقعَ منهُ من الإنتِهابِ والخَرابِ في بِلادِ الظَّاهرِ .

---

(١) – بستان السُلطان : في الجانب الغربي من السائلة وموقعه الآن خلف البنك المركزي اليمني في سوق عنقاد.

(٢) – غيل البرمكي : شَقَّهُ و أجراهُ محمد بن خالد البرمكي سنةَ ١٨٣ هـــ و كان من جملة الأمراء الذين أرسلهم الخليفة هارون الرشيد إلى اليَمَن ، وكان الغيل منفعة ظاهرة لأهالي صنعاء ، ذَكَرَه ياقوت الحموي في معجمه وقال أنه يشق صنعاء ، وذَكَرَ صاحب أنباء الزمان بأن هذا الغيل كان يسقي صنعاء الجنوبية والغربية وشعوب والروضة والرحبة .

(٣) – سيرة الإمام المنصور بالله : مؤلفها القاضي حسين بن أحمد بن يعقوب ، والكتاب مطبوع بتحقيق عبدالله الحبشي .

(٤) – قرية بني غانم : من قرى جبل عيال يزيد شمال عَمْرَان إلى الشمال الغربي من صنعاء .

(٥) – مجموعة من الناس .

وفي سنة ثمان وستمائة ماتَ الأتابكُ سَنْقَر في تَعزْ ، ودُفنَ في مَدرسته التي شَيدَها ، ولَما ماتَ استَقلَ الملكُ الناصرُ أيوب بن طُغْتكين بالأمرِ ، وكانَ حَدثَ السن وجعلَ صاحبَ بابه ومُدبرَ مَملَكته غازي بن جبريل ، فساءَ ظَنهُ بوجُوهِ الدَّولة ، فَسَقَى أكثَرَهُم بالسُّم ، و ممَّن سَمم الأميرَ بدر الدين الحَسَن بن علي بن رَسول ، ولَكنهُ لَم يُؤثر فيه وحَماهُ أجَلهُ ، وطَلَبَ الناصرُ المُراسلَةَ بينَهُ وبينَ ورِدْسان فاشتَرطَ عليه تَسليمَ الشهاب الجَزْري إليه ليقتُلهُ ، فسَلمهُ الناصرُ إليه فقَتلُوهُ خَنْقاً .

وفي سنة تسعٍ وستمائة سارَ الملكُ الناصرُ وَورِدْسان إلى بلادِ حَجَّه على طريقِ المَهْجَم ، وكانَ في المَهْجَم أميرٌ يُقال لهُ يَكتمر الشَفعي ، فأمرَهُ الناصرُ بالقُدومِ إلى بلاد حَجَّه ، فسارَ إليها ولَم يَنَلْ منها شَيئاً ، فأغرى به ورِدْسان إلى الناصرِ وحرَضَهُ على قَتْله ، فعَزمَ الناصرُ على ذلك ، فوَصلَهُ النَذيرُ بما أجمَعَ عليه الناصرُ وَورِدْسان فالتَجَأَ إلى قَريةِ الذَنائب[1] ، وعَضدَهُ المَماليكُ البَحريَة ، فوَقعَ من بعضِ خَواصِ ورِدْسان الإنكارُ عليه وهَّمُوا بقَتله في خَيمته ، فانتَقلَ من خيمَته فلَم يَجدوهُ فيها فانتَهَبوا أثاثَهُ وخَزائنهُ وانتَقَلوا إلى يَكتمر ، ثُم وَقعَ الصُلحُ بين الناصرِ ويَكتمر[2] على تَسليمِ ما ذَهبَ على يَكتمر ، ويَعزمَ إلى الشَام ، فَتم الصلحُ على ذلك ، ولَما رَجعَ السُلطانُ سَقا ورِدْسان السمَ خيفَةً منهُ ، فخرجَ ورِدْسان إلى حصن السَمَدَان[3] وهَلَكَ فيه ، وبعدَ مَوته استَقلَ غازي بن جبريل بتدبيرِ مَملكة النَاصر .

وفي سنة عشرٍ وستمائة نَهضَ الملكُ الناصرُ إلى صَنْعَاء بإشارةٍ من وزيرِه غازي بن جبريل ، فأقامَ فيها أياماً وَوَفدَت إليه العَربُ وقَبضَ أموالَ ورِدْسان وذَخائرَهُ ، وسَجنَ مَملوكاً من مَماليكه كانَ عظيمَ القَدْرِ عندهُ ، وعَزلَ عُمالَه .

---

[1] – الذنائب : قرية خاربة في أسفل جبل ملْحَان بالقرب من بلدة المَهْجَم .

[2] – يكتمر : لم أجد من عرف به ، ولعله من القادة المتبقين من جيش بني أيوب .

[3] – حصن السَمَدَان : قلعة حصينة ببني شيبة من أعمال تعز .

وفي سنة إحدَى عشر وستمائة خرجَ الناصر لمُحاربَة الإمامِ فلَم يَنَل منهُ شيئاً فرَجعَ إلى صَنْعَاء فهَلَكَ فيها ، ويقالُ أَنَّ وَزيرهُ غازي بن جبريل سَمَّهُ فدَخلَ عليه المماليكُ ونَهَبوا جميعَ أثاثه ، حتى رُويَ أَنَّ بعضَ المماليك أَخذَ الفراشَ الذي تَحتهُ وأَلقاهُ الأَرضَ حتى انْسلَخَ جلدُهُ ، وأَما غازي فإنَّهُ جَمعَ الأُمراءَ وفَرَّقَ فيهم الأَموال وتَسلطَنَ عليهم ، وقَد كانَ نَقلَ الأَموالَ إلى دارِهِ قَبلَ مَوتِ الناصر ، وتَلَقبَ بالملك الظافرِ واستَخلَفَ على بَرَاش مَحمودَ العَجَمي ، وعلى صَنْعَاء أَميراً يُعرَفُ بالقَيسي في مائة وخمسين فارساً ،وضَمَّ إليهِ راشد بن المُظفر بن الهريش السَنحاني ، ورَجعَ إلى اليَمَن الأَسفَل ، فالتَقاهُ أَهلِ الشَّعر[1] وأَخَذُوا بعضَ أَثقَاله من صَحبه ، فلَما وَصلَ إب ، قَتَلَهُ مَماليكُ الناصر تَقرُّباً إلى أُمِ الناصرِ بن طُغْتكين لِكَونه سَمَّ ابنَها المَذكور .

ولما قُتلَ غازي والناصر قامَ الإمامُ المَنصور بالله لِحرب صَنْعَاء والغَز الذينَ بَقَوا فيها ، وأَرسلَ إخوَتهُ الحَسَن والحُسين ، ومَولاهُ جابر بن مُقبل ، فقَرُبوا من صَنْعَاء فمالَ إلى الإمامِ أَهلِ صَنْعَاء وانْحازَ الغز إلى حِصنِ بَرَاش ، واستَولَى أَصحابُ الإمامِ على صَنْعَاء وقَبَضوا مَماليكَ وِردْسان ، وأَرسلوا بِهم إلى الإمامِ إلى ظَفَار ، فنهضَ الإمامُ بنفسه إلى صَنْعَاء فدَخلَها ثالثَ شهرِ ربيع الأَول من السَّنة المذكورة ، ثُم نَهضَ إلى ذَمَار واستَخلَفَ على صَنْعَاء الشَّريف محمد بن علي العَلَوي ، وكانَ في ذَمَار محمد بن موسى الكُردي وحسين بن محمد الكَبكَاري ، فالتَجأَ الأَميرانِ إلى حِصنِ هرَّان وذات خَولان[2] ، فوَقفَ الإمامُ بِظاهرِ مدينة ذَمَار ، وأَمرَ بمحاصَرة الأَكرادِ في الحِصنَين ، فضَيَّقَ عليهِم الحِصارَ حتى طَلَبوا الأَمانَ ، فأَمنَهُم وأَرسلَ إليهم الأَميرَ سلمان بن موسى ،

---

[1] – أَهلُ الشَّعر من أعمال إب وتتميز الشَّعر بحصولها العالية .

[2] – ورد خطأ في المطبوع والمخطوط (ذات خَوْلان) والصواب ذي خَوْلان وتبعد عن ذمار مسافة ٤كم وكان بها حصن منيع آهل حتى أتى عليها الزلزال عام ١٤٠٢ هـ و انهار بقية الحصن وأصبح أثراً بعد عين ، وقد زرت الحصن وصعدت أعلاه وتحدثت مع أهلِ الحِصن .

والشيخَ راشد بن المُظفر الهريش السَنحاني ، وأَلزَمهُم الخُروجَ بأَنفُسِهم وحريمِهم من غيرِ أَنْ يحمِلُوا شَيئاً من المَتاع ، ولَبثَ الإمامُ في ذَمَار خمسةَ عشرَ يوماً ، ورَجعَ إلى صَنْعَاء واستخلَفَ الأَميرَ علي بن موسى بن داوود بن علي بن حمزة بن أَبي هاشم على ذَمَار وأَعمالِهَا .

وفي هذه الأَيامِ جَعلَ الإمامُ رِســالةً بَليغَةً إلى خَليفَةِ بَغداد النَاصر أَحْمَد بن المُستَضيء[1] ، وأَصحَبَها قَصيدةً من نَظْمِه البَديع ، وكانَ هذا الإمامُ من فُصحاءِ العَلوِيين ، لهُ ديوانُ شِعرٍ يُشبهُ أَشعارَ العربِ القُدماء ، من جُملَتِه هذهِ القَصيدةُ إلى بَغداد ، قَوله :

يا أَهلِ بغدادَ إِنَّ اللهَ سَائلُكُم ... عن ملةِ الدينِ إِذْ أَلحَدْتُموا فيها
أَنتُم عُيونُ بَني الأَيامِ قَاطبَةً ... في النَائبات ولكنَ القَذا فيها
قَد استَلَمتُم على عَميَاءَ مُظلمَة ... لا يَهتَدي بِنُجومِ الجَوِ هَاديها
إنَّ الخِلافَةَ أَمرٌ هائلٌ خَطرٌ ... صَعبٌ مَلاكَتُها صَعبٌ مَرَاقيها
لَو كانَ مَا أَنتُموا فيهِ على سُنَنٍ ... قَامَ المريضُ إلى المَرضَى يُداويها

وهيَ أَكثرُ من هذا القَدرِ ، والقَصْدُ الإختصار .

وأَما الغَز الذين في تَعزْ فَوَلَيت أَمرَهُم أُمُ الناصر ، فقَدمَ عليهم رجلٌ من بني أَيوب يُسَمى سليمان بن تَقي الدين وتَلَقَّبَ بالصُوفي ، لأَنَّهُ وَصلَ مَكَّة في العامِ الماضي على

(١) – الناصر لدين الله أحمد بن الحسين المستضيء بأمر الله : بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عام ٥٧٥هـ ، كان شجاعاً عاقلاً ، كان يبث العيون في أرجاء الدولة ، فيه تَشَيُّع لا يَضُرُّه ، تُوفيَ في سنة ٦٢٢هـ .

هَيئَة الصوفية ، فخرجَ إلى اليَمَن ودَخلَ زَبِيْد وفيها بَقيةٌ من جُنْد الغز ، فطلَبوا منهُ القيامَ بأمرِهم فاعتَذرَ فلَم يَعذُروه ، فقَبضَ عليه المُجاهد القائمُ بأمرِ نساءِ الناصر ، فَغَضبنَ عليه وأَطلَقنَهُ ومَكّنَّهُ من حِصنِ تَعزْ ، وزَوَّجنَهُ بأُمِ أَخيهنَ النَاصر ، فخافَ المُجاهد وخرجَ إلى حِصنِ سَمَدَان ، وشرعَ سُليمان في تَوليَته البلاد ، فجعلَ صَنْعَاء إلى رجلٍ يُقالُ لهُ شامَه ، وذَمَار إلى آخرَ يُقالُ لهُ صالح بن هشام ، فخالَفَ عليه أهلِ صَبر ، فجهزَ عليهما الأميرينِ المذكورين ، فاقتَتَلا واستَولى الجُندُ الذين معَهُما على صَبر ، وبَلغَ المُجاهد أَنَّ سُليمان خرجَ إلى بعضِ البلادِ فأَرادَ أَنْ يَخلُفَهُ على تَعزْ ،فدَخلَها قبلَ خُروجِ سليمان ، فقبضَ عليه سُليمان وطَرَحهُ في السجنِ وقَتلَهُ بعدَ أيام ، وخرجَ سليمان إلى التَّعْكَر فتَسَلمهُ ، وعادَ سليمان إلى إقطاعِ البلاد ، فجعلَ ولايَةَ صَنْعَاء إلى الأَميرِ الحَسَن بن علي بن رَسول ، فلَما وَصلَ الجَند أَمرَ سليمانُ بالقَبضِ عليه فَنَجا بنفسه إلى الدُّمْلُوَه مُستُجيراً بعيسى بن الأَتابك ، وكَتبَ إلى إبنه عَصيَّة ، وكانَ صَديقَهُ فَلام سليمان على فِعله وعَرَّفَهُ أَنَّ الأَميرَ الحَسَن من كبارِ الأُمراء ، وأَنَّ النَفعَ به كثير ، فأَمَنهُ سليمان وهو مُضمرٌ الغَدرَ به ، وأَعادَ إليهِ وِلايَةَ صَنْعَاء ، فلما وَصلَ صَنْعَاء بعد خُروجِ المنصور بالله منها[1] .

وفي شهرِ ذي الحجة من هذهِ السَّنة وَصلَ الخبرُ بِقُدومِ الملكِ المَسعود بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل بن أبي بكر بن أَيوب بن شاذي من الديارِ المصريَة إلى الجَزيرةِ اليَمَنية ، عاملاً من قِبَلِ أَبيه الملكِ الكامل وجَدِّه الملكِ العادل ، وهوَ حينَئذ حَدَثُ السنِ أَوانَ البُلوغ ، وأَتابكه جمالِ الدين فليت ، فوَصلَ مَكَّة فتلَقاهُ الشَّريف قُتادة بن إدْرِيْس ، فخَلعَ عليهِ المَسعود وقابَلَهُ بالإكرامِ والجُودِ ، ولَمَّا وَصلَ راحَةَ بني شُرَيف[2] ، تَلقاهُ الأَميرُ المُؤيَّد بن قاسم بن غانم السُليماني فخَلعَ عليهِ وأَكرمَهُ ، ولَقيَهُ

---

[1] – ضعف في صياغة الجملة الأخيرة كما ترى ، وهي كذلك في المخطوط والمطبوع .

[2] – راحة بني شُرَيف : من بلاد "سَنْحان" من أرض قحطان إلى الشمال من صعدة .

أُمراءُ دَولَةِ أَيوب الذينَ باليَمَن ، منهُم الأَميرُ بدر الدين حَسَن بن علي بن رَسول ، وأَخوهُ الأَمير نور الدين عمر بن علي بن رَسول ، وأَخوَيهم موسى وأَبو بكر ، وأَما سُليمان بن تقي الدين ، فإِنَّهُ بَقيَ في حِصنِ تَعِزْ ، على ما سَنذكُرُه.

وفي سنةِ اثنتي عشر وستمائة وَصلَ المَسعودُ زَبيْد ، وبَنَى على مُصالَحة سليمان بن تقي الدين ، على أَنْ يكونَ لهُ التَهائم[1] ولِسُليمان الجبال ، فنَهاهُ الأَميرُ حَسَن بن علي ابن رَسول عن ذلك ، وقالَ لهُ : " الرَأيُ أَنْ تكتُبَ إلى المماليك أَنْ يقبضُوا على سليمان ويُرسِلوه إليكَ " ، فكَتبَ إِليهم فليت ، واستَولَى على تَعِزْ ومَخَاليفها ، وكذلك مِخْلافَ جعفر ، ثُم تَوَجهَ إلى صَنْعَاء فخرجَ الإِمامُ المنصور بالله عَنها لَمَّا عَرفَ فَسادَ العرب وفَشَلهُم إلى حِصنِ كَوْكَبان ، ووَصلَ فليت إلى شِبَام واستَقام[2] الحربُ بينَهُ وبينَ أَجْنادِ الإِمام مُدةَ ثلاثةَ عشرَ شهراً ، فعَجزَ عن أَخذِ الحُصون ، وكافَحهُ من فيها من أَجْنادِ الإِمامِ ، فمالَ إلى الصُلح ، فأَجابَهُ الإِمامُ على مُدةٍ مَعلومَةٍ ، على أَنَّ البلادَ التي تحتَ يد الإِمامِ ولايَتُها إليه ولا يُعتَرَضُ فيها ، ورَجعَ إلى صَنْعَاء .

وفي سنة أَربعة عشر وستمائة يومَ الخميسِ الثاني عشر من المُحَرَم تُوفيَ الإِمامُ المنصور بالله عبدالله بن حمزة، وقُبِرَ في كَوْكَبان ، ثُم نُقلَ إلى حصنه ظَفَار فقَبرُهُ فيه مَشهورٌ مَزور ، ومُدةُ عُمرِه اثنان وخمسون سنةً وثمانيةُ أَشهرٍ واثنان وعشرونَ يوماً ، ومُدةُ خلافَته تسعةَ عشرَ سنةً وتسعةُ أشهرٍ وعشرونَ يوماً ، وكانَ إماماً كبيراً وعَلَماً في مَمَدِّ الفَخارِ مُنيراً ، لَم يَبلُغ أَحدٌ من الأَئمة قَبلَهُ ولا بَعدَهُ شَأْوَهُ في البلاغَةِ والفَصاحَةِ والشَّجاعة ومَكارمِ الأَخلاق ، ولهُ في اقتباسِ عُلومِ الشريعَةِ الحظُ الوافرُ والنَصيبُ الأَكثَر ، أَحاطَ بِمُتونِها واستفادَ مَعلومَها ومَظنونَها ، ولهَ مُصنفاتٌ عديدةٌ ، منها :

---

[1] – التهائم : سهل تِهَامَة .

[2] – استقام : لعله أراد استدام أو استدامت .

كتابُ (الشافي) الذي أجابَ به على فَقيهِ الرسالَة الحارقَة[1] ، وهوَ عبد الرحمن بن أبي القَبائِل (أَربعةُ مجلدات) ، ذَكرَ فيه غَرائبَ العُلومِ وعجائبَ المَفهومِ و المَنطوق ، ومنها كتابُ (التهذيب في الفقْه)[2] ، ومنها (الإختياراتُ المَنصوريَّةُ) ، ومنها (حَدائقُ الحكمَة) ، ومنها (المُهَذَّب) ، و (الرِّسالَةُ النافعةُ بالأَدلَة القَاطعة) ، و (الرسائلُ الطوافَةُ إلى العُلماءِ كافَة) ، وكثيرٌ من المسائلِ والرسائلِ ، ولهُ النظمُ البَديعُ الذي أَرْبَا على مَصاقعِ الفُصحاءِ وأكابرِ الشُعراء ، فهو أَشعَرُ الأَئمة باليَمَن والعراق ، بل أَشعَرُ الطالبينَ على الإطلاق ، ومن طالَعَ ديوانَهُ صَدَّقَني وأَظهرَ لهُ البُرهان وتَيَقنَ واستَبان ، وغَالَبهُ في الحَماسةِ في الوَقائعِ والدعاءِ إلى إجابَة الحَق ، سلامُ الله عليه وعلى آبائه الطاهرين .

ولما ماتَ قامَ بَعدَهُ ولَدُهُ عزُ الدين محمد ، وهوَ في مَحطَته في جَبلِ كَنن المَشهور مُحتَسباً حيثُ لَم يَبلُغ دَرجةَ الإمامَة المُعتبَرة عندَ أَهلِ مَذهبه ، وبايعَهُ من حضَرَ لَديه من الأَعيانِ والقَبائل ، ولم يَزَل في جبلِ كَنن حتى ماتَ الأَميرُ الأَتابكُ فليت الكاملي في بئرِ الخَولاني[3] يومَ الخميسِ آخرَ يومٍ من الربيعِ الثاني من السَّنة المذكورة ، وبعدَ وَفاة فليت نَهضَ الملكُ المَسعود من اليَمَن الأسفَل ، وَوَصلَ محطةَ بئرِ الخَولاني ، واستَولَى على بَرَاش وكانَ [هذا الحِصنُ] بِيَد راشد بن مُظفر كبيرِ سَنْحَان ، واستَولَى على كثيرٍ من الحُصون ، وعَقدَ بينَهُ وبين الأَشْرافِ أَولادِ المَنصور بالله صُلحاً ، ورَجعَ إلى اليَمَن الأَسفَل تَعِزْ .

---

[1] – الرسالة الحارقة : الصواب (الخارقة) وهو كتاب من تأليف أبي الفضائل عبد الرحمن بن منصور ، و هو من فقهاء الشافعية ، تُوفيَ في عام ٦٠٩هـ .

[2] – من أراد التعرف على مؤلفات الإمام عبدالله بن حمزة فليراجع هجَرَ العلم و معاقله في هجرة ظفار – المجلد الثالث – .

[3] – بئر الخولاني : لم أجده ، والبئر تطلق على الآبار التي تحفر باليد وتجتمع فيها مياه الأمطار ويستقي منها الناس ، ويسكن الناس حوله حتى يصبح بلدة .

وكانَ قَد دَعا عُقَيب مَوتِ الإِمامِ المَنصور بالله الداعي المُعتَضِد بالله ، يحيى بن محسن ابن مَحفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن محمد بن الحَسَن بن عبدالله المعتضد ابن محمد بن المنتصر بن قاسم المختار بن الناصر أَحْمَد بن الهادي يحيى بن الحُسَيْن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب عليه السلام ، وهذا الداعي يُنسَبُ إليه السادَةُ بَنُو الشامي ، الساكِنونَ في مَسْوَر خَولان[1] من نواحي صَنْعَاء وغَيرِهم من سادَةِ الجهةِ الصعديَة ، وكان عالماً مُبرزاً ، ذُكِرَ للمنصورِ بالله : هَل يَصلُحُ للإِمامَة أَمْ لا ؟ فقال : " معَهُ عِلْمُ أَربعَة أَئمَة " ، ولهُ مُصنفٌ في أُصولِ الفقه سَمَّاهُ المُقْنِع وأَرغَبَ فيه وأَطالَ وأَجاد ، وكانَ شاعراً فصيحاً مُتَرسلاً ، ولكنَ الأَيامَ لَم تُساعِدهُ ، ولَم يُجمِعْ على إمامَته عُلماءُ وَقته ، بَل عارَضُوهُ وعانَدوه ، ولله حُكمُه ، ولم يَزَل في جهادٍ وجِلاد ، والمُعارِضونَ لهُ في قوةٍ وازدِياد حتى ضَعُفَت أَوامِرُهُ ، ووَقَفَ في جِبالِ الأَهْنُوم[2] .

ودَخلَت سنةُ خمسة عشر وستمائة ، فيها نَهضَ الملكُ المَسعود من اليَمَن الأَسفَل ، فتَسلَمَ حِصنَ الشُوافي ، ثُم نَهضَ إلى حُوْث ، ثُم إلى الجَوْف ثُم رَجعَ على الأَشْرافِ إلى ظَفَار ، ولَم يَنَل منهُم ما أَراد .

وفي سنةِ سبعة عشر وستمائة نَهضَ المَسعود من اليَمَن الأَسفل وتقَدمَ إلى صَنْعَاء ثُم خرجَ لِمُحاصرَةِ حِصن بَكر ، وهوَ بيدِ أَولادِ الإِمامِ المنصور بالله فلَم يَتَمكن منهُم .

وفي سنةِ تسعة عشر وستمائة ، سارَ الملكُ المَسعود إلى مَكَّة المشرفة لِقتالِ حَسَن بن أَبي قتادة ، فخرجَ عنها الشَّرِيف المذكور ، فوَلى عليها المَسعودُ الأَميرَ نور الدين عمر ابن علي بن رَسول ، وفيها نَهضَ الملكُ المَسعود إلى الديارِ المصريَة ، واستَخلَفَ على

---

[1] – مسور خَوْلان : وادٍ مشهور في خَوْلان إلى الشرق والجنوب الشرقي من صنعاء ، قال الهمداني : وادي مسور يسمى خزانة اليَمَن لكثرة خيراته ومزروعاته .

[2] – جبال الأهنوم : سلسلة جبلية في بلاد حاشد إلى الشمال من عَمْرَان .

الأمرِ في اليَمَن الأَميرَ نور الدين عمر بن علي بن رَسول ، وصِنوَهُ بدر الدين الحَسَن بن علي ، وشرف الدين موسى بن علي ، وأبو بكر بن علي ، كلُ واحدٍ منهُم على جِهتهِ ، ولما وَصلَ مصر استَقرَّ فيها ، ومَدحَهُ بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المُسمى البهاءَ زهير[1] بِقصيدَةٍ مطلعُها :

لَكُم أَينما كُنتُم مَكانٌ و إمْكانُ ... و مُلكٌ لهُ يَعْنُو المُلوكُ و سُلطَانُ

وفي سنةِ ثلاثٍ وعشرين وستمائة نَهضَ الأَميرُ عز الدين محمد بن المنصور بالله على مدينة صَنْعَاء بأَجْنادٍ واسعةٍ وخَيلٍ من فُرسانِ الشَّام ، وهُم يَظنون أَنَّ ما دونَ صَنْعَاء لَن يَمنَعهُم[2] لِغفلَةِ الأُمراءِ بني رَسول عَنها لِمُناجَزةِ مرْغم الصوفي ، فتقَدمَ الأَشْرافُ نحوَ صَنْعَاء حتى قَرُبوا منها ، وشَرعَ الحربُ بينهُم وبينَ من فيها من الجُنْد ، فوَصلَ الأَميرانِ بدر الدين ونور الدين ابني علي بن رَسول والحَربُ قائمةٌ ، فتقَدمَ الأَميران وخَرَجا بمن معَهُما فقاتَلوا قِتالاً شديداً وحَمَلُوا على جُنْدِ الأَشْراف ، فانهَزمَ الأَشْراف وبَقيَ أَولادُ الإِمامِ المنصور بالله فأَبْلَوا بَلاءً حسناً ، وتَعقَّبوا المُنهَزمين حتى أَثْخَنَتهُم الجراحُ وآواهُم الليل ، ثُم لَحقوا بأَصحابهم ، فشاعَت هذه الوَقعَةُ في الأَقطارِ وقَويَ بها أَمرُ بني رَسول في اليَمَن فبَلَغَت [الأخبار][3] إلى بني أَيوب إلى الديارِ المصريَة ، فخافوا من بني رَسول على مملكةِ اليَمَن ، فرَجعَ الملكُ المَسعود في سنةِ أَربعٍ وعشرين

---

(1) – البهاء زهير : زهير بن محمد بن علي المهلبي شاعر من الكتاب ، ولد بمَكّة ، من كتاب وخواص الملك الصالح أيوب بمصر ، وكانت لهُ مكانة عنده ، تُوفيَ بالقاهرة عام ٦٥٦ هـ .

(2) – من السيطرة عليها . .

(3) – زيادة من المحقق .

وستمائة ، فلَما دَخلَ تَعزْ تَلَقاهُ الأُمراءُ بني رَسول ، فقَبضَ عليهم ما خَلا الأَميرَ نور الدين ، فإنَّهُ كان أَثيراً عندَهُ مَحبوباً لَديه .

وفي سنةِ خمس وعشرين وستمائة ، تَجهز الملكُ المَسعود إلى الديارِ المِصريَة ، وحَملَ معَهُ الخزائنَ المُشتَملةَ على ما جمعَهُ من أَموالِ اليَمَن ، واستَخلَفَ على اليَمَن الأَميرَ نور الدين عمر بن علي بن رَسول ، وأَرحَلَ إخوَتَهُ إلى مِصر لِئَلا يُغيروا عليه في اليَمَن ، فلَما وَصلَ مَكَّة المشرفة ماتَ فيها ، وأَوصَى أَنْ يُقبَرَ في مقابِر الفُقراء .

وفي سنةِ ست وعشرين وستمائة ، وَصلَ الخبرُ إلى اليَمَن بِهلاكِ الملكِ المَسعود فأَضْمَرَ الأَميرُ نور الدين الإستقلالَ بِمُلكِ اليَمَن ، وجعلَ يُوَلي في الحصونِ مَن يَثِقُ به من خَواصه ويُخرِجُ من يَخشى منهُ الخِلاف ، وهوَ مُظهرٌ البقاءَ على النيابَةِ لِبني أَيوب ، فلَم يُغَير سِّكَّةً ولا حَوَّلَ خُطبَته .

قالَ الجَنَدي في تاريخه[1] : واسمُ جَدهِ رَسول : محمد بن هرون بن أَبي الفَتح يرتَفعُ نَسَبُهُ إلى جَبَلَة بن الأَيهَم[2] المُرتَدِّ عن الإسلامِ في أَيامِ عُمر بن الخطاب ﷺ ، وإنَّما نُسِبُوا إلى التُركُمان لأَنَّ أَولادَ جَبَلَة سَكَنُوا بِلادَ التُركُمان فاختَلَطوا بِهم وتَكَلموا بِلُغَتهم ، وهُم أَهلِ بيت رِياسَةٍ وشَجاعَة .

وفي سنةِ ثمان وعشرين وستمائة أَظهَرَ السُّلطان نور الدين الإستقلالَ بِمُلكِ اليَمَن ، وخَلعَ طاعةَ بني أَيوب ، واستَمَد من الخليفة الظَّاهر بن النَاصر العباسي النيابَةَ على اليَمَن ، وتَلَقَّبَ بالملكِ المَنصور ، ووَصلَت الخِلَع والتَشريفاتُ من الخليفةِ العباسي ، وحاربَ عُمالَ بني أَيوب على مَكَّة ، فكانَ الحربُ بينهُم سِجالاً ، تارَةً يَغلِبُ على مَكَّة

---

[1] – كتاب السلوك : طُبع في مجلدين بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع رحمه الله .

[2] – جبلة بن الأيهم : أحد ملوك العرب الغساسنة (مركزهم بصرى الشام) وقد ارتد عن الإسلام في حادثة مشهورة في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ، وغادر أرض قومه وسكن بلاد الروم ومات هناك على غير الإسلام في عام ٢٠ هـ .

ويُخرِجُ عنها عُمالَ بني أيوب ، وتارةً يُخرِجونَ منها عُمالهُ ، وسَنُشيرُ إلى بعضِ ما وَقعَ بينهُم من الحربِ على مَكَّة المُشرفة .

ففي سنة إحدَى وثلاثين وستمائَة ، جهزَ السُّلطان نور الدين جيشاً عظيماً وخزانةً كافيةً إلى مَكَّة المشرفة ، وأمرَ الأَميرَ راجحَ بن قتادة بمُحاربة الجُنْد المصري ، فقاتَلهُم وأَخرجَهم عن مَكَّة ، وفيها حَجَّ السُّلطانُ نور الدين بنفسه ، ورَجعَ إلى اليَمَن .

وفي سنةِ اثنين وثلاثين وستمائة جَهزَ الملكُ الكاملُ خمسةَ أُمراءٍ معَهُم جُنْدٌ عظيمٌ قَدرَ أَلفِ فارسٍ و رَجَّالة[1] كثير ، فدَخلوا مَكَّة ، وخرجَ عنها ابن النُصَيري والشَّريف راجح بن قتادة[2] .

وفي ثلاثٍ وثلاثين وستمائة جهزَ السُّلطان نور الدين جيشاً إلى مَكَّة صُحبَةَ أميرٍ يُقالُ لهُ عبدان ، وخزانَة عَظيمَة للشريفِ راجح بن قُتادة ، فخرجَ عليهم العسكَرُ المصري ، فجرَت بينهُم وَقعَةٌ بالجرنقين بين مَكَّة والقُرى[3] ، فانهَزمَ أَهلِ اليَمَن ، وأُسِرَ قائدُهم ابن عبدان وأُرسِلَ بهِ إلى مِصر .

وفي سنةِ خمسٍ وثلاثين وستمائة سارَ السُّلطان بنفسِهِ إلى مَكَّة المُشرفة ، في أَلف فارِس ، فتَلَقاهُ الشَّريف راجِح بن قُتادة فخَلعَ عليه وأَعطاه ، وقَدَّمَه في ثلاثمائَة فارِس ، فلَما سمِعَ العسكَرُ المِصري بِقُدومهِ خَرجوا عن مَكَّة ، فدَخلَها السُّلطان قَهراً في شهرِ رجب من السَّنة المذكورة وتَصَدَّقَ فيها بأَموالٍ جَزيلة وجعلَ فيها أَميرين [هُما] ابن الوليد وابن اليعرى في مائةٍ وخمسين فارِساً ، ولَما وَصلَ الأُمراءُ المِصريونَ إلى المدينَة

---

[1] – رَجَّالةٌ : مقاتلون لا يمتطون الخيل ، يقاتلون مشاةً بتعبير اليوم .

[2] – راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن : من أشْراف مَكَّة وَلِيَ مَكَّة مراراً و فَرَّ عنها مراتٍ أيضاً ، كان موالياً لبني رَسول في اليَمَن وساعدوه في امتلاكها ، حفلت أيامُه بالفتن ، تُوفي عام ٦٥٤ هـ .

[3] – ورد في المطبوع (بين مَكَّة والعرك) والجرنقين والعرك مناطق في أرض الحجَاز .

المُشرفةِ على ساكِنها أَفضلُ الصلاةِ و السلام ، وَصلَهُم الخَبَرُ بوفاةِ الملكِ الكامل الأَيوبي .

وفي سنةِ ست وثلاثين وستمائة تُوفيَ الإمامُ المُعتضد[1] يحيى بن محسن بن محفوظ ، ودُفنَ بسَاقَيْن[2] رحمهُ الله ، وفيها تُوفيَ الأَميرُ الكبير ذو الشرَفين أَبو المُظفر يحيى بن حمزَة صِنْو الإمامِ المنصور بالله ، وكانَت وَفاتُهُ بِكُحْلان تاجِ الدين[3] ، ودُفنَ إلى جَنبِ المسجد .

وفي سنة سبعٍ وثلاثينَ وستمائة تَجهزَ الشَّريف شيحه عاملُ بني أَيوبَ على المدينَة المُنورَة في أَلفِ فارسٍ إلى مَكَّة المشرفة ، فخرجَ عنها عاملُ نورِ الدين ، فلَما بَلغَ السُّلطان نور الدين خُروجُ عامله ، بَعثَ إلى مَكَّة ابن النُصيرِي والشَّريف راجح بن قتادة في جيشٍ جَرار ، فانهَزمَ الشَّريف شـيحه إلى الملكِ الصالحِ أيوب بن الملك الكامل[4] ، فجهزَ صُحبَتَهُ عَلَمَ الدين الكبير في جيشِ جَرار ، فدَخَلا مَكَّة وحَجَّا بالناس .

وفي سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائَة جهزَ السُّلطانُ نور الدين جيشاً كبيراً مع الشَّريف علي بن قتادة ، فلَما بَلغَ السَّرَّيْن[5] بَلَغهُ أَنَّ سُلطانَ مصر بَعثَ أَميراً يُقال لهُ ابن برطاس في جيشٍ جَرار ، فدَخلَ مَكَّة المُشرَفة ، فكَتبَ إلى السُّلطان نورِ الدين بذلك ، فتَجهزَ بنَفسهِ إلى مَكَّة ، فلَما بَلغَ ابن برطاس قُدومُه ، انهَزمَ عن مَكَّة فوَقفَ السُّلطان

---

[1] – الإمام المعتضد يحيى بن المحسن بن محفوظ ، من ذرية الإمام الهادي من الأئمة قام بالأمر بصعدة عام ٦١٤ هـــ ، ولم يتم لهُ الأمر لأن القوة كانَت في حينه للأشراف الحمزيين .

[2] – سَاقَيْن : بلدة إلى الغرب من صعدة بمسافة ٣٠كم .

[3] – كُحْلان تاج الدين : مدينة جبلية إلى الشمال الشرقي من حَجّه وتسمى كُحْلان عَفَّار .

[4] – أبو المعالي الملك الكامل محمد بن محمد بن أيوب ، من سلاطين الدولة الأيوبية ، مجاهد عارف بالحديث ، وله شعر ، امتد ملكه من مصر إلى الشام والحجاز واليمن ، تُوفيَ في عام ٦٣٥ هـــ .

[5] – السِّرَّيْن : بلدة في بني ضبيان من بلاد خَوْلان العالية إلى الشرق من صنعاء ، ولعل المقصود بلدة أخرى تحمل نفس الاسم من بلاد الحِجَاز .

في مَكَّة في شهرِ رَمضان ، ورَجعَ إليه ابن برطاس راغباً في خدمَته هوَ وجَماعةٌ من الجُنْد ، فأَكرَمهُم واشتَرى من ابن برطاس قَلعةَ يَنْبُع وأَخرَبَها ، لأَنَّها كانَت مَأوَى للأَجْنادِ المِصريَة إذا دَهَمهُم جُنْدُ السُّلطان ، واستعملَ على مَكَّة الأَميرَ إياس وابن فَيروز ، ورَجعَ إلى اليَمَن .

وفي سنة إحدَى وأَربعين وستمائة أَمرَ السُّلطان نور الدين بِعمارَةِ المدرسة المَنصوريَة بمَكَّةَ المُشرفة على يدِ الأَمير إياس .

وفي سنة ستٍ وأَربعين وستمائة ، كانَ فيها قِيامُ الإمامِ الشَهيد الأَعظَم المَهدي أَحْمَد ابن الحُسَيْن بن القاسم عليه السلام بأَمرِ الإمامَة والرِياسَة العامَة . فبَعثَ دَعوَتهُ في أَقطارِ اليَمَن ، وأَجابَتهُ البِلادُ ومَالَ إليه الأَشْرافُ بَنو حمزة ونَقَضُوا الصُلحَ بينهُم وبينَ السُّلطان ، ولَم يَزَل الإمامُ يَشُنُّ الغاراتِ على كثيرٍ من الجهاتِ بِهَمْدان ، وكَوْكَبان ، وحِصنِ خلبة[1] ، وحُصونِ المِخْلاف ، وكانَ عامِلُها من قِبَلِ السُّلطانِ نور الدين القاضي عَمارَة بن على الأصبَهاني ، وحصونُ حَجَّه بأَيدي الأَشْرافِ أَولادِ تاجِ الدين محمد بن يحيى بن حمزة .

وفي هذه المُدة كَتبَ الأَميرُ أَسد الدين محمد بن حَسَن بن علي بن رَسول إلى الإمامِ راغِباً في طاعَتهِ ، لِوَحشَةٍ جَرَت بينَهُ وبينَ عمِّه السُّلطان نور الدين ، فلَما بَلغَ السُّلطانَ ذلك انزَعجَ لهُ ونَهضَ إلى اليَمَن الأَعلى لِمُناجَزةِ ابن أَخيه والتَجاوزِ إلى حربِ الإمامِ ، فلَما وَصلَ ذَمَار تَلقَاهُ أَسدُ الدين مُعتَذراً فقَبلَ منهُ وقَدَّمَهُ إلى صَنْعَاء ، ونَهضَ بعَقبه[2] إلى كَوْكَبان ، فاستَقر في الضِلْع ، وأَرادَ التَفتيشَ على المِخْلاف فَحالَ دونَ ذلكَ ثَورانُ العامَةِ ، ودَهَمَهُ السوادُ الأَعظَمُ من أَهلِ المَغَارِب ، فرَجعَ مَهزوماً إلى حَوْشَان[3]

---

(1) – لم أجدها ، ولعلها جَلَبة الواقعة قرب قرية غيلان شمال صنعاء .

(2) – بعقبه : خلفهُ ، بَعدَهُ .

(3) – حوشان : قرية إلى الأسفل من ثلا فيها بعضٌ من ذرية الإمام المُؤيَّد يحيى بن حمزة .

وضَربَ مُخيمَهُ فيه ، واســتَمَر الحربُ بينهُ وبينَ أَعوانِ الإمامِ على ثلاَء وحَولَ المَصانِع[1] ، ثُم جهزَ الإمامُ مُقَدَماً على جُنْده الأَميرَ عبدالله بن الحَسَن بن حمزة إلى حَدَّة بني شِهاب ، وبَنو الرَاعي ، وأَهلِ حَضُوْر ، فخافَ السُّلطان على صَنْعَاء فرَجعَ على جهةِ بني الراعي[2] ، وكانَ صَبوراً على الحربِ لا يَمَلُّه .

وفي سنةِ سبع وأَربعين وستمائة حصلَ الإختلافُ بينَ الإمامِ والأَشراف بني حمزة في شهرِ شوال فالتَقَوا إلى قَارِن من جهة الأَشْمُور ، ووَقعَت بينهُم وَقعةٌ عَظيمَة ، وكانَت الدائرةُ على الأَشْرافِ بني حمزة ، قُتِلَ من جُنْدهم ثلاثمائة ونَيف وثمانينَ قتيلاً وأُسرَ آخرون ، ومنهُم مَن فَدَا نَفسَهُ ، ومنهُم مَن مَنَّ عليهِم ، ومنهُم من هَلكَ من الجِراحات وفيهِ يقولُ ابن هتيمل الشاعرُ شِعراً :

قَرَنتَ بأَهلِ قَارِن يَومَ سَوءٍ ... أَرَحتَ بهِ الزَّعيمَ منَ الزَعَامَة

وفي شهرِ القِعدةِ من السَّنة المذكورةِ قُتِلَ السُّلطان نور الدين عمر بن علي بن رَسول[3] في قَصرِ الجَنَد ، قَتلَهُ مَماليكُه ، وقَد كانَ استَكثَرَ من المماليكَ حتى بَلغَت مماليكُهُ البَحريةُ أَلفَ فارِس ، ويُقالُ أَنَّ الذي أَغراهُم بقَتْلِ السُّلطان ابن أَخيه أَسد الدين لَما أَرادَ عمهُ عَزلَهُ عن صَنْعَاء وتَولِيَةَ المُظفرِ يُوسُف بن عمر ، ولَما قُتلَ السُّلطان حَملَهُ بَنو فيروز في مَحمَلٍ إلى تَعزْ ، ودُفِنَ في المَدرسةِ الأَتابكيةِ ، ومن مآثرِ السُّلطانِ

---

[1] – المَصانِع : بلدة تتبع (مديرية) ثلا ، وجبل المَصانِع من المناطق الحصينة وكانَت هذه المناطق مسرحاً لأحداث وصراعات بين الغرماء في القرون السابقة .

[2] – بنو الراعي : في بني مطر ، و حَدَّة بني شهاب هي مدينة حَدَّة ، وهي اليوم أحد أحياء مدينة صنعاء .

[3] – عمر بن علي بن رَسول التركماني الملقب بالملك المنصور : مؤسس الدولة الرَسولية في اليَمَن ، أحد الدهاة الشجعان الأجواد ، ولد بمصر ودخل اليَمَن مع قوات بني أيوب ، كانَت إقامته في الجَنَد ، و مَلَكَ اليَمَن كله حتى حضرموت . وكذلك الحِجَاز .

نور الدين مَدرسَةٌ بمَكَّةَ المُشرفة ، ومَدرَستانِ في تَعزْ ، ومدرسةٌ في عَدَن وثلاثُ مدارسَ في زَبِيْد .

ولما قُتلَ السُّلطانُ نور الدين سارَ المماليكُ إلى فسال[1] من نَواحي تَهامَه ، وفيها الأميرُ أبو بكر بن الحَسَن بن علي بن رَسول نائباً عن عَمه ، فَنَصَّبُوهُ سُلطاناً ولَقَّبُوه بالملك المُعظَّمُ ، ثُم سارَ إلى زَبِيْد فحَصَرُوها ، وكانَ الملكُ المُظفر يُوسُف بن عمر في المَهْجَم مُغاضباً لأبيه لَمَّا قَدمَ عليه إخوَتهُ المُفضلَ والفَائز مَع كَونِ المُظفرِ أسَنَّ منهُما وأكمَل وأفضَل ، وقَد كانَ هَمَّ بالمَسيرِ إلى العراق ، فلَما بَلَغهُ قَتْلُ أبيه تَركَ ما عَزمَ عليه ، وقَد كانَت المُدنُ والحُصونُ مَقبوضَةً ولَم يَكُن بيدِ المُظفرِ إلا قائمُ سَيفه ، فجَمعَ العَسكرَ واستخَدمَ العساكرَ وتقَدمَ بهم إلى زَبِيْد ، فَضَعُفَ عَزمُ أبي بكرٍ والعبيدَ المحاصِرينَ لزَبِيْد ، وطَلَبَ العبيدُ الأمانَ من المُظفر فأَمَّنَهُم بشَرطِ القَبضِ على أبي بكر والعبيدِ الذينَ قَتلوا السُّلطانَ نور الدين ، ففَعَلوا ذلك ، ودَخلَ زَبِيْد واستَولَى على التَهَائم وانْساقَت إليه حَواصِلُها ، على ما سَيأتي خَبَرُه .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة نَهضَ الإمامُ المَهدي عليه السلام إلى صَعْدَه ، فوَصلَ الأُمراءُ: السيدُ يحيى بن يحيى ، والأميرُ الحَسَن بن بدر الدين ، والأميرُ شرف الدين الحُسَيْن بن محمد ، ومن انْضَم إليهم من آلِ الهادي بأَجْنادٍ واسعَة من هَمْدان وخَولان ، حتى بَلغَت الخيلُ ثمانمائَة ، فحارَبَ الإمامُ الأشرافَ الحَمْزات في حِصن تُلُمُّص ، وهوَ حينَئذ بيدِ أولادِ المنصور بالله ، فلَما رأَوا كَثرَةَ تكرارِ الناس ، واشتَد عليهم الحِصارُ وضَايَقهُم الإمامُ ، مَالُوا إلى الصُّلح فطَلَبوا من الإمامِ العَفوَ عنهُم ، فأَجابَهم بِشرطِ تَسليمِ حِصنِ تُلُمُّص ، والقُفل[2] في بِلادِ الظَّاهر ، والمكرام في مَيْتَك ، والجَاهلي في

(1) – فسال : وردت مصحفة ، والصواب فِشَال : قرية خاربة في جنوب مدينة بيت الفقيه .

(2) – القُفْل : قلعة حصينة في جبل ظفار من (مديرية) ذِيْبِيْن إلى الشمال الغربي من صنعاء ، ولا أحسبها بلدة قفل شمر الواقعة إلى الغرب من بلاد حَجَّه .

ظَفير حَجَّه ، ولَما اجتَمعَت الأَجْنادُ للإمامِ في صَعْدَه نَهضَ إلى جهةِ صَنْعَاء فوَصلَها في عَوالِمَ لا تُحصى ، والتَجأَ أَسدُ الدين إلى حِصنِ بَرَاش ، ودَخلَ الإمامُ صَنْعَاء دُخولاً مُعظماً ، وأَجابَتهُ البِلادُ من ذَمَار إلى صَعْدَه ، وكانَ الأُمراءُ بنو حمزةَ ومن إليهم معَهُ ، وهوَ غيرُ واثقٍ بهم .

وما بَرِحَ الإمامُ يُتابعُ القتالَ على أَسدِ الدين حتى كَتبَ إلى الأَمير شَمسِ الدين أَحْمَد بن المنصور فسأَلهُ أَنْ يَسعى في الصُلحِ بينَهُ وبين الإمامِ ، وأَنْ يَدخُلَ في طاعة الإمامِ فاتَّفقَ بهِ الأَميرُ شَمسُ الدين ، واتَفَقا على المُخادَعة وأَنَّهُ يَدخلُ في طاعَة الإمامِ ، ويُجهزُهُ الإمامُ على ابن عمهِ السُّلطانِ المُظفر ، فإذا قَرُبَ من المُظفر سَعَى بَنو حاتم بينهُ وبينَ المُظفر ويَكونُ من حِزبِهِ ويَجتَمعان على حَربِ الإمام ، فوَقعَ الأَمرُ على هذا ، وجَهزهُ الإمامُ في جيشٍ عظيم ، فلَما قَرُبَ من السُّلطانِ وَقعَ ما ذَكَرنا ، ومَالَ أَسد الدين في خاصَتهِ ، ولَقيهُ السُّلطان فترَجَّلَ أَسد الدين وحَملَ الغَاشيَةَ[1] بينَ يَدي السُّلطان ، ثُم جَهزَهُ السُّلطانُ إلى صَنْعَاء في مائَة فارس ، فبلغَ الإمامَ ذلك ، فأَنفَذَ عسكَراً إلى نَقيلِ المغابرة[2] لمَنعِ الأَسَديَّة من صُعودِه ، فلَم يَقوَ ذلكَ الجُنْدُ على مَنعه ، وطَلعَ ونَفذَ إلى صَنْعَاء ودَخلَها بعد خُروجِ الإمامِ منها إلى سَنَاع[3] .

وفي سنةِ تسعٍ وأَربعين وستمائة وَصلَ الأَميرُ بدر الدين الحَسَن بن علي بن رَسول وأَخوهُ الأَميرُ أَبو بكر، فخافَ المُظفرُ منهُما وجَنحَ إلى مُصالَحةِ الإمامِ على أَنَّ لِلمُظفر اليَمَن الأَسفَل .

---

(1) – الغاشية : المظلة ، قطعة كبيرة من القماش المزركش من أطرافها ، يحملها واحد أو أكثر لتظليل الأمير ، وتعطيه من الأبهة والهيبة أثناء المسير ، وتقيه من حر الشمس أيضاً .

(2) – نقيل المغابرة : لم أجدها ، والنقيل هو العقبة والمرتفع الصعب المرتقى .

(3) – سناع : قرية في منطقة الحد من بلاد يافع العليا تسكنها قبائل الداوودي ، ولا أحسبها المقصودة .

وقصةُ الصُلحِ بينَ الإمامِ و السُّلطانِ المُظفر أنَّ الإمامَ عليه السلام لَما قَويَت شَوكَتهُ على الأُمراءِ الحَمزيين وأَوقَعَ بِهم واجتَنبَهُم الناس ، نَزلَ الأَميرُ عبدالله بن حَسَن بن حمزة إلى السُّلطانِ مُنتَصراً بِه على الإمامِ ، وقَد زَعمَ أنَّهُ سَيُحَمِّلُ البِلادَ ما لَم تَحمل باستجلاب السُّلطانِ وجُنودِه ، فاتفَقَ وصولُ الأَميرِ بدر الدين حَسَن بن علي بن رَسول ، وصنوه أَبو بكر ، وقَبضَ عليهِم السُّلطانُ في حَيْس[1] ، وأَرسَلهُم تحتَ الأَسرِ إلى حِصنِ تَعزْ ، فانقَطعَ يَأسُ الأُمراءِ بني حمزة وصاحبِهِم الأَميرِ أَسد الدين محمد بن الحَسَن بن علي بن رَسول بِالقَبضِ على أَبيهِ وأَعمامِه ، ووَصلَ كتابٌ من السُّلطان المُظفرِ إلى الإمامِ يَستَدعي مَن يَصِلُ إِليهِ من خاصَّةِ الإمامِ ، ويَبذلُ من نَفسه كُلَ ما يُحبُ الإمامُ ، فأَمرَ الإمامُ الشيخَ المِسكينَ زاهر بن عُقبة من قَبائِل الأَعْرُوش بِجهَةِ خَولان الطِيال ، وكانَ أَديباً حَسَنَ القَول .

فَتَمَّ الصُّلحُ بِأَخذِ الأَيمانِ من السُّلطان ، وأَخذَ السُّلطانُ قَميصَ الإمامِ وعَلَمَهُ وأَخذَ الإمامُ قَميصَ السُّلطانِ وعَلَمَهُ ، على أنَّ للإمامِ مِن نَجْد الأَسْلاف[2] إلى جِهةِ اليَمَن الأَعلى جِهَةَ صَنْعَاء وذَمَار وصَعْدَه والجَوفَين ونَجْران وعَمْرَان والظَّاهِر وحَجَّه والشَرَفَين وما قابَلَها من البُلدان ، وللسُّلطان اليَمَن الأَسفَلُ والتَهَائم وبَنادرُها[3] ، واشتَرَطَ إِخراجَ بني حَمزةَ عن صُلحِ السُّلطانِ فَرَدَّهُم على حُكمِ الإمامِ ، وأَنَّ على السُّلطانِ للإمامِ في السَّنةِ ثمانينَ أَلفَ دِرهمٍ مَحمولَةً إلى خزائِنه ، ويُسَلمُ نَيفاً وعشرينَ أَلفاً للإِمام ، وخلَع ومَراكِيب .

---

[1] – حيس : مدينة مشهورة إلى الجنوب من زبيد ، قال الهمداني : هي أقدم مدينة تِهامية على الإطلاق وقد اهتم بها الملك المظفر الرَسولي وبنى بها الجامع الكبير وما زال قائماً حتى الآن ، وكانَت أحد هجَر العلم و معاقله و كانَت بها صناعات خزفية ومعاصر للزيت و مصانع للحلوى وغيرها .

[2] – نَجْد الأسلاف : لم أجده ولعله نَجْد السلف وقد عرفنا به سابقاً .

[3] – بنادرها : الموانئ و مدن الساحل . .

وتَشَفَّعَ الأُمراءُ الحَمزيونَ بالسُّلطان إلى الإمامِ في صُلحٍ بينهُم وبينَهُ ثلاثةَ أشهر ، فأَسْعَدَهُ الإمامُ ، ولَما وَقعَ ذلك أُسْقطَ ما في أَيدي الأميرِ أسد الدين[١] ، فأَرسلَ إلى الإمامِ يَستَعطفهُ ، فَلَم يَقبَل منه ، وقالَ : " لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحرٍ مَرتين ، ولا وَثيقَةٌ تَفعلُ أعظمَ مما فَعلت ، رَهنتَ وَلَدكَ وحَلَفتَ الأَيمانَ المُغَلظَة ، وأَعطيتَ سيفَكَ وعَلَمَكَ ، وأَشهَدتَ كِبارَ المَشرقِ والمَغرب ، ثُم غَدرتَ ونَكَثتَ " ، فَبَلغَ ذلكَ عندَهُ مَبلَغاً عَظيماً .

وفي هذهِ السَّنة فَتحَ الإمامُ جبلَ الحَرَام ، استَولَى عليهِ مُقَدمُ الإمامِ الأَميرُ أَحْمَد بن القاسم بن جعفر من بني مرْغم[٢] الأمام في الخامسِ من صفر من سنةِ تسعٍ وأَربعينَ وستمائة ، فلَما انقَطعَ أَمَلُ أَسد الدين خرجَ إلى سَفحِ جبلِ نُقُم وحَط بخيامه ، ثُم نَهضَ إلى جهةِ ذَمَار ، فأَمرَ الإمامُ مُقَدمهُ الأَمير شجاع الدين أَحْمَد بن محمد بن حاتم العباسي العَلَوي بدخولِ مدينة صَنْعَاءَ وحِفظِها .

وفي هذه الأَيام استَقَامَت أَحوالُ الإمامِ ، وفَتحَ المَعاقِلَ والحُصون ، وتَمهدَت دَولَتهُ وقَويَت صَولَتُه ، ومَلَكَ غالبَ اليَمَن ، وسَكَنَت الأُمور وكُفيَت الشُرور .

فلَما دَخَلت سنةُ إحدَى وخمسين وستمائَة ، إحترَكَ خاطِرُ سُلطانِ اليَمَن المُظفر للإستيلاءِ على اليَمَنِ الأَعلى .

قالَ بعضُ المُؤرخين : إنَّ سَبَبَ طُلوعه إلى اليَمَن الأَعلى أَنَّ عَمهُ حَسَن بن علي بن رَسول كانَ في سجنه ، فأَرسلَ إليه يُعنفُهُ ويُعَجزُهُ أَنَفَةً على مُلكِهم أَنْ يُسلَب .

وذَكرَ بعضُ المُؤَرخينَ : أَنَّ السُّلطانَ عندَ استيلائه على حِصنِ الدُّمْلُوه وَجدَ مالاً جَزِيلاً فيها ، فَحرَّكَهُ على افتتاحِ اليَمَن الأَعلى ، فنَهضَ على حينِ غَفلَة ، فلما استَقل

---

[١] – أسد الدين : محمد بن الحسن ، من أمراء بني رَسول ومن أكملهم خلقاً ، لهُ آثار عمرانية ومدارس وأوقف أوقافاً عليها ، تُوفي في عام ٦٧٧ هـ .

[٢] – بني مرغم : بلدة في منطقة الكرب من أعمال صعدة ينسب إليها آل مرغم المقيمين بصنعاء وضواحيها .

بالحَقل بموضعٍ يُسَمى الصلمية ، نَهضَ عَسكرُ الإمامِ إلى مَنْوَة وأَقامُوا هنالك ، وانتقَلَ السُّلطانُ إلى خَاوْ[١] ، ثُم انتقَلَ إلى رَيْدَان مَنْوَة ، وحَصلَت خُطوبٌ وحُروبٌ بين أَجْناد الإمامِ والسُّلطان ، وقد أَبْطَنَ الأُمراءُ الحمزيونَ المَيلَ إلى السُّلطان والغَدرَ بالإمام ، فكانُوا يُداهِنونَ بِالحربِ ويُخَذِّلونَ من أَرادَ الجِد والنَجدَةَ ، فانتَقلَ الأُمراءُ المُقَدَمون وهُم: شَمسُ الدين أَحْمَد بن المنصور ، وعَلَمُ الدين سليمان بن يحيى صِنوُ الإمامِ لأُمه ، وغَدرَ أَسد الدين ونَكثَ العُهودَ المُغلَّظةَ بينَهُ وبينَ الإمامِ ، ومالَ إلى ابن عَمه ، وتَم الأَمرُ بينَهُما على حربِ الإمامِ ، ونَهضَ أَسدُ الدين إلى صَنْعَاء فدَخلَها والإمامُ في هِجرَةِ سَنَاع ، فارتَفعَ الإمامُ عَنها وحَط في بيتِ رِجال[٢] .

وكانَ بعدَ ذلك غَدرُ الأُمراءِ الحمزيون ومَيلِهم إلى السُّلطان ، فأَعطاهُم أَموالاً جَمَّة ، وانقَلَبوا معَهُ وحارَبوا الإمامَ واستَولَوا على بني شِهاب ، ثُم جَمعَ الإمامُ الأَجْنادَ ورَجعَ نحوَ صَنْعَاء ، فكانَت أَهوالٌ وخُطوب ومِحَنٌ وحُروب ، وقَويَ أَمرُ السُّلطان واستَولَى على كثيرٍ من البِلاد ، ورَجعَ السُّلطان إلى اليَمَن ، واستنابَ أَسد الدين على صَنْعَاء وأَعمالِها .

وكانَت وَقعَةُ الحَصَبَات[٣] بينَ أَسد الدين ومن ظاهَرَهُ من الحَمزيين في ثاني شهر رمضان سنةَ اثنين وخمسين وستمائة ، قُتلَ فيها كثيرٌ من أَعيانِ أَنصارِ الإمام ، منهُم الفَقيهُ العالِمُ الكبير الجَهبَذُ الشَهير حَميد بن أَحْمَد المحلى[٤] ، وكانَ من العُلماءِ العاملينَ ، لهُ التصانيفُ المَشهورةُ والفوائدُ المأثورَة ، وظَهرَت لهُ كراماتٌ بعدَ مَوته تَناقلَها

---

[١] – خاو : بطن من ذو رُعَيْن ينسبون إلى قرية خاو الواقعة شرق يَريم وقد سكنوها فسميت باسمهم .

[٢] – بيت رجال : لم أجدها ، ولعل المقصود بلدة ذِيْبِيْن من بلاد حاشد والتي تسكنها عائلة أبو الرجال وهي من بيوت العلم المشهورة في اليَمَن .

[٣] – الحصبات : مرتفع يُقال لهُ نقيل الحصبات إلى الجنوب الشرقي من بلدة ثلا .

[٤] – حميد بن أحمد المحلى الهمداني : أبو عبدالله حسام الدين المعروف بالقاضي الشهيد ، مؤرخ فقيه زيدي من أهلِ صنعاء ، كان من أكابر أصحاب الإمام المَهدي ، قَتَله الأشْراف الحمزيون في معركة الحصبات سنةَ ٦٥٢ هـ ، لهُ مؤلفات عديدة .

الناس ، واشتَهرَت اشتِهارَ الشَمس ، وبعدَها حصلَت حروبٌ عَظيمَة بين الإمامِ وأَعوانِ السُّلطان ، وقَوِيَ أَمرُ الإمامِ على الأُمراءِ الحمزيين ، فنَزلَ الأَميرُ شَمسُ الدين ابن المنصور إلى السُّلطانِ إلى زَبيْد ، فقابَلهُ السُّلطانُ بِكُلِ ما يُريد ، وعَظُمَ شأنهُ هوَ وأَصحابُه ، وأَمرَ لهُم بالمضارِب[1] والضيافات ، وأَقَاموا شَهراً ووَصلَ عيدُ الأَضحى وهُم لَديه ، وقالَ الأَميرُ شَمسُ الدين قَصيدَتَهُ المشهورةَ يَمدحُ السُّلطان المُظفر ، وأَوَلُها :

لَعلَّ الليالي الماضيات تعودُ ... فتبدُوا نجومُ العيدِ وَهيَ سُعودُ
عَفى مَنزلٌ ما بين نُعْمانَ فاللوى ... وَخرتْ بهِ للراسياتِ برودُ[2]
هَواي بنَجدٍ والمُنى بتَهامَة ... مَتى نَلتقي بالمهثمي يجودُ[3]
فَيَا دارنَا بينَ العُيَينَة والحمى ... هَل الدارُ دارٌ والزُرودُ زرودُ
وَلما قَصَدتُ المَلكَ ذا التَّاجِ يُوسُفاً ... عَلمتُ بأَنَّ الهَمَّ ليسَ يَعُودُ[4]
وأَدنيتُ كفي مِنْ أَناملَ لَمْ تَخنْ ... عُهوداً ولَمْ تُخلفْ لهُنَ وعودُ

---

[1] – المضارب : نصب لهم الخيام وبيوت الشعر على عجل .

[2] – نعمان فاللوى : النعمان جبل مطل على مدينة حَجَّه ، وهما بلدات أو حصون من أعمال حَجَّه ، ذكر هذا البيت القاضي الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله وهو (على منزلٍ ما بين نَعْمان واللّوا وجرَّت عليه الرامسات برود) .

[3] – المهثمي : لم أجدها وقد وردت في المطبوع (المهتمين) .

[4] – يوسف : الملك المظفر يوسف بن عمر ، أعظم ملوك بني رَسول وَليَ الأمر بعد وفاة أبيه ، صان المُلك وأحسَنَ السياسة كان جواداً عفيفاً حسن السيرة وهو أولُ من كسى الكعبة المشرفة من داخلها وخارجها ، لهُ علم بالطب وبعض العلوم ، أشهر كُتُبه (المعتمد في الأدوية المفردة) ، تُوفيَ في عام ٦٩٤ هـ في تعز وقبره معروف داخل المدرسة الأشرفية.

إلى آخرها وهي طويلةٌ ، والقَصْدُ الإختصار .

ولَما رحلَ الأميرُ شَمسُ الدين من زَبيْد أقطَعَهُ المُظفر مدينَةَ القَحْمَة[1] ، وجهزَ معَهُ مائةَ فارسٍ من مَماليكه ، فسارَ الأميرُ شَمسُ الدين إلى الجَوْف فاستَباحَه ، و كانَت لهُ هنالكَ وَقعاتٌ عَظيمَة .

وفي سنةِ ثلاثٍ وخمسين وستمائةَ جَمعَ أَشْرافُ مَكَّة جَمعاً كثيراً ، وأخرَجوا المُبادرَ ابن برطاس عامِلَ السُّلطان المُظفرِ على مَكَّة ، وقَتَلوا من أَصحابه كثيراً وقَبَضوا عليه فاشتَرى نَفسَهُ منهُم بِمالٍ وعادَ إلى اليَمَن ، ووَقَعت الحربُ بين أَهلِ مَكَّة وأَهلِ العراق ، فأَصْلَحَ بينهُم أميرُ حاجِ الشَام[2] .

قالَ الخَزرَجي : " وفي سنة أَربعٍ وخمسين وستمائَة خرجَت نارٌ بالحِجَاز بالقُربِ من مدينةِ النَبي ﷺ ، فكانَت تَأكُلُ الحجرَ ولا تَضُر بالشجر ، فأَقامَت مُدةً يَعْلُوا لَهَبُها ودُخانُها ليلاً ونَهاراً ، وكانَت تُرى على مسافَةِ أيام ، ثُم طُفِئَت بعدَ مُدة ، وهيَ التي ذَكَرَها الرَسولُ ﷺ ، فقالَ :« تَظهَرُ نارٌ آخرَ الزمانِ بشَرقِ المدينَة تُضيءُ لَها أعناقُ الإبلِ ببُصرى من أرضِ الشَام »[3] " ، واللهُ أَعلَم ، كَذا ذَكرَهُ الخَزرَجي .

قالَ : " وفي هذهِ السَّنَة احتَرقَ مَسجدُ الرَسولِ ﷺ ، ولَم يَبْقَ إلا الضَريحُ الشَّريف ، لَم تَصلهُ النَّار ، فأَرسلَ الخَليفَةُ من بَغدادَ بعِمارَته وآلآته ، ولَم يَتمكنوا من عَملِ السِتارَة ، فاشتَرَوا من بَني شَيبَةَ ستارَةَ الكَعبَة ، وعَلقُوها على الضَريحِ الشَّريف " .

وفي سنةِ خمسٍ وخمسين وستمائَة ، اجتَمعَ الفقيهُ أَحْمَد بن محمد بن الحَسَن الرصَّاص وطائِفَةٌ من أَهلِ الأَهواءِ والدُنيا ، ومالُوا إلى الأميرِ شَمسِ الدين أَحْمَد بن المَنصور ،

---

[1] – القحمة : بلدة خاربة بوادي ذؤال بين بيت الفقيه والمنصورية من أرض تَهَامَة .

[2] – أمير حاج الشام : الشخص الذي يترأس وفود الحج المتجهة إلى مكة من مناطق شمال اليمن .

[3] – رواه البخاري برقم (٧١١٨) باب خروج النار ، ومسلم برقم (٢٩٠٢) باب لا تقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحِجَاز .

ونَكثُوا بَيعَةَ الإمامِ أَحْمَد بن الحُسَيْن ، فأَرسلَ إِليهِم الإمامُ الحَسَنَ بن وَهَّاس يَسمَعُ ماعابُوا بهِ ، فاستَمالُوهُ إليهِم وبايَعُوهُ بالإمامَة ، واجتَمَعوا بالبَوْن[1] ، وأَجمَعوا على حربِ الإمامِ ، وكَتَبوا إلى السُّلطانِ المُظفرِ يُمِدهُم ، فأَرسلَ إِليهِم أَموالاً عَظيمَة استَعانُوا بِها على حربِ الإمام .

ولَما تَجمعَت هذهِ الفرقَةُ جعَلوا دَأبَهُم على مَطلَبِ المَطاعنِ على الإمامِ ، ومَن وَجَدُوهُ مائلاً إلى الدُنيا أَعطَوه ، ومن كانَ مُتمَسكاً بطرفٍ من الدينِ استَدرَجوهُ بِشُبهة وزَخرفُوهَا حتى استَهوَوا طائفةً من الناس يَنهَضُوا لِقتاله والبَغي عليه ، حتى هَبَطوا واديَ شُوابَة[2] ، فنَهضَ إِليهِم الإمامُ عليه السلام ليكُفَّهُم عن زَرايعِ الناسِ المُسلمين ، ولَم يَرى عليه السلام رُخصَةً في تَركِ مُدافَعتِهم لِشدةِ الزمانِ وعِظَمِ الأَزمَة ، فنَهضَ في عَسكَرِه ومن انضَمَ إِليهِ حتى هَبطَ بِهم واديَ شُوابَة ، وصارَ إلى قريةِ الحارة ، وأَمرَ بالمَحطَة فيما بينَ القريةِ وبينِ البركة ، وأَمرَ صائحاً بِمَنعِ العَسكَرِ من المَعَرة[3] والتَضييقِ على أَهلِ البَلد ، ولَما عَلِمَ القَومُ بِنهوضِهِ واديَ شُوابَة نَهَضوا جَميعاً قاصدينَ لِحربِه ومُناصَبَته ، واستَقرَت مَحطتهُم في مَوضعٍ يُسمى السرعة[4] ، وأَغارَت خَيلُهُم على زَرائِعِ أَهلِ البَلد فانتَهَبوا منها .

فلَما كانَ يومُ الثُلاثاء لِثلاثٍ بَقِينَ من شهرِ صَفر سنةَ ستةٍ وخمسينَ وستمائة أَمرَ الإمامُ أَصحابَهُ بالأُهبَة ولِباسِ العُدةِ ، ورَكبَ في أَكثرِ عَسكرِه ، حتى أَشرَفَ على الوادي ، فلَما رآهُ القومُ رَكبوا إليه قاصدينَ قتالَهُ ، فلَما كانَ يومُ الأَربعاء لِلَيلَتين بَقيتا من شهرِ صَفر ، وقَد أَعذرَ إِليهِم الإمامُ وعَرَّفَهُم بِما يَجبُ للهِ ولِرَسوله فَلَم يَرعَووا ،

---

[1] – البَوْن : قاع البَوْن ، أرض سهلية وهي إلى الشمال والشمال الغربي من صنعاء .

[2] – وادي شوابة : أحد مصبات وادي الجَوْف و مآتيه إلى الشرق من عَمْرَان .

[3] – قال الفيروزابادي في قاموسه : المعرة : هي الإثم والعدوان والغرم ، والقتالُ دون إذن الأمير .

[4] – السرعة : لم أجده ولكن السياق يفيد أنه إلى الشمال من صنعاء والجنوب من حَجَّه .

ونَهضَ إلى تَلٍ مُشرِفٍ على غَيلِ شُوابَة لِيَقرُبُ الناسُ من الماءِ والكَلأ ، فَشمَّرَ الناسُ في النُهوضِ ورَحَّلُوا أَثاثَهُم وآلاتِهم ، ولَما نَشروا رايَتَي الإمامِ وسَاروا قليلاً انكَسرَت إحدَى الرايَتَين ، فوَقعَ في قُلوبِ الناسِ من ذلكَ شَيءٌ ، وبَلغَ الإمامَ فكَرَّهَ التَطَيُّر[1] ، وقالَ : امْضُوا على اسمِ الله ، وتَلَى قَولَهُ تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

فلَما أَشرَفَ عليهِم الإمامُ أَمَرُوا صارِخاً يَصرُخُ لأَصحابهم الذين في غَيلِ شُوابَة ، يَستَعينونَ بهِ على حربِ الإمامِ ، فبَينَما القومُ يَتوقعُونَ قُدومَ العَسكَرِ إليهِم ، إذ نَظَروا ثِقلهم في سَفحِ الجَبلِ والإمامُ قد تَوَجهَ طَريقَ الغَيلِ التي تُفضي إلى البُستانِ المَنصوري[3] ، فحينَئذٍ اشتَدوا وعَلموا أَنَّها فُرصَةٌ ورَكبوا من ساعَتِهم ، وبالَغَ الرَصَّاصُ في تَحريضِ الناس ، فحَملَ الأُمراءُ الحمزيونَ على الإمامِ وأَصحابه ، فثارَت فِتنَةٌ عَظيمَة واختَلطَت الخيلُ ، فانهَزمَ أَصحابُ الإمامِ وبَقيَ مع أَصحاب الإمامِ جماعةٌ من الرجالِ فمَضَوا عنهُ واحداً واحداً ، حتى لَم يَبْقَ مع الإمامِ إلا ثلاثةُ نَفَر ، قالَ لهُ بعضُ أَصحابه : " إنَّ الناسَ انهزَمُوا " ، قالَ : " فالتَفتَ إلى القَبائل " ، وقالَ : " إنِّي لا أُبالي بِفرارِهم " ، قالَ : " فعرَفتُ أَنَّهُ يُريدُ الشَهادَة " ، ثُم أَصابَهُ سَهمٌ فانحَرَفَ عنهُ ، وأَصابَهُ رجلٌ من الصَيْدَة[4] بِضَربَةٍ في رِجله ، ثُم إعتَورَتهُ خيلُ القومِ ، فمَضَى شهيداً حَميداً سعيداً ، والذينَ بَغَوا عليهِ لَم ينالُوا خَيراً ، فإنَّها انحَرفَت عنهُم القُلوب واعتَورَتهُم الخُطوب ، وهَلَكوا في أَقرَبِ مُدةٍ ،ولَم تَطُل مُدةُ الرَصَّاصِ ، بَل هَلَكَ في شهرِ رمضانَ في هذه

---

(1) – التطير : ما يُتشائم منه ، الفأل السيئ .

(2) – التوبة ٥١ .

(3) – البستان المنصوري : هو المكان الواقع الآن بين قاع العلفي وأمام وزارة الخارجية حتى السفارة الروسية والمنطقة المحاذية لها .

(4) – الصيدة : فخذ من قبائل سُفْيَان بن أرحب وديارهم في وادي جوفان إلى الشمال من حُوْث .

السَّنة ، والأَميرُ أَحْمَد بن المنصور ماتَ في صَعْدَه وقُبرَ إلى جَنبِ أَخيه علي بن المنصور ، واستَولَت الشدَةُ والقَحطُ الذي لَم يُسمَع بِمثله ، وهَلَكَ أَكثرُ الناس ، وعُدِمَ الطعامُ بالكُلية ، وظَهرَت لِهذا الإِمامِ كَراماتٌ عَظيمَة في حياته وبعدَ مَماته ، وصارَ لهُ الحَظُ الأَوفَرُ من اعتقادِ الناسِ بمَشهَده[1] ، وكَثرَت الأَوقافُ عليه ، حتى صارَ أَهلِ البُلدان مُعتاشينَ في أَوقافه قَرناً بعدَ قَرن ، ثُم أَنَّهُم بايَعوا لِلحَسنِ بن وَهَّاس ، والأُمراء الحمزيون مَيْلَهُم إلى السُّلطان المظفر ، وإنما ساعدوا في الظَّاهِر استجلاباً لخواطر الشيعة[2] .

ولَما بَلغَ السُّلطانَ مُبايَعةُ الحَسَن بن وَهَّاس استَنكرَ ذلكَ على الأَميرِ أَحْمَد بن المنصور ، فوَصلَهُ منهُ ما اطْمَئَن بهِ خاطِرُه ، فجهزَ السُّلطانُ إلى حَجَّه الأَميرَ علي بن يحيى العَنْسي المَذْحَجي ، وكانَ في حَجَّه الأَميرُ أَحْمَد بن قاسم بن جعفر ابنُ عَم الإِمامِ أَحْمَد بن الحُسَيْن ، فلَم يَظفَروا منهُ بشَيء .

وفي سنةِ تسعٍ وخمسين وستمائة تَسَلمَ السُّلطانُ حِصنَ عَضُدَان[3] ، ثُم تَسلمَ في هذه السَّنة حِصن بَرَاش من الشَّريف أَحْمَد بن محمد بن حاتم العَلَوي العباسي ، وعزمة المِصَيْنعة[4] وعزَّان[5] من بِلادِ حِميَر ، ومالاً أَعطاهُ إياهُ كثيراً .

وفي هذه السَّنة المذكورة قامَ الإِمامُ يحيى بن محمد السِّراجي ودَعَا في ناحيَة مَسْوَر ، فخرجَ الأَميرُ سَنْجَر الشعبي لِقتاله ، فانْحازَ الإِمامُ إلى المَغَارِب ، وعادَ سَنْجَر إلى

---

(1) – هذا الإعتقاد منتشر عند العامة – غفر الله لنا ولهم – ولا دليل عليه ولا يصح .

(2) – ضعف في إدراج السياق السابق والمقصود أنهم بايعوا للحسن بن وهاس ظاهراً ولكنهم باطناً يميلون إلى المظفر .

(3) – حصن عضدان : حصن وقرية إلى الجنوب الغربي من صنعاء بين فج عطان ومدينة حَدَّة .

(4) – عزمة المصينعة : لعلها البلدة الواقعة ضمن بلاد حاشد في جبل المحابشة إلى الشمال الغربي من حَجَّه

(5) – عزان : اسم مشترك لعدد من البلدات والحصون والمقصود هنا هي البلدة الواقعة في جبل كُحْلان عَفَّار إلى الشرق من حَجَّه .

صَنْعَاء ، فسارَ الإمامُ إلى بلدِ بني فَاهم[١] ، فأَمسكُوهُ وسَلموهُ إلى سَنْجَر الشعبي ، فكَحَّلَهُ[٢] في ذي الحِجةِ من سنةِ ستينَ وستمائة ، وأَصابَ اللهُ الذينَ أَمسَكوهُ بالجُذامِ وهَلَكُوا ، كما سَيأتي إنشاء اللهُ تَعالى .

وفي سنةِ إحدَى وستينَ وستمائة تَسلمَ السُّلطانُ حِصنَ الجَاهلي[٣] ، اشتَراهُ من الأَميرِ أَحْمَد بن قاسم ابن عَمِ الإمامِ أَحْمَد بن الحُسَيْن ، وطَلعَ الأَميرُ سَـــنْجَر إلى مُدَع[٤] ، بعدَ أَنْ دَخلَهُ عسكَرُ السُّلطان .

وكانَ في هذهِ السَّنَةِ دَعوَةُ الإمامِ المنصورِ باللهِ الحَسَن بن بدر الدين محمد بن أَحْمَد ابن يحيى بن الناصر بن الحَسَن بن عبدالله بن محمد المنتصر بن قاسم المُختار بن الناصر أَحْمَد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب سلامُ الله عليهِم أَجْمَعين ، وهوَ صِنوُ الأَميرِ الناصر لِلحقِ الحُسَيْن بن محمد صاحبِ الشفا[٥] والتقرير ، وهوَ في هذهِ الأَيامِ من أَعيانِ أَئمَةِ العترَةِ علماً وفَصاحَةً وخطابَة ، ومن مُصنفاته كتابُ (أَنوارِ اليَقين في فَضائِلِ أَميرِ المُؤمنين) ، وهو شَرحٌ على مَنظومَةٍ لهُ ذَكرَ فيها جُملَةً عَجيبة ، ودَعى

---

[١] – بني فاهم : قبيلة معروفة في بلدة حضور إلى الغرب من صنعاء .

[٢] – أكحله : كناية عن قيام المنتصرين بوضع الميل (قضيب الحديد) في النار وإدخاله في عيون الأسرى ، وكانت هذه الحالة سائدة في ذلك الزمن ، وهي من ظلم المسلمين لبعضهم البعض ـــ والله المستعان .

[٣] – حصن الجاهلي : بلدة وحصن في الجَبَر من (مديرية) ذِيْبِيْن من أعمال حَجَّه وكانت هذه البلدة أحد هجر العلم التي يقصدها الطلبة وكانت سكناً لبعض العلماء .

[٤] – مدع : حصن وقرية في جبل المَصانِع إلى الشمال الغربي من مدينة ثلا وكانت لها شهرة تاريخية ، وكانت مسرحاً لعدد من الحوادث .

[٥] لعله الكتاب المسمى شفاء الأوام ، المميز بين الحلال والحرام .

عليهم في هِجرَةِ رُغافَة[1] يومَ الخامسِ والعشرينَ من شهرِ شوال سنةَ سبعٍ وخمسين وستمائة ، وكانَت وَفاتهُ سنةَ سبعينَ وستمائَة في هِجرَةِ تاجِ الدين برُغافَة .

وفي سنةِ إحدَى وستين وستمائَة أَخذَ الأَميرُ سَنْجَر الشعبي[2] عن أَمرِ السُّلطان بَرَاقِش[3] ، ودَخلَ صَعْدَة في ذي الحجة منها .

وفي سنةِ ثلاثٍ وستين وستمائَة أَخذَ السُّلطانُ[4] حِصنَ ذي مَرْمَر .

وفي سنةِ سبعين وستمائَة كانَت دَعوَةُ الإمامِ المَهدي لدين الله إبراهيم بن تاجِ الدين أَحْمَد بن بدر الدين بن محمد بن أَحْمَد بن يحيى بن يحيى ، وقَد تقَدمَ رَفعُ هذه النسبَة قَريباً ، وكانَ قيامُهُ بعدَ مَوتِ عَمه الحَسَن بن بدر الدين ، أَولَ يومٍ من ذي الحجة سنةَ سبعينَ وستمائة ، وانتَظَمَ لهُ الأَمرُ أَولاً بعضَ انْتظامٍ ، وبايَعهُ عُلماءُ وَقته ، ولَم يَزَل قائماً بأَمرِ الله تعالى ، وأَجمَعَ عليه البَطنان من الهادَويَة والحَمزات وأَعيانِ الشيعَة .

قالَ الخَزرَجي ، وسَيَّرَ الإمامُ المَهديُ عليَ بن عبدالله إلى حَضُوْر وبني شهاب وبني الراعي فتَلَقوهُ بالطاعَة ، واجتمَعَ لهُ منهُم عَسكرٌ كَثير ، وسارَ بِهم الأَميرِ علي بن عبدالله ، فوَقعَ مَحطةَ السُّلطانِ [في][5] ثلاَ ، ثُم سارَ الأَميرُ علي بن عبدالله بن الحَسَن بن حمزة المَذكورُ بِهم إلى ذَرْوَة[6] ، وبِها الوَرد بن ناجي من جِهةِ السُّلطان ، ولَم تُكمَلْ عِمارَتُها فهَجَم عليهِم ليلاً فأَخربَها ، ورَجعَ إلى سَنَاع .

---

(1) – هجرة رُغافة : هجرة مشهورة في ناحية جُماعة من أعمال صعدة ، وتسمى هجرة تاج الدين ، ذَكرَها ياقوت في معجمه وقال أنها على مرحلة من صعدة وفيها معدن الحديد يظهر على سطح الأرض ، وكانَت سكناً لعدد من العلماء .

(2) – سَنْجَر الشعبي : أحد الأُمراء القادة في قوات دَولَة بني رَسول .

(3) – براقش : اسم مشترك لعدد من البلدات .

(4) – السُلطان : الملك المظفر يوسف بن عمر .

(5) – زيادة من المحقق ليستقيم المعنى ، والمقصود أنَّهُ قاتل بعض جنود بني رَسول المتمركزين في ثِلا .

(6) – ذَرْوَة : جبل مشهور في بني جُبَر من خارِف حاشد ، يطل على مدينة ذِيْبِن .

وكانَ الإمامُ إبراهيم بن تاجِ الدين وَلّى الأَميرَ داوود بن المنصور ، والأَشْرافُ يَقدُمونَ إلى سَنَاع ، فاجتَمعَ بِهم الأمير علي بن عبدالله ، ولَمّا بَلغَ السُّلطانَ المُظفر قيامُ الإمامِ وما وَقعَ من الأَشْراف ، نَهضَ من اليَمَن الأَسفَل إلى صَنْعَاء وسارَ أَصحابُ الإمامِ إلى بيتِ حَنْبَص[1] ، فقَصدَهم الشعبي إلى ذلك المَحل ، فوَقعَ قِتالٌ عَظيم ، وقُتِلَ من الفَريقينِ عِدَة ، واستُشهِدَ بَنو صَفي الدين من أَصحابِ الإمامِ ، وذلكَ في ذي القِعدَة من سنة إحدَى وسبعين وستمائة .

وقَبلَ هذهِ الوَقعَة مالَ إلى الإمامِ آلُ موســى بن داوود بن علي بن حمزة أهلِ جَهْرَان[2] ، وكانَ السُّلطانُ قد أَقطَعهُم نَواحيَ ذَمَار ، وتَسَلمَ منهُم حِصنَ اللجام[3] ، فلَما مالُوا إلى الإمامِ قامَ منهُم عُلماءُ الزَيديَة بتلكَ الجهة ، وسارُوا في جُموعٍ عَظيمَة إلى ذَمَار ، فأَخَذوها قهراً وقَتَلوا كَثيراً ، ونَهضَ الإمامُ بِمَن معَهُ من حَضُوْر وحَطُوا على عِزَّان فأَخَذوها ، ثُم نَزلَ الإمامُ يُريدُ اليَمَن ، فلَقيَهُ السُّلطانُ المُظفرُ في جُموعٍ كَثيفةٍ ، وحَشدَ سَنْجَر الشعبي من مَشارِقِ صَنْعَاءَ جُموعاً كثيفةً ، والتَقَوا في إفْقِ غَربيَ ذَمَار على نحوِ فَرسَخينِ منها أَو ثلاث ، وذلكَ في يومِ الجُمعةِ نصفَ شهرِ جُمادى الأُولى سنةَ أَربعٍ وسبعين وستمائة ، وقَد بَذلَ السُّلطانُ الطَمعَ في وجوهِ عَسكرِ الإمامِ ، فقالوا لهُ : " يا مَولانا لا طاقَةَ لَنا بالسُّلطان ، فَارجِع معَنا " ، قالَ : " مَعاذَ الله أَنْ أَرجِعَ بعد أَنْ حَضَرَت الحَرب " ، فتفَرقوا عنهُ ، وثَبتَ وحَمَل في أَصحاب السُّلطان يَميناً وشِمالاً فيمَن ثَبتَ معَهُ من أَصحابه حتى قُبِضْ[4] ، ولَهُ القصيدَةُ المَشهورَةُ التي أَوَلُها ، شِعراً :

---

[1] – بيت حَنْبَص : بالفتح والعامة ينطقونه بالضم ، وهي في ظاهر جبل عيبان إلى الجنوب الغربي من صنعاء .

[2] – جهران : سبق تعريفه .

[3] – حصن اللجام : لم أجده ، لعلها اللّجم وهي قرية في بني مطر إلى الغرب من صنعاء .

[4] – قبض : وقع أسيرا في يد قوات بني رسول .

نَوائبُ الدهرِ في أَفعالها عَجبٌ | و الحربُ لَفظٌ و معنى لَفظه الحربُ
كَيومِ حَدَّةَ والأَبطالُ عابسةٌ | مِنَ الهَزاهزِ والشعبيُ مُضطربُ[1]
حتى إذا خَانَ بعضُ الأَهلِ مَوثقَهُ | وغَرهُ فضةُ السُّلطانِ و الذهبُ
أبدَى شِقاقاً و أَخفَى منهُ مُعظمهُ | وجاءَ بالغدرِ لاَ منْ حيثُ يُحتسبُ

والذي عَنَاهُم بِشعرِه أَخوالُهُ أَولادُ المنصور بالله ، ولما وَصلَ أَسيراً مع السُّلطان المُظفر إلى تَعزْ أَحسنَ إِليهِ السُّلطان ونَوَّعَ لهُ الإحسان ، وتُوفيَ في هذهِ الأَيامِ في تَعزْ ، وهوَ في الأَسرِ في شهرِ صَفر سنةَ ثلاثٍ وثمانين وستمائة ، وقامَ بعدَ أَسرهِ الإمامُ الأَعظَم المُتوكل على الله المُطهر بن يحيى بن المرتضى بن المُطهر بن القاسم بن مُطهر بن محمد بن المُطهر بن علي بن الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن ﷺ ، وكانَ هذا الإمامُ مَشهورَ الفَضلِ و العِلمِ و الوَرَع ، كانَت دَعوَتهُ سنةَ ستٍ وسبعين وستمائة ، وساسَ الأُمورَ أَحسنَ سياسة .

قالَ الخَزرَجي[2] : أَنَّهُ لَمَا أُسرَ الإمامُ إبراهيم بن تاج الدين أَرسلَ الأَميرُ داوود بن المنصور إلى الإمامِ المُطهر بن يحيى ، فلَما وَصلَ أَلزَمهُ القيام ، فلَما دَعا أَجابَتهُ كافَةُ الزَيديَّة ، ثُم حَصلَت مُراسلاتٌ بين السُّلطانِ والأَميرِ داوود بن المنصور ، أَفْضَت إلى الصُلحِ بينهُما ، وإِخراجِ الإمامِ والأَميرِ علي بن عبدالله عن الصُلح ، فاتَّفقَ رأيُهُما على أَنَّهُما يَحفَظانِ الحُصون ، ولم يَزَل هذهِ الأَيام في جِهادٍ وجِلاد ، والحربُ بينهُ وبينَ

[1] – يوم حَدّة : معركة وقعت بين جند الإمام و قوات بني رَسول في قرية حَدّة وهي اليوم أحد أحياء مدينة صنعاء ، الهزاهز : قال الفيروزأبادي ، الهزاهز : تحريك البلايا والحروب بين الناس .
[2] – في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية .

أَجْنادِ السُّلطانِ سِجالاً تارَةً لهُ وتارةً عليه ، حتى تَوَفاهُ اللهُ في سنةِ سبع وتسعين وستمائة.

وفي سنةِ أَربعٍ وتسعين وستمائة ماتَ السُّلطانُ الملكُ المُظفر يُوسُف بن عمر بن علي ابن رَسول في شهرِ رمضان ، وكانَت مُدةُ مُلكه ستاً وأَربعين سنةً وعشرةَ أَشهر وإحدى عشرَ يوماً ، وهوَ أَعظمُ مُلوكِ بني رَسول مَملكةً ، لَم يبلُغ أَحدٌ منهم شَأوَهُ ، فَتحَ ظَفَار الحَبُوضي[1] وحَضْرَمَوت ، واستَولَى على اليَمَن الأَعلى إلى صَعْدَه ، وجِهاتِها مع مُعارَضَة أئمة أَهلِ البيت والأَشراف الحمزيين ، وسَماهُ الإمامُ المتوكل على الله المُطهر بن يحيى (التُّبَّعَ الأَكبر)[2] ، وكانَ لهُ من الولدِ الذُكورِ خَمسة ، عُمر الأَشرف الذي وَليَ السُّلطةَ بَعدَهُ ، وداوود المُؤيَّد ، وأَيوب المنصور ، وإبراهيم الواثق ، وحَسن المَسعود ، وكُلُّهم وَلِيَ مُلكاً كما سَيأتي إلاَّ حَسَن المَسعود ، وقَد كانَ في حياته عَقدَ بالسلطَنة لولَده الملكِ الأَشرفِ عمر بن يُوسُف ، وكَتبَ لهُ بذلكَ مَنشوراً ، وأَشهدَ كافةَ الأُمراءِ والقُواد ، فغَضبَ لِذلكَ الملكُ المُؤيَّد داوود بن المُظفر وكَرِهَ اختِصاصَ أَخيه بالمُلك ، فخرجَ إلى الشِّحر وحَضْرَمَوت مُغاضباً لأَخيه ، فلَما عَلِمَ بموتِ أَبيهِ رَجعَ من الشِّحر[3] طالباً لِلمُلكِ ومُنازَعة أَخيه ، واحتالَ في أَخذِ بَنْدَرِ عَدَن ، وتقَدمَ إلى لَحْج وأَبْيَن واستَولَى عليهما ، فجَهزَ الأَشرف ولَدَهُ محمد الناصرِ لقتاله ، وجَهَّزَ بَعدَهُ الأَميرَ الكبير علي بن عبدالله بن الحَسَن بن حمزة في جُنْد كثيرٍ من البلادِ العُليا ، وتابَعَ بَعدَهُما الأَجْناد ، فوَقعَت بينهُم وَقعَةٌ كبيرةٌ انْجلَت عن أَسرِ المُؤيَّد وهزيمَةِ جُنْده ، فأَودَعَ الأَشرَفُ أَخاهُ المُؤيَّد حِصنَ تَعزْ ومعَهُ وَلَداه .

---

[1] – ظفار الحبوظي : ظفار المشهورة ، وهي أحد الأقاليم في جنوب دَولَة عُمان الآن ، وكانَت أحد مَخاليف اليَمَن سابقاً .

[2] – تُبَع الأكبر : هو شمر بن برعش بن ناشر النعم بن مالك الحميري القحطاني ، آخرُ الملوك التابعة في اليَمَن قبل الإسلام ، كان أعظمهم ملكاً سُميَ مَلكَ سَبَأ و ذي ريدان وحضرموت ، تُوفيَ في عام ٣٥٢ قبل الهجرة النبوية .

[3] – الشحر : بلدة من أعمال حضرموت ، وهي ميناء بحري على بعد عشرين فرسخ من المكلا شرقاً .

وفي سنة ست وتسعين وستمائة تُوفيَ الملكُ الأشرف[1] في شهرِ مُحرم ، فاتَّفقَت آراءُ من حَضرَ مَوتهُ من أعيانِ دَولَته على إخراجِ الملك المُؤيَّد[2] داوود بن يُوسُف من السِّجن وتَوليَته المُلكَ بعدَ أَخيه ، فقَصَدوهُ إلى مَحبَسه ونَصَّبوهُ للسلطَنة ، فلَما عَلمَ الناصر جلال الدين محمد بن الأَشرف بوفاة أَبيه وقُعودِ عَمه على تَخت المَملكة ، وَصلَ إليهِ وكذلكَ أخوهُ العادل أبو بكر بن الأَشرف ، وانتَظمَت أُمورُ المُؤيَّد ووَصلَ الأَشْرافُ من البلادِ العُليا إلى المُؤيَّد للصُلح ، وكانوا بعدَ مَوتِ الأَشرف قَد استَولَوا على صَعْدَه وجِهاتها ، والإمامُ المُطهر بن يحيى أَخذَ كُحْلان الشَّرَف ، وفيها[3] أَقطَعَ المُؤيَّد ولَدَهُ المُظفر صَنْعَاء وأَعمالَها ، وأَقطَعَ الظافر القحرية والجازتين[4] .

وفي هذه السَّنة أَظهرَ الملكُ المَسعود الخلافَ على أَخيه الملك المُؤيَّد ، وكان مُنقَطعاً في أَعمالِ سُرْدُد[5] ، فأَوقَعَ بأَهلِ المَحالب[6] وسارَ إلى حَرَض فاستَولَى عليها ، وأَجابَهُ أَشْرافُ المَخْلاف السُليماني وهبطَ إليه قَومٌ من الجبال ، فاجتَمعَ لَديه عَسكرٌ عَظيمٍ ، فجَهزَ السُّلطانُ المُؤيَّد أَخاهُ المنصور ، وولَدَهُ المُظفر ، و وَزيرَهُ الصَاحِب في كثيرٍ من الأَجْنادِ ، فالتَقى العَسكرانِ ما بينَ المَحالب وحَرَض في سنةِ سبعٍ وتسعينَ وستمائة ،

---

[1] – الملك الأشرف : عمر بن يوسف بن عمر ، ثالث ملوك الدولة الرَسولية في اليَمَن ، كان فاضلاً عالمًا حسن السيرة .

[2] – الملك المُؤيَّد : داوود بن يوسف ولد ونشأ في اليَمَن ، وَليَ الملك بعد وفاة أخيه الملك الأشرف ، كان شجاعاً جواداً لهُ مآثر كثيرة وله مشاركة في بعض العلوم ، تُوفيَ في تعز عام ٧٢١ هـ .

[3] – فيها : أي في هذه السنة ، سنة ٦٩٦هـ .

[4] – القحرية والجازتين : لم أجد القحرية وإنما وجدت القُحْرَاء وهي قبيلة تسكن حول مدينة باجل إلى الشرق من الحديدة ، و الجازتين لم أجدها كذلك وإنما وجدت الجَازعة وهي من أعمال حَجَّه .

[5] – سُرْدُد : وادٍ مشهور إلى الشمال من مدينة الحديدة دائم الجريان خلال العام ومنابعه من جبال كوكبان ووادي الأهجر وحراز وغيرها .

[6] – المحالب : مدينة قديمة كانت قائمة في أرض تِهَامَة وهي اليوم بيوت مبعثرة ، كانَت سكناً لعدد من العلماء ونُسب إليها عدد منهم .

فلَما تَراءَى الجَمعانِ أَذْعنَ المَسعودُ لِلصُّلحِ فقَبَضوا عليهِ وعلى ولَدِهِ أَسدِ الإِسلام ، فحَبَسهُما المُؤيَّد سنةً ثُم أَطلَقهُما .

وفي سنةِ تسعٍ وتسعين وستمائة ماتَ الأَمير علي[1] بن عبدالله بن الحَسَن بن حمزة فاستَقامَ في حُصونه وبلاده ولَدُهُ الأَميرُ إِدْرِيْس بن علي ، وكانَ هذا إِدْرِيْسُ شُجاعاً عالِماً أَديباً شاعِراً ، وهوَ مُصَنفُ كتاب (كَنْزُ الأَخبار في التاريخِ والأَخبَار)[2] ، ولَهُ مُصنفاتٌ أُخرى ، فارتَحَلَ إلى السُّلطان فعَظَّمَ شأنَهُ وأَكرَمهُ وأَعطاهُ وحَمَلَ إليه الطَبلَخانَه[3] والأَعلامَ ، وأَقطَعهُ مدينةَ القَحْمَة ، وأَمرَ لهُ بسبعةِ آلافِ دينار وتُحَفٍ وملابِسَ وخيلٍ ومَماليك ، ورَكبَ في الأُمراءِ والأَجْنادِ والسَلاطينِ إلى بابِ السُّلطان وارِداً وصادِراً .

---

(١) – أمير من الأشراف الحمزيين ، كانت إقامته في بلدة القحمة بالقرب من أرض تِهَامَة .

(٢) – ذكر إسم هذا الكتاب مصحفاً ، والصواب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار .

(٣) – الطبلخانة : المدافع والسِلاح ، مصطلح تركي .

وفي سنةِ إحدَى وسبعمائة كانَت دَعوةُ الإمامِ المَهدي لِدين الله محمد بن المُطهر بن يحيى بن المُرتضى ، وقد تقدمَ رَفعُ نَسبه عندَ ذكرِ أبيه المتوكل قَريباً فلا حاجَةَ للتكرار ، وكانَ عليه السلام ممن حازَ الفَضائلَ ، ولهُ تَصانيفُ في الفُروعِ والفُصولِ والتَفسير ، ومن مَحاسِنِها (المنهاجُ الجَلي في فقه زَيْدِ بن علي ، أَربَعةُ مُجلدات) ، ولهُ (عُقودُ العِقْيان في الناسخِ والمَنسوخِ من القُرآن) ، الكبرى والصغرى ، ولَهُ في العربيَةِ كتابٌ جَليلٌ سَمَاهُ (الكَواكِبَ الدُرِّيَة شَرحُ الأَبياتِ البَدرِية) ، ولهُ في الفرائِضِ كتابٌ فائقٌ سَماهُ بـــ "النُكتَةِ والبُغيَةِ الشافية"[1] ، ومنها (المُنيرُ على مَسائلِ أَهلِ الظَّفيْر) ، و (فَلْقُ الإِصْباحِ في جَوازِ الإِصلاح) وله كُتُب كَثيرةٌ اختَصَرتُ الكلامَ في تعدادها .

قالَ في مُقَدِّمَة البَحرِ[2] للإمامِ المَهدي أَحْمَد بن يحيى : أَنَّهُ دَعى[3] سنةَ إحدَى وسبعمائَة ، ودَخلَ صَنْعَاء يومَ الثلاثاء بَواقِيَ خَمسةِ أيامٍ من شهرِ شَعبان سنةَ ثلاثٍ وسبعمائة .

قالَ الخَزرَجي ما مَعناه : وفي سنةِ تسعٍ وسبعمائة تَوَجهَ الشَّريف إدْرِيْس بن علي بن عبدالله من جِهةِ السُّلطانِ المُؤيَّد لافتِتَاحِ الشرَفَين ، واتفقَ أَنَّ ولد علي بن صعصعة إحتالَ في أخذِ حِصنِ مَاذن في جهةِ حَجَّه ، ثُم تقَدمَ الشَّريف إدْرِيْس نحو الشَرَف من

---

[1] – النكتة والبغية الشافية : ذكره الزركلي في الأعلام وقال أن إسم الكتاب " النكتة الكافية والنغبة الشافية " .

[2] – البحر الزخار : مطبوع في ستة مجلدات .

[3] – دعى إلى نفسه بالإمامة وخرج يطلبها .

الظهيرة[١] ، فاستَولَى على جبلِ أَسْعَد بِبَلدِ الجَبَر[٢] ، واستَولَى على حصون كثيرةٍ لا حاجَةَ إلى تعدادِها ، ورَجعَ إلى الشرَف الأَعلى بعدَ أَنْ أَصْفيَ لهُ الشرَفُ الأَسفَل .

وفي هذهِ السَّنة وثَبتْ الأَكرادُ[٣] على مدينةِ ذَمَار فأَخَذوها ، وقَتَلوا أَميرَها من جهةِ السُّلطان ، فنهضَ الإمامُ محمد بن المُطهر إلى بلدِ بني شِهاب فأَجابُوه ، ثُم سارَ إلى قَرَن عَنْتَر[٤] فأَخَذَه ، واجتَمعَ إليه الأَكرادُ وغيرُهم ، ثُم أَخذَ بيتَ رِيام[٥] ، وبيتَ رَدَمْ وقَاهِر حَضُوْر ، ورَدْمَان بني حَوال[٦] ، ونَهضَ إلى صَنْعَاء آخرَ شهرِ رَمضان ، فدَخلَها بعضُ أَجْناده من بُستانِ السُّلطان ثُم رَجعوا ، وعادَ الإمامُ إلى حَدَّة ، ومالَ على السُّلطانِ الأُمراءُ آلُ شَمسِ الدين بِصَعْدَه .

وفي سنةِ إِحدَى عشر وسبعمائة نَهضَ الإمامُ محمد بن المُطهر عليه السلام إلى بلاد الشرَف ، فقابَلَ على القَاهِرة[٧] واستَولَى عليها ، واستَولَى على الشرَف الأَعلى وحُصونه ، فنَزلَ السُّلطان المُؤيَّد تِهَامَه وبَعثَ الشَّرِيف إِدْرِيْس المَذكور أَولاً ، فاستَظهَرَ عليه الإمامُ واستَمَد بِقَبائِل حَجَّه ، وشَظَب ، والأَهْنُوم ، وقَبائِل الشام ، فأَقبَلوا إلى الإمام مُناصِرينَ لهُ ، وقَصدَ بِهم مَحطةَ الشَّرِيف إِدْرِيْس في شهرِ شعبان ، فانهَزمَ عسكرُ السُّلطانِ قبلَ وصولِ الإمامِ ، ولم يَبْقَ إلا الشَّرِيف إِدْرِيْس في أَربعةِ أَفراس ، فأُسرَ

---

[١] – الظهيرة : لم أجدها ولعلها الظُهْرة : قرية واقعة إلى الشمال من حجة .

[٢] – أسعد : بلدة في جبل وَكِيَّة من أعمال حجة ، الجبر : منطقة من بلاد حجور إلى الشمال من حَجَّه وهناك مواقع أخرى تحمل نفس المسمى .

[٣] – الأكراد : وهم الغز أيضاً ، سبق التعريف بهم .

[٤] – قرن عنتر : اسم مشترك لعدد من البلدات والحصون ، لكن المراد هنا هو الحصن الموجود في مغرب عَنْس من أعمال ذمار .

[٥] – بيت ريام : اسم مشترك لعدد من القرى والمواقع ، لكن الظاهر أن المراد هنا هي قرية من أعمال رداع .

[٦] – ردمان بني حوال : لعل المقصود هي ردمان وهي (مركز إداري من مديرية) بني العوام من أعمال حَجَّه .

[٧] – القاهرة : بلدات وحصون كثيرة تحمل هذا الاسم ، لكن المراد هنا هو الحصن الذي يطل على حَجَّه من الجهة الشمالية ، يرجع تاريخه إلى بداية القرن الرابع الهجري .

الشَّرِيف إِدْرِيْس وبَقِيَ في الأَسْرِ نحوَ نصفِ شَهر ؛ وأَفْلَتَ فَلَحقَ بحصنِ حَرَاز الذي لأَبِي شُرَحْبيل ، وقَد كانَ السُّلطانُ جَهزَ ولَدَهُ المُظفر والصاحِب موفقَ الدين قبلَ الواقِعَة ، فبَلَغهُما الخَبرُ وهُما بالمَهْجَم ، فساروا وحَطوا في فَلاح ، فهَزَمهُم عسكرُ الإمامِ ، ولَما تَطاولَت الفتنَةُ بينَ الإمامِ والسُّلطانِ جَعَلا ذمةً[1] سنةً كاملَة ، ومَلَكَ الإمامُ آخرَ أَمرِهِ في صَنْعَاء وأَعمالِها سنةَ أَربعٍ وعشرين وسبعمائة ، وكانَت وَفاةُ الإمامِ المَهدي عليه السلام في حِصنِ ذي مَرْمَر قِبْلِّيَ صَنْعَاء لِثمانٍ بَقِينَ من ذي الحجة سنةَ ثمانٍ وعشرين وسبعمائة ، ونُقِلَ إلى صَنْعَاء وقَبْرُهُ في جامِعها مَشهورٌ مَزور.

وكانَت وَفاةُ الملك المُؤَيَّد داود بن يُوسُف في سنةِ إحدَى وعشرين وسبعمائة في ذي الحِجَة منها ، وقَبرُهُ في تَعزْ ، وقامَ بالمُلكِ بَعدَهُ ولَدُهُ المُلقَّبُ بالملكِ المُجاهد علي بن داود بن يُوسُف بن عمربن علي بن رَسول ، وقَد كانَ أَبوهُ عَقَدَ لهُ بالمُلكِ في حياته ، وحَلَّفَ الأُمراءَ والعَسكَر ، فلَما وَلِيَ بعدَ أَبيه قَبضَ على ابنِ عمه الملكِ النَاصر بن الملكِ الأَشرف وحَبَسَهُ بعَدَن بعدَ ما أَمَّنَهُ ، ثُم بعدَ أَيامٍ من ولايَته وَثَبَ العسكرُ على الملكِ المُجاهد وهوَ في ثَعَبَات[2] بالقُربِ من تَعزْ ، فأَخَذوهُ أَسيراً ونَصَّبُوا عمهُ الملكَ المَنصور أَيوب بن الملكِ المُظفر ، فقَبضَ منهُم الملكَ المُجاهدَ أَسيراً ، واستَخلَفَ العسكرَ وبَقِيَ على ذلكَ نحوَ ثلاثة أَشهر ، ثُم تَعامَلَ[3] عليه جَماعَةٌ من العَبيد ، وأَجمَعوا على دُخولِ الحِصنِ فدَخَلوا بحيلَةٍ وقَتَلوا الوَالي ، ودَخلَوا على الملكِ المَنصور إلى مَجلسه فقَبَضوا عليه وعلى وَلَديه الكامِل والعادل ، وقَبَضُوا على الملكِ الناصرِ وولَده زَين الإسلام ، حتى صاروا في الحِصنِ خَمسةً من مُلوكِ بني رَسول ، ثُم قَصَدوا الحِصنَ

---

[1] - ذمة : فترة صلح و هدنة .

[2] - ثعبات : موقع في جبل صَبِر أعلى مدينة تعز من الجهة الشرقية ، كان فيما مضى مدينة قائمة بذاتها ، سكنها الملك المنصور الحميري ، كما سكنها طغتكين بن أيوب وغيرهم .

[3] - تعامل : هكذا وجدها في المخطوط والمطبوع لكن الصواب (تحامل) حتى يصح السياق .

فأخرَجوا منهُ الملكَ المُجاهد[1] المَذكور ونَصَّبُوهُ في تَخت السلطنَة مَرةً ثانية ، ثُم خالَفَ عليه الملكُ الظَّاهر[2] بن الملكِ المَنصور وهو في حصنِ الدُّمْلُوَه ، ثُم كانَ بينَ المُجاهد والظَّاهِر حُروبٌ كثيرة ، وقَد شهرَ[3] آخرَها أنَّ المُجاهدَ احْتالَ على الظَّاهِر حتى قَبضَهُ وسَجَنه ، ثُم قَتلَهُ بالسُّم كما ذُكِرَ في سنةِ أَربعِ وثلاثينَ وسبعمائة .

وفي سنة خمسين وسبعمائة حَجَّ السُّلطانُ المُجاهد ، فلما كانَ يَومُ عَرفَة قَبضَ عليه أَشْرافُ مَكَّة وساقُوهُ أَسيراً إلى مِصر ، فبَقِيَ إلى سنةِ اثنين وخمسين وسبعمائَة وأَطلَقَهُ سُلطانُ مصر ، ورَجعَ إلى اليَمَن في آخرِ شهرِ الحجة .

وفي سنةِ أَربعٍ وستين وسبعمائَة ماتَ المُجاهد في جُمادى الأُولى ، فاتفَقَ أَهلِ دَولَته على نَصبِ ولَدِهِ الملكِ الأَفضَلِ العباسِ بن علي بن داود بن يُوسُف بن عمر بن علي ابن رَسول .

وكانَ الأَميرُ محمد بن ميكائيل يَتولى من المُجاهد أَعمالَ تَهامَة الشَامية ، حَرَض ، والمَهْجَم ، والقَحْمَة ، وغيرَها ، فلَما ضَعُفَت دَولَةُ المُجاهد سَوَّلَت لهُ نَفسُهُ الإستقلال ، ورَفضَ طاعةَ بني رَسول وادعى السلطَنةَ لنفسه ، فاستَفحلَ أَمرُهُ بعدَ موت المُجاهد ، فجَرَّدَ العساكِرَ إلى زَبِيْد تَتْلُوا بَعضُها بَعضاً ، وكانَت بَينهُ وبينَ الأَفضَلِ وَقعاتٌ مَشهورةٌ على زَبِيْد ، آخرُها انْهَزمَ مُقَدَّمُهُ من زَبِيْد ، وسارَ مُقَدمُ السُّلطان الأَفضَل زياد ابن أَحْمَد الكامل بالجُنْد تابعاً لأَثَره ، وقَد جَمعَ السُّلطانُ عَسكراً كثيراً من الأَشْراف والأَكراد ، ثُم قَصَدوا أَصحابَ ابن ميكائيل إلى القَحْمَة في سنةِ خمسٍ وستين وسبعمائة

[1] - الملك المُجاهد : علي بن داوود بن المُؤيَّد بن يوسف المظفر من ملوك بني رَسول ، ولد في زبيد ، وَلِيَ المُلك بعد وفاة أبيه ، كان عاقلاً محمود السيرة ، شاعراً أديباً يحب العلماء والأدباء ويقربهم ويحسن إليهم ، لهُ آثار مدرسة في تعز ومدرسة في مَكَّة المكرمة ، توفي في سنةَ ٧٦٤ هـ .

[2] - الملك الظاهري الرَسولي : عبدالله بن أيوب بن المنصور بن يوسف من ملوك بني رَسول ، تقي جواد عاقل ، تعلق بالمُلك ولم ينله بسبب المؤامرات التي حيكت حوله ، تُوفيَ في سنةَ ٧٣٤ هـ .

[3] - وقد شهر : كذا في المطبوع والمخطوط لعل الصواب (شهد) أو (اشتهر) .

فانهزمَ أَصحابُ ابن ميكائيل من سُمَيْر[1] وقُتلَ منهُم جماعَة ، ودَخلَ عسكرُ السُّلطان القَحْمَة واستَولَوا على ما فيها ، فلَما بَلَغَ ابنَ ميكائيل خَرجَ من المَهْجَم إلى حَرَض ، فلَما دَخلَ عسكرُ السُّلطان المَهْجَم خرجَ إلى صَعْدَه لائذاً بالإمامِ المَهدي لدين الله محمد ابن علي ، الآتي ذِكرُه ، فأَعطاهُ الإمامُ حِصنَ المِفْتاح في بِلادِ الشرَف ، ولَم يَزَل به إلى أَنْ تُوفيَ في سنةِ تسعٍ وسبعينَ وسبعمائة .

وفي تاريخِ وَفاةِ الإمامِ المَهدي محمد بن المُطهر سنةَ ثمانٍ وعشرين وسبعمائة ، دَعا[2] أَربعةُ أَئمَّة من أَهلِ البَيت ، منهُم الإمامُ علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاجِ الدين ، وقَد تقَدمَ رَفعُ نَسَبِ جده إبراهيم ، ودَعا الإمامُ الصَّوامُ القوَّام علامَّةُ الآلِ حُجَّةُ الله على الأَنامِ المُؤَيَّد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يُوسُف بن علي بن إبراهيم ابن يُوسُف بن محمد بن إدْرِيْس بن علي بن جعفر الزَّكي بن علي التَقي بن محمد التَقي ابن علي الرِّضَي بن موسى الكاظم بن جعفر الصَادق بن محمد البَاقر بن علي زَين العابدين بن الحُسَيْن السبط بن أَميرِ المؤمنين علي بن أَبي طالب عليه السلام ، وكانَ مَولدهُ عليه السلام بمدينة صَنْعَاء اليَمَن ، لثلاثٍ بَقينَ من شهرِ صَفر سنةَ تسعٍ وستين وستمائة ، وأُمهُ الشَريفةُ الفاضلةُ أُختُ الإمامِ الناصرِ يحيى بن محمد السِّراجي الحَسَني الهَدَوي المَدْفون بمَسجدِ الأَجْذَم بمدينة صَنْعَاء ، وقَد مَرَّ ذِكرُهُ ، وكانَ هذا الإمامُ في غَزارَةٍ من علمه وانتشارِ فَضله وتَقَمُّصه لِيَعْسوبات العُلوم ، وإحاطَته بمَنطوقِها والمَفهوم ، وكَثرَةِ التصانيفِ وجودَةِ الأَنظارِ في جمعِ التَآليف ، مع حُسنِ العبارةِ ووضوحِ المَعاني في إيرادهِ وإِصدارِه ، ولَم يبلُغ أَحدٌ من الأَئمَةِ مَبلَغهُ في كَثرةِ التَصانيف ، فهوَ من مَفاخرِ أَهلِ

---

[1] – سمير : لم أجدها ولعلها من أرض تهامة .

[2] – دعا .. لنفسه الإمامة ... طلبها أربعة من الأئمة في وقت واحد وكلٌ يدعي أنه الأَولى والأصلح والأقدر .

البَيت ، حتى قيلَ إنَّ عَددَ الكَراريسِ مِن مُؤلَفاتهِ زادَت على أيامِ عُمرِه[1] ، مع أَنَّهُ بُسطَ لهُ في العُمرِ ثمانون سنةً .

وكانَ مع الإمامِ المتوكل على الله المُطهر بن يحيى السابقُ ذكرُهُ يومَ تَنْعم ، فقالَ الإمامُ المُطهر : إنَّ في هذا الولَد ثلاثَ خِصال : " علمُهُ، وخطُهُ ، وخُلُقه " ، وسَمعَ يومَ مَوتِهِ كَثيرٌ ممن حَضرَ هاتفاً[2] يَقول : " يحيى بن حمزة إمامُ علمٍ وَهُدى " ، وآخرُ يَقول : " لا إمامُ حربٍ ولِقَا " ، وسُمعَ ذلكَ لَيالِيَ كثيرَة ، واتفقَ لهُ زمانٌ مُساعدٌ في خُلو البَالِ وعَدمِ الإشتغالِ إلا بالتَصانيف .

وكانَت دَعوَتهُ ثانِيَ شهرِ رَجب سنةَ تسعٍ وعشرين وسبعمائة ، ولَم تُسعدهُ الأيامُ إلى كُلِ المَرام ، فأقامَ عاكِفاً على التَصانيف فصَنَّفَ في أُصولِ الدينِ (المَعالمُ الدينيَة ، مُجَلداً) ، (التَهْذيب ، مُجَلدين) ، (الإقْحامُ في الرَّد على البَاطِنيَة ، مُجَلداً) ، و (النهايَة ، مُجَلداً) ، و (الشَّامل ، أَربعةُ مُجلَّدَات) ، و (مشْكاةُ الأَنْوارِ في الرَّد على البَاطِنيَة ، مُجَلداً) ، و (التحْقيقُ في التَكفيرِ والتَفْسيق ، مُجلداً) ، و صَنَّفَ في أُصولِ الفقه (المِعْيَار ، مُجلداً) ، و (القِسْطَاس ، مُجلدين) ، و (الحَاوِي ، ثلاثُ مُجلدات) ، وفي النَّحو (الإقْتِصار ، مُجلداً) ، و (الحاضِر ، مُجلداً) ، و (المِنْهاج ، مُجلدين) ، و (الأَزْهار ، مُجلدَين) ، و (المُحَصَّلُ شَرحُ المُفصَّل ، أَربعةُ مُجلدَات) ، و صَنَّفَ في المَعاني والبَيَّان (الطِّراز ، مُجلدَين) ، ولَهُ في الفقه (العُمْدَة ، ستةُ مُجلدَات) ، و (الإختِيارَات ، مُجَلدين) ، و (الإنتِصار ، ثَمانيةَ عشرَ جُزءاً) جَمعَ فيه أَقوالَ العُلماءِ من جَميعِ الفرَقِ وأَدلَّتهُم وحُجَجَهُم ، ولهُ في الباطنِ والزُهديات (التَصفيَة) ، و (الأَنوارُ المُضيئَةُ شَرحُ الأَربَعينَ السيليقية) ، ولهُ شَرحٌ على نَهجِ البَلاغَة يُسَمى (الديبَاجَ المُضيء ، مُجلدَين) ، ولَهُ في عِلمِ الفَرائضِ (الإيضَاح) ، ولهُ الرِّسالَةُ المُلقبَّةُ

[1] – البعض منها مطبوع والبعض ما يزال مخطوطاً .

[2] – قلما تصح هذه الروايات ، وتصديقها أو عدمه لا يرفع من قدره ولا يطعن في مكانته .

بـــ (عِقْدِ اللآلئْ في الرَّدِ على أبي حامد الغَزالي) ، ولهُ (الرسالَةُ الرادعةُ للأمة عَن الإعتراضِ على الأئمَة) ، ولَهُ رَسائلُ كثيرةٌ أعرَضتُ عن تعدادِها اختِصاراً . وكانَت وَفاتُهُ عليه السلام بِحصنِ هِرَّان سنةَ تسعٍ وأربعينَ وسبعمائة .

والثالثُ من الدُعاة المُتعارِضينَ في هَذه المُدة هوَ السيدُ الواثق بالله المُطهر بن محمد بن المُطهر ، وقَد تقَدمَ رَفعُ نَسبِه عندَ ذِكرِ جده الإمامِ المُتوكل المُطهر بن يحيى فلا حاجَةَ للتِكرار ، وكانَ الواثقُ هذا من أعيانِ العِترَة ونَحاريرِ الأُسرَة وفُصَحاءِ الأئمَة ، دَعا بعدَ مَوتِ أبيهِ المَهدي ، فأَجـــابَهُ خَلقٌ كَثير ، وخُطبَ لهُ في كثيرٍ من الجهاتِ كالسُّودَة[1] ونَواحيها ، والحيام[2] ، وآنس[3] ، وبلادِ مَذْحِج ، لَكنَهُ تَنحى عن الدَعوَة للإمامِ المَهدي لِدين الله علي بن محمد عليه السلام ، كَما سَيأتي ذِكرُهُ في تَرجَمة الإمامِ المَهدي قَريباً .

قالَ الزُحَيْف[4] : " وتَنَحيه وَقعَ بعدَ موتِ الإمامِ يحيى بن حمزة ، يَدلُّ على ذلك رِسالَتهُ المَشهورَة .

قُلت : ورَأيتُ لهُ مَرثاةً في الإمامِ يحيى بن حمزة مَرْقومَةً في مَشهَدهِ المُبارَك بِمدينة ذَمَار ، تَدُلُّ على أَنَّهُ مُعترَفٌ لهُ بالسَبق ، وكانَ لهذا السيد من البَلاغةِ في الرَسائلِ وحُسنِ التَصرُّف والأَلفاظِ الأَنيقَةِ والمَعاني الرَشيقةِ ما لَم أرهُ في كلامِ أَحدٍ من الأَئمَة .

---

[1] – السُّودَة : من بلاد حاشد إلى الشمال من صنعاء وإلى الجنوب من عَمْرَان ، وهناك بلدات كثيرة تحمل هذا الاسم والمراد ما ذَكَرناه .

[2] – الحيام : لم أجدها و إنما وجدت (الحُيام) وهي قرية خاربة في وادي الأهجر من أعمال شبام كوكبان ، ذَكَرَها الهمداني في صفة جزيرة العرب .

[3] – آنس : مخْلاف كبير من أعمال ذمار فيه بلدات وقرى ومزارع ، والنسبة آنسي .

[4] – الزحيف : هو العلامة محمد بن علي بن يونس الزحيف ، والزحيف لقبٌ لجده ، ترجم لهُ الإمام الشوكاني في البدر الطالع وقال : هو مؤلف كتاب مآثر الأبرار ، تُوفي بحدود سنة ٩٢٥ هـــ ، وهو المقصود بـــ (قال صاحب السيرة) .

والرَابعُ ممن دَعا في تلكَ المُدةِ ، وهوَ السيدُ أَحْمَد بن علي بن أَبي الفَتح ، وكانَت دارُهُ في هِجرَةِ وَقَش .

قالَ الزُحَيْف : " ورَأيتُ في بعضِ الكُتُبِ أَنَّهُ عارَضَ الإمامَ علي بن محمد " ، ويُمكنُ الجَمعُ بينَهُ وبينَ ما ذَكَرناه ، أَنَّهُ تقَدمَت دَعوَتهُ وطالَ عُمرُه حتى أَدرَكَ الإمامَين ... إنْتَهى .

وفي سنةِ إحدَى وسبعين وسبعمائة خَرجَ الأَشْراف إلى حَرَض ، وفيها الأَميرُ بَهاء الدين الظَفَاري من قِبَلِ السُّلطان الأَفضَل ، ووَصلَ إلى الأَشْرافِ السيدُ إبراهيم بن يحيى الهَدَوي من قَرابَة الإمامِ المَهدي علي بن محمد ، والأَميرُ محمد بن ميكائيل في عَسكرٍ كثيرٍ من الأَشْرافِ بني حَمزة وغيرِهم ، وحَصَروا الأَميرَ بهاءَ الدين في حَرَض ، حتى خَرجَ إليهم مُستأمناً ، وتَوَجهَ إلى اليَمَن ودَخلَ الأَشْرافُ حَرَض ، ثُم تَوَجَّهُوا إلى المَهْجَم ، فهَربَ عاملُ السُّلطان إلى الكَدْرَاء ، ولَمَّا دَخلوا المَهْجَم هَربوا[1] عَسكر السُّلطانِ من الكَدْرَاءِ إلى القَحْمَة ، واجتَمعَ فيها عسكرُ السُّلطانِ من كُلِ جهة ، فقَصدَهُم الأَشْرافُ إليها فمَزَّقوهُم وانهَزَموا إلى زَبِيْد ، وقُتِلَ منهُم من قُتل ، وأَسَروا من رُؤسائِهِم الأَميرَ فَخرَ الدين بن زياد بن أَحْمَد الكاملي ، ولَمَّا دَخلَ المُنهَزمونَ مدينة زَبِيْد تَبعَهُم الأَشْرافُ إلى زَبِيْد ، ولَم يُعْثَر على أَهلِها ، ولَمَّا حضَرَت الجُمعَةُ لَم يُخطَب للسُلطانِ ولا لغيرِه ، ثُم رَجعَ الأَشْرافُ عن زَبِيْد وحَمَلوا الأَميرَ فخرَ الدين بن زِياد بن أَحْمَد الكاملي إلى صَعْدَه ، فلَما وَصلَ بِلادَ القائِد فَكَّهُ القائدُ وأَطلَقَه ، هكَذا ذَكَرَ الخَزرَجي .

وفي سنةِ ثلاثٍ وسبعين وسبعمائة نَزلَ الأَميرُ نورُ الدين محمد بن إِدْرِيْس الحَمزي في طائِفةِ من الأَشْرافِ إلى حَرَض ، فَفَرَّ الأَميرُ زِياد إلى السُّلطانِ الأَفضَلِ مُستَنجِداً ،

---

[1] - الأصح (هرب) لعل الخطأ من الناسخ .

فأَمَدَّهُ بعسكرٍ كَثير ، فَسارَ إلى حَرَض ، فوَقعَ بينَهُ وبينَ الأَشْرافِ وَقعَةٌ قُتلَ فيها الأَميرُ محمد بن إدْرِيْس ، وانْهَزمَ ابنُ ميكائيل ومَن معَهُ .

وكانَت وَفاةُ السُّلطانِ الأَفضَلِ في شهرِ شَعبان سنةَ ثمانٍ وسبعين وسبعمائة ، والمُعارِضُ للمُجاهد والأَفضَل من أَهلِ البَيت هوَ الإمامُ المَهدي لدين الله علي بن محمد ابن علي بن مُفضل بن يحيى بن منصور بن المُفضَل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يُوسُف بن يحيى بن أَحْمَد الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن عليه السلام ، أُمهُ عَرَبية ، ولِدَ سنةَ سبع وسبعمائة ، ودَولَتهُ نَيفٌ وعشرونَ سَنةً ، وكانَت دَعوَتهُ بثلا يَومَ الخميسِ آخرَ شهرِ رَبيعِ الآخرة سنةَ خمسين وسبعمائة ، وقالَ في سيرَته : " أَنَّهُ جَمعَ العُلومَ ، وبَلغَ رُتبَةَ الإجتِهاد في سنينَ يَسيرَة " .

ولَما تُوفيَ الإمامُ يحيى بن حمزة أَظلَمَت الأَقطارُ ، وزاغَت الأَبْصار ، واجتَمعَ من العُلماءِ والسَّادة والفُضلاء القَادَة إلى مدينةَ ثلاَ من جميع المُدُن ، فاجتَمعَ من العُلماء قَدر ثلاثمائة أَو يَزيدون ، فحاوَلوا الإمامَ المَهديَ عليهِم بالقيامِ[1] ، وأَلَحُّوا عليه إلحاحَاً شَديداً ، وشَهدوا أَنَّهُ واجبٌ عَليه ، وما كانَ جَوابُهُ عليهِم إلا البُكاء ، وقَوله : " مَنْ رَضيتُم بايَعتُه " ، فلَم يَعذُروهُ وعَرَفوا كَمالَه ، فقَامَ بالأَمرِ وشَنَّ الغَاراتِ على الباطنيَة ، وأَخرَبَ قُراهُم التي قَريبٌ[2] من ثِلاَ ، وحَطَّ على صَنْعَاء سبعةَ أَشهر وفيها الأَشْرافُ الحَمزات ، فارتَفعَ عَنها على صُلحٍ وخَراج ، ونَهضَ إلى صَعْدَه ففَتَحها وقامَت الحربُ بينَهُ وبينَ الحَمزات ، واستَفتَحَ ظنين[3] ، وعَفَّار واستَفتَحَ البلادَ الشِهابيَة ، والجَهْرَانية ، وكانَ أَكرادُ ذَمَار قَد تَغلَّبوا عليها مُدةً وأَكثَروا الفَسادَ فيها ، فوَصلوا إليه إلى جَهْرَان فقَبَضَ عليهِم ، واستَفتَحَ ولَدُهُ النَاصر صلاحُ الدين ذَمَار ، و هِرَّان ، وبَقيَ عليه السلام في

---

[1] – القيام هنا يعني الطلب منه القيام بالإمامة والخروج لإقامة الشريعة على مذهب أَهلِ البيت عليهم السلام .

[2] – والتي قريب من ثلا .... عامية دارجة ... الأصح أن يقول القرية من ثلا .

[3] – ظنين : لم أجدها وإنما وجدت(ضَنين) بالضاد المعجمة وهي قبيلة من سَنْحَان إلى الشرق والجنوب الشرقي من صنعاء .

ذَمَار ستَ سنين ، وكانَ ولَدُهُ الناصر سَيفهُ القاضبَ وسنانُهُ الناشب ، فَتحَ رَدَاع ، وصَبر مَرَار[1] ، وباطنيَةَ مَذْحِج ، والمَغَاربَ إلى عُتُمَة[2] وحُدودَ رَيْمَة ، ولهُ كَراماتٌ باهِرَةٌ وبَراهِينُ مُتكاثِرَة ، ولكنَ قَصْدَنا الإخْتِصار ، وهيَ مَوجودَةٌ في كُتُبِ السِّيَرِ والأَخبار .

وكانَت وَفاتهُ عليه السلام في شهرِ ربيع الأَول من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وكانَت وَفاتهُ بذَمَار ، وجعَلهُ ولَدُهُ الناصر في تابوت ، ونَقَلَهُ إلى صَعْدَه ، وقُبِرَ إلى جَنبِ قُبة جَده الهادي عليه السلام ، وكانَ أَصابَهُ قَبلَ ذلك الفالِج ، بَقيَ فيه قدرَ سنة أَو سَنَتين ، فلَما وَقعَ ذلك ، وكانَ ولَدُهُ الناصر صلاح الدين محمد بن علي قائماً بالأُمورِ وسَد الثُغور ، وفي هذه المُدة جمعَ العُلماءَ من صَعْدَه وبلادِ مَذْحِج ، وقالَ لهُم : " هَذا الإمامُ قَد سَقطَ عليه[3] التَكليف ، وكُنتُ أُصْدِرُ وأُوردُ عن أَمرِه ، فانْظُروا لأَنفُسكُم ، وهذه آلاتُ الجهادِ وعُهَدُ المُسلمينَ إلى أَيديكُم " ، فحَارُوا وسَاروا إلى ظَفَار ، واتَفقَ فيه عُلماءُ الزمانِ إلى أَلفٍ وثلاثمائة ، فتَناظَروا وأَجْمَعَ رَأيهُم على تَقليدِ الإمامِ النَاصر عليه السلام ، بعدَ أَنْ اختَبَروهُ فوَجدُوهُ كاملاً في الإجتهاد والنَهضَة ، فَبايَعهُ من حَضَر ، وكانَ قَد أَشْهرَ في دَولَة أَبيه عِلماً وعَملاً واجتهاداً ، وكانَ يُرجعُ إليه في العُلومِ فَيحلُّ المُشكلات ويَستَخرجُ الغَوامضَ العَويصَات .

فلَما دَخلوا إلى مَقامه الكَريمِ يَطلبونَ منهُ القيامَ إمْتَنعَ وأَبَى عنِ التَحمُّلِ لهذه الأَعباء الثَقيلة ، فأَقسَموا عليه بِكُلِ يَمين: " لَقَد وَجَبَ عليكَ القيامُ وحِفظ بَيضَةَ الإسلام " ، فأَسعَدَهُم وقامَ مُشَمراً على الجِهاد ، حتى استَولَى على كثيرٍ من مُدنِ اليَمَن وحُصونه ،

---

[1] – صَبر مرار : ينسبون إلى مرار بن مالك من ولد عريب بن جشم بن حاشد في بلدة حجور إلى الشمال الغربي من حَجَّه .

[2] – عتمة : من أعمال ذمار إلى الغرب والجنوب الغربي من ذمار ، تضم عدداً كبيراً من البلدات والقرى والحصون والقلاع ضمن سلسلة جبال شاهقة .

[3] – عليه : لعله أراد (سقط عنه التكليف) .

وقَهرَ مُلوكَ اليَمَن الأَسفَل وراوَحَهُم بالغَارات ، ودَمَّرَ بلادَ الباطِنية الفُجار وقَتَّلَهُم ، وخاطَبَهُم بالإسلامِ والسَيف ، حتى طَهَّرَ منهُم البلادَ وأَغاثَ اللهُ به العباد ، وفَتحَ مدينة صَنْعَاء واتَخذها مَحلاً ورَبعاً ، ويُروى أَنَّهُ كَتبَ إلى صَعْدَه إلى قاضيه القاضي عبدالله ابن حُسَيْن الدواري كِتاباً مَعناه: " صَدَرَت من زَبِيْد والجُنْدُ المَنصورُ كَما قالَ اللهُ تَعالى: مائَةُ أَلف أَو يَزيدون " ، وكانَ مع ذلكَ يَتَفقدُ الفُقراءَ والمَساكينَ ويَتَحرا في وَضعِ الحُقوقِ مَواضِعَها ، حتى أَنَّهُ كانَ يَدورُ في صَنْعَاء في الليلِ مُتَنَكِراً ، ولهُ حكاياتٌ في فعلِ الخَيرات يَضيقُ هذا المُختَصرُ عن ذِكرِها .

وتُوفيَ سلامُ اللهِ علَيه في أَولِ شهرِ القعدة سنةَ ثلاثٍ وتسعين وسبعمائة ودُفِنَ بمَسجدهِ المَعروفِ بصَنْعَاء المُسَمى بِمسجدِ صَلاحِ الدين ، وعلَيه قُبةٌ فيها جَماعَةٌ منَ الأَئمَةِ من قَرابَتِه رِضوانُ اللهِ عليه ، وأُمهُ شَرِيفَةٌ من أَولادِ المُختار بن الناصر بن الهادي وخَلفَه ولَدُهُ المَنصور بالله علي بن صلاح الدين بن محمد بن علي بن محمد ، وقَد رَفَعتُ نَسبَهُ في تَرجَمةِ جَدهِ الإمامِ المَهدي ، فلا حاجَةَ إلى إعادَته .

وكانَ مَولدُهُ سنةَ خمسٍ وسبعين وسبعمائة ، وأُمهُ بنتُ الأَسد بن إبراهيم ، من غزِّ[1] ذَمَار وكانَت من عُقَّالِ النساء ، نشأَ الإمامُ علي بن صلاح الدين في مَحَلِ الخلافةِ ومَحلِّ العِبادة والزهادَة والعَفاف ، واتَسعَت مَملَكتُهُ وعَظُمَت شَوكَتُه ، وأَبادَ المُلحدينَ من الباطِنيَة المُتمرِدينَ الخارجينَ عن الدين ، و انفَتحَت لهُ مَعاقِلُ الديارِ اليَمَنية وجَبرَتْ نَهضَتهُ في إحياءِ مَعالمِ الدين والعَدلِ والجهاد ، ما فاتَهُ من دَقائقِ عُلومِ الإجتهاد ، وما أَخطأَت فِراسَةُ المُتفرِّسينَ فيه الذينَ نَصَّبُوهُ بعدَ وَفاة أَبيه .

وقد ذَكَرَ الإمامُ الهادي عز الدين الحَسَن في مُصَنفه (العِنايَة التَّامَة في شَرحِ مَسائِلِ الإمامَة) ، فقالَ عليه السلام : " والذي يَظهرُ واللهُ يُحبُ الإنْصافَ أَنَّ فِراستَهُم فيه صادقَة فإِنَّهُ بَلغَ في أَحكامِ السياسَةِ ومَدارِكِ الرِياسَة ، والإستِقلالِ بالنَظرِ في الأُمورِ وحُسنِ

[1] – غز ذمار : هُم الأكراد أيضاً ، ولعله أراد أن يقول أنها من أصل ذمار .

المُباشَرةِ لها مَبلَغاً عَظيماً ، قال : " ولَقَد كانَ لهُ من العنايات الجَلية والمَقامَات الجميلَة في حَربِ سَلاطينِ اليَمَن ونكايَةِ الباطنيَة وإجلائِهم منَ المَعاقلِ العَظيمة ما لَم يَكُن لأَحدٍ غَيره ، فإنَّهُ فَتحَ ثلاَ ، وهوَ منَ المَعاقلِ العَظيمة ، وكذلكَ ذي مَرْمَر ، فإنَّهُ حاصَرَهُ حتى أَخرَجَ عنهُ الدُّعاةَ بَني الأَنف[1] ، وذلكَ في شهرِ شَعبان من سنة تسعٍ وعشرين وثمانمائة ، وكانَ الحِطَاط[2] عليهم سنةً وثمانيةَ أشهر حتى أَخَذَهُ ولله الحَمد .

وكانَت وَفاةُ علي بن صلاح في شهرِ مُحرم سنةَ أَربعين وثمانمائة ، هذا وقَد عارَضَهُ وسَبَقهُ بالدَعوَةِ إمامُ الأَئمَة وكاشفُ الغُمَّة ، المَهدي لدين الله أَحْمَد بن يحيى المُرتضى ابن مفضل بن أَحْمَد بن المُرتضى بن أَحْمَد بن مُفضل بن منصور بن المُفضل بن الحَجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يُوسُف الدَاعي بن يحيى المنصور بن أَحْمَد الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن سلام الله عليهم ، وهو الغُرَّةُ الشادخَة[3] في الأَئمَة آلِ الرَسول ﷺ .

كان مَولدُهُ سنةَ أَربعٍ وستين وسبعمائة ، ونَشَأَ على كَسبِ العُلومِ وتَحصيلِ مَنطوقها والمَفهوم ، فإنَّهُ ابتَدأَ علمَ النَّحوِ وبَقِيَ في قِراءَته سَبعَ سنين ، وابتَدأَ تَصنيفَ (الكَوكَبِ الزَّاهِر في شَرحِ مُقَدِّمَة طاهِر)[4] ، وهوَ لَم يَبلُغ العشرينَ سَنَةً .

ثُم أَخذَ في عِلمِ الكَلامِ على أَخيه الهادي يحيى بن يحيى ، والقَاضي محمد بن يحيى المَذْحَجِي ، حتى صَنَّفَ فيه كُتُباً كثيرَة ، مثلَ (القَلائد) وشَرحِها ، و (المقامَات) ، وانتَقلَ إلى عِلمِ الطَّيْف[5] ، وقَرأَ فيه كُتُباً كَثيرة ، وصَنَّفَ فيه

---

(1) – بني الأنف : من الباطنية الإسماعيلية .

(2) – الحطَاط : مُدةُ الحصار .

(3) – الغرة الشادخة : قال ابن منظور: شدخت الغرة وسالت فملأت الجبهة ، وغلام شادخ أي غلام شاب .

(4) – مقدمة طاهر ... هو طاهر بن بابشاذ صاحب كتاب (المقدمة المحسبية في فن العربية) .

(5) – علم الطيف : قال الفيروز أبادي: الطيف هو الخيال الطائف في المنام أي (تفسير الرؤيا) .

(رِياضَةَ افهام)[1] وشَرَحَها بِدامِغِ الأَوهَام ، ثُم قرأَ أُصولَ الفقه وحَقَّقهُ ، وتَغَيبَ (الجَوهَرَة) وأَسمَعَها على الفَقيهِ يحيى بن محمد المَذْحَجي ، ونَظَّمَها مَنظومَةً تُسَمى (فائقَةَ الأُصُول) ، وصَنَّفَ (المِعيَار ، وشَرْحُهُ المِنْهاج) ، وغَيرُه في أُصولِ الفقه ، وسَمعَ اللُغةَ العَربيةَ وجعلَ شَرحاً على مَقامَات الحَريري ، وصَنَّفَ في التَصريفِ والنَحو (الإِكليلِيَ ، ومَتْنَهُ تاجَ عُلومِ الأَدَب)[2] ، ثُم التَفَتَ إلى الفقه فبَرزَ فيه على الأَقْران وصارَت كُتُبهُ عُمدَةً لأَهلِ اليَمَن لا يَعرِفونَ غيرَها ، وصَنَّفَ (الأَزْهار في فقه الأَئِمَة الأَطهَار)[3] ، وشَرَحَهُ بـــ (الغَيثِ المِدْرار) ، وصَنَّفَ (البَحرَ الزَخَّار الجامعَ لِمَذاهبِ عُلماءِ الأَمْصار) ، كِتابٌ لَم يُنسَج على منواله ، ولا سَمحَت قَريحَةٌ بمثاله ، جَمعَ مَذاهبَ عُلماءِ الأَمصار وأَدِلَّةَ كلِ فَريقٍ منهُم والمُختارَ منَ الأَدلَة ، ولهُ شُروحٌ وتَخاريجُ مِن أُمهاتِ الحَديث ، وتَناقَلهُ العُلماءُ من الفِرَق ، وصارَ عُمدَةَ أَهلِ الحَق ، وأَسْمَعَ صحيحَ البُخاري ، واستَجازَ في أُمهاتِ الحَديث من النَفيس العَلَوي ، وأَحاطَ بالعلومِ من أَمامٍ وخَلْف ، ورزَقَهُ اللهُ السَعادَةَ في مُؤلَفاته أُصولاً وفُروعاً ، وصارَت عُمدَةَ أَهلِ اليَمَن مدارس طَلَبةِ العِلمِ في أَقطارِ هذهِ البِلاد ، وأَعاضَهُ اللهُ عن بَسطَةِ اليَدِ في الخِلافة في مُصنَفاته.

وكانَت دَعوَتهُ ﷺ بعدَ مَوتِ الإمامِ الناصرِ صلاحِ الدين ، واجتَمعَ علَيه العُلماءُ في مَسجدِ جَمالِ الدين بمدينة صَنْعَاء وبايَعُوه ، ثُم خَرجَ عَنها وشَرَعَت أُمورُهُ في الإنتِظام ، حتى وَقَعَ أَسرُهُ[4] هوَ وجَماعَةٌ من خَواصهِ وأَتباعِه ، واستَولَى جُنْدُ علي بن

---

[1] – رياضة افهام : ذكر إسم الكتاب مصحفاً ، قال القاضي الأكوع في كتاب هجر العلم أن إسم الكتاب هو "رياضة الأفهام في لطيف الكلام" وهو جزئين ، وصنَّفهُ في مَسْوَر .

[2] – ذكر القاضي الأكوع في كتاب هجر العلم أن إسم الكتاب " إكليل التاج وجوهره الوهاج " .

[3] – الأزهار : مطبوع (مجلد واحد) ويعتبر أحد متون الفقه في المذهب الزَيدي وعليه شروحات عدة منها شرح ابن مفتاح مطبوع بعشرة مجلدات .

[4] – أسيراً .

صلاح الدين على مَحطتهِ في بَلَدِ مَعْبَر من ناحِيَةِ جَهْرَان ، والقِصَةُ طَويلَةٌ وهذا المُختَصرُ لا يَسعُها .

وبَقِيَ في السجنِ عليه السلام من سنةِ أَربعٍ وتسعين وسبعمائة إلى سنةِ إحدَى وثمانمائة ، وأَلَّفَ (الأَزهار) في السِّجن ، من دونِ أَنْ يَكونَ معَهُ دَواةٌ ولا قِرطاس ، بَل كان يَكتُبُه في الحائط ، والفَقيهُ أَحْمَد بن موسى يَتَغيَبُ ذلك ، فلَما مَكَّنوهُ من الدَواة آخرَ الأَمرِ كَتبَه ، وشَرعَ في كِتابِ (الأَنْوار في الآثارِ الوارِدَة بأَدلة الأَزْهار) حتى أَتَمَّه ، وحينَ يَسَّرَ اللهُ خَلاصَه ، وقَد كانَ دَعا في جِهةِ الشام الإمامُ الهادي علي بن المُؤيَّد بن جبريل بن المُؤيَّد ابن أَحْمَد بن الأَمير شَمسِ الدين مُحْسِن بن أَحْمَد بن يحيى بن يحيى ابن الناصرِ بن الحَسَن بن عبدالله المُعتَضد بن محمد المُنتصر بن قاسم بن المُختار بن أَحْمَد الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن سلامُ الله عليهم ، كانَت دَعوَتُهُ بِهِجرَةِ قُطَابر[1] من أَرضِ خَولان ، في شهرِ شَعبان سنةَ ست وتسعين وسبعمائة .

و رَوى الزُحَيْف عن الإمامِ عزِ الدين بن الحُسَيْن ، أَنَّهُ لَما أُسرَ الإمامُ المَهدي أَحْمَد ابن يحيى كما سَبقَ لَنا قَريباً ، وَقعَ اليَأسُ من خُروجِه ، فَفزِعَ أَهلِ الحَلِّ والعَقد إلى الإمامِ الهادي علي بن المُؤيَّد ، منهُم القاضي محمد بن حَمزة بن مُظفر ، والفَقيهُ الأَفضَل أَحْمَد بن داوود الحَسَني ووالدُه ، وممن تَابَعهُ محمد بن الداعي أَحْمَد بن علي الفُتَيْحي ، وكانَ آيةً في زَمانِه ، رُويَ أَنَّهُ يُحيي الليلَ كلهُ في رَكعَتين ، يَتلوا فيها القُرآنَ كُلَه ، ومنهُم السيدُ محمد بن جبريل ، ومن عُلماءِ الشيعَة ، الفَقيهُ العلامَةُ صاحبُ التَصانيف يُوسُف بن أَحْمَد بن عثمان ، والقاضي أَحْمَد بن سليمان النَحَوي ، والفَقيه العلامَة محمد بن صالح الآنسي ، والفَقيه محمد بن ناجي الكُحْلاني ، وكانَ حَظُّ هذا الإمامِ وافِراً ، واتَسعَت بُذورُه[2] وقَوِيَ أَمرُه ، فلَما خرجَ الإمامُ المَهدي من السِجن رَحلَ

---

[1] – قُطابر : من أقدم الهجر في نواحي صعدة ، سكنها عدد كبير من العلماء .

[2] – اتسعت بذوره : أُعطي من الأولاد والذرية عدداً كبيراً .

إليهِ ، وقَد كانَ أَرادَ أَنْ يَتنَحى للإمامِ المَهدي ، فتَوَقفَ الإمامُ المَهدي وأَخَّرَ ذلك ، ثُم أَرادَ الإمامُ المَهدي أَنْ يَتنَحى للهادي فسَعَى بعضُ الشيعَةِ في تَأخيرِ ذلك ، فرَحلَ الإمامُ إلى مَغارِبِ صَنْعَاء وبَقيَ الهادي في جِهاتِ الشام[1] ، إلى أَنْ تُوفيَ يومَ عاشُوراء سنةَ ستٍ وثلاثين وثمانمائة ، وأَوصَى بالحُصونِ التي في يَدهِ للإمامِ المَهدي ، وقَبرُهُ بمسجِدهِ الذي أَسَّسَهُ بأَعلَى فَلَله[2] ، سلامُ اللهِ علَيه .

رَجَعنا إلى أَخبارِ بَني رَسول سلاطينِ اليَمَن الأَسفَل ، فلَما تُوفيَ الأَفْضَلُ في التاريخِ المُتقَدمِ ذِكرُهُ ، اتفقَ رُؤساءُ الدَّولةِ على نَصبِ وَلَده المَلكِ الأَشرَفِ إسماعيلَ بن الأَفضَل العباس بن علي المُجاهد بن داوود المُؤيَّد بن يُوسُف المظفر بن عُمر المنصور ، فأَقاموهُ وبايَعوه ، وقامَ بالمُلكِ في التاريخِ المَذكور .

وفي سنةِ ستٍ وتسعين وسبعمائة ، تقَدمَ السُّلطانُ الملكُ الأَشرَفُ إلى جهةِ تَهامَه ، وقَبضَ خَيلَ العَربِ منها ، وقَبضَ خيلَ السُرْدُد ، وبني عُبيدَة ، وبَني حَفيظ ، والزَيديينَ ، نحواً من أَربعينَ رَأساً ، وقبضَ من القائدِ مائَةً واثنَي عشرَ رَأساً ، وقَبضَ من أَميرِ المَحَالِب وهوَ القاضِي وَجيهُ الدين عبدالرحمن بن محمد العَلَوي اثنَينِ وعشرينَ رَأساً ، وكانَت جُملَةُ الخيلِ التي قَبضَها من العَربِ مأَتينِ وسبعينَ رَأساً .

---

[1] – جهات الشام : جهات صعدة والمِخلاف السُليماني والشمال الغربي من بلاد اليَمَن .

[2] – فَلَله : تكتب بلامين وتنطق لدى سكانها بإدغام اللامين في لام واحدة ، وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة صعدة على بعد ١٥ كم تقريباً .

وكانَت وَفاةُ السُّلطانِ الأَشرَف في شهرِ رَبيع الأَول سنةَ ثلاثٍ وثمانمائة ، ودُفِنَ في المَدرَسةِ الأَشرَفيَة التي أَنشأَها في ناحيَة عُدَيْنَة ، ووَلِيَ بعدَ الأَشرَف ولَدُهُ السُّلطانُ الملكُ الناصر أَحْمَد بن الأَشرَف ، وكانَ أَبوهُ قَد استَخلَفَهُ في مَرضِه ، فقامَ بالمُلك ، وكانَ بينَهُ وبينَ كثيرٍ من ولاةِ أَبيه خِلافٌ وحُروبٌ كثيرَة ، وخالَفَ عليه أَخوهُ حُسَيْن فأَخَذَ زَبِيْد ، وتابَعهُ طائفةٌ من الجُنْد وتَسَلطَنَ في زَبيْد ولُقِّبَ بالظافِر ، ثُم قَبضَ عليه الناصِر آخرَ الأَمرِ ، وأَمَرَ شَقيقَهُ الطاهِرَ بِكَحْلِه فَكَحَّلَه ، وفي أَيامِ الناصِر هذا ماتَ الشيخُ مَعُوْضه بن تاج الدين جَدُ مُلوكِ بني طاهِر ، ووَصلَ إبنهُ طاهِر بن مَعُوْضه إلى الملكِ الناصِر فأَكرَمهُ وأَحسَنَ إليهِ وإلى جَميعِ مَن معَهُ ، وكانَ بَنو طاهِر[١] أُمَناءَ لِسلاطِين بني رَسول .

قالَ الخَزرَجي: " وفي سَنة عشرينَ وثمانمائة قَصدَ صاحِبُ صَنْعَاء وهوَ الإمامُ المنصور علي بن صلاح الدين بِلادَ بني طاهِر ، فقَصدَه الناصِر ، فاجتَمَعا في مَحَلٍ يُقالُ لهُ العُرَام[٢] ، فاهَزَمَ عَسكرُ الإمام .

وفي أَول دَولَة الناصِر ظَهرَ محمد بن أَبي القاسم بن نَجَاح الأَشعَري ، الذي يَضرِبُ بِهِ العَامَّةُ المَثلَ " مُلْكُ نَجَاح ساعَةٌ ورَاح " ، و كانَ قَد جَمعَ أَموالاً كثيرةً فقَصدَ زَبِيْد

---

[١] – بنو طاهِر : مؤسس دولتهم عامر بن طاهر ، وَلِيَ أعمالاً لبني رَسول واستقل وملك عدن وتعز وإب وذمار واتخذ من جبن عاصمة دولته وهي من أعمال رداع واستمر حكمهم من ٨٥٨ هـ إلى ٩٣٣ هـ .

[٢] – العرام : قرية كبيرة في مآتي وادي زبيد من منطقة عَنْس من أعمال ذمار ، كانَت أحد مراكز العلم في القرن الثامن الهجري .

وحاولَ [الإستيلاءَ على][1] المُلكِ ، فقُتِلَ في ذلكَ اليوم وكانَ ظُهورهُ وقَتْلُهُ في شهرِ ربيعِ الأَول من سنةِ ثمانٍ وثمانمائة .

وفي سنةِ تسعٍ وعشرين وثمانمائة ماتَ الملكُ الناصر ، فحُملَ إلى تَعزْ وقُبرَ إلى جَنْبِ أَبيهِ الأَشرَف ، ثُم وَلِيَ بَعدَهُ ولَدُهُ الملكُ المَنصور عبدالله بن الناصر ، وكانَ مَلكاً ضَعيفاً ، وصادَرَ جماعَةً من أعيانِ دَولَةِ أَبيه ، وماتَ سنةَ ثلاثين وثمانمائة وحُملَ إلى تَعزْ وقُبرَ عندَ جدِّهِ الأَشرَف ، ثُم وَلِيَ بَعدَهُ ولَدُهُ الملكُ الأَشرَف إسماعيل بن الناصر ، وكانَ صَغيراً لَم يُختَن ، فتَولَى تَدبيرَ مَملكَته جَماعةٌ من أَعيانِ دَولَةِ أَبيه ، فكَثُرَ الفَساد ، فاجتَمعَ كُبراءُ دَولَتِهِم على خَلعِهِ ونَصْبِ عَمِهِ الملكِ الظَّاهِر[2] يحيى بن إسماعيل الأَشرَف ، فأَخرَجوهُ من الحَبس ، وكانَ في حَبسِ أَخيهِ الناصر ، ونَصَّبُوهُ ولَقبوهُ بالظَّاهِرِ في رَجبٍ من سنةِ إحدَى وثلاثين وثمانمائة، ولَمَا تَمَّ لهُ الأَمرُ أَرسلَ ابنَ أَخيهِ الأَشرَف إسماعيل إلى حِصنِ الدُّمْلُوَه ، فحُبسَ هنالكَ إلى أَنْ ماتَ ، وصادَرَ القاضي شرَفَ الدين إسماعيل بن عبدالله العَلَوي ، وأَخذَ منهُ نحوَ مائة أَلف دينار ، وذلكَ أَنَّهُ كانَ يَعتَقدُ أَنَّهُ الوارد لَمَّا تَمَّت الوِلايَةُ لإِبني أَخيه الناصر مَع وجُودِهِ وكِبَرِ سنِّهِ ومَنــزِلَتِه .

وفي سنةِ خمسٍ وثلاثين وثمانمائة قَدِمَ على السُّلطانِ الشَيخُ شَمسُ الدين علي بن طاهِر بن مَعُوْضه بن تاجِ الدين إلى مدينَةِ تَعزْ .

وفي السَّنة التي بَعدَها انعَقَدَت المُصاهَرَةُ بينَ السُّلطانِ والشيخِ علي بن طاهِر فتقَدمَ الفَقيهُ علي بن محمد الحِميري وَكيلاً للسُلطان في زَواجِ ابنَةِ الشيخِ طاهِر بن مَعُوْضه ، وتقَدمَ معَهُ الأَميرُ عَفيفُ الدين عبدالله بن محمد الشَمسي وغيرهُ من الفُقَهاء .

---

[1] – زيادة من المحقق ليستقيم المعنى .

[2] – الملك الظاهر الرَسولي : يحيى بن إسماعيل بن الأشرف من ملوك الدولة الرَسولية يكنى هزبر الدين ، مَلَكَ بعد خلع ابن أخيه إسماعيل ، تُوفيَ في زبيد ودُفنَ في تعز سنةَ ٨٤٢ هـ .

وفي سنةِ أَربعٍ وثلاثين وثمانمائة خرجَ عَبيدٌ من المَحَالب مُخالفين ، نَحوَ أَربعمائة فأَفسَدوا بِلادَ الوَاعِظات[١] وغَيرَها من تِهَامَه ، ووَقَعَ غاراتٌ من الغزِّ إلى بلادِ الوَاعِظات ، وحُرِّقَت قريَةُ الأَشْراف بَني الرُدَيْني ، وهلَكَ فيها مائَةُ نَفسٍ نِساءٌ وأَطفال ، واشتَدَّ الخِلافُ والغَاراتُ على الظَّاهِر من العَربِ والعَبيد ، وفي آخرِ هذهِ السَّنة المذكورَةِ قَصدَ الوَاعِظات و المَحَالب ، فأَخرَجوا الغَزَّ منها وأَحرَقوهَا .

وفي هذهِ السَّنة خرجَ العباس بن الأَشرَف على أَخيه الظَّاهِر وانْتَحا إلى العَبيدِ الخارِجينَ في نَواحيهَا ، فاجتَمَعوا هُم والوَاعظات على الخلاف ، وأَغارُوا على المَحَالب في صَفَرٍ من سنةِ تسعٍ وثلاثين وثمانمائة ، فهُزِموا وقُتِلَ منهُم كَثير ، ثُم اصْطَلَحَ الظَّاهِر وأَخوهُ على يَدِ بعضِ المَشايخِ من المُتَصَوِّفَة ، ثُم غَدرَ الظَّاهِر بأَخيه وحَبَسهُ حتى ماتَ .

وماتَ المَلِكُ الظَّاهِر يحيى بن إسماعيل في شهرِ رَجب من سنةِ اثنين وأَربعين وثمانمائة بمدينَةِ زَبِيْد ، ثُم نُقِلَ إلى تَعِزْ فقُبِرَ بمدرَسةِ الظَّاهِرية[٢] ، ثُم وَلِيَ بَعدَهُ الملكُ الأَشرَف إِسماعيل بن الظَّاهِر ، بَايَعهُ كُبراءُ دَولَة أَبيه ، و كانَ سَفاكاً للدماء وشَدَّ على الغرب بالغَارات ، والحَربُ بينهُ وبينهُم سِجالٌ وتَزايَدَ الشَّر بينهُ وبينهُم ، ولهُ معَهُم عدةُ وقائعَ لهُ وعلَيه ، منها يومُ العُذَيْب[٣] ، وهي دارُ أَبيهِ بالنخل ، اجتمَعَ المَغاربَةُ والقُرشيون وقَصَدوه ، فكانَت الدائرَةُ عليهِم ، ويومُ العصيرة[٤] كانَت لهُ عليهِم ، ومنهــا يــومُ

---

[١] – الواعظات : أحد بطون قبائل عك ، يسكنون منطقة وادي مَوْر من أرض تَهَامَة وهي منطقة متصلة جغرافياً بمناطق من أعمال حَجَّه .

[٢] – المدرسة الظاهرية : نسبة إلى بانيها الملك الظاهر يحيى بن الأشرف ، وقد بنى فيها منارتين / راجع المدارس الإسلامية في اليَمَن للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع / .

[٣] – العُذَيْب : موضع بالقرب من زبيد ، قامت فيه معركة بين الملك الأشرف الرَسولي وبين قبائل القرشيين والمغاربة و سميت المعركة باسم الموضع .

[٤] – العصيرة : لم أجدها .

العَرْمَة[1] كانَت عليه ، قَتلَ القُرشيونَ من عسكرِه كَثيراً ، ومنها وَقعةُ القاهرَة بينهُ وبينَ المغاربَة وكانَت عليه ، قُتِلَ من عسكره كثير ، ومنها وَقعَةُ المساقة ، بينهُ وبينَ القُرشيينَ لَم يَنْجُ مِنها إلا بنَفسه ، ولَم يَسْلَم لهُ إلا دَبوسٌ[2] بيده ، ومِنها يومُ السماط ، جعلَ الأَشرَف سماطا[3] في سنة خمس وأَربعين وثمانمائة ببيت الفَقيه بن عُجَيْل[4] ودَعا إليه مَشايخَ المَغاربة ورُؤسائَهُم ، فلَما قَعَدوا يأكلونَ أمرَ العسكَرَ بضربِ رِقابِهِم فلَم يَنجُ منهُم أَحَد ، ثُم ماتَ الأَشرَفُ في سَلخِ شهرِ رمضان سنةَ خمسٍ وأَربعينَ وثمانمائة بدارِ السُور من تَعزْ ، وهوَ آخرُ مُلوك بني رَسول الذينَ لَهم الإِقْدامُ والإِحْجام .

وقَد كانَ فَرَّ منهُ إلى وُصَاب ابنُ عمه الملك المَنصور يُوسُف المُلقَب بالمظفر ، وأَقامَ بها عند الشيخِ صالِح صاحِب الضَّحي[5] ، فأَجمَعَ أَهلِ دَولَة الأَشرَف بعدَ مَوته على إقامَة المُظفر ، وقَد كانَ الناس يَلهَجونَ به قبلَ ولايَته ، ثُم صَارَ إلى تَعزْ ، فخَرجَ جماعةٌ من التُركِ والجُنْد الذينَ تابَعوهُ عن طاعَته ، ونَزلَ المماليكُ إلى زَبِيْد ، وأَقامُوا لهُم رَئيسَاً منهُم وفَعَلُوا أَفاعيل ، ثُم أَقامُوا أَسدَ الدين محمد بن إسماعيل بن عمر بن الأَفضَل سُلطاناً بِتُربَة الطَلَيْحية[6] ولَقَّبوهُ بالأَفضَل ، فدَخلَ مدينةَ زَبِيْد أَولَ سنة ست وأَربعين وثمانمائة وصَرفَ أَموالاً كثيرةً وأَدخَلَ العَربَ زَبِيْد ، وأَعطاهُم جُملةً من الخَيلِ والسِّلاح ، حتى قَوِيَت شَوكَتُهم وأَخَذوا نَخلَ الوادي ، واقتَسَمهُ القُرشيونَ والمغاربَة ،

---

[1] – العَرْمَة : بلدة في حافة جبل صَبِر من الناحية الشرقية ذَكَرَها الهمداني في صفة جزيرة العرب .

[2] – دبوس : فأس ، معْوَل

[3] – سماط : مائدة الطعام أو ما يمد تحت الطعام ، ويكون فيها نوع من الأبهة والزينة ، يدعى إليها كبار القوم .

[4] – بيت الفقيه : تنسب مدينة بيت الفقيه للفقيه موسى بن علي بن عمر بن عُجَيْل ، وهي واقعة إلى الجنوب الشرقي من الحديدة من أرض تهامة .

[5] – الضَّحي : بلدة في وادي سُرْدُد إلى الجنوب الشرقي من الزيدية .

[6] – تربة الطليحية : مقبرة (مجنة) قرب زبيد نسبة إلى الشيخ طلحة بن عيسى الهتار المتوفى بزبيد سنةَ ٧٨٠ هـ .

ومَنَعوا منهُ أَهلَه ، ثُم وَقَعَت وَقْعاتٌ في زَبِيْد كَثيرة ، ثُم أَظهَرَ العَسكرُ أَنَّ المُظفرَ ضَعيفٌ عن القيامِ بالمُلك .

وخرجَ جَماعةٌ من العَبيدِ إلى حَيْس، فبَحَثُوا عَمَّن بها من المُلوك ، فوَجَدوا أَحْمَد الناصر بن الظَّاهِر بن يُوسُف بن عبدالله بن المُجاهد فأَقامُوهُ سُلطاناً وأَدخلوه زَبِيْد ، فنَزلَ بالدارِ الكبيرِ النَّاصِري ، ثُم اجتَمعَ جَماعةٌ من العَبيدِ إلى بابِ الدار ، وضربت نفرهَم وصاحوا صَيحةً مُنكَرَة ، وسارُوا يَنهبونَ في المدينَة ، ويَقتُلونَ مَن وَجدوه ، ولَم يَزالوا كذلكَ إلى العَصْر ، ثُم خرجَ السُّلطان لِمُباشَرةِ النَّخلِ بوادي زَبِيْد ، فقامَ نَحو خَمسينَ من عَفاريتِ زَبِيْد ، نَحوَ البابِ لِيُغلقوه ، فلَما أَرادُوا ذلكَ وَجَدوا عسكرَ السُّلطان ، فرَجعُوا هاربِينَ وتَجَورُوا بِبُيوتِ المَناصِب[1] ، فنَهَبَت عَسكرُ السُّلطان المدينَةَ نَهباً عظيماً ، ثُم قَدمَ السُّلطان بعدَ المَغرب ، فأَمَرَ بقَتْلِ من وُجِدَ صَغيراً وكَبيراً ، فلَم يَسْلَم إلا بُيوتُ جماعةٍ من كُبراءِ الدَولَة ، وأَصبَحَت زَبِيْد كأَنْ لَم تَعش بالأَمْس ، فلُقِّبَ هذا السُّلطانُ بالخاسرِ لِهَذهِ الوَقائعِ في أيامه .

ثُم قَبَضُوا عليهِ في شهرِ ربيعِ الأَول من سنةِ ستٍ وأَربعين وثمانمائة ، وأُخرِجَ سالماً إلى الطفحية[2] هوَ وأَولادُه ، فكانَت مُدةُ وِلايَته نَحوَ عَشرةِ أَشهر ، ثُم قامَ بَعدَهُ الملكُ المَسعود أبو القاسم بن الأَشرَف بن الناصِر بن الأَشرَف ، في ربيعِ الأَول من سنةِ ستٍ وأَربعينَ وثمانمائة ، فدَخلَ عَدَن في ذي القعدة ، والمشايخُ بنو طاهرٍ في لَحْج[3] من حَربِ المُظفر ، وفي أَنفُسِهم ما فيها من الإستبدادِ بالمُلك ، لِما يَرَونَ من اضطرابِ

---

[1] – المناصب : أعيان الهاشميين من آل البيت .

[2] – الطفحية : لم أجدها .

[3] – لَحْج : مِخْلاف كبير من مَخَاليف اليَمَن الأسفل ، نسبةً إلى لَحْج بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب ... بن يعرب بن قحطان ، ومدينة الحوطة هي حاضرة مِخْلاف لَحْج .

أُمورِ بني رَسول ، فقاومَهُم الملكُ المَسعود ، وخرجَ من عَدَن ، ودَخلَ لَحْج في سنة ثمان وأَربعين وثمانمائة .

وفي سنةِ تسعٍ وأَربعين وثمانمائة خرجَ زَيْن الدين جَيَّاش السُّنْبُلي إلى زَبِيْد مُقَدَّماً من قِبَلِ المَسعود ، فاصْطَلَحَ هو والمَغاربة ، ونابَذَ القُرشيين فغَزا الأَشاعِرَ[1] إلى بعضِ قُراهُم فأَخربَها ، وغَزا القُرشيينَ في أَيامه وصَحِبَتهُ المَغارِبةُ والعَبيد ، فحمَلَ عليه القُرشيونَ صبيحَةَ مَبيتِه في النَخْل ، في شهرِ ربيع من سنة خمسين وثمانمائة ، فانْهَزمَ الأَميرُ جَيَّاش وهرَبَ العَبيدُ والقُواد ، وقُتِلَ من كُبراءِ الدولَة كَثير ، وكانَت وَقعَةً مَشهورةً تُعرَفُ بعاديَةِ جَيَّاش ، ثُم إنَّ المَسعود قَصدَ تَعِزْ ، وضايقَ المُظفرَ بِحِصنِها بالحِصار ، فضاقَ المُظفر وأَرسلَ إلى المشايخِ بني طاهر ، فنَزلَ إليه الشيخُ عامر بن طاهرٍ مُناصِراً لهُ على المَسعود ، ليُحارِبَ المَسعود من قُرْب ، فلَم يَزَل الشِهابُ الصَلاحي يُعْمِلُ الحِيلَةَ في إخراجِ عامرِ بن طاهرِ من القسطالة[2] ، حتى انحازَ إلى بَلدِه راضياً مُختاراً ، ولَم يَزَل المَسعود بدارِ الوَعْد من تَعِزْ ، حتى قامَ عليه المشايخُ بنو طاهرٍ وأَخرَجوهُ من تَعِزْ سالماً بجميعِ ما معَهُ في شهرِ رمضان سنةَ اثنين وخمسين وثمانمائة ، فبلَغَ مَوْزَع[3] ، ثُم هَقْرَة[4] ، ثُم عَدَن ، ثُم نَزلَ بنو طاهرٍ والمُظفر إلى لَحْج والمَسعودُ بعَدَن في ذي الحجة ، ووَقعَ بينهُم حَربٌ فقُتِلَ من عسكرِ المَسعودِ جماعَة ، ثُم إنَّ المُظفر تركَ حِصنَ تَعِزْ للمَسعود ، فقبضَهُ المَسعود سنةَ أَربعٍ وخمسين ، ثُم إنَّ الشيخَ عامر بن طاهرٍ نَزلَ من بلدِه أَولَ سنةِ ثمان وخمسين وثمانمائة إلى جِهةِ لَحْج في عسكرٍ كثير ، فقاتَلَهُ عسكرُ المَسعودِ قتالاً

---

[1] – الأشاعر : مساكنهم سهل تِهَامَة ، زبيد وما حولها ، ويقال لهم الأشاعرة أيضاً .

[2] – القسطالة : لم أجدها .

[3] – موزع : بلدة عامرة إلى الجنوب الشرقي من المخا ، من أعمال تعز ، نُسب إليها عدد من العلماء ، وكانت نقطة تواصل بين المخا ومدن تِهَامَة ومدينة تعز .

[4] – الهقرة : بلدة دارسة إلى الجنوب من موزع ، وقد أشار إليها المؤرخون في كُتُبهم ، وهي بلدة أثرية وكانت مقراً للسادة الصوفية – غفر الله لهم – .

مَشهوراً ونَالُوا مِنه ، ومازالَت الحُروبُ بين المَسعود وبين طاهِر سِجالاً حتى خَلعَ نَفسهُ وخرجَ من عَدَن في سادِسِ شهرِ جُمادى الأُولى سنةَ ثمان وخمسين وثمانمائة ، ودَخلَها المُؤيَّد حُسَيْن بن الظَّاهِر بن الأَشرَف ، فوَقفَ بِها إلى أَنْ دَخلَها المَلكانِ علي وعامِر ، ابْنا طاهِر .

وإلى هُنا انْقَرضَت دَولَةُ بني رَسول ، فسُبحانَ مَن لا يَبْقى إلا مُلكُه ، وكانَت مُدةُ دَولَتِهم مائَتي سنةٍ وأَربعةً وثلاثينَ سنةً .

رَجَعنا إلى ذِكرِ أئمَة الإسلام آلِ النبي ﷺ [1] ....

وكانَت وَفاةُ الإمامِ المَهدي لدين الله أَحْمَد بن يحيى عليه السلام في شهرِ رَجب سنةَ أَربعين وثمانمائة[2] بحصنِ الظَّفيْر من بلادِ حَجَّه ، ومَشْهَدُهُ مَشهورٌ بها مَزور عليه أَوقافٌ يَقفُ فيهِ طَلَبةُ العِلمِ فينتَفِعونَ بالكُتُبِ المَوقوفَةِ ويَستَنفِقونَ بِغلاتِ الأَوقافِ الجارِيَةِ ، وهوَ من مفاخرِ اليَمَن وحَسَنات الزَمان .

وقامَ بعد وَفاته ووَفاةِ الإمامِ علي بن صلاح الدين ثلاثَةٌ من الأَئمَة تَعارَضوا في عَصرٍ واحدٍ ونُقطَةُ بِيكارِهِم وواسِطَةُ عِقدِهِم[3] الإمامُ الأَعظَم والطَودُ الشامِخُ الأَشمّ المُتوكل[4] على الله المُطهر بن محمد بن سليمان بن يحيى بن الحُسَيْن بن حمزة بن علي بن محمد بن حمزة بن أَبي هاشم الحَسَن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحُسَيْن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب رضيَ اللهُ عنهُم أَجمَعين .

---

[1] – يقصد أئمة المذهب الزَيدي .

[2] – وتوفي في هذه السَنة أيضاً الإمام العلامة الحُجَّة محمد بن إبراهيم الوزير صاحب كتاب العواصم والقواصم ، لعل المؤلف نسي ذكره ؟؟.

[3] – عقدهم : وردت عقيدهم في المطبوع .

[4] – المتوكل علي بن المُطهر بن محمد بن سليمان ، من أئمة الزيدية في اليَمَن دعا إلى نفسه عام ٨٤٠ هـ وخالفه الإمام الناصر ، فما زالت صنعاء بينهما حتى أسره الناصر وحبسه في حصن الربعة ، كان أديباً شاعراً .

وتعارَضَ هوَ والإمامُ المَهدي صلاح بن علي بن محمد بن أَبي القاسم ، وعارَضَهُما[1] الإمامُ المَنصور بالله الناصر بن محمد ، وسَيأتي تَدريجُ نَسبهما قَريباً إنْ شاءَ الله تعالى ، وكانَ النَّاصرُ أَصغرَهُما سناً وأَقَلَ علماً ، لَكنَها ساعدَتهُ الأَيامُ وأَقبلَت إليه ، وكانَ الإمامُ صَلاح داعياً مُبرزاً في عُلومِ الإجتهادِ ذا وَرعٍ شَحيح[2] ، وبايَعهُ عُلماءُ صَنْعَاء وبايعَ المطهَّرَ فَريقٌ من عُلماءِ البَوادي ، وكانَت دَعوةُ الإمامِ صَلاح في صَنْعَاء باختيارِ من الناسِ كُلهِم في سنةِ أَربعين وثمانمائة ، ودَعوةُ الإمامِ المُطهرِ في سنة أَربعين وثمانمائة.

قالَ في (شرحِ أنوارِ اليَقين الصغرى) : " ما أُجْمعَ على داعٍ بالإجتهادِ بعدَ الإمامِ المَهدي بن علي بن محمد ، إلا على الإمامِ المُطهر بن محمد بن سليمان ، فإنَّهُ وَقعَ الإتفاقُ على بُلوغهِ دَرجةَ الإجتهاد " ، وكانَ الإمامُ صَلاح يَقول : " أَنا أَصْلَحُ لها ، والمُطهرُ يَصلُحُ لَها ، ودَعوَتي أَسبَق " ، واتَّبَعَت العامَةُ صَلاح ، ومن الخاصَّة السيدُ العلامَة علي بن فاضل الحَمزي ، والفَقيهُ العلامَة مُطهر الجَمَل ، وتَبعَ جُمهورُ الخاصَّة الإمامَ المُطهر ، كالفقيهِ العلامَة عبدالله النَجْري[3] ، والفقيه العلامَة علي بن محمد البَكري ، والفَقيه أَحْمَد الخالدي .

ثُم أَنَّ الناصرِ بن محمد لَزِمَ الإمامَ المُطهر في قُرَيْش[4] من ناحيَة جَهْرَان ، وكانَ نازلاً هوَ وقاسِم سَنْقَر إلى جهة ذَمَار ، وكانَ قاسم سَنْقَر من مَماليك علي بن صَلاح ، استَقَلَ بالأَمرِ بعدَ مَوتِ مَولاه ، وكانَ يُدخلُ صَلاحاً مَرةً إلى صَنْعَاء والإمامَ المُطهرَ مرة ، فلَما رَأى الإمامُ صَلاح أَنَّهُ مُستَولٍ على الأَمرِ ، أَملَ في نَفسه أَنْ يَقبضَ علَيه ويستَقلَ

---

[1] – الصراع على السلطة بين الأئمة مشهور مشهود بل بين الأبناء ، والكل يدعي الأهلية وهذا التنافس والإقتتال جعل الجميع في حالة ضعف فسرعان ما يسقطون جميعاً أمام أول غازٍ يواجهونه .

[2] – شحيح : هكذا وردت في المطبوع والمخطوط ، لعله أراد (ذا ورع شديد) ، والخطأ من الناسخ .

[3] – النجري : هو القاضي العالم عبدالله بن محمد النجري المتوفى سنةَ ٨٧٧ هـ ، وبَلَدُهُ نجره من أعمال حَجَّه .

[4] – قريش : لم أجدها بهذا الاسم وإنما وجدت (قَريْسْ) ، حصن فوق قرية رصابه من أعمال ذمار والحصن يطل على قاع جهران وهو اليوم أطلال وخرائب .

بالأمر ، لأنَّهُ كانَ يواجهُهُ حيناً ومعَهُ خَدَمُه ، وحيناً وَحدَه ، فتَواطأَ الإمامُ صَلاح هوَ وعِدةٌ من خَواصهِ على أَنَّ قاسم سَنْقَر متى دَخلَ قَبضةُ جماعةٌ قَد عَيَّنَهُم ، فعلِمَ سَنْقر ذلك ، ونُقلَ إليهِ ما أَجمَعوا عليه ، فطَلَعَ على عادَته مُصَبِّحاً للإمام ، فكانَ أَولُ كَلمَة قالَها : " أَنتَ أَيُّها الخادِمُ الفُلاني وفُلان وفُلان ، تُريدونَ تُمسكوني وتَرسُموا عليَّ ، هَذا جَزائي وفعلي مَع مَولانَا المَعروفَ " ، يَعْني الإمامَ صَلاح ، ثُم أَشارَ إلى خَدَمه أَنْ اقتُلوهُم قَبلَ أَنْ يَقتُلوكُم ، فقَتَلوهُم ورَمَوا برُؤوسهم إلى المَيدان ، ونَصَروا سَنْقَر ، وأَسَروا الإمامَ صلاح ، فبَقيَ مَلْزوماً حتى احتَالَت الشَريفَةُ الكامِلَة فاطمة بنت الحَسَن ابن صلاحِ الدين وهيَ زَوجَتهُ في فِكاكه من الحَبْس ، ثُم انتَقلَت هيَ وهوَ إلى صَعْدَه .

ثُمَ هَمَّ سَنْقَر بِلُزومِ الناصر ، فاختَفَى وخَرجَ من صَنْعَاء مُتَنكراً بينَ سَبعِ نِسوَة حَرائِر وإماءٍ حتى دَخلَ هِرَّان ، وانْضَافَ إليهِ بَقيةُ عَبيد علي بن صَلاح لأَنَّهُم أَنفُوا عَن خدمَة سَنْقَر ، فاستَقوى الناصِرُ بهم ، ووَقَعَ من سَنْقَر مع ذلكَ أَمرٌ عَظيم ، فاستَدعى الإمامَ المُطهر واجتَمَعا على نُزولِ اليَمَن ، فظَفرَ بهِما الناصِرُ في قُرَيْش، وأُسرَ الإمامُ المُطهر وسَنْقَر ، وقُتلَ سَنْقَر في السجن وحُبسَ الإمامُ المُطهر في حِصن الرَّبْعَة ، غَربيَّ مَدينة ذَمَار ، فأَنْشأَ الإمامُ المُطهر القَصيدَةَ الغَّراءَ المَشهورَة في مَدحِ خيرِ الخَلقِ سَيدِ البَريَة محمد رَسول الله ﷺ ، مُتوَسلاً بِها إلى الله الكَريمِ في التَفريجِ عَنهُ والتي مُستَهلُها :

مـاذا أَقـولُ و ما آتِـي و مـا أَذَرُ — في مَدحِ منْ ضُمِّنتْ مدحاً لهُ السُورُ

عَنِ الثَنـاءِ لِمَنْ جاءَ الثَنـاءُ لَهُ — في مُعجزاتِ المَثاني يَعجزُ البشرُ

مَن كـانَ مـادحُـهُ الـديـانُ في — سُورِ القُرآنِ فالمدحُ إلا ذاكَ يُحتقرُ

هـذا أَبو القـاسمِ المَـاحي الضَلالة — ذَا مُحمـدُ المُجتبـا العاقبُ الطَهرُ

يا ربّ إنّي فيما قَد أَحطتُ به | بِهِمْ تَوجَهْتُ إذْ جاهِي به قصَرُ
حَاشاكَ لا كانَ ديني كُفرَ جَاهِهِم | و فوق ذَا عَفوُكَ المَعروفُ يُنتظرُ
يارب لي و لِكُلِ المُسلمينَ مَعاً | فَإنَ جُودَكَ جَمٌ ليسَ يَنحصرُ
و مَنْ توسل فِيمَا رَامَ منْ وَطرٍ | بِهِمْ إليكَ لَكَ الحَمْدُ انْقَضَا الوَطَرُ[1]

وهيَ طويلَةٌ قَدرَ مائَة واثنين وثلاثين بَيتاً وهذا البيتُ آخرُها.

ولَما بَلَغَت هذه الوَسيلَةُ إلى صَنْعَاء قالَ وَزيرٌ لِلناصرِ إسْمُهُ محمد بن إبراهيم السَاوَدي : " أُنْظُروا فإنّكُم تَرَونَ الرجُلَ قَد خرجَ بِبَرَكَةِ هذا الشعرِ " ، فوَجَدوا الكلامَ كَما قال .

وقَد كانَ الإمامُ المُطهرُ في خلالِ حَبْسه عَلَّمَ وَلَدَ وَالي الحِصنِ القُرآنَ العَظيم ، فأَتَمهُ في مُدة قَريبَة ، ففَرِحَ ذلكَ الوَلَد ، وقالَ للإمامِ : " ما جَزاؤكَ يا مَولانَا إلا أَنْ أُخرِجَك " ، فاحْتالَ الوَلَدُ في فَك حَلقَة من قَيدِه ، وحَمَلَهُ على ظَهرِه طُولَ لَيلَته ، فأَصْبَحا وقَد جاوَزا بِلادَ الدَولَة ، فلَحِقهُما أَهلُ الحِصنِ فلَم يَظفَروا لأَنَّهُم دَخَلوا بلادَ الغَز ، ونَجَا الإمامُ بِبَرَكة هذه الوَسيلَة ، ولَم تَزَلْ الأَحوالُ تَتقَلَّبُ به تارَةً يَقوَى أَمرُه ، وتارَةً يَضعُف ، وتارَةً يُجَيشُ على صَنْعَاء وحيناً يَفتُر ، ودَخلَ صَعْدَه مراراً على التَبَعية لفاطمةَ بنت الحَسَن ، ومَرَةً معَ الأَشْرافِ الحَمزيينَ لَما مَلَكوها ، ومَلَكَ كَوْكَبان وغَيرَهُ ، ولم يَزَل مُجاهداً إلى أَنْ مَلَكَ ذَمَار واستَوطَنَها وبَنَى مَسجدهُ المَعروفَ ومَشهَدهُ شَرْقيه، وكانَ مُلكُهُ لَها من جهةِ بَني طاهرِ أَعطَوهُ إياهَا .

---

[1] – التوسل بالنبي ﷺ وجاهه إلى الله سبحانه وتعالى أمرٌ مختلف فيه ، إذ يراه قوم أمراً مشروعاً وعلى رأسهم الإمام السبكي و غيره ، بينما يراه آخرون– وهم أهلُ الحديث – محرماً محضوراً وكلٌ لهُ دعوى وحُجة ودليل ، وهذه المسائل مُدونة تُراجع في مظانها .

وكانَت وَفاةُ الإمامِ المُطهر بذَمَار في شهرِ صَفر سنةَ سبعٍ وسبعين وثمانمائة ، فتَكونُ مُدةُ خِلافَته قَدرَ ثمانيةٍ وثلاثينَ سنةً[١] ، والذي عارَضَهُ المَهديُ والناصِر ، أما المَهديُ فهوَ صَلاح بن علي بن محمد بن أَبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن حُسَيْن بن جعفر بن حُسَيْن بن أَحْمَد بن يحيى بن عبدالله بن يحيى بن المنصور بن أَحْمَد بن الناصر ابن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن عليه السلام ، وكُنيَتهُ المَهدي بدينِ الله ، وكانَ من أَهلِ المعارِف الطائلَة ، ولَهُ شَرحٌ على الحاجبيَة سَماهُ (النَّجمَ الثاقب)[٢].

فلَما جَرى لهُ مع سَنْقَر ما قَدمناهُ قَريباً وخرجَ من السجنِ ورَحلَ إلى صَعْدَه ، وهيَ بيدِ زَوجته الشريفَة فاطمة بنت الحَسَن بنت صَلاح مُعارِضَة الإمامِ المُطهرِ المذكور آنفاً ، واستَمَد من الأَشْراف بني حَمزة جُنْدَاً وحَطَّ على صَعْدَه ، وكانَ الإمامُ صَلاح خارجاً عنها ، ووَقعَ معَ الشريفَة فاطمة وأَعوانها الخَوفُ على صَعْدَه ، فسارَ الإمامُ صَلاح بجُنْده لَيلاً ونَهاراً مُغيراً على صَعْدَه ، وبَلغَ الإمامَ المُطهرَ ومن معَهُ فتَلقَّوهُ إلى دَربِ الحَناجِر[٣] ، فخالَفَهُم إلى طريقِ الجَبلِ جَبلِ بني عوَيمر ، وبلادِ المَهَاذر[٤] ، فلَما دَخلَ الإمامُ صَلاح صَعْدَه رَجعَ الإمامُ المُطهر إلى اليَمن[٥] ، فثَبتَ الإمامُ صَلاح في صَعْدَه وقَبضَ فيها أَموالاً جَمَّةً وتقَدمَ إلى اليَمَن ، فأَشارَ عليه بعضُ خواصه أَلا يَتعرَّضَ لصَنْعَاء فلَم يُسعدِهُم وتقَدمَ إلى حمراء عَلِب[٦] يمانيَّ صَنْعَاء ، فخرجَت لحَربِه صَنْعَاء

---

[١] – لم تكن هذه المدة صحيحة إذ خرج عليه آخرون يطلبون الإمامة ، وحدثت معارك وفتن ولم تستقر لهُ حال فقد سُجن وتنقل بين صعدة وذمار وصنعاء ولم يعترف لهُ كثيرون بالإمامة .

[٢] – طُبع بمجلدين و صدر في صنعاء .

[٣] – درب الحناجر (من قبائل همدان) تنسب إليهم قرية الحناجر وهي على الطريق بين صنعاء وكوكبان .

[٤] – بلاد المهاذر : بالذال المعجمة وتقع إلى الجنوب الغربي من صعدة بمسافة قصيرة .

[٥] – المقصود صنعاء وما حولها .

[٦] – حمراء العَلب : قرية في السفح الجنوبي لجبل نُقُم ، بها قبر الإمام المحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني .

بمَن فيها ، ووَقَعَ طَرفُ قِتال ، فانجَلَت المعرَكةُ على أَسرِ الإمامِ صَلاح وانتُهِبَ ما معَهُ من الثقل .

وقَويَ أَمرُ الناصرِ من تلكَ الساعة ، وبَقِيَ الإمامُ صَلاحُ مَسجوناً إلى أَنْ تُوفيَ في السجنِ في شهرِ ربيع من سنة تسعٍ وأَربعين وثمانمائة ، ودُفنَ في صَرحِ مسجد مُوسى بحافةِ القَطِيْع ، وأَمَرَت زَوجتُهُ الشريفَةُ فاطمةُ لهُ بَلوحٍ من صَعْدَه لِقبره ، فلَما رآهُ عبدٌ من عبيدِ الناصرِ اسْمُهُ رَيْحان بن سَعيد ، ضَربَ ذلكَ اللوحَ بِدَبوسٍ فكَسَرهُ فلَم يُمهلهُ الله ، بَل هَلَكَ مِن ساعَته وعَرَفَ هذه الفَضيلَةَ أَهلِ صَنْعَاء وغيرُهم ، فَهي مُتناقَلَةٌ إلى آخرِ الزمان ، ووالدُ هذا الإمامِ هوَ السيدُ العلامَةُ الكبيرُ الجَهبَذُ الشَهير صاحِبُ التَصانيفِ وجامعُ العُلومِ والتآليف علي بن محمد بن أَبي القاسم ، فاقَ في جَميعِ العُلوم ، وراَقَ في مَنطوقِها والمَفهوم ، ولهُ مُصنَفاتٌ عَديدَةٌ وأَشهرُها (تَجريدُ الكَشْاف) ، و (التَفسيرُ الكَبير) الذي لَم يُنسَج على منواله ، جَمعَ فيه فأَوعَى وأَودَعهُ كلَ غَريبَة ، وهوَ ثَماني مُجلدَات كبار ، ومقدارُ فَتاويه مُجلَد .

والثالثُ من الأَئمة المُتعارِضينَ في هذه المُدة هوَ الناصر اسْمُهُ العَلَم ، ولَقَبهُ المَنصور ، وهو الناصرِ بن محمد بن الناصر بن أَحْمَد بن الإمامِ المُطهر ، وقَد تقدمَ رَفعُ نَسَبه النجَبَاء ، رُبِّيَ في حجرِ الخلافَة ، لأَنَّ أُمهُ مَريم بنتُ الإمامِ المنصور علي بن صلاح الدين ، فدَعَتهُ همَتُهُ العاليَةُ على مُعارَضَة الإمامِ المُطهر والإمامِ صَلاح على حَداثَة سنه وقُصورِ عِلمه عنهُما ، فجاءَ نادرَةَ عَصرِه ، قادَ الجيوشَ وأَسرَ مُعارِضَيه المَذكورَين وغيرَهُما من مُلوكِ زَمانه ، كالفَقيه المُعافَى بن عَمْرَان والأَميرِ المَهدي بن عزِ الدين الحَمزي ، ومَلَكَ ذي مَرْمَرة[1] والغُصَيْن[2] ، وأَطاعَهُ كُبراءُ أَهلِ الجوفَين ، ومَلَكَ

[1] - حصن مرمر : حصن تاريخي مشهور في منطقة بني حشيش من أعمال صنعاء ، وردت مرمرة خطأً ، وقد تكرر .

[2] - الغصين : هُم بني غُصين ومنازلهم في منطقة عتمة ، وهي من أعمال ذمار .

عزّان ، وذَمَار ، وصَنْعَاء ، وصَعْدَه ، وأَكثَرَ بلادِ خُبَان[1] و هنوة ، وصَبَاح ، ورَداع ، وغَزى بلادَ بَني طاهرِ مراراً ، واستَولَى على كثيرٍ من حُصونهم ، ومن إقبالِ الدُنيا عليهِ أَنَّ يهودياً جاءَ إليهِ وهوَ في حِصنِ هرَّان ، وما قَد مَلَكَ من البلادِ غيرَه ، فقالَ : " انْهَض مَعي وأقبِض صَنْعَاء ، فقَد انْقَضى الحِساب ، إنَّكَ تُصَلي الفَجرَ بمسجِد وَهْب[2] ، والظُّهرَ والعَصر بجامعِ صَنْعَاء ، والمغربَ بقَصرِ صَنْعَاء من غيرِ ضَربَة ولا طَعنَة " ، فقالَ لهُ : " وكيفَ والمدينَةُ وحُصونُها ودَوائرُها بيدِ زَيْد بن سَنْقَر " ، فقالَ لهُ الذِّمي: " أَنا أَسيرُ بينَ يَديكَ فإنْ اختَلَفَ من قَولي هذا شَيءٌ ، فدَمي لكَ هَدَر[3] " ، قَالوا : فسارَ من ساعَتِه ، وصَلى الفجرَ بمسجِد وَهْب بن مُنَبِّه ، فارْتاعَ أَهلِ المدينَة وداخَلَهُم الفَشَل ، ففَتَحوا لهُ البابَ فجاءَ وَقتُ الظُهرِ والعَصر وَقتَ المُشارَكَة ، فجَمعَ بينَ الصَلاتينِ في الجامعِ مُتوَجِهاً نحوَ القَصر ، وفي القَصرِ زَيْد بن قاسمِ سَنْقَر في عسكرٍ أَكثرَ من عَسكرِ الناصِر ، ففَشلَ العَبدُ وارْتاعَ وأَرسلَ إلى الناصرِ أَنْ يؤَمنَهُ وحاشيَتَهُ ، فأَمَّنَهُ فنَصَروا ، وما صَلى المَغرب والعِشاءَ إلا في القَصر ، واستَولَى من تلكَ الساعَة على بلادِ جَده أَبي أمه علي بن صَلاح ، وانفتَحَت لهُ البلاد ، ثُم انعكَسَت عليه أُمورهُ آخرَ مُدَته ، ففَرَّ من ذَمَار خَوفاً من بني طاهرِ إلى هرَّان ، ثُم خرجَ من هرَّان قاصداً صَنْعَاء ، وخالَفَ الطريقَ المُعتادَة ، ومالَ عَنها إلى طريقِ عُرْقُب[4] وهوَ وادي من جهة بِلادِ الحَدا[5] من أَرضِ مَذْحِج أَصالَة ، فغَدَرَ بهِ أَهلِ عُرْقُب بعدَ أَنْ أَضافُوه ، وقَبَضوا

---

[1] – خُبَان : منطقة معروفة إلى الجنوب الشرقي من يَريم ، وتضم بلدة الرضمة والسدة وغيرها .

[2] – مسجد وهب بن منبه : مكانه الآن وسط صنعاء القديمة في الطريق المتصلة بين باب اليَمَن وباب شعوب والمتقاطعة مع درب القَطيْع .

[3] – هذر : مُباح ، لا تُسأل عنه .

[4] – عُرقب : هو وادٍ في منطقة آهلة إلى الشمال الشرقي من ذمار ، ذَكرَه الهمداني في صفة جزيرة العرب .

[5] – بلاد الحدا : قبيلة من مذحج وتنقسم إلى عدة بطون ، وتشكل منطقة واسعة من أعمال ذمار .

عليهِ وسَلموهُ إلى الإمامِ المُطهر فحَبَسهُ بِكَوْكَبان ، حتى ماتَ هوَ وعبدُهُ المُسَمى عُبَيدُ الطاهري ، وكانَ ثالِثُهُما عبدالله بن محمد بن مُدَاعِس ، من أَهلِ صَعْدَه .

وقَد نَقَمَ بِثَأرِ هذا الإمامِ ابنُهُ المُؤيَّد محمد بن الناصر مَلِكُ صَنْعَاء بَعدَهُ ، فإنَّهُ غزا أهلِ عُرْقُب ، فقَتَّلَ منهُم قتلاً ذَريعاً كادَ يَستَأصِلُ جمعَهُم ، فقالَ في ذلكَ السيدُ العلامَة محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوَزير ، القَصيدَةَ المَشهورَة في ذلكَ أوَلُها :

نَقَمتَ بِثأَرِ الدينِ أَهلِ عُرْقُبِ … وأَشبعتَ منهُم كُلَ طَيرٍ بِموقِبِ

و صبحتَهُم بالمُرهفاتِ و بالقَنَا … و قُدتَ إليهم مَوكباً بَعد موكبِ

يَدينُونَ أَنَّ الغَدرَ عارٌ و سُبةٌ … و يستنكرونَ العيبَ من كُلِ أَعيَبِ

فَلا عيبَ إلا دُون عيبِ ابْنِ راشدٍ … و أَعوانه الأَشرارِ من أَهلِ عُرْقُبِ

تَوالَوا على فِعلِ القبيحِ وأَجمعُوا … على الغدرِ بالملكِ الأَغَرِ المُحجبِ

حَميدِ السَجايا الناصرِ بنِ مُحمدٍ … وغَوثِ البَرايا في الزمانِ المُقطبِ

هُمُوا نَقَضوا الأَيمانَ مِن بعدِ عَقدِها … وحَلوا عَنِ الأَيمانِ مِن غيرِ مُوجبِ

و هُم ساعدُوا عَمْرَان فيما يُريدُهُ … وعَمْرَان صَرفٌ في ضَلالته غبي

فَقلنا لهُم في مَنطقِ الغيبِ ثائرٌ … ولكنْ لا تَدرونَ ما في المُغَيبِ

مُؤيدُ دينِ اللهِ جاءَ منْ ذَمارِه … وواسطةُ النُقصانِ مِن خَيرِ مَنصبِ

– وهيَ طَويلَة –

ورَجَّحَ لَهُم ذلكَ فَقيهٌ كانَ مُعتَقَداً لَدَيهم من أَصحابِ الإمامِ المُطهر ، فبَقِيَ الناصرُ مَحبوساً من سنةِ ست وخمسين إلى أَنْ تُوفيَ في سنةِ ستين وثمانمائة بكَوْكَبان في الأَسْر ، ونُقلَ إلى صَنْعَاء ، وقُبرَ بقُبةِ الإمامِ صلاحِ الدين وأَولاده الذينَ مَلَكوا صَنْعَاءَ بَعدَهُ ، وسيَأتي لَهُم ذِكرٌ قَريباً إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وقَد ذَكَرنا وَفاةَ الإمامِ المُطهرِ في تَرجَمته .

وكانَ بَعدَهُ دَعوَةَ السَيدِ العلامَة محمد بن يُوسُف بن صلاح بن المُرتَضى بن الحَسَن ابن علي بن المنصور بن المفضل بن الحَجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يُوسُف الدَاعي بن يحيى بن أَحْمَد بن الناصر بن الهادي عليه السلام .

كانَ هذا السيدُ العالمُ بمَكانٍ منَ شَرَفِ النسَبِ بحيثُ لا يختَلفُ فيه اثْنان ، ولكنَ عُلماءَ وَقته عَابوا بَقائَهُ عندَ دَولَةِ صَنْعَاء مُخالطاً لَهُم ، فلَم يَلتَفت إليه إلا القَليل ، ومَالُوا عنهُ إلى الإمامِ الأَعظَمِ الهادي لدينِ الله عز الدين بن الحَسَن ، إلا أَشْرافَ صَعْدَه الحَمزات ، فإنَّهُم أَقامُوا لهُ الخُطبَةَ بُرهَةً من الزَمان ، فقامَ بالأَمرِ الإمامُ الهادي عز الدين الحَسَن بن الإمامِ الهادي علي بن المُؤيَّد بن جبريل بن أَحْمَد بن الأَميرِ الكَبير شَمسِ الدين يحيى بن أَحْمَد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحَسَن بن عبدالله المُعتَضد ابن قاسمِ المُختار بن الناصر أَحْمَد بن الهادي إلى الحَق يحيى بن الحُسَيْن عليه السلام .

وكانَ دَعوَتهُ عليه السلام تاسعَ شهرِ شوال سنةَ ثمان وتسعين وثمانمائة ، وقيلَ سنةَ تسعٍ وتسعين وهوَ الأَصَح ، وكانَ مَولِدهُ لعَشرِ ليالٍ بَقينَ من شَوال سنةَ خمسٍ وأَربعين وثمانمائَة ، وأُمهُ الشَريفَةُ المُكرَمةُ ماريَة بنتُ الأَميرِ محمد بن يحيى عَيْشَان ، وهذا الإمامُ قَد كانَ أَحاطَ بالعلومِ مَعقولِها ومَنقولِها ودَالِّها ومَدلُولِها ، ولَهُ فطنَةٌ ثاقبَةٌ وأَنْظارٌ صافيَة ومُصَنفاتٌ في كُلِ فَن ، فهوَ يُعَدُ من مَفاخرِ اليَمَن ، ومَن رأَى أَنْظارَهُ واستَنْشَقَ عُرْفَ أَعطارِه ، عَلِمَ أَنَّ السُلالَةَ النبويَةَ أَهلِ كُلِ فَضيلَةٍ[1] ومَرتَبةٍ جَليلَة ، وأَجابَهُ أَكثرُ

---

[1] – لا بأس أن نؤصل قاعدة: العلوية الهاشمية والنسبة إليها شرفٌ لا يساويه شرف ومنزلة لا ترقى إليها منزلة ولكن بشرط التقوى والتأسي بسيرته ﷺ ، فإذا فسدت الثانية أصبح هذا الانتساب حُجَّةً على مدعيها والرسول ﷺ وآل البيت يبرؤون =

شيعةِ اليَمَن من المَغَارِب ، والظَواهِرِ ، وصَنْعَاء ، وذَمَار ، وبلادِ خُبَان ، وكانَت واجباتُ الزَيديَة[1] من يَنبُع ، والصفراء ، وخَيْبَر ، وبَدْر ، تَنساقُ إليه ، وكانَ الشَّريف محمد بن بَرَكَات شَريفَ الحَرَمين وأَولادُهُ يُوفرونَ واجباتِهِم إليه لاعتقادهم إمامَتَه ، وارتَحَلَ الإمامُ عزُ الدين ، وأَخَذَ عن المُحَدثينَ في تَهَامَة ، منهُم الفَقيهُ يحيى بن أَبي العامِري ، سَمِعَ عليه الأُمهات ، وأَجازَهُ في جميعِ مَروياته ومَسموعاته ، وصَنَّفَ الإمامُ عزُ الدين قَبلَ أَنْ يَبلُغَ عُمرهُ العشرينَ سنةً (شَرحاً على منهاجِ القُرَشي في الأُصول) ، ولهُ مُصنَفاتٌ كثيرةٌ في علومٍ شَتى ، مثلَ (كَنْزِ الرشاد) ، و (العنايَة التامَة) ، واشتَغَلَ في آخرِ عُمرِه بشَرحٍ على (البَحرِ الزَخَّار) ، واستَحضَرَ كثيراً من الكُتُبِ ، وبَلَغَ فيه إلى الحَج ، وعاقَهُ الأَجَلُ المَحْتوم .

وكانَ من جُملَة مَن قَرأَ عليه الإمامُ المَنصور بالله محمد بن علي السَّراجي الوَشَلي ، ولَم يَزَل الإمامُ عز الدين عليه السلام قائماً بأَمرِ الإمامة ناظرًاً في مَصالحِ المُسلمينَ وشجًّا[2] في قُلوب المُعتَدين ، فتُوفيَ في ثالثِ وعشرينَ شهرِ رَجب سنةَ تسعمائة ، وعُمرهُ خمسٌ وخمسونَ سنةً ، وقُبرَ بقُبة جَده علي بن المُؤيَّد بوَصيَة منه .

ودَعا بعدَ وَفاته ابنُهُ الإمامُ الناصرِ لدينِ الله الحَسَن بن عزِ الدين في تاسعِ وعشرين من شهرِ رَجب من السَّنة المذكورَة ، وكانَت دَعوَتهُ في كحْلان تاجِ الدين ، وتَلقبَ بالناصرِ ، وبَثَّ دَعوَتهُ في البُلدان ، وذلكَ في مُدة الصُلحِ الذي وَقعَ بينَ والِده وبينَ الأَميرِ محمد بن الحُسَيْن ، فحينَ وَصلَت دَعوتهُ صَعْدَه فَرِحَ بها الأَميرُ محمد بن الحُسَيْن وزادَهُ في مُدةِ الصُلحِ خَمسَ سنين ، وأَثبَتَ الخُطبَةَ للإمامِ الحَسَن ولَم يُثبِتها لوالِده ،

= منه ، انظر إلى قوله ﷺ : يا فاطمة سليني ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً . فإذا كان هذا الكلام لفاطمة عليها السلام فكيف بمن بعدها .

[1] – واجبات الزيدية : هي الزكوات و الخمس التي تقدم من الرَعية للإمام كل عام .

[2] – شجا : قال الخليل الشجا: ما نشب في الحلق من غصة أو عود ونحوهما ، ومفازة شجواء أي صعبة المسالك .

وأَطاعَهُ جُل الشيعَةِ ووَصلَ إليهِ إلى كحْلان تاجِ الدين كثيرٌ منهُم ، فأَجَلَّهُم وأعطاهُم عطاءً واسعاً.

واستَمَر الناسُ يَفدونَ عليهِ سامعينَ مُطيعينَ خَلا جَماعَةً من آلِ المُؤيَّد ، وصَلوا إليه فأَكرَمَهُم وطَلَبهُم البَيعَةَ فتعَصَبوا ، فعَلم بهم جَماعةٌ من شيعَةِ المَغارب والجهة اليمانيَة ، فراسَلوهُم وفَرَضوا الأَمرَ وكَثُرَ ظُهورُ الإختلاف ، وأَعْمَلَ القاضي محمد بن أَحْمَد بن مُظفر الحِيَلَ في توقيفِ مَن عَلِمَ منهُ إرادةَ النُهوض[1] إلى الإمامِ الحَسَن ، ومَنّاهُم الأَماني ، فأَمَّا الجهةُ الصَعْديَةُ وبلادُ خَولان ، وأَكثَرُ بلاد القبلَة[2] فأَطاعَهُ أَهلُها وبايَعوهُ وشايَعوه ، إلا أَنَّ عَمهُ صَلاح وأَولادَهُ عارَضوه ، ولَما دَعا الوَشَلي بايَعوهُ وتابَعوه ، وأَقطَعَهُم بلادَ الشرق ، ومن حينِ دَعا الوَشَلي قَلَّت أَرزاقُ الإمامِ الحَسَن وأَفْنَى ما قَد كانَ جمعَهُ والدهُ من بُيوتُ الأَموال .

والذي عارَضَهُ هوَ الإمامُ الأَعظَم محمد بن علي بن محمد بن أَحْمَد بن علي بن أَحْمَد بن الإمامِ يحيى بن محمد بن أَحْمَد بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الحَسَن بن زَيْد بن الحَسَن بن علي بن أَبي طالب ﷺ ، فإِنَّهُ إدَّعى عُقَيب دَعوَة الحَسَن بن عزِ الدين بمقدارِ ثلاثة أَشهر في وادي ظَهْر من أَعمالِ صَنْعَاء ، وكانَ مُبَرزاً في العُلوم ، ولهُ في أُصولِ الدينِ تَصانيفُ منها مُصنفُ الطيف ، ولَما تَضَلَّعَ من العُلوم انتَشرَ ذِكرُهُ في الآفاق وغَطى في الكَرمِ المُطلَقِ على أَهلِ عَصره ، وفاقَ مَكاناً لا يَحفَظُ دِرهَماً ولا دِيناراً ولا مَلَكَ خِزانَةً لِبيتِ المال ، وإنَّما كانَ صُندوقهُ بيت مشطه[3] ،

---

[1] – طلب الإمامة والخروج على الإمام القائم الموجود في حينه ، تَعَدَّدَ عملياً في المذهب الزَيدي وسالت الدماء ودمرت مدن ، وهذه من سُنن التدافع والصراع على السلطة .

[2] – بلاد القبلة : البلاد الشمالية باتجاه الكعبة المشرفة .

[3] – بيت مشطة : كناية عن عدم حرصه على جمع المال وأن ما جاءه ينفقه مباشرةً .

ولَم يُعمر داراً ولا غَرسَ غَرساً ولا تَزَوجَ على أُمِ ولَدِه يحيى ، فلذلكَ مالَ إلى القَولِ بإمامَته أكثرُ أَهلِ اليَمَن ، إلا مَن كانَ بايَعَ الإمامَ الحَسَن من أَهلِ صَعْدَه .

وكانَ الإمامُ الوَشَلي مُقيماً في ذَمَار ، مُفيداً للطَلَبة في كُلِ علم ، فوَقعَ منهُ قَدْحٌ في جانِبِ السُّلطان عامر بن عبد الوهاب في كِتابٍ كَتَبَهُ إلى صَنْعَاء فيه طَعنٌ عليه ونَسْبَهُ إلى الظلم ، فأَخافَهُ عاملُه ، فانتَقلَ إلى صَنْعَاء فزادَت مَحبتُهُ في قُلوبِ الناس لمُبايَنَته لبَني طاهِر ، فدَعا كما ذَكَرنا فلَما استَولَى على أَكثرِ البِلادِ عادَ إلى ثلاء ، فلَقيَ في طريقِهِ أَهلِ قَريةٍ يُقالُ لَها حَجَر سَعيد[1] ، وهُم من حِزبِ الباطِنيَة وكانَ صاحِبُ حِصنِهم من قُطاعِ السَبيل ، فأَخذَهُ الإمامُ وأَخربَ الحِصنَ وقَتلَ صاحِبَه الظالم ورَجلاً آخرَ معَهُ ، فتَقَوت هَيبَةُ الإمامِ الوَشَلي في القُلوب .

وفي أَوائِلِ شهرِ رَجَب من سنةِ إحدَى وتسعمائة وَقَعَ الإتفاقُ بين الإمامِ الوَشَلي والإمامِ الحَسَن في بعضِ بِلادِ الشرَف ، فلَم يُسَلِّم أَحدُهما للآخَر ، وبَقيَ الوَشَلي حاكِماً على كُحْلان وأَمرُهُ يَقوَى حتى أَخذَ ثلاثَةَ حُصونٍ هُناك ، ثُم ارتَفَعَ ولم يَفتح كُحْلان ، ثُم بعدَ مُدةٍ اشتَراهُ بِمالٍ كَثير .

وقَد انتَهى الحالُ منا إلى ذِكرِ هؤُلاءِ الأَئمَة سلامُ الله عليهم ، و القَصْدُ في جميعِ هذه النبذَة والإشارَةُ إلى أَحوالِ الجهةِ اليَمَنية ، وقَد ذَكَرنا دَولَةَ بني رَسول ، من أَولها إلى انقطاعِها ، و مَن مَلَكَ اليَمَن مِن بَعدُ إلى أَنْ يَنتَهيَ غَرضُ السائِلِ بِمعونَة الله ولُطفه وتَيسيره .

وقَد ذَكَرنا انتِهاءَ دَولَةِ بني رَسول في سنةِ ثمان وخمسين و ثمانمائة ، وكانَ قَد عَظُمَ شأنُ بني طاهِر لَما ضَعُفَت الدولَةُ الرَسولية ، فتَلقبَ علي بن طاهِر بالَملك الُمجاهد ، وتَلقبَ أَخوهُ عامِر بالملكِ الظافِر ، ثُم أَنَّهُما نَزَلا من بلادهما إلى عَدَن ، وقَد قَرَّرَهُ أَهلِ

[1] – حجر سعيد : قرية في وادٍ ذو غيول (ينابيع) في (مديرية) همدان إلى الغرب والشمال الغربي من صنعاء بجانب الطريق الواصل بين صنعاء وكوكبان .

القواعد بينهُما وبينَ أَهلِ البلَد ، فلَم يَحل بينَها و بينهُما أَحَد ، وذلكَ بَعدَ سَعيٍ شَديد قَدَّماهُ إلى أَهلِ ادراها[1] ، فدَخلَها الملكُ المُجاهد علي بن طاهِر ليلةَ الجمعةِ الثالثَة والعشرون من شهرِ رَجَب الفَرد سنةَ ثمان وخمسين وثمانمائة ، ورَقا إليها من السُورِ ليلاً بالحِبال ، في جماعَةٍ قليلَةٍ من عَسكرِه من جانب حِصنِ التَّعْكَر[2] ، ثُم دَخلَها أَخوهُ الظافِر صُبحَ يومِ الجُمعةِ من بابِها هوَ وباقِي العَسكَر فاستَولَيا علَيها وعلى حُصونِها ، ورَتَّبا فيها من ثِقاتِهما ، وكانَ المُؤيَّد بن الطاهِر الرَسولي بها ، فأَحسَنا إليه ولَم يُغيرا عليهِ وجَعلاهُ في بَيتٍ ، وأَجرَيا عليهِ النَفَقةَ وأَخَذا ما كانَ معَهُ من آلةِ المُلك من الدُروعِ والطَبلَخانات والخَيل ، وأَما المَلكُ المَسعود فقَد كانَ خرجَ من عَدَن كما ذَكَرنا في أَخبارِ بَني رَسول ، وسارَ إلى العَارَة[3] ، ثُم إلى خَنْفَر[4] ، واستَجارَ بها عندَ بعضِ مَشايخِها نحوَ شَهرين ، ثُم خرجَ إليهِ العَسكرُ العَبيدُ من زَبِيْد ، وأَرادوهُ على دُخولِها معَهُم ، فاستَوثَقَ منهُم بالأَيمانِ ودَخلَ معَهُم في شهرِ رَمضان ، فأَقامَ فيها إلى آخرِ شهرِ شَوال ، وأَرسَلَ إلى الشيخِ عبدالله بن أَبي السُرور صاحِب هَقْرَة ، فجائَهُ فخرجَ بِصُحبَته إلى تَعزْ ، فلَما صارَ بجيشٍ خَلَعَ نفسه فرَجعَ العبيدُ إلى زَبِيْد ورَجعَ المَسعود إلى هَقْرَة فأَقامَ مُدةً ، ثُم رَحَلَ إلى مَكَّة المُشرَفة .

فلَما خَلَعَ المَسعودُ نَفسهُ ، راسَلَ كُبراءُ أَهلِ زَبِيْد الملكَ المُجاهد علي بن طاهِر إلى عَدَن ببَذلِ الطاعَةِ وتَسليمِ الأَمرِ إليهِ ، وكانَ قَد قَبضَ حِصنَ التَّعْكَر في ذي القعدة ، بعد أَنْ أَخرَجَ جَيَّاش بن سُليمان مَطروداً هوَ ومَن معَهُ ، فاستَقَر بموضع وكاتَبَ العَبيدَ لِيأَذَنوا لهُ بِدُخولِ زَبِيْد ، فرَضيَ بَعضُهم وكَرِهَ بَعض ، ومِن الراضِينَ بِدُخوله يُوسُف

---

[1] – أدراها : هكذا وردت في المخطوط ، وفي المطبوع (أداكها) لعله أراد أَهلَ المنطقة .

[2] – حصن التعكر : أحد حصون عدن وهناك اسم التعكر في أماكن أخرى ولكن المراد هنا الذي في عدن .

[3] – العارة : بلدة في (مديرية) طور الباحة من أعمال لَحْج .

[4] – خنفر : بلدة دارسة إلى الجنوب من بلدة موزع في جنوب سهل تِهَامَة ذَكَرَها الجندي في كتاب السلوك كما ذَكَرَها ابن الديبع في كتابه بغية المستفيد كما ذَكَرَها أيضاً الشرجي في طبقات الخواص .

ابن فُلفُل ،فأدخلَهُ زَبيْد على كُرهٍ من الآخَرين ، فلَما استَقرَّ بها أَظهرَ العَبيدُ النصْح ، فأَمَّنُوهُ فكَتبَ إلى المَلك المُجاهد يُخبرُهُ باختلالِ من العَبيد وضُعف شَوكَتهم ، فكَتبَ إليه يأَمُرهُ بالإفسادِ بينَهُم وتَفريقِ كَلمَتهم ، فلَم يَزَل يُعملُ الحيلَةَ حتى أَطاعَهُ بعضُ العَبيدِ وحلَفوا لهُ ، فلَما استَوثَقَ منهُم راسَلَ الملكَ المُجاهد معَ جَماعةٍ من كُبراءِ البَلد وقُضاتِها وعُلمائِها ، فخرجَ الملكُ المُجاهد من عَدَن ثالثَ شهرِ شَوال من سنة تسعٍ وخمسين وثمانمائَة إلى بلَده جُبَنْ[1] ، فجَمعَ الجُنْدَ ثُم نَزلَ إلى تَعزْ ، واستَدعا بالعساكرِ ، فوَصلَهُ إلى تَعزْ القرْشيون ، وكانوا يَومَئذ في غايَةٍ من القوة والكَثرَة واجتماعِ الكَلمَة .

وكانَ الشيخُ إبراهيم بن عمر صاحبُ الحُدَيْدَة قَد خالَفَ هوَ وجَماعةٌ من العَرب عن الطاعَة للمَلك المُجاهد ، ثُم نَزلَ الملكُ المُجاهد من تَعزْ على طَريقِ مَوْزَع ، ثُم نَزلَ إلى حَيْس لَيلةَ عيدِ الأَضْحى فاشْتَد ضيقُ مَن بَقيَ من العَبيدِ في مدينة زَبيْد ، فلَما أَظلَمَ الليلُ تَسوَّروا الدَرب وخرَجوا ، وكانُوا يُعرفُونَ بعبيد فَشَل ، فأَولَ صُبْحِ تلكَ الليلَة جَمعَ جَيَّاش أَكابرَ العَبيد وأَمرَ مُنادياً يُنادي في البَلد بأَنّها للمَلك المُجاهد ، فأَنْكرَ البَاقونَ من العَبيد ذلك ، فاجتَمَعوا إلى مَنزِلِ جَيَّاش مُنكرينَ لما فَعلَه ، وكانوا نَحواً من أَربعمائَةٍ وفيهم جَماعةٌ من رُؤسائِهم ، فطَلَبوا الدخولَ عليه فدَخلَ من رُؤسائِهم جَماعَةٌ فيهم واحدٌ يُعرفُ بفَرَج خَيري ، فقالَ لجَيَّاش : " من أَذنَ لكَ بهذا النداء " ، وأَرادَ إثارَةَ الفتنَة ، فأَمَرَ جَيَّاشُ إخوتَهُ إسماعيلَ والصِّديق بضَربه فَضُربَ بالسَيف ، ثُم طُرِحَ من طاقَة الدارِ إلى أَصحابِه ، فانهَزَمُوا لا يَلْوي أَحدٌ على أَحَد ، ثُم قُبضَ على بعضِ رُؤسائِهم العَبيد ، فتَفَرقَ العَبيدُ وتَشتَتوا ، وكانَ ذلكَ يومَ الجُمعة ثانيَ عيدِ الأَضْحى .

[1] – جبن : بلدة مشهورة من أعمال رداع وهي اليوم من أعمال الضالع ، وكانت عاصمة للدولة الطاهرية في القرن التاسع الهجري .

ومنَ العجائب[1] أنَّ الخَطيبَ يومَ الخميسِ يومَ العيدِ الأَضْحى خَطَبَ للمَلك المُؤيَّد حُسَيْن بن الطاهر الرَسولي ، ويومَ الجُمعة خَطَبَ للمَلك الظَّاهر الظافري ، وكانَ المُجاهدُ حُسَيْن مَلَكَ عَدَن والمُؤيَّد بها كَما قَدمْنا ، وكذلكَ حينَ مَلَكَ زَبيْد والمُؤيَّد بها ، فأَحسنَ إليهِ في المَرَتين ، ثُم إنَّ المُجاهد دَخلَ زَبيْد يومَ السبت ثالثَ عيدِ الأَضْحى من سنةِ تسعٍ وخمسين وثمانمائة بغَيرِ قتال ، وكانَ في صُحبَته ابنُ أَخيه محمد بن داوود ، والفقيه العلامَة يُوسُف المُقْري ، ودَخلَ القرْشيون زَبيْد ، فانتَشَروا في البِلاد لنَهب بيوتِ العَبيد وبيوتِ غَيرِهم ، فعَلِمَ جَيَّاشُ بذلكَ فَحضَّ العامَّة على دَفعِهم ، فثارَت العامةُ يَقتُلونَ ويَسلبون ، فقَتَلوا نَحوَ خَمسةَ عشرَ رَجلاً ، وانْتَهى الكلامُ إلى المَلك المُجاهد فأَذنَ لَهُم بالخُروجِ فخَرَجوا ، ثُم كانَ بينَ الملكِ المُجاهد والمَغاربَة حُروبٌ كثيرَة ، ووَصلَ إلى زَبيْد أَخوهُ المَلكُ الظافِر عامر بن طاهر ، فأَقامَ أياماً ، ثُم طَلَعَ بصُحبَةِ أَخيه إلى تَعزْ ، وتَجهزَ أَبو دُجانَة محمد بن سعيد بن فارس صاحبُ الشِّحر[2] إلى عَدَن ، في عِدةِ مَراكِب يُريدُ الإستيلاءَ علَيها ، فتَلقاهُ الملكُ الظافِر ، فخرجَ بعسكَرِه من بابِ البر ، فأَخَذَ أَبا دُجانَةَ أَسيراً ، ودَخلَ به إلى عَدَن ، وأَسرَ مَعَهُ جَماعةً من أَعوانه .

وأَولَ سنةِ اثنينِ وستين وثمانمائَة نَزلَ الإمامُ الناصِر محمد من صَنْعَاء فتَلقَّاهُ الملكُ الظافِر ، ثُم وَقَعَ بينهُما صُلْح ، وفي ذي القِعدة منها أَخَذَ الشيخُ عبدُ الوهاب بن داوود عِدَّةَ حُصونٍ لِبَني الحُبَيشي .

---

[1] – هذه ليست من العجائب : كلاهما من هذه الأمة وكلاهما صاحب إرادة ، المهم أن لا يستقوي أحدهما على الآخر بالأجنبي .

[2] – الشحر : من مدن ساحل حضرموت ذَكَرَها با مخرمة وقال سميت بالشحر لأن سكانها كانوا يسمون بالشحرات ثُم تحول اسمها إلى الشحر بعد مُدة ، وكانت منارة علم وقد اشتهر من أبنائها عدد كبير من العلماء .

وفي سنةِ أَربعٍ وستين وثمانمائَة استَمَرت الخُطبَةُ وضُرِبَت السِّكَّةُ للملكِ المُجاهد ، بَعدَ أَنْ كانَ ذلكَ بإسمِ الظافِر عامِر بن طاهِر ، وفيها وَصلَ الإمامُ الناصِر محمد لصَنْعَاء في عَساكرَ كَثيرَةٍ إلى جهةِ بني طاهِر ، فلَقيهُ الظافِر في مَوضعٍ يُسَمى رفع[1] ، فاستَظهَرَ الناصِر ووَقَعَ في جانبِ عامِر بن طاهِر هَزيمَةٌ كَبيرة ، قُتلَ فيها الشيخُ محمد بن طاهِر في جماعَة ، وقُتلَ من أَهلِ صَنْعَاء جماعَة .

وفي رَجب من سنةِ خمسٍ وستين وثمانمائَة استَولَى المَلكُ المُجاهد على ذَمَار ، وخرجَ الناصِر منها إلى هِرَّان ، ثُم تَوَجهَ إلى صَنْعَاء فأَسَرَهُ أَهلِ عُرْقُب كَما قَدَمنا في تَرجَمته .

وفي سنةِ ستٍ وستين وثمانمائَة تَجَهزَ الملكُ الظافِر إلى الشِّحر في عَسكرٍ كثيرٍ فمَلَكها ودَخلَها أَولادُ الشيخِ عبدالملك بن داوود فنَهَبَها نَهباً شَديداً ، ثُم دَخلَها الظافِر وأَمَرَ بالكَف عن النَهب ، ووَلَّى فيها وَالياً من جِهته وتَوَجهَ إلى عَدَن ، فلَما وَصلَها جاءَهُ الخَبرُ بأَنَّ الناصِرَ أَخذَ مدينَةَ ذَمَار ، وكانَ الشيخُ عبدالوهاب فيها فتَحَيزَ إلى نَواحيها ، إلى أَنْ وَصلَ عَمهُ فاستعادَها وأَخرَبَ القَصرَ ونَهَبَت عساكِرهُ البَلد ، وحُوصِرَ الناصِر في هِرَّان حتى خرجَ منها ، ووَقَعَ أَسرُهُ كَما قَدَمنا .

وفي شَوال استَولَى الظافِر على صَنْعَاء طَوعاً ودَخلَها في سنةِ سبع وستين وثمانمائة ، ثُم دخلَها الشيخُ عبد الوهاب بن داود من جِهةِ عَمه ، وكانَ فيها من قِبَلِ السيدِ المُؤيَّد محمد بن الناصر ، تَولى بَعدَ أَبيه ، وكانَ صغيرَ السِّن لَكنَهُ كامِلُ العَقلِ حَسَنُ التَدبيرِ مُحبَباً إلى الناسِ حَسَنَ السيرَةِ في رَعيَته ، فلَما حَطَّ عليها عامِر بن طاهِر ، وضَعُفَ أَهلُها من الحِصارِ ، تَرَجحَ لهُ بَيعُها من عامِر بِمالٍ كَثيرٍ وشَرَطَ عليه أَنْ يَبقَى في دارِه في صَنْعَاء ، ويَبقَى في حُصونِه ذي مَرْمَر ، والغُصَيْن بيدِ أَصحابه ، ويَبقى في المدينَةِ من جُملَةِ أَهلِها ، واشتَغَلَ بِدَرسِ العُلومِ في جامِعهُا .

---

[1] - رفع : لم أجده لعله موقع من أعمال ذمار بين صنعاء ورداع .

وفي سنة ست وستين وثمانمائة سَوَّلَت لعامر بن طاهر نَفسُهُ نَقضَ ما انبرَمَ بينَهُ وابنِ الناصر[من عهود][1] ، وأنَّ وقوفَهُ في صَنْعَاء مَفسَدةٌ ولا يُؤمَنُ منهُ استعادَتُها لنفسه ، وأنَّ الرأيَ إنزالُهُ إلى تَعزْ ، فكَتبَ إلى عامله بصَنْعَاء وهو النَقيبُ محمد بن عيسى البَعْدَاني ، وقالَ لبعضِ خَواصه : " أخبر السيدَ المُؤيَّد بما استرجَحهُ السُّلطان " ، فأَخبَرَهُ وأَمهَلهُ أياماً يَتأَهَبُ فيها للمَسير ، فخافَ السيدُ المُؤيَّد أنَّهُ إذا وَصلَ تَعزْ حَبَسهُ وخَلَّدهُ هنالك ، وكانَ حِصنُ ذي مَرْمَر في يَد أَصحابه وفيه خادمهُ محمد بن عيسى شارب ، فأَرسلَ إليه المُؤيَّد يَستغيثُهُ في خلاصه[2] ، فوَصلَ شارب صَنْعَاء .

وكانَ من التَيسيرِ أَنَّ عاملَ عامرٍ خرجَ من صَنْعَاء يَستَخلصُ الحُقوقَ[3] ، وفَرَغَت المدينَةُ من أَكثرِ الجُنود ، ولَم يَكُن قَصْدُ شارب عندَ وصوله صَنْعَاء إلا الفرارَ بسَيده ، فلَما استخرجَه وأَركَبهُ مُتَوجهاً إلى ذي مَرْمَر ، انتَشرَ الخَبرُ في المدينَة ، فجاءَهُما أَهلِ صَنْعَاء يُهرَعون ، وقالوا لِشارِب : " لا يَخرجُ المُؤيَّد ونَحنُ مَعكُما على جُنْد بني طاهر " ، ثُم انْثَالوا على بيت ابن الكواز أَحَد خَواصِ عامر والذي سَعَى في تَسليمِ صَنْعَاء إليه ، وكانَ عِندهُ أثيراً لأَنَّهُ الذي مَلَّكهُ صَنْعَاء ، فاجتَمَعوا على دارِ الكواز وكَسَروا بابَها وانتَهَبوا ما فيها ، وكانَ فيها لعامرَ ولِلكوازِ أَموالٌ عَظيمَة ، فمَا تَمَّ نَهبُ بيتِ الكواز إلا وقَد اجتَمعَ أَهلِ صَنْعَاء بأَسرِهِم ، وقَصَدوا القَصرَ فطَلَبَت الرتْبَةُ الذي فيه الرِّفاقة[4] من أَهلِ صَنْعَاء فرَتبوهُم فخَرَجوا ، ومن ذلكَ الوقتِ ثَبتَت بيد ابن الناصر صَنْعَاء ، فلَما وَصلَ الخَبرُ إلى عامر بن طاهرِ باستيلاءِ ابن الناصرِ على صَنْعَاء أَقامَه وأَقعَدَهُ وشَنَّ الغاراتِ عليهِما .

---

[1] – [من عهود]: لم ترد في المخطوط وإنما ذكرتها ليستقيم المعنى .

[2] – يطلب منه المساعدة والخلاص من جند بني طاهر .

[3] – يستخلص الحقوق : يجمع الزكوات والأتوات .

[4] – الرتبة : مجموعة من العساكر ، قصد هنا أن العساكر طلبوا أن يرفق بهم أهلُ صنعاء .

فلَما كانَت سنةُ سبعينَ وثمانمائة وَصلَ السُّلطانُ بجيوشٍ لا تُحصى ، وآلَوا[1] على صَنْعَاءَ من كُل ناحيَة ، وكانَت غَزوَتهُ تلكَ من عَدَن أبْيَن ، فوَصلَ قا ع[2] صَنْعَاء على حينِ غَفلَةٍ من أَهلِها ، وحينَ وَصَلوا وشارِب في جهةِ بلادِ حَضُوْر لاستِخلاصِ الحُقوقِ ، فأَرسلَ ابن الناصرِ إلى شارِب يَحُثهُ على الغارَة ، فأَغارَ سَريعاً والذينَ معَهُ لا يَعلَمونَ بالَمحطة على صَنْعَاء ، فلَما أَشرَفُوا على القاعِ رَأَوا ما هالَهُم وقَد انتَشَر الجَيش شبهَ الجَرادِ فأَحْجَمَ بعضُ أَصحابِ شارِب ، وعَدا شارِب في بعضِ الخَيل على المَحطَة وهُم عشرونَ فارساً وكانَت للمَحطة عَظَمَةٌ لا يُحصَى عَددُ خيلِها وسِلاحِها وأَموالِها[3] ، وفي وَقت حَملَة شارِب في مَحطَة عامِر .

وكانَ بابُ صَنْعَاء مُغلَقاً فأَقبَلَ أَهلِ صَنْعَاء إلى محمد ابن الناصر ، وقالوا افْتَح لَنا نُغيرُ على شارِب[4] فأَرواحُنا على روحِهِ صَدَقة ، ولا نَنْسى فعلَهُ مَعَنا واسترجاعَهُ صَنْعَاء لَنا ولَك ، فأَعطاهُم المَفاتيحَ فخَرجُوا على مَحطة عامِر ، فأَخَذوا أَكثرَ جمالِها وأَحمالِها ، وجاءَ من أَخبَرَ السُّلطانَ عامِر أَنَّ الجمالَ قَد دَخلَت صَنْعَاء مَطعومَةً مَغنومَةً ، فرَكبَ وقاتَلَ حتى سقَطَ مَيتاً ، فقيلَ ماتَ غَيظاً ، وقيلَ أَصابَهُ سَهمٌ غَرب[5] ، وعلى الجُملَة فلا يُعلَمُ سَببُ مَوتهِ في تلكَ الحال ، فلما قُتلَ فَشلَ أَجْنادُهُ وذُلوا ، فخرجَ بَقيةُ أَهلِ صَنْعَاء فقَتَلوا وانتَهَبوا ، فتَفَرق جُنْدُ عامِر وانهَزَمُوا لا يَلوونَ على شَيء .

و بعد قَتْلِ السُّلطان عامر بن طاهِر تَفرَّدَ بالُملك الُمجاهد علي بن طاهر ، فأَعرَضَ عن الفِتَنِ واقتَصرَ على بِلادِه وبلادِ أَخيه عامِر ، وتَركَ بِلادَ الزَيديَة وقتالَهُم ، وأَحسَنَ

---

[1] – والوا : استداروا وصنعوا طوقاً

[2] – قاع صنعاء : هذا المكان هو الآن الحديقة الواقعة أمام وزارة الخارجية وقاع العلفي .

[3] – قوات عامر (الدولة الطاهرية) .

[4] – نساعده ونغير على أعدائه .

[5] – غَرِب : طائش .

السياسَةَ وتَدبيرَ المَملَكةِ وبناءَ المساجدِ والربَط[1] ، وعَودَ العَوائدَ وأَعطَى العَطايا المُستَكثَرةَ ، وفي شهرِ ربيع من سنة اثنين وثمانين وثمانمائة ، كانَت وَقعَةُ جَازان المَشهورَة ، وذلكَ أنَّ الشَّريف المُعظَّمُ محمد بن بَرَكَات وَقعَت بينَهُ وبينَ الشَّريف أَحْمَد بن دُرَيْب أَميرُ المِخْلاف السُليماني مُنافَسَةٌ بِسببِ مَشهور ، فتَجهزَ صاحبُ مَكَّة في عَسكرٍ عظيم ، ومعَهُ ظعنه[2] وسَراريه كَما صَحبَنَهُ في الحَج ، فوَصلَ إلى وادي جَازان فتَرَددَت الرُسلُ بينَهُما ، فلَم يَنتَظِم الحالُ فوَقَعَت بينَهُما وَقعَةٌ عَظيمَة انهَزمَ صاحبُ صَبْيا[3] فيها ، قُتِلَ كثيرٌ من أَصحابهِ واستَباحَ صاحِبُ مَكَّة جَازانَ وأَحرَقَها ، وجَرا على أَهلها ما لا يَخطُرُ ببالِ أَحَد .

وفي أَواخرِ شهرِ مُحرم من سنة ثلاث وثمانين طَلَعَ الملكُ المُجاهد من عَدَن إلى بلادِه وقَد ابتَدَأَهُ المَرَض ، ثُم تُوفيَ ببلَدِه في ليلةِ السبت العاشرِ من شَهر ربيع الأَول من السَّنة المذكورَة ، وكانَ مُدةُ دَولتِه خمسٌ وعشرونَ سنةً إلا شهراً ، ولهُ في مُدنِ اليَمن مآثِرُ لَم تَكُن لغيرِهِ من المُلوك ، منها بناءُ مَسجد الأَشاعِرَة[4] بمدينَة زَبِيْد ، ومنها المَدرسَةُ الوَهابيَةُ بِهذه المدينَة ، ولهُ أَوقافٌ فاضِلَةٌ تَقومُ بأَودِ الطلَبَة وإنْ كَثُروا .

ووَلِيَ السَلطَنَةَ بَعدَهُ ابنُ أَخيه السُّلطان عبد الوهاب بن داود بن طاهِر ، وكانَ المَلكُ المُجاهد قَد عَقدَ لهُ بالسلطنَة في حالِ مَرَضه ، فخرجَ المَلكُ المَنصور عبد الوهاب بعدَ الإتفاقِ عليه لَيلَةَ وَفاة عَمه في مدينة عَدَن مُبادراً ، فدَخلَها ثالثَ عشر شهرِ ربيع الأَول بِعَمْوَةٍ ، من غيرِ أَنْ يَعلَمَ أَهلِ البلَد بوَفاة عَمِه ، ثُم سارَ المَلكُ المنصور إلى زَبِيْد

---

[1] – رباط العلم / أربطة / ، مراكز يجتمع فيها الطلبة ينهلون منها كافة أنواع العلوم وهي سكن لهم أيضاً ، وقد اشتهرت حضرموت والتهائم والمناطق التي تتبع المذهب الشافعي بهذه التسمية ، أما المناطق الشمالية التي تتبع المذهب الزَيدي فقد اشتهرت فيها هِجَرُ العلم .

[2] – ظعنه : قال الفيروز أبادي ، الظعينة : الهَوْدَجُ فيه إمرأة .

[3] – صبيا : سبق التعريف بها .

[4] – مسجد الأشاعر .

، فأَرادَ ابن عَمه يُوسُف بن عامر أَنْ يُخالفَ علَيه ، ورَجَا أَنْ يَجمَعَ معَهُ أَهلِ زَبِيْد ، فلَم يَنتَظِم لهُ حالٌ وآلَ أَمرُهُ إلى أَنْ يَجتَمِعَ بابنِ عمه الملك المَنصور ، ثُم سارَ مُغاضباً إلى مَكَّة المشَرَفة ، فأَكرمَهُ صاحِبُها الشَّرِيف الأَميرُ الكبير محمد بن بَرَكَات ،و طَلَبَ منهُ مُساعدَتَهُ على مَطلَبه في الخلافِ على ابنِ عَمه ، فلَم يُسعدهُ إلى هذا الأَمرِ ، فرَجعَ إلى نَواحي تِهَامَه ، فقَبضَ عليه الملكُ المَنصور وحَبَسهُ في رَدَاع حتى ماتَ في سنةِ خمس وتسعينَ وثمانمائة .

قالَ الحافظَ الدَّيْبَع في تاريخه[١] أَنَّ في ثالث شهرِ رَمضان الكَريم سنةَ ستٍ وثمانين ، احترَقَ الحَرَمُ النَبويُ بعدَ مُضي ثَلاث ساعاتٍ من اللَيل بسَبب صاعقَة وَقَعَت بعدَ مَطرٍ خَفيف ، فاحترَقَت المَنارَةُ التي تَلي الضَريحَ الشَّريف ، واحترَقَ جَميعُ الحَرَم حتى القُبة الشَريفَة ، واحترَقَت حواصلُ الحَرَم وخَزائنُ الكُتُبِ التي فيه ، وهَلَكَت فيه قَدرُ ثلاثَةَ عشرَ نَفساً ، فلَما وَصلَ الخبرُ إلى سُلطانِ الديارِ المصريَة قَايتْبَاي[٢] ، أَرسلَ الخواجَة أَزدَمر بمالٍ واسعٍ مُجَدداً ما احترَق ، وتَمَّ في أَقرَب مُدة .

وكانَ وَفاةُ الملكِ المَنصور عبد الوهاب بن داوود يومَ الثُلاثاء سابعِ جُمادى الأَول سنةَ أَربعٍ وتسعين وثمانمائة ، ثُم وَلِيَ بَعدَهُ الملكُ الظافِر صلاحُ الدين عامر بن عبدالوهاب بن داوود بن طاهِر[٣] ، وكانَ أَبوهُ عَقَدَ لهُ بالسَلطَنة في مَرَضه ، و دَخلَ الملكُ الظافِر تَعزْ سادسَ عشرَ شهر جمادى الأَول من سنة أَربعٍ وتسعين وثمانمائة ، ثُم اضطَرَبَ اليَمَن على السُّلطان عامر من حَدِّ بيتِ الفَقيه وزَبِيْد وغيرِها ، وعارَضَهُ في الجَبلِ ومَملَكته خالُهُ عبدالله بن طاهِر ، فكادَت مَملَكةُ بني طاهِر تَختَلِ لذلك ، ولكنِ

---

[١] – بغية المستفيد في تاريخ زبيد .

[٢] – قايتباي : سيف الدين أبو النصر ، من ملوك الجراكسة ، كان مملوكاً ترقى في الجَيش حتى أصبح قائداً (أتابك) ثُم خلع السُلطان وبويع بالسلطنة ولقب بالملك الأشرف ، كانت مدته حافلة بالحروب والفتن ، تُوفيَ بالقاهرة عام ٩٠١ هـ .

[٣] – الملك الظافر :يلقب بالظافر صلاح الدين ، وهو آخر سلاطين اليمن من بني طاهر ، توفي في جبل نقم قرب صنعاء إثْرَ حرب نشبت بينه وبين الجنود الأتراك عام٩٢٣هـ ، وبموته إنتهت دولة بني طاهر ومدت حكمهم نحو ٦٣ سنة .

كانَ في صَنْعَاء محمد بن الناصر المُكنى بالمُؤيَّد الذي مَرَّ ذكرُهُ ، فاستَشعَرَ الخوفَ من أَولادِ عامرِ بن طاهرِ المَقتولِ في قاعِ صَنْعَاء ، لأَنَّهُم كانُوا يَلهَجونَ بنَقمِ الثأرِ منه ، فأقامَ خاطِره مع عامرِ بن عبدالوهاب ، وكانَ يَسعى في تَسكينِ من أَرادَ مُناوأتهُ من الزَيدية وغيرِهم ، وبالَغَ في نُصرَتهِ قَولاً وفِعلاً ، وكانَ من ذَكرَ لهُ الخلافَ على طاهرِ زَجَرَهُ ووَبَّخه .

وقَد كانَ فَزِعَ عليهِ الناسُ والعُلماءُ والقُضاةُ كَونَ قَد لاحَت الفُرصَةُ باختلافِ بَني طاهرِ ، والتَّنازُعِ وقَالوا لهُ: " قَد استوَت لكَ البلادُ فَسر بنا نَستردُّ مَملَكَةَ أبيك ، فقَد اشتَغَلَ عنكَ الخُصومُ بَعضُهم بِبعض " ، ووَصلَ إليهِ أهلِ ذَمَار إلى صَنْعَاء وقالوا لهُ : " قد أخرَجنا عاملَ عامرِ بن عبدالوهاب عن المدينَة ، فأرسلْ مَن يَقبضُها لَك ، ونَحنُ نَسيرُ بينَ يَديكَ نَطوي بِلادَ بني طاهرِ " ، فقالَ لِبعضِ خَواصه : " سرْ معَهُم واقبضْ قَصرَ ذَمَار ، ولا تُحْدِث شَيئاً حتى يَأتيَكَ أمري " ، فلَما قَبضَ قَصرَ ذَمَار أَرسلَ إليه ابنُ الناصرِ أنك سَلِّم ما في يَدكَ إلى السُّلطانِ عامرِ بن عبدالوهاب ، فهيَ بِلادهُ وبلادُ أَبيه ، فما لَنا فيها رَغبَة " .

وبعدَ ذلكَ هابَ الناسُ عامرَ بن عبدالوهاب ، وكانَ عامر يُظهِرُ شُكرَ ابن الناصر ويَقول : " أنا لله ولمحمد بن الناصر ، لا أحرَمَني اللهُ جَزاءَهُ فَما حَفظَ عليَّ مُلكي إلا هوَ ، وجاءَ لي خَيراً من أهلي " ، وبعدَها ما زالَ ابنُ الناصرِ يَسعى في تَقويَة عامر حتى قَبضَ على أولادِ عامرِ المَقتول ، وفَرَّقهُم في الحُصونِ مَسجونين ، ثُم قَبضَ حُصونَ عامرِ بما فيها حتى فَتَحَ اليَمَن جَميعَهُ من عَدَن إلى أعمالِ صَنْعَاء ، وقد حَلفَ لإبن الناصر الأيمانَ المُغَلَّظَةَ لا يُنازِعهُ ولا يَأتيه مِن جِهتهِ شيءٌ يَكرَهُه ، وجَعلَ لهُ جزيةَ اليهودِ في عَدَن وغيرِها ، كانَت تَنساقُ لإبن الناصرِ ، وهيَ أموالٌ عَظيمَة ، وكانت بينَهُما مُهادَاة[1] ، وسَنَذكرُ قَريباً ما وَقَعَ من عامرِ منَ الغَدرِ ، حتى تَمكنَ وقَويَت يَدُه .

---

[1] – مهاداة : تبادل الهدايا .

وفي سنةِ أَربعٍ وتســعين وثمانمائة تُوفيَ الفَقيهُ الحافِظُ العلامَةُ يحيى بن أَبي بكر العامِري[1] الحَكَمي الشافِعي في مدينَةِ حَرَض ، ولهُ مُصنفاتٌ عَديدَةٌ وكُتُبٌ مُفيدَة .

قالَ بعضُ المؤرخين : " إنَّ عامِر بن عبدالوهاب لَم يَزَل يُزيلُ الشَواغلَ بينَهُ وبينَ صَنْعَاء ويَقرُبُ منِها وهو مُظهِرُ الصَداقَة بينَهُ وبينَ ابن الناصِر ، وكانَت الفِتَنُ في اليَمَن كثيرَةً ، والمَمالكَ مُتفرقَة .

(١) – الحافظ العلامة يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي : إمام مؤرخ كان محدث اليَمَن في عصره ، ولد ونشأ في حرض شمال اليَمَن من أرض تَهَامَة ، من كُتُبه بهجة المحافل في السيرة والشمائل (مجلدان) وله غربال الزمان في التاريخ ، والرياض المستطابة ، وله علمٌ بالطب .

ولَمَا دَخلَت سنةُ إِحدَى وتسعمائة كانَت اليَمَن شُعوباً وقَبائل ، وقاتلٌ ومَقتول ، وسَيفٌ وعَواسِل ، وكانَت التَّهائم واليَمَن الأَسفل مثلَ تَعزْ ، وعَدَن ، ولَحْج ، وأَبْيَن إلى رَدَاع تحتَ بَسطَةِ السُّلطان عامر بن عبدالوهاب ، وصَنْعَاء ومَخاليفها تحتَ يَد محمد بن الناصرِ المُؤيَّد ، وكَوْكَبان وما إليه تحتَ يد أَولادِ المُطهر محمد بن سليمان ، والشرَف ، والظَّواهر ، وصَعْدَه مُتفرقَةٌ بينَ آلِ المُؤيَّد ، والأَشراف آل المَنصور ، والإمامِ محمد بن علي الوَشَلي السِّراجي الذي مَرَّ ذِكرُهُ ، وكانَ السُّلطانُ عامر يُبغضُ الأَشْرافَ ويَميلُ إلى الإنحراف ، وهؤلاءُ بَنو طاهرِ يَنتَمونَ إلى بني أُميةَ فلذلكَ ظَهرَت منهُ تلكَ الأُمورُ التي خَسرَ بها دُنياهُ وآخرَته[1] ، سَنَذكرُ ما سَنَح .

وقَد نَسَبَهُم بعضُ أَهلِ التواريخِ فقَال : " هو عامر بن عبدالوهاب بن داوود بن طاهرِ بن مُعاوية بن تاجِ الدين بن مَعُوْضه بن محمد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن وهب بن حَرب القُرَشي الأُموي ، والظَّاهرُ أَنَّهُ لا حَقيقَةَ لذلك[2] .

وفي يومِ الإثنينِ ثامن المُحرم من سنة إحدَى وتسعمائة أَوقَعَ علي بن محمد البَغْدَاني مُقَدمُ السُّلطانِ عامر بأَهلِ تَعزْ من ناحيَة مُلُص[3] ، فقَتلَ منهُم سبعين ، وأَسَرَ أَربعين ، ثُم غَزاهُم الثاني وقَتلَ منهُم قَريب المائَة وانتَهَب بِلادهُم ، وأَرسَلَ بالأَسارى إلى عامر ، فأَطلَقَهُم السُّلطان .

---

(١) – الله وحده أعلم بآخرته .

(٢) – المؤلف – غفر الله لهُ – يتردد في الحكم عليهم ، مرةً يقول أنهم من بني أمية لذلك يبغضون الأشراف ولذلك ظهرت منهم تلك الأفعال المعادية للأشراف ، ولا علاقة لهذا بذاك فهذا صراعٌ على السلطة .

(٣) – مُلُص : قرية من بلاد عَنْس من أعمال ذمار ، أراد اتجاه الشمال من تعز باتجاه ملص .

وفي شَهرِ صَفَر من السَّنة المذكورَة قَدمَ بعضُ التجارِ الأعيانِ بكتابِ (فَتحِ البَارِي شَرحُ صَحيحِ البُخاري)[1] إلى مَدينَةِ زَبيْد ، وأَخرَجَهُ من البَلدِ الحَرام ، وهوَ أَولُ دُخوله اليَمَن .

وفي سنةِ اثنينِ وتسعمائَة قَدمَ إلى السُّلطانِ رَسولٌ من الخليفَةِ العباسِّي المُسَمى بالمُتوكلِ بهَدية سَنيَّة للسُلطان ، فقابَلَهُ بالإعزازِ والإكرام ، وهؤُلاء الخُلفاء بَعدَ أَخذ التَترِ لبَغداد ، دَفَعتهُم الرَزيَةُ إلى الديارِ المصريَة ، فكانَت أَحوالُهم بعضٌ منها العَجيب ، وما بَرِحُوا في الهَوانِ والذُل والإمتِهان[2] وأَوامِرهُم لا تَجري ، وسَيَفُ بَطشِهِم لا يَفري .

وكانَ السلاطِينُ في مِصرَ مِن الأَتراكِ بَني قَلاوون ، ثُم الشراكِسَة يَخطُبونَ لَهُم في الجُمَعِ ويَنتَمونَ إليهِم ، ولَيسَ لَهُم منَ الأَمرِ شَيء ، وإذا كَرِهَ السُّلطان من أمرِهِم شَيئاً خَلعَ الخَليفَةَ أَو قَتَلَهُ أَو سَمَلَهُ ، حتى دَخلَها السُّلطانُ العَظيم والخَنسَكانُ الفَخيم سَليم بايَزيد في سنةِ ثلاثٍ وعشرين وتسعمائَة ، فقَطعَ تِلكَ الأَحوالَ السَخيفَة ، وهذا عارِضٌ ذَكَرناه جَرَّنا إِليه وصُولُ الهَدية ، ولا يَخلو من فائدَة .

وفي سنةِ ثلاثٍ وتسعمائة تَوجهَ السُّلطان عامر [إلى] بلادِ يافِع لِذُنوبٍ صَدرَت منهُم ، وكانوا يَظنونَ أَنْ لَن يَقدرَ عليهِم ، ففَتحَ السُّلطانُ ديارَهُم وتَتبعَ أَثارَهُم .

وفي ليلَةِ الإثنينِ من السَّنة المذكورة تُوفيَ السيدُ العلامةُ حُسَيْن بن صديق بن حُسَيْن الأَهْدَل بمدينَة عَدَن ودُفنَ فيها .

وفي سنة خمس وتسعمائَة ظَهَرَ ببَيْحان يَهوديٌ يَلعَبُ على تلكَ البلاد ، فأَفْزَعَ السُّلطانَ فقَصدَه بنَفسه ، وكانَ هذا اليَهوديُ يَركَبُ الخَيلَ ولا يَرهَبُ اللَيل ، ويَخرُجُ

---

[1] – من تأليف الإمام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنةَ ٨٥٢ هـ .

[2] – بعد احتلال بغداد عام ٦٥٦ هـ على يد التتار وقتلهم آخرَ خلفاء بني العباس ، انتقل مُلْكُ بني العباس إلى مصر وأصبح وجودهم شكلياً ، فقط يدعى لهم على المنابر يوم الجمعة .

بالخُيولِ المُحَلاةِ والحَفَظَةِ الحُماة ، ويَتطاوَلُ على المُسلمين ويُكَذِبُ بالكتاب المُبين ، فانْثَال عليه العَوامُ الطَّغامُ[1] الذينَ لا يُراعُونَ شَرائطَ الإسلام ، وكَثُرَ جَمعُهُ وغَصَّ رَبعُه ، وكانَ من أَعظَمِ الحوادثِ في الإسلام ، فدَبَّرَ السُّلطانُ عامر الحيلَةَ في أَخذه وأَسرِه ، وكفايَةِ المُسلمينَ من شَره ، فتقدَمَ إلى بَيْحان وهوَ يُظهرُ أَنَّ لا مَقصَدَ إلا الصَيدُ والنزهَة ، فلَما دَخلَ السُّلطان بَلدَةَ بَيْحان ، تَحيَزَ ذلكَ اللعينُ إلى مَحلٍ غير مَسكون ، فقطَعَت عليه عَساكرُ السُّلطانِ الطُرقاتِ وأَحْدَقَت به الكَتائب ، فقَبَضوا عليه واستَباحُوا ما لَدَيه ، وأَراحَ اللهُ العبادَ والبلادَ من الكافرِ العَنيد والشيطانِ المَريد .

وفي سنةِ سبعٍ وتسعمائة تَجَهزَ السُّلطانُ عامر بن عبدالوهاب إلى مدينَة ذَمَار في جُيوشٍ تَسُد الأَقطار وبَقيَ في ذَمَار أياماً ، وجَهزَ من عَسكرِه طائفةً إلى جمعة الحريح[2] ، فدَخلَها عَسكرُهُ وأَخذُوها قَسْراً ، ثُم تَوَجهَ إلى صَنْعَاء يومَ الأَحَد التاسعِ والعشرينَ من رَجَب ، وكانَ المُؤيَّد محمد بن الناصر مُحْسنَ الظَّنِ بالسُّلطانِ عامر ، وكانَ خَواصُهُ يُحَذرونَهُ من غَدَراته فلا يَلتفتُ إليهم ، وكانَ يَقول : " إنَّما قَصْدُهُ أَلا يَنفذ إلى ثلاَ لمُحارَبَةِ الإمامِ الوَشَلي ، فلَو فَتَحتُ لهُ صَنْعَاء لَدَخلَها من بابٍ وخرجَ من آخَر " .

فلَم يَشعُر يومَ الثُلاثاء السابعِ من شَعبان إلا وقَد نَصبَ على صَنْعَاءَ المَنْجَنيقات والمَدافِع وأَحاطَت بها جُنودُهُ من كُلِ جانب ، وكانَ من أَلطاف الله الخَفيَة ، أَنْ دَفَعَ اللهُ تلكَ البَليةَ بغارَةٍ من الإمامِ محمد بن علي الوَشَلي ، والأَميرِ محمد بن الحُسَيْن الحَمزي ، فناوَشُوا أَصحابَ السُّلطان القتالَ وتَصاوَلَت الأَبطال ، فانهَزمَ البَغْدَاني مُقدمُ السُّلطان ، فعَمِلَ السيفُ في أَصحابِ السُّلطان وحَقَّت فيهِم الهَزيمَةُ وانتُهبَت مَحطَته ، وفي رابعِ المُحرم من سنةِ ثمان وتسعمائة رَجعَ السُّلطان إلى اليَمَن حَليفَ هَمٍ وحَزَن .

---

[1] – الطَّغام : قال الفيروز أبادي الطغام : أوغاد الناس، ورُذالُ الطير .

[2] – جمعة الحريح : لم أجدها ، وأظن أن الجمعة هي المنطقة الواقعة في جبل الشّرق في آنس من أعمال ذمار .

وفي السادسِ والعشرينَ من شهرِ رَجَب من السَّنة المذكورة تُوفيَ المُؤيَّد محمد بن الناصر وكانَ كَما أَشَرنا إليهِ من قَبلُ مَلِكاً عادلاً وسَيداً فاضلاً مُشارِكاً في جَميعِ العُلوم ، كثيرَ العبادَة حَليفَ الزَهادَة ، بَقيَ على إمارَة صَنْعَاء قَدرَ أَربعين سنةً ، شَمِلَهُم بعَدلِه ووَسعَهُم بِفَضلِه ، وأَحبَهُ أَهلِ صَنْعَاء حُباً مُفرطاً ، وقُبِرَ بمَسجدِ قاسِمِ المُسَمى القاسمي غَرْبي مَسجدِ الأبْهَر[1] المَعروفِ بصَنْعَاء ، وتَولى بَعدَهُ أَخوهُ أَحْمَد بن الناصرِ وتَلقَّبَ بالمُنتَصر ، ولَم يَلبَث في الأَمرِ إلا سنَتين حتى وَقَعَ ما سنذكُرُهُ قَريباً .

وفي سنةِ عشرٍ وتِسعمائة في شَهرِ صَفَر تَحرَكَ السُّلطان عامر بن عبدالوهاب على قَصدَ صَنْعَاء ، فتَوَجهَ إلى رَدَاع ، ثُم انتَقَلَ إلى ذَمَار في جُيوشٍ لا تُطاق ، قَد طَبَّقَت الآفاق ، يُقال أَنَّها زادَت على مائَةٍ وسبعينَ أَلفاً فيها من الخَيلِ ثلاثَةُ آلاف ، ثُم حَطَّ على مدينَةِ صَنْعَاء يومَ الثُلاثاء تاسعَ وعشرين من شهرِ ربيع الآخرِ من السَّنةِ المَذكورة ، بِضُبْر حَدّين[2] ، ثُم انتَقَلَ إلى قُربِ المدينَة يومَ الخميسِ غُرَّةَ شهرِ جُمادى الأُولى ، وأَحاطَت عساكِرُهُ بالمدينَة ونَصَبَ عليها المَدافعَ والمَنْجَنيقات والعَرادَات ، ووَصلَ في أَثناء ذلكَ الإمامُ محمد بن علي الوَشَلي السِّراجي ، والأَميرُ محمد بن الحُسَيْن الحَمزي الجَوْفي أَميرُ مدينَةِ صَعْدَه ، لِنُصرَةِ أَحْمَد بن الناصر ، فلَقيَهُم جُيوشُ السُّلطان ، فاقتَتَلوا قِتالاً شديداً آخرهُ انْهَزَمَ أَصحابُ الإمامِ والأَميرِ وبَقيا مُنفَردَينِ يُقاتلان ، ثُم انْهَزَمَ الأَميرُ محمد بن الحُسَيْن بعدَ أَنْ أَبْلَى بَلاءً شَديداً ، وبَقيَ الإمامُ وَحدَهُ فأُسِر ، وكانَت هذهِ الوَقعَةُ يومَ الثُلاثاء سابعَ وعشرين من شهرِ رَمضان الكَريم ، وخرجَ بعدها أَحْمَد بن الناصِر إلى يدِ السُّلطانِ عامرٍ يومَ الأَحدِ ثالثَ شهرِ شَوال معَهُ أَعيانُ أَهلِ

---

[1] – مسجد القاسمي : موقعه إلى الجنوب من الطريق النافذة من السايلة إلى مسجد الأبهر وقد زاد عليه وحسنه زيادة نافعة الحاج محمد بن صالح السنيدار عام ١٣٥٨هـ ، مسجد الأبهر : داخل صنعاء القديمة ومكانه معروف حتى اليوم يبعد قليلاً عن جامع صنعاء الكبير .

[2] – ضبر حدين : يسمى الآن جبل النهدين لأنه يشبه نهدي المرأة ، وهو إلى الجنوب من صنعاء .

صَنْعَاء ، والسيدُ المُفَضَل عبدالله بن الإمامِ المُطهر محمد بن سليمان ، ودَخلَ عامر المدينَةَ قَبلَ الزَوال تاسِعَ شهرِ شَوال ، وأَظهرَ غَيظَهُ على بني أَسَد لِكونِهم القاتلينَ لِعَمِّ أَبيه عامر بن طاهِر كَما سَبَق .

ثُم إنَّ السُّلطانَ رَجَّحَ نَظرُهُ إنزالَ أَحْمَد بن الناصِر ، وعبدالله بن الإمامِ المُطَهر ، وشارِب قاتلَ عمه وعِدَّةٌ من أَعيانِ الأَشْراف ، منهُم السيدُ العلامَةُ الهادي بن إبراهيم بن محمد بن الوزير ، وغيرهم ، وأَنْزَلَ معَهُم مَكالِفَهُم من الشَرائِفِ والبَنينِ والبَنات ، وقاسَوا منهُ لَعنَهُ الله[1] ما قاسَى آلُ الحُسَيْن في كَربلاء ، وتَجَرعوا من أَفعالِه كَرَباً وبَلاء ، ولَيسَ ذلكَ بِبَعيدٍ من النَفسِ الأُمويَةِ والشَنْشَنَةِ الأَخزَمِيَة .

ثُم تَسَلمَ الحُصونَ التي حَولَ صَنْعَاء إلى ذي مَرْمَر ، والغُصَيْن ، ثُم أَنَّهُ كَما قيلَ دَسَّ السُّمَ للإمامِ الوَشَلي سُماً في مَأكول ، وهوَ في سِجنِ صَنْعَاء كَما قَدَّمنا في تَرجَمَته ، فأَكَلَ هو ورسيمه فمَاتا جَميعاً ، وفازَ بالشهادَةِ التي هيَ لِسَلَفِه عادَة ، وقُبِرَ بمسجد الأَجذم المَعروفِ بمَسجدِ الوَشَلي نِسبَةً إليه بِصَنْعَاء ، إلى جَنْبِ جَدِه الإمامِ يحيى بن محمد السِّراجي الذي قَدَّمْنا ذِكرَهُ ، وعليهِما قُبَّةٌ عَظيمَة قَد أَخرَبَها بَعضٌ ممن تَولى صَنْعَاء في مُدةِ ظُهورِ أَهلِ نَجْد ، مُتابَعَةً لَهُم في رَأيِهم في تَخريبِ المَشاهِد ، وكانَت وَفاتُهُ عليه السلام في الثاني عَشر من شهرِ القِعدَةِ من السَّنة المذكورَة ، وبَقِيَ السُّلطانُ عامِر في صَنْعَاء مِقدارَ ثلاثةَ عشرَ شَهراً ، ثُم رَجعَ إلى تَعزْ وصُحْبَتهُ النقيبُ محمد بن عيسى شارِب ، وعِدَّةٌ من بني أَسَد ، وأَعيانُ الأَشْرافِ وأَهلُ صَنْعَاء .

وفي سنةِ اثني عشر وتسعمائة ، دَعا الإمامُ الأَعظَم المتوكلُ على الله ربِ العالَمين يحيى شَرفُ الدين بن شَمسِ الدين بن الإمامِ المَهدي لدين الله أَحْمَد بن يحيى بن

---

[1] – (لعنه الله) : ساقطة من المطبوع – غفر الله للمؤلف – لا يصح هذا اللعن والشتم ، هو يقول أَن عامر أحسن لقائهم وأنزل معَهُم مكالفهم ؟ .. ثُم يدعي أَن هذا الفعل من أفعال بني أمية ، المؤلف – غفر الله لهُ – يريد من عامر أَن يستسلم لهم ... حتى يقول أخزاه الله وهزمه .

المرتضى بن مفضل بن منصور بن مُفَضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يُوسُف الدَاعي بن أَحْمَد بن الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسَيْن سلامُ الله تعالى علَيهم أَجمعين ، فاحترقَت بِدَولَته أَسْتارُ الدَولَة الطاهرِيَة ، وتزَلزَلَت بِعُلو هِمَّته أَركانُ الدَّولة العامِريَة ، وكانَت دَعوَتهُ وأَخْذُ بَيعَته يومَ الإثنينِ العاشر من جُمادى الأُولى من السَّنة المذكورَة ، وما بَرِحَ يُرابطُ القَبائل ويَستَميلُهم بالرسائل ، ويَقرَعُ بابَ الفَرَج ، ويُكَررُ الدُعاءَ في البابِ الذي ما عَلا سواهُ معرج[1] ، وكانَ مَولدُهُ الكَريم في صَبيحَةِ السابِعَ عَشر من شهرِ رَمضان الكَريم سنةَ سبعٍ وسبعين وثمانمائة بحِصنِ حَضُوْر الشَيخ وبلادِ المَصانِع ، وأُمهُ بنتُ الإمامِ المُتوكلِ على الله المُطهَر بن محمد بن سليمان الحَمزي .

وفي هذه السَّنة سنةِ اثَني عشر وتسعمائة تُوفيَ أَحْمَد بن الناصِر وشارِب في عِدَّة منَ الذين حُمِلوا إلى تَعزْ من الأَشْرافِ والعَرب ، قيلَ إنَّ السُّلطانَ عامر دَسَّ عليهِم سُماً ، وكانَ هذا دَأبُهُ فيمَن ظَفرَ به من الرُؤساء و نابَذَهُ وأَساء[2] ، ولَو عَلِمَ المَغرورُ قُربَ أَجَلِه وقَضيَّةَ قَتْله ، ما اجترَأَ على ذُريَة الرَسول ﷺ ،ولا احتَمَلَ الجُرمَ في هَلاكِ ذُريَة الوَصي والبَتول ، وفي شهرِ رمضان من السَّنة المذكورة تَسلَّمَت عساكِرُهُ حِصن ذي مَرْمَر ، وعُمِلَت لهُ في المَدائنِ الزينَةُ مقدارَ نصفِ شَهر .

وفي سنةِ ثلاثة عشر وتسعمائَة في شهرِ المُحرم منها وَصلَت برشتين وثلاثَةُ أغرب[3] ، وذلكَ من أَوائلِ جُيوشِ الجَراكِسَة[4] التي استَأصلَت عامِر وانقَلَبَت إِليهم دَولَةُ بني طاهِر ، ولَدَيهم المَدافِعُ والبنادِق ، فوَصلوا إلى جَيزان وأَخَذوا من أَهلِها طَعاماً ، ثُم

---

(1) – وردت في المطبوع مفرج .

(2) – هذا صراع على السلطة وقتال من أجل السيطرة والهيمنة .

(3) – برشتين : باخرة ، وأغرب : قوارب .

(4) – جيوش الجراكسة : الجَيش المملوكي .

عادوا إلى كَمَرَان[١] ، ودَخَلوها بعد أَنْ أُجلِيَ عنها أهلُها ، ثُم ساروا إلى المَخا ، ثُم إلى عَدَن ، ثُم ارتَفَعوا إلى ساحِلِ أَبْيَن[٢] .

وفي سنة خمسةَ عشر وتسعمائة تُوفيَ أَميرُ الجهةِ الصعْدِيَة ، الشَّريف محمد بن الحُسَيْن ابن علي بن قاسم بن محمد بن أَحْمَد بن المنصور بالله عبدالله بن حَمزة ، وقد تقَدمَ رَفعُ نَسَبِه في تَرجَمةِ الإمامِ المَنصور بالله عبدالله بن حَمزة .

وفي هذه السَّنةِ تُوفيَ الشيخُ الفاضِل ، الصالح بن صدِّيق الحَكَمي بالمِخْلافِ السُليماني .

وفي هذه السَّنة تُوفيَ الشَّريف شِهاب الدين أَحْمَد بن الحُسَيْن بن عبدالرحمن باعَلَوي بِبَندَرِ زَيْلَع ، ووالَدهُ إِذْ ذاكَ بها .

وفيها فُقدَت مَراكِبُ السُّلطانِ عامرِ بن عبدالوهاب ،ولَم يَسلَم مِنها إلا مَركَبٌ واحدٌ وطَليعَتان .

وفي سنةِ ستة عشر وتسعمائَة في يومِ السبتِ العاشرِ من جُمادى الآخرةَ قَدمَ رَسولُ سُلطانِ مِصرَ المَلكِ الأَشرف قانْصُوه الغُوري ، والرسولُ هو زَين الدين المُحتَسب وصُحْبَتُهُ الطواشي بَشير إلى مدينَة زَبيْد بِهَديَةٍ للسُلطانِ عامر ، ثُم تَوَجهَ من زَبيْد إلى حَضرَةِ السُّلطان عامر ، فواجَهَ السُّلطانَ برَدَاع ، وأَمَرَ السُّلطانُ وَلَديه باستقباله ، فخرَجا في أُبَّهةٍ عَظيمَة ، ومَثُلَ في مَقامِ السُّلطان وعَرَضَ عليه الهَدية فقَبلَها ، وأَجازَهُ عليها جائزَةً عَظيمَة ، وشَحَنَ مَركباً من كُلِ ما يَصلُحُ هَديةً للمُلوك ، وسَيَّرَ فِيلَين عَظيمَين في جُملة الهَديَة .

وفي سنةِ سبعة عشر وتسعمائة تَوَجهَ إلى صَنْعَاء الأَميرُ علي بن محمد البَغْدَاني إلى بِلادِ نِهْم في المَشرِق في عَسكرٍ كَثيف ، فلَما وَصلَ إِلَيها تَلَقوهُ لِلحَرب ، فأَوقَعَ بِهم

---

[١] – كمران : جزيرة داخل البحر الأحمر إلى الشمال الغربي من الحديدة .

[٢] – ساحل أبين :الساحل الممتد من خور مكسر شرق عدن إلى ما بعد ساحل مدينة زنجبار .

وقَتَلَ منهُم كَثيراً ، واستَباحَ بِلادَهُم وأَحرَقَ الزراعاتِ والأَعناب ، ولَم يَزَل في أَعقابِهم حتى تَسلَمَ حِصنَ الوادي المُسَمى مِلَح[1] ، ثُم توَغلَ حتى أَشرَفَ على الجَوْف ، ثُم أَنَّهُ جرَى من أَهلِ ثلاَ ما يُوجبُ الأَدبَ ، فأَدَّبَهم بأُلوفٍ من الدَنانير ، لأَنَّهُم قتَلوا شَخصاً عُدواناً ، فبرزَ إليه أَمرُ السُّلطان أَنْ لا أَمانَ لَهم إلا بِتَسليم الحصن ، فأَعمَلَ الحيلَةَ حتى دَخلَ الأَكَمَةَ المُسماةَ الناصِرَةَ الآن ، فضرَبَ أَهلِ الحصنِ الطُبول ، فاجتَمعَ إليهم القَبائل من كُلِ فَجٍ عَميقٍ ومكانٍ سَحيق ، وأَحاطُوا بمَن في التعبَرَه[2] وأَغارَ إليهم ابن ناصر الدين مُعيناً لأَهلِ الحِصن فلَم يَظفَر ، وكذلكَ الراعي من بلاد هَمْدان ، فلَما بَلغَ الأَميرَ علي بن محمد البَعْدَاني ، وكانَ في بَلد ذَيْبَان ، وعيالِ عبدالله[3] من بلادِ بَكيل ، أَغارَ إغارَةً عَظيمَة فلَم يَشعُر أَهلِ ثلاَ إلا وهوَ مُحطٌ عليهم في سبعمائة فارسٍ وعشرَةِ آلافِ راجل ، فدَخلَ المدينَةَ قهراً بالسيف ، ثُم أَمَرَ بالكَفِ عن نَهبِ المدينَةِ وأَسَرَ ابن ناصر الدين صاحبِ كَوْكَبان ، وأَخذَ المدفَعَ الكَبيرَ الذي كانَ مع ابن ناصرِ الدين ، ثُم قَبضَ حِصن ثلاَ ،وحَضُوْر الشَيخ ، وكَوْكَبان ، في الثالثِ من شهرِ رَجَب سنة تسعةَ عَشر وتسعمائَة .

ولَما صَفَت للسُلطان عامر أَوقاتُه ، وانقادَت مُراداتُه ، وخَضَعَت لِسطوَته البِلاد ، وانقادَ لهُ العباد ، وظَنَّ أَنَّ الليالَي قَد سالَمَتهُ والحوادَثَ قَد جانَبَتهُ ، فلَم يَشعُر إلا بوصولِ كتابٍ من ولَدِه عبدالوهاب بن عامرٍ يُخبِرُهُ بوصولِ العساكرِ المصريَة والأَجْنادِ الغُورية ، وأَنَّها دَخلَت كَمَرَان يومَ الأَربعاء سابع شهرِ ذي القعدَة من سنة إحدى وعشرينَ وتسعمائة ، فرَجعَ جَوابُهُ على إبنه بتَجييرِ الطَعام ، ولا يُمكنَ أَحداً

[1] – حصن ملح : قرية إلى الشمال الشرقي من صنعاء من بلاد نِهْم باتجاه بلاد الجَوْف .

[2] – وردت في المطبوع المعرة ، وهناك منطقتين تحملان إسم التعبره الأولى في بلدة الرجم من المحويت والأخرى في الضالع ، وربما قصد التي في المحويت .

[3] – آل ذيبان وعيال عبدالله من قبائل أرحب من بكيل إلى الشمال من صنعاء .

من الشحنَة في البَحرِ إلى جهة الحجَاز والأَخْذ بالحَذَر ، وقد عَلمَ أَنَّ الدهرَ قد تَنكرَ لهُ وقَلَبَ ظَهرَ المجَن ، وأنَّ الزمانَ قد أبرزَ ما كَتمهُ من قَهرِه وأَجَن .

ولَما عَلمَ الإمامُ الأَعظَم شرفُ الدين عليه السلام بخُروجِ عَساكرِ الغُورية ، تَيقَّنَ أَنَّ عامر قَد شَارَفَ خَرابَ مُلكه العامرِ ، فَبَثَّ دُعاتَهُ في البِلادِ حاضرَها والبَاد ، فرَجَّحَ رَأيُهُ السَّديد ، أَنْ يكْتُبَ إلى رَئيسِ الأَجْنادِ المصريَة ، كِتاباً يَستَصرِخُهُم على عامرٍ وأَجْناده ، فكَتَبَ إلى الأَميرِ الحُسَيْن كِتاباً اختَصَرنا هذا التَوقيعَ عن ذكرِه ، وهوَ كتابٌ بَليغٌ حَثَّهُم على النُهوضِ على هذا السُّلطان(١) ، ونَقَمَ عليه ما فَعلَ بقَرابَة رَسول الله ﷺ من تَفريقهِم في البلادِ وتَشتيتِهِم في أَغوارِه ونُجودِه ، وقَتْلِ من قَتَلَ بالسُّموم ، ونَعَى عليه أُموراً أُخرى من الظُلمِ والطُغيان والتَجَبرِ والعصيان ، وأَرسَلَ بالكتابِ معَ الفَقيهِ العالِم صلاح بن شراح الله(٢) من خُلَّصِ أَصحابه .

فلَما وَصلَ الفقيه صَلاح بكتابِ الإمام إلى الأَميرِ الحُسَيْن زَعيم العساكرِ المصريَة ، جَعلَ للفَقيهِ مَكاناً يَنزِلُ فيه ، ثُم عَرَضَ الكِتابَ على أَربابِ دَولَته وأَحزابِ صَولَته ، واستَمَد منهُم الرَأيَ بما يَكونُ الجوابُ على الإمامِ وإسعادِه إلى ذلك المَرام ، فقالَ رَجلٌ من كُتَّابه من ذَوي الرَأي والحُجَّة ، وأَربابِ الفَهمِ والذَكاء: " أَخِّر جَوابَ الإمامِ وأَكرِم رَسولَهُ ما أَقام ، ووَجِّه رَسولاً إلى هذا السُّلطان الذي نُسبَ إليه الظُلمُ والطُغيان ، واستَمدَ منهُ الإجابَةَ على الإفرَنجِ العاثرَةِ في هذا البَحر ، وأَعلمهُ ما في ذلكَ من الأَجرِ والفَخر ، فإنْ أَجابَ إلى هذا المَطلَب فهوَ عادلٌ ناصِح ، وعلمنا أَنَّ هذا الإمامَ مُنافسٌ لهُ في دُنياه ، ومُعارِضٌ لهُ في مُلكه ومَراتب عَلياه ، وأَرجَعنا رَسولهُ خائباً ، وإنْ تَلكأَ عن المَقصَدِ ومُنابَذَةِ الكُفار ، علِمنا أَنَّهُ من الفُجَّار ، وأَنَّ ما نَسَبهُ إليهِ الإمامُ حقٌ لا رَيبَ فيه " .

---

(١) – أقطع بأن هذا تشهير بعامر ودولة بني طاهر و حسدٌ من هذا الإمام – غفر الله لهُ – .

(٢) – وردت في المطبوع (سراج الله) ، ولعله الصواب .

فاستَجادَ الأَميرُ هذا الرَأي ، ونَدبَ من عُقلاءِ عَسكرِه رَجُلين مِن أَهلِ العَقلِ الوافرِ والفَهمِ الحاضِر ، وأَصحَبَهُما كِتاباً إلى السُّلطان عامر ، فلَما وَصلا إليه أَكرَمَ نُزُلَهُما ، وطَلَبَ أُمراءَ دَولَته ، واستَمد منهُم الرَأيَ بما يكونُ الجَواب ، فتَكلمَ الفقيه علي بن محمد النَّظَاري ، وقال : " الرَأيُ السديدُ إسعافُهُما بهذا المَطلوب ، فهوَ عَملٌ مَرغوب ، وأَنتَ في سِعَةٍ من سُلطانك ، وكَثرَةٍ من أَعوانك ، وما دَعَوا إلا إلى الخَير ، وفي ذلكَ إستبقا لِشَرهِم وقَطعُ عُذرِهم " ، فالتفتَ إلى البَعْدَاني[1] ، وكانَ يَميلُ إلى رَأيه خَطأً و صَواباً[2] فطلَبَ منهُ المَشورَةَ فأَشارَ بغيرِ الصَواب ، وقالَ: " أَنا القَائمُ بالخطاب والنائبُ في رَد الجَواب " ، فطَلَبَ الرَسولَين إلى بين يَديه ، وقال : " أَميرُكُما ممن يَجهلُ حَقَ السُّلطان الملك الظافِر صلاحِ الدين ، حتى يُرسَلكُما بهذهِ الرِسالة ، كأَنَّهُ بعضُ عُماله ، والله لَولا أَنَّ قَتْلَ الرَسولِ حَرامٌ لأَعرَضتُكُما على الحُسام " ، فخَرَجا من حَضرَته مَرعوبَين ، ما لَهُما غيرُ النَجاة بأَنفُسهما من السَيف .

فرَجَعا إلى الأَميرِ الحُسَيْن ، وأَعلَماهُ بخُلوصِهما من الحَيْن[3] ، فأَجابَ على الإمامِ بما يَشفي العَليلَ ويُطفي الغَليل ، وأَجازَ رَسولهُ وحَسَّنَ قُفولَهُ ، فلَما أَحس عامر بن عبدالوهاب بالشرِ من العساكرِ المِصريَة ، وَجهَ الفقيهَ عبدَالحق النَّظَارِي لِجَمعِ العساكرِ ، وعادَ إلى زَبِيْد بجَمعٍ لا يُفيد .

فلَما تَقوَّت نيَّةُ الأَميرِ الحُسَيْن على مُناجَزَةِ عامرِ ، أَخَذَ في سَلبِ مُلكه العامِر ، فتوَجهَ إلى الحُدَيْدَة ، فهَرَب أَهلُها منه ، وقَد كانَ مَنعَ السُّلطانُ من حَملِ الطعامِ في المراكبِ للمِيرَة ، فضَاقَ الحالُ بالأَجْنادِ المِصريَة ، وأَرسَلوا بقُرابَيْن إلى الحُدَيْدَة للميرَة

---

[1] – وردت (البعدالي) باللام في المطبوع .

[2] – وكذلك بطانة السوء الذين حول الحاكم ، غالباً ما يعرفون مراده و بالتالي يشيرون عليه بما يعرفون من هواه ، وهذه البطانة وأمثالها في بلاد المسلمين قد جرت ويلات وكوارث على الأمة عبر تاريخها الطويل .

[3] – الحَيْن : الموت والهلاك .

، فمَنَعَهم عبد الوهاب بن عامر عن الميرَة[1] ، وأَرسَلَ عَسكراً إلى أَهلِ الحُدَيْدَة ، فسأَل المصريينَ عن عسكرِ السُّلطانِ الواصلينَ إلى البَنْدَر ، فأَعلَموهم بمكانِهم ، فرَمَوهُم بِمدفَعٍ عَظيم ، طارَت منهُ أَكبادُهم فَزَعاً ، وذَهَبَت قُلوبُهم فَزَعاً ، وعندَ ذلكَ مالَ إلى المصريين الفَقيهُ أبو بكر بن مَقبول الزَيْلَعي صاحبُ اللُّحَيَّة[2] ، وأَمَدَّهُم بالطعامِ مِن اللُّحَيَّة ، وقَد أَخرَبوا بَنْدَر الحُدَيْدَة بالمدافِع فسَهَّلَ لَهم الزَيْلَعي الخُروجَ إلى اللُّحَيَّة فأَرسَلوا بقراب[3] فيه مائَةُ مَملوك ، فخرجَ بِهم من اللُّحَيَّة جهةَ مَوْر ، وبها عاملٌ من قِبَلِ السُّلطان عامر ، محمد بن سليمان بن جَيَّاش السُّنْبُلي ، ولَدَى هذه العساكرِ المصريَةِ البَنادِق ، ولَم تَكُن تُعرَفُ بالديارِ اليَمَنية ، وكانَ لَها مَوقعٌ عَظيم ، فخرجَ الأَميرُ محمد لِقتالِهم ، فرَموهُ هوَ وأَصحابَهُ بالبَنادق ، فقُتِلَ الأَميرُ المَذكور ووَلَّى أَصحابُه الأَدبار ، واستَولَى الغُورية على مَوْر ، ثُم واجَهَ إليهِم الزَيديةُ من عَربِ تَهامَة فأَمَدَّهُم الأَميرُ الحُسَيْن بمِئتينِ من أَهلِ البَنادِق ، وانهَزَمَ الحجري عاملُ السُّلطان من قريَةِ الضَّحي ، ودَخلَها الزَيديونَ والعساكرُ المصريَة وأَخرَبوها ، ودَخلَ بقيةُ جُنْدِ السُّلطان عامرِ العتمية[4] .

فلَما بَلغَ السُّلطانَ عامرِ ما جَرى من الزَيديينَ في الضَّحي ، أَرسلَ أَخاهُ عبد الملك بِجُنْدٍ كَثيرٍ يَسُد الخَللَ في تِهامَه ، فوَصلَ إلى زَبِيْد بِجُنْدٍ عَظيم ، فدَخلَها يومَ الأَحد الحادي عشر من ربيعِ الآخرة من سنةِ اثنين وعشرين وتسعمائة ، فلَما عَلِمَ الأَميرُ الحُسَيْن بِوصولِه نَزلَ من كَمَرَان في أَلفِ مُقاتِلٍ كُلها بَنادِق ، ولَم يَكُن مع عبد الملك البُندقُ الواحِد ، وإنَّما خَرجَت هذه البَنادِقُ مع الأَجْنادِ المصريَة ، وما كانَت تُعرَفُ

[1] – الميرة : الحبوب وهنا أراد القوت والطعام أيضاً .

[2] – اللُّحَيَّة : بلدة عامرة من أرض تَهامَة ، وهي ميناء إلى الشمال من الحديدة بمسافة تزيد عن ١٠٠ كم ، سكنها علماء وفقهاء في القرون السالفة .

[3] – قُراب : قارب .

[4] – العتمية : لم أجدها .

من قَبلُ بالديارِ اليَمَنية ، وإنَّما تُوصَفُ بالسَمع ، وكانَ لَها هَيبَةٌ في القُلوب ، تُذْهلُ الطالِبَ عن المَطلوب ، وقَد انْضَمَّ إلى العساكرِ المصريَةِ الأَميرُ عز الدين بن أَحْمَد بن دُرَيْب [أميرُ] جازان ، والزَيْلَعي الذي ذَكَرناه قَريباً .

فتقَدمَت الأَجْنادُ الغُورية بمن تَبِعَهُم من الأَشرافِ والعَرب ، والتَقاهُم عبد الملك ابن عبد الوهاب بالمزحف ، ووَقعَت بينهُم وَقعَةٌ عَظيمَة ، قاتَلَ فيها عبد الملك قِتالاً عَظيماً وأَبانَ عَن شَجاعَة وبَأسٍ وقُوَةِ جنانٍ في المِراس ، وهَلَكَ تَحتهُ ثلاثةُ أَفْراس ، وقُتِلَ من أَعيانِ أُمراءِ السُّلطان عامر ، الأَميرُ مَعُوْضه بن حَسان ، وقُتِلَ من عسكرِ الغُورية أَربَعةَ عَشرَ نَفراً ، ثُم افْتَرَقُوا ، ودَخلَ عبد الملك زَبيْد ومعَهُ رُؤوسُ القَتلى ، ثُم أَنَّ بعضَ العَربِ المُلازمينَ للأَميرِ الحُسَيْن أَشاروا عليه باللَّحاقِ بعبد الملك إلى زَبيْد ، فسارَ إليها في عسكرٍ هائلٍ من العَربِ والمصريين ، وكانَ نُزولهُ بِنَخلِ وادي زَبيْد ، وأَقامَ هوَ وعَسكرهُ ثلاثةَ أَيامٍ يَنتَظرونَ عَسكراً تَخرجُ إليهِم من بَنْدَرِ البُقْعه ، فلَما وَصلتهُم تلكَ الزيادَةُ تَقدَموا على مدينةِ زَبيْد ، في صُبحِ يومِ الجُمعة التاسع عشر من جمادى الأولى من سنةِ اثنين وعشرين وتسعمائة ، فوَصلَ إليها ضُحَى ذلكَ اليَوم والمدينةُ مُغلَقة ، فنَزَلوا بابَ النَخلِ في جُموعٍ لا تُحصَر وجَيشٍ لا يُقهَر ، وقَد انْضَمَّ إليهِ العَربُ من تَهامَه ، فخرجَ إليهِ عبد الملك بن عبد الوهاب ، وعبدالوهاب بن عامر ، فوَقعَت وَقعَةٌ عَظيمَة قاتَلَ فيها عبد الملك بن عبد الوهاب وابنُ أَخيه قِتالاً عَظيماً ، ثُم انهَزَمَا ودَخَلا المدينَةَ ، وقَد أُصيبَ عبدالوهاب بن عامر بِرَصاصَةٍ ، ودَخلَ المدينَةَ قبلَ عَمهِ إلى الدارِ الكَبير ، فلَحقَهُ عَمهُ إلى بابِ الدارِ وصَاحَ به ، فخرجَ إليه وجَعلَهُ بينَ يَدَيه ، وسارَ إلى بابِ الشَبَارِق[1] ، وقَد اصْطَفَت لهُ العساكرُ لِيَأسُروهُ ، فَشَقَّ الجُموعَ وخَلَصَ بابنِ أَخيه ، بعدَ أَنْ كَرَّ عليهِم كَراتِ اللُيوثِ الخَادِرَة والبَزَّاتِ

---

[1] - الشبارق : هو أحد أبواب مدينة زبيد .

الكاسِرَة ، وقَتَّلَ منهُم عِدَّة ، وأَبانَ عن قَلبٍ حاضِرٍ وحَزمٍ وافِرٍ ، حتى وَصلَ إلى مدينَة تَعزْ .

وماتَ عبد الوهاب بن عامر من الصوب[1] الذي ذَكَرناه ، وبعدَ خُروجِ عبد الملك من زَبِيْد ، دَخلَها الأمير الحُسَيْن ، وزَالَت عَنها الدولَةُ العامرِيَةُ زَوالَ الظِّلِ مِنَ الشُموس ، فسُبحانَ من لايَزولُ سُلطانُه ولا يَضْمَحلُ مُلكهُ وشَأنُه .

وكانَ دُخولُ الأميرِ الحُسَيْن مدينَةَ زَبِيْد ضُحَى يومَ الجُمعة التاسعَ عَشر من جُمادى الأُولى من السَّنةِ المَذكورَة ، وفعَلُوا فيها العَظائمَ وانتهَكوا المَحارمَ وانتُهِبَت البُيوت ، وسُبِيَت الذَراري والنِساء[2] ، وصَادَروا تُجارَها بأنواعِ المُصادَرات ، وقَد كانَ وَعَدَ عَسكرهُ عِندَ أَنْ يَدخُلَ زَبِيْد لِكُلِ نَفرٍ منهُم مائَةُ أشرَفِي[3] ، فخرجَ من زَبِيْد إلى بَنْدَر البُقعه مُوهِماً لَهُم أَنَّهُ يَأتي بمالٍ من هُنالك واستَخلَفَ على زبيد رَجلاً يُقالُ لهُ بَرْدس باي وعَضَدَهُ بابنِ صاحِبِ جَازان ، ثُم تَوَجهَ الأَميرُ الحُسَيْن إلى بَنْدَر زَيْلَع ، وأَصلَحَ المَراكِب واستَقَوا فيها الماء ، وتقَدمَ بأَجْناده إلى بَنْدَر عَدَن ، وفيها مُرجان الظافري عاملاً للسُلطان[4] ، وكانَ قُدومُهم في شهرِ رَجب من السَّنة المذكورة في جُنْدٍ كثير ، ثُم أَنَّهُ جَرى بينَهُم وبينَ حُماةِ عَدَن حَربٌ ضارِيَةٌ ، ورَماهُم أَهلِ عَدَن بالسِهامِ والمَدافِع حتى هَزَموهُم عن البَنْدَر ، ثُم تَراجَعَ العَسكرُ المِصري ، وحَمَلوا على البَنْدَر فدَخَلوه ، فانحازَ عَسكَرُ السُلطان عامِرٍ إلى صِيْرَة ، ثُم حصلَت[بينهُم و] بينَ العساكِرِ المِصريَة والأَجْنادِ الغُورية مَلاحِمُ عَظيمَة في بَنْدَر عَدَن ، يَطولُ الكلامُ بشَرحِها ، والقَصْدُ الإِختِصار ، حتى أَغارَ عبد الملك بن عبد الوهاب مِن تَعزْ ، فلَما تَحَقق المِصريونَ

---

[1] – الإصابة أو الجرح الذي أصيب به .

[2] – هذا الفعل حرام في شريعتنا وشريعة المهاجمين إذ كيف تُسبى المرأة الحرة المسلمة وهي مصونة في بيتها .

[3] – مائة أشرفي : مائة قطعة من العملة الذهبية ، وكانت تسمى القطعة الواحدة أشرفي .

[4] – السُلطان عامر بن عبد الوهاب .

وصُولَهُ أَصْبَحوا يومَ السبتِ راجِعينَ مِن حيثُ جَاؤا ، وقَد خابَ مَسعاهُم وبَطُلَ مُتَمَناهُم .

وأما الشراكِسَة الذي بزَبِيْد فإنَّهُم أَمَّرُوا عليهِم بَرْدِس باي ، فمَهَّدَ البلادَ وضَبَطَ العساكِر ، وخرجَ ثانِي شهرِ شَعبان إلى حَيْس ، وأَخرجَ صُحبَتَهُ المدافِعَ الكِبار ، فلَم يَتَمَكن من جَرِها في البَر ، فرَدَّ الكِبار إلى زَبِيْد وسارَ إلى مَوْزَع ، فدَخلَها ثُم رَجعَ إلى زَبِيْد ، وأما السُّلطان عامِر ، فإِنَّهُ لَما بَلَغهُ أَخْذُ الشراكِسَة زَبِيْد وأَخذُ أَخيه وقَتْلُ ولَدِه وكانَ في المقْرَانة[1] ، تَوَجهَ إلى مدينةِ إبْ ثُم تَوَجهَ إلى مدينة زَبِيْد وعَرَّجَ عن دُخولِ تَعِزْ فلَما تَحققَ الجُنْدُ المِصريُ نُزولَهُ أَرسَلوا يَطلُبونَ الصلحَ صُحبَةَ القاضِي صَفِّي الدين أَحْمَد بن عُمر المرجد ، فلَما اجتَمعَ بِهم وسَمِعَ كلامَهُم كادَ أَنْ يَميلَ إلى ذلك ، فأَشارَ عليهِ بعضُ خَواصِهِ بِعدَمِ القُبول ، ووَقعَ في خاطِرِه أَنَّ طَلَبَ الصُلحِ منهُم مُخادَعَة ، فأَعرَضَ السُّلطان عن ذلك ، ورَدَّ الرُسلَ خائِبين ، ثُم سارَ السُّلطانُ إلى قَريةِ الزَريْبَة[2] .

وخرجَ إليهِ الجُنْدُ المصري في يومِ الأَربعاء التاسعِ من شَوال من سنةِ اثنين وعشرين وتسعمائَة ، وكانَت بينهُم وبينَهُ وَقعَةٌ عَظِيمَة ، قَتَلَ جماعةً منهُم ، ورَجَعوا إلى زَبِيْد فدَخَلوها ليلَةَ الخميسِ العاشرِ من الشهر ، وفي صُبحِ الخَميس خرجَ الشراكِسَة ، وكانَت بينَهُم وَقعَةٌ أَعظَمُ من الأُولى ، وقاتَلَ السُّلطانُ فيها بنَفسِهِ وقَرابَتِه وأَولادِه ، ولَم يَثبُت معَهُ سِواهُم ، ثُم انكَسَرَ السُّلطانُ في آخرِ النَهار ، وسبَبُ انْكسارِهِ أَنَّ الشراكِسَة هَجَموا على مَحطَتِه[3] وهو في حالِ الحربِ وأَخَذوا ما فيها من الأَموالِ

---

[1] – المقرانة :بلدة قديمة من أعمال رداع وهي قريبة من بلدة جُبَنْ عاصمة الدولة الطاهرية وهناك بلدات أخرى تحمل هذا الاسم ولعل هذه هي المقصودة وقد وردت (مقران) في المطبوع .

[2] – الزريبة : قرية كبيرة إلى الشرق من زبيد كان لها أهمية في القرن التاسع الهجري .

[3] – توضع قواته .

والأَثاث ، فجمَعَ باقِي عَسكرِه ورَجعَ من الجَهةِ التي جاءَ منها ، ولَم يَلحَقَهُ أَحدٌ من الجُنْدِ المِصري لإِشتغالِهم بالنَهب ، وسارَ إلى مَدينة تَعزْ فدَخلَها سادسَ عَشر شهرِ شَوال .

وفي سنةِ ثلاثٍ وعشرين وتسعمائة نَجَمَ نَجْمُ الهلاك على المَلِك الظافِر ، وانْشَبَت فيهِ المنيةُ الأَظافِر ، فتَوَجهَت إليه الأَجْنادُ المِصريَة والعَساكرُ الغُورية بآخرِ المُحرَمِ وهوَ في تَعزْ ، فوَصَلوا إلى مدينَةِ تَعزْ في صُبحِ يومِ الجُمعةِ السادسِ من شهرِ صَفَر ، فلَما تَراءَى الجَمعانِ انْهَزَمَ السُّلطانُ من غيرِ قتالٍ إلى مدينَةِ إبْ ، فدَخلَ العَسكرُ المِصري مَدينَةَ تَعزْ وانتَهَبوها ، وانتَهَبوا دارَ السُّلطان ، وقَبَضُوا حصنَها وصادَروا تُجارَها ، وفَعَلوا فيها مثلَ ما فَعَلوا بزَبِيْد وأَعظَم ، ووَقَفَ السُّلطانُ بِمدينَةِ إبْ ، ثُم أَنَّ بَرْدِس باي استَنَابَ بتعز الأَميرَ أَقباي ، وتَوَجهَ بالجُنْدِ إلى المقْرَانة ، فخَرجَ السُّلطان عامر مُبادراً إليها قَبلَ بَرْدِس باي ، فأَخَذَ حَرِيمَهُ وما خَفَّ من أَمواله ، وتَوَجهَ إلى جِهةِ الحلْقَة[1] ، فدَخلَ العسكرُ المِصري المقْرَانة بعدَ خُروجه منها ، فانتَهَبوها وأَخَذوا ما بَقِيَ من الخَزائنِ والأَموال ، وكانَت جُملَةً مُستَكثَرَة ، وظَفِرَ بَرْدِس باي بجماعَةٍ كانَت عندَهُم وَدائِعُ للسلطان فأَخَذَها منهُم ، ثُم أَنَّهُ داخَلَهُ العَجَب ، وظَنَّ أَنْ لَنْ يُقدَرَ عليه ، فقَصدَ آل عَمار[2] فاجتَمَعوا عليهِ وأَمَدَّهُم الله بالنَّصرِ فقَتَلوهُ وقَتَلوا معَهُ عِصابَةً من عَسكرِه .

ثُم إِنَّ الشراكِسَة نَصَّبوا عليهِم رَجلاً منُهم يُقالُ لهُ الإِسكَندَر ، فأَقامَ بالمقْرَانة أَياماً ثُم ظَفِرَ بالفَقيهِ عمر الجَبَرتي وكانَ جَليسَ عامر وسَميرَه ، فدَلَّهُ على دَفائنٍ لعامرٍ في القَصر جَواهِرَ ومَال ، فقَسَّمَهُ بينَ جُنودِه ثُمَ أَمَرَ بِخَنقِ الفَقيهِ المَذكور ، ثُم تَوَجهَ

---

[1] – الحلقة : في بلاد خَوْلان إلى الشرق من صنعاء .

[2] – آل عمار : أحد بطون قبيلة دهمة من بكيل ، مساكنهم إلى الجنوب من صعدة .

الإسكَندَر إلى جهةِ صَنْعَاء فكانَت بينهُ وبينَ عامرٍ واقعةٌ بجهَةِ العفوة[1] ، قُتلَ فيها عدَّةٌ من الشراكِسَة وأشْرافِ جَازان ، فلَما عَلِمَ السُّلطانُ بذلكَ خامَرَهُ الفَرَح ، فتابَع الجُنْدَ المصريَ إلى جهةِ صَنْعَاء ، فلَما عَلِموا بوصَوله قَصَدوهُ قبلَ أنْ يَحُط أثقالَه ، فكانَت بينهُ وبينَهُم وَقعَةٌ عَظيمَة ، أبْلَى فيها أَخوهُ عبدالملك ، وثَبَتَ ثَباتاً يُحَيرُ العُقول ، وذلكَ يومَ الخميس الثاني والعشرون من شهرِ ربيع الآخرة منَ السَّنة المذكورَة .

ثُم إنَّ عبدالملك رُميَّ ببُندُق فَسقَطَ مَيتاً ، فلَما رَآهُ السُّلطان عامرٍ قَتيلاً جَزِعَ قَلبُهُ وطارَ لُبُّه وطَاشَ عَقلُه ، ووَلَّى مُهَروِلاً على قَدَميه يَضرِبُ منَ الجَزَعِ أخدَعَيه ، فلَقيَهُ في الآكامِ المُقارِبَةِ لِجَبلِ نُقُم رَجلٌ من سَعْوَان[2] فعرَفَهُ ودَنَا منهُ فأَسَرَه ، ولَحِقَهُ بعضُ العَسكرِ فضُربَ عُنقهُ واحتُزَّ رَأسُه ، كأَنَّهُ ما رَقَا الأَسرةَ و لا حَوَت أَضلُعَهُ المَسرة ، ولا خَضَعَت لهُ الأَكابر ، ولا شُرفَت باسْمِهِ المَنابِر ، فسُبحانَ الذي لايَزولُ مُلكهُ المُعزِ المُذل بعدَ الدَّولة ختامُها[3] .

وكانَ قَتْلُه صُبحَ الجُمعةِ الثالثِ والعشرين من الشهرِ المذكورِ والسَّنة ، ثُم دَخلَ الجُنْدُ المصري صَنْعَاء وساءَ منهُم فيها صَنْعَاء ، صَادَروا تُجارَها وأَهانُوا خيارَها ، وقَتَلوا من أَجْنادِها وحُماتِها فوقَ أَلفٍ وخَمسمائة واصْطَفَوا أموالَ الأَميرِ علي بن محمد البَغْدَاني ، وجَمَعوا من الذَخائرِ والأَموالِ ما يَثقُلُ حَملُه ويَعسُرُ تَفصيلُه .

ولَما استَقرَّ الشراكِسَة بصَنْعَاء تَحركَ الإمامُ المُتوكل على الله شَرفُ الدين والنصرَةُ في الدين ، وطَلَعَ من بِلادِ حَجَّه في ربيعِ الآخرِ من السَّنة المذكورَة وقَصدَ مدينةَ ثلاَ ، فدَخلَها يومَ الثُلاثاءِ الثالثِ والعشرينَ من الشَهر ، وقَد حَصَّنَها اللَيثُ الدودجي ،

---

[1] – العفوة : لم أجدها .

[2] – سعوان : بلدة قريبة إلى الشمال الشرقي من صنعاء وهي اليوم أحد أحيائها .

[3] – كذا في المخطوط والمطبوع (بعد الدولة ختامها) .

وكانَ والياً من قِبَلِ آلِ طاهر ، وهوَ الذي كَتبَ إلى الإمامِ وحَثَّهُ على الطُلوع ، وكانَ بعدَ ذلكَ من كِبارِ أنصارِه وأَهلِ خَواصه وأَهلِ وِدِّه و أَسرارِه .

ولَمّا استَقرَّ الإمامُ شرفُ الدينِ بمَحروسِ حِصنِ ثلاَ ، وطَلعَ قَمرُهُ المُنيرُ على المَلا ، ونَما إلى الشراكِسَة الذينَ بصَنْعَاء استقرَارُهُ بذلكَ المَعقلِ المَحْروس ، ثارَت حفائظُ النُّفوس ، وعَلموا أَنَّهُ مَهما دَامَ سُكونهُ بذلكَ المَكان يَظْفَرُ بالمُلك والسُّلطان ، فتوَجهوا قاصدينَ لحصنِ ثلاَ ، واستَقَروا بحَوْشان[1] ، ودارَ بينَهُم وبينَ الإمامِ السَّفير[2] ، على أَنَّ الإمامَ يَبْقى بحِصنِ ثلاَ ، وهُم بصَنْعَاء ، وشَرَطوا مع ذلكَ الإتفاق ، ولهُم بذلكَ قَصْدٌ لا يَعْزُبُ[3] عن ذَوي العُقول ، فهَّم الإمامُ بالخُروجِ إليهم ، فلَما وَصلَ باب الحَديد[4] ، دَنا منهُ الليثُ الدودجي الذي سَلَّمَ إليه الحِصن ، وأَسَرَّ إليه بالنَصيحَة ، وقالَ لهُ: " ما الثقَةُ بهذه الفِرقَة التي ما بَرِحَت تَنقُضُ العُهود ، وتُخالفُ بنُكثها المَلكَ المَعبود ، وقَد عَلمتَ ما تقَدمَ من أَفعالهم فيمَن وَثِقَ منهُم بالأَيمان ، واطْمأَن إليهم في الأَمان ، فالحَزمُ في تَركِ لِقاهم ومُواصَلَتِهم ، والعَزمِ على عَدَمِ موافقَتِهم " ، فأَشرَفَ إلى الناس وقَال : " أَيها الناس إنَّ مَولانا الإمامَ قَد أَضْرَبَ عن لِقاءِ هؤلاء الشراكِسَة واستَخارَ اللهَ في تَركِ مواجَهتِهم[5] ، فمَن أَرادَ الجِهادَ معَ الإمامِ دَخلَ إليه في هذا المَقام " ، فدَخلَ إلى الإمامِ من دَخَل ، وانْفَصَلَ من انفَصَل .

---

[1] – حوشان : وردت كذلك في المخطوط والمطبوع وهذا خطأ و الصواب (حرشان) ، وهي إلى الغرب من صنعاء أسفل بلدة ثلا .

[2] – السفير : واسطة الصلح و المفاوضات .

[3] – يَعزُب : يغيب ويذهب .

[4] – باب الحديد : أحد أبواب الروضة ، وكانت تبعد عن صنعاء مسافة ١٠كم ، ومكانه اليوم بالقرب من مدخل الكلية الحربية .

[5] – المؤلف – غفر الله لهُ – دائماً يُصوبُ فعل الأئمة ، إذا سالموا وهادنوا من هاجمهم مدح وأثنى على صنعهم ، وإذا اختاروا المواجهة والحرب صوب فعلهم أيضاً ، وهذا من فرط محبته لهم ــ غفر الله للجميع .

فلَما خابَ سَعيُ الغُورية ، ولَم يَتمَ ما أَضْمَروهُ من خُبْثِ النيَّة ، طَلَعوا لمُحاصَرة الإمامِ إلى النَّاصِرة[1] ، ثُم أنَّهُم حَمَلوا على بابِ الحَديدِ واستَفرَغوا بَأسَهُم الشديد ، وأَيَدَّ اللهُ أَصحابَ الإمامِ أنَّ في خِلالِ مُحاصَرتِهم لهُ بحِصن ثلاَ ، وَصلَ إليهم الخَبرُ أَنَّ سُلطانَ الإسلام ومَالكَ الحَلِّ والإبرام ، صاحبُ النَصرِ والفُتوح ، الذي قَهرَ المُلوكَ وفَتحَ الأَمصار ، واستَولَى على كثيرٍ من الأَقطارِ سليم بن محمد بايَزيد ، استَولَى على الديارِ المِصريَة والشَّامِيَة وأَخذَها عُنوَةً بيَدِ القُوَة ، وأنَّ الأَشرَف قانْصُوه[2] هَلَكَ في المَعرَكة ، وأذهَبَتهُ سُيوفُ السُّلطان سليم بيَدِ المَلك ، وأَنَّ الخليفَةَ الذي استَخلَفوهُ بَعدَهُ بمِصرَ المُسَمى طُومان بايْ[3] قُتلَ وصُلِبَ في بابِ زويلَة[4] بمِصر ، فحينَئذٍ رَكَدَت ريحُ الشراكِسَة وصارَت أَعلامُهم مَنكوسَةً لا ناكسَة .

فلَما بَلَغَهم خَبَرُ مصرَ وفَتحِها ووضوحَ شَرحِها سَقَطَ ما في أَيديهم ، فكاتَبوا الإمامَ على أَنَّ الأَميرَ عبدالله بن علي بن وَهَّاس صاحِبُ ظفر ، وحسن بن عبدالله الداعي يَتفقان بالإمام ، فوَقَعَ ذلك ، وخاضُوا معَهُ في تَركِ المُنازَعَة، ويَبْقى في حِصنِ ثلاَ ، وارتَفَعوا عندَ ذلكَ صاغرينَ قَد خابَ مَسعاهُم .

ثُم أَنَّ الأَميرَ الإسكَندَر[5] خافَ أَنْ يَظهَرَ ما جَرى على مُلكِه من الهلاكِ وخُروجِ بلادِهِ إلى يَدِ سُلطانِ الإسلامِ على أَهلِ صَنْعَاء ، ويكونَ ذلكَ من أَقوَى الأَسبابِ في الخِلافِ منهُم لكَراهَتِهم لهذهِ الدولَة وما جَرَى عليهِم من الظُلمِ والصَولَة ، فجَمعَ

---

(1) – الناصرة : لعلها القرية والحصن المتصل بجبل ثلا وإلى الشمال منها ، وما زالت آثار الحصن باقية إلى اليوم .

(2) – قانصوه الغوري السُلطان الأشرف : وَلِيَ سلطنة المماليك عام ٩٠٦ هـ تُوفيَ عقيب هزيمة الجَيش المملوكي في مرج دابق شمالي حلب عام ٩٢٣ هـ .

(3) – طومان باي : الملقب بالملك الأشرف ، بويع بالولاية على مصر عام ٩٢٢هـ وحين قدم العثمانيون على مصر دافع هو عن مصر دفاع البطولة فهزم واختبأ ثم عاد بجيش فقاتلهم وهزم وتخبأ وهكذا إلى أن دلَّ عليه بعض الناس فاعتقل فاقتيد إلى باب زويلة فأعدم شنقاً – الأعلام للزركلي .

(4) – باب زويلة : أحد أبواب القاهرة .

(5) – الإسكَندَر : لم أجد ترجمته فيما رجعت إليه .

الناسَ إلى الجامعِ الكبير ، وأعلَمَهُم باستيلاءِ السُّلطانِ سليم خَان على مِصرَ وسُلطانِها ، وخَطبَ في مِنبَرِ صَنْعَاء للسلطانِ سليم خَان وانْتَمى إلى طاعَته .

ثُم خرجَ الأَميرُ الإسكَندَر من صَنْعَاء قاصِداً زَبِيْد ، واستَخلَفَ على صَنْعَاء عبدالملك ابن مُحَرم العَنْسي ، وكانَ طَريقُهُ من نَقْيلِ الخيار[1] ، فلَقيَهُ قَبائِل اليَمَن الأَسفَل من حُبَيْش والشُوافي[2] ، وإرْياب[3] وغيرِهم ، وشَنَّت عليهِم الغَارات ، فقَتَلوا منهُم كَثيراً وانتَهَبوا ما قَد احتَوَوا من نَفائِسِ مُلوكِ بني طاهِر منَ الجَواهِرِ والعيْن والذَّهبِ والفضة واللُجَين ، واستَكفَلوا الخيلَ والبغالَ وغيرَها من الأَجْمال ، وكانَت جُملَةً مُستَكثَرَةً وذَخائِرَ مُوفرَة ، وقَد كانَ قَبلَ خُروجِ الشراكسَة من صَنْعَاء [أَنْ] قَتَلوا الأَميرَ علي ابن محمد البَغْدَاني بعد أَنْ نَالَهُ من النَّكالِ ما يَقْصُرُ عنهُ المَقال ، بَعدَ أَنْ كانَ في تلكَ السآمَة[4] والأُبَّهةِ والمُلك ، فسُبحانَ من لا يَزولُ مُلكهُ ولا يَتَغيرُ إلا بِتَدبيرِه، وما تَهَبُ الأَيامُ ياليَتَ جُودَها كانَ بُخلا .

ودَخلَ الأَميرُ الإسكَندَر زَبِيْد مَغلولاً مَأخُوذاً لَيلَةَ التاسعِ والعشرين من شهرِ جُمادى الأُولى من السَّنة المذكورَة ، وشَرعَ مَن في صَنْعَاء منهُم في تَوجيهِ الغَزَوات إلى مَخَاليف صَنْعَاء ، فخَرَجوا إلى بني بُهْلُول[5] وصُحبَتُهُم الأَميرُ أَحْمَد بن حَمزة وابنُ عمه محمد ابن مهثل ، فانْضَمَّت إلى قَبائِل بني بُهْلُول قَبائِل خَولان العاليَة ، وسَنْحَان فهَرَبَت

---

[1] – نقيل الخيار : لم أجد مكان هذا النقيل ولكن يبدو لي أنه في المنطقة الشمالية الغربية من صنعاء وإلى الغرب من ثلا باتجاه سهل تِهَامَة .

[2] – حبيش : جبل آهل ومنطقة واسعة إلى الشمال الغربي من مدينة إب ، الشوافي : قرية في جبل خضراء من أعمال إب ، كان أسم القرية يطلق على ناحية واسعة تضم بلدان المرتفعات الغربية لمنطقة السَّحُول .

[3] – إرْيَاب : بلدة من الكَلاَع من مركز السَّيَف تابع بلدة ذي السُفَال جنوبي مدينة إب ، وردت في المطبوع "أدياب" .

[4] – السآمة : لا تستقيم هذه الكلمة مع الأبهة والملك ، ولعلها الشهامة وردت محرفة .

[5] – بني بهلول : منازلهم إلى الجنوب من صنعاء و مركز (مديريتهم) غيمان .

الشراكِسَة ، وقُتِلَ منهم جَمٌّ غَفير ، منهُم الأَميرُ أَحْمَد بن حمزة وابنَ عمه ، وعادُوا إلى صَنْعَاء مَغلوبينَ مَهزومين .

ولَمَّا عَلِمَ أَهلِ صَنْعَاء بِضَعف الشراكِسَة واجتماع القَبائل على الخلاف عليهم ، وكانُوا قَد ضَاقُوا من أَفعالِهم فَفَاجَئوهُم في المَراقد ، ومَالوا عليهم مَيلَةَ رَجلٍ واحد ، وأَتاهُم بَأسُ الله[1] وهُم نائمون، وأَلَمَّ بِهم رَيبُ المَنون، فمَا بَقِيَ منهُم إلا اليَسير، التَجَئُوا إلى القَصر، وحَقَّ عليهِم الحَصْر ، وكانَت الواقِعَةُ فيهِم يومَ الأَربعاء خامسَ شَهرِ شَوال من سنة ثلاثٍ وعشرين وتسعمائة.

ثُم بَعثَ أَهلِ صَنْعَاء إلى الإمامِ شرَف الدين يَستَنهِضُونَهُ ويَستحثوهُ للوصول إليهم ، فتَوَجهَ على كاهِلِ السَلامَة ووَصلَ نَقيلَ عَصِر ، فخرجَ إليه أَهلِ صَنْعَاء قَضِّهم بِقَضيضِهم إلى عَصِر، وبايَعوهُ على النَّصرِ والحمايَة والطَّاعَة والرعايَة ، فدَخلَها قُبَيلَ الغُروبِ يومَ السَبت ثامنَ شَهرِ شَوال ، وكانَ طَرِيقُهُ إلى الجامعِ المُقَدَس[2] ومحرابِها الأَقدَس، فصَلى المَغربَ والعشاءَ وطَلعَ إلى دارِ الشريفَة بنت الحَسَن فاستَصرَخَ الشراكِسَة المَحصورونَ في القَصرِ بأَشْراف الجَوْف ، فوَصلَ الأَميرُ محمد بن عبدالله الشَوِيع إلى خارجِ صَنْعَاء في ثمانينَ فارِساً ، وأَرادَ الشَوِيع أَنْ يُمِدَّ الشراكِسَة بالطَعامِ طامِعاً في أَخْذِ صَنْعَاء لنَفسه ، فلَم يَتَمَكن من شَيءٍ فلَما أَعيَتهُ الحيلَةُ طَلبَ الإتفاقَ بالإمامِ فأَسْعَدَهُ ، فكانَ كلامُهُ إنَّ مَعَنا منكَ مَراسيمَ بِنصف البِلاد ، فقالَ لهُ الإمامُ : " ذلكَ حَيثُ كانَت البِلادُ بِيَد الشراكِسَة ، بِشَرط أَنَّكُم الذينَ تَقومونَ عَلَيهم وتَقصدوا لإخراجِهم ، وقَد وَقعَ الأَمرُ بِالعَكس ، فإنَّكُم الآنَ وقَبلَهُ من أَنصارِهم وأَعوانِهم ، وقَد مَلكْنَاها بِغَيرِكُم فَلا ولا كَرامَة " ، فعادَ الشَوِيع مَهموماً مَغموماً ،

[1] – هذه أقدارهم ، قدر الله .

[2] – الجامع المقدس : جامع صنعاء الكبير .

فوَصلَ قَريبُ الشَويع[1] في خمسينَ فارساً ، الأَميرُ حُمَيْضة بن فارع ، وكانَ من أَهلِ البَسَالَةِ والفِراسَة ، وأَمَلهُ استنقاذُ المَحصورينَ ، فلَم يَتمَكَّن مما أَمل ، فعاوَدَ الكَرة والشَوَيع مُنتَظِرٌ لهُ في بلادِ هَمْدان ، فاجتَمعَ بحُمَيْضة ونَهَضا إلى صَنْعَاء في مائتين وثلاثينَ فارساً وعِدَّةٍ من الرجال ، وعَضَدَهُم الداعي ابنُ الأَنف بجَمعٍ كثيرٍ من هَمْدان ، فتَقَدموا على مُصَلى سَبَأ المَعروفِ الآنَ بالمَشهَد ، فاتَّفقا على حَديثٍ لَم يَتم ، ولَم يُسعدِ الإمامُ إليه ، فآلَ الخَبَرُ بينَ الإمامِ والأَشرافِ على خُروجِ الشراكِسَة إلى يدِ الإمامِ وعلى حُكمه ، وذلكَ في اليومِ الخامسِ والعشرين من شَهرِ شوال من هذه السَّنة ، ومما قالَهُ الفَقيهُ البَليغُ موسى بن يحيى بَهْرَان ، يُهَنئُ الإمامَ بهذا الفَتح ، وجَعلَ أَولَها غَزلاً رَقيقاً ، فلا بأسَ بإيرادهِ لبلاغَته ، أَولُها :

بَاتَ سَميري و البَرَايا هُجُودُ ... بَدرٌ تَجلَى في لَيالي السُعـود
مَا كَانَ أَحلى سَمَري عِنْدهُ ... حَتى كأَني فـي جِنـانِ الخُلود
لِمُقلـتي مِـنْ خَـده جَنَّـةٌ ... مَـحفُوفةٌ بالـنارِ ذات الـوَقُود
يـا مُوقدَ النارِ بقلبي مَتى ... تُـطفي لظَاهَا بِرِضاب بَرُود
وَيْلي من المِسْواك ما بَالهُ ... إلى ثَنَـايـاكَ كَـثيرَ الـوُرُود
قد كُنتُ أَولَ مَن أَرَاكِ الحما ... بالـرَشـفِ لو أَنَّ بَخيلاً يَجود
يا ساحِرَ الأَجْنَانِ باللَحظِ لو ... قابَلتَ مُوسى يومَ حَشرِ الجُنود

[1] – الشويع : آل الشويع منازلهم في بلدة وادي ظَهْر ، ينحدرون من نسل سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

غَلبتَ باللحظِ عصاهُ ولَم ... يَخرَّ أَهلِ السحرِ منها سُجود

ولَم يَزَل في هذا الغَزَلِ الرَقيق والعُقودِ الرَّحيق إلى أَنْ خرجَ إلى المَدحِ ، فقَال :

جَاري مِن الجُّورِ إمامُ الهدى ... أَفضَلُ من زُفَّتْ إليه البُنُود

خليفَةُ الرحمنِ في أَرضِه ... مُبارَكُ الوَجهِ كَريمُ الجُدود

بَرٌ تَقيٌ من بَني المُصطفَى ... إمامُ حقٍ سَاعدَتهُ الجُدُود

قالَتْ لهُ الأَيامُ إذ أَقبلَتْ ... ما أَحسَنَ الوَصل عُقَيب الصُدُود

و لَيْسَت الدُنيا لهُ بُغيَّةً ... و لَو بَدَتْ في زِي خُودٍ خَرُود

و إنَما قَامَ بِنَصر الهُدى ... بِهمةٍ مَا بَرِحتْ في صُعُود

وهي طَويلَةٌ جَيدَةٌ وقَصْدُنا الإختصار .

وقَد قيلَت في الإمامِ شرفَ الدين في هذا الفَتحِ قَصائدُ جَمَّةٌ لَو ذَكَرناها لَطالَ الشَرحُ ، والغَرضُ الإيجاز .

ولَمَا خرجَ الشراكِسَة من القَصرِ طَلَبُوا مَن يَحميهم ويَمْنَعُ أَهلِ صَنْعَاء منهُم لِشدَةِ ما كانُوا يُعاملونَ أَهلِ صَنْعَاء من العَسفِ والعُنفِ وشدة الوَطأَة ، فخَرَجوا بِصُحبَةِ المُطهرِ ابن الإمام إلى المَشهدِ المُقدس الذي يَلِي مَشهدَ فَرْوَة بن مِسَيْك ﷺ[1] ، فلَما قَرُبوا منَ

[1] – مسَيْك : أحد أحياء صنعاء الآن وينسب إلى الصحابي فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادي ، وفد على النبي ﷺ سنةَ تسعٍ للهجرة وتعلم القرآن وتعاليم الإسلام واستعملَه النبي ﷺ والياً على زبيد ومراد ومذحج، توفيَ بصنعاء وقبره فيها .

المَشهدِ فَرُّوا على ظُهورِ خُيولِهم ، ثُم أَنَّهُم قَصَدوا الداعي ابن الأَنِف ، فَمَنَعَهُم مِن دُخولِ بِلادِه إلا بِإذنِ الإمام .

ودَخلَت سنةُ أَربعٍ وعشرين وتسعمائة ، وفيها وَقَعَت في المِخْلاف السُليماني فتْنَةٌ كُبرى بينَ أُمراءِ جَازان [و] أُمراءِ حَلي ابن يَعقُوب[1] ، وسَبَبُها أَنَّ الأَميرَ قيسَ بن محمد بن أَحْمَد بن دُرَيْب صَبَّحَ وادي جَازان لإِحَنٍ[2] تقَدمَت بَينَهُما ، وقَتَّلَ من أُمراءِ آلِ قُطبِ الدين ، وأَهلِ صَبْيا عالَماً كَثيراً ، وكانَ رَئيسُ جَازان في ذلكَ الوَقتِ الأَميرُ المَهدي بن أَحْمَد بن دُرَيْب بن خالد بن قُطب الدين ، وكانَت الوَقعَةُ بالعويرا[3] فانْهزَمَ أُمراءُ جَازان إلى العاليَةِ من وادي حلب .

وفيها اجتَمَعَ الإمامُ الحَسَن بن عز الدين المُقَدمُ ذكرُهُ وأَشْرافُ الجَوْف والشراكِسَة و تعاقَدوا على حَربِ الإمامِ شرَفِ الدين ، ثُم قَصَدوا بِلادَ ثلاَ ، وفيهَا عِدَّةٌ مِن الأَجْنادِ الإماميَة ، فأَحرَبَهُم أَهلِ المدينَة وهَزَموهُم هَزيمَةً كَبيرة ، وقُتِلَ من الشراكِسَة خمسةٌ وعشرون ، وجُزَّت رُؤوسُ القَتلى وغَنِموا مِن خَيلِهِم وسِلاحَهِم وتعقبها ، فأَرَقَّ الإمامُ الحَسَن بعضَ الشراكِسَة ورَحَلوا إلى تَهَامَه .

وفيها قَبضَ الإمامُ حِصن القص[4] الصغيرِ مِن أَهلِه ، وقبضَ الإمامُ حصنَ كَوْكَبان .

وفي سنةِ خمس وعشرين وتسعمائة غَدَرَ الأَميرُ عز الدين بن أَحْمَد القُطبي في المِخْلافِ السُليماني بأَخيه الأَميرِ المَهدي بن أَحْمَد ، بعدَ أَنْ أَرسَلَهُ بِجُنْدٍ من عِندِه لإِعانَةِ

---

(1) – حلي ابن يعقوب :بلدة تقع جنوب القنفذة بالقرب من ساحل البحر الأحمر الشرقي في وادٍ يسمى حلي في المخلاف السليماني ، قال ياقوت الحموي :إن حلي حد الحجاز من اليمن .

(2) – إحن : أحقاد وضغائن .

(3) – العويرا : بلدة في المِخْلاف السُليماني .

(4) – حصن القص : الصواب حصن الفُص بالفاء ، وردت خطأً في المخطوط والمطبوع ، وهما حصنان ، حصن الفُص الصغير والكبير ويقعان في بلاد بني حشيش إلى الشرق من صنعاء .

الشراكِسَة ، فتَواطَأَ هوَ وذلكَ الجُنْدُ على أَخذِ الأَمرِ من أَخيه ، ورَجعَ إلى جَازان وقَبضَ على أَخيه وعلى أَعوانِه وسَجَنَهُم ثُم قَتَلَهم ، واستقَلَ بالإمارَة وثَبَتَت لهُ الهَيبَة .

وفيها تَوَجهَ الإمامُ شرَف الدين لِحصارِ مُدَع وهوَ بيدِ الإمامِ الحَسَن ، ثُم تَوَجهَ فأَخَذَ قَارِن[1] ، ثُم أَخذَ بِلاد الطَّرف[2] وكحْلان تاجِ الدين ، وفيها نَقَضَ العَهدَ الشيخُ محمد ابن أَحْمَد الظَّاهِري ، الذي كانَ بِرَدَاع وطَلَع إلى ذَمَار ، وظَنَّ أَنَّ الإمامَ قَد شُغِلَ عنهُ بالجِهَةِ الشَّامِيَة ، فلَما عادَ إلى صَنْعَاء وَجَّهَ عليه الجُنودَ فهَرَبَ الظَّاهِري ، ولَجأَ إلى بني شيخ بني مسلم ، وهوَ من أَنصارِ الإمامِ ، فأَخذَ لهُ أَماناً من الإمام .

وفي سنةِ ست وعشرين وتسعمائة تُوفيَ سُلطانُ الإسلامِ سليم خَان بايَزيد ، وتَوَلى السلطَنَةَ نَجلُهُ السُّلطان العَظيم سُليمان[3] بن سَليم ، وسيَأتي لَنا إنْ شاءَ الله ذِكرُ مُلوكِ بَني عُثمان في فَصلٍ مُستَقلٍ بعدَ استيفاءِ أَحوالِ شَرفِ الدين إنْ شاءَ الله .

وفيها وَصلَ أَميرُ حَلي بن يَعقوب الأَميرُ قَيس إلى جَازان ، فتَلَقَاهُ الأَميرُ عز الدين بن أَحْمَد القُطبي إلى مَوضعٍ يُسَمى حضران قريَةٌ من وادي ضَمَدْ[4] على ثلاثَة أَميالٍ منه ، فوَقَعَت بينَهُم وَقعَةٌ انْكَسَرَ أَميرا جَازان من حضران إلى جَازان ، وقُتِلَ منهُم الأَميرُ يحيى ابن أَحْمَد بن دُرَيْب ، ومن أَشْراف صَبْيا عالَمٌ كَثير .

---

[1] – قارن : بلدة إلى الغرب من عَمْرَان وإلى الشمال الغربي من صنعاء .

[2] – الطَّرف : من بني جبر من خولان الطيال إلى الشرق من صنعاء .

[3] – السُلطان سليمان (القانوني) : تولى الخلافة بعد وفاة أبيه السُلطان سليم عام ٩٢٦ هـ ، ولقب بالقانوني لسَنه بعض التشريعات القانونية المعاصرة لوقته والتي في مجملها لا تخالف الشريعة الإسلامية ، تُوفيَ عام ٩٧٥ هـ وقد دامت خلافته ٤٨ سنةً ، وقد تَعَرَّضَ لحملة من بعض الباحثين المعاصرين لاستخدامه كلمة القانون فظنَّها البعض ضداً للشريعة .

[4] – وادي ضمد : إلى الشمال الشرقي من مدينة جازان .

وفيها تُوفيَ الفَقيهُ العالِم الصالِحُ الوَلي ، سَعيد بن يحيى بن أَحْمَد بن زكريا صاحِبُ القصرة[1] ، يومَ الإثنين ثانيَ عَشر شَهرِ جُمادى الأُولى ، ولهُ كَراماتٌ كَما ذَكَرَ بعضُ أَهلِ النَقْل .

وفيها خرجَ المُطهر بن الإمامِ شرَفِ الدين إلى جَبلِ تَيْس[2] في مَغارِبِ كَوْكَبان ، فاستَولَى عليه وعادَ مُظَفراً .

وفي يومِ الإثنين ثامنَ عَشر شهرِ شَوال تَسَلَّمَ الإمامُ شَرفُ الدين حِصن ذي مَرْمَر ، وعَملَ فيه مَوكِباً عَظيماً .

وفي سنةِ سبع وعشرين وتسعمائة نَقضَ الهُدنةَ أَشْرافُ الجَوْف بينَهُم وبينَ الإمامِ شــرَفِ الدين ، وكانَ في البَوْن منهم فارع بن حُمَيْضة والشَويع وغيرهم من آل غرى[3] ، فخرجَ الإمامُ وولَدُهُ المُطهر صُحبَتَهُم إلى جَودَةِ الأَميرِ الخطير الناصر بن أَحْمَد بن محمد بن الحُسَيْن وغيره ، فلما تقابل الجمعان حمل الإمامُ بمن معَهُ ، فانهَزمَ آل غرى ، وقُتِلَ من جموعهم خلقٌ كثير ، وحاصرهم الإمامُ في عَمْرَان وأَحاط بهم من كل مكان ، فخرجَ منهم الأَكثر على حكم الإمامِ ، وخرجَ معَهُم بعض الشراكسَة الذين خَرجوا من صَنْعَاء ، فأَخذ الإمامُ خَيلَهم ودُروعهم وسلاحَهم ، وحَبس حُمَيْضة وأَصحابه في ثِلاَ ، وأَما الشَّوِيع فكان لهُ فرس من عتاق الخيل ، تُسمَّى الخَطلاء ، فدنا بها من دائر عَمْرَان وأَوثبها فوثَبَتْ الدائر ، ونجا على ظَهرِها ثُم طَلَبَ الشَّوِيع من الإمامِ ذمة ستة أَشهر ، فأَجابهم إلى ذلك ورَجعَ إلى صَنْعَاء .

وفي سنةِ ثمانٍ وعشرينَ وتسعمائَة خرجَ المُطهر بن الإمامِ إلى عَمْرَان ، فشَرَعَ أَهلُها يتمَنَّعونَ عَنهُ ، فحَملَ عليهِم ودَخلَ عَمْرَان عُنوَةً ، وأَسَرَ مَن فيها .

---

[1] – القصرة: لعلها بلدة القفرة الواقعة إلى الغرب من صَبْيا في المخْلاف السُليماني داخل حدود (المملكة العربية السعودية) .

[2] – جبل تيس : جبل مشهور يُقال لهُ اليوم جبل حبش وتقوم عليه مدينة المحويت .

[3] – آل غرى : لم أجد هذه القبيلة ولكن يظهر أن منازلهم في مناطق خَمِر وعمران وقاع البَوْن .

و في ســـنةِ تسعٍ وعشرين وتسعمائة تُوفيَ الإمامُ الناصرِ الحَسَن بن عزِ الدين في فَلَله[١].

وفي سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وتسعمائَة أَمَرَ الأَمير حَسَين صاحبُ زَبِيْد من الشراكسَة قَدْرَ مائَتي فارسٍ إلى مَوْزَع ، وكانَت إلى مَملَكَة عبدالملك بن محمد الطاهري ، فلَما بَلغَهُ وصُولِ الشراكِسَة غَزاهُم إلَيها ، فلَم يَشعُروا إلا وقَد خالَطَتهُم عَساكرُهُ وناوَشَتهُم بَواترُه ، وقُتِلَ منهُم من قُتِل وفَرَّ الباقونَ إلى زَبِيْد .

فلَما عايَنَ الأَميرُ الحُسَيْن ما أَصابَهُم من الذلَّة والجُبنِ ثارَت به العَصَبيةُ وخالَطَتهُ الحَميَّة ، فخرجَ مُتَجرِداً لِقتالِ عبدالملكِ إلى صُقْعِ دارِه ومَحَل قَرارِه ، فَطَوى المَراحِلَ بتلكَ الجَحافِل ، فمَا شَعرَ عبدالملك وهوَ في تَعزْ إلا وقَد حَطَّ الأَميرُ الحُسَيْن في مَيدانِ دارِ الوَعْد ، فبَرزَ لِقتالِهم ثُم وَلاهُم الدُبُر ، وفَرَّ عنهُم بعدَ أَن قُتِلَ طائفَةٌ من قَومِه ، ثُم دَخلَ حِصن تَعزْ وخرجَ منهُ خائفاً يَترَقَّب فانتَهت هَزيمتَهُ برأَسه إلى مَضْرَح[٢] .

ودخَلَ الشراكِسَة بَعدَ فِرارِه مدينَةَ تَعزْ ، فاستَبَاحوا في تَعزْ مَحطَّةَ[٣] عبد الملك ، ولَم يَتَعرَضُوا لغيرِها ، وتَسلَمُوا الحِصن ، ثُم تَبعوهُ إلى مَضْرَح وحاصَروه ، وتَرَدَدوا في السَرْحة ما بينَ المقْرَانة ودَمْت وقَد طَعن من خَوفِهم أَهلِ تلكَ البِلاد ، واشتدَّ الحِصارُ على عبدالملكِ في مَضْرَح ، فأَخرجَ مَكالفَهُ من جانبِ الحِصن من مَحلٍ لَم يَعرفهُ سواه ، وتَمَّت لَهُم النَجاة ، ثُم إنَّهُ التَفت إلى خَزائنه وذَخائرِه فأَحرَقَ منها ما أَحرَق ، وفَرَّقَ ما فَرَّق ، وقَصدَ حَضرَةَ الشيخِ الغَيْلاني ، وكانَ والياً في بعضِ الحُصون ، فقَبضَ عليه الغَيْلاني حالَ وصُولِه ، وأَرسلَ إلى أَميرِ الشراكسَة يُخبرُهُم بِقَبضه ، فبادَرَهُ بالوصُول وأَودَعُوا عبد الملك الكُبول ، وحَمَلُوهُ ومَكالِفَهُ معَهُ إلى جِهةِ خُبَان ، وأُمِرَ بعبدِالملك

---

(١) – فلله : سبق التعريف بها .

(٢) – مضرح : حصن في أعلى جبل منقير المطل على وادي بنا من بلاد النادرة من أعمال إب .

(٣) – بيوته وقصوره .

فقُتل ، ونالَ مَكالفَهُ من الفقرِ والرياب[١] ما يَقصرُ عنهُ المَقال ، ثُم أنَّ الشيخَ الحلي من أهلِ شَرْعَب أَخَذَتهُ الحَميَّةُ والنَخوَةُ العَربيَة ، فأَلَّفَ شَملَهُم المُبَدَد وجَلى كَربَهُم الأَسوَد ، وسارَ بِهم إلى حَضرَةِ المشايخِ بَني سَرْحَة[٢] .

ولما وَصلَ الشراكِسَة إلى المِقْرانة وفَعلوا ما فَعلوا ، حصَلَ مع أَهلِ صَنْعَاء ما حصَلَ من الرُّعبِ والوَجَل ، وخرجَ بعضُهم إلى البَوادي ، وكذلكَ أَهلِ ذَمَار وَقَعَ منهُم ما وَقَعَ من أَهلِ صَنْعَاء ، وكانَ الإمامُ شرفُ الدين وولَدُهُ المُطهر في ثلاَ ، فلَما بَلَغَهُم ما وَقَعَ من أَهلِ صَنْعَاء وذَمَار ، تَوَجهَ إلى صَنْعَاء ودَخلَها صُبحَ يومِ الجُمعة في شهرِ رَجَب من السَّنة ، فطَلَبَ مَن بَقيَ من أَهلِ صَنْعَاء ولامَهُم على سُوءِ فِعلِهِم ، وأَنَّ ذلكَ يُجرِئُ عليهِم الخَصم ، فلامُوا نُفوسَهُم واعترَفوا بِخَطَئِهِم .

وفي أَولِ شَعبان من السَّنة وَقَعَ الطَاعون في صَنْعَاء وغيرِها وعَمَّ البلاد ، وهَلَكَ فيه جَمٌ غَفير ، وكانَ يَخرجُ من صَنْعَاء كُلَ يومٍ فَوقَ المائَة ، وكانَ في آخرِ يومٍ من رَمضان خرجَ مِن صَنْعَاء سَبعةَ عَشر مائَة ، ومِثلُها يومَ العيد وثانيَ العِيد ، ولَم يَبْقَ في المدينَة إلا اليَسير .

وفي سنةِ خمس وعشرين وتسعمائة وَصلَ مَرسومُ السُّلطانِ الأَعظَمِ سُليمان بن سَليم إلى والي زَبِيْد الإسكَندَر يَتوعَّدُه ، فدَخلَ في طاعَتهِ وانْتمى إليه وقابَلَ قَضائَهُ بالإِكرامِ والإِحسانِ العَام ، قالَ الوَاسِطي في أُرجوزَتِهِ المَشهورَة لَديهِم :

و مِن هُنا إسكَندَر ترَوَّما　　　و صَارَ في دولتِه مُخَضرَما[٣]

---

[١] – الرياب : الصّدْع والتصدع ، قاله الفيروزأبادي .

[٢] – بني سرحة : بلدة من بلاد المخادر من أعمال إب يرجعون في نسبهم إلى سرحة بن يحصب بن دهمان... بن حميَر .

[٣] – ترَوَّما : انتسب إلى الروم (الأتراك العثمانيين) ، على وزن تأمْرَكَ (نسبةً لأمريكا) .

ولَما فَعلَ ذلكَ الإسكَندَر ، تَنكَّرَت لهُ عَساكِرهُ من الشراكسَة وتألَّبوا عليه ، فأظهَرَ لهُم الإنحرافَ عنِ السلطَنَةِ العُثمانيَة ، وأقامَ في اليَمَن مُدةً مُضْمِراً لِطاعَةِ السَلطَنة المُؤيَّدة .

وفيها كانَ الصَباحُ المَعروفُ بأَبي عريش[1] بصَباحِ اسْكَندَري[2] ، وذلكَ أنَّ اسكَندَر أَرسَلَ غَواير[3] إلى جَازان يُريدُ أَخْذَه ، لَمَّا بَلَغهُ أنَّ الأَميرَ عزالدين قَتَلَ أخاهُ المَهدي ، فلَما بَلَغهُم وصولُ عَسكَرهِ انهَزَمُوا وعَطَّلُوا البلادَ ، وهَرَبَ الأَميرُ عز الدين ولَم يُقاتِل عَن مَملَكتِهِ ولا ذَبَّ عَن نَفقَته ، فوَصلَ الأَجْنادُ وأَخرَبوا وادي جَازان إلى البَحر ، ورَجَعوا إلى زَبيْد ، فتَراجَع أَهلِ جَازان وبَقِيَ الأَميرُ عزالدين على مَملَكته .

وفي سنةِ ست وعشرين وتسعمائَة تَكبَّرَ الإســكَندَر وطَغَا وتَجبَّرَ على أَصحابه اللوَيد[4] ، فخالَفوا إلى الجَمالِ الرُومي ووَلَّوهُ أَمْرَهُم ، وثَاروا على الشراكسَة فهَجَموهُ وقَتَلوهُ ، تَوَلَّى قَتْلَه الجَمال الرُومي الذي وَلَّوهُ الإمارَة ، وصَفيَ الأَمرُ للجَمال . ونَشرَ العدلَ بزعمه ، وهوَ الذي بَنا المَدرَسةَ الكَمالية[5] بزَبيْد ومُدةُ وِلايَته سَنتان ونصف .

وفيها تُوفيَ بالمِخْلاف السُليماني الشيخُ الجليلُ الفاضِلُ النَبيل الهادي بن أَبي القاسم ابن علي بن أَبي بَكر الحكمي رَحِمهُ الله .

وفي سنةِ أَربعٍ وثلاثينَ وتسعمائَة عادَ الإمامُ شرفُ الدين إلى صَنْعَاء ، وفيها فَتحَ الإمامُ بِلادَ اليَمانيَة ، واسترجَعَ كَنن والكُمَيم[6] ، وقَد كانَ عاثَ فيها أَهلُها عُقَيب

---

(1) – أَبو عريش : إحدَى بلدات المِخلاف السُليماني المشهورة .

(2) – صباح اسكندري : صباحُ اليوم الذي هاجمهم فيه الإسكندر .

(3) – غواير : غارات ، وردت في المطبوع غوائر .

(4) – اللويد : ما التحق بالجيش العثماني من أهلِ البلاد أو تبعهم من مناطق أخرى .

(5) – المدرسة الكمالية : كانت في زبيد ملاصقة للسور الشرقي ، بناها كمال بك أحد عساكر الجَيش العثماني وهو الذي قَتَلَ اسكَندَر في زبيد ، وقُتل هو أيضاً في زبيد عام ٩٣٠هــ على يد مجموعة من جنده .

(6) – الكميم : منطقة واسعة آهلة من أعمال ذمار .

الطَاعون ، ثُم فَتحَ جهْرَان ، وبلادَ آنسْ ألهان[1] ، ومُقرى[2] وأَخذَ حُصونَها وأَذْعَنَ لهُ أَهلُها بالطاعَةِ ، وكاتَبَتهُ الشراكِسَة الذينَ كانُوا في المقْرَانة أَنَّهُم داخلونَ في طاعَته ، فأَرسَلَ إليهِم لِيَتسلمَ المقْرَانة منهُم فَقيهٌ يُقالُ لهُ محمد جَسَّار ، والشيخُ أَحْمَد بن هادي المرهبي ، فوَصلاهَا وقَد سَبَقَ إليها عُمَر بن عامِر بن طاهِر ، وهوَ في ذلكَ الوَقت في رَدَاع ، فلَما وَصلَ الفَقيهُ والشيخُ من جهةِ الإمامِ قَبضَ عليهِما الطاهري وتَسَلَّبَهُما وحَبَسهُما ، فلَما عَلِمَ بذلكَ الشراكِسَة قَبَضُوا على عبدالغَني عامِلِ عُمر بن عامِر وأَطلَقُوا أَصحابَ الإمامِ .

فلَما وَصلَ العِلمُ إلى الإمامِ أَنْفَذَ ولَدَهُ الأَسَدَ الهَصورَ والهزبرَ المَنصور المُطهرَ بن الإمام في جَيشٍ لهام ، فتَوجهَ ففَتَحَ ما لَقيَهُ من البلادِ العاصيَة والأَماكنِ القاصيَة ، من حُدودِ مَعْبَر حتى وَصلَ دَمْت[3] ففَتحَ حِصنَها وواجَهَهُ أَهلُها ، ثُم تَسَلَّمَ حِصنَ المقْرَانة ، وواجَهَهُ الشراكِسَةُ الذينَ كانوا فيها ، ودَخلَ في طاعَته جَميعُ القَبائلِ ودَخَلَ المقْرَانة يومَ الجُمعة ثالثَ عَشر شَهرِ صَفَر وصَلَّى الجُمعَةَ في جامعِهَا ووَجَدَ فيها المدافعَ الكِبار الذي[4] تركَتها الدولَةُ الطاهرية ، والأَثاثات العَظيمة .

ثُم انتقل إلى القادر ، وقَد أَجْلَى عَنها أَهلَها خَوفاً من السَطوات المُطَهرية ، فوَجَدَ فيها من آلاتِ النُحاسِ ومن مَصاغِ الذَهَبِ والفضة والنَقْد واللُؤلُؤ وشُخوصِ البَلور شَيئَاً كثيراً ، لأَنَّ بني طاهِر لَمَّا دَهَمَتهُم الجُيوشُ الغُورية نَقَلوا ذَخائرَهُم إلى هذه الحُصون ، ثُم تَوجهَ على آلِ عبدالله فقَتلَ منهُم جَماعَةً ، ووَجَدَ عندَهُم من الذَخائرِ مثلَ ما وَجَدهُ في القادر ، ثُم تقدمَ إلى جُبَنْ ، وواجَهَهُ أَهلِ جبلِ حَرير ، وجَمعَ أَهلِ

---

[1] – ألهان : كانت بلاد آنس تعرف قديماً بـــ مخلاف " ألهان " .

[2] – مقري : بالياء ، الاسم القديم لما يعرف اليوم بمغرب عَنْس .

[3] – دَمْت : بلدة مشهورة من أعمال إب ، وهي في الطريق الواصل ما بين صنعاء وعدن وتشتهر بمياهها المعدنية .

[4] – الصواب : التي ، لعله خطأ من الناسخ .

تلكَ الجهةِ ووَجَدَ من الكُتُبِ النَفيسَةِ في كُلِ فَن ، وكانَ عامِر أَخَذَها من الأَوقاف ، واستَنسَخَ مِنها ما لَم يوجَد ، فإنَّها كانَت في قَصرِ غَمْدَان من الكُتُبِ مالا يَحويه العَدُ ولا يَحصُرهُا الحَد ، فأَخَذها عامِر وحَملَها إلى بِلادِه ، فجَازاهُ اللهُ بِمثلِ ذلك ، وكادَت الدُنيا أَنْ تَكونَ دارَ جَزاء ، فسُبحانَ المَنان الذي لا تُغَيرُهُ الأَزمان .

ثُم أَخذَ قَلعَةَ رَدَاع[1] ومعَهُ جَماعَةٌ من الشراكِسَة ، ثُم انثنى المُطهر إلى حَضرَةِ والدِهِ مَنصورِ الأَلويَةِ مَعمورِ الأَنْدِيَة ، ولِبعَضِ بُلغاءِ عَصرِه لَمّا وَصلَ ، شِعراً:

أَطاعَكَ إذعاناً لـهَيبتكَ الدَهرُ ... و قَابَلكَ الإحسان و الفَتحُ و النَصـرُ
و لَستَ تَهْنا بالذي أَنتَ نَائِلٌ ... لأَنَّكَ لِلـدُّنيا و سـاكِنـهـا فَـخـرُ
إذا مَـا رَدَاعُ مَلَّكَتكَ زِمَامَهـا ... فَدُونَ عُلاكَ الشَمسُ و الأَنجُم الزُهرُ

– وهي طَويلَةٌ والقَصْدُ الإختِصار–

وعلى الجُملَة أَنَّ المُطهَر ما رَجعَ من هذهِ السَّفرَةِ إلا وقَد فَتَحَ من بابِ صَنْعَاء إلى جبلِ حَرِير[2] ، وأَطلَعَ أَبواب المِقْرَانة التي أَخذَها عامِر من صَنْعَاء وظَفَار ، والتي أَطلَعَ المُطهَر فوقَ مائَتي حِمل .

ولما استَقرَّ بصَنْعَاء ظَهَرَ من خَولان صَنْعَاء الخِلاف ، وطلَبَت النزالَ والمَصاق[3] ، واجتَمَعَت القَبائِل الثَلاث على الضَّلالِ والسُّلوكِ في أَهلِ الجَهال ، فكَتَبَ إِليهِم المُطهر كِتاباً يَقولُ فيهِ إِنَّ رهائِنَكُم الذينَ في القَصرِ على شَفيرِ التَلاف ، مَقرونينَ بِتمامِ ذَلكَ

---

[1] – رداع : مدينة مشهورة إلى الشرق والجنوب الشرقي من ذمار .
[2] – جبل حرير : منطقة جبلية آهلة إلى الشرق من الضالع في اليَمَن الأسفل ، ورد في المطبوع جبل جرير خطأً .
[3] – المصاق : لعلها وردت مصحفة عن المصاف وهو تقدم الجنود صفوفاً تترا في ساحة المعركة .

الخِلاف ، فلَما بَلَّغَهُم الرَسولُ الكِتاب ، أَجابُوا بغيرِ الصَواب ، فأَمَرَ المُطهرُ بِقَطعِ أَيدي الرَهائِنِ وأَرجُلِهم من خِلاف[1] ، فلَما بَلَغَ ذلكَ أَهاليهُم سَقَطَ ما في أَيديهم ، فاجتَمَعَ خَولان وتَحَشَّدوا واجتَهَدوا ، وقَد كانَ قَبلَ قَطعِ رَهائنهم انْبَرَى بَعضُ شَياطينهم إلى بابِ اليَمَن ، وقد أَظْلَمَ الليلُ و أَجَن ، فأَضرَمَ فيها شِهاباً وأَذْكاهُ التِهاباً ، فتَوَجهَ إليهم المُطهرُ البَطلُ الغَضَنفَر فاجتَمَعوا القَبائِلِ لِقتاله ، فجَرَتَ بينَهُم حُروبٌ أَفْضَتَ إلى هَزيمَتِهم وانحِلالِ عَزيمتِهم ، فدَمَّرَ المُطهر بِلادَهُم ، وقَطَّعَ أَعنابَهُم[2] ، وتَرَكَها خاوِيَةً على عُروشِها .

ولَمَا تَيَقَّنوا أَنَّ لا رَادِعَ للمُطهر عنهُم ولا دافِع ،أَذعَنُوا وأَطاعُوا ودَخَلوا في حُكمه ، فقَبَضَ من شياطينهم ثلاثمائَة أَو يَزيدون وأَودَعَهُم السُجون ، ثُم أَمَرَ بهم فقُطِّعَت أَيديهُم وأَرجُلُهُم من خِلاف[3] ، فذُعِرَ من بَقِيَ وخَاف ، ثُم أَنَّهُ أَعلَمَهُم أَنْ لا أَمانَ لَهُم حتى يَأتوا بِمُحَرِقِ الباب ولَو كانَ في السَّحاب ، فطَلَبوا ذلكَ المَريدَ حتى وَجدوهُ في بِركَةٍ في وَديد ، فعادوا [به] إلى المُطهر ، فأَمَرَ أَنْ يُحمَلَ إلى صَنْعَاء وأَنْ تُسَمَّرَ كَفاهُ إلى الباب ، وبَقِيَ كذلكَ حتى أَدرَكَتهُ الوَفاةُ ، فَذُلَّت بعدَ ذلكَ خَولان ، وهكذا عاقِبةُ من بَغى وخَان ، وكانوا قَبلَ ذلكَ لا يُغَيرُ لَهُم حالٌ ولا يُكَدَّرُ لَهُم بَال .

وفي سنة ثلاثين وتسعمائة قُتِلَ الأَميرُ عز الدين بن أَحْمَد بن دُرَيْب القُطبي ، وسَبَبُ قَتْله أَنَّ اللوَيدَ لَما استَولَوا على اليَمَن كانَ أَميرهُم إسكَندَر القرماني ، فوَصلَهُ سَلمانُ الرُوميُ بِعَزلٍ من سُلطانِ الإسلامِ الذي في مصر سُليمان بن سَليم ، وقَد كانَ سَلمان استَوزَرَ الفَقيهَ حُسَيْن الرومِي ، فلَما وَصلَ بَنْدَر البُقعه خرجَ إليهِ الإسكَندَر ، وامْتَثَلَ

---

[1] – هل هذا خُلقُ الرَسول ﷺ أو فعلُه ، ومتى فعل هذا حتى مع المشركين ، نعوذ بالله من الخذلان .

[2] – قطع أعنابهم : هل هذا بوصية من رَسول الله ﷺ أيضاً أن يقطع أرزاقهم ، وهم إخوانه في الدين ، أليس لهم عوائل وأطفال يعولونهم .

[3] – هل هذه عقوبة عادلة لجريمة حرق أحد أبواب المدينَة ، أن تقطع أيدي وأرجل المئات ممن لا ذنب لهم والفاعل مجهول ، بأي شريعة يحكم هذا الإمام ، الله المستعان .

الأَمرَ وصَبَر ، فلَما خرجَ تَغلَّبَ اللوَيدُ على زَبِيْد و نَبَذُوا طاعَةَ السُّلطان ، فعادَ سَلمان إلى المُراوَغَة ، وأَرسَلَ للعَربِ من شَامِّي تِهَامَه والأَشْراف ، فوَصَلَهُ الأَميرُ عزُ الدين من جَازان ، وانْضمَّ إليهِم عَسكرُ اسكَندَر القرماني ، فقَصَدوا اللوَيد إلى زَبِيْد ، فحصَلَ القتالُ وانهَزَمَ اللوَيد إلى زَبِيْد فأَغلَقوا أَبوابَها ، وطَلَبوا من سَلمانَ الأَمانَ فأَعطاهُم ، ودَخلَ زَبِيْد وتَرَكَ الأَميرَ عزَ الدين في مَحطَته خارجَ زَبِيْد ، فحَصلَ بينَ عَسكرِ اسكَندَر وأَهلِ جَازان خَطأٌ وفتْنَة ، فغَضبَ الأَميرُ عز الدين ، ونَهضَ إلى بلادِه فتَبعَهُ الأَسكَندَر ، فرَجعَ إليهِم فقَاتَلَهُم قتالاً شَديداً وقَتلَ منهُم قَريبَ المائتين كما ذُكِرَ ، ثُم كَروا عليهِ وقَتَلوهُ ثانيَ اثنَين ، وغَنمَ أَصحابُهُ من عَسكرِ اسكَندَر من الخَيلِ والسِّلاح ، وعادوا إلى جَازان ظافِرين ، لَم يَنقُصوا إلا بقَتْلِ أَميرِهم ، ذَكَرَهُ الوَاسطي في تاريخه .

وبعد قَتْلِه تَنازَعَ على الإِمارَة في جَازان الأَميرُ أَحْمَد بن المَهدي وابنُ عمه الأَميرُ أَحْمَد بن الطاهِر وابنُ عمهِم الأَميرُ محمد بن يحيى ، فغَلَبَ الأَميرُ محمد بن يحيى فظَهَرَ عليهِم واستَولَى على البلاد .

وفي اليومِ الذي قُتِلَ فيهِ الأَميرُ عزُ الدين بن أَحْمَد ، تُوفيَ شيخُ الإِسلامِ قاضي القُضاة في التِهَائم أَحْمَد بن عمر بن محمد بن القاضِي أَبو المَحاسِن يُوسُف بن محمد المزَجَّد[1] بفَتحِ الزَاي والجِيمِ المُشَددَة ، وهوَ صاحبُ كتاب (العُبَاب المُحيطُ بنُصوصِ الإِمامِ الشافعي ﷺ والأَصْحَاب) ، أَجمَعَ عُلماءُ الشافعيَة في مِصرَ والشَّام واليَمَن أَنَّهُ لَم يُصَنَّف في مَذهَبهِم مثلُه في حُسنِ تَرتيبه وتَهذيبه وجَمعهُ .

وفيها ثارَ سَلمانُ على اللويد فقَتلَ منهُم كَثيراً وصادَرَ آخرينَ بالأَموالِ فنَصَبَ لهُ اسكَندَرُ حَبائِلَ المَكر ، واعتَضَدَ على سَلمانَ بالعَربِ وبَقية اللويد ، فلَما خافَ سَلمان

---

(1) – الإِمام صفي الدين أحمد بن عمر بن محمد المرادي المذحجي الزبيدي ، قاضي من فقهاء الشافعية بتَهَامَة ، ولد وتوفي بزبيد ، وَلِيَ قضاء عدن ثُم قضاء زبيد ، وله في فقه الشافعية أيضاً(تجريد الزوائد وتقريب الفوائد ، ما زال مخطوطاً) .

الغَلَبَة فَرَّ إلى الشَّام ، فلَما اطَّلَعَ الفقيهُ حُسَيْن الرومِي على فِرارِ سَلمان وَصلَ إلى زَبِيْد وقامَ بالأَمْر .

وفي شهرِ رَجَب من السَّنة وَصلَت مَراسيمُ سُلطانيَة ، بتقرير[1] الفَقيه حُسَيْن في اليَمَن ، وبعدَ وصُولِها إليه خرجَ يَتفَقدُ البِلادَ ماشِياً على العَدلِ والثَباتِ حتى وَصلَ تَعزْ .

وفي سنةِ اثنينِ وثلاثين وتسعمائة تُوفيَ الفَقيهُ حُسَيْن الرومي ، وقَد كانَ في مَرَضه أَقامَ مَقامَه في زَبِيْد رَجلاً يُقالُ لهُ مُصطَفى ، فاستَوزَرَ رَجلاً يُقالُ لهُ مَحمود ، فقيهاً عالِماً أَعلَمُ من الفَقيهِ حُسَيْن الرومي ، فعَمَّرَ البِلادَ وأَحسَنَ إلى العِباد ولَم تَطُل مُدَتُه .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وَصلَ سَلمانُ من الشَّام إلى اليَمَن ومعَهُ أَوامرُ سُلطانيَةُ تَقتَضي وِلايَةَ اليَمَن .

وفي سنةِ أَربعين وتسعمائَة فَتَحَ الإمامُ الجَوفَين ، وصَعْدَه ، ولَما استَولَى الإمامُ على الجهةِ اليَمَنية من صَنْعَاء إلى الدارم[2] ، حَدَثَ سَببٌ كانَ فيه حَركَةُ الإمامِ على الجهَةِ الصَعْدِيَة ، وهوَ أَنَّ الأَميرَ الناصر بن أَحمَد قَصدَ جهةَ مَأربْ وهُم أَتباعُ الإمامِ ، فلَما عَلمَ الإمامُ بِذلكَ لَم يَقِرَّ لهُ قَرار ، فحَشدَ الأَجْنادَ وعَزمَ بنَفسه في يومِ الخميسِ سادسَ عشر المُحرَم من سنةِ أَربعين ، وكانَت طَريقُهُ بِلادَ نِهْم ، وفي صُحبَته ولَدَهُ السَيفُ المُنتَضَى المَسلولُ في يَدِ القَضاء المُطهر بن الإمام ، فاقتَضَى رَأيُ الإمامِ أَنَّ ولَدَهُ المَذكور وسَيفُهُ المَشهور يتقدمَا لِقتال الأَشْراف ، فسَبَقَ الإمامُ إليهم رِسالَةً يَعظُهم ويُذَكِّرُهُم ويَعذُرُ إليهم ويُنذرُهُم ، فلَم تُجدْ فيهِم ، وعَقبَ ذلكَ اليومِ تقَدمَ المُطهر بن الإمام في يومِ الإِثنينِ رابعَ صَفَر منِها ، فلَما تَراءَى الجَمعانِ في مَحَلٍ يُقالُ لهُ السَّوَاد[3] وعاينَ

---

[1] – قرار تعيينه والياً .

[2] – الدارم : لم أجد الدارم ، لعله قصد حصن الدامر في منطقة الأَشْراف من أعمال مأرب .

[3] – السَّوَاد : (مركز إداري) في منطقة حُوث إلى الشمال من عَمران .

الأَشْرافُ تلكَ الجُنود ، وحَمَلوا حَملَةً واحدَة ، وانهَزَمَت فيها مَيسرَةُ المُطهر وثَبَتَ المُطهَّرُ في القَلب ، وجَعلَ الأَميرُ صالِح بن أَحْمَد يُنادي بأَعلَى صَوته : " مُطَهر ، يا طلابَته لا يَفوت ، مُطهرٌ لا يَفوت " ، يُكَررُ التَحريضَ عليه لعلمه أَنَّهُ قُطبُ رَحَى الحُروب وهزَبرُها المَرهوب ، واختلَطَت الخَيلُ بالخَيل ، وثارَ النَقْعُ حتى صارَ النهارُ كاللَيل ، فأَنجزَ اللهُ وَعدَهُ للمُطهر ، ورَمَت البَنادقُ التي في صَفِّ المُطهرِ بن الإمام فجَرَعَت الأَشْرافُ الحَمزات كُؤوسَ الحِمَام ، فقُتلَ الأَميرُ صالح بن أَحْمَد ، والأَميرُ جابر بن قاسم ، والأَميرُ قاسم بن أَحْمَد بن محمد بن الحُسَيْن ، وأَبو شَيبَةَ من أَشْراف الحُسَينات ، والأَميرُ أَحْمَد بن عبدالله من أَعيانِ آل سَلمان ، وعدَّةٌ من الأَشْراف الكُبرى[1] ، وانهَزَمُوا هَزيمَةً جاوَزوا فيها الخَرابَ والعامر ، فتَبعَهُم المُطهرُ بجَيشه القاهر ، ودَخلَ بيومه بلدَةَ الزَّاهر ، وذلكَ في يومِ الخميسِ سابعَ شهرِ صَفَر من السَّنة .

وتَوَجهَ الإمامُ وولَدُهُ الهُمام إلى جهَة صَعْدَه فخامَرَت الأَشْراف والإمامَ مَجدَ الدين الشدَةُ وبَنَوا على الحَربِ والنَّجدَة ، ولَمَا قَرُبَ الإمامُ من مدينة صَعْدَه أَرسَلَ المُطهرُ بطائفة من العَسكر ، فظَفروا بطائفة من قَبائل تلكَ الجِّهة ، فأَمرَ المُطهر بقَطعِ أَيديهم وأَرجلِهم من خلاف[2] ، فلَما شارَفَ الإمامُ دُخولَ صَعْدَه ، فَرَّ عنهُ أَهلِ دَولَتها ، وتَلقاهُ أَهلِ المدينَة وعُلمائُها وعامَتُها ، فدَخلَها يومَ الجُمعة الثاني والعشرين من شهرِ صَفَر ، وجَعلَ طَريقَهُ إلى جامعِ الهادي يحيى بن الحُسَيْن فأَنْشَدَ الإمامُ ارتجالاً لَما زارَ قبرَ جَده الهادي وأَعلَنَ بها في ذلكَ النَادي ، وهيَ هذه :

---

[1] - لعله أراد كبراء الأشراف و رؤسائهم .

[2] - يظهر أن هذا الإمام لهُ ولع بالقتل ، ألا يوجد عنده عقوبة أقل من هذه ، ألم يسمع قول الله تعالى : (فإما مناً بعد وإما فداء) ، هذا مع المشركين والكفار فكيف بالحال مع المسلمين ، لا بُد أن يكون أرحم وأعطف .

زُرنَاكَ في زرَدِ الحَديدِ وفي القَنَا والمُشرفية و الجياد الشُزَّب[1]
وجَحافلٍ مثلَ البحارِ تَلاطمَتْ أَمْـواجُـهُـنَ بِكُلِ أَصْيَدَ أَغلَب
من كُلِ أَبلجَ من ذؤَابةِ هاشمٍ وبِكُـلِ أَروعَ من سُـلالةِ يَعـرُب
وأَعَاجمٌ سـودٌ و رُومٌ قَادةٌ وأَحـابِشٌ مثلَ الأُسُـودِ الوُثَّب
من بَعدِ أَنْ حَالَ القَرَابَةُ بَيننَا وتَـحَزبُوا بَغياً أَشَدَّ تَـحزُب
ولِذَا عَدُو اللهِ لَستُ أُقِيلهُ ولَوُ أَنَّهُ إبني أَو صَديقي أَو أَبي

– وهي أكثرُ من هذا القَدرِ اختَصرتُها –

ولما استَقرَّ الإمامُ شرفُ الدين بصَعْدَه ، خَضَعَت لهُ رِقابُ أَهلها ، وأَخذَ نَسلَها ورَسلَها ونَشَرَ فيها عَدلَهُ واستَبانُوا فَضلَه ، ودَخلَ في طاعَته السادَةُ الأَعلامُ آلُ المُؤيَّد ، وكانوا عُيونَاً في تِلكَ البِقاعِ ووجُوهاً في نَواحيها والأَصْقاعِ عِلماً وعَمَلاً وأَدَباً وفَضلاً ، وكانُوا مُؤتَمين بالإمامِ مَجد الدين بن الحَسَن الناصر بن الهادي علي بن المُؤيَّد ابن جبريل ، وقَد قَدمنا رَفْعَ هذا النَسبِ في تَرجَمةِ الإمامِ الهادي علي بن المُؤيَّد ، والإمامُ مَجدُ الدين رَحَلَ إلى بِلاد أَبي الخَطَّاب[2] .

وعندَ استِقرارِ الإمامِ شرَف الدين وفِرارِ الأَشْراف الحمزات ، استَقوا[3] قَبائل الشَّام ، وحَرَضوهُم على حَربِ الإمامِ ، وجَمَعوا جميعَ قَبائِل تِلكَ النَواحي مِن سِنْحَار ،

---

(1) – المشرفية : نوع من السيوف ، الشزب / الشوازب / : وهي الخيل الضامرة ، كناية عن سرعتها وخفتها .

(2) – أبي الخطاب : بنو الخطاب ، فخيذه من آل نصر أحد بطون بني جماعة في بلاد صعدة ، كانت منازلهم إلى الجنوب الغربي من سَاقَيْن ، ولهم حصن في أعلى جبل هناك باسم (حصن بني الخطاب) .

(3) – استقوا : خطأ من الناسخ جاءت بواو واحدة والصواب (استقووا بقبائل الشام) ، وهي القَبائل المتاخمة للمخلاف السُليماني من أعمال صعدة .

وعَمَّار ، وسَنْحَان ، ويَام ، وعَبِيْدَة ، و وَادِعَة ، وأَقبَلُوا في تلكَ الأُلوفِ في الرِماحِ والسُيوف ، فقَصدَهُم المُطهر بن الإمامِ بذلكَ الجَيش اللّهام إلى مَوضعٍ يُسَمى الحُسَينات ، فثارَ الكِفاحُ وعَلقَت الحَربُ اللقَاح وانتُهبَت الأَرواح ، ثُم كَرَّ عليهَم المُطهَر وحَملَ حَملَةَ الغَضنفَر ، وحَملَ معَهُ العَسكرُ ، فانكَشفَ الأَشْراف ، ونَهلَت منهُم ومن أَعقابِهم الرِماحُ و الأَسياف ، فقَتلَ منهُم أَلفَ قتيل ، وأَسَرَ ستمائَةَ أَسيرٍ ثُم أَمَرَ المُطهر بالأَسرَى فَضُرِبَت رِقابُهم عن آخرِهم[1] ، وتُعرَفُ هذه القتلَةُ بِقتلَة المِخْلاف ، وصارَت تاريخاً في الزَمان و قِيلاً في كُلِ أَوان ، و كانَ قائدُ المُخالفينَ الأَميرُ الناصِرِ بن أَحْمَد بن محمد بن الحُسَيْن الحَمزي ، و الأَميرُ أَحْمَد بن داود بن الحُسَيْن ، و في ذلكَ يَقولُ بعضُ الشُعراء :

يَامٌ و سَنْحَان و الطَّاغُون وَادعَــةٌ ... ودُهْمَة أَقبَلوا نَحوَ الرَدى زُمَـــرا[2]

سَارُوا جَميعاً إلى المِخْلاف قَائدُهُم ... إبليسُ فَهُو بما قَد طَاوعُــوه جَرى

كَفعلـه بقُريـشٍ حينَ أَورَدَهُــم ... بَـدراً فَلَمـا رأَى مَا هَـالَـهُ صَدرَا

و قَـالَ إنّي بَـرِئٌ مِـنكُم فَلَقَــدْ ... رأَيتُ بِالعَينِ ما لَم تُدركُوا نَظَرا

فَضلُ تَاجِ بَني الزَهـرَاء قَاطبَـةً ... سَيفاً صَقيلاً لأَعنَاق الضَلال فَرَا

فـي كَفِ أَروَعَ لَما هَـزَّ حَـامِلُهُ ... على أَعَاديه مَـا أَبـقَى ولا وزْرَا

ذَاكَ المُطَهَرُ أَبقَى اللهُ مُهجَتَـهُ ... ولا أَرَانَـا بـهِ بُـؤسَـاً ولا ضَـرَرَا

---

[1] – لم ترد حادثة واحدة في سيرة النبي ﷺ أنه قَتلَ الأسرى ، والقتلى هم من آل محمدﷺ أيضاً في هذه الحادثة .

[2] – أسماء القَبائِل التي وقفت ضد الإمام واصطفت مع مخالفيه وخصومه .

وهي طَويلَةٌ ، وفي هذا القَدرِ كِفايَة ، فإنَّها كَثُرَت في هذهِ الوَقعَةِ الأَشعارُ وضاقَت عَنها الأَسْفار .

و أما أَخبارُ التَهَائم ، فإنَّها في سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وتسعمائة وَصلَ سَلمان ، حَسبَما سَبَقَت الإشارَةُ إليهِ إلى اليَمَن ، ومعَهُ أَمرُ السُّلطانِ الأَعظَم سَلمان بولايَته على التَهائم ، فعَصَى مُصطَفى الأَوامِرَ السُّلطانية ، فجَمَعَ سَلمانُ العساكِرَ وأَثارَ الفتنَةَ ، فأَرسلَ مُصطفى إلى والٍ لهُ يُسمى خيرَ الدين ، كانَ في الزَيدِيَة[1] ، و وَصلَ إليه وجعلَهُ سِردَار[2] عَسكرِه ، وبَعثَهُم لِقتالِ سَلمان ، ووَعَدَهُم مع رُجوعِهِم من قِتالِ سَلمان ، فبَرَزَ إليهِم سلمان فهَزَمَهُم إلى أَنْ دَخَلوا زَبيْد ، ثُم فَرَّ مُصطفى إلى تَعزْ واستَخلَفَ رَجلاً يُقالُ لهُ يُونس ، فوَصلَ سَلمان إلى زَبيْد ، فخرجَ إليهِ يُونُس ثُم انْهَزَمَ يونُس وأَعوانُه ، وتَدَبَروا في زَبيْد وأَغلَقوا الأَبواب ، ثُم طَلَبوا الأَمانَ من سَلمان فأَمَّنَهُم ودَخلَ زَبيْد مَحمولاً على سَريرِ لأَثرٍ معَهُ ، وكانَ من وَصلَ إليهِ من أَعيانِ العَسكرِ امسَكَهُ وكَحَّلَهُ .

وفي سنةِ أَربعٍ وثلاثين وتسعمائة سارَ مُصطفى لِقتالِ سَلمان فخرجَ إليه سَلمان إلى البَوْنة[3] ، فانكَسَرَ مُصطفى ، وقُتِلَ منهم من قُتِلَ وأَسَرَ سَلمانُ من أَسَر ، وفَرَّ مُصطفى وسِردارُ عَسكرِهِ ابنُ حَمزة ، فلَحقَهُم سَلمانُ وقَتَلَهما ، وعادَ ظافِراً إلى زَبيْد ، فأَظهَرَ العَدلَ وإِصلاحَ البِلاد .

وفيها وصَلَت إلى سَلمانَ أَخبارٌ بخَلعِ الأَميرِ محمد بن يحيى القُطبي صاحِب جازان لِطاعَتِه ، وكانَ قَد جَعلَ عليهِ في السَّنةِ مَالاً وخَيلاً ، وكانَ المُشَيعُ بخِلافهِ الأَميرُ أَحْمَد

---

[1] – الزيدية : بلدة مشهورة في سهل تِهَامَة إلى الشمال من الحديدة .

[2] – سردار: قائد أو آمر الجند .

[3] – البونة : لعله أراد قاع البَوْن وهو قاع سهلي فسيح إلى الشمال الغربي من صنعاء .

ابن المَهدي لعداوة بينهما ، فوصلَ إلى سَلمانَ وقرَّ لَديه ذلك الشأن ، فلَما عَلِمَ الأميرُ محمد بن يحيى أرسَلَ إلى سَلمانَ بالمالِ والخَيلِ على عادَته ، فمَا زالَ الأميرُ أحْمَد بن المَهدي يُحَرِضُهُ على محمد بن يحيى وهوَ يَعدهُ النَصرَ ظاهِراً ، واقتضَا رَأيهُ مُكاتَبة محمد ابن يحيى يَطلُبُ منهُ خَيلاً بطريقِ الشِراءِ ويُرسلُ بها إليه وَكيلاً ، ويَقبضُ أثْمانها ، وقَصدَ سلمانُ بذلكَ مَعرفَةَ طاعَة محمد بن يحيى ، فاعتَذَرَ محمد بن يحيى عن إرسالِ الخَيلِ لعَدمِها عندَه ، فأعادَ عليه مُكاتَبتَهُ مَرةً أُخرى ، وأرسلَ بالمالِ أثمانَ الخَيل ، فأمَرَ محمد بن يحيى الرَسولَ بالبَقاءِ حتى يَحصُلَ مَطلوبُه ، وأهانَ الرَسولَ ولَم يَحتَفِل به ، فاستَأذَنهُ الرَسولُ بالعَزمِ إلى حَضرَةِ سَلمان ، فتَلَكأَ ثُم أذنَ لهُ ، وقالَ : " أبلغْ مَولانا السَلامَ ، وعَرِّفهُ أنْ لَيسَ لهُ عندَنا طَاعَةٌ ولا مَعصيَة ، ولا نُظاهِرُ عليه عَدواً ، وإنْ قَصدَنا فنَحنُ وهوَ على الله " .

فلَما بَلَغَهُ مَقالَتهُ حَشدَ العساكرَ إليه وخرجَ بنَفسه ، فلَما قارَبَ جَازان خَرجَ إليه محمد بن يحيى فحصَلَ القتالُ بِمَوضعٍ يُسَمى القرن[1] قَريبَ المدْرَب[2] ، فقُتلَ الأميرُ محمد بن يحيى وتَفرَقَت جُنودُه ، ودَخلَ سَلمانُ جَازان ووَلَى الأميرَ أحْمَد بن المَهدي .

وفي آخرِ السَّنة قُتلَ الأميرُ أحْمَد بن المَهدي ، والسَبَبُ أنَّهُ امتَنعَ عَن تَسليمِ ما قَرَرهُ عليهِ سَلمان ، فغَزاهُ وقَتلَه ، ووَلَى في جَازان ابنَ أُختِه مُصطفى ، وأخرجَها عن الأُمراءِ القُطبيين .

وفي سنة خمس وثلاثين وتسعمائَة في شَهرِ مُحَرم خرجَ سَلمان إلى خِلافَتِه في طَائفَةٍ يَسيرَة ، فاجتَمعَ أعيانُ اللوَيد عليَه ، وقَتَلوهُ في سَلخِ شَعبان ، ووَلَّوا عليهِم خيرَ الدين

---

[1] – القرن : لعله في المخلاف السُليماني من أرض تَهَامَة ، وقرن أسماء لبلدات عديدة تزيد عن عشرين في أماكن متفرقة من اليَمَن ، أنظر معجم المقحفي .

[2] – المدرب ... لعلها بلدة الدرب وهي في أعلى سهل تَهَامَة على الطريق الساحلي ، و آل مدرب منازلهم في الجَوْف إلى الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة تزيد عن ٢٥٠كم ... ربما هو المكان المقصود .

، فدَخلَ بالعَسكرِ إلى زَبِيْد وأَسَرَ مَن كانَ فيها من أَصحابِ سَلمان ، فلَما بَلَغَ قَتْلُ سَلمان إلى ابنِ أُختِه مُصطفى ، وكانَ في جَازان انتَهَب جَازان ، وأَبا عَرِيش ، وأَخرجَ أَهلَها وفَرَّقَهُم أَيديَ سَبَأ ، وعَزَمَ إلى زَبِيْد بعدَ قَتْلِ خالِه بنِصفِ شَهر ، وأَرسلَ إلى الخَواجَا صَفر نائبِ خالِه في عَدَن ، فوَصلَ إليه في البَحرِ معَهُ عساكرُ كَثيرَة ، فدَخَلوا جَميعاً زَبِيْد ، فتَتَبعَ الذينَ قَتلوا خالَهُ سَلمان ، فقَتلَ خيرَ الدين ، و كَريم شَلَبي ، وسِنَان القعطيان ، ثُم تأَلفَ العساكرَ واستَمالَهُم إلى طاعَته وأَعطاهُم مالاً ، وصاحَ بالأَمانِ ، وسارَ سيرَةَ سَلمان .

وفيها وَلِيَ الأَميرُ عامرِ العَزيز إقليمَ جَازان والمخْلاف لإجماعِ الأَشْراف ، فعَزَموا لهُ ووَلَّوهُ ، وأَطاعَتهُ البِلاد ، واشتَغلَ عنهُ مُصطفى بالفِتَنِ الواقعَةِ في جِهتِه ، ثُم أَكثرَ من شراءِ العَبيدِ السُودان ، فلَما تَكاثَروا لَم يَنضَبِطوا فعَاثُوا في البِلادِ وكَثُرَت فيها الفِتَن ، والمُتَغلبينَ من جِهةِ أَميرِ حلى القبيعي[1] ، والشَّريف أَبي نُمَيّ بن بَرَكَات ، شَريفِ مَكَّة المُشرَفة .

وفي سنةِ ستٍ وثلاثين وتسعمائة ، بَلَغَ مُصطفى وهوَ في كَمَرَان أَنَّ اسكَندَر شولي العاملَ من جِهتِه في مَوْر[2] ، وسِهَام ، وخلع ، ودؤال[3] ، خَلَعَ طاعَتهُ ، فنَهضَ إليه فوَجدَهُ قَد قَوِيَ أَمرُه ، وجَمعَ العساكرَ وجَعلَ عليهِم سِرداراً الأَميرَ الناخُوذَة ، فلَما رَأى مُصطفى قوةَ اسكَندَر وأَنَّ لا طاقَةَ لهُ بِه رَجعَ إلى كَمَرَان وجَمَعَ أَموالَهُ وذَهَبَ إلى الهِند ، واستَخلَفَ على زَبِيْد الأَميرَ علي الرومِي ، فلَم يَلبَث الرومِي قَليلاً حتى وَجَهَ إليهِ اسكَندَر العَسكَرَ فَسلَّمَ إليه مدينَةَ زَبِيْد طَوعاً .

---

[1] – حلي القبيعي : لعله قصد حلي بن يعقوب الواقعة على ساحل البحر الأحمر شمال القنفذة وجنوب مكة .

[2] – مَوْر : أكبر أودية تِهَامَة إلى الشمال من الزيدية .

[3] – دؤال والتي قبلها هي بلدات وأودية في سهل تِهَامَة من أعمال المِخلاف السُليماني إلى الشمال من حرض .

وفي سنةِ سبعٍ وثلاثين وتسعمائة ، سارَ اسكَندَر شولي إلى تَعزْ والتَّعْكَر ، فاستَولَى عليهِما ، ووَصلَت لهُ تَقاريرُ من السُّلطانِ سُليمان ، وقَويَ أَمرُه ، ثُم أَصابَهُ الكِبْرُ وتَغيرَ عَقلُه ، وكانَ يُبغِضُ العَرب ، فخرجَت عن مُلكِه الجِبال من تَعِزْ إلى صَنْعَاء ، كَما سَيأتي .

وفيها في اليومِ السابعِ من ذي الحِجَة تُوفيَ الشيخُ الوالي الهادي بن أَبي القاسِم الحكمي[1] ، وكانَ لأَهلِ تِهَامَه فيه اعتِقادٌ عَظيم ، وتَحتَرِمُهُ مُلوكُ اللوَيد ، ويَقبلُون شَفاعَتهُ ، وكانَ يَأمرُ بالمَعروفِ ويَنْهى عن المُنكر ، لا تَأخذُهُ في اللهِ لَومَةُ لائم .

وفي سنةِ إحدَى وأَربعين وتسعمائَة في المُحرَم منها دَخلَ أَهلِ بَرَط وسائرُ بِلادِ دُهْمَة[2] تحتَ طاعَةِ الإمامِ شرفِ الدين ببَركَةِ العَزَماتِ المُطهَريَة .

وفي اليومِ الثاني من صَفَر استَولَى المُطهر بن الإمام على نَجْران ، وبَقِيَ فيها المُطهر حتى دَوَّخَ أَقطارَها ، وأَذْعَنَ لهُ شُطارُها وأَشرارُها ، ثُم واجَهَ إلى الإمامِ شرَف الدين الحَمزاتُ لَما عَلِمُوا أَنْ لا طاقَةَ لَهُم بِقتاله ، ولا قُدرَةَ على الخِلافِ عليه ، فأَذْعَنوا ودَخَلوا في طاعَته .

ونَهضَ الإمامُ إلى صَعْدَه لِمَرضٍ حَدثَ في أَصحابه ، وقَد تَمَّ لهُ طاعَةُ نَجْران سَهلِه ووَعرِه ، فلَما فَتَحَ نَجْران و لَم يَبْقَ في الجِهةِ الشَّاميةِ شَجَنٌ من الأَشْجان ، خرجَ من صَعْدَه سابعَ ربيعِ الآخرةَ ، ووَصلَ الجِرَاف[3] رابعَ عَشر ربيعِ الآخرة ، في يومِ الخميسِ من السَّنة ، وبَقِيَ المُطهر في تِلكَ الجِهةِ لِتمامِ صَلاحِها وكَمالِ فَلاحِها .

---

[1] – الحكمي : أحد البيوتات المشهورة في المخْلاف السُليماني حتى اليوم و منازلهم في جيزان وما حولها .

[2] – بلاد دهمة : قال نشوان : دُهُم بضم الدال والهاء ، وتنطق الآن دُهْمة بضم الدال وسكون الهاء ، وهي قبيلة كبيرة ، أحد بطون بكيل ومنازلهم إلى الشرق من صعدة .

[3] – الجراف : الآن أحد أحياء العاصمة صنعاء وهو إلى الشمال منها قبل حي الروضة المشهور .

ولَمَا أَرادَ اللهُ سُبحانَهُ فَتْحَ البِلاد اليَمَنية والجِهاتِ القَصيَة ، تَحركَ عامرِ بن داود بن طاهرٍ ، وكانَ عندَهُ وَزيرُ سُوءٍ يُقالُ لهُ الشَّريف يحيى السِّراجي ، فحَسَّنَ لهُ النُهوضَ من اليَمَن ، لَمَا طالَت إقامَةُ الإمامِ وولَده المُطهر بجِهةِ الشَّام ، فقَصدَ بلاد الإمام حتى وَصلَ بِلادَ رَدَاع ، وقَد استَولَى على الحُصونِ الإمامَيَة ، فلَما وَصلَ الإمامَ الخَبرُ أرسَلَ الرسلَ إلى المُطهر ، فجَمعَ المُطهرُ ألفَي ناقَة و أركَبَ عليها عَساكِرَه ، وسارَ بِهِم سيراً حَثيثاً حتى صَبَّحَ القَومَ بمَوْكَل[1] ، وقَد أَناخَ بِها الشَّريف السِّراجي من جميعِ العَسكر ، وذلكَ بُكرَةَ يومِ الأَحَد الرابعِ والعشرينَ من شهرِ ربيعِ الآخرَة ، فمَا شَعَروا إلا والسُيوفُ عليهِم مُصلَّة[2] ، وكانَ عِندَهُم استبعادُ وصولِ المُطهر ، فأَخَذَهُم المُطهر في ذلكَ الحِين ، وساءَ صَباحُ المُنذَرين ، ولَمَا وَصَّلوا إليه الشَّريف السِّراجي ، أَمَرَ بِضَربِ عُنقه ، وأَسَرَ أكثرَ الجَيش وقَتَلَ منهم ثلاثمائة ، وكانَت الأَسْرى ألفانِ وستمائة ، فأَمَرَ المُطهرُ بقَتْلِ ألفٍ وثلاثمائَة من الأَسرَى ، وحَمَّلَ كُلَ أسيرٍ رَأساً[3] ، فكانَت الرُؤوسُ أَلفاً وثلاثمائة ، والأُسراءُ مثلُها ، وأَرسَلَهُم إلى والدِه على تلكَ الهَيئَة إلى صَنْعَاء ، فكانَ لوصولِهم إلى صَنْعَاء مَوقعٌ عَظيم وبَأسٌ جَسيم ، ثُم وَجَّهَ الإمامُ بالرُؤوسِ والأَسرَى إلى صَعْدَه إلى عامله هُنالك الفَقيه يحيى بن إبراهيم النصيري فلَما وَصلَت الرُؤوسُ والأَسارَى إلى صَعْدَه ذُلَّت النُفوس وانْقادَ النافِرُ الشمُوس ، وقيلَت في هذهِ الوَقعَة أَشعارٌ كَثيرةٌ ، تَركناها اختِصاراً .

فلَما بَلَغَ مُقَدمَ عامرِ بن الشرامي ، وكانَ قَد دَخلَ المِقْرَانة وعامر بَقِيَ في قَطْعَبة ، فوَصَلَهُم خَبرُ هذهِ الوَقعَةِ الكُبرى ، فضَاقَت عليهِم الأَرضُ فلَم يَجَدوا مَلجأً إلا الفِرار

---

[1] – موكل : بلدة إلى الجنوب الشرقي من ذمار ، كانت أحد مراكز الدولة الطاهرية .

[2] – مصلة: الصواب مصلَتة : أصلت السيف إذا جردته من غمده ، قاله الفيروزأبادي .

[3] – بمن يتأسى هذا الإمام ، هل هذا فعل رَسول الله ﷺ ، هل هذا فعل سيدنا علي ﷺ ، كم صبر أهلُ اليَمَن على ظلم هذا الإمام ، والغريب أن هناك من ينادي بعودة الأئمة .

، فهَرَبَ عامر بن دَاوود إلى الأخْدُود[1] ، وهَربَ الشرامي إلى الشُعَيب ، وتقَدمَ المُطهر إلى العُرّفان[2] ، فألَمَّ به أَلَمٌ اقْتَضَى طُلوعَهُ إلى جَبلِ صَبَاح ، فلَما بَلَغَهُم رُجوعِ المُطهر عادَ كُلٌ إلى مَوضعه ، وبَلغَ رُجوعُهُ الشرامي وكانَ في رَأسِ جَبَلِ السروات بالقُربِ من الدارم[3] ، فقَصدَهم المُطهر إلى ذلكَ المَحَلِ فقَابَلوهُ وحارَبوه ، فتَسَرَعت عليهِم العَساكرُ المُطهرِيَةُ من كُلِ مَكان ، ورقَوا تلكَ الشَماريخَ[4] كأَنَّهُم الجَّان ، فلَم يَكُن بأَسرَعَ من هَزيمَتِهِم وأَخذَتْهُم البَنادق ، فأَخَذَ منهُم خمسينَ رأساً ، ولَزِمَ مُقَدَمَهُم الشرامي ، وجِيءَ بهِ إلى المُطهر ، فقَتَلَه المُطهر وبَعَثَ برأسه إلى أَبيه .

وبعد قَتْلِ الشرامي هَربَ عامر إلى جِهَةِ المَخَادر[5] واستَولَى علَيها المُطهرُ على تلكَ الجِهات قاصيها ودَانيها ، ثُم سارَ المُطهر إلى جِهةِ المَخَادر فاستَولَى عليها ، وهَربَ عامر إلى حِصنِ تَعزْ ، ثُم استَولَى المُطهر على الشُوافي ، وحُبَيْش ، ومِخْلاف جَعفَر إلى حَدِ الجَبَلَيْن[6] ،وفَرَّ عامر بن داوود إلى عَدَن حَليفَ هَمٍ وحَزن .

ثُم نَزلَ المُطهر في هذا الشَهرِ ففَتَحَ نُعمان زَبيْد[7] ، والحُمَيْراء[8] ، ورَيْمَة ، وعزَّان ، و أَكَن[9] ، ورَيْمَان[10] ، وجَميعَ حُصونِ اليَمَن ، ثُم تَوَجهَ وفَتحَ مَدينةَ تَعزْ ، وحاصَرَ القاهِرَةَ بِتلكَ الأَجْنادِ المُتَضافِرَة ، وفيها عامِلٌ من آل طاهِر يُقالُ لهُ أَحْمَد بن محمد ،

---

[1] – الأخدور : بلدة إلى الشمال من تعز وردت خطأ في المطبوع والمخطوط الأخدود .

[2] – العُرفان :بضم العين ، بلدة من أعمال أبين ، ذَكَرَها الهمداني في صفة جزيرة العرب .

[3] – الدارم : لم أجدها ولعله قصد الدرَام : حصن في بلاد الشُعَيب .

[4] – الشماريخ : رؤوس الجبال و أعالي المرتفعات .

[5] – المخادر : بلدة من أعمال إب ، كانت أحد هجر العلم المشهورة .

[6] – الجبلين : بلدة في منطقة العدين من أعمال إب .

[7] – نعمان : مناطق كثيرة تحمل هذا الإسم وأظن المقصود نعمان الواقعة إلى الجنوب من إب .

[8] – الحميراء : بلدات كثيرة تحمل هذا الاسم ، لعل المقصود بالحميراء : القرية الواقعة في جبل الأزارق من أعمال إب .

[9] – أكن : حصن في منطقة المذيخرة من أعمال إب .

[10] – ريمان : أحد الجبال العالية المطلة على مدينة إب من الجهة الشرقية .

وكانَ معَهُ جُنْدٌ عَبيدٌ وعَرَب ، فكانَ من بَعضِ العَبيدِ إساءَةُ أَدَبٍ إلى العاملِ المَذكور ، فأرادَ قَتْله فرَاجَعهُ العَبيدُ فلَم يَقْبَل منهُم ، فأرسَلوا إلى المُطهرِ أَنَّهُم يُريدونَ الوقوعَ في يَديه ، فَتَمَّ كُلَ ما أَرادوهُ ، فقَادوهُ إلى الحِصنِ ، فمَا شَعَرَ ابن طاهرٍ إلا بِلَمعِ البَواتر ، فقَبضَهُ المُطهر وأَرسَلَ به [إلى] مَحروسِ صَنْعَاء ووَجدَ المُطهر في القاهِرَة[1] منَ الآلات المَلكية والذَخائرِ البَهيَة والفضةِ والذَهبِ ما يُبهِرُ العُقولَ ويُحَيرُ النقول .

ثُم إنَّ المُطهرَ أَرسلَ لِلفَقيه يحيى بن إبراهيم النصيري ، الذي كانَ عاملاً في صَعْدَه ووَلاهُ تعزْ وأَعمالَها ، وأَرسَلَ الإمامُ ولَدَهُ عزَ الدين بن الإمام وَالياً على صَعْدَه ونَجْران وأَعمالِها ، وعادَ المُطهر إلى صَنْعَاء ظافِراً مَنصوراً ، ودَخلَ صَنْعَاء يومَ الخميس أَولَ ليلةٍ من ذي الحِجَّة دُخولاً مُعَظماً .

وفي سنةِ ثلاثٍ وأَربعين وتسعمائة أَولَ ربيعِ الأَول منها فَتَحَ عزُ الدين بن الإمام ظهران[2] نَجْران ، وقَتَلَ صاحِبَها ابن المَهدي .

وفيها جَمَعَ الإمامُ الجموع وتَوَجهَ شَمسُ الدين بن الإمام بها إلى أَخيه المُطهر ، وهوَ باقِي على اليَمَن الأَسفل ، فوَصَلُوا حَضرَةَ المُطهَر ، وعَزَمَ المُطهرُ وأَخوهُ شَمسُ الدين على قَصْدِ الشراكِسَة إلى زَبِيْد ، وقَد كانَ ماتَ اسكَندَر مَوْر في سنةِ إحدَى وأَربعين ، فوَلَّى الشراكِسَة رَجلاً يُقال لهُ أَحْمَد الناخوذَة ، فسارَ المُطهر وأَخوهُ شَمسُ الدين في جيشٍ ضَخمٍ لا يُطاق ، فلَما وَصلا إلى قُربِ المدينَة بُكرَةَ يومِ الأَربعاء من شهرِ جُمادى الأُولى ، وكانَ شَمسُ الدين في المَيمَنَة ، والفَقيهُ يحيى بن إبراهيم النصيري في المَيسَرَة ، والمُطهر في القَلب ، فلَما بَلغَ الشراكِسَة قُدومُ وَلَدي الإمامِ أَجرَوا الفيلَ الكبيرَ في

---

[1] – القاهرة : قلعة حصينة تشرف على مدينة تعز : كانت إحدَى معاقل سلاطين بني رَسول ، وهناك بلدات كثيرة بهذا الاسم .

[2] – ظهران : تسمى "ظهران الجنوب" وتقع في واد ضيق في جبال عسير وكانت مركز تجارة البن اليمني الذي ينقل منها إلى بيشة والحجاز ونجد .

الأَرضِ التي سَيكونُ فيها القتالُ وذلكَ في التُّرَيْبَة[1] ، وكانَت هُناكَ مَلحَمةٌ عَظيمَة انْكَسَرَت فيها جُنودُ الإمامِ واستُشهِدَ في ذلكَ اليومِ السيدُ الصَدرُ الأَعلَم ، علي بن يحيى بن الإمامِ المُطهر محمد بن سليمان ، والسيدُ إبراهيم بن محمد بن الهادي الوزير .

فلَما بَلَغَ عامر بن داوود انْهزامُ وَلَدي الإمامِ من زَبِيْد أيْقَنَ بالظَفَر ، فقَصدَ المُطهر من عَدَن ، فلَما بَلَغَ المُطهرَ خُروجُه من عَدَن قَصدَه إلى أُم فرش[2] ، فوَجَدَ عامِراً قَد خرجَ منها ، فبَكَّرَ لاحِقاً لهُ عاشرَ شهرِ رَجَب من السَّنة .

فلَما أَدرَكَتهُ العساكرُ المُطهرِيَة تَلازَمَ الحَرب ، فانْهَزَمَ عامرُ وأَصحابُه ، واستَولَى المُطهر على مَحطَتِه وخَزائَته ، وقَتَلَ من عَبيدِه فوقَ أَربعمائَة عَبد ، وفَرَّ عامرُ لا يَلوِي على شَيء ، فلَقيهُ في أَثناءِ الهَرَب عَبدٌ من عَبيدِه لَم يَحضُر الوَقعَةَ ، والعَبدُ على فَرسٍ جَوادٍ فترَجَّلَ لهُ وأَركَبَهُ على فَرَسه ، وأَدركَت العَبدَ العساكرُ التي كانَت في طَلَبِ عامرٍ ، فأَتَوا بهِ إلى المُطهر فَسأَلَهُ عن عامرٍ فأَخبَرَهُ أَنَّهُ أَركبَهُ على فَرَسه ، فشَكَرَ لهُ المُطهر حُسنَ مُعامَلَته لمَولاه ، ولَم يَبْقَ بيدِ عامرٍ بعدَ هذه الوَقعَة إلا بَنْدَرُ عَدَن .

وفي سنةِ تسعٍ وثلاثين وتسعمائة قَوِيَت شَوكَةُ اسكَندَر مَوْر ، وأَكثَرَ من شِراءِ العَبيدِ والرُوم ، وعادَى العَربَ وجانَبَهُم ، وأَهاجَ عليهِم العَبيدَ قَتْلاً وأَسْراً حتى كادَ يُفنيهِم .

وفيها تُوفيَ القاضي صِّديق بن محمد بن عمر بن أَبي بكر بن محمد بن عمر الأَسَدي ، وكانَ والِياً للقَضاءِ في أَبي عَرِيش .

وفي سنةِ أَربعين وتسعمائة وَصلَ الأَميرُ قَيس الحراتي إلى جَازان بِجيوشٍ عَظيمَة، فلَم يَخرُج الأَميرُ عامِر[3] ، فرَجعَ إلى أَبي عَرِيش ثُم سارَ إلى جَازان ، فوَقَعَ القتالُ وانْهَزَمَ

---

[1] – التريبة : تصغير (تُربَة) بلدة من أعمال زبيد في سهل تَهَامَة .

[2] – أم فرش : لم أجدها ، لعلها قرية الفرشة وهي قرية في أعلى طور الباحة إلى الغرب من وادي حَج .

[3] – عامر بن يوسف بن عبد العزيز بن أحمد بن دريب القطبي ، أمير من الأشراف ، وَلِيَ إمارة جازان عام ٩٣٥ هـ قتله أحد رجال أبي نُمَيّ – أشراف مكّة – ليلاً في أبي عريش عام ٩٤٤ هـ .

قَيس ، ووَلَّى هارِباً ولَم يَعُد إلى مَحَطته الَتي بأَبي عَرِيش ، فتَبعَهُ الأَميرُ عامر إلى بَيْش يَقتُلُ ويَنهَب مَن وَجَدَهُ من أَعوانِ قَيس ، فاستَقوى الأَميرُ عامر بالغَنائم .

وفي سنةِ اثنين وأَربعينَ وتسعمائَة تُوفيَ الفَقيهُ العلامَةُ صِّديق بن موسى بن أَحْمَد بن يُوسُف الدِيباجي بأَبي عَرِيش ، وفيها تُوفيَ الشيخُ المَهدي بن الهادي بن أَبي القاسم الحكمي ، وفيها تُوفيَ القاضِي العالِم عُمر بن مَقبول ، وكانَ من حُكام المخْلاف السُليماني لا يُبْرِمُ حُكماً ، إنّما يَجري على المُصالَحَة بينَ الخُصوم .

وفيها رَجعَ الأَميرُ قَيس الحراثي إلى جَازان بعساكِرٍ كَثيرَة ، أَمَدَّهُ بها الشَّريف أَبو نُمي محمد بن بَرَكَات[1] ، كَونَهُ استَنصَرَ به لِيَأخُذَ بثَأرِ الوَقعَة الأُولى التي قَدَمناها قَريباً ، فأَمَدَّهُ بجُنْدٍ عليهم الشَّريف عِجل ، فلَما الْتَقى الجَمعان بوادي جَازان ، انْهَزَمَ أَهلِ الشَّامِ وفَرَّ الأَميرُ قَيس والشَّريف عِجل ، وتَبعَهُم عامر يَقتلُ وينهَب .

وفي سنةِ ثلاثٍ وأَربعين وتسعمائة قَدمَ الشَّريف الكريم أَبو نُمَيّ محمد بن بَرَكَات إلى جَازان باستِجلابش الأَميرِ قَيس ، وطَلَبَ عُلماءَ المخْلافِ وأَرسَلَهُم إلى الأَميرِ عامرِ يَخوضونُ في تَرْكِ الفِتنَة والدُخولِ في الطاعَة ، وأَنْ يُقدمَ شَيئَاً من المالِ لِمَعرِفَة طاعَته ، فلَم يُساعد الأَميرُ عامر ، فحَصَلَ القتالُ أَياماً فغُلبَ الأَميرُ عامر وانْهَزَمَ ، ودَخلَ الشَّرِيف أَبو نُمَيّ جازان ، وأَخرَبَ الدُروبَ و سائرَ البُيوت ، ورَجعَ إلى أَبي عَرِيش ظافِراً ، وأَقامَ بها بَقيَةَ السَّنة والعامِ الذي بَعدَهُ ، وأَقامَ الأَميرُ عامر بالخفار مَقهوراً ، ثُم قَصدَ أَحْمَد الناخوذَةَ إلى زَبِيْد واستَنصَرهُ ، فلَم يَلتَفت إليه ، فأَقامَ عندَهُ بَقيَةَ السَّنة .

وفي سنةِ أَربعٍ وأَربعين وتسعمائة ، تَوَجهَ شَمسُ الدين بن الإمام ، عَن أَمرِ وَالدِه لِفَتحِ بِلاد حَرَاز[2] ، وهيَ فِرْقَتان ، فِرقَةٌ من الإسْماعيلِيَة من هَمْدان وفِرقَةٌ شافعيَة ،

---

[1] – أبو نُمَي : من الأشراف الهاشميين حكام الحجَاز في تلك الفترة .

[2] – حراز : منطقة جبلية وعرة وجبال شاهقة و وهادٌ عميقة إلى الغرب من صنعاء بينها وبين الحديدة ... وما تزال الطائفة الإسماعيلية تقيم في بعض مناطقها .

وبَعضُهم زَيدِيَة ، ففَتَحَ شَمسُ الدين تلكَ البِلادَ وغَورَها والنَجاد ، وفَتَحَ مَعاقِلَها الشامِخَة وجبالَها الباذِخَة ، مثلَ حِصنِ مَسْار ، وشبَام اليَعَابر[1] ، ثُم فَتَحَ صَعْفَان وحُصونَها ، ثُم جَبلَ بَني عَرَّاف[2] ، وفي ذلكَ يَقولُ بعضُ الشُعراءِ من قَصيدَةٍ لهُ ، أَوَلُها :

وَلَمَا تَبَقَت في شِبَامَ بَقِيـةٌ | وقَد جَمَعُوا فِيها الجُموعَ وعَسكَرُوا
تَوَجهَ شَمسُ الدينِ نحوَ دِيارِها | فَأَفنَاهُم بِالحَق واللهُ أَقـدرُ
فَأَزالَ شَمسُ الدينِ دَاجِي ظَلامِهم | ودَمرهُم وهُـوَ الهُمَامُ المُشَمـرُ

وفي هذه السَّنة تَوَجهَ الأَميرُ عامِر القُطبي إلى الإمامِ شرَف الدين ، بعدَ أَنْ يَئِسَ من النَّاخُوذَة أَحْمَد صاحِبِ زَبِيْد ، فقابَلَهُ الإمامُ بالإكرام ، وأَرسَلَهُ إلى ولَدِه عز الدين إلى صَعْدَه ، فأَنْفَذَ معَهُ جَيشاً إلى المِخْلاف ، فاستَولَى الأَميرُ عامِر وأَصحابُ ابن الإمامِ على المِخْلاف السُليماني ، وبَقِيَ الأَميرُ عامِر هُناكَ مِقدارَ أَربعة أَشهر ثُم قُتِلَ ، وهوَ آخرُ الأُمراءِ آلِ قُطبِ الدين ، و كانَت وِلايَةُ هؤُلاءِ الأَشْراف القُطبيينَ مائَةً وأَربعينَ سنةً ، أَوَلُهم الأَميرُ خالد قُطب الدين ، ثُم ابنُهُ دُرَيْب بن خالد ، ثُم إبنهُ يُوسُف العَزيز ثُم أَخوهُ المَهدي ، ثُم أَخوهُما عزُ الدين ، ثُم محمد بن يحيى ، ثُم أَحْمَد بن المَهدي ثُم عامِر بن يُوسُف العزيز.

---

[1] – شبام اليعابر : اليعابر ، بلدة من منطقة مناخة في جبل حراز ينسب إليهم جبل (شِبَام اليَعَابُر) الذي يطل على مناخة من الجنوب وترتفع عن سطح البحر ٣٠٠٠م .

[2] – بنو عَرَّاف : جبل في بلاد صَعْفَان من بلاد حراز .

ذَكَرنا هَذا لأَنَّهُ من غَرَضِ السائِلِ لتأليفِ هذا المُختَصر .

وكانَ أَمرُ جَازان قَبلَ الأُمراءِ القُطبيينَ للأُمراءِ الشطوط[١] ، وهُم ذُريَةُ الأَميرِ غانم ابن يحيى بن وَهَّاس ، كانوا ولاةَ جَازان والمِخْلاف السُليماني مِن أَولِ المائَةِ السادسَةِ إلى آخرِ المائَةِ السابعة .

وفي سَنَةِ أربعٍ وَأربعين وتسعمائة وَصَل سُلَيمان باشا إلى اليَمَن مُتوجهاً من حَضْرَةِ سُلْطان الإسلامِ نافذِ الأَحكام سُلَيمان بن سَليم إلى الجِّهَة الهِنْدية ، واجتاز بالبَنَادر[٢] اليَمنيَّةِ لقتالِ الإفرنج الذين صَاروا يَعُوثونَ في البَحْرِ ، ويأْخُذونَ مَن فِيها من التجَّار ، فَلمَّا أَلْقَى في كمَران مَراحِله ، وحَطَّ فِيها كَاهِلَهُ ، طَمِعَ عامِر بن داود في نُصْرَته على الإمَام شَرَف الدين ، فكَاتبهُ على يد رَجلٍ مِن أَصحابه ، يُقالُ لهُ فَرْحان ، فأظهَر لهُ البَاشَا سُلَيمان الإسْعاد إلى مُراده والإنقياد إلى غَرَضه ، فتَوَجه إلَيه البَاشَا سُلَيمان بمَراكِبه ، فلمَّا بَلَغ بَنْدر عَدَن طَلَبَ الإذنَ مِن عامِرٍ في دُخول العَسكَر السُّلطانيّة والأَجْنَاد الشاهانيَّة إلى البَنْدَر لقَضاءِ حَوائجهم .

فَلمَّا دَخَل "فَرْحان" بتلكَ الجُّمُوع التي تُذْهِبُ عن المُقلة الهجوع[٣] قَبضَ على عامِر ابن داود وجَماعَةً مِن أصْحابِه وَوُزرائِه وَأحبابِه ، وأرْسَلهُم إلى البَاشَا سُلَيمان إلى البَنْدَر فَلمَّا وَصَلوا إلَيه أمَر بشَنَق عامِر وستة ألْفَار مِن أصْحَابه ، ثُم تَوجَّه إلى الهِند ولم يَحصُل لهُ غَرضٌ هُنالك ، فَرَجع إلى بَنادرِ اليَمَن .

فَلمَّا وَصَل بَنْدر البَقعَة[٤] أرسَل جَماعةً مِن دُهاة أصْحَابه للوَساطَة بَينَهُ وبَين أحمد النَّاخُوذة[٥] ، وفي خِلالِ ذلك يَسْعون في إفْسادِ أصْحَاب النَّاخُوذة بالترغيبِ

---

[١] – لعلهم الأمراء المشوط وتنسب اليهم منطقة خميس مشيط في جبال عسير !؟

[٢] – البنادر : الموانئ .

[٣] – المقلة الهجوع : أراد أنها تذهب الهدوء والراحة عن العين الساهرة .

[٤] – بندر البقعة : ميناء صغير عَلَى ساحل البَحْرِ الأحمر إلى الجنوب مِن الحديدة وإلى الغرب مِن زبيد .

[٥] – الناخوذة : صاحب الباخرة أو وكيلها وتطلق عَلَى وكلاء الميناء أيضاً .

والتَّرهيب ، إلى أن انحاز إلَيه مِنهُم طائفةٌ ، ومنهُم أميرٌ يُقال لهُ "سنان" في عدة من أنحاء النَّاخُوذة ، ووَصَل مِنهم مَن وَصَل إلى حَضْرَة البَاشَا سُلَيمان ، فَلمَّا تيقَّنَ النَّاخُوذة مُواجَهة أصْحَابه خَرجَ إلى البَاشَا سُلَيمان مُواجهاً بَعد عُهودٍ وعُـــقود ، فأمَر البَاشَا مَن لقيَه إلى بَعض الطَّريق ، وقَتلهُ واستَولى على زَبيد وسَائر مُدن تِهَامَة وبلادها وقيل لهُ: إنَّك لَن تَنتفع بالتَّهائم إلا إذا كانَت تَعز ومَخاليفها مُنضَمةً إلَيها فَكتبَ إلى الإمَام إخْباراً بوصُوله وأخْذه زَبيد وعَدن ، وأن سَبَب قَتله لصاحب عَدَن : أنَّه بَلغه عَنْه أنَّه يُريد تَسليم عَدَن إلى الإفْرَنج ، ولا صِحَّة لذلك ، ثُم استَخلَف في زَبيد رجلاً يُقال لهُ مُصطفى ، وَعَزم [العَودَة][1] إلى الشَّام .

وفي سَنة ست وأربعين وتِسعمائة تَحرَكت عَساكِر السَّلطَنة الذينَ بزَبيد على تَعز وَأعمالِها في جَيش عَديدٍ وبأس شَديدٍ ، فَلمَّا بَلَغ الإمَام شَرف الدين [هَذا الأَمْر][2] وجَّه الفَقيه يحيى بن إبراهيم النُصَيري ، فَخَرج مِن صَنْعَاء في شهرِ رَمضان من السَّنة المَذكُورة ، فَوقَف في جَبل التَّعْكَر[3] ، ثُم تَوجَّه بَعده شمس الدين بن الإمَام من صَنْعَاء يَوم الإثنين سادسَ شهرِ القعدَة فَوقَف شمس الدين في التَّعْكَر وأمَرَ الفَقيه يحيى النُصَيري بالتَقَدم إلى جِهَة تَعز ، وَقَد كانَ عَسكَر السُّلطان أحاطُوا بِها ، وفيها مِن أصْحَاب الإمَام شَرف الدين السَّيِّد صَلاح بن فَخر الدين ، والأَمير حسين بن الصَّياد ، فَجدَّ العَسكَر السُّلطاني في حَربِ المَدينة ومُحاوَلة فَتحها ، ولَّما كانَ في بَعضِ الأَيَّام عَزَم الفَقيه يحيى النُصَيري والسَّيِّد الحسين بن عز الدين المُؤيَّد بقطعَة مِن العَسكَر الأمامي إلى مَوضِع قَريبٍ مِن مَحطَة السُّلطان ، وكانَ قَد خَرجَ قطعةٌ مِن عَسكَر السُّلطان عن المَحطَّة لأخذِ شَيئ مِن تلك البِلاد وطَلب العَلف والأَقوات ، فالتَقاهُم أصْحَاب

---

[1] – [العودة] : زيادة من المحقق .

[2] – [هذا الأمر] : زيادة من المحقق .

[3] – جبل التعكر : في أعلاه قلعة حصينة في جبال العدين من مناطق إب وتقع بلدة جبلة من سفحه الشمالي .

الإمَام ، ووقَع بَينَهُم قِتال إنْهَزمَ فيه عَسكَر السُّلطان وقُتل مِنهُم طائفةٌ ، فلَمَّا انقَلبوا إلى المَحطة مَهزومين انتَقلت المَحطة لَيلاً ، فَبَلغ الفَقيه يحيى ذلك فَلحقَهم فَلم يَظفَر ، وكانُوا قَد تَرَكوا المَدافِع الكِبار والثِّقال في مَحطَّتهم ، فظفِر بِها عَسكَر الإمَام فانْتَقلَت العَساكِر السُّلطانيَّة إلى زَبيد .

وفي سَنة سَبع وأربعين وتِسعمائة أخَذَ عِز الدين إبن الإمَام "جَازان وأبا عَرِيش وسَائِر تِهامَة الشَّام[1]".

وفي سَنة خَمسين وتِسعمائة رَجَعت العَساكِر السُّلطانيَّة على تِهَامَة الشَّام ، فاسْتَولوا على "جَازان" و "أبي عَرِيش" .

وفي سَنة إثنين وخَمسين وتِسعمائة كانَ إبْتداء زَوالُ دَولة الإمَام شَرف الدين بِسَبب الإختِلاف بَين أولاده الذين هُم : المُطَهَّر ، وشَمسُ الدين ، وكانَ مَيلُ الإمَام مَعَ شَمسِ الدين ، فَجَرت أمورٌ لا حَاجَة إلى التَطويل بِذكرِها .

وعلى الجُملَة: أن عَساكِر السَّلطَنة إسْتَولت على تَعز ومَخاليفها بِدَسيسَة المُطَهَّر ، لَمَّا رَفَعت يَده عَنِ البِلاد ، وتَوجَّه نَظَرُها إلى صِنْوه شمس الدين ، وعِنْد ذلك إضطُر الإمَام وأولاده إلى إرجاعِ البِلاد بِنَظر المُطَهَّر ، وقَد حَلمَ الأدِيم[2] .

وفي سَنة ثلاث وخَمسين وتِسعمائة استولى المُطَهَّر على الأمرِ ، واستَقلَّ بالبِلاد ، وَضُربت السِّكَّة بِإسمه .

وَفيها تَجهَّزت العَساكِر السُّلطانيَّة على عَدَن ، بعد أن إستولى عَليها علي بن سُلَيمان البَدوي ، وما بَرِحَت العَساكِر السُّلطانيَّة تَترادف على عَدَن حَتى جاءَتْهُم

---

(1) – تهامة الشام : صَعْدة وأعمالها والمناطق المحاذية للمخلاف السليماني .

(2) – حلم الأديم : أحسن صُنعاً.

غارَةٌ[1] من حَضْرَة داوود باشا من مَصْر ، وَدَخَل بِهم القبطان عَدَن قهراً بالسَّيف ، وقَتَل المُتَغَلِّب عَلَيها علي بن سُلَيمان البَدوي .

وفي سَنة أربع وخمسين وتسعمائة نَزَل إلى عَساكِر السُّــلطان مَن نَزَل من جهَة رباب[2] وبني سَرْحَة[3] ، يَجُرُّونَهم إلى البِلاد العُليا ، جهات الجِّبال لَّما لَمْ يَحصُل مُبادَرة من المُطَهَّر بن الإمَام بِضَبط مَن يَحتَاجُ إلى ضَبطِه ، لإشتغالهم بما حَصَل من الإختِلاف في ذَات البَيْن ، بَين أولادِ الإمَام ، فَطَلَعت شرذمةٌ من عَساكِر السَّلطَنة صُحبة أَزدَمَر قبل باشَوِيَّته ، وجُملَة مَن مَعهُ أربعمائة فارس ، ومثلُها رَجَّالة بَنادِق ، وفي صَفَر مِن السَّنة المَذكُورة ، وَصَل أَزدَمَر[4] إلى ذَمار ، ووَصَل المُطَهَّر إلى صَنْعَاء هو وصِنْوه شمسُ الدين ، وَقَد تَغيرَت القُلوب ، فكانَ كُلَّما أبرَم المُطَهَّر مِن الأمرِ وأرادَ التَّجهيزَ على أَزدَمَر ، لَم يَتم ، وعَرَض ما يَمنعُ لأمرٍ قَدَّرهُ الله ، مِن إنتِقال الدَّولَة إلى السُّلطانيَّة العُثْمَانية ثُم إنَّ البَاشَا "أُويس" المولى من السُّلطان على الدِّيَار اليَمنيَّة ، بَعد مُصطفى نَشَّار ، وهو أُويس بن سَليم بن أبي يَزيد ، صِنو السُّلطان سَليم ، وهو الذي أَخَذ تَعز بمُكاتَبة المُطَهَّر وإغراءِه لهُ بذلك حين رَفعت يَدهُ كما ذَكَرنا قَريباً ، فَتَوجه لِطُلوع الجِّبال في البِلاد العُليا ، وَقَد كانَ كَثيرَ شَراب المُسْكِر ، لا يَنفكُ عَنه ، ثُم تَوجَّه بِمَدافعه وخيامه قاصداً مَدينَة صَنْعَاء فَامتَلأتْ قُلوب النَّاس هَيبةً ورُعباً ، فَلمَّا وَصَل إلى رأس النَّقَّالَة مِن بلاد خُبان ، وَقَد كانَ أَوغَرَ صُدورَ الأَترَاك ، واختَلف عليهم في أشياء وَصَفها لَهُم ، فَلمَّا طَلبوه الوَفاء بذلك أمَرَ بِضَرب أعناقِ بَعضِ رُؤسائِهم فَتعاقَدُوا هُم والأَمير أَزدَمَر على أن البَاشَا إذا أرَادَ قَتْل أحدٍ منهُم ، فإنهم

---

[1] – غارة : نجدة .

[2] – رباب : حصن عَلَى ساحل بحر العرب في منتصف المسافة تقريبا بين عدن والمكلا .

[3] – بني سرحة : بلدة من منطقة المخادر من أعمال إب .

[4] – أزدمر : أحد الولاة والقادة في الجيش العثماني. والمسجد المعروف في صنعاء القديمة بمسجد الزمر هو من بناءه وهو محرف عن أزدمر . انظر مساجد صنعاء للقاضي الحجري

يَقتُلون البَاشَا ويُقيمون أحداً مَكانَه ، وكانَ السَّاعي في ذلك حَسَن بهلوان ، فأراد الفَتكَ ببعض الأُمراء ، فأرسَل أَزدَمَر جماعةً قتلوا البَاشَا أُوَيس ، وأراد حَسَن بَهلَوان الإستيلاء على الأمر بَعده ، وكانَ قَد إستَمَال بَعض العَسكَر ، فوَقع الخلاف بَينَهُ وبين مَن في ذَمار من الأَرْوَام[1] ، ثُم إنَّهم أظهَروا الإجابة إلى ما طَلَبه ، فَوَصَل إلى ذَمار فوَثب عَليه أَزدَمَر ، واجتَمع عَليه العَسكَر فَفَر حَسَن بهلوان بنفسه ،في مقدار إثني عشر فارساً ، وجاءَت طَريقهُ بلاد آنِس ، فَلمَّا وَصَل تلك البلاد وهُم في طاعة المُطَهَّر قَتلُوه ومَن مَعهُ ، وأرسَلُوا برؤوسهم إلى حَضْرَة المُطَهَّر بن الإمَام .

قال السَّيِّد عيسى بن لُطف الله في تاريخه ، وكانَ لهُ يدٌ قَوية في عِلم النُجوم وتحريك أفلاكِها والرسوم : إنَّه أجْرَى في سَنة إحدى وخمسين وتسعمائة قران النقيلين في المُثَلَّثَة النَّارية في بُرج القَوْس[2] ، وذلك دَلَّ على مُلك الدَّولَة العُثْمَانية لصَنْعَاء وبلادها ، فَسَأل السَّيِّد صَلاح بن شمس الدين بن الإمَام شرف الدين عَن ذلك الفَقيه صَلاح بن محمد العنجور عَن حُكم هذا القران وما يَحدُث عنه في الزَّمان فأجابَ عَليه أنْ لا بُدَّ ما تَأخذ الدَّولَة العُثْمَانية البلاد اليَمنيَّة بالسَّيف والقُوَّة ، وتُؤخذ صَنْعَاء عُنوةً فَلمَّا قُتل البَاشَا أُوَيس بالشَّلالَة ، واختَلفت أجنادُ السَّلطَنة في ذات بَينِها ، كَتَب صَلاح بن شمس الدين إلى الفَقيه صَلاح العنجوري صَدَق الله وكَذب المُنجِّمون ، فَردَّ عَليه الجَّواب في غُرَّة الكتاب ، وقَال فيه يا سَيِّدي صَلاح الدين ، إذا بَلَغك أنَّه بَقي في مَحطَّة الأَرْوَام إمرأة وَاحِدة فَهي التي تَأخُذ صَنْعَاء بالسَّيف ، وتُعاملُ أهْلَها بالحَيْف[3] .

---

[1] – الأرْوام : الجيش التركي .

[2] – علم الأبراج : علم الأبراج هو علم النجوم والمطالع وحركة الكواكب وتأثيراتها وقد تعاملت به الأقوام السابقة كالفراعنة وغيرهم ، والقول الحق أنَّ هذا الغيب لا يعلمه إلا الله وقد يصيب بعضه قدراً مقدراً .

[3] – الحيف : القسوة والتجبر .

وتَجهز بَعد ذلك أَزدَمَر إلى صَنْعَاء في جُمَادى الآخره فرجَّح المُطَهَّر خُروجَه من صَنْعَاء ، وتَرَك فِيها ابن أخيه صَلاح بن شَمسِ الدِّين وجَماعةٌ مِن الأعيان في طائفة مِن الجُّند ، وعَزَم إلى طَيبَة[1] وبَقي فِيها لَيلةً واحدة ، وَوَصل أَزدَمَر إلى قُرب صَنْعَاء ، فَرجَعَ عَليهِم المُطَهَّر وحَصلَت بَينَهُ وبَينهُم واقِعة بباب المنجل[2] ، قتل جَماعة مِن عَسكَر السَّلطَنَة .

وكانَت الأُمُور قَد تَفاقَمت بين أولاد الإمَام شرف الدين ، وفَسد فِيما بَينهُم فَكاتب علي بن الإمَام شرف الدين أزدَمَر ، وسَهَّل لهُ السَّبيل ، وحرَّضه على أخذ صَنْعَاء ومال عن أخيه المُطَهَّر ، وشمس الدين فارقه إلى كَوْكَبان ، والأشراف الحمزيون فَرُّوا عَنه ، وَقَد كاتَبو البَاشَا أَزدَمَر أنَّهم مِن جَنابه[3] ، وأنهم سَيُشغلون عز الدين في صَعْدة ، ويُثيرون عليه الفتنة ، كَوْن[4] قَد كانَ جَهز على جَازان وسَائر المخلاف السُلَيماني ، واستولى عَليه في هذا التَّاريخ ، وأمَّا صَنْعَاء فإنَّ الحصار ضايَقها ، والكَرب عايَقها ، ولما أَيس أَزدَمَر مِن فَتحِها أَرادَ القُدُوم على ثلا لمُحارَبة المُطَهَّر ، ويَستَخلف على صَنْعَاء ، فَتمَّت لهُ مُعامَلته مع رَجلٍ مِن الرَّحَبة يُقال لهُ سُعاد العنجري ، كانَ نقيباً على المرتبين في الخَنادق العَدَنيَّة[5] ، فَوقَعَت منه المُساعَدَة على فَتح الخَنادق لعَسكَر السُّلطان ، فَما شعَر صَلاح بن شمس الدين ومَن مَعهُ إلاَّ برايات عَسكَر السَّلطَنة تَخفق في رُؤوس الدَّوائر والنُّوَب ، فَدخَلُوا صَنْعَاء شُرُوقَ ذلك اليَوم ، فَفَرَّ صَلاح بن شمس الدين و مَن مَعهُ ولم يَلحَقهُ أحدٌ مِن عَسكَر السَّلطَنة لإشتِغالهم بالنَّهب ، فَقُتل مِن أَهلِ

---

(١) – طيبة : بلدة قريبة من صنعاء بالقرب من قرية القابل .

(٢) – باب المنجل : أحد المواضع المؤدية إلى صنعاء وموقعه الآن هو دوار مذبح والمدخل الغربي لجامعة صنعاء .

(٣) – الصواب من جانبه .

(٤) – كون : الصواب كونه .

(٥) – الخنادف العدنية : تسمية أهل صنعاء لكل ما هو إلى الجنوب منها ، حتى إنهم يسمون البيوت والشقق الواقعة إلى جهة عدن بالعدنية .

صَنْعَاء قَدْرَ اثني عَشَر مائة ، ونُهِبَت البُيُوت ، وأُخِذَت النِّساء والبَنين[١] ، واشتدَّ الخَطب وجَرى على أَهلِ صَنْعَاء مِن البوار ما جَرى على أَهلِ بَغداد مِن طائِفة التَّتَار إلى آخر ذلك اليَوم ، ثُم أَمَرَ البَاشَا أَزدَمَر بِصالِحِ الأمَان ، ورَفْعِ السَّيف والسِنان ، ولَمَّا صَحَّ لِعز الدين ابن الإِمَام أخذُ صَنْعَاء وما أصابها ، خَرجَ بأهل الشَّام وجَمَع الجَّيش الهُمَام ، فلمَّا وَصَل مَحطَّة جَبل صَبَح[٢] ، تَلقَّتهُ الأَجنادُ السُّلطانيَّة وأَشرَاف الجَّوْف ؛ وكانَ مَعهُ ألفاً مِن القَبائل ، لم يَكُن تَحتهُم طائِل ، وَقَد راسَلَهم الأَمير ناصر بن أحمد الحَمْزي ووعَدَهُم ومَنَّاهم ، فانقَلَبت نيَّاهم ، ووَهُنَ ثَباتُهم ، فَلمَّا لَقَى عز الدين عَساكِر السَّلطَنة مَالَت القَبائِل على مَحطَّته ، فَأخذُوا ما فِيها فَلَم يَلتفِت إلا وعالِيها سَافِلُها فانْهَزَم السَّيِّد عز الدين إلى حجر ظَفَار[٣] .

ولما بَلَغ أَزدَمَر إنحصاره في حجر ظَفَار خَرجَ مِن صَنْعَاء بِنفسه ، فَلمَّا وَصَل أَزدَمَر إلى تَحتِ ظَفَار أرَادَ أن يُخرِج السَّيِّد عز الدين مُتَنكِّراً في زيٍّ امرأة ، فَلمَّا شارَف الخُروجَ مِن بَعضِ الشَّرط إذ هو بِصارخٍ مِن القَفْلَة يَقول لِمن في مَطرَح البَاشَا : يا ذَاك إنَّ عز الدين خَارجٌ مِن الحِصن في صُورة إمرأة فَاحفَظُوا الطُّرقات فَجرَى الخطابُ بَينَهُ وبين أَزدَمَر على المُواجَهَة والخُروجِ إلى يَدِه بِواسِطة أشرَاف الجَّوْف ، فَلمَّا وَصَل إلى أَزدَمَر أخَذَه أسيراً ، وعَادَ به إلى صَنْعَاء "فَسُبحان مَن لا تُصبه الغير ولا يَتغَيَّر" .

ولما أُسر السَّيِّد عز الدين دَارَ الخطابُ بين البَاشَا أَزدَمَر والمُطَهَّر على بَقاء المُطَهَّر في مَعاقله ، ويُسلِّم خَمسين ألفاً مِن النَّقْد لِجانب السَّلطَنة فَأَجابَهُم المُطَهَّر إلى تَسليم النَّقْد ، فَظنُّوا أنَّه قَد عَجَز عَن مُدافَعته فأَضْرَبوا عنْ ذلك وقَصَدوه بِالخُروج بِالجُنُود ،

---

[١] – إذا صح هذا أنهم أخذوا النساء سبايا فهذه جريمة نكراء في حق نسوة حرائر ربات بيوت وأنهم ضربوا الرق عَلى البنين فهذه جريمة أخرى ، ربما أن الخبر قد وصل المؤلف فنقله كما سمعه ، والله أعلم .

[٢] – جبل صبح : لعله في منطقة الحيمة مِن مغارب صنعاء .

[٣] – حجر ظفار : هي دار حجر واثارٌ لقصر مهدم في سفح جبل ظفار مِن بِلاد حَجَّة كان للإمام عبد الله حمزة رحمه الله ولأولاده مِن بعده .

وجرُّوا المَدافِع الهائلة إلى ثلا ، وكانَ قد تفرَّق عن المُطهَّر أكثرُ النَّاس ، ولم يَبقَ في عَسكَره إلاَّ الخُلَّص ، وحِين وَصَلوا إلى قُربَ النَّاصِرة[1] ووجَّهُوا المَدافِع إليها تَلقَّاهُم المُطَهَّر ، فأُخذَت دَوائِرها وحطَّت عَمائرها ، ولَم يَبْقَ فيها إلا الرَّجَّالة الحُماة ، فَحَمل عَليها عَسكَر السَّلطَنة فأخَذَهم البَنادِقُ من أصْحَاب المُطَهَّر وهَلكَ بالسَّيف مِن عَسكَر السَّلطَنة مِن شُجعانِهم فَوقَ مائتين وأَخَذُوا مِن الخَيلِ والسِّلاح عِدَّة وحَانَت في عَسكَر السَّلطَنة الهَزيمة ، وبَقيَ القِتالُ بَينهم وبَين المُطَهَّر أربَعين يَوماً فَلمَّا حَصلَت هذه الوَقائِع وعَلِم النَّاس ثَبات المُطَهَّر إنثَنى عَليهِ النَّاس مِن كُلِّ فجٍ ، ثُم طَلَب عَسكَر السَّلطَنة الصُّلح مِن المُطَهَّر ، فَرَجعوا إلى صَنْعَاء وَقَد نَدم البَاشَا أَزدَمَر على عَدم قُبولِ الصُّلح الأوَّل .

وفي هذه السَّنة وَصَل البَاشَا فَرْحان إلى جَازان في شَوَّال وسَببُ وُصوله أنَّ الأَمير أَزدَمَر لَمَّا قَامَ بالأَمرِ بَعد قَتْل البَاشَا أُوَيس ، أَرسَل رجُلاً مِن قُوَّاده يُقال لَهُ شقل أحمد إلى حَضْرَة السُّلطان يُخبره بما إنتَهَى إلَيهِ الحَّال ، فَجهَّزَ البَاشَا فَرْحان وقَرَّر أمْرَ أَزدَمَر ، وكانَ وَصَل فَرْحان إلى بَنْدر البَقعة ، وأرسَل شقل أحمد المَذكُور إلى البَاشَا أَزدَمَر بِتقريرِ باشَوِيَّته[2] على الجِّبال على الحَالِ السَّابِق وبَقي فَرْحان في زَبِيد .

وفي سَنة خمس وخمسين وتسعمائة في ثاني شهرِ رَبيع آخر أرسَلَ البَاشَا فَرْحان والياً إلى أبي عَرِيش يُقال لهُ السَّكران ، فَوَصَل إلى المِخلاف في آلة كَثيرة مِن البَنادق والخَيل ، وكانَ قَبلهُ على ولايَتِها رَجلٌ يُقال لهُ الكَاشِف بِيرِي فَحاسَبه السَّكران ونَفذَ إلى اليَمَن مَعزُولاً وكرَّرَ هذا السَّكران الغَزواتِ والنَّهب على أشرَافِ صَبْيا وأَخَذ رَعاياهُم ومَوَاشِيهم ، فكانَ بَينَهُ وبَينَهُم واقِعةٌ في وادٍ يُقال لهُ "حُنْثُر"[3] بضم الحاء المهملة على

---

[1] – الناصرة : بلدة وحصن إلى الشمال من مدينة ثلا وهي عَلَى جبل متصل بمرتفعات ثلا .

[2] – باشويتة : رتبة باشا ، لقب معروف في الدولة العثمانية وجاء هنا (الوالي برتبة باشا) .

[3] – حُنثر : وادي حُنثر ، بضم الحاء ، في المخلاف السليماني من أرض تهامة .

وَزن "بُلبل" قَريبٌ مِن قَرية الحُسَيني[1] مِن وادي "صَبْيا" فَكانَت خَيلُ الأَترَاك مَائتَين ، وبَنادِقُهُم ثلاثمائة ورَئيسُ الأَشراف يَومئذٍ الشَّريف دُرَيْب بن مُهَارس بن حُسين بن عيسى الحواجي[2] ، فالتَقُوا إلى هذا المَوضِع وحَصَلَت الحَربُ فَوقَعت الهَزيمَةُ في الأَترَاك ، ونَهَبَت الأَشرَافُ مِن سِلاح الأَترَاك شيئاً كثيراً وقُتِلَ مِنهُم كَثيرٌ واستَغْنى الفَقيرُ مِن أعوَان الأَشرَاف ، وبَعدَ هَذه الوَقعَة عادَ السَّكران إلى أبي عَريش[3] ، ورَفَع الأَمرَ إلى البَاشَا فَرْحان وطَلَبَ المَدَدَ ، وأخبَرَهُ أنَّ أَهلِ صَبْيا قَد إستَقوَت شَوكَتُهُم وتَأَثلُوا[4] بما انتَهبُوه ، وَقَد أَقامُوا عَليهِم أميراً مُستقلاً غير مُعتزٍ[5] إلى السَّلطَنَة ، وهو الأَمير عبد الوهَّاب بن المهدي ، وأَنَّهُم عَزمُوا هُم وأميرُهم على دُخولِ أبي عَريش وإخراجِ عَساكِر السَّلطَنة مِن البِلاد ، فرجَّح البَاشَا فَرْحان مُكاتَبَة الأَشرَاف ومُلاطَفتهم وتَحذيرِهِم مِن مُخالَفة السَّلطَنة وأنَّ هذه الدَّولَة العُثْمَانية لا يُقاومُها أحَدٌ إلا غُلِب فَعاد جَوابُ الأَشرَاف بِتَمامِ الخِلاف ـــ ليقضي الله أمراً كانَ مَفعُولا ـــ فَلمَّا وَصَل جَوابُهُم إلى فَرْحان جَهَّز جَيشاً عَظيماً إلى السَّكران ، وجَعَل سِردارَهُم آغا الحمليات[6] ، فَوصَلُوا إلى أبي عَريش ثامِن عَشر جُمَادى الآخرة .

وفي اليَوم الخَامِس والعِشرين إرتَحلُوا إلى الرمَّان ، ثُم أصبَحوا في المحجاة مِن أعمال صَبْيا ، فكانَت الوَاقِعةُ هُناك ، وكانَت عَسكَر الأَشرَافِ نَحو خَمسةِ آلاف فانهَزمَ

(١) – الحسيني : إلى الشرق مِن صبيا .

(٢) – دريب الحواجي : وردت إسمه مصحفاً ، وهو دُرَيْب بن مُهَارِش بن عيسى بن حسين الخواجي ، من الأمراء الخواجيين أمراء صبيا ، وهو أول من حارب العثمانيين بعد استقراره فيها ، وتوفي في عام٩٦٤هـ .

(٣) – أبي عريش : بلدة معروفة في المخلاف السليماني .

(٤) – وتأثلوا : الأثلةُ : الميرة (الحبوب) ، والشيئ تجمع ، والأَثْل أصول غليظة يسوى منها الأبواب ، قاله ابن منظور .

(٥) – غير معتز : غير محتاج لها .

(٦) – آغا الحمليات : لقب مِن ألقاب العصر العثمانية الشائعة وقتها ، والحمليات هي الأسلحة المحمولة والتي تجرها البغال فيكون آغا الحمليات (قائد السلاح) .

الأَترَاك وقَتَل منهُم غالبُ المُبندقة[1] ، وتَبعهُم الأشرَافُ يَقتُلون ويَنهَبُون ويأْسُرُونَ إلى أبي عَرِيش ، وأمَّا الأَمير فَرْحان آغا الحملية فإنَّه وَصَل إلى أبي عَرِيش مَهزُوماً ، حَمَل أَثقَالهُ وخَرجَ بأصْحَابه إلى قَلعَة جَازان ، وتَحصَّن فيها ، وحَطَّ الأشرَافُ على أبي عَريش ، وتَحصَّنَ السَّكران بالقَلعَة ، وكرَّرَ الأشرَافُ الغَزو إلى أبي عَرِيش مِراراً وقَتَلُوا السَّكران الذي كانَ في القَلعَة .

وفي يَوم الأربعاء أول شَعبان أرسَلَ الشَّيخُ محمد بن معبد إلى البَاشَا فَرْحان مُستَنجداً لهُ على الأشرَافِ ، وكانَ مِن أعوان عَسكَر السُّلطان ، فَلمَّا تَحقَّق البَاشَا من إستيلاء الأشرَاف على أبي عَرِيش ، وقَتْلِ السَّكران جَهَّز عَليهِم زُهاءَ خمسمائة فارس ، ومثلُها بَنادق وجَعَل عَليهِم سِرداراً رجلاً يُقالُ لهُ الأَمير زَيد ، فَوَصَلوا تاسع شَعبان إلى القَلعَة ، فَكانَ الأَمير عبد الوهَّاب والأشرَافَ في أبي عَرِيش ، فَلمَّا بَلغَهُم وُصولَ الأَترَاك ، وأنَّهم عازِمُون على قَصْد صَبْيا ، خَرجوا مِن أبي عَرِيش لِحفظ بيُوتهِم وحَرِيمهم ، واستَعدَّ الأَمير عبد الوهَّاب للحَرب فَوَصَلت الأَترَاك وَقَد رَتَّبُوا أجنَادَهُم في ثَلاث جِهاتٍ فَحَصل القتالُ ، فانْهزَمَت الأشرَاف وعبد الوهَّاب ، ودَخَلوا الحَران وَقَد قُتل فِيهِم ومِن أعوَانِهم ألفٌ وثمانمائة كَما ذَكَر صَاحِب التَّاريخ والعُهدَة عَليه ، وقُتل الأَمير عبد الوهَّاب مِن الجُملة ثُم إصطَلَح الأَمير زَيد هو وأهلُ صَبْيا ، وبَقي في أبي عَرِيش .

وَفِيها عَزَم البَاشَا فَرْحان [السَّفَر][2] إلى أبوَاب السَّلطَنة ، واستَخلَف البَاشَا أَزدَمَر على جَميع اليَمَن ، فَقامَ بالأَمرِ كُلِّه البَاشَا أَزدَمَر ، وجَهَّز مع البَاشَا شقل أحمد ، فَطلَب زِيادةً في العَسكَر .

وفي هذه السَّنة وهي سَنة خمس وخمسين وتسعمائة إنتَقَضَ الصُّلح بين المُطَهَّر بن الإمَام وبين البَاشَا أَزدَمَر: نَقَضهُ البَاشَا أَزدَمَر ، وجَمَع جُموعَه فِيهم أشْرَافُ الجَوْف ،

---

[1] – المبندقة : حملة البنادق .

[2] – [السفر]: لم ترد في المخطوط زيادة من المحقق ليستقيم المعنى .

قَدر مائتي فارس ، وكانَ رَئيس أشْرَافِ الجَّوْف الأَمير محمد بن الحسين ، فَلقيَهُم المُطَهَّر إلى البَوْن ، ووَقَعَ القِتال الشَديد الذي أَلانَ الحَدِيدَ وآل إلى إنكِشَاف عَسكَر الأَرْوَام ، وأَشرَافِ الجَّوْف ، واستَكْفَل المُطَهَّر المَحطَّة وما فِيها ، وعَادَ المُطَهَّر إلى ثِلا مُؤيداً مَنصُوراً .

وأمَّا عزُّ الدين بن الإمَام ،فأرسَلهُ البَاشَا أَزدَمَر إلى أبْوابِ السَّلطَنة صُحبَة شقل أحمد ، وكانَ عِندَ هذا شقل أحمد سفر[١] الرُّوم ، كَمَن يَعزِم إلى تَعز لِسُهولَته عَليه ، فَلمَّا وَصَل يَنبع[٢] مَرِضَ عزُّ الدين وَمات .

ثُم إنَّ شقل أحمد تَوجَّه على رُسُله بَعد وَفاة عز الدِّين بِيَنْبع ، فَلمَّا وَصَل حَضْرَة السُّلطان إستَحَثَّ الجُّنُود وأثارَ النَّار ذاتِ الوَقود ، فَلمَّا وَصَل إلى سُلْطان الإسلام سُلَيمان خَان شقل أحمد المَذكُور ،جَهَّز السُّلطان مُصطفى نَشَّار الذي كانَ في زَبِيد قَبْل البَاشَا أُوَيس ،فَلمَّا وَصَل إلى تِهَامَة بِأجناده لَبِس لِلمُطهر أثوابَ المُخادَعَة وطَلَبِ الصُّلح والمُوادَعة وأنَّ سُلْطان الإسلام أمَرَه بذلك ، وأمَرَه بِرَفْعِ جَميعِ مَن في اليَمَن من العَسكَر إلى بلادِ الحَبَشَة لِقتال الإفرَنْج المُتَغلِّبين ، ووَجَّه السُّلطان مع البَاشَا رِسالةً يَطلُب مِنه الطَّاعة والدُخولَ في الجَماعَة ، وأنَّ السُّلطان أَصحَبَه سَنْجقاً وخلَعاً[٣] ، وأمَرَ مَن في مَحطَّة أَزدَمَر[٤] بالتَوقُّف عن الحَرب ، فَفَهِم المُطَهَّر أنَّ تلك الأُمُور مُخادَعة ، فَأجَاب جَواباً فيه إجْمَال صُحْبَة رَسُول مُصطفى الوَاصِل بِتلك الكُتُب ، ثُم طَلَع مُصطفى إلى مَدينَة تَعز ، وأَرسَل رُسلاً مَعهُم مَرسُوم السُّلطان الذي إلى المُطَهَّر ، وعَرَّفَه أن يُرسِل إلَيه مَن أَحبَّ مِن أَعيَانِ حَضرتِه ، فَوجَّهَ المُطَهَّر الفَقِيه صَلاح بن دَاعِر

---

[١] – شقل أحمد : إعتاد السفر إلى الآستانة مرسلا من قبل الولاة .

[٢] – ينبع : مدينة عَلَى ساحل البَحْرِ الأحمر من أرض الحجاز إلى الغرب من المدينة المنورة .

[٣] – سنجقاً : أعلام ورتبة تشير إلى أهمية هذا الرجل ، والخِلَع : هي الألبسة الفاخرة .

[٤] – مَن في محطة أزدمر : قصد قواته وعساكره .

، والأمير الحَسَن بن محمد مِن بني الهادي وأَصحَبهُما كِتاباً إلى البَاشَا مُصطفى ، وجَوابِ مَرسُوم السُّلطان ، فَلمَّا وَصَلا إلى مُصطفى قابَلهُما بالإكرام وأظْهَر المسَرَّة وخَلَع عليهِما خُلعَةً نَفيسَة ، وحقَّقَ لَهُما ما في نَفسه مِن إرادَة الصَّلاح لِلمُطَهر ، وارتِفاعِ رُتبَته بإظهارِ طَاعَة السُّلطان ، فَأرسَلَ رَسُولاً مِن أعْيَان أصْحَابه وَصُحبتُه رَجلٌ مِن أعيان عُلَماء الشَّافعية يُقالُ لهُ الشَّيخ أحمد بن عُثمان العمودي ، لِيسمَعَ كَلامَ المُطَهَّر ، ويَعرفَ ما عِندَه مِن إظهارِ طَاعَة السُّلطان أو عَدمُها ،فَمَنعهُ أَزدَمَر وقال لهُ سَتطَّلِعُ على حَقيقةِ الأَمرِ ثُم خَرجَ مُصطفى مِن تَعز قاصِداً صَنْعَاء ، وَكَتب إلى المُطَهَّر ابن الإمَام كِتاباً يُشعره فيه بوصُوله ، وأنَّ المُطَهَّر يُرسِل بَعض أولاده يَلقَاه إلى ذَمار ، فَلم يَستَحسن المُطَهَّر إرسالَ أحد حتَّى يَتحقَّقَ ما وَصَل به مُصطفى مِن حَضْرَة سُلْطان الإسلام وَكَتبَ إلى البَاشْتين[1] كِتاباً مَضمُونُه : أنْ لا يَكُونَ الإتّفاقُ إلاَّ بَعدَ تَقرير قَواعِد الصُّلح ، وتَسليم ما وَصَل به مُصطفى مِن الخلَع والتَشريفات فَلمَّا وَقَف البَاشَا مُصطفى على الجَّواب عَلم أن الحيلَة لَمْ تَنفَذ في المُطَهَّر ، فأرسَل لِلمَدفعِ الكَبير في تَعز.

وفي سَنَة تسع وخمسين وتِسعمائة في غُرَّة المُحرَّم منها نَهضَ مُصطفى باشا بأصْحَابه واستَقَلَّ في مَحلٍ يُقال لهُ رأس المعينين[2] ، فَلمَّا عَلم البَاشَا أَزدَمَر بِصُعوده ، وأنَّه لم يَجرِ في جَنابهِ مَكرُوهاً لَحق في إثْره بِجُموعه ، فَوجَّهَ المُطَهَّر لِمُقاتَلتِهم إبن أَخيه صَلاح بن شمس الدين إلى المَشهَد القَريب[3] مِن مَدينَة ثِلا وثَبتَ جُنود المُطَهَّر ثَباتاً لم يُعهَد مثله ، مع كَثرَة أجْنَاد السَّلطَنة وكَثرَة المَدافع مَعهُم والزبَرْطَانَات ، ولما اشْتَدَّ الجِّلاد وثَبتَ الأَمجاد ، وقَعَ في خلالِ ذلك صَوب الفَقيهِ يحيى بن إبراهيم النُصَيري ، وعِندَه جَماعةٌ مِن قَبائل الظَّاهر ، فَلمَّا عايَنُوا ما أصابَه داخَلَهُم الفَشَل ورجعُوا عن القِتال ، فَما شَعَر

---

[1] – الباشتين : كما يقال اليوم ديوان الباشا أو الديوان الأميري .

[2] – رأس المعينين : لم أجده فيما عدت إليه من المراجع .

[3] – المشهد القريب : هو قبر أحد الأولياء أو الصالحين ويطلق عليه مشهد .

عَسكَرُ المُطَهَّر إلا والسَّيف عَاملٌ فِيهُم فانهَزمُوا ، فَلمَّا عايَنَ المُطَهَّر هَزِيمَة أصْحَابه ، وَقَد تَبِعَهم عَسكَرُ السُّلطان ودَخَلوا المَدينة[١] عُنوةً طَلَع من حِينه إلى الحِصْن فَوجَد أبواب الحِصْن وَقَد غَصَّت بالنِّساء والصِّبْيان ، فَرَقًا على الأَعنَاق إلى الحِصْن ، وأمَرَ أَهلِ المَدِينة بالتَّفَرُّق في البِلاد وبَقي في الحِصْن في رِجالِ الحَرب وشَياطِينِ الطَّعنِ والضَّرب ، وحَصلَت بين المُطَهَّر والبَاشْتين حُروبٌ ووَقَعات وَخُطوبٌ جَسِيمَة ، ودَبَّرُوا في أخْذِ الحِصْن كُلَّ حِيلَة مِن ذلك أَنَّهُم نَقبُوا سِرْدابا في محل نازح[٢] بِقُرب النَّاصِرة حتَّى انتَهُوا إلى قُربِ وَسَط النَّاصِرة ، فَفَطِن بِهم بَعضُ الحَرسِ وسُمِعَ في الليل وَقْعُ الفأسِ في الحجر ، فوقَع الخَبرُ إلى المُطَهَّر ، فأمَرَ أن يَحفرَ أمامَ ذلك النقر ، حتَّى يَتَّصِل بما حَفَرُوه فَفعَلُوا حتَّى اتَّصلُوا بما حَفَرُوه الأَرْوَام[٣] ، وأكْمَن المُطَهَّر رجالاً من أمْجادِ عَسكَره في ذلك السِرْدَاب ، فَطَلَعت العَّاملةُ إلَيه على العَادَة في الليل ، فما استَقرَّت أقَدامُهُم إلا والسُّيوفُ تَلمَعُ عَليهِم في ظُلمَة ذلك الكَهفِ المَنقُور ، فَنَجا مِنهُم مَن نَجا وهَلَك مَن هَلَك ، واستولى أصْحَاب المُطَهَّر على جَميعِ ما أودَعُوهُ في ذلك السِرْداب ، فَلمَّا طَالَت المُدَّة وزَادَت عَلَيهم الشِّدة عَرضَ أزدَمَر بالصُّلحِ .

وكانَ مِن النَوادِر الغَرِيبَة : أنَّه كانَ في مَقامِ أَزدَمَر الشَّيخ العالِمُ الطَّبِيب عبد الرحيم التدبري ، وكانَ مُلازِماً لهُ سَفَراً وحَضَراً ، فَقال لهُ البَاشَا في خُلوة هَل نَظفر بالمُطَهَّر ؟ فَقال: لا ، فَقال: هَل يَملكُ اليَمَن مَرة أخرى ، فَقال لهُ: أمْهِلني حتَّى آخُذ الطَّالع وأَنظُر في المَطالِع ولا أردُّ الجَواب حتَّى أَجِد الإرتِفاع بالإسْطرلاب ، فَلمَّا أخَذَ الإرتِفاع ، وجَد الطَّالع بُرْجَ العَقْرَب والشَّمس في ذلك اليَوم ثمانية وعِشرين دَرجة من

---

[١] – المدينة : المقصود هي مدينة ثلا .

[٢] – نازح : هو ليس بموضع ، قال الفيروز أبادي : نازح :البعد ، فلعله قصد "في محل معزول بالقرب من الناصرة" ، ووردت في المطبوع نازج ، ونازج بحثت عنها أيضاً فلم أجد لها معنى في كتب اللغة .

[٣] – الأروام : كان يمكن أن يقول الجيش التركي ، حفروه : وردت محرفة والصواب حفره .

بُرْج الأسَد في بَيْتها وقُوَّتها وغَربها ، وهي في العَاشر مِن الطَّالع ، وكذلك السَّيِّد عيسى ابن لُطف الله ذَكر ذلك في تَارِيخه[1] وهو ممن أتقَنَ هَذا الفَن ، فَلهذا صارَ يُعوِّل على هَذه الأَحكَام ، ولله تَدبيرُ الأُمُور .

قال: فَرَجعَ إلَيه في اليَومِ الثَّاني ، فَقال لهُ : نَعم يَملكُ المُطَهَّر اليَمَن سَنتين ونصف ، فَقال: مِن أين أخَذت ذلك ؟ فَقال: الشَّمس في العَاشِر من بَيتها وقُوَّتها ، وإذا كانَت كذلك دَلَّ على أنَّ المَسْؤولَ عَنه رجلٌ عَظيمُ القَدر ، ولِكَونها في بَيتها وقُوَّتها دَلَّ على أنّه يَملكُ أكثَر القُطرِ اليَمَني ، فَقال لهُ: مِن أين عَلمت المُدَّة ؟ فَقال: الباقي للشَّمسِ في بُرج الأسَد دَرجتان ونصف دَرجَة فَقُلت: نِصف سَنة ، فَبذلك عَلمتُ أنّه يَملك إلى عَدَن هذه المُدة فَسَكَت أَزدَمَر .

وأنا أقول: إن لله سُبحانه وتَعالى غَيبُ السَماوات والأَرضِ ، وإنَّما هَذه تَخمينات وحَدسيَّات تُخطئ وتُصيب ، والتَّدبير والتَّأثير للصَّانع الحَكيم .

ولَمَّا سَئم كلا الفَريقين القتال ، وطَالَ عَليهُم من غَير طَائل ، جَنحَ أَزدَمَر إلى الصُّلح وأرسَلَ إلى الأَمير ناصر بن أحمد الحَمزي يَطلُب منهُ التَوسُط بَينَهُ وبين المُطَهَّر في الصُّلح ، فَوقَع تَمام ذلك على أنَّ للمُطَهر بِلاده ، ويُسَلِّم للسَّلطَنة الطَّويلَة[2] وحِصنُها ، ثُم أنَّ أَزدَمَر عَقَد للمُطَهَّر لواءً شَريفاً ، وطَلَع به بِنفسه إلى عَارضَة الحِصْن ، وَصُحبتُه شمس الدين ولما اتَّفقَ بالمُطَهَّر إعْتَنَقا[3] ، فَقال شمس الدين حين رأى ذلك : يا لَكُما مِن جَبلَين إصطَدَما ، أو بَحْرَين إلتَطَما .

وعَمَل المُطَهَّر لَهُم ضِيافَةً عَظيمَة حَضَر فِيها أَنوَاعَ المأكُولات ، فَعَجب أَزدَمَر من ذلك مع طُولِ الحِصارِ وحَلفَ كُلٌ مِنهُما للآخر ، فَطلَع بعد ذلك مُصطفى فَلم يَحصُل

---

[1] - تاريخه : كتاب رَوح الروح - مطبوع بتحقيق إبراهيم المقحفي .

[2] - الطويلة : بلدة مشهورة إلى الغرب مِن كوكبان وبها حصن معروف وما زالت معالمه واضحة حتى اليوم .

[3] - اعتنقا : تعانقا .

بَينَهُ وبين المُطَهَّر مِن الأُنْس مثلَما حَصَل مع أَزدَمَر ، وَعزَما إلى صَنْعَاء وارتَحلَ مُصطفى إلى الأبْوَابِ السُّلطانيَّة ، وتَوجَّه أَزدَمَر على اليَمَن فاستَفتَحها حتَّى بَلَغ جَازان .

وفي سَنَة ست وخمسين وتسعمائة تُوفي الشَّيخ أحمد بن صِديق بالمخلاف السُلَيماني .

وفي سَنَة سبع وخمسين وتسعمائة تُوفي الشَّيخ العَّلامة الرَّبَّاني ، والمبرَاز الصمداني مُجتَهِد عَصْرِه وجَهبذُ قُطرِه ، مَفخَرةُ الزَّمان ومُفيد أَهلِ اليَمَن محمد بن يحيى بن محمد ابن أحمد بن موسى بن أحمد بَهران الصَّعدي اليمني البصري[1] وشُهرَته تُغني عن وَصفِه ومُؤلَّفاته: "الغايَةُ القُصوَى" و "النِّهايةُ في التَّحقيق" و "البُغيَة في التَّدقيق" ، في جَميع الفُنونِ العِلميَّة والمَدارك الشَّرعية منها "شَرحُ الأثْمَار" الذي إختَصَره الإمَام شرف الدين مِن الأَزهَار في الفُروعِ ، وشَرَحهُ العَلامة بَهران في ثلاث مُجلَّدات كبار ، ذَكرَ أدلَّة الأحكام مُخرَجَة مِن الأُمَّهات وكِتاب "تَكميل الكَشاف" وجَمَع فيه بين الرِّوايَة والدِّراية ، واستَوعَبَ "الكشاف" و "تَفسيرُ ابن كَثير" و "الدرُّ المَنثُور" للسِّيُوطي ، وكِتاب البغوي[2] ، فكانَ حافلاً للتَّفسير ، وجامعاً للمَعاني في القُرآن على كُلِّ تَقدير ، وهو الذي إحتَفل عند وصُوله الإمَام المُتوكِّل على الله شرف الدين ، وزفَّه الطَّلبة على رُؤوسِهم بالطبلجانات والجُنُود والألوية والبُنود ، وكانَ في تلك العُصورِ وعند أولائك البُدُور من تَعظيم العلم والعُلماء ما لا يُحيط به الواصف ، ومن مُؤلَّفات العَلاَّمة بهران كِتابُ "المُعتَمَد" في عِلم الحَديث إختَصَره مِن "جامعِ الأُصُول" لإبن الأَثير ، ورتَّبهُ على أبوَاب الفقه ، ومنها "تَخريجُ أَحاديثُ البَحْرِ الزَّخَّار" للإمام المَهدي عليه السلام ولَهُ "التُّحفَة" في النَّحو و "النُّخبَة" في الصَّرف و "الكَافل" في أُصول الفِقه و "قُوتُ الأَروَاح" في المعاني والبَيان وكِتابٌ في الفَرائض ، ومُختَصرٌ في عِلم العروض والقَوافي سمَّاه "المُختَصر الشَّافي" وغير ذلك .

---

[1] – الإمَامِ التميمي : البصري الأصل الصعدي المولد والوفاة من أكابر علماء الزيدية من أهل مدينة صَعْدة .

[2] – كتاب البغوي : تفسير البغوي ، متداول .

وكانَت وَفاتُه في اليوم الخامِس عشر مِن شهرِ رَمَضان سَنة سبع وخمسين وتِسعمائة .

وفي سَنة تِسع وخمسين وتِسعمائة عَزَمَ الأَمير عيسى بن المهدي ، إلى بَنْدر جَازان ، وظَفِر بِمَن فِيه ونَهَب وسَلَب ، وعَادَ بمن مَعَهُ إلى وادي صَبْيا ، وبَقى خَمسة عَشر يوماً وأرادَ الإرتِحالَ ووَصَل قَرية الحُسَيْنيين[١] وعيون الكاشف طاسبعين[٢] المُتَولِّي مِن جِهَة أَزدَمَر مُرصَدَةً على الأَمير المَذكُور ، فَلمَّا بَلغه إعتَرَضَه إلى مَحلٍ يُقال لهُ مجدل[٣] ، والأَمير في غَفلةٍ هو وأصْحَابه مُتَفرِّقون في الطُّرُقات ، فَوقَع بَينَهما قِتَال كانَت الدَّائرة على الأشرَافِ ، واستَرجَعَ مِنهُم ما نَهبُوه مِن بَنْدر جَازان وعَادَ الكَاشِف إلى أبي عَرِيش ، ومعهُ عِدَّة مِن رُؤوسِ القَتلى ، ثُم إنَّ البَاشَا أَزدَمَر كَاتَب الأَمير عيسى يَحُثُّه على الطَّاعَة ، ووَصَل إلَيه كِتابٌ مِن المُطَهَّر بن الإمَام ، يُحقِّق لهُ دُخولَه في طاعة السَّلطَنة على بَقاءِ بِلادِه تَحتَ يَده ، وأنْ لَيْس عَليه إلا الخُطبَة والطَّاعة للسُّلطان ، فَطمِع الأَمير عيسى في مِثل ذلك ، وأجابَ على البَاشَا أَزدَمَر أنَّه طالَبَ بِبَقاءِ جَازان تَحتَ يَده كَما فَعل مع المُطَهَّر والأَمير ناصر بن أحمد فَأَجابَ عَليه أن جَازان لم تأخُذه منهُ ، ولا كانَ أميرها مِن قَبْل ، فَقَنِع الأَمير عيسى في طَلَب جامكية[٤] تَقُوم بِأَوده ، فَأجرَاها البَاشَا ، وَسَكن في أبي عَرِيش حتَّى تُوفي صِنْوه الأَمير موسى بن المهدي ، فانتقل إلى البَداح[٥] إلى أنْ وَقع بَينَهُ وبين الأَترَاك ما سيأتِي .

وفي سَنة ستين وتِسعمائة فَتحَ أَزدَمَر رَيْمَه وَوُصَاب وتُسمَّى بين النوار[٦] ، وَطافَ البِلاد جَميعَها حتَّى انتَهَى إلى جَازان ، وكانَ دُخُولَه أبي عَرِيش في ثاني وعشرين صَفَر

---

[١] – الحسينيين : لعله قصد قرية الحسيني : إلى الشرق من صبيا .

[٢] – عيون الكاشف طا سبعبن : أحد الولاة الأتراك .

[٣] – مجدل : من قرى المخلاف السليماني .

[٤] – جامكية : مرتب شهري عوائد شهرية .

[٥] – البداح : من قرى المخلاف السليماني ولعلها المنطقة الواقعة شمال شرقي عبس .

[٦] – بين النوار : هكذا وردت في المطبوع والمخطوط .

، ولَّما عادَ إلى صَنْعَاء فَتحَ الحرب على الأشرَافْ الحَمْزات ، واستَرجَع الظَواهِر منهُم ، ثُمَّ عَزَم إلى صَعْدة فَفتَحها سِلماً بِغَير حَربِ بِطاعَة أهلِهَا فَسلِمَت مِن النَّهب والمَعرَّة ، وكانَت في يَدِ الأَمير النَّاصر بن أحمد .

وَفيها تَمَّ فتحُ المُطَهَّر لِبلادِهِ ، وضَبطَ مَن عَرفَ مِن القَبائل الخِلاف عَليه حال الفِتنَة .

وفي سَنة إحدى وستين وتِسعمائة عُزِل أَزدَمَر عن اليَمَن بِمُصطفى نَشَّار الذي تقَدَّم ذِكرُه فَكتَم أَزدَمَر العَزل وعَزَمَ إلى سَواحل الحَبَشة ، ولما وَصَل مُصطفى نَشَّار إلى تَعز عارَضَه مَرضٌ أضْعَف قُوَّته ، وأَسقَط شَهوَته ، فَحُمِل إلى زَبيد وَماتَ فِيها في شهرِ رَجَب مِن سَنة اثنين وستين وتِسعمائة .

وفي سَنة ثلاث وستين وتِسعمائة تُوفي شمس الدين بن الإمَام شرف الدين في حِصن براش الطَّويلَة وحُمل إلى كَوكبان فَقُبر فِيها ، وكُتِمَ مَوتُه عن والده الإمَام شرف الدين ، ولَم يَشعُر به إلى المَمَات ، وكانَ قَد إتَّحَد الحَال بَينَهُ وبين صِنْوه المُطَهَّر ، واصطَلَحا على يَد محمد بن شمس الدين ، وصارَ أمرُهُما واحداً .

وَفيها خَرجَ مُصطفى باشا والياً على اليَمَن[1] بَعد بُلوغِ خَبَر وفاة مُصطفى نَشَّار .

وفي سَنة خمس وستين وتِسعمائة تُوفي الإمَام الأعظَم المُتوَكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين عَادَت بَركاتُه في مَحرُوس الظَّفير ، وحَضَر مَوتَه ولَدُهُ عبدالله وولَدُهُ المُطَهَّر وولَدُهُ رضى الدين ، وقُبِر في قُبَّته التي عَمَرها لِنَفسه بِقُرب قُبَّة جَدِّه الإمَام المهدي أحمد بن يحيى .

وفي سَنة سبع وستين وتِسعمائة عُزل مُصطفى عن اليَمَن بمحمود باشا ، وعَزَم مُصطفى [العَوْدة][2] إلى الأبوَاب العَالية .

---

[1] – من قبل السلطان العثماني بمرسوم تعيين من الادارة السلطانية في الاستانة .

[2] – [العودة] : زيادة مِن المحقق لم ترد في المخطوط والمطبوع .

وفي سَنة ثمان وستين وتسعمائة دَخَل محمود باشا صَنْعَاء في العَشر الوُسْطَى من جُمَادى الأولى ، وأرسَلَ إلى المُطَهَّر بإسْتِمرَار الصُّلحِ فَأجابَهُ إلى ذلك ، ثُم إن البَاشَا جَهَّز العَساكِر لأَخذ حِصْن حَبّ[1] ، وكانَ فِيه الفَقيه علي بن عبد الرحمن النَظَاري ، فَتَجهَّز إليه الأَمير إسكَندَر بن حسام الكُردي .

وفي سَنة تسع وستين وتسعمائة خَرجَ البَاشَا محمود بنفسه لِقتال النَظَاري ، وأَخَذَ حِصْن حَبّ منه ، وطَلَب النَظَاري الأَمانَ مِن البَاشَا محمود مع عَجزه عن الحِصَار ، وكانَت المُوَادَعة على يَد الأَمير محمد بن عبد الله بن جعفر الفَاضِلي الإسماعِيلي فَلمَّا نَزَل النَظَاري وولده وحَفَدَتُه ، أَمَرَ البَاشَا محمود بِضَرب أعنَاقِهم ــ الجميع ــ ولم يُبَال بالأَمانِ وتَأكِيدِ الأَمَان ، وكانَ قَتْل النَظَاري في شهرِ رَجَب مِن السَّنة المَذكُورة .

وفي سَنة اثنين وسبعين وتسعمائة عَزَم البَاشَا محمود إلى الأَبوَاب العَالية السُّلطانيَّة .

وفي سَنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، تَوفي السَّيِّد العَلاَّمة الفَطِن الفَهَّامة الفَصِيح المقول صَاحِب التَصانِيفُ ورَافِع قَواعِد العِلم الشَّريف "عبد الله بن الإمَام شرف الدين"[2] بمَحرُوسِ مَدينَة ثلا ، وَفِيها وَصَل رضوان باشا بن مُصطفى باشا تِهَامَة ، فَدخَلَها في شهرِ رَبِيع الآخر مِن السَّنة في نامُوسٍ عَظِيمٍ وَزِينٍ جَسِيمٍ فَسَوَّلت لهُ نَفسُه أخْذَ بِلاد المُطَهَّر بن الإمَام ونَقْضِ الإصلاح والذمَام ، وأرسَلَ بَعد وُصوله إلى المُطَهَّر القَاضِي صالح الكوراني وكانَ أخَصَّ خَواصِه ، فَلمَّا أرادَ إرسَالَ القَاضِي المَذكُور عَرَّفَ إلى المُطَهَّر ، فَأجابَ المُطَهَّر بأن يَتقَدَّم القَاضِي صالح إلى ذي مَرْمَر إلى أَخيه علي بن الإمَام ، ثُم يَصِل إلَيه فَلمَّا دَخَل ذي مَرْمَر عَظَّمهُ علي بن الإمَام وأعزَّهُ ووقَّرهُ ،

[1] – حصن حب : حصن منيع مشهور في جبل بعدان من أعمال إب مقابل جبل التعكر شرقاً وسمي حصن حب لكثرة الحبوب التي كانت تخزن فيه .

[2] – عبدالله بن الإمَام شرف الدين : عبدالله بن شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمَام المهدي أحمد بن يحيى الحسني ، فاضل مِن علماء الزيدية ، له بعض المؤلفات مثل "تراجم فضلاء الزيدية" وغيره .

وجَرَت بَينهُما مَباحثُ عِلمية وكانَ علي بن الإمَام وَحيدَ عَصره وفَريدَ دَهره مُتضلِّعاً من العُلوم عَقلاً ونَقلاً ، وفَرعاً وأَصلاً ، والقَاضِي صالح المَذكُور كانَ كذلك ، فَلمَّا رَامَ القَاضِي صالح العَزْم إلى المُطَهَّر قال لهُ علي بن الإمَام: أَيُّها القَاضِي إنَّك عَازمٌ إلَى هَذا الإنسانِ العَظِيم ، وحالُه مُخالفٌ لِحالِ مَن تَعرِفُهم ، فإياكَ أن تُقابله بالإدلال[١] بَلْ لا تُجري مَعهُ إلا على سِيما الأدَب والإحتشام ، ولَيسَت حالُهُ كَما تَراهُ مِنَّا وشَهِدْت فِينَا ، وأمَّا نَحن فَقَد رَفعنَا شُروط الأدَب بَينَنا وبَينك بِواسِطة العِلم والمَعرِفَة ، فَلم يَعمل بِتلك النَّصيحَة الصَّحيحة .

ولَمَّا وَصَل القَاضِي صالح إلى مَقام المُطَهَّر ، وَقَد حَشَد الجُنُود وعَم بها الآفاق والنُّجود ، فَأوصَل ما وَصَل بِه مِن الخِلَع ، وخَلَع عَليه المُطَهَّر مِن القَفَاطِين[٢] الغَالية وعلى مَن معَهُ ، تَابَع عَليه مَوائد إحسانه ، وبَعْد ثَلاثَة أيامٍ طَلَب القَاضِي وسَأَلَهُ ، عن مُوْجِب قُدُومه وقال لهُ : إن كانَ غَرضُ البَاشَا إستمرارَ الصُّلح على ما تَقَدَّم بَينَنَا وبين البُوَشِ الأَولِين[٣] ، فَهوَ المَطلُوب وإن كانَ لهُ غَرضٌ آخر أبدَيته ، وَلَنَا فِيه القُدُوم والرُّجوع فَطَلب أُموراً خَارجةً عن تلك الرُّسُوم لا تَليقُ بِجَانب المُطَهَّر ، وعَرَّفه أنَّه إذا لَمْ يُسَاعد إلَيهَا فَلا بُدَّ مِن تَخريبِ البِلاد والإقدَام على أَغوَارِها والنجَاد فأجابَ عليه المُطَهَّر أنْ قَد عَلمتُ يا قَاضِي إنَّما مُرادُكُم إلاَّ الفِتنَةُ وإثارَةُ المِحْنَة ، فَقُم إلى صاحبك إن يَبقَ على ما قَد سَبَق بَينَنا وبَين مَن مَضى ، و إلا فَبينَنَا وبَيْنَه السَّيف ، ولا يحسنُ لهُ النَّقضُ والإصَلاح التي فِيها ذَهابُ الأَرواحِ ، فَلمَّا وَصَل إلى رضوان أخبَره أن المُطَهَّر مالَ إلى العصيَان وافتَرَى ومَالَ ، ثُم حَسُن لِلبَاشَا نَقضُ الإصَلاح وشَهْرِ السَّيفِ والكِفَاح ، فَانخَدعَ رضوان لِقَولِه واتَّكَل على قُوَّته وَحَوْله ، ولَمَّا تَغيَّرت مِن رضوان

---

[١] – الإدلال : التدلل ، الغنج .

[٢] – القفاطين : الألبسة الفاخرة التي يلبسها الملوك والأمراء ،مفردها قفطان .

[٣] – البوش الأولين : الولاة الذين قبله .

النِّيَّة ، اشتَدَّت وَطئَتُه على جِهَة الإسماعيلية فَفرُّوا بأجمَعهم إلى جَناب المُطَهَّر[١] ، وكانَ وادي السِّر[٢] الأَعلى إلى علي بن الإمَام دَاخلاً في صُلحِهم العَام ، فَوجَّهَ إلَيه البَاشَا كَاشِف فَجَرَّد عَلَيه علي بن الإمَام جَماعَةً فَقتلُوه فَوجَّهَ البَاشَا رضوان ثَلاثَةً من السَّناجِق تَحتَها سَبعةٌ من الفَيالق .

وفي سَنَة أربع وسبعين وتسعمائة تُوفي سُلْطان الإسلام و(؟؟) [٣] المُلحدينَ سُلَيمان ابن سَليم وكانَ تَاريخُ مَوته من نظامية الانقشاري[٤] ، وهو قَولُه "رَفَع الله إلى جنَّاته الكَريمَ ابن الكَريم بن الكَريم" وأَتَانَا تَاريخُه في الأُدَبا ، "ماتَ سُلَيمان بن سَليم ، وتَولّى بَعدَهُ السُّلطان بن السُّلطان سَليم بن سُلَيمان خان" فَلمَّا بَلَغ المُطَهَّر تَوجَّه العَساكِر إلى بلاد أَخيه ، شَمَّر الهِمَّة في إنجَاده وتَلافِيه وزَحَف بعسكَره إلى معَسكَره وَوَجَّه إبن أَخيه الحُسين بن شمس الدين إلى بلاد الظَّاهر ، فَخافَ البَاشَا رضوان على صَعْدة ، فاستَرجَعَ العَسكَر الذي وُجِّه إلى ذي مَرْمَر ، وعَضدهُم بخُلاصَة جُنده وَوجَّهَهُم لِقتال الحسين ابن شمس الدين وَقَد إستَعدَّ الحسين للشَّهادة ، والظَّفر والسَّعادة فَأصدَق في الأَرْوَام[٥] الكَرَّة فَهَزمَهم وانقَلبوا مَهزُومين ، ولما بَلَغ البَاشَا هَزيمَتَهُم أمَرهُم بِدُخول عَمْران ،ثُم إن المُطَهَّر كَتب إلى السَّيِّد أحمد بن الحسين المُؤيَّدي ، والأَمير محمد بن ناصر الحَمزي ، وأمَرَهُم بِحِصَار صَعْدة ، وإخراجِ مَن فِيها من أَجناد السُّلطان ، وكانَ فيها أَميرٌ يُقالُ لهُ الشَّيخ علي ، فَخَرج منها بِعُهودٍ ومَواثيق وتَوجَّه لِلجَوق[٦] ووَصَل إلى صَنْعَاء

---

[١] - ثم استقوى هم الإمَام عَلَى حرب جيش السلطان .

[٢] - وادي السر : وادي خصيب من منطقة بني حشيش إلى الشرق الشمالي من صنعاء نسب إلى محمد بن أحمد بن الروية أحد أعيان اليَمَن القديم .

[٣] - (؟؟) في المخطوط فراغ بمقدار كلمة لعلها قاهر .

[٤] - نظامية الانقشاري : أهم تنظيمات الجيش العثماني وكان يعرف بالجيش الانكشاري .

[٥] - الأروام : غفر الله للمؤلف يسمي الجيش التركي بالأروام وعندما يذكر الخليفة وهو قائد الأروام الذين يكرر أسمائهم يقول مات سُلْطان الإسلام وقاهر أعداء الإسلام .

[٦] - الجوق : لعلها الجوف وردت مصحفة .

بِتوابِعِه وتَعقّب ذلك خُروجَ عَسكَر مِن صَنْعَاء إلى جَبل بيت خَولان . فأَمَر المُطَهَّر محمد بن شمس الدين أنْ يَقصدهُم إلى ذلك المكانَ ، فَباشَرهُم بالحَرب فانكَشَفُوا عن آخرِهم وأَيسُوا من نَاصِرهم وبَعدَ هَذه الوَقعَة انتَقل المُطَهَّر إلى الشدنة[1] وامْتَدَّت في جَميع البِلاد الفِتْنَة ، وعَزَم محمد بن شمس الدين عن أمرِ عَمِّه المُطَهَّر إلى حران[2] فَفتَحهَا وَرفَق بمَن فِيها مِن جُند السُّلطان ، فَلمَّا خالَفَ البِلاد على البَاشَا رضوان ، عَلِمَ أن رأي القَاضِي صالح الكوراني غيرُ صالح ، وكانَ القَاضِي صالح المَذكُور قَد تَوَسَّم ما سَيكون ، فَطَلب الإذنَ مِن مَخدُومه في الإرتحال فَفارقهُ فَطَلب البَاشَا مِن المُطَهَّر المُوادَعة والرُّجوع إلى الصُّلح فَأَجابهُ المُطَهَّر إلى ذلك على شَرط تَسليم شئ مِن البِلاد غير ما قَد استولى عَلَيه المُطَهَّر ، فَتمَّ الصُّلح على تَسليم بِلاد خَولان والحَدَا ، ونِهْم وقَيْفَة ، وبِلاد ذي مَرْمَر والخشب والظَّواهِر وحَرَاز وحُفاش ومِلحَان وعَمران وخُرُوجِ رَهائِنهم مِن قَصر غمدان وتَمَّ الصُّلح في شهرِ رَجَب ، ومُدَّتهُ إلى عَزم البَاشَا رضوان مِن صَنْعَاء إلى الحَضْرَة[3] وَقَد حَدَّ عَزلُ البَاشَا رضوان بالبَاشَا مُراد وخَرَج البَاشَا رضوان مِن صَنْعَاء خامس شهرِ ذي القعدة .

وَفيها إنتَقل المُطَهَّر إلى رَيْعَان[4] الحيان وأوجَهَت إلَيه الحَيمَتَيْن والمِخلافَ وبَني مَطَر وانتقل المُطَهَّر إلى عَصِر ، وحَصَلت الفُتُوحاتُ الكَبيرة ، وكانَ في صَنْعَاء ستَّة عشر أمِيراً وأَجنادٌ عَظيمَة تَركَها البَاشَا رضوان ، فَأَحاطَ بها المُطَهَّر ووَجَّهَ أخاه علي إلى ريْمَة حميد ووجَّهَ الأَمير أحمد البَغْدَاني إلى خُبَان بجَماعة مِن عَسكَره الأَعيَان وبَلَغ البَاشَا حِصار صَنْعَاء ومن فِيها ، فَشمَّر سَاقَ هِمَّته في تَلافِيها . ووَصَل إلى ذَمار في

---

[1] – الشدنة : لم أجده.

[2] – حران : أحد بطون حمير منازلهم بوادي الاجلب إلى الجنوب من ذَمار ولهم أراضي تسمى جربة حران ذكرها الهَمْداني .

[3] – الحضرة : الحضرة السلطانية مقر الخلافة العثمانية .

[4] – ريعان : بلدة إلى الغرب مِن صنعاء بعد نقطة الصباحة ، والحيان لعلها نسبت البلدة إليها .

عَسكَر جرَّار وَقدَّم أمامَهُ أَميراً يُقال لهُ أحمد مَحبُوب في أقوَات وعُدَّة وعَدَد فَوجَّهَ المُطَهَّر لِلقائه ابن أَخيه الحسين بن شمس الدين في عَسكَر مُتَتابعٍ مَكين فَالتَقى الجَمعان في وَقتِ الضُّحى مِن يومِ الأَضْحى فَحمَل عَليهم الحُسين حَملَة أَورَدَهُم الحين فَقَتَل الأَمير مَحبُوب واجْتَزَّ رأسَهُ وأُخِذَت أثقالُه وتَفرَّق بأُسه ولما بَلَغ أهلِ اليَمَن قَتْل الأَمير أحمد في الذِّرَاع[1] وشاعَ الخَبرُ وذَاع ، وَأعلَنُوا بالخُطبَة لِلمُطَهَّر ووَثَبُوا على مَن في إبْ وجبلة فبَلَغ الأَمير علي مشيح حَاكِمَ زَبيد ذلك القَتْل المُبيد فَجمعَ جُمُوعَه ووَصَل إلى الحُجَرِيَّة فَثارَت عليه قَبائلها وحَصَرُوه ، وانقَطَع البَاشَا مُراد في ذَمار فَترَكَ أَثقالُه ولَمْ يَصحب مَعهُ إلاَّ ما خَفَّ مِن الخزائن وسَارَ في الليل فَتقَدَّم الأَمير أحمد البَغْدَاني مُقدم المُطَهَّر إلى الشلالة وأجرئ في طريق البَاشَا مُراد الغَيْل[2] واستَصرَخ القَبائل فانْثَالوا كالسَّيل وعَسُر على خيلُ البَاشَا القتالَ في تلك البُقعة اللاَّزبة التي هي لِلمَاءِ شَارِبَة فَقُتِل البَاشَا مُراد ومن مَعهُ جميعاً واستَوْلى الأَمير أحمد البَغْدَاني على خَزائنه وعَسكَره وسلاحِهم .

وفي المُحرَّم مِن سَنة خمس وسبعين وتسعمائة وَصَل رسول الأَمير أحمد إلى المُطَهَّر برأَسِ[3] البَاشَا مُراد فَأرسَل المُطَهَّر برأسِ البَاشَا مُراد إلى المَحْصورين بصَنْعَاء غُروبَ ذلك اليوم ، فَلمَّا عَرفوه فَزعوا إلى المُطَهَّر في طَلَب الأَمانِ فَأجابَهُم المُطَهَّر وأنَّه مُوفٍ لهُم بالرِّعايَة ما لَمْ يَظهَر منهُم مَكيدَةٌ أو خيانَة فَخرَجوا إلَيه في عَسكَر يَملأُ الفَضاء فَخلَع المُطَهَّر عَليهم الخِلَع السَّنيَّة وأخرَجَ الخَزائن مِن النَقْد وكانَ جُملَةُ الخَيلِ ستمائة فَرَس والرِّجال في صَنْعَاء مِن الأَرْوَام والعَرَب زُهَاء أَلفَين خَارِج عن تَوابع الأُمراء

---

(١) – الذراع : لعلها القرية في جبل الدافع من منطقة السياني من أعمال إب وهي من مساكن آل الحداد .

(٢) – الغيل : المعروف بنبع الماء وله مجرى يسقي الأراضي الزراعية ويستقي منه الناس والحيوان أيضاً .

(٣) – موروث كريه وسنة سيئة بدأ بها شمر بن ذي الجوشن ــ عليه من الله ما يستحق ــ يوم اجتز رأس الحسين السبط في كربلاء وتبعته بعض الأجيال تقلدهُ وتسير عَلَى فعلته الكريهة ، وهذا محرم شرعاً ومن كبائر الذنوب التمثيل بالجثة وخاصة إذا كان المقتول مسلماً .

والأعوان وكانَ خُرُوجُهم إلى المُطَهَّر إلى جَبل عَصرٍ في العَشْرِ الأُوَل مِن شهرِ صَفَر المُظَفَّر مِن السَّنة المَذكُورة ، وحُمِلَت على جَميع رَأسه السَّناجِق وحُفَّت عَليه البَيَارِق ، وتَوجَّه إلى الجَّامع المقَدَّس ، وتَوجَّهت تلك الجُّمُوع صُحْبَة أَولاده إلى القَصْر ، وفُتحَت للمُطَهر الأَقطَارُ اليَمنيَّة فَتقَدَّم علي بن الشَّوِيع والياً على تَعز وبلادها ، ووَجَّه الأَمير عيسى بن المهدي القطبي على التَّهائم فَواجَهَتهُ جَميعَاً ، ما خَلا مَدينَة زَبيد ، وفُتحَت رِيْمَة ووُصَاب ومِخلافِ جَعْفَر وعُتْمَة بني البوار[١] ، ثُم فُتحَت عدَن ودَخَلها الأَمير قاسم بن الشَّوِيع وأطاعَته مَخاليفُها وفي خِلالِ ذلك خَرجَ البَاشَا حَسَن بارس بولاية اليَمَن ، فَتحيَّر في زَبيد ظَاهِرَ الحيرَة ، لا يَطمَعُ في الخُروجِ من زَبيد إلى بَلَده ، فَكتَبَ إلى الحَضْرَة السُّلطانيَّة واستَغاثَ واستَمدَّ ، وَقَد جَمَعَ العَسكَر الذي في التَّهائم إلى زَبيد ثُم تقَدَّم الأَمير علي بن الشَّوِيع وأخَذ حبش[٢] قَسْراً واستَولى على مَن فِيها قَتلاً وأَسراً ثُم تقَدَّم الأَمير علي إلى زَبيد ، وَقَد إجتَمَعت فيها العَساكِر السُّلطانيَّة مِن كُل أَوْب وتَآلفُوا مِن كُل صَوب ، فَحصَلت بَينهُم وبين الأَمير علي بن الشَّوِيع وَقعَتان ، كانَت الأُولى لهُ والأُخرَى عَليه إنهَزَم وقُتِلَ مِن أصْحَابه زُهَاء ثلاثمائة وانتَهَبَت عَساكِر السُّلطان خِيامَه وخَزائِنهُ وجَبْخَانَاته[٣] ، وَدَخَل حيساً[٤] وفَارقَهَا مِن حِينه ورَجَعَ إلى تَعز ، ورَجَعَ حَسَن باشا إلى زَبيد وَكَتَب إلى السِّدَّة الخَاقَانيَّة يَستَنهِض الغَارَة ، فَأغاثَهُ السُّلطان سَليم بن سُلَيمان بالبَاشَا عُثمَان بن أَزدَمَر باشا بِأُلوفٍ مُؤَلَّفَة وآلات قَويَّة ،

---

[١] – عتمة بني البوار : وردت في المخطوط بني البوار ، وفي المطبوع بني النوار وهي بلدة عتمة المعروفة ونسبت إلى بني النوار لسكنهم فيها .

[٢] – حبش : جبل آهل في منطقة الطويلة من أعمال المحويت إلى الغرب مِن صنعاء .

[٣] – جبخاناته : مستودعات السلاح – مصطلح تركي .

[٤] – حيساً : لعل المقصود بلدة حيس وهي معروفة إلى الجنوب مِن زبيد وقد ذكرها الهَمْداني وقال : هي أقدم مدينة تهامية ، وحيسان أيضاً بلدة في منطقة بعدان مِن أعمال إب ولا أحسبها المقصود .

فَدَخَل عُثمان زَبِيد في العَشْر الوُسطَى مِن جُمَادى الآخرة مِن سَنة ست وسبعين وتسعمائة.

وَفِيها نَمَا إلى المُطَهَّر تَّجهِيز العَساكِر السُّلطانيَّة مِن مصر إلى اليَمَن وعَلِم أن سُلْطان الإسلام لا يَترُكه لإثارَة الفِتَن فأضْمَر سرَّه ومَلَك أمرَهُ وفتَح الحُصون وأودَعها كُل مَصُون ، ووَصَلت في هذه الحَالَة كُتُب الأَمير علي بن الشَّويع يَستَصرِخ الغَارَة ويُخبِرُه أن عُثمان قَد قَصَده بِكافَّة العَساكِر السُّلطانيَّة ، ثُم إن المُطَهَّر جَمعَ الأُلوف وحَشَد الأَجنَاد وجَعَل عَليهم مُقدماً محمد بن شمسِ الدين بن الإمَام شرف الدين ، فَترَاخَى محمد بن شمس الدين في السَّيْر ، فَوَصل عُثمان باشا إلى تَعز وَدَخَلها عُنوَةً واجتَازَ أَعيَان عَسكَر المُطَهَّر في القَاهرة[1] ، فَلمَّا عَلِمَ المُطَهَّر جَهَّز العَسكَر بَعْد العَسكَر وَأردَفَ الأَجنَاد في الأَصائِل والبكَر ، وضَمَّهُم إلى محمد بن شمس الدين ، وكانَ في الحَملَة أَولادُه جَميعُهم فَنَهضَ محمد بن شمس الدين بذلك العَدد المَكِين إلى الجَبَلِ الأغْبَر[2] . وأشرَفَ على تَعز وعُثمان باشا شَاغِراً لأهل القَاهرة مُتابعاً للحَرب عَليهِم في كُل وَقت وفي خِلالِ ذلك والوَزير سِنان قَد خَرجَ إلى تَهامَة وعَمَّ البَسيطة بتلك الجُنُود المُجتازَة والعَساكِر الكَرَّارة والخَزائن القارُونيَّة والأُهبَة السُلَيْمانية ، وخُروجَه إلى اليَمَن في جَمْع لم يُعهَد مثلَه في الإسلام ولا عُهِد مِثلَه في الدُّوَلِ الماضية مِن الأُمَويَّة والعَبَّاسية ، فإن جِمالَهُ التي تَحمِل أَثقالَه فَوقَ سِتِّين ألف جَمَل وانضَمَّ إلَيه حَسَن باشا وتَحتَ رِكابِه مَشى ، فَلمَّا وَصَل الوَزير سِنان إلى تَعز ، وجَّه عُثمان باشا إلى قِتَال محمد بن شمس الدين ، فَلمَّا التَقى الجَمعَان إنْهَزم محمد بن شمس الدين وأصْحَابه ، ثُم إنَّ الوَزير طَلَب مِن أَهلِ القَاهِرة النُّزُول بالأمان وأكَّد لَهُم الأَيمان ، فَنَزَلُوا على حُكم ذلك الأَمَان ،

---

[1] – القاهرة : قلعة حصينة تشرف عَلَى مدينة تعز يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري وكان لها دور مهم في عصر بني رسول .

[2] – الجبل الأغبر : منطقة واسعة آهله مِن أعمال تعز والنسبة إليها أغبري .

فوقًا لهم الوَزير وكَسَاهُم وأعطاهُم ، فَحاوَل عُثمان باشا في قَتلهم لما قَد قَاسَى منهُم مِن الحُروبِ وقَتْلِهم أنجادَ عَسكَره، فَلم يُساعِدهُ الوَزير سِنان إلى الغَدرِ بَعد الأمانِ والعَهدِ الأكِيد ، فَفارقَ عُثمان مَحطَّة الوَزير سِنان مُغاضِباً لهُ ، ولم يَتبَعه أحدٌ مِن العَساكِر السُّلطانيَّة .

وفي سَنة سبع وسبعين وتسعمائة وجَّه المُطَهَّر بن الإمَام أخَاه علي بن الإمَام إلى حصن حَبّ[1] .

ثُم أن الوَزير سِنان جَهَّز علي بن شمس الدين إلى الشماحي[2] ، فانهزم محمد بن شمس الدين وَوَصل إلى عند المُطهَّر إلى صَنْعَاء ، فأمَر المُطهَّر عند ذلك بِجَر المَدافع إلى الحُصون ، وأصْحَب مَعهُ كُل مَصون ، وخَرَج مِن صَنْعَاء في غُرَّة شهرِ صَفَر مِن السَّنة المَذكُورة ولم يَمنَع أَهلِ صَنْعَاء مِن مُواجَهةِ الوَزير كَما فَعلَ مع أَزدَمَر ، وكانَ يَقُول المُطَهَّر: لِي في الزَّمان ثَلاثُ هَفَوات فَقيلَ لهُ: ما هُن؟ فَقال[3] الأُولى: خلافي على والدي رحِمَهُ الله ، والثَّانية: عمارَتِي طَيبَة وإنفَاقي فيها نَفائس الأموَال ، والثَّالثة : مَنْعي لأَهل صَنْعَاء مِن مُواجَهةِ أَزدَمَر باشا ، فَهذِه لا أعرفُ لنفسي هَفَوات غَيرها ، أَسألُ الله أن يُهَون جَزاءَها ووَصَل الوَزير الأَعظَم إلى ذَمَار ولما خَرجَ المُطهَّر مِن صَنْعَاء وَصَل إلى أهلِها مَرسُوم الوَزير بالأَمَان لأهلِ المَدينة ، فَسكَنَت نُفوسُهم واختاروا لِلقاء الوَزير مائة رجلٍ مِنهُم ، فأكرَمَهُم وأجلَّهُم وأرسَلَ مَعهُم شاوش[4] يَمنَعُ العَسكَر مِن دُخول البُيوتِ ، وكانَ المُطهَّر قَد عَقَد لِولَده لُطف الله ولايةً على ذي مَرْمَر وبِلاده ، فَلمَّا وَصَل الوَزير إلى صَنْعَاء وجَّه البَاشَا حَسَن في طائِفة مِن العَسكَر إلى وادي سِر فَحَارِبهُم

---

[1] – حصن حَبّ : سبق التعريف به .

[2] – الشماحي : قرية في وادي الحار مِن بلاد عنس مِن أعمال ذَمار ينسب إليها القضاة بنو الشماحي .

[3] – الأمة هي التي تقيِّم الحاكم وتحكم عليه إن كان عادلاً أو خلافه ، "وليس هو الذي يقيم نفسه" .

[4] – شاوش : حراسة .

بنو يَزيد[١] ، فَدخَلَ العَسكَر السُّلطاني عَليهم البَلدَة عُنوةً وقَتَلوهُم وأَسرُوا مَن بَقي وتقَدَّم الوَزير على حَرب ثِلا وكَوْكَبان في سادس عشر صَفَر ، ولمّا دَخَل الوَزير إلى حَوْشان[٢] حَمَل بعَسكَره على شِبَام [فَأخَذَهَا عُنوَةً وكانَ تَارِيخَ دُخُول عَسكَر الوَزير إليها هذه اللفظة دَخَل شِبام][٣] .

ثُم إنَّ الحُروب دَامَت بين المُطَهَّر والوَزير ، وحَصَلت واقعاتٌ عَظيمَة لو فَصَّلنَاها لكانَت مُجَلداً كاملاً تارةً للمُطَهر وتَارَةً للوَزير ، وكانَت مَحطَّة البَاشَا حَسَن على كَوْكَبان في الضِلْع[٤] ومحطة الوَزير على ثِلا ، وَجَرَت بَينهُم ثلاث وثمانون وَقْعة ، ثُم إنَّ المُطَهَّر كَتَب إلى قَيْفَه والحَدا[٥] والشَّيخ قطران السحامي والشَّيخ علي بشير بشَنِّ الغَارات وبتَخطيف المارَة وقَطع الطُرُقات على الأَرْوَام فانْقَطعت المَوادُ في مَحطَّة الوَزير وغَلَت فيها الأَسعارُ وعُدم العَلَف على الخَيل والجمال التي مَلأت السَّهْل والجِّبال ، وَكَتَب المُطَهَّر إلى أخيه إلى حِصن حَبّ أنْ يُكاتب قَبائل اليَمَن ويَحُثُّهم على إثارة الحرب مِن جِهَتِهِم كَون الأَرْوَام قَد شُغلوا بحَربه فَفَعل وقَصَد علي بن الإمَام ما أشار إلَيه صِنْوه المُطَهَّر فاجتَمَعَ أَهلِ المخلاف على الخلافِ وقَبَضُوا القنبطان وهو مُحاصرٌ لحصن حَبّ وفيه علي بن الإمَام وَنَزلَ علي بن الإمَام من الحِصْن بنفسه لمُباشَرة الحَرب وإقامَة سُوقِ الطَّعن والضَّرب ومَالَ مَعهُ أَهلِ اليَمَن مَيْلةً واحدة فَقَتل القُنبُطَان والجُّند الذي مَعهُ زُهاء ثلاثمائة ، فَلمَّا بَلَغ الوَزير الأعظَمُ هَذه الأُمُور وخَشي تَفاقُم الخَطبِ مع ما قَد أسلَفنا ذِكْرَه مِن إنقطَاعِ الطُّرقات وما وَقع مِن قَتل الأَمير فرّاجور[٦]

---

[١] – بنو يزيد : عيال يزيد منازلهم إلى الشمال من عمران .

[٢] – حوشان : قرية في جبل الصرم أسفل مدينة ثلا .

[٣] – ما بين القوسين ساقطة من المطبوع .

[٤] – الضِلْع : بكسر الضاد جبل واسع تقوم عليه بلدة كوكبان في أعلاه .

[٥] – قيفه : قيفا بلدة بالقرب من رداع ، والحدا : منطقة واسعة إلى الجنوب الشرقي من ذَمار وهم من قبائل مذحج .

[٦] – فرّاجور : أحد قادة الجيش التركي .

فإنَّه خَرجَ على لُطف الله بن المُطَهَّر إلى حصن ذي مَرْمَر ، فَحصلَت بَينهُم واقعة قُتل فِيها فرّاجور المَذكُور واجتُزَ رَأسُه وأرسَلَ بِه لُطف الله إلى والده المُطَهَّر ، فَترجَّح للوَزير مُصالحَةَ محمد بن شمس الدين ، فَلمَّا تَمَّ الصُّلح بَينهُما وبَلَغ المُطهَّر ذلك خرجَ من ثِلا وَدَخَل كَوْكَبان فلم يَسَع محمد بن شمس الدين إلا تَلقيه وإعلان التَنْصير بإسمه ، فَسَمِع الوَزير أصوَاتَ المَدافِع و الزَبَارط[1] التي ضُربت لِدُخول المُطَهَّر كَوْكَبان ، فَسألَ عن ذلك الشَّأن ، وكانَ يَظُنُّ أن محمد بن شمس الدين مُستَقلٌ بنفسه ، فَلمَّا أخبَرَ الوَزير بذلك قال : قَد عَلمتُ أن الكُلَّ في قَبضَة المُطهَّر فَعرَّف إلى محمد بن شمس الدين بأنْ يَسعَى في الصُّلح بَينَهُ وبين المُطهَّر وجَرَت المُكاتَبة بين الوَزير والمُطَهَّر .

وفي سَنة ثمان وسبعين وتسعمائة إنعقَدَ الصُّلحُ وتَمَّ النَّجح[2] ونَزلَ من حَضْرَة المُطَهَّر السَّيِّد شمس الدين جحاف وكانَ الصُّلحُ : أن بِلادَ الظَّواهِر وصَعْدة وبِلادِها والجَوْفَين وخَوْلان وذي مَرْمَر وبلاد نِهْم وجميع بِلاد المُطهَّر إليه ، وكانَ ذلك بِحَضْرَة البَاشَا بَهْرام وَقَد كانَ وَصَل مُتولياً لليَمنِ ، وحَضْرَة الوَزير والبَاشَا حَسَن بارس وجُملة الأُمرَاء وفَرِح الوَزير بِذلك وكَأنَّما نَشط مِن عقَال .

وذُكِر في بَعضِ التَّواريخ أنَّ في مُدَّة بَقاء الوَزير سنان في حَوْشَان وَقَد كانَ يَظُنُّ أنَّ المُطهَّر مُضايَقٌ بالحِصار ، فَسمِع صَوت المَدافِع في ثِلا وكَوْكَبان والعَرُوس وجُملَة حُصونِ المُطَهَّر فَسألَ عنْ ذلك ما شَأنُه؟ فَأخبرُوه أنَّ المُطَهَّر رَجع مِن الجَّوْف وأنَّهُ جَرى عَليه خلافٌ هُنالك فَنَهضَ إليهم واستَباحهُم وقَبضَ مَشايخَهُم وَرجَع إلى ثِلا ظَافراً ، فَقال الوَزير عِند ذلك : وإذْ نَحنُ المُحَاصَرُون والمُطَهَّر المُحَاصِر لَنا فَدَعاهُ ذلك إلى مُصالحَة المُطَهَّر وعَزم إلى الأَبواب العالِية وَدَخَل مَكَّة المشرَّفة في شَوَّال ، وحَجَّ وَزارَ قَبْر سَيِّد المُرسَلين وخاتمُ النَبيين ﷺ .

---

[1] – الزباريط : الطبول وآلة الموسيقى (المزيقا) التي ترافق الجنود وَقت المعركة والمدافع التي تخرج الصوت بدون مقذوف .

[2] – الصواب النجاح .

وفيهَا حَصَلَ الخَيرُ العَظِيم والخَصْبُ المُتَتابِعُ في المِخلافِ السُلَيماني بَعد القَحط والجَدبِ الذي كانَ إبتداؤهُ في سَنة ثلاث وسبعين وانتهاؤهُ في سَنة سبعٍ وسبعين وكانَ خَريفاً عَظيماً تَتابَعت فيه الخَيراتُ ونَزَلت البرَكَات وشُهِرَ هذا الخَريف في وادي ضَمَد بخَريف الجُمعة : لأن المَطَر حَدثَ في لَيلَة الجُمعَة ثالث يَوم من الزُّبْرَة[1] في شَهرِ رَبيع فَقالَ في ذلك السَّيِّد أحمد بن علي المُعَافى ولَعلّه من جُدودِ السَّائل لهذا المُختَصر شعراً :

حَبّذا لَيْلَةٌ لَنا غَرَّاء — في رَبيعٍ جَادَت لَنا الأَنْواء
لَيْلَةُ الجُمْعَة التي هي — تسع منْه حساب سَواء
ثَالث الزُّبرة التي عَظُمت — فيها عَلينا منْ رَبّنا النَّعْماء
بَسط الخَيْر جاءَ تاريخُها — فَاحْفَظهُ إنْ كانَ فيكَ ذَكاء
فَهي تسعٌ مِن بَعد سَبعين — مِن بعد مِئِينَ تسع وَزالَ الخَفاء

وَفيها وَصَلَ البَاشَا بهرام بن البَاشَا مُصطفى شاهين الذي تَولّى اليَمَن قَبل مُصطفى نَشَّار مُتَولياً لليَمنِ من سُلْطان الإسلام سَليم بن سُلَيمان ، وَقَد صَفى قُطرُ اليَمَن بالصُّلح الواقِعِ بين الوَزير والسَّيِّد المُطَهَّر ، فَسارَ هَذا بهرام سيرةً حَسَنة وَرَفع المَظالِم ، وخَفَّفَ على الرَّعيَّة ثُلثَ المَظالم ، ولَمْ يَفعل ذلك أحدٌ قَبلَه ، واستَمَرَّ الحَال في المِخلافِ السُّلَيمانِي على ذلك .

---

[1] – الزبرة : بضم الزاي وسكون الباء أحد المنازل وهو نوء من الانواء التي جعلها الله سبحانه علامة لمواسم الغيث ومعالم الزراعة وهي مِن منازل القمر الشمالية قال الزجاج: الزبرة كوكبان نَيِّران سميا لذلك لأنهما موضع زبرة الأسد وهو موضع الشَعر الذي بين كتفيه وقال محمد بن هاشم: الزبرة كوكبان زاهران مفترقان يشبهان نجمي الزراع .

وفي سَنة تسع وسبعين وتِسعمائة تُوفي الفَقِيه مهدي بن الزين ، وكانَ مِن عِباد الله الصَّالحين .

وَفِيها تُوفي الفَقِيه العَارف العَلاَّمَة يَعقُوب بن علي النمازي حَفظَ جُملةً مِن الكُتبِ في فُنُونٍ عِدة ، وتَفقَّه على جَماعة من بني جعْمان ، ثُم رَحَل إلى صَنْعَاء في دَولة الإمَام شرف الدين واستَوطَنَها ، وقَرأ على جَمَاعة مِن عُلمائها منهُم قَريبُه الفَقيه العَلاَّمة صالح النمازي ، وبَعد استِكمَاله الطَّلب[1] عادَ إلى صَبْيا آمراً بالمعرُوفِ ناهِياً عن المُنكَر مَقبُولُ الشَّفاعَة نافذَ الكَلِمة .

وفي شَوَّال منها تُوفي أمير هَمْدان والمُشار إلَيه بالبَنَان محمد بن إسماعيل الدَّاعي[2] في سجْن المُطَهَّر بن الإمَام ولِلشَّيخ الأَديب المُفَلق حَسَن بن إدريس بن الأَنف يَرثي هذا الأَمير مِن قَصيدةٍ طَويلة ، منها قَوله :

مَا بَالُنَا نَتَمنَّى فُسحَةَ الأَمَد ... وما لَنا فيه غَيْر الهَمّ والنَّكَد
في كُل يوم نَرى دَمعاً يَجُول على ... خُدود نَائحة تَبكي لمُفتَقَد

ومنها :

وإنَّني كُنتُ أسلُوا في الخُطوب لما ... عَرفتُ مِنْ طَبعِ دَهرٍ غَير مُتَّئد
حتَّى سَمعتُ أنيناً مِن مفجعة ... تَبكي على المَلك المَقرونِ في صَفَد
إغتَالهُ يَومُه في كَفّ مُقتَدر ... مُسَلَّط في جَميع الخَلق مُضطهد

---

[1] - طلب العلم .

[2] - مِن الباطنية الاسماعلية .

لَو كانَ قاتِل عمرو غَير قاتله | بَكيتُه ما أقام الرُوحَ في الجَسد[1]
لكِنَّ قاتِله مَنْ لا يُعابُ بِه | وكانَ يُدعى قَديماً بَيضَة البَلد
لو كانَ كفواً لكانَ العَفو شيمَتَه | إذ كانَ يَسطُو بعَين الواحد الصَّمد
لكن كفواً (؟) ليس يرحم من | في أسره لا ولا يغضى على ضمد[2]
ماذا نَظنُّ بمَن ألوى بِوالده | حتَى أقَرَّ لَه بِالطَّوع والقود
وَحازَ إخوَتهُ قَهراً فَأوردَهُم | بِبطشه مَورد الأَحزان والنَّكَد
نَعم وأولادُه في السِّجن خَلَّدهم | لَمَّا انطوى قَلبُه القَاسي على الجَلَد
وكُل أملاكِ هذا القُطر دَمَّرهُم | وَصَال في الكُل مِنهُم صَولة الأسَد

وفي سَنة ثمانين وتِسعمائة حَصلَ خِلافٌ على المُطَهَّر بن الإمَام في الأَهْنُوم[3] من السَّيِّد علي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي ، كانَ مُستولياً لتلك البلادِ من جهَة المُطَهَّر ، فَسوَّلت لهُ نَفسهُ الإستقلالَ بالحصونِ والجِّبال ، وكانَ عندهُ شرذمةٌ من عَسكَر الأَرْوَام ، جَعلَهم المُطَهَّر رُتبة لِبعض الآطَام[4] وانتَمَى هذا السَّيِّد إلى سُلْطان الإسلام ،

---

[1] – عمرو : ورد في المطبوع عمر .

[2] – هذا البيت لم يرد في المطبوع . وفيه كلمة غير واضحة في المخطوط .

[3] – الأهنوم : من بِلاد حاشد من أعمال حَجَّة وسكانها اليوم من قبائل بكيل .

[4] – الآطام : قال ابن منظور : الأطم حصن مبني من الحجارة ، وقيل هو كل بيت مربع مسطح ، قال ابن الأعرابي الأطوم : القصور .

وذَكَر أنَّ المُعين لهُ البَاشَا بهرام ، فَلمَّا بَلَغ البَاشَا تَبرَّأ من فعله وعَرف إلى المُطَهَّر يُنزِّه[1] نَفسهُ ويحلفُ على ذلك ، وذَكَر أنَّه إذا دَعَت حاجةٌ للمُطَهر إلى شرذمةٍ من العَسكَر أرسَل لهُم بما يَقومُ بهم فَشكَرهُ المُطَهَّر وعَذرَه من العَسكَر وحَشَد على هذا السَّيِّد الجُنُود وجَعلَ سرداراً[2] على تلك الجُمُوع الأَمير علي بن الشَّويع ، وما مرَّت أَربعةُ أيامٍ من خُروجهم من ثلا إلاَّ والأهْنُوم ترجُف بتلك الجُمُوع ، فَطلبَ السَّيِّد الأَمانَ على حُكمِ المُطَهَّر ، فأمَّنهُ الأَمير علي وانقَلَب به إلى المُطَهَّر ، وتأخَّر غوث الدين بن المُطَهَّر في الأَهْنُوم حتَّى وَصَلت من والده الوِلاية .

وفي أول هذه السَّنة شَرعَت في المُطَهَّر هذه العلَّة التي كانَت سَبَب وفاته وهي "بَول الدَّم" مع حَرارةٍ أورَثتهُ العَطَش ، وشُرْب الماء البارد ، وقيل : إنَّه سَمَّه بَعضُ أَقاربه والله أعلَم ، فَماتَ المُطَهَّر في الليلة المُسفِرة عن صُبحِ الأحد الثالث من شهرِ رَجَب سَنة تسعمائة وثمانين ، وخَرجَت في جَنازته الجُنُود في السِّلاح والخيل والدُّروع ، وكانَ يَومُ مَوته يوماً عَظيمَ الخَطْب شَديد الكَرب وكانَ لا يَفترُ عن تلاوة القرآن وقيامه للصَّلاة قُرب نصف الليل إلى أنْ يَطلعَ الفَجر فَيُصلي المَفرُوضَة ويَتلوا القرآن إلى بَعد الشُّرُوق وكانَت قَد صَحَّت تَوبتُه ونَدمُه وإنابَتُه عَمَّا جَرى منه إلى والده ورضي عَنه أبوه وحَضَر وفَاته في الظَّفير ، كَما قَدَّمنا وهَكَذا شأنُ بَيت النُّبوة [3].

فَلمَّا كانَت وَفاتُه : تَفرَّقَت بِلاده بين أولاده كَما قال الشاعر :

---

[1] – يُنزه : أراد أنَّه الباشا بهرام وهو أحد قادة الجيش التركي أنَّه لم يساعد الجحافي علي بن إبراهيم عَلَى الإنفصال عن سلطة الإمَامِ المطهر .

[2] – السردار : أمير أو قائد .

[3] – ذكرنا كلاماً مهماً فيما سبق حول هذا الموضوع فليراجع ص ونعيد بعضه (فائدة) ، لا عصمة إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وما بعده يجوز عليهم الخطأ والصواب مثلهم مثل غيرهم .

وَتَفرَّقوا قَوماً فَكُل قَبِيلةٍ فِيها أَميرُ المُؤمِنينَ ومِنبَرُ[1]

فاستَقَل في ثِلا وأَكثَر المَغارِب علي بن يحيى بن المُطَهَّر وغَلبَ لُطف الله على ذي مَرْمَر والمَشارِق ، وغوث الدين على عَفار وما والاهَا مِن تلك الدِّيَار وعبد الرحمن على حَجَّة و بِلادِها ، والسَّيِّد أحمد بن الحسين المُؤيَّدي على صَعْدة وبِلادِها ، وَفِيها وَصَل الأَمير جعفر بن أحمد كاشِف لجَازان ، فأقام شَهرَين ثُم وَصَل الآغا حَسَن مُلتزماً للبِلادِ في رَبيع الأول .

وَفِيها عُزل الشَّرِيف عزار[2] بن عجل عن ولايَتِه بِعَبس[3] ، وسَابح[4] والأَودِية الشَّامية .

وَفِيها أخَذَ الأغا حَسَن مَواشِي أَهلِ صَبْيا ، وأَغارَ الشَّرِيف دُرَيب بن عيسى إلى مَدِينَة أَبِي عَرِيش ، فأغلَقَ أبوابِها الآغا وتَدبَّر فِيها ، ورَكَضَ صِنْوه أبو بكر إلى الأَبوَاب فَرُمي بِبُندقٍ ، وَزهقَت رُوحُه فَرجعَ دُرَيْباً خائباً .

وفي سَنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، جَهَّز علي بن يحيى بن المُطَهَّر وزيرَ أَبِيه السَّيِّد العَلاَّمة جمال الدين علي بن أحمد بن صَلاح لِفَتحِ بِلاد الأَهْنُوم . وَقَد كانَ علي بن يحيى ابن المُطَهَّر أطلَقَ المشايخ الذين في سِجنِ والِدِه ، فَلمَّا وَصَلوا جِهَتهُم أعلَنُوا بِالخِلاف ، فانهَزَم أصْحَاب علي بن يحيى وَرَجِعوا خائبين .

وَفِيها جَرى الخِلاف بين علي بن يحيى وصِنْوه عبد الله بن المُطَهَّر ، وقُتل فِيها ناصر

---

[1] – قوماً : وردت في المطبوع فرقاً .

[2] – وردت عرار في المطبوع .

[3] – عبس : بلدة معروفة في سهل تهامة إلى الشمال من الحديدة وهي إلى حرض أقرب .

[4] – سابح : السايح : بنو السايح منازلهم في وادي زبيد ووردت سابح مصحفة .

ابن المُطَهَّر ، وَرجعَ عبد الله بن المُطَهَّر إلى حصنه حَقل[1] .

وفي هذه السَّنة تُوفي سُلْطان الإسلام والمُسلمين "سَليم بن سُلَيمان"[2] ، وَتَولى بَعدهُ السَّلطَنة السُّلطان الأَعظَم مَلكُ مُلوكِ العَرَب والعَجَم : السُّلطان مُراد[3] بن سَليم .

وفي ذي الحجَّة مِن هَذهِ السَّنة تَحرَّكَت العَساكِر السُّلطانيَّة على البَاشَا بهرام ، وعاثُوا في الأَنَام ونَهبوا سُوقَ ملحظ[4] بالقُربِ مِن ذَمار وانحَصرَ البَاشَا هو وأصْحَابه في القَصر .

وفي سَنة ثلاث وثمانين وتسعمائة . كانَ وُصولُ البَاشَا مُصطفى إلى دِيارِ اليَمَن لِولايَتها مِن سُلْطان الإسلام ، وتَهيَّأ بهرام للعَزمِ مِن مَدينَة ملحظ إلى تَعز ، فَلمَّا وَصَل مُصطفى إلى البقعة دَعاهُ الأَجلُ المحتُوم إلى دارِ البَقاء .

ثُم أن بهرام باشا مَزَّق الجُنُود وشَرَّدهُم في الحُدودِ ، وقَتلَ كثيراً ممن أُلِّب عليه . وقَتل الناظر الدَفتَردَار[5] الذي حَزَّب عليه الأجناد ، ثُم بَلَغه خُروج مُراد باشا إلى اليَمَن ، فَعَزم مِن تَعز في ذي القعدة .

وفي سَنة أربع وثمانين وتِسعمائة دَخَل مُراد باشا صَنْعَاء . وكانَ فَتَّاكاً ، قَتَل جَماعة مِن أَعيانِ جُندِ السَّلطَنة ، وكانَ أيضاً عادِلاً في الرَّعيَّة .

---

[1] – حقل : إلى الشمال مِن صنعاء .

[2] – قال القرماني : ولد السلطان سليم الثاني عام ٩٣٠هـ جلس عَلَى كرسي الخلافة عام ٩٧٤هـ يوم وفاة والده سُلَيمان وتوفي عام عام ٩٨٢هـ وكانت مدة خلافته ثمان سنين قضاها غازياً مجاهداً في سبيل الله .

[3] – السلطان مراد الثالث : وهو السلطان الثاني عشر مِن سلاطين بني عثمان قضى حياته مجاهداً وغازياً في سبيل الله ولد في عام ٩٥٣هـ إعتلى عرش السَّلطَنة يوم وفاة والده سليم عام ٩٨٢هـ وعمره ٢٩سنة وكام مزواجاً حتى أنّه تزوج كثيراً وكان له مِن الأولاد الذكور ١١٥ولداً ذكراً توفي عام ١٠٠٣هـ .

[4] – سوق ملحظ : مِن الأسواق الدارسة وكان إلى الطرف الجنوبي مِن ذَمار وقد بناهُ العثمانيون لكي لا تختلط عساكرهم بأهالي ذَمار .

[5] – الدفتردار : مصطلح تركي مدير المالية والجبايات في قطر اليَمَن التابع للإدارة العثمانية في الأَستَانة .

وفي سَنة خمس وثمانين وتِسعمائة إبتَدَأ البَاشَا مُراد عِمارَة المدرَسَة المُسمَّاة بالمُرادية[١] في القَصر بصَنْعَاء ،وهي مَعرُوفة باقِيَة إلى تَحرِير هذِه الأحرُف ، وَفيها يقول القائل :

قُبَّة البَاشَا مُراد رَكبَت بالعَادلية   جاءَ تاريخُ بِنَاها مُستَقرُّ الخانقيَّة

وفي سَنة ستٍ وثمانين وتِسعمائة في المُحرَّم مِنها تَوجَّه البَاشَا مُراد إلى تَعز ، فَلمَّا وَصَل ذَمار قَبَض على وزيره الفَقيه أحمد بن الحكيم عبد الرحيم البَربَري ، وأرسَل به إلى الدَّارِ الحَمراء[٢] .

وفي النِّصف مِن شهرِ رمضان إجتَمعَت الشِّيعة في بِلاد صَعْدة ، وأَقامُوا[٣] الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود بن الحسَن بن علي بن المُؤيَّد بن جبريل بن المُؤيَّد بن أحمد بن الأَمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن محمد المُنتصر بن قاسِم المختار بن النَّاصر بن أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين بن القاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب سلام الله عليهم أجمَعين .

وكانَت دَعوتهُ في التَّاريخ المُومَئ إلَيه في الأهْجُر[٤] مِن بِلاد الأَهْنُوم وكانَت لهُ في أَمرِه هِمَّةٌ عَالية وفِطنةٌ قَويَّة في إكتِسابِ العُلوم واقتِباسِ مَنطُوقها والمَفهُوم ، فإنَّه تَغيبُ المُختَصرات وأحاطَ بِها وبِشروحِها ، وكانَ يَدرُس المُختَصرات[٥] في أَكثَر الأَوقاتِ

---

[١] – المدرسة المرادية : دخل قصر السلاح وما زالت قائمة إلى اليوم وسميت بالمرادية نسبة للباشا مراد ـــ المذكور ـــ .

[٢] – الدار الحمراء : قصر بناه ولاة بني عثمان داخل قصر السلاح بصنعاء وكانوا يسجنون فيه الذوات وكبار القوم .

[٣] – أقاموه إماماً .

[٤] – الأهجر : بلدة مشهورة إلى الغرب مِن صنعاء وإلى الغرب مِن كوكبان . وردت في المطبوع الهجر .

[٥] – أراد أن المختصرات مِن محفوظاته .

غيباً حتَّى في أَيامِ الإشتِغَالِ بالجِّهادِ فَبثَّ دَعوتَهُ في أَقطَارِ اليَمَن ، ومَلك عِدَّة حُصُون وكانَ قَبائِل الأَهْنُوم وعذر في وَقته أَهلِ قُوَّة وكثرة وعُدَّةٍ و سِلاحٍ مِن البَنَادق وغيرها ، وكانُوا مُخالفينَ على أولاد المُطَهَّر فأَطاعُوهُ طاعَةً صادِقَة وحَثَّهم على ذلك قاضيهم القَاضِي العَلاَّمة العيزري[1] وغَيرهُ مِن العُلماء ، وَقَد فاضَت الأَقطارُ بِدعوَته وفَتحَ بكَتيبته قُرى ودياراً وأرسَل رسُله بالرَّسائل إلى كُل عالمٍ فاضِل ، وَكَتب إلى لطف الله ابن المُطَهَّر وهو في ذي مَرْمَر ، فأجابَهُ بغير المُراد ، واضطَربَت على أولادِ المُطَهَّر البِلاد واهتَزَّت لتلكَ الدَّعوة الحَالُ الوِهاد ، وَكَتب إلى محمد بن شمس الدين مِثلَما كَتبَ إلى أولاد المُطَهَّر فَلم يُجب عليه بالمَقصُود ، فَجمَع ألويتَهُ والبُنود وَكَتبَ إلى علي بن يحيى ابن المُطَهَّر فكانَ مِنهُ الإجابَة والدُّخولَ في طَاعته وسَلَّم إلَيه عِدَّة حُصون وجُملةً من المَصُون واشتَعلَت بَعد مُواجَهة علي بن يحيى البِلاد ووَجَّه لُطف الله ابن عم أَبيه السَّيِّد عبدالله بن أحمد بن شمس الدين والنَّقيب مرجان شاوش فَخرَجوا إلى مَن قَد خالَفَ في بِلاده ، وخَرجَ لإِعانَتِهم الأَمير سنان الذي كانَ في صَنْعَاء والياً للباشا مُراد[2] ، وخَالفَ على لُطف الله الشَّرق جَميعه ، وخَالفَ على غوث الدين بِلاد عَفار ، وحَصرُوه فِيه ، وخَالفَ على عبد الرحمن حَجَّة ، وفَتحَها الإِمَام جميعها ، وتَوجَّه الأَمير محمد بن الناصر الحمزي على السَّيِّد أحمد بن الحسين المُؤيَّد مِن عِند الإمَام الحسن ، فأخرَجهُ منها وفَتحَها ومَلَكَها الإِمَام وانضَمَّ إلى الإِمَام رضي الدين بن المُطَهَّر مُناصراً لهُ .

وفي سَنة سبع وثمانين وتسعمائة قَبضَ الإمَام على الأَمير عبدالله بن المُطَهَّر وسَجَنه .

وَفيها مات الأَمِير قزل باشا الذي كانَ سردار[3] السَّناجق يَوم فَتحَ المُطَهَّر صَنْعَاء .

---

(1) – العيزري : وردت في المطبوع العيززي .

(2) – من قبل الدولة العثمانية .

(3) – سردار : قائد الألوية وحامل الراية .

وفي سَنة ثمان وثمانين وتسعمائة وذلك بَعد مُواجَهة علي بن يحيى لهُ ومناصَرته ووَصَلوا إلى زوى[١] ، وواجَهَ الإمَام أكثَر بِلاد هَمْدان ، فَخَرج مِن صَنْعَاء الأَمير سِنان ، وتَوجَّه مِن جِهَة لُطف الله بن المُطَهَّر مرجان شاوش ، ومن جهَة محمد بن شمس الدين عنبر طَيَّار فَأحاطُوا بمن في زوى فَخرَج رضي الدين بن المُطَهَّر[٢] ومُطيع الله بن أحمد ليلاً وبَقِيَ مَن بقى ، فَدخَلَ عَليهِم العَسكَر السُّلطاني وقتلُوا مِنهُم قَتلاً كَثيراً ، ورَجعَ الأَمير سِنان بالرُّؤوسِ إلى صَنْعَاء .

وَفيها وَلِيَ مُراد باشا حِصن ناشا[٣] بأَرضِ الحَبشَة .

وفي جُمَادى الأولى مِن هذه السَّنة كُنِّي حَسَن باشا بِولايَة الدِّيَار اليَمنيَّة ، ولما بَلَغ مُراد باشا قُربَ حَسَن باشا تَحرَّك مِن مَعْبَر لِلمَسير وتَوجَّه مُراد باشا لِلحَجِّ في غُرَّة ذي القِعدَة الحَرَام مِن السَّنة المَذكُورة ، وكانَت طَريقُهُ بَيتَ الفَقيه ولَم يَحصُل إتِّفاقُ حَسَن باشا ، وأَرسَلَ لهُ بهديَّة وتَصدَّق في حَجِّه بِصَدقات نافِعَة وكانَ مُراد باشا عَادلاً وقُوراً عارِفاً شَكُوراً على الرَّعيَّة والأَشرَافِ وأمَّا على أُمَراء العَسكَر ، فَكانَ نَقمةً وبلاءً ، قَتَل مِنهُم كَثِيراً وكانَ يُنصِف الأَشرَافَ غَايَةَ الإنصَاف ، وَقَد كانَ حَسَّن لهُ بَعضُ مَن يُعادي أولاد المُطَهَّر فَتْحَ الحَرب عَليهِم وأخْذ البِلاد مِنهُم فَقال: والله لا غَيَّرتُ نِعمةً على مَن لهُ وَصلَة برسُولِ الله ﷺ ولو أنَّ بِلادَهُم تُثمِرُ الدُّر والياقُوتَ ، وما يكون عُذرِي يَومَ يَقومُ الحِساب وجدُّهم المفَوَّض في ذلك الجناب .

وَفيها وَصَل حَسَن باشا ــ وهي سَنة تسع وثمانين وتسعمائة ــ إلى تَعز وَدَخَل صَنْعَاء في السابع والعشرين مِن جُمَادى الأولى وعِند وصُوله صَنْعَاء قَتلَ الأَمير سِنان

---

[١] – زوى : لم أجدها فيما تحت يدي من مراجع ولكن مسرح الأحداث يفيدنا أنها بين صنعاء وحجة .

[٢] – رضي الدين : وردت في المطبوع رصين الدين .

[٣] – إمتدت فتوحات دولة بني عثمان إلى الحبشة والشرق الإفريقي وملكت البَحْرَ الأحمر وكل همهما إبعاد الإفرنج ومنعهم مِن الإقتراب مِن الأراضي المقدسة في الحجاز .

الذي كانَ والِيَاً لها من قِبَل مُراد باشا ، وواجَهَهُ الأَمير مُطهَّر بن الشَّويع ، فَكساهُ وعَظَّمهُ وأعطاهُ سَنجقاً[1] وجَعلَهُ أَمير الأُمَراء في الدِّيوَان .

وفي رَجَب منها تقَدَّم سَيفُ السَّلطَنة المَشهُور الأَمير سِنان كِيخيَا حَسَن باشا إلى رِيْمَة وُصَاب ، فَفتَحها وقَبضَ بَنادق أَهلِها وأَسيافَهُم .

وفي سَنَة تسعين وتِسعمائة قَبضَ الوَزير حَسَن على الأَمير محمد بن النَّاصر الحَمزي وأَودَعهُ الدَّارِ الحَمراء .

وَفيها تَوجَّه الأَميرِ سِنان لِقتالِ علي بن يحيى بن المُطَهَّر فآلَ الأَمرُ إلى إنهزامِ عَسكَر علي بن يحيى ودُخولِ الأَمير سِنان بِلادَهُ وحَاصرَ حِصنَ مُدَع[2] ، وكانَ بين علي بن يحيى وأَخيه لُطف الله مُعاقَدة[3] على مَن قَصدَ مِنهُم إلى بلادَه عَضَّدهُ الآخر ، فَلمَّا وَقعَ ما ذَكَرناهُ أثارَ الفِتنةَ لُطف الله في ذي مَرْمَر وأَخَذَ بِلادَها ، واشتَدَّ على لُطف الله الحِصار وعَدمُ الأَنْصار .

وفي سَنَة إحدى وتسعين وتِسعمائة ، دَخَل الأَمير عبدالله بن المُطَهَّر إلى حَضْرَة الوَزير حَسَن فأعظَمهُ وأجلَّهُ ورَفعَ مَحلَّهُ وعَقَد لهُ سَنْجَقاً .

ثُم إنَّ علي بن يحيى لَمَّا كَثُر في بِلادِه القِتالُ سَئِمَ المُصابَرةَ والنِّزال ، وعوَّلَ على محمد ابن شمس الدين في السَّعيِ في الصُّلحِ بَينَهُ وبين الوَزير حَسَن ، وسَلَّم إليهم حِصنَ مُدَع وبعضِ البِلاد التي كانَت تَحتَ يَده .

وفي شهرِ شَوَّال جَرت المُخاطَبة بين لُطف الله بن المُطَهَّر والوَزير حَسَن على تَسليم ذي مَرْمَر للسَّلطَنةِ بِواسِطة محمد بن شمس الدين وخَرجَ الوَزير مِن صَنْعَاء لأَجلِ

---

[1] – سنجق : أقطَعَهُ بعض الحصون .

[2] – حصن مدع : وردت في المطبوع مذع وما في المخطوط هو الصواب ، مُدَع : بضم ففتح ، وهو قرية وحصن شمال غربي مدينة ثلا في جبل المصانع .

[3] – عقد واتفاق .

خُروجِ لُطف الله مِن ذي مَرْمَر ، وحَطَّ في الرُّقيْمة قَريباً مِن الحِصْن ، فَخَرجَ إلَيه لُطف الله فاستَقبلهُ وعظَّمهُ وعَقَد لهُ لِواءً وعَزمَ لُطف الله عُقيْبَ عَقد السَّنجَق إلى كَوْكَبان ، وتَوجَّه الأَمير سِنان إلى السَّيِّد أحمد بن حَسَن المُؤيَّدي إلى صَعْدة ، فَلمَّا قاربَ سنان ديارهُ ، خَرجَ مِن صَعْدة بجُنوده ومنْ مَعهُ مِن الأُمَراء الحَمْزيين إلى مَحلٍ يُقالُ لهُ العَجَلة[١] فَما وَصَل إلاَّ وَقَد مَلكُوها وتَمكَّنُوا فيها فَجَرى بَينَهُ وبَينهُم قِتالٌ ، فانكَسَر فيه بَعضُ أصْحَابه وبَقي بَعْض ، وأصابَتهُ رَصاصةٌ فَصرَعتهُ ، فَقُتل هو وابن عَمِّه وجَماعَةٌ مِن أصْحَابه ، وذلك في سَلخِ ذي القِّعدَة ، واستَولَت عَساكِر السَّلطَنة على المَحطَّة وما فِيها ، وفرَّ ولَدُه صَلاح وعمَّه المهدي إلى حِصن أُم ليلى[٢] ، وتَوجَّه الأَمير سِنان إلى صَعْدة وفَتحَها ، وأرسَلَ بِرأسِ السَّيِّد أحمد بن الحسين إلى صَنْعَاء إلى حَضْرَة مَخدُومِه الوَزير حَسَن ، فَحصَلَ بذلك التَّأنيسُ والرينة[٣] ، والسَّمرات في المَدينة .

وفي سَنة سبع وثمانين وتِسعمائة نَفذَ الأَمير مُراد كَاشِفاً[٤] لجَازان مِن قِبَل البَاشَا مُراد .

وَفِيها تُوفي الأَمير عيسى بن المهدي بن أحمد بن دُرَيب بن خالد بن قُطب الدِّين بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن أبي الطَّيب بن سُلَيمان بن أحمد بن عبدالله ابن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في الجَنَّة[٥] .

---

[١] – العجلة : لعله وادي العَجَلة وهو إلى الشمال الشرقي مِن ذَمار بين قرية المواهب وقرية مسعدة .

[٢] – حصن أم ليلى : جبل أم ليلى في أعلاه حصن مسور وله أبراج وهو مِن أعمال صَعْدة .

[٣] – وردت الرينة في المخطوط و الريبة في المطبوع والصواب الزينة .

[٤] – كاشفاً : هنا تعني قيادة المراكب البحرية (وكشف البحر) .

[٥] – مِن أمراء المخلاف السليماني .

وكانَ هذا الأَمير عيسى يُضرَبُ به الأَمثالُ في الشِّدة وقوَّة المِراسِ ومُقارَعة الأَبطال في مَواقِف النِّزَال ، نَهبَ مَدينَة أبي عَرِيش مِرَاراً وَفِيها أَجنادُ الأَترَاك وأسُود العِراك ، وثَبُتَت هَيبتُه في قُلوبِهم ، وكانُوا يَفزعُونَ عِند ذِكره ولا يَقصِدون لقتاله .

وَفِيها تُوفي الأَمير الزَّاهد الرَّاغب الأَوَّاه أحمد بن عز الدين بن الحسن بن عز الدين ابن الحسن ، وَقَد تقَدَّم رفع نَسبه .

وَفِيها تُوفي شَيخُ القِراءاتِ السَّبع بالمخلافِ السُّلَيماني أبو حفص عمر بن علي السوافي المكِّي الأَصل انتَهَى إلَيه عِلمُ القِراءاتِ ، وأَخذَ على المَشايخ باليَمَن .

وَفِيها تُوفي الفَقيه العَلاَّمة شَـــيخَ الشِّيُوخ جمال الدين محمد بن علي بن عمر الضَمَدي[1] رحمه الله ، رحَلَ لِطلَب العلمِ الشَّرِيف إلى صَعْدة وأَخَذ مِن عَالمِها ومُجتَهِدها الإِمَام العَلاَّمة محمد بن يحيى بهران الذي مَرَّ ذِكرُه ، ولازَمَ محمد بن علي الإِمَام شرف الدين ، وكانَ مِن أَعيَان حَضرتِه ، وكانَ فيه مِن مَكارِم الأَخلاقِ ما يُبهِرُ العُقول .

ومن مَحاسِنه ما وَقَع على يَديْه مِن جَلالة وادي ضَمَد بَعدَ أن كانَت الوِلاة قَد تَغلَّبَت عليه وكَثُر الجَور فِيه فَدَخل محمد بن علي بن عمر رَحِمَه الله إلى الشَّرِيف[2] أبي نُمَي محمد بن بركات رَحِمَه الله ولازَمَهُ وكانَ يُعَظِّمه كَثيراً ، فأرسَلَ إلى السُّلطان يَستَشفِع إلَيه في جَلالَة هذا الوادي[3] ، فوَصَل مِن السُّلطان مَرسُوم حَازِمٌ في جَلالة أَهلِ ضَمَد ، ورَفَع الخِطَابَات عَنهُم ، واستَمرَّت الرِّعَاية إلى أن زَالَت الدَّولَة العُثْمَانية .

---

(1) – الضمدي : نسبة إلى ضمد وهي وادٍ و قرية من أرض تهامة في المخلاف السليماني تقع بين صبيا وأبي عريش وكانت مساكن للعلماء ، قال ياقوت : ضمد موضع بناحية اليَمَن .

(2) – وردت في المطبوع "في الشريف" .

(3) – مرسوم مِن السلطان العثماني يوصي بإحترام وتكريم أهل ضمد .

وفي سَنة اثنين وتسعين وتِسعمائة وَاجَهَت بلاده صَعْدة إلى الأَمير سِنان ، وتقَدَّم لحصار حِصن أُم ليلى ومُضايَقتها نَهَاراً وليلاً ، وفي غُرَّة شهرِ رمضان تَسلَّمِ الأَمير سِنان قَلعَة أُم ليلى ، وخَرجَ السَّيِّد صَلاح بن أحمد بن الحسين وعَمَّه المهدي إلى سِنان .

وفي السَّادس مِن رمضان تُوفي الأَمير محمد بن شمس الدين بن الإمَام شرف الدين ، واستَقَلَّ بالأَمرِ بَعدَه ولَدَه الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين .

وَفيها نَقَضَ الإصَلاح البَاشَا حَسَن بَينَهُ وبَينَ علي بن يحيى بن المُطَهَّر مِن غَيرِ سَبَب ، وأمَرَ الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين بَشَنِّ الغَارات على بِلادِه وكانَ علي بن يحيى في الوَصل[1] فأَمَر البَاشَا حَسَن ناصِر السُّلطان مُصطفى دفتردار بالحطَاط على ثلا ووجَّه إلى جَبل مَسْوَر طائفة مِن العَسكَر ثُم إن الوَزير كاتب محمد بن الهادي بن المُطَهَّر ، وهو عامل عمه علي بن يحيى على مَسْوَر وحسّن لهُ أخذ مَسْوَر ، والإستقلالُ به والفَتك بعلي بن يحيى ، ووَعَدهُ على ذلك ومَنَّاه ، فَانخَدَعَ محمد بن الهادي وأطْلَعَ جُندَ السَّلطَنة إلى جَبل مَسْوَر فَما شَعَر علي بن يحيى إلاَّ والأَعلامُ السُّلطانيَّة خَافقَة في جَبل مَسْوَر ، وأَهلُهُ وأولادُه كانَوا في ذلك المَحَل ، فَولى مِن حِينِه إلى الظَّفير ، وعُدمَ العَون والنَّصِير ، وتَبِعَه أولادُه وأَهلُه وسَلِمُوا مِن تلك المَعَرَّة ، وكانَ أَخذَ مَسْوَر في ذي الحجَّة الحَرَام .

وَفيها تَوجَّه الكَيخيا سِنان إلى بِلادِ الأَهْنُوم لِحَرب الإمَام الحسن بن علي .

وفي هذا الشَّهرِ تَسلَّمَ البَاشَا حِصن حَضُور الشَّيخ ، وَفيها استَولى الأَمير سِنان على أكثَر بِلاد الإمَام الحسن بن علي .

---

[1] – الوصل : وردت في المطبوع "مسور" ، لعله أراد وسل بفتح الواو وكسر السين وهي بلدة مِن منطقة مناخة في بلاد حراز.

وفي هذا الشَّهرِ وَجَّه حَسَن باشا عِدَّة مِن أركانَ الدَّولَة لِحَرب غوث الدين بن المُطَهَّر إلى عَفار ، وكانَ في جُملَتِهم محمد بن الهادي الذي عَامَلَ على أخْذ مَسْوَر للسَّلطَنَة ، ووَاجَهَتهُ بلاد عَفار إلى السَّلطَنَة .

وفي جُمَادى الأولى واجه علي بن يحيى بن المُطَهَّر إلى الوَزير حَسَن ووَصَلَ حَضْرَة الكِيخيا سِنان من الظَّفير إلى تحت حِصن عَفار ، فَقابَلَ الكِيخيا بالتَّكريم .

وفي شَوَّال قَدمَ علي بن يحيى صُحبَةَ الأمير سنان إلى الوَزير حَسَن فَأجلَّه وعَظَّمَه ، وفي أثناء حِصَار حِصن عَفار سَوَّلَت لمحمد بن الهادي نَفسُه أخذَ حِصن جَبلَ مَسْوَر لِنَفسِه ، حَيثُ لم يَجعَل لهُ الوَزير الوِلايَة فِيه التي شَرَطَها عِندَ طُلوعِ العَسكَر السُّلطَاني على عَمِّه علي بن يحيى ، فَكاتَبَ أهلِ مَسْوَر وحَثَّهُم على القِيامِ مَعهُ ، وكانَ الوَزير حَسَن [قَد][1] وَهَبَ جَبل مَسْوَر للأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين ، فَلمَّا عَزَم محمد ابن الهادي على ذلك إنخَلَس من المَحطَّة التي على عَفار ، وكانَ في صُحبَته خَدَمٌ أرذَال لا يَثِقُ بِهِم ذو كمال[2] ، فَتأخَّر مِن خَدَمه إثنان مُزَيِّنان[3] سَرَقا لَوحَ سَنجَقه ، ودَخَلا على الأمير سِنان وأعلَمَاهُ بما عَزَم عليه محمد بن الهادي فَبعَث عُقَيبَه عَسكَرا عَلَيهم النَّقيب عَنبر طَيار ، فَلمَّا وَصَل محمد بن الهادي إلى تَحت حِصن مَسْوَر ظَنَّ أن مَن ساعَدَه مِن القَبائِل قَد حَضَر ، فَلَم يَصِل مِنهُم أَحدُ ، فَدَخَل الحِصْن وهو حَاملٌ بُندقَه ، فَأغلَقَ البَوَّابَ عليه الحِصْن ، ولم يَدخُل مَعهُ أصْحَابه فَتمَزَّقُوا في الشُّعُوب ، فَثبتَ علي ابن محمد بن الهادي العقال وصار أسيراً ، وأقبَلَ العَسكَر مِن كُل وَجْه فَأسَرُوه وسَارُوا به إلى كَوْكَبان ومِنهُ إلى صَنْعَاء فَأودَعَهُ حَسَن باشا السِّجن بالدَّار الحمراء .

---

[1] – [قد] : لم ترد في المطبوع ولا المخطوط وضعت ليستقيم المعنى .

[2] – ورد في المطبوع لا يليق بهم ذووا الكمال .

[3] – مزيِّنان : (حلاق أو جزار) صنعة لا يمارسها إبن القبيلة عادةً وإنما هي صنعة لغير إبن القبيلة فيقال فلان مزَين ، وبعض العلماء في اليَمَن يحاربون هذا التفريق .

وَفيها تَسلَّمَ الوَزير حَسَن حِصنَ ثلا مِن إبراهيم بن المُطَهَّر وأحمد بن علي بن يحيى .

وفي شَهرِ رَمَضان أُسر الإمَام الحسن بن علي بن داوود بيَد أَجنَادِ السُّلطان في بلاد الأَهْنُوم في مِحلٍ يُقالُ لهُ الصَّاب[1] في الليلة السَّادسة عشر مِن شهرِ رَمَضان الكَريم سَنة ثلاث وتِسعين وتِسعمائة ، وكانَت مُدَّة خِلافَتِه مِن إبتِداءِ دَعوَته إلى أَسرِه سَبعَ سنين كَما سبق ذلك .

وفي سَنة أربع وتِسعين وتِسعمائة وَجَّه حَسَن باشا إلى لُطف الله بن المُطَهَّر يَستَدعيه للوُصُول إلَيه إلى مَحرُوسِ صَنْعَاء لِلمُقابَلَة والمُفاوَضَة في أُمُورٍ لا تَسعُها المُكاتَبَة ، فَوَصَل إلَيه في جُمُوعِه وحَفَدته ، وبَعدَ أيامٍ مِن وُصُوله وَصَل أَخُوه علي بن يحيى ، وكانَ لُطف الله قَد إستَصْحَب أَخاهُ حفظ الله ، والحَربُ في تلكَ الأَيَّام قَائمة على عَفار ، والمَدافِع تَدُكُّ أَسوارَه ، فَكتَبَ غوث الدين إلى أَخيه لُطف الله يَسأَلُه التَوسُّط بَينَهُ وبين حَسَن باشا على تَسليم حِصن عَفار ، ويَجعَلُ لهُ سَنجَقاً ، ويَنتَقِل بأولاده إلى بلاد الشَّرف ، وَقَد كانَ حَسَن باشا أَشَارَ إلى الأُمَراء الذين على حِصارِ عَفار أنَّه مَتى سَلَّمَ الحِصْن غوث الدين قَبَضُوا عَلَيه ، ثُم إن حَسَن باشا أظْهَر أنَّه عَازِمٌ إلى صَعْدة ، وأنَّه مُستَطرِقٌ بِلاد الشَّرف للضِّيافة عند لُطف الله بن المُطَهَّر ، وخَرجَ مِن صَنْعَاء بكافَّة الأُمَراء والسَّنَاجِق وَصُحبتُه أولاد المُطَهَّر لُطف الله وعلي بن يحيى وحفظ الله و عبدالله وإبراهيم فَلمَّا استَقرَّ في الرَّحَبة[2] في اليوم الثاني عشر مِن شهرِ رَبيع الأول طَلَبَ الكيخيا سنان أولاد المُطَهَّر وكافَّة الأُمراء إلى خَيمَته وأبرزَ عَليهِم مَرسُوماً سُلطَانيا بِالقَبضِ على أولاد المُطَهَّر علي بن يحيى ولُطف الله وحفظ الله وغَوث الدين والإرسَال

---

[1] – الصاب : لم اجدها ، ولعلها الصاية الواقعة شمالي حَجَّة .

[2] – الرحبة : لعله القاع الفسيح إلى الشمال مِن صنعاء ، قال الهَمْداني الرحبة نسبة إلى صاحبه الرحبة بن الغوث بن سعد بن عوف مِن ولد حمير .

بِهم إلى السِّدَّة العالِيَة ، وأمَرَ الوَزير بإرجاعِ أولاد المُطهَّر المَذكُورين إلى السِّجن وتَوجَّه الأَمير سِنان لقَبضِ بِلادِهم جَميعاً ، واستَولى على خَزائِنِهم .

وفي ليلة الإثنين الخامس عشر مِن شَهرِ شَوَّال وَجَّه الوَزير حَسَن بأولاد المُطَهَّر وابن أَخيهم محمد بن الهادي ، والإمام الحَسن صُحبَة الكِيخيا سِنان إلى بَنْدر المَخَا ، وعَادَ بَعدَ إركابِهِم في السَّفِينَة وعاد الكِيخيا إلى بِلاد الحُجرِيَّة فَدوَّخَ أَقطارَهَا وقَضَا أَوطَارَهَا .

وفي سَنَة ستٍ وتسعين وتِسعمائة تَوجَّه الكِيخيا سِنان بأجنَادِه على بِلاد يافِع .

وفي سَنَة سبع وتسعين وتِسعمائة وَجَّه الوَزِير حَسَن علي باشا الجزائري على بِلاد صَعْدة وجَعَل لهُ باشَوِيَّة عليها ، فَعزَمَ إلى تِلكَ الجِّهات في أَحسنِ السِّمات .

وَفيها كانَت وَفاةُ شَيخِ الطَّرِيقَة أحمد بن محمد القيراط بن عبد الساتر بن عبد الرحمن الحَرازِي الأَسَدي ، كانَ إلَيه النِّهايَة في تلاوَة القُرآن الكَرِيم وتَجويدِه بالقِراءات السَّبع ، وكانَ لا يَفتر عن تَلاوَة القُرآن سَاعياً في مَصالِح المُسلمين كَثِيرَ الخَوف منه سُبحانَه وتعالى ، وكانَ زاهِداً يَلبَس أَخلَق الثِّياب ،و كانَت تَأتيه الفُتُوح[1] من الأَقطارِ فَيُنفقُها على الفُقَراء ولا يمسك إلا قوت يومه ، وإذا لم يصل إلَيه شيء في بعض الأيام يقترض حتَّى يَأتِيه المَدَد ويَقضِي ويُنفِقُ ، وإذا جَاءَتهُ الأُمُور التي لا تَلِيق بالفُقَراء أرسَلَها إلى صَبْيا وبَاعَها وصَرَف أَثمَانَها في الفُقَراء ، وكانَ يَتفقَّدُ الأَيتَام والأَرامِل والمُحتَاجِين إلى مَنازِلِهم "جَزاهُ الله عن دِينه خَيراً" .

وفي سَنة ثمان وتسعين وتِسعمائة قَرَّرَ علي باشا على جَازان وَأعمالها الأَمير رضوان ، ثُم بَعدَ أَيامٍ طَلَبَهُ إلى صَعْدة وحَاسَبَهُ ، فاستَعفَى الأَمير رضوان عن الوِلاية فَلم يُعفِه ، فَكَرِه ذلك أَشَدَّ الكُره وشَكَا إلى الوَزِير حَسَن فَلَم يَشكُه بَل أَرجَعَ خَوصَهُ إلى البَاشَا علي ، فَجعَل البَاشَا عليه رَصداً مِن العَسكَر لِئَلا يَنفِر إلى صَنْعَاء أو إلى الشَّام .

---

[1] – الفتوح : الأعطيات و الهبات .

وَفيها حَصلَت الفِتنَةُ بين الشَّرِيف دُرَيب بن عيسى وصِنْوه عبد الوهَّاب واستَمَرَّت مُدَّة مِن الزمان .

وفي سَنة تسع وتسعين وتسعمائة تَحرَّك الكِيخيا سنان لَلوُصول مِن بِلاد يافع بَعدَ أن دَوَّخ آفاقَها واستَخرَجَ أَرزاقَهَا وذَلَّل سَطوَتَها وأَوْهَن قُوَّتَها .

وفي سَنة أَلفٍ مِن الهِجرَة النَّبويَّة ، دَخَل الأَمير سِنان صَنْعَاء في أَجنادٍ كالجَّراد ، وقَابَلهُ حَسَن باشا بِقبُولٍ حَسَن ، وكانَ يَومِ وصُوله يَوما عَظِيمِ الرينة .

وفي هذه السَّنة أو التي قَبلَها تُوفي السَّيِّد العَلاَّمة أحمد بن علي المعافى بِوادي ضَمَد ، وكانَ رَحِمَهُ الله عالِماً وَرِعاً فَصِيحاً مُفوَّهاً ، تولى القَضاءَ مِن جِهَة الصَلاحية مُدَّة طَائلة ، حتَّى لَقِيَ الله سُبحانَه ، وكانَ صليباً[1] في دين الله ، يَصدَعُ بالحقِّ ويأْمُر بالمَعرُوف ، ويَنهَى عن المُنكَر ، ولا يَخافُ في الله لَومَة لائم .

وَفيها تُوفي السَّيِّد العَلاَّمة الولي الفَصِيح المُصقَّع عز الإسلام محمد بن الحسن النعمرة وكانَ عالماً صالحاً لهُ كَراماتٌ واسعَة .

---

(1) – أراد صلباً في الدين لا يداري الظلمة و المستبدين ووردت صليباً وهي مِن صيغ المبلاغة ـــ ذو صلابة ـــ قالها إبن منظور.

وفي سَنة اثنين وألف وَصَل وزير مَلك الهِند "عزيز بركة" إلى صَنْعَاء واستَقبَلَهُ الوَزِير حَسَن بِنفسه في أُهبَة تُهيل العُقُول ، ومَنَح الوَزير بنَفائس وطُرَف ومَحاسن التُّحَف .

وفي سَنة ثلاث وألف قَد كانَ عَيَّن السُّلطان لولاية اليَمَن أحمد باشا الحَافظ بَاشَة مِصر ، وبَلَغ الخَبَر الوَزير حَسَن فَتهيَّأ لِلرَّحيل وأَرسَلَ بأم وَلده[1] الحسين إلى تَعز صُحبة الأَمير إبراهِيم بن المُطَهَّر ، ثُم اضمَحَلَّ ذلك الأَمرُ وأَضرَبَ أحمد باشا عن اليَمَن .

وفي جُمَادى الأُولى مِنهَا تُوفي سُلْطان الإسلام : مُراد بن سَليم ، وقَعَدَ في التَّخت بَعدَهُ نَجلُه الكَرِيم السُّلطان محمد بن مُراد بن سَليم[2] .

وفي سَنة أربع وألف تَوجَّه سُلْطان الإسلام على الكَفَرَة وعَبَدة الأَصنَامِ إلى بلاد أفرى ، واستَخلَفَ في القُسطَنطِينيَّة الوَزِير الأَعظَم إبراهيم باشا ، وأَمَّا اليَمَن فَسَكَنت في هَذه المُدَّة الفتَن .

وفي سَنة خَمس وألف جَرَت الحَربُ العَظِيمة بين سُلْطان الإسلامِ وعُبَّاد الصَّليب المُشرِكين في بلاد أفرى[3] ، وقَد حَشَدُوا الأَلوِيَة لِلقَاءِ السُّلطان ، وانقَضَت وَقَعاتٌ بَينهُم وبين سُلْطان الإسلام تُحيِّر العَقلَ وكانَ من كَرامات سُلْطان الإسلام أنَّهُ لَمَّا استَقَامَ في مَواقفِ الصِّدام ، تَوجَّه إلَيه حَجَرٌ مِن أَحجَارِ المَدافِع العِظَام فَلمَّا أَحسَّ به

---

(1) – ولده البكر .

(2) – السلطان محمد مراد ولد عام ٩٧٤هـ ، إعتلى عرش السَّلطَنة بعد وفاة والده مراد الثالث وعمره ٢٩سنة قاد الجيوش بنفسه عام ١٠٠٥هـ والتقى بعساكر الفرنجة في جنوب المجر فشتت شملهم وحاصر القلاع وفتحها بعد سبعة أيام من حصارها توفي عام ١٠١٢هـ .

(3) – أفرى : لم أجد لها معناً محدد ، ولعله قصد بلاد الإفرنج .

الحِصانُ الذي تَحتَهُ بَركَ على يَدَيه حتَّى مَرَّ ذلك الحَجَرُ من فَوقه ، ولولا أنْ بَركَ الحِصانُ ما سَلمَ منهُ السُّلطان ، ثُم تَعقَّبَ ذلك هَزيمَة المُشركين ، وهَبَّت رِيحُ النَّصرِ للمُسلمين ، وقُتِل منهُم قَتلَةً ما جَرى مثلَها في الأُمَّة المُحَمَّدية ، ولا عُلِم شَبَهُهَا في المِلَّة الأَحمَديَّة ، وقُطع دابرُ الكَافرين ، وعَلَتْ كَلمَة المُوحِّدين .

وَقَد عَنَّ لي أن أَذكُر نُبذَةً وفصلاً قَد وَعَدتُ به فيمَا مَضَى من هذا التَيسير أَذكُر فيه مُلُوكَ بني عُثمان سَلاطِينَ الوَقتِ وَرُقَاة التَّخت إلى حَيثُ انتَهَت مَعرفَتي وأَحاطَ به علمي ، ممَّا قَد تَظمَّنتهُ التَّواريخُ على جهَة الإختصَار ، على ما جَرَى عَليه هذا التَّوقيع ، ومنَ الله استَمدُّ الإعانَة ، وأَذكُرُ مَن وَليَ اليَمَن من البُوَشِ السُّلطانيَّة ، إلى قِيامِ الدَّولَة القَاسميَّة ، إلى إنتهَائها وعُودُ الوِلايَة في زَمانِنَا إلى سُلْطانِ الزَّمَان .

والله سُبحَانَهُ نِعْمَ المُستَعان وعَليه العَونُ في التَّمَام بحَولِه وطوله .

قال القَاسمي في تَاريخ مَكَّة المُسمَّى بـ (الإعلام) : إنَّ أَوَّل مَن وَليَ السَّلطَنة من هذا البَيتِ السُّلطان عُثمان الغَازي بن طغرل ، أَصلُهُ من التَّراكمَة الرَّحالَة النَّزالَة من طَائفة التَّتَر سُلَيمان شاه ، وهو أَول مَن وَليَ السَّلطَنة منهُم في بلادِ الرُّوم ، في سَنة تسعٍ وتسعين وستمائة وهو إبن طغرل بن سُلَيمان شاه ، وَقد عُدَّ في بَعضِ التَّواريخِ أَسماءُ آبائه إلى يافث بن نُوح ، ولكن لم نَكتُبها لكَونها باللُّغَة التُّركية ، ويتغَيَّر ضَبطُها ، وكانَ سُلَيمان شاه جَدُّ السُّلطان عُثمان سُلطاناً في المَشرِق ، في مَدينَة ماهان ، قُربَ بلخ[1] فَلمَّا ظَهَر جَنكِز خان مَلكُ التَّتَر أَخرَب أَرضَ بلخ ، وأَخرَج منها السُّلطان علاء الدِّين خَوارزم ، وتَفرَّقَت تلكَ المَمالكُ ، وخَرجَ سُلَيمان شاه من بلد ماهان بخمسين ألف بَيت من التَّراكمَة ، إلى أرض الرُّوم ومَرَّ بحلَب وعَبَر الفُرات فَغَرِق بفَرَسه بالفُرَات . فأُخرِجَ منهُ ودُفِنَ بِقُرب قَلعَة جَعْبَرْ ، وتَفرَّقَ مَن مَعهُ من التُّرك في أَطرافِ البُلدَان ، وذَرارِيهم مَوجُودَة ، وكانَ لِسُليمان شاه أَربَعةُ أولاد عادَ منهُم إثنان

---

(١) – بلخ : هي مدينة بخراسان ، وكانت بلخ قديماً تسمى بوابة آسيا الوسطى ، بناؤها من الطين واللبن ولها سبعة أبواب .

إلى بِلاد العَجَم وهما سَنْقر ودمندار ، وتَوجَّه إلى بلاد الرُّوم إثنان ، وهما طغرل وكون دودعدي ، فقَدِما على السُّلطان علاء الدين السَلجُوقي ، وكانَ سُلْطان بلاد قرمَان ، وتَحتهُ مماليكٌ قَويَّة ، فأكرَمَهُما وأذن لَهُما بالإقامَة في أرضه ، واستَأذَنا منهُ في الجِّهَاد للكُفَّار ، فاجتَمعَ لَهُما مِن التَّراكمة طائفةٌ مِن الغُزَاة ، وصَارُوا بهم إلى الجِّهَاد ، وكانَ مَقامَهُم في مَحلٍ ما بين نقرة[1] حصار وبلجك ، في مَوضع يُقال لهُ "سكرنجك"[2] فَسَكَنُوا بِها مع مُواصَلَة الغَزو والجِّهاد إلى أن تُوفي طغرل في سَنة تسعٍ وثمانين وستمائة وخَلَّفَ أولاداً أَشدُّهُم بأساً السُّلطان عُثمان ، وكانَ مَولدُه في سَنة ست وخمسين وستمائة دَأَبَ في خِدمَة والده في الجِّهاد وتَفرَّسَ في الغَزو ، وَقَد نَشَأَ واستَمَرَّ بَعدَ والده في قِتَالِ الكُفَّار ، فَنظَر السُّلطان علاء الدين جِدَّه واجتِهَادَه في الجِّهَاد ، ونَجابَتهُ وشَجاعَتهُ في فَتحِ أَطرَاف البلاد ، فَأكرَمهُ وأَمدَّهُ بأنوَاعِ الإعانَة وَأرسَلَ إليه رَايَةَ السَّلطَنة والطَّبلِ والزمر وسَمَّاهُ بإسمِ السَّلطَنة تَقويَة ليده وشدَّاً لعضُده فلمَّا وَصَل إليه الطَّبل والزمر عَمَلوا نَوبةً[3] بين يَدَيه ، فَعندَ أَوَّل سَماعه لهذه النَّوبة قامَ قَائماً على قَدمَيه تَعظيما لذلك ، فَصارَ قَانُوناً لآل عُثمان بَاقِياً مُستَمِرَّاً إلى أن ذَكَرَ ذلك المُؤرِّخ المَذكُور أنَّهم يَقُومُون عِندَ ضَربِ النَّوبَة .

وكانَ جُلوسِ السُّلطان عُثمان على تَختِ المَملَكة في سَنة تسع وتسعين وستمائة وافتَتَحَ فِيها نقرة حصار مِن أيدي الكُفَّار ، وأمَرَ فِيها بصلاة الجُّمعة وخَطِيبه رَجلٌ مِن أَهلِ العِلم يُقال لهُ طُورس ، ثُم فَتحَ قِلاعاً كَثِيرة وتُوفي في سَنة ست وعشرين وسبعمائة ، وجَلسَ في تَختِ السَّلطَنة بَعدَهُ إبنَهُ أُورخَان الغَازِي في السَّنة المَذكُورة ومُدَّة سَلطَنته خمس وثلاثون سَنة ، وافتَتَح أَقالِيمَ كَثِيرة واتَّسعَت مَملَكتُه ، ونَفَذت

---

[1] – نقرة : أحسبها مدينة أنقرة ، عاصمة دولة تركيا الأن .

[2] – سكرنجك وبلجك : بلدات في أواسط أرض تركيا .

[3] – نوبة : كما يسميها المتصوفة (حضرة) تقام فيها أناشيد خاصة بالصوفية .

كَلمتُه واجتَمَعت مُلوك النَّصارى وجَميع الكُفَّار على قِتَاله وكانَ لهُ ولدٌ نجيب يُسمَّى سُلَيمان ، إستَأذَنَ والدَهُ في الغَزو إلى بَعضِ بلاد الكُفَّار ، فَصادَفَ الكُفَّار على غَفلة وهُم يُرِيدُون العُبورَ إلى بِلاد المُسلمين ، فَوقَع قِتالٌ عَظيم إنهَزَم الكُفَّار إلى القِلاع وتَبعهُم المُسلمون يَقتُلونَ ويَأسرُون وافتَتَح المُسلمُون عِدَّة قِلاعٍ وحُصُون ، ورَجع سُلَيمان بك إلى والده مُظَفَّراً مَنصُوراً .

ثُمَّ ماتَ السُّلطان أُورخان في سَنة إحدى وستين وسبعمائة ووَليَ بعده السُّلطان مُراد الغازي[1] في السَّنة المَذكُورة، وافتَتحَ كثيراً مِن بِلاد الكُفَّار ، وعَظُمَت رُقعَةُ مَملَكته ، وهو أَوَّل مَن اتَّخذَ المَماليكَ وسَمَّاهُم بكنجري يَعني العَسكَر الجَديد وأَلبسهُم اللِّباد الأَبيَض المَثني إلى خَلف وسَمَّاه "برْكا" بِضمِّ الباء المُوحَّدة وسُكون الرَّاء وآخرُه كاف واجتَمعَت النَّصارى على سُلطَانهم "أستوت"[2] فَقاتَلهُم السُّلطان مُراد قِتالاً عَظِيماً فَقُتل سُلْطان الكَفَرة وانهَزَم جُندُه ، ثُم أَظهَرُوا لهُ الطَّاعة ، وأرسَلُوا واحداً مِن مُلوكِهم إسمُه "بكواش" فَلمَّا وَصَل إلَيه دَنَا منهُ لِيقبِّل يَده فَضرَبه بِخنجَرٍ في يَدِه فَقُتل السُّلطان مُراد شَهيداً في سَنة اثنين وتسعين وسبعمائة فَصارَ القانون السُّلطاني مِن ذلك اليوم "أَلاَّ يَدخُل على السُّلطان أَحدٌ بِسلاحِه" .

ثُم وَليَ السَّلطَنة بَعدَهُ ولَدُه بلدرم بايزيد خان ومُدَّة سَلطَنته ستة عشر عاماً ، ولما استَولى على كَثِير مِن بلاد النَّصارى وقِلاعِهم وصَارَت النَّصارى تَنتَمي إلى بَعضِ مُلُوك الطَّوائف من بِلاد الرُّوم ، قَبضَ السُّلطان بلدرم على مُلوك الطَّوائف وحَبسَهُم وفَرَّ البَاقُون خَشيَةَ الحَبسِ وَصارُوا إلى تَيمُورلنك وشَكَوا مِن السُّلطان بايزيد ، وحَسَّنُوا لهُ أن يَصِل إلى بِلاد الرُّوم ، فَوصَل إلى البِلاد الرُّومية والجِّهات الحَلَبية ، وقَتَلَ فِيها

---

[1] - السلطان الغازي : مصطلح إسلامي تعني السلطان المجاهد لأنه كان يقود المعارك بنفسه أين لأمتنا اليوم مِن ملك غازي أو أمير غازي أو رئيس غازي العدو يصول ويجول في ديارنا ونحن نقدم له التسهيلات .

[2] - أستُـوت : إسم سُلطان النصارى في ذلك الوقت .

وسَفَكَ الدِّماء وعَاثَ فِيها ، واستَولى على تلك البلاد ونَهبَ المُسلمين ـــ وشَرحُ ما فَعلَه يَطُول ـــ وَقَد ذَكَرهُ الذَّهَبي في تَارِيخ الإسلام وغَيره .

واستَمرَّ تَيمُور على ذلك إلى أن وَصَل إلى أَذَربيجَان فَخَرج السُّلطان بَايَزيد لِقتَاله وجَميعَ عَسكَر الرُّوم ولَمَّا التَقى الجَمعَان هَربَ مِن عَسكَر الرُّوم جَماعةٌ مِمن كانَ يَنتَمي إلى مُلوكِ الطَّوائف الهَاربين إلى تَيمُور ، وانهَزَم البَاقُون مِن عَسكَر الرُّوم ، وبَقِيَ السُّلطان بايزيد يُقَاتِل هو وأولاده ، وقُتِلَ ولدُه مُصطفى وأُسِرَ السُّلطان بايزيد ، قَبضَ عَليهِ عَسكَر تَيمُور وحَبسُوه فَماتَ غَيظاً في سَنة ثمان مائة وخمس سنين .

وتَسَلطَن أولاده وهُم : عيسى وموسى وسليمان ومحمد وقاسم وصَارَ بَينهُم النِّزَاعُ والقِتالُ اثني عَشرَة سَنة إلى أن استَقَلَّ بالسَّلطَنة السُّلطان محمد بن السُّلطان بلدرم بايزيد خان في سَنة ستة عشر وثمانمائة ، ومُدَّة استِقلاله بالسَّلطَنة تسع سنين ، وافتَتَحَ أَقاليم كَثيرة ، وتُوفي السُّلطان محمد في سَنة خمس وعشرين وثمانمائة وولي بَعدهُ السَّلطَنة السُّلطان مُراد الثاني بن محمد بن بلدرم بايزيد خان وكانَ مِقداماً شُجاعاً ، وفَتحَ فُتُوحاتٍ كَثيرة واستَمرَّ في الجِّهاد والسَّلطَنة إلى أن انتَهى ولدُه السُّلطان فَرأى نَجابَتهُ وعَرفَ إقبَالَهُ وشَهامَتهُ فَأجلَسهُ على سَريرِ السَّلطَنة ، فَتولاها السُّلطان بن السُّلطان محمد بن مُراد بن محمد بن بلدرم بايزيد خان في سَنة ست وخمسين وثمانمائة وهو الذي فَتحَ القُسطَنطِينيَّة الكُبرى ، وسَاقَ إليها السُّفن بَحراً والجُّنُود بَراً وهَجمَ عليها وحَاصَر مَن فِيها خمسين يَوماً فَفتَحها في اليوم الحادي والخمسين يَومَ الأربعاء لِعشرين يَوماً من جُمَادى الآخرة سَنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وصَلَّى في كَنيسَتها الكُبرى الجُّمعَة وهي "آيا صوفيا" وهي قُبَّة تُسامي قِبابَ السَّحَاب وتُحاكي في الإستِحكَامِ إتقَانَ الأَهرَام وخَلَع عليها حُلَلَ مَساجد الإسلامِ وأَسَّسَ في إسطَنبُول للعِلم مَدارِس وقَرَّرَ للعُلَماء ما يَقُوم بِهِم وجَلَب العُلماءِ الكِبار مِن أَقَاصِي الدِّيَار وأنعَمَ عليهم حتَّى صَارَت قَاعدة

بِلاد الإِسلام والمَقصُودَة لِلطَّلَبة ولِكَافَّة الأَعلام وكانَت وَفاتُه في سَنَة ست وثمانين وثمانمائة .

ثُم وَلِيَ بعده السُّلطان بايزيد بن السُّلطان محمد خان الغَازي ، وافتَتَحَ القلاع العَظِيمة مِنهَا قَلعَة ملوان وقَلعَة كوكلمك وقَلعَة أوكرمان[١] وخَرجَ عَليه أَخُوه السُّلطان حم فالتَقَيا للقتَال فانهَزَم السُّلطان حم وفَرَّ إلى الدِّيَار المصرِيَّة وحَجَّ إلى بَيت الله الحَرام في دَولَة السُّلطان قَايتْبَاي فَأكرَمهُ السُّلطان قَايتْبَاي إكراماً عَظيماً وعاد فَذَهبَ إلى "وسف" فَجمَعَ طائِفة من الغُوَاة ، ونازَعَ أَخَاه فَخَرج إلَيه السُّلطان بايزيد فَكَسَرهُ ، وانهَزمَ عَنه من لف فَهرَب السُّلطان حم إلى بِلاد النَّصارى فأرسل إلَيه السُّلطان بايزيد بِرَجلٍ مِن خَواصِه في صُورَة حَلاَّق ، فَحَلقهُ بِمُوسٍ مَسمُومٍ ، فَهلكَ مِن السُّم .

وظَهرَ في أيام بايزيد في بِلاد العَجَم شاه إسماعيل بن الشَّيخ حندك بن الشَّيخ حيند الصوفي[٢] وذلك في سَنة خمس وتسعمائة ، وكانَ لهُ ظُهورٌ عَجيب ، واستَولى على مُلُوك العَجَم وسَفكَ الدِّماء وأَخرَبَ مَمالكَ العَجَم وغَيَّر إعتِقَادَهُم[٣] وتلكَ الفتنَة استَمرَّت إلى الآن كَما ذَكَر صَاحِب "تاريخ مَكَّة" وكانَ السُّلطان بايزيد مُحبّاً للخَير ولفعلِ الخَيرَات ، ولِلعُلَمَاءِ والمَشايخ والأَولياء مِن أَهلِ الكَرَامَات ، بحَيثُ دَخَل الخُلوَة[٤] وجَلسَ الأربعين ، وارتَاضَ مِثلَ الصُّـــلحَاء وَدَخَل مَعهُ الخُلوَة والد أبي

---

(١) – هذه الحصون والقلاع في تركيا وجبال كردستان وبلاد القرم .

(٢) – إسماعيل بن الشيخ حندك بن الشيخ حيند الصوفي : وردت خطأً في المخطوط ، والصواب هو إسماعيل بن الشيخ حيدر الصفوي . تأسست الدولة الصفوية سنة ٩٠٧هـ الموافق ١٥٠٢م ، عَلى يد الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي . الذي أقام كيانها وأرسى قواعدها وبنيانها وفرض فيها المذهب الشيعي بالقوة ، وينسب الصفويون إلى الجد الخامس للشاه إسماعيل . وهو صفي الدين الأردبيلي وهو أحد أقطاب التصوف المولود سنة ٦٥٠ هـ .

(٣) – من عقيدة أهل السنة إلى عقيدة التشيع .

(٤) – مصطلحات صوفية ، الخلوة ، خالياً مِن كل شيئ وهذه من إعتقادات أهل التصوف غفر الله لنا ولهم .

السعود[1] أفندي وبنى الجَّوامع والمَدارس ، ومما نَظَّمهُ الشِّهاب العليف في مَدحه قَصيدَةً طَويلة اختَصَرنَاها ومَطلَعُها هو هذا :

خُذُوا مِن ثَنائي مُوجبَ الحَمدِ والشُّكرِ ومِن دُرِّ لَفظي طيب النَّظمِ والنَّــثرِ
فَـيا راكِباً يَسري على مَتنِ ضَامِـرٍ إلى الرُّوم يهدي نَحوَها طَيِّبَ النَّشرِ
لَـكَ الخَيرُ إن وَافَيتَ مِصراً فَقَربها رُوَيـداً لإسـطَنبُول سَـامِيَة الذِّكرِ
لَـدَيَّ مُـلكٌ لا يَبلُغُ الكُنهَ وَصفُـه شَريفُ المَساعِي نَافذُ النَّهي والأَمرِ
إلى بــايَـزِيــدَ الخَيـرِ والمُلكِ الـذي هُمَا بَيضَةُ الإسلام بالبيضِ والسُّمرِ

وكانَ لِلسُّلطان بايزيد عِدَّة أولادٍ فَمِنهُم السُّلطان جها شاه ، والسُّلطان أحمد ، والسُّلطان قورقَد ، والسُّلطان سَليم ، والسُّلطان محمود ، والسُّلطان عبدالله ، و السُّلطان علم شاه وكانَ أَنجَبُهُم السُّلطان سَليم شاه ، ولما بَرَعُوا أخرَجهُم[2] والدَهُم السَّناجق في بلاد الرُّوم ، وأنعَم عَليهم بالوِلايَات وقَلَّدَهُم الأُمُور الجِّسام ، فَجعَلَ لأَكبَرِ أولاده أَحمد مَملَكَة أماشيه وأَموَالَها وما والاها ، ووَلَّى السُّلطان قورقد مملكة سنساه وَأعمالِها ، وجَعَلَ لِلسُّلطان سَليم مَملَكَة طوابرون ، وأَعطَى السُّلطان محمود مغنيسا[3] ، وعَيَّنَ لِلسُّلطان محمد مَملَكَة اللفار وما يَليها مِن بِلاد النَّصارى ،فَماتَ

---

[1] – والد أبو السعود : صاحب التفسير المشهور الإمَام محمد بن محمد العمادي من العلماء الأتراك المستعربين قال الزركلي يؤخذ عليه تقربه من أرباب الرئاسة والملك ومداهنتهم توفي عام ٩٨٢هــ والمذكور في السياق هو والد المفسر أبو السعود وأخذنا الحديث عَلَى ولده .

[2] – أخرج لهم .

[3] – مغنيسا : هذه المدن والبلدان المذكورة هي من بِلاد الروم .

مِنهُم جها شاه ، ومَحمُود وأحمد في حَياةِ أَبيهِم وكَفاهُم الله القَتْل والقِتَال ، وصَارَ حالُ مَن عَانَد السُّلطان سَليم إلى ما وَقَعَ مِن القَتل مُنافَسةً على المُلكِ ، ولم يَبقَ إلاَّ السُّلطان سَليم ووالدُه ، وكانَ السُّلطان بايزيد استَولى عَليهِ أَلَمُ النقرس ، فَضعُف عن الحَركَة وتَركَ السَّفر سنِينَ مُتعدِّدة ، وكانَ العَسكَر لِنَظرِهم وكَثرَة راحَتِهم يَتَطلَّبُون مَلكاً شاباً وسُلطاناً مُجاهِداً ، وكانَ السُّلطان سَليم أَقوى إخوَته وأَجلَدَهُم ، فَمالَ إلَيه العَسكَر ومَالَ إليهِم فَخرَج على والده مُحارِباً وَرَكِب إلَيه مُقَاتِلاً ومُغاضِباً فَقابَلَهُ أَبُوه فَهزَمهُ أولاً ثُم عَطَفَ عَليه ثانياً لَّما رأى مَيلَ العَسكَر إلَيه واختِيَارَهُم لهُ ورَأى السُّلطان بايَزِيد رُغُوبَ أَركانَ الدَّولَة الملكيَة والعَسكَرية إلى سَليم خان ، وأَشارَ عليه وُزَرَاؤه أن يَفرَغَ مِن السَّلطَنة للسُّلطان سَليم بِقَلبِ سَليم ويَختَارَ القُعودَ في "أردنة" في عزٍ وتَعظِيم ، وأَبرَمُوا عَليه في ذَلك فَما وَجَدَ بُدّاً مِن إجَابَتِهم فِيمَا سَأَلُوا ومُوَافَقتِهم فِيما طَلَبُوا ، فَطلَبَهُ إلى حَضرَتِه وقَلَّدهُ السَّلطَنة وسَلَّم إلَيه التَّختَ ، وتَوجَّه مع خَواصِ خَدمِه إلى "أردنة"[١] .

فَلمَّا وَصَلَ إليها حَصلَ لهُ مَرضٌ ماتَ منه ، وكانَ ذلك في سَنة ثمان وتسعمائة .

وولي خَوضَهُ السُّلطان الأعظَم سَليم بن بايزيد خان وهو كَاسِرُ سُلْطان العَجَم ، والآخذ كَثِيراً مِن مَمالِكِه ، وافتَتَح إقلِيمَ مصر والحجاز ، وسَائِر مَمالك العَرب مِن الشَّام والعراق ، وجَلَس على تَختِ السَّلطَنة ، وعُمرُه ست وأربعون سَنة ، وكانَت مُدَّةُ سَلطَنتِه تِسعَ سنين وثمانية أشهرٍ ، وكانَ جَبَّاراً سَفَّاكاً قَهرَ المُلوكَ وفَتحَ المَمَالك قَويُّ البَطش .

قال النَهرواني : أَخبَرني بَقيَّةُ كَتَبَة الدِّيوَان الشَّريف ، أَنَّ السُّلطان بايزيد حَذَّرهُ مُنَجِّم مِن أَهلِ عَصرِه ، أَنَّ هَلاكَه يَكُون على يد ولدٍ يُولَدُ لهُ ، بَعدَ أن وُلِد لهُ عدَّة أولاد ، وكانَ تَحذِيرُه لهُ قَبلَ أن يُولَد السُّلطان سَلِيم ، فَطلَب إمرأةً كانَت مُعتَمَدة

---

[١] – أردنة : في أواسط تركيا ، ولعلها منطقة "أضنة" في جنوب تركيا الآن .

عِندهُ بِيدِها مِن جَوارِيه المُوظَّفات ، وهي القَابلة لِمَن وضَعَ منهُن ، فَقال لها إذا وَضعَت إحدى الجَّواري صَبْيا ذَكراً فاقتُليه ، وإن وَضعَت أُنثى فاترُكيها ، فَلمَّا وُلد السُّلطان سَليم تَناوَلتهُ القَابلة لتَخنُقهُ ، فَرقَّت ولَم تَقتُله ، ولما كَبُر وعَلم به أَبوه فكَّر وقال ، ما لا بُدَّ منه فَهوَ كائن ، فَترَكهُ ولما فَرغَ السُّلطان سَليم مِن دَفنِ والده خَرجَ إلى قتال أَخيه السُّلطان أحمد ، فَفرَّ لِهَيبَة السُّلطان سَليم عَسكَرُ أحمد ، وبَقيَ في نَفرٍ قَليل فَأُخذَ أَسيراً وأُتيَ به إلى السُّلطان سَليم فَأمَر بِخَنقه ، ثُم فَرَّ السُّلطان قورقَد إلى كَهفٍ في جَبل ، وأَرادَ أن يَرحَل منهُ إلى مَحلٍ سَحيق ، فَعرفَ مَكانَه وجِيءَ به إلى السُّلطان سَليم فَخنَقهُ أيضاً ، كذلك قُتِل السُّلطان محمد بن السُّلطان بنهشاه ، وكذلك السُّلطان عُثمان بن السُّلطان علمشاه ، والسُّلطان مُصطفى ، والسُّلطان أورخان ، والسُّلطان سُلَيمان ، أولاد السُّلطان محمود ، وسبع مِن الأولاد ، كُل مِنهُم يرضع في المَهْد[1] .

ثُم شَرعَ السُّلطان سَليم في قَهرِ المُلوك ، فَبدَأَ بِقتَلِ إسماعيل شاه بن الشَّيخ حيدر الصُوفي[2] ، وهو شاه إسماعيل بن الشَّيخ حيدر بن الشَّيخ حَسَن بن الشَّيخ إبراهيم بن السُّلطان جومة ، علي بن الشَّيخ صدر الدين موسى بن الشَّيخ صفى الدين صَاحِب إسحاق الأَردبيلي ، وله سِلسِلةٌ في مَشايخه يُقال لَهُم الصُوفيُّون وكانَ الشَّيخ صفي الدين صَاحِب زاوية في أردبيل وله سِلسِلةٌ أَخذَ عن الشَّيخ زَاهِد الكَيلاني ، وتَنتَهي بِوَسائِط إلى الإِمَام الغَزالي ، إلى أن خَرجَ الشَّيخ صَفي الدين في جَماعة مِن المُريدين إلى أردبيل ، ثُم إلى ديار بَكر .

وَقَد كانَ عَظُم شأن الشَّاه إسماعيل ، واستَولى على ممالك العَجَم ، وتَسَلطَن ، والتَحقَ بِمذهَبِ الإِمامِيَّة الإثنا عَشرِيَّة وبِه قَوي مَذهَبُهم في تلك البِلاد إلى الآن ، فَلمَّا

---

[1] – هل هذه التصرفات –التجاوزات– لها ما يبررها ، لا أظن ذلك كيف يقطع الإنسان رحمهُ بيده ، الله المستعان .

[2] – الصوفي : أعتقد أن المراد هو الشاه إسماعيل الصفوي ويسمى الصوفي .

وَصَل أَخبارَه إلى السُّلطان سَليم خان ، تَهيَّأ السُّلطان سَليم خان بخَيله ورِجاله ، وسافَر إلَيه إلى أن التَقَى العَسكَران قَريباً مِن "تبريز" وتَجالَد الفَريقان جِلاداً شَديداً لم يُسمَع مثلُه ، وانهَزَم الشّاه إسماعيل وفَرَّ وقُتِلَ أكثَرُ جُنده وأُمرائه ، وسَاقَت العَسكر العُثمَانية مِن وراءِه فَكادُوا يَقبضُونَه فَفَرَّ مِن بين أَيديهم وهُم يَنظُرونَه ، وتَركَ في مُخيَّمه أَثقالاً ، فَغنمها جُندُ السُّلطان سَليم ، ووَطِئت حَوافِر خَيله أَرضَ تبريز ، ونَهى فيها وأمَرَ وقَتلَ وأَسَر ، وأَخذَ مَن أَرادَ منها مِن العُلماءِ والشُّعراء وسَاقَهُم إلى إسطَنبُول ، وأَرادَ أن يُقيم في تَبريز للإستيلاءِ على مَمالك العَجَم ، فَلَم يَتمكَّن للقَحطِ وشِدَّة الغَلاء بِحيثُ ابتَاعَت العليقة[1] بمائتي درهم وبيعَ الرَّغيفُ الخُبز بمائة دِرهَم ، وسَببُ ذلك أن إسماعيل شاه عِندَ أن انهَزمَ أَمرَ بِتحريقِ مَخازن الطَّعام جَميعَها ، والقَوافِل بَعدَ السُّلطان تَحيَّرَت ، فاضطر السُّلطان سَليم إلى العَود إلى أَرضِ الرُّوم وتَركَ تَبريز خَاوية ، ثُم فَحصَ عن سَببِ إنقطاعِ القَوافِل ، فَأُخبر أَنَّ سَببَ ذلك سُلْطان مصر قَانْصُوه الغُوري ، فإنه كانَ بَينَهُ وبين إسماعيل شاه مَودَّة ومُراسَلَة ، فَلمَّا ظَهرَ للسُّلطان سَليم ذلك وأن الغُوري هو الذي قَطَع عليه المواد والقَوافِل ، صَمَّمَ على قَتلِه أولاً وبَعدَهُ يَعودُ لِقَتلِ إسماعيل شاه .

فَتوَجَّه بِجُنوده وبَنادِقه وعَسكَره وبَواتِره إلى جِهَة حَلَب في سَنة اثنين وعشرين وتسعمائة ، وخَرجَ إلى قِتاله قَانْصَوه الغُوري بِجَميع عَساكره مِن الشَّراكِسَة وغَيرِهم ، والتَقَى الجَمعان بالقُرب مِن حَلَب بِمَرجِ دَابِق ، وكانَ الغُوري يَخافُ على نَفسه مِن بَعضِ أُمرَائه وهُما : الأَمير جبر بك والأَمير مرجان بردى بك الغزالي وكانَا يَكرَهانه وهو أيضاً يَكرَهُهما ، فَأمرَهُما أن يَتقَدَّما لِقتَال السُّلطان سَليم ، وجَعلَهُما وعَسكَرهما حِجَاباً لهُ أَمامَهُ ، فَأرسَلا إلى السُّلطان سَليم يَطلُبان الأَمان منهُ فَأجابَهُما وتَوثَّقا منه أن

[1] – العليقة : كمية محدودة لعلف الخيول تسمى العليقة وتربط في رأس الحصان .

يُكرِمَهُما فأَرسَلَ السُّلطان سَليم لَهُما بالأَمان ، وتَعهَّدَ لَهُما ، بِمَا يُطَيِّب خَواطِرَهُما ، وأن يُولِيهما مَملكَة مِصر والشَّام فَقبِلا مِنه ووَافَقاهُ على ذلك قَبلَ القِتال فَلمَّا تَلاقَى العَسكَران وأُضرِمَت نِيرَان الحُرب بالبَنادق في مَرج دَابق[1]، هَربَ جبر بك ومن مَعهُ مِن المَيمَنة ، وفَرَّ الغزالي ومن مَعهُ من خَواصه وجُلسَائه في القَلب ، وأُطلقَت البَنادق والزبربطات والمَدافع ، فَهلَكَ مَن هَلَكَ وهَربَ مَن هَربَ ، لا يَدري أين ملك ، وغَارَ الغُوري تَحتَ سَنابِك الخَيل ، وطَلَب أَهلِ حَلب الأَمان والتَّسليم فَأجابَهُم السُّلطان سَليم ، وخَرَجُوا إلى لِقاءه بالمَصاحف ، وهُم يَجهَرُون بالتَّسبيح والتَّكبير ، وأقامَ السُّلطان سَليم بحلب أياماً يَسيرة ، ثُم تَوجَّه إلى الشَّام[2] فَخَرجَ أَهلِ الشَّام إلى لِقاءه ، وطَلبُوا الأَمان فَأجَابَهُم إلى ما سَألُوه وقَبَّلُوا الأَرضَ بين يَدَيه ، وخَطَبَ لهُ الخُطَباء فخَلَع عَليهِم وأَكرَمهُم .

قال: واستَمرَّ السُّلطان سَليم بأرضِ الشَّام إلى أَن مَهَّدَ أُمُورَها ، وضَبَطَ حُصونَها ثُم تَوجَّه إلى مِصر فَلمَّا وَصَل إلى خان يوسف[3] قَتلَ فيه الوَزير الأعظَم حسام باشا ، واستَمرَّ السُّلطان متوجِّها إلى مصر ، فَوصَل إلى بلاد غَزَّة ثُم عَدَلَ عَنها مُفرداً للزِّيارة إلى بَيتِ المَقدس الشَّريف والخَليل في نَفرٍ قَليل ، وعَادَ إلى معَسكَره ، وفَرَّ بَقيَّة الشَّراكِسَة إلى مِصر ، ووَلُّوا عَليهِم الدوادار الكَبير مقدَّم القطومان "قطوفان باي" ولَقَّبُوه بالملك الأَشرَف ، واجتَمعُوا عليه وسَارُوا بِمواكِبهِم بين يَدَيه وبَرزُوا إلى الريدانية[4] خَارِج مصر ، ونَصبُوا المَدافِع الكِبار والأَحجار وهَيئُوها لِيُطلقُوها إذا أَقبَلَت العَساكِر العُثمَانية ، فَلمَّا وصَلَت السُّلطان سَليم أَخبارَهُم بذلك عَدلُوا عن تلك

---

(1) – مرج دابق : شمالي حلب – معروفة– وتاريخ المعركة في سنة ٩٢٣هـ .

(2) – المقصود هنا مدينة دمشق .

(3) – خان يوسف : كأنه أراد خان يونس المعروفة وهي مِن الدّيار الغزية مِن أرض فلسطين .

(4) – الريدانية : موقع أو بلدة قرب القاهرة ، وهي الموقعة التي انتصر فيها العثمانيون على المماليك .

الطَّريق إلى ميسرات الشَّراكِسَة ، وجاءوا مِن قِبَل جَبل المقطم ، مِن وراء عَسكَر الشَّراكِسَة ، ورمُوا بالمَدافِع والمكاهل والزبربطات التي على العجيل ، واستَمرَّت مَدافِع الشَّراكِسَة مَركُوزة لمن يأتِ مِن قِبَل الريدانية بلا نَفعٍ ولا دَفع وقَاتَل السُّلطان طومان باي ومن ثبت مَعهُ مِن الشَّراكِسَة قتالا قَويا ، وأظْهَر طومان باي شَجاعةً قَويَّة عرف فِيها وقَتَل مِن أمراء السُّلطان سَليم في ذلك اليوم سِنان باشا المَقتُول ، لأنَّ إسْمَه العلم يوسف ، وسنان لَقَبٌ لهُ ، وبَعدَ أن أتى خَبرٌ في مِصر بقَتل يوسف ، وأَسفَ السُّلطان سَليم على سِنان أَسفاً عَظيماً ، وبعد أن ثَبتَ الشَّراكِسَة سَاعَة إنكَسرُوا وتَمزَّقُوا ، وانهَزَم طومان باي إلى البر ، ونَزَل على شيخ عُربان بني حَرام ، وَدَخَل السُّلطان سَليم إلى مِصر واستَقَرَّ بساحَتِها في الجَّزيرة الوَسطَانيَّة ، وطَافَ عَسكَره البلاد ، فَمَن ظَفروا بِه مِن الشَّراكِسَة قَبضُوا عَليه ، ووَصَلُوا به إلى السُّلطان سَليم ، فَضرَب أَعنَاقَهُم ويُلقِي جُثَثَهُم في بحر النِّيل ، ويَجمَعُ رُؤوسَهُم أكواماً بعد أَكوام[1] ، إلى أن عَفنَت الجَّزيرة مِن رَوائح القَتلَى فانتَقَلَ السُّلطان سَليم إلى المقياس ، وأمَرَ أن يُجعَلَ لهُ في أعلاه كشكاً عَالياً يَسكُنُهُ مُدَّة مَقامه في مِصر ، ثُمَّ إنَّ شَيخ العَرب الذي نَفر إليه طومان باي تَقرَّب إلى السُّلطان سَليم ، وسُلِّمَ إلَيه طومان باي أَسيراً ، فَحبَسهُ السُّلطان وأَرادَ أَن يُكرِمَه ويَجعَلهُ نَائباً عَنه بِمصر إذا قَفَل إلى الرُّوم ، فَأرجَف أَهلِ مِصر أن طومان باي لم يؤسر وأَنَّه مُختَفِي ، وأَنَّه يَجمَع العَساكِر لِيستَعيد مَملَكة مِصر ، فَأمَر بِه السُّلطان سَليم أن يُصلَب فَصُلب على "باب زويلة" لِيرَاه النَّاس بِأعيُنِهم وذلك لأَحَدَ عَشرَ ليلة خَلَت مِن شهرِ رَبيع الأول مِن سَنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وأَخذَ مَعهُ كثيراً مِن أَعيانِ مِصر شَركَسياً أي أَسرَى إلى الرُّوم كَما هي قَاعِدَتُهم ، وَقَد

---

[1] – هذا إسراف في القتل وجريمة محرمة وفاعلها يستحق العقاب من الله تعالى يوم القيامة ، وإن الله تعالى قد نهى وحرم في حال القصاص ، فما هذا العمل ، إن الله كرم بني آدم وإذا كان المقتول مسلماً فكرامته أعظم .

كانَ أرَادَ السَّفر ثَانياً إلى بِلاد العَجَمِ ، لِيقطَعَ طائفة "العرلباس"[١] ، فَوجَد أنَّ خَزائنه لمْ تَفِ بذلِك فأراد أن يَجمَع الأَموالَ ويَستأْنِفَ الغَزو ، فَعاجَلهُ الحِمَام[٢] فَمات سَنة ست وعِشرين وتِسعمائة .

ثُم وَلِيَ السَّلطَنة بعد السُّلطان سَليم ولده السُّلطان سُلَيمان بن سَليم خان ، في شَوَّال سَنة ست وعشرين وتِسعمائة ، وهو إبن ست وعشرين سَنة ، واستَمَرَّ في السَّلطَنة ستاً وأربعين سَنة .

قال: وأولاده جَماعَةً مِنهُم السُّلطان سَليم الثاني ، وَلِيَ السَّلطَنة بَعدهُ ، ومِنهُم السُّلطان مُصطفى ، وهو أكبرُ أولاده .

قال النهرواني: وكانَ والِده يَتوَهَّم خُروجَه عليه ، فَأمَرَ طائفة من الشكاة[٣] بخَنقه في آخر سَنة ستين وتِسعمائة ، ومِن وُزراءِ السُّلطان سُليمان بن سَليم البَاشَا سُليمان الخَادِم ، وهو مِن الأَرنُود[٤] مَمَاليكه ، يَعني مَماليك السُّلطان سُليمان و قَد كانَ وَلِيَ وُزارَة مِصر قَريباً مِن عَشرَة أعوام ، ثُم عُزِلَ عَنهَا ثُم أُعيد إليها وجَعلَ سردار العَساكِر المُوجَّهَة إلى الهِند لِدَفعِ البُرتُغال المُغيرة في البَحْرِ على سُفُنِ تُجَّارِ المُسلمين .

وَقَد لَمَّحنا إلى خَبرِه في أَخبَارِ الإمَام شرف الدين ، وأن هَؤلاءِ الكَفرَة مِن البُرتُغَال ، عَاثُوا في البَحْرِ ومَنعُوا المَارَة مِن الهِندِ والعِرَاق وأَخذُوا كُلَّ سَفينةً غَصباً ، ووَصلُوا إلى بَنادِرِ اليَمَن وحَاوَلُوا أَخْذَ بَنْدر عَدَن ، ثُّم وَصلَت مَراكِبهُم إلى جَدَّة ، وحِينَئذ أَمرَ السُّلطان الأَعظَم سُليمان بن سَليم برجُوعِ البَاشَا سُليمان إلى مِصر ، وأَن يَعمَل سَفَائِن لِركُوبِه وعَساكِره الجَّرارَة إلى الأَرضِ فَجعَل سَبعين غَارباً ، وسَفَائِن كِبار تَحملُ

---

[١] – كلمة غير واضحة و لعله أراد طائفة الصفويين أتباع إسماعيل الصفوي .

[٢] – الحمام : الموت .

[٣] – الشكاة : مِن عسكره أو مِن مماليكه الخلص .

[٤] – الأرنود : الأرناؤوط ، هم قوم مِن بلاد كوسوفو وألبانيا شرق اوروبا ، كلهم مسلمون عَلَى المذهب الحنفي وقد دخلوا الإسلام إبان دخول العثمانيون أوروبا في عصر محمد الفاتح نهاية القرن التاسع الهجري .

الأَثقَال ورَتَّبَ العَساكِر ثُم تَوجَّه إلى الهند وطَلَب صَاحِب عَدَن بَقيَّة آل طَاهِر في طَرِيقه لَّما قَدَّمنا وجَعلَ سَنجَقاً في عَدَن ثُم توجَّه إلى الهند وعَاد إلى اليَمَن ولم يَتم لهُ نكَايَةً في الإفرَنجِ كَما ذَكرَ النهرواني ، ثُم إنَّه وَصَل بَنْدر البَقعَة[1] ، فَخرَج إلَيه النَّاخُوذة أحمد الأَمير على بَقيَّة اللوند في زَبيد فَقتَلهُ كَما قَدَّمنا ذكرَه ، وولَّى على زَبيد رَجُلاً من أُمرَائه الذين مَعهُ يُقال لهُ مُصطفى .

وَقَد ذَكرَنا ذلك فِيمَا مَضَى مِن السِّيَر المُختَصرة ، ورَجِعَ البَاشَا سُلَيمان إلى مَكَّة ثُم إلى مِصر ثُم إلى حَضْرَة السُّلطان سُلَيمان .

قال النهرواني: وكانَ ظَالماً غَشُوماً ، وإنَّما رَعى لهُ السُّلطان خدمَتهُ لوالده السُّلطان سَليم خان ، ثُم لَم يستَمِر في الوِزارَة مَعهُ إلا أياماً يَسيرَة ، ثُم عُزِل ووُلِّيَ مَكانُه الوِزارَة رُستُم باشا ، في سَنة إحدى وخمسين وتسعمائة ، واستَمرَّ في الوِزارَة أياماً ، ثُم عُزِلَ ووُلِّيَ مَكانَهُ الوِزارَة أحمد باشا ، وكانَت وِزَارتُه تَجلبُ الغَمَّ ، فَعندَ بُروزه من عَرضِ الأُمُور عَليه وانصرَافه من بين يَدَيه أَمرَ بقَتله عند الباب الدَّاخل من السَّرَايا[2] ، فَخُنق هُنالك ، وأَخرَجَ مَلفُوفاً في بِسَاط كَما ذكر النهرواني ، وأُعيد عِوَضهُ في الوِزارَة رُستُم باشا ، واستَمرَّ حتَّى ماتَ ثُم وَلِيَ بعده الوِزارَة محمد باشا وكانَ أكمَلُ عَقلاً ورَأياً فاستَمرَّ في الوِزارَة حتَّى ماتَ السُّلطان سُلَيمان في بَعضِ الغَزوَات وهو مَعهُ ، فَضبَطَ العَساكِر وحَفَظَ الجُمهُور وكَتَمَ مَوتَ السُّلطان ، وأَرسَلَ إلى ولَده السُّلطان سَليم من مَسافَة ستِّينَ يَوماً وأَقعَدهُ على التَّخت السُّلطاني العُثمَاني ولَّما وَصَل السُّلطان سَليم أَذنَ للعَساكِر بالرُّجُوعِ إلى إسطَنبُول ، وحُملَ السُّلطان سُلَيمان على الأَعنَاق إلى القُسطَنطينيَّة ، وقامَ في مَقامه السُّلطان سَليم في شهرِ رَبيع الآخرة سَنة أربع وسبعين وتسعمائة ومُدَّة سَلطَنة السُّلطان سَليم تِسعَ سنين .

---

[1] – بندر البقعة : ميناء عَلَى البَحْرَ الأحمر إلى الجنوب من المدينة .

[2] – السرايا : دار الحكومة ، دار المملكة .

ثُم وَلِيَ بَعدهُ السُّلطان مُراد في سَنة اثنين وثمانين وتِسعمائة ، وتُوفي في سَنة ثلاث وألف ، فَكانَت مُدَّة سَلطَنته اثنين وعشرين سَنة ، وهو الذي أَرسَلَ الوَزير حَسَن إلى اليَمَن ووَزيرَهُ سنان ومَلَكَا قُطرَ اليَمَن ، واستَولَيَا على أولاد المُطَهَّر بن شرف الدين وأَرحَلاهُم إلى الرُّوم ، ووَلِيَ السَّلطَنة بَعدهُ ولدُه السُّلطان محمد بن مُراد ، وأَوَّل ولايَته سَنة أربع وألف مِن الهِجرة النَّبويَّة على صَاحبها أَفضلُ الصَّلاة والسَّلام ، وتُوفي بشهرِ رَجَب سَنة اثني عشر وأَلف ، فَكانَت مُدَّة سَلطَنته تسع سنين ، وخَلَفهُ في التَّخت نَجلُه الكَريم السُّلطان أحمد بن محمد بن مُراد ، فَبَقِي في السَّلطَنة إلى سَنة سبع وعشرين وألف ، وتُوفى فِيهَا وخَلَفهُ في تَختِ السَّلطَنة أَخُوه السُّلطان الزَّاهد مُصطفى بن محمد ابن مُراد ، وبَقى فِيها إلى شهرِ رَبيع الأول مِن سَنة ثمان وعشرين وألف وتَنحَّى عَنهَا إختياراً لابن أَخيه السُّلطان إبن السُّلطان عُثمان بن أحمد بن محمد بن مُراد خان ولَعلَّه الشَّهيد ، أَرادَ الحَجَّ إلى بيت الله الحرام فَثارَ عَليه الجُند وقَتَلُوه شَهيداً وقَامَ بالمُلك أَخُوه السُّلطان مُراد بن أحمد بن محمد بن مُراد ، وَقَد كانَ الشَّاه[١] استَولى على بَغْداد وتَكرَّرَت الحُروب بَينَهُ وبين أَجنَاد السُّلطان مُراد ، فَنهضَ إلَيه بنفسه في أَجنادٍ مَلأَت إقليم العراق ، قال بَعضُ المُؤرِّخين : أَنَّها أَربَعة عَشَر لك[٢] ، وفَتَح بَغْداد وطَردَ الشَّاه عَنها ، وأَرادَ الخُروج إلى اليَمَن بعد أن استَولَى عليه الإمَام المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم وخَرجَ عَنه البَاشَا قَانْصُوه ، فَلمَّا تَوجَّه لِلمَسير إلى اليَمَن بَلَغه أنَّ أَخاهُ السُّلطان إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مُراد قَعدَ على تَختِ السَّلطَنة في إسطَنبُول فَأضرَبَ عن ذلك المَقصَد الأول وَرجعَ يُرِيد تَلافِي مَملَكتِه ، فَماتَ في الطَّرِيق وتَمَّت السَّلطَنة

(١) – شاه الدولة الصوفية في بِلاد فارس .

(٢) – أربعة عشر (لك) : بحثت عنها في المراجع التي بين يدي فلم أجدها ، ثم توجهت بعد أن أعياني السؤال والبحث إلى القاضي إسماعيل الأكوع فَقال الـ"لك" مائة ألف فيكون مجموع الجيش العثماني الذي واجه الصفويين:

١٤X١٠٠،٠٠٠= مليون وأربعمائة ألف جندي .

للسُّلطان إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مُراد فَلمَّا تَمَّت لهُ السَّلطَنة تَمَّ الصُّلح بَينَهُ وبين الشَّاه عباس مَلِكُ العَجَم ، ووَقَفَ كُلٌ مِنهُم على حَدِّ بِلاده ، ودَخلَت بَغْداد وَأعمالِها وسَائِر مُدنِ العِراق في مَملكَةِ السُّلطان إبراهيم بن أحمد ، وأَضرَب عن مَملكَةِ اليَمَن ، ووجَّه همَّتهُ إلى الجِّهاد ، وفَتحَ قِلاعَ النَّصارى في الغَربِ وفَتحَ كَثيراً مِن مَمالِك الإفرَنجِ ، ودَوَّخَ مَمالِكَ مَالطَة ، وتلكَ المَمالِك السَّاخطَة وسيأتِي مَزيد لذلك .

ثُمَّ بَعدَ وفَاته قَامَ بالسَّلطَنة السُّلطان الأعظَم محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مُراد بن سَليم بن سُلَيمان ، ومَشَى على ما سَنَّه أَبُوه مِن جِهادِ الكَفَرة أَعدَاءِ الإسلام ، وتَوجَّه بِنفسه عَليهِم وحَصلت حُروب تُذهِل العُقُول وتُحيِّر النُقُول ، واستَولى على مَالطَة وجَزيرة الأَندَلُس[1] ، وأخرج مِنهَا مُلُوك الإفرَنجِ وجَعلَهُ دار إسلام ، وعَمَّرَ المَساجِد والمَدارِس .

وإلى هُنَا إنتَهَى مَا وَجَدتُه في التَّوَارِيخ

---

[1] – قوات بني عثمان لم تصل جزيرة الأندلس وكانت قلاع الأندلس ومدنها المسلمة تتهاوى الثانية بعد الأخرى ولم يسعف أحد أهل الأندلس ،لا العثمانيون ولا غيرهم وقصيدة أبو البقاء الرندي تشهد عَلَى ذلك .

ونَذكُر البُوَش[1] الخَارجين إلى اليَمَن من تِلقَاءِ السَّلاطِين على سَبيلِ الجُملَة وَقَد تقَدَّم تَفصِيل ذلك في هَذا التَّوقِيع حتَّى انتهَينَا إلى ذِكرِ الوَزِير حَسَن باشا ووَزِيرِه سِنان ، وسَنَذكُر في تَرجَمةِ الإمَامِ المَنصُور بالله القاسم بن محمد وولده المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم بَقيَّة البُوَش إلى أن إنقَرضت دَولَة بني عُثمان مِن اليَمَن ، وَقَد عَادَت في زَمانِنا بَعدَ إنقِرَاضِ الدَّولَة القَاسميَّة ، فأول مَن وَلِيَ جِهَة زَبيد مِن جِهَة سُلَيمان باشا الخَارِج إلى الهند مُصطفى عزة ، ثُم عُزِلَ بِمُصطفى نَشَّار ، وبَقي مُدَّة خَمسةِ أعوَام ، وعُزِلَ بالبَاشَا أُوَيس بن بايزيد ثُم قُتِلَ البَاشَا أُوَيس بالشَّلالة كَما قَدَّمنا ، ووَلِيَ أَزدَمَر باشا الذي وَلِيَ صَنْعَاء وفَتَحهَا ، وحَاصَر المُطَهَّر بن شرف الدين ، وفَعلَ الأفعَال القَبيحَة التي قَدَّمنا الإشارَة إليها ، ثُم عَزَل مُصطفى نَشَّار الذي خَرجَ لِولايَة زَبيد ، ثُم خَرجَ مَدَداً لأَزدَمَر ثُم خَرجَ الثَّالثَة بِعَزلِ البَاشَا أزدَمَر ، ولَم يَصِل إلى صَنْعَاء ، بَل ماتَ في تَعز ، وخَرجَ بالولاية مُصطفى عزة الآخر ، وبَقي مُدَّة مُصالحاً للمُطَهر ثُم عُزِلَ بِمحمُود باشا فَبَقي مُدَّة مُصَالحاً للمُطَهر ، ثُم عُزِلَ برضوان باشا بن مُصطفى ، ثُم وَقعَ نَقضُ الصُّلحِ منه بَينَهُ وبين المُطَهَّر كَما قَدَّمنا ، ثُم عُزِلَ بِمُراد باشا المَقتُول بالشَّلالة في خُبان ، ثُم خَرجَ حَسَن بارس فَانحَازَ في زَبيد مع إستيلاء المُطَهَّر على البِلاد واستَمَدَّ إلى أبواب السُّلطان ، فَأَمدَّهُ بِعُثمان بن أزدَمَر ثُم خَرجَ الوَزِير الأعظَم سِنان واستَولى على البِلاد وصالح المُطَهَّر آخر الأَمر ورَجع إلى الرُّوم ، ثُم خَرجَ بِولاية اليَمَن البَاشَا بِهرام ، فَبَقيَ مُدَّةً ، وعُزِل بمصطفى قزل باشا ، فَلمَّا وَصَل بَنْدر البقعة تُوفي هُناك ، ثُم خَرجَ مُتَولياً لليمن البَاشَا مُراد وبَقي مُدَّة ، ثُم عُزِل البَاشَا مُراد بالبَاشَا حَسَن المُسَمَّى عِندَ أَهلِ اليَمَن بالوَزِير حَسَن ، وبَقي في اليَمَن ثمانية وعشرين سَنة ثُم استَخلَفَ كِيخيَا[2] سِنان ، ووَصلَت لهُ البَاشَويَّة مِن السُّلطان ، وعَزمَ الوَزِير حَسَن إلى

---

[1] – البوش : الباشوات .

[2] – الكيخيا : وكيل أعمال (منتدب مِن السَّلطَنة) .

الأَبواب العَالية ، ثُم عُزِلَ سِنان بالبَاشَا جَعفر ، ثُم عُزِل جَعفر بإبراهيم باشا ، ووَصلَ إبراهيم إلى ذَمار وتُوفي ، فَرجعَ جعفر من المَخا وبَقي على الوِلايَة الأُولى ، وتَجَدَّدت لهُ من الأبواب السُّلطانيَّة الأَوامر ، ثُم عُزِلَ بالبَاشَا محمد ، ثُم عُزِلَ البَاشَا محمد بالبَاشَا فضلي ، ثُم عُزِلَ البَاشَا فضليْ بالبَاشَا حيدر ، وهو آخرهم في صَنْعَاء ، ثُم خَرجَ البَاشَا قَانْصُوه بأجنَادٍ واسِعَة ولم يَتمكَّن من صُعُودِ الجِّبال لِقُوة دَولَة أولاد القاسم عليه السلام فيها، ثُم نَزلَ الحسن بن القاسم إلى التَّهائم ، واستَولى عَليها ، وحَضرَ البَاشَا قَانْصُوه في زَبِيد حتَّى خَرجَ إلَيه طَائعاً بعد أن ذَهبَت خَزائنه وأَموالُه الوَاسعة فَأحسَن إلَيه الحسن وأَعطاهُ ما أَمل من المَاشية : من الخَيلِ ، والإبلِ ، والخيام ، والنَّقد الواسِع ، وكانَ آخر مَن خَرجَ إلى الدِّيَار اليَمنيَّة ، ثُم كَيخيه مُصطفى جَهَّزهُ بَعدهُ بمثل ذلك .

رَجعنا إلى أَخبار اليَمَن ، وَقَد انتهى بِنا شَوطُ القَلمِ إلى سَنة خمس وألف في ولاية الوَزِير حَسَن .

وفي سَنَة ست وألف كانَ قِيام الإمَام الأَعظَم المَنصُور بالله القاسم بن محمد بن علي ابن محمد بن الرشيد بن أحمد بن الأَمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الاشل بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن المنصور بن أحمد الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين ، وكانَ إبتدَاء دَعوَته في حديد قارة[1] ، محل من شامي بِلاد الشرف[2] ، فَلمَّا بَلَغ الأَمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن مطهر بن شرف الدين دَعوَته وهو والٍ من جِهَة الوَزير سِنان لبلاد حَجَّة والشرفين ، فَأرسَلَ في إثرِه فَوجَدهُ قَد طَلعَ ذلك الجِّبل ، وذلك في أول شهرِ محرم من

[1] – حديد قارة : بلدة بجبل قارة من بلاد حجور من أعمال حَجَّة وسميت حديد قارة نسبةً لجبل قارة .

[2] – بلاد الشرف : هي سلسلة جبلية أهله تشمل المحابشة والشاهل والقفل وغيرها ، وهي إلى الغرب مِن حَجَّة بإتجاه الجبال المطلة عَلَى سهل تهامة .

سَنة ست وألف وانضَمَّت إليه قَبائل تلكَ الجِّهَة ، وبَعثَ كُتبَه ورُسُلَه إلى أقطار اليَمَن ، فَفعَلَت فعلَ السِّيوف ، واشتَعلَ اليَمَن ، وكانَ حَسَن باشا مُقيما برَوضَة حاتم ، تنثر عليه غُصونَها زَهرَ الكَمائم ، فَما شَعرَ الوَزير حَسَن إلاّ برسُول عبد الرحيم بذلك النَّبأ العَظيم ، فَعلم حَسَن باشا أنَّ الحَوادث قَد فَتحَت أجفَانَها النَّائمة ، فَقوَّضَ خيامَه من الرَّوضَة إلى صَنْعَاء وأرسَلَ إلى الكِيخيا سنان ، وأمرهُ بتَجهيز الأَمير عبد الله بن المعافى الآن ، وأنْ يَحُثَّ السَّير إلى السودة[1] ، فَوَصَلَ الأَمير عبدالله إليها وهي مَحلُّه ومَوطنه ، وَقَد اضطَرَبَت الأُمُــور وخَالَف الجُّمهُور ، ثُم تَوجَّه الأَمير عبدالله بن المُطَهَّر إلى خَمرْ[2] ، ثُم اقتَضَى نَظَر الوَزير حَسَن تَوجيه الأَمير المُطَهَّر بن الشَّويع في عَساكر جَرَّارَة وسَناجق مُختَارَة ، وانضَمَ إليهم عَسكَر كَوْكَبان وهُم اجابيس[3] الطِّعَان ، فآل الأَمرُ إلى إرتفَاعِ تلكَ المَحَاط ، ولَولا إرتفَاعُها لأَلَمَّ بها البَلاء وأَحاطَ . فَلمَّا عَلم القَبائل بِنُهوضِهِم وارتفاعِهِم مِــن خَمرْ لازَمُوهُم الحرب مِن خَمِرْ إلى راس نَقيل عجيب[4] .

واستَولَت القَبائل على جَميع الأَحمَال والجِّمَال ، واستَكلَفَت الخَزَانة والزبرطانات والجبخانة ، وخَرجَ ذلك العَسكَر الجَّرَار من تَحت السَّيف البَتَّار واستَقَرَّت تلك الجُّمُوع في عَمْران ، فَواجَهَت البلاد إلى الأَمام من نَجرَان ، إلى خَولان ، وَقَد كانَ تَوجَّه قَبلَ ذلك الأَمير إبراهيم الطَّويل ، إلى الحَيْمَة فَقصَدهُ قَبائلها فَقاتَل قتالاً صَادقاً حتَّى قُتل ، فَطلَع الأَمير الكِيخيا سنان إلى حَضُور ، ووَصلَ إلى مَحلٍ يُقال لهُ بيت

---

[1] – السودة : بلدة في بلاد حاشد إلى الشمال من صنعاء وتقع عَلَى جبل يطل عَلَى وادي أخرف .

[2] – خَمرْ : مدينة مشهورة من بلاد حاشد إلى الشمال مِن صنعاء سميت بإسم خمر بن دومان من بكيل بن جشم .... بن هَمْدان والمدينة القديمة أنقاضاً وخرائب وأطلال فيها آثار حَميرية فقد كانت معقلاً لهم قديماً .

[3] – أجَابيس : التَجَبس، التَبَختُر، والمجبوس الذي يأتي طائفاً . قاله إبن منظور .

[4] – نقيل عجيب : منطقة بالقرب مِن بلدة رَيْدَة إلى الشمال مِن صنعاء أعلى نقيل (غولة عجيب) .

مَعدن[1] ، وَقَد اجتمعت القَبائل المُوالين للإمام ، وجَرى بَينهُم وبين الأَمير سِنان القتَال العَظِيم ، وأَغارَ الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين مُمدّاً للأَمير سِنان مِن كَوْكَبان ، فحَصَلَ مع القَبائل الفَشَل وانهَزمُوا وأُخذَت منهُم رُؤوسٌ عدّة وأَسرَى ، وما انفكَّ الأَمير سِنان ، فَأولي فَتحَ الحَيْمَة ، فبَلَغهُ أنَّ حصنَ ثلا قَد دَخلَه أصْحَاب الإمَام مع السَّيِّد الزَّاهد الحسن بن شرف الدين الحَمزي الكحلاني ، فَأضرَبَ الأَمير سِنان عن حَربِ الحَيْمَة ، ونَهضَ إلى ثلا ، وجَرَت هُنالك حَربٌ بين أصْحَاب الإمَام والأَمير سِنان ، ولم يَشعُر الأَمير سِنان إلاَّ بكتَاب مِن الوَزير حَسَن يَحثُّه على الوُصول إلى صَنْعَاء ، ويُعلمَهُ أن قَد أَحاطَت بصَنْعَاء الفتنَة ، ووَصَلَ أصْحَاب الإمَام إلى جَبل نُقُم ، وكانَ يَصِل الرَّمي إلى القَصر ، وكَذلك القَاضي العَلاَّمة يوسف بن علي الحماطي ، تَوجَّه مِن الحَيْمَة إلى بلاد آنس وعُتمَة ، فَواجَهتهُ تلك البلاد وتَوجَّه إلى ذَمار ، فاستَولى عَليها وعلى مَن فِيها مِن عَسكَر السُّلطان ، وقَبضَ سلاحَهُم ووَاجَه تلك البلاد للإمامِ إلى رَأسِ نَقِيل صيد ، فَأرسَلَ الوَزير لحَرب القَاضي يوسف المَذكُور رَجُلاً مِن أصْحَابه يُقال لهُ أحمد بن يوسف الواعظ ، والقَاضي يُوسف بذَمار ، فَلمَّا بَلَغهُ قُربَ الوَاعظ ولم يَعرف مَن رَئيس العَسكَر ، وظَنَّ أن القَاصد لهُ الكيخيا سِنان ، فَخرَج مِن ذَمار إلى قَلعَة يفاع[2] ، غربي ذَمار فَقصَدهُ الوَاعظ إلى هذا المَحَل وأَحاطَ بالقَريَة ، وتَفرَّقَت أَنصَار القَاضي ، ولم يَكُن عندَهُ ما يَقُوم بأَودِ أصْحَابه ، فَتسَلَّم إلى الوَاعظ أَسيراً ، وكانَت رَميَةً مِن غَيرِ رام ، وإقْدَام مِن غير هُمَام ، ثُم بَعدَ أَسرِ القَاضي قَبضَ شيخ بني سَرْحَة على الفَقيه محمد العياني ، وكانَ مِن أصْحَاب القَاضي يوسف الحماطي وخاصته في نقيل صَيد ، وأَرسَلَ بِه إلى الوَاعظ ، وفي مُدَّة أَسرِ الحماطي توجَّه الأَمير سِنان إلى

---

[1] – بيت معدن : قرية مِن قرى جبل حَضُور إلى الغرب مِن صنعاء .

[2] – قلعة يفاع : قرية مِن بلاد ذَمار ، ذُكر أن الفقيه زيد بن عبدالله اليَفاعي شيخ الإمَامِ العمراني مؤلف كتاب البيان منسوب إليها .

هزَم[١] طرف بِلاد أرحب ، وجَرَت هُنالك حَربٍ عَظِيم ، ولم يَتمَكَّن مِن شيء ، وَقَد حَشَر عليه الإمَام الأُلوف ، وقَابَلتهُ الصُّفُوف ، وكانَ في صَعْدة الأَمِير مُصطفى والي وعِندَهُ عَسكَرٌ كَثِير ، فاجتَمعَت عَليه قَبائِل صَعْدة والأَشراف آل المَنصُور ، ودَبَّت القَبائِل حتَّى دَخَلوا البُيوت التي بِرَحبان[٢] ، فَقصَدهُم الأَمِير بِمَن عِندهُ فَهزَمَهُم ، وقَتلَ مِنهُم كَثِيراً وأَسَر البَاقِين وضَرَبَ أَعنَاقَهُم ، مِنهُم السَّيِّد الفاضل علي بن محمد الجُدَيري ، ضَرَبهُ مُصطفى بِدَبُّوسٍ في رأسه فَعوجل الأَمِير مُصطفى وهَلَك في تلك الأَيَّام ، وكانَ يَصرُخ في مَرضه كَما روي "يكفي سَيدي جُدَيرة[٣] ، يكفي جديرة" فَحمي[٤] عند ذلك [ثم حمل إلى] صَعْدة وبَقي فِيها حتَّى هَلك بَعدَ خمسة أيام مِن المَوقِعَة وخَلَفهُ عَليهَا الأَمِير محمد الذي هَرَب مِنهَا أَيَّام جعفر الوَزِير .

ثُم إن أصْحَاب الإمَام خَرجُوا مِن هزم ، ونَهضَ الأَمِير سِنان إلى عَمْران ولمَّا واجَهَت بِلاد الشَّرَف وحَجَّة إلى الإمَام ، وَفيها الأَمِير عبد الرحيم بن عبدالرحمن حَاصَرهُ أصْحَاب الإمَام فَخَرجَ إلى أَيديهِم بِأَمَان ، ووَصَلَ إلى عِند الإمَام فَأَجَلَّه الإمَام وأَكرَمهُ ، وأَخَذَ بَيعَتهُ وجَعلَهُ سردار عَساكِره ، وأَمرَهُ بالقُدومِ لِقتَال عَسكَر السَّلطَنَة ، وهو مُضمِرٌ في نَفسه المَيل إلى الأَمِير سِنان والوَزِير حَسَن ولما نَهضَ لذلك كَتَب إلى الأَمير سِنان سِرَّاً أن يَخرُج مِن عَمْران ، وأَنْ قَد أَتاهُ بَجمِيعِ أصْحَاب الإمَام وخَواصِّه ، وأَنَّه سَيَدخُل وإِيَّاهُم عَمْران ويُسَلِّمهُم إلى الأَمِير سِنان لِيَقتُلَهم ويَستَرِيح مِنهُم ، فَفطِن لها رَجُل مِن أصْحَاب الإمَام يُقَال لهُ السَّيِّد محمد صبيح الغُربَاني ، فَحَذَّر أصْحَاب الإمَام وأَعلَمهُم أن عبد الرحيم مُضمِرُ الغَدر بِهم فَحذَّرُوه ، فَلمَّا تَبَيَّن أن قَد عَرفُوا مَكِيدَته

---

[١] – هزم : قال القاضي الحجري هِزَم بكسر الهاء وفتح الزاي ، بلدة من أرحب .

[٢] – رحبان : من بِلاد سحار إلى الجنوب مِن صَعْدة ومن سكانها آل الهاشمي وهم مِن ولد الإمَامِ الناصر الحسن بن علي المتوفي ١٠٢٤ هـ .

[٣] – يكفي سيدي جديرة : يتأسف ويندم عَلَى قتل السيد الفاضل علي بن محمد الجديري .

[٤] – أصيب بالحمى ، [ثم حمل إلى ..] ما بين المعقوفتين لم ترد في المخطوط ذكرت ليستقيم المعنى .

خَرجَ في خَاصَّته إلى الأَمير سِنان ، وكانَ مَعهُ من أَعظَمِ أَعوَانه ، وخَلَع عليه الأَمير سِنان، وأَرسَلَ بالبِشَارَة إلى الوَزِير ، وفي خِلالِ ذلك والسَّيِّد العَلاَّمة عامِر بن علي عَمُّ الإِمَام القاسم قَد شَنَّ الغَارَات على بِلاد الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين واستَولى السَّيِّد عامر بن علي على جَبَل تيس ، وانتَهَى إلى مَحلٍ يُقالُ لهُ "سافون"[1] ثُم إلى مقور الحصان[2] ، ولم يَبقَ بَينَهُ وبين كَوْكَبان إلا بريدٌ[3] ، فَلمَّا استَقرَّ السَّيِّد عامر بمقور الحصان ، واطمَأَن به المَكانَ ، قَصَدهُ الأَمير أحمد بن محمد في يوم الأَحد سادس شهرِ شَوَّال إلى مَحلٍ قَريبٍ من مَحطَّته يُقال لهُ الربادي[4] ، وأمَرَ قَرابَتهُ من آل شرف الدين بالنُّزُولِ والقِتالِ للسَّيد عامر ، فَحمَل السَّيِّد عامر بأصْحَابه على الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين وعَسكَره ، فَانهَزمُوا وتَبعهُم السَّيِّد عامر يَقتُلُون ويَأسِرُون ، فَقَتلَ عِدَّة مِن عَسكَر الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين ، وقَتَل مِن أَهلِه السَّيِّد الهادي بن رضي الدين بن الإِمَام شرف الدين ، ولُطف البَارِي بن محمد بن عبد الله بن الإِمَام شرف الدين ، وأَسَرَ علي بن الحسين بن الإِمَام شرف الدين ، وعَادَ الأَمير أحمد بن محمد إلى كَوْكَبان كَاسِفَ البَالِ حَلِيف البلبال[5] ، ثُم إنَّه قَصَدَ السَّيِّد عامر مَرَّة أُخرى إلى تَحتِ هَذا المَكانَ التي جَرَت فيه الوَقعَة الأولى ، ووَصَلَ إلى مَكان يُقَال لهُ بقعان[6] قَريب مِن السَّيِّد عامر ، فَتلازَمَ الحَرب بَينَهُ وبين السَّيِّد عامر لأَنَّهُ تَقَدَّم بنفسه ، وجَماعَةً يَسِيرة مِن أصْحَابه فَأَحاطَ بِهِم السَّيِّد عامر وقَتَلهُم ، وخَرجَ الأَمير أحمد بن

---

[1] – سافون : لم أجدها .

[2] – مقور الحصان : لم أجدها أيضا .

[3] – بريد : ٤ فراسخ والفرسخ ٣ أميال والميل ١٦٠٠ متر .

[4] – الربادي : عزلة في ناحية جبلة من أعمال إب .

[5] – حليف البلبال : شدة الهم والوسواس .

[6] – بقعان : لم أجدها ولعلها يفعان ، قرية من (مديرية) الحدا من أعمال ذمار .

محمد بِنفسه هَارِبا بعد أن قَاتَل عن نَفسه وقُتِلَ مِن أصْحَابه جَماعة ، ولم يَبقَ في يَده غير حِصن الطَّويلَة ، فيه محمد بن عبد التَّواب بن الإمَام شرف الدين .

وفي شَوَّال وَجَّه الوَزير حَسَن : أحمد بن يوسف الوَاعظ ، وقَرن به الشَّيخ علي بن متَّاش السحامي ، والأَمير أحمد بن محمد الحَمزي المَعرُوف بالأَدرَن إلى أَسنَاف[1] ، وضَمَّ إلَيه رُتبَة الحُجَرِيَّة ، فاستَقبلَهُ الحاج علي بن عواض الأَسَدي إلى أسناف ، فَانهَزَمَ الوَاعظ مِن حِينه ، وتَركَ المَحطَّة بما فِيهَا مِن الزبربطات والآلات ، ووَلَّى مُدبراً إلى صَنْعَاء ، وقُتِلَ الأَمير أحمد بن محمد الحَمزي الأَدرَن ووَلَدُه ، وجَميعَ رُتبَة الحُجَرِيَّة ، لم يَنجُ مِنهُم أحد ، وهم خمسمائة ، وذلك في آخر يوم مِن شَوَّال يوم الخميس .

وفي ذي الحجة أَخَذَ الإمَام حِصن مداع ، دَخلَهُ السَّيِّد العَلاَّمة الحسن بن شرف الدين عُنوةً ، طَلعُوه مِن جَوانبه ، وقتل الآغا الدوادار[2] ، وكَافَّة مَن مَعهُ .

ولنَعُد إلى أَخبَار كَوْكَبان ، بَعدَ تَقدُّم الفَقيه العَالم علي بن يحيى المحيرسي بالقَبائِل المُواجِهَة إلى الإمَام على حِصن الطَّويلَة فوقَع حَربٌ ضَرِير[3] ، قُتل فيه علي المحيرسي .

وحَاصِلُ الأَمرِ أنَّه لم يَبقَ بِيَد الأَمير أحمد بن محمد إلا كَوْكَبان والطَّويلَة ، وبكر محصورات ، وخَالَفَت بِلاده إلى الإمَام ، وقُتِّلَت أَجنَادُه ، وكَذلك السَّلطَنة لم يَبقَ في يَدها إلا صَنْعَاء وصَعْدة محصورات ، وتَسلَّمَ الإمَام حِصن السودة ، وخَرجَ إلَيه الأَمير عبد الله بن يحيى بن المعافى ، ولم يَبقَ مِن الحُصُون غير ذي مَرْمَر لِقُربه مِن صَنْعَاء وكَوْكَبان لِمُحامَاة مَن فيه ، وعَادَ الأَمير سِنان مِن بغاش إلى صَنْعَاء وَصُحبتُه

---

[1] – أسناف : قرية مِن بلاد خولان العالية إلى الشرق مِن صنعاء والغرب مِن جحانة .

[2] – الأغا الدوادار : لعله قائد الحصن أو رئيس الحراس في الحصن .

[3] – حرب ضرير : لعلها حرب ضروس .

عبدالرحيم ثُم تَوجَّه الأَمير سِنان وَصُحبتُه عبد الرحيم إلى القُبَّتين[1] ، لِلقَاءِ العَسكَر الوَاصِلين مِن مِصر .

وفي سَنة سبع وألف في حَالِ وُقوفِ الأَمير سِنان بالقُبَّتَين قَصَد الحاج أحمد بن عواض الأَسَدي مَحطَّة الوَزِير التي خَارِج قَصرِ صَنْعَاء لَيلاً ، وخَالَط المَحطَّة وقتلَ فيهم وأَخذَ مِن الخِيامِ والزَّبارط ، ووَقَعت في المَحطَّة في صَنْعَاء رَوعَة عَظيمَة وخَرجَ عيال خزَانَة الوَزِير بالخَيلِ وكانُوا فُرسَاناً شُجعَاناً فَلمَّا أَحسَّ بهم الحاج أحمد إنحَازَ إلى جَبل نُقُم .

وَفيها اشتَدَّ الحَربُ على الأَمير أحمد بن محمد، وصَرفَ جَميعَ خَزائِنه وعَطَّل ذَخائرهُ فَكتَبَ إلى الأَمير الكيخيا سنان يَستَنجدُه ، فنَهضَ إلَيه الأَمير سنان ، وَصُحبتُه عبدالرحيم إلى أن وَصَل مَحلاً قَرِيباً مِن كَوْكَبان يُقال لهُ الود[2] ، ثُم تَوجَّه لِحَرب السَّيِّد عامر إلى الطَّويلَة فَوقَع حَربٌ عَظيم فانهَزَم السَّيِّد عامر وَدَخَل الأَمير سنان الطَّويلَة ورَفَع الحِصار عَمَّن في الحِصْن فَخرَجُوا إلَيه فَكسَاهُم وأَحسَنَ إلَيهم ، وانتقَلَ الكيخيا لِحصَارِ حِصن مدع وفيه أصْحَاب الإمَام ، وفي هَذه الأَيَّام وَصَلَت أَخبارٌ بِخُروجِ علي باشا الجَّزائري لِمُعاونَة الوَزِير حَسَن ، وكانَ مُتَولِّياً لِلحَبشَة بعد وِلايَته في صَعْدة ، ولما ضَيَّقَ الأَمير سنان على مَن في مدع طَلَبُوا الأَمانَ وشَرطُوا نُفُوذَهم عند الإمَام فَأعطَاهُم ما طَلَبُوا وسَلَّمُوا الحِصْن لِلسَّلطَنَة .

وفي سَنة ثمان وألف استَولى سِنان على بِلاد السودة وكانَ الإمَام في السودة فَتقَدَّم الأَمير سِنان إلى مَحلٍ يُقال لهُ البونين[3] ، وأَخذَهَا عُنوةً فأراد الإمَام أن يَدخُل حِصن السودة فَأنذَرَه ابن المعافى بعد إختِلالِ أَهلِ البِلاد وفَشَلِهم .

---

[1] – القبتين : قال القاضي إسماعيل الأكوع إنّها في خولان وتسمى قاع القبتين وكانت محطة للمسافرين مِن بلاد الحدا إلى صنعاء وقد بنى القبة سنان باشا أحد الولاة الأتراك في الحيمة ، وحولها آثار هامة .

[2] – الود : حصن مطل عَلَى قرية القابل أسفل وادي ظهر ويبعد عن كوكبان أكثر من ٤٠ كم .

[3] – البونين : هما البون الأعلى والبون الأسفل وهما يشكلان قاع فسيح إلى الجنوب مِن عمران .

وفي جُمَادى الآخرة من سَنة ثمانٍ وألف وَجَّه الوَزير حَسَن العَسكَر الوَاصلين من مصر إلى وادي الفُرَات[1] من نَاحية بلاد سَنْحان ومَعهُم ابن حميد ، فَلَقيهُم الحاج أحمد الأَسَدي وأَوقَعَ بِهم واقعةً غَليظَة قُتلُوا عن آخرهم وهي الوَقعَة المَشــهُورة بوَقعَة القوعة[2].

وَقَد كانَ السَّيِّد عامر بن علي بعد أن اختَلَّت عليه المغارب ، واجتَمَعَت عليه أَجنَاد الأَمير سِنان ، والأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين رَجعَ إلى عِند الإِمَام ، فَلمَّا حَصلَت هَذه الوَقعَة رَجعَ إلى الحَيْمَة ، ثُم إلى جَبل بني حبش[3] ، فَلمَّا بَلَغ الأَمير أحمد ابن محمد رُجُوع السَّيِّد عامر إلى بِلاده خَرجَ من كَوْكَبان ، وهو مَهمُوم القَلب ، وذَكَر بَعضٌ من صَحبه أنَّه كانَ يَقُول في طَريقه ما مَعي والسَّيِّد عامر ما بَرِحَ يُصاحبُني ويُبَاكِر ، كَأنِّي مُمسك بعِصَم الكَوافر ، فَلمَّا أَعجَزَت الأَمير أحمد الحيلَة في السَّيِّد عامر عامل جَماعة مِن أَهلِ جَبل تيس على مُخَادَعة السَّيِّد عامر ، وبَذَل لهُم ما طَلَبُوه مِن المال فَحسنُوا للسَّيِّد عامر أن يَفسَحَ لعَسكَر الحَيْمَة ، ويَبقي في مَحلٍ يُقال لَهُ اللكمة ، ويتَزَوَّج هُنالك ، فَأَنس إلى كَلامِهم فَلمَّا لم يَبقَ لَدَيه إلا خَواصُّه ، أرسَلُوا إلى الأَمير أحمد بن محمد بن شمس الدين فَوَصَل في كَافَّة عَسكَره في الليل ، وقَبضَ السَّيِّد عامر أَسيراً وأَطلَعهُ إلى كَوْكَبان وأَمامَهُ رُؤوسُ مَن قَتَلَ من أصْحَابه ، وطَافُوا به على جَبل كَوْكَبان مَكشُوف الرَّأس ، ثُم أَرسَلَه إلى حَضْرَة الأَمير سنان إلى مَحطَّته في خَمرْ ، ثُم كَتَب إلى حَسَن باشا فَأمَر بسَلخ جلد السَّيِّد عامر ، فَسَلَخَ وهو يَتلُو سُورَة يس ما تَأَوَّه ولا تَوجَّع ، ثُم قُبرَ أَولاً في خَمُومَة[4] خَارج خَمرْ فَلمَّا فَتَحَ البِلاد الإِمَام

---

[1] – وادي الفرات : واد كثير الخيرات والزروع من بلاد سنحان من أعمال صنعاء ، ويسمى أيضاً وادي الفروات .

[2] – القوعة : لم أجدها .

[3] – جبل بني حبش : بفتح الحاء وكسر الباء ، جبل آهل في منطقة الطويلة من أعمال المحويت وكان يعرف بجبل تيس .

[4] – خَمُومَه : الصواب حَمُومَة ، بفتح فضم ، قرية في جبل الدَّامِع من أعمال السَّيَّاني وأعمال إب ، وردت خطأ خمومة من الناسخ ، ولم ترد في المطبوع .

القَاسِم المَرَّة الأُولى نَقَلَهُ إلى صَرحِ مَسجد خَمِرْ وعَليه مَشهَدٌ مَزُور بَناهُ ولدُه السَّيِّد عبدالله بن عامِر في أيام المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم بَعدَ فَتحِ البِلاد جَميعِها ، ثُم بَعدَ قَتلِ السَّيِّد عامِر قَوِيَ جَانِبُ السَّلطَنة .

وفي سَنة تسع وألف ، تَوجَّه علي باشا الجزائري على خَولان العَالية ،وَكَتَبَ إلى الأَمير سِــــنان ، فنَهضَ من جِهَة طَرِيق جَبل اللوز[1] ، وعلي باشا مِن طَرِيق وادي قروا[2] ، فاستَولى على بِلاد خَولان ،وَدَخَل الأَمير سنان إلى وادي عاشر[3] ، ثُم منهُ إلى بدبدة[4] في بِلاد بني جبر[5] ، وأَذعَنَت خَولان بالطَّاعَة ، فَلمَّا رَجَع علي باشا وأَرادَ فَتحَ رِيْمَة ، وكانَ مُغرَماً بِها لأَنَّها أَول وِلايَته ، وبِها تَأَثَّل[6] وجَمَع الأَموَال ، فاستَأذَن من الوَزِير حَسَن في رُجُوعِه إلى ولايَتِها ، ونَهضَ إليها بِجَيشٍ جَرَّار ، فَلمَّا أَرادَ أن يَهبِطَ بِلاد الجَّعفَريَّة إلى جَبل ظُلَم ثُم نَزَل مِن نقيل خضع في بَني الطليلي ، وَقَد تقَدَّمتهُ الأَجنَاد وهو في آخِرِهم ، وَقَد كَمَن لهُم الشَّيخ سَعِيد صبر وأَولاده وإخوَته وخَواصه في ذلك النَّقيل بين أَشجارِ هُنالك فَلمَّا وَصَل آخر العَسكَر ، وتَحقَّقُوا شَخصَه رَمُوه بالبَنادِق فَقتَلُوه ، فَلَم يَشعُر عَسكَره حتَّى قِيلَ لَهُم قُتِلَ البَاشَا فَفَشِلُوا وضَعفُوا وانتُهِبَت خَزائِنُه ، أَخذَ أَهلِ البِلاد منه ما أَخذُوا وبَقِي ما بقي ، وغَنى الفَلِيسُ مِنها .

فَــــسُبـــحَـــان مَن بِـــيَـــده أَزِمَّـــة الأُمُـــور .

وكانَ قَتلُه يَومَ السَّبت الثَّالِث والعِشرين مِن صَفَر .

---

[1] – جبل اللوز : من جبال خولان ، إلى الشرق من صنعاء وإليه ينسب بنو اللوزي .

[2] – قروا : قروى بفتح القاف وسكون الراء ، بطن من خولان العالية إلى الشرق من صنعاء .

[3] – وادي عاشر : وادٍ في بلاد سحام من بلاد خولان العالية إلى الشرق من صنعاء .

[4] – بدبدة : أحد البلدات من أعمال مأرب إلى الشرق من خولان العالية .

[5] – بني جبر : بلاد بني جبر ، بفتح الجيم وسكون الباء ، من قبائل خولان العالية .

[6] – تأثل : عظم ، تأثل المال ، اكتسبه ، قالها الفيروز أبادي .

وفي سَنة عشر وألف توجَّه الأَمير عبدالله بن المعافى إلى الأَهْنوم فَدَخلَها واستَقرَّ في الهجَر وحَاصَر الإمَام القاسم في حِصنِ شُهَارة فَلمَّا اشتَدَّ الحِصار على الإمَام خَرجَ من شُهَارة من بَعضِ شرط الجَبل في الليل ورَحَل عن شُهَارة إلى وادعَة ثُم منهَا إلى بَرَط .

وفي سَنة إحدى عشر وألف خَرجَ أولاد الإمَام : محمد وأحمد ومن لَديهم من أعيان عُلماء الزَّيديَّة إلى كَوْكَبان إلى يَدِ الأَمير أحمد بن محمد وسَلَّمُوا شُهَارة إلى أَجنَاد السَّلطَنة ، فَأكرَمهُم الأَمير أحمد بن محمد ، وبَقُوا لَديه على حَالٍ جَميل .

ودَخَلت سَنة اثنا عشر وألف فيها عُزِل الوَزير حَسَن عن اليَمَن ، وصَارَت الولاية للباشا سِنان ، فامتَثَل الوَزير حَسَن .

وفي سَنة ثلاثة عشر وألف قَوَّضَ خيامَهُ للسَّفَر ، ولما استَقرَّ البَاشَا سنان تَحتَ البَاشَويَّة ، فَتحَ بِلاد نِهْم والحَيمَتَين وبِلاد الحَدا ، واستَقَرَّت لهُ الأُمُور في هذه السَّنة .

وفي سَنة أربعة عشر وألف هجريَّة نَهضَ الإمَام القاسم محمد من بَرَط إلى بلاد وَادعة الظَّاهر فَلمَّا وَصَل إليهم اجتَمعُوا على طَاعَته ، وفي خِلال ذلك خالَفَ الأَمير عبد الرحيم على البَاشَا سِنان ، فَلمَّا كَاتَب الإمَام وأَظهَر التَّوبَة والإنابَة عَمَّا وَقعَ منهُ المَرَّة الأُولى ، وأَخذَ عَليه الإمَام المَواثيق والعُهُود ، وكاتَبَ لهُ القَبائل وحَثَّهُم على نُصرَته ، وأَنَّه من جَانب الإمَام ومُجاهِدٌ في طَاعَته ، وهو فيمَا ذُكِرَ عَنهُ كَثير التَّخَلُّفَات والغَدر ، ولكن الإمَام في تِلك الحَالَة في ضُعفٍ وهو في قُوَّة فَأَراد الإستظهَارَ لِقُوَّته ، وكانَ في ذلك قُوَّة الإمَام واستَرجَع أكثَر البِلاد القبليَّة والمَغارب وامتَدَّت الفتنَة بين عبد الرحيم والأَمير سِنان ، ومَلَكَ الأَمير عبد الرحيم بلاد حَجَّة والشَّرفين وعَفار وحِصْن جرع[1] وكحلان تاج الدين ، وتَعَذَّر على الدَّولَة[2] دَفعُه ومَنعُه .

---

[1] – حصن جرع : حصن مشهور ما بين كحلان تاج الدين وبلاد عفار من أعمال حَجَّة .

[2] – الدولة العثمانية .

ولما بَلَغ البَاشَا سنان خلاف عبد الرحيم لَم يُفزعهُ ، وكانَ من كَلامه أنْ قال : ما غَيَّرَ عبد الرحيم إلاَّ على نَفسه ،ولا أزَال إلاَّ نعمَته ، وسَوفَ أملأُها عَليه خَيلاً ورجلاً فَوجَّهَ البَاشَا سنان الجُنُود وَصُحبتُه ذو الفقَار إلى صَرحة جرع ، ووجَّهَ الأَمير دَرويش إلى بِلاد السودة ، وخَالَفتهُ في هَذه الأيَّام الحَيْمَة ، وامتَدَّ الخلاف في مَغارب كَوْكَبان ، ووَاجَهَت الأَهْنُوم إلى الأَمير مُطهَّر بن عبدالرحمن صنْو عبد الرحيم ، وحصروا ابن المعافى في شُهَارة ، حتَّى تَسَلَّم إلى الإمَام القَاسم خَوفاً من عبد الرحيم ، لأَنَّه كانَ لا يُبقي أَسيراً ولا يَرحَمُ ضَعيفا كَما اشتُهر عَنه .

وامتَدَّت الفتنَة بَين عبد الرحيم وأحمد بن محمد صَاحب كَوْكَبان ، وغَلَب عبد الرحيم على أَكثَر البلاد في كَوْكَبان ، وأَسرَ جُملَة عَسكَرِها ، وهُم في عُدَّة قَويَّة وسِلاح كَامل ، فَلمَّا وصَلُوا إلى عبد الرحيم أَخَذَ سَلاحَهُم واستَولى عبد الرحيم على لاعَة ، وقراضة[1] ، ومسور ، ولَم يَبقَ بيد أحمد بن محمد إلا جَبل تيس[2] .

وفي سَنة خمس عشر وألف خالَفَ جَبل تيس جَميعهُ إلى عبد الرحيم ، وكانَ في هذه المُدَّة أميراً على كَوْكَبان الأَمير إسماعيل بن أحمد بن محمد ، بَعدَ أن هَلك والدُه وصنْوه ، وكانَ عَليلاً من علَّة طالَت به ، ولَمَّا أَلَمَّت به الحَوادث عَضدهُ البَاشَا سنان ، وقَامَ بأَوده وأمَرَ أَن يجعَل في الطَّويلَة صَلاح بن المُطَهَّر بن صَلاح بن شمس الدين ، فبَلَغ البَاشَا سنان أن صَلاحاً المَذكُور يُريدُ الإستيلاءَ بالأمر لنَفسه ، فَأرسَلَ إلى الأَمير عبدالله بن المُطَهَّر وجَعَلهُ سرداراً على العَساكر ، وأَمرَهُ بالقَبضِ على صَلاح بن المُطهَّر ، بَعدَ أَن ظَهرَت مُكاتَبَاتُه إلى أصْحَاب الإمَام وأَصْحَاب عبد الرحيم ، وخَدعَ أَكثَرُ العَسكَر ومَالُوا إلَيه ، وأَرادَ الوَقيعَة بالأَمير عبدالله بن المُطهَّر ، فبَلَغه ذلك فَحذَّرَ منه وأمَرَ

---

[1] – قراضة : بلدة في جبل مسور المنتاب في منطقة عمران إلى الجنوب من حجة .

[2] – سبق التعريف به .

بِقَبضه فَوثَبَ مِن طَاقَة البَيت الذي هو فِيه ، وهو مُؤَمِّلٌ[1] لعَسكَر كَوْكَبان الذين قَد مَالَئُوه على الخِلاف فَبادَرهُ الأَمير عبدالله ، وأَمَرَ بِقَتله فَقُتل ، وَقَد كانَ وَصَلَ الأَمير ذُو الفَقَار كِيخية البَاشَا سِنان مُمِدًّا لِلأَمير عبدالله ، فَنفذَ إلى جَبل تيس وفَتحهُ ، وحَصلَت حُروب وخُطُوب بين عبد الرحيم وعَساكِر السَّلطَنة ، وبين الإمَام وعَساكِر السَّلطَنة الذين مع ابن المعافى وبَقِيَت الأُمور مُتَكافِئة ، والحَربُ سِجَالاً حتَّى دَخَلت سَنة ستة عشر وألف .

وَفيها بَلَغ البَاشَا سِنان عَزلُهُ بِجعفر باشا ، فأَقبَلَ مُتَسلِّم جعفر باشا مِن طَرِيق كَوْكَبان ، ولم يُظهِر أنَّه مُتَسلِّم ، بَل تَأَدَّب في حَقِّ الوَزِير سِنان أَدَباً رَفَعهُ عِندَه إلى أَعلَى رُتبَة ،فأَعزَّه وَمَلأَ يَدَيه مِن العَطايا .

وفي رَجَب وَصَل جعفر باشا إلى تَعز ، وَتَهيَّأ البَاشَا سِنان لِلمَسير ، فَتَوجَّه البَاشَا سِنان إلى بَنْدر المَخا ، ولم يَتَّفق بالبَاشَا جعفر إلاَّ بالمُرَاسَلة ، فَشرَعَ فِيه الأَلَمُ قَبلَ وُصوله المَخا ، فلَمَّا كانَ في ليلة ثالث شَعبان دَعاهُ أَجَلُه المَحتُوم ، ولما خَرجَت جَنازَتُه صَرخَ العَسكَر بِأَجمَعِهِم وقُبِرَ عِند الشَّاذلي[2] ، ولَمَّا بَلَغ الوَزِير جعفر وفاة الوَزِير سِنان وَجَّه عمر الكِيخيا لِقَبضِ خَزائنه فَقَبضَها ، وطَلَع وفي صُحبَته الأَمِير محمد بن سِنان ، والأَمير ذو الفَقَار ، ولما تُوفى الأَمير سنان وَصَل مِن عبد الرحيم مُكاتَباتٌ إلى الوَزِير جعفر الحَوض الأَشرَف يَذكُرُ فِيه الشَّكوى مِن البَاشَا سِنان ، وإنَّ ما أَوجَبَ خِلافَهُ إلاَّ أُمورٌ صَدرَت مِن سِنان باشا ، وأَظْهَر الوَزِير جعفر السُّرور ، وأَمَرَ أن يُرمَى بالمَدافِع والزبرطات استِبشَاراً .

---

[1] – مؤمل : يتأمل من العسكر ، يثق بهم

[2] – الشاذلي : قرية إلى الشمال الشرقي مِن ميناء المخا سميت بالشاذلي نسبة للرجل الصالح علي بن عمر الشاذلي .

وفي خِلالِ ذلك وَجَّه عبد الرحيم أخاهُ أحمد فَطَلَع جَبل مَسْوَر ، ووَجَّه شرذِمَة مِن عَسكَره . أَخَذُوا جَبل الأَمير إسماعيل بن أحمد بن محمد مِن بَيت عذاقة[١] فبَلَغ الوَزِير جعفر ، فَفَطِن أنَّ ما مَقصَدُ الأَمير عبد الرحيم إلاَّ المُخادَعة ، وأضمَرَ ذلك في نَفسه ، فَلمَّا وَصَل إلى ذي أشرق[٢] قاصداً صَنْعَاء استَدعى الأَميرَ ذا الفَقَار ، وضَرَبَ عُنُقَه ورَكِب وهو مُلقَى على الأَرضِ ، ثُم تَوجَّه إلى صَنْعَاء فَدَخلَها يوم الاثنين خامس عشر شهرِ شَوَّال ، ثُم وَجَّه إلى عبد الرحيم رَسُولاً مُجَانباً للأَمير محمد السردار ، فَوَصَل إلَيه رَسُول جعفر باشا ، فَتَلقَّاهُ وأظْهَر الفَرَحَ بِوصُوله ، وخَلَع عليه ، فَلمَّا كانَ يوم ثاني وُصُول الرَّسُول طَلَبهُ فاستَعلَمَهُ ، فأخبَرَهُ ما وَصَل به ، وأغلَظَ لهُ في الكَلامِ ، فَغَضب وأخرَجَهُ إلى حورة[٣] وصَلَبهُ في شَجرَة هُنالك فَلمَّا بَلَغ الوَزِير جعفَر ذلك غَضبَ وأرسَلَ إلى الإمَام وعقَدَ بَينَهُ وبين الإمَام صُلحَاً ، وسَاعَدَ الإمَام إلى شُروطه وأطلَقَ أولادَهُ وأصْحَابه مِن كَوْكَبان ، ووَصَلُوا إلَيه إلى شُهَارة وَقَد أَحرَزَ ولدُه محمد في بَقائه في كَوْكَبان يَنابيعَ العُلُوم ، وتَطَلَّع في مَظنُونهَا والمَفهُوم ، لأنَّه حَبسَ مَعهُ أعيَانَ العُلماءِ الذين كانُوا في شُهَارة ، حِينَ حاصَرُوها وأَخرَجُوهُم منهَا فاشتَغَلُوا بالدَّرسِ والتَّدريس ، حتَّى بَلَغ محمد المُؤيَّد مبَلَغ الإمامَة ، وارتَقَى دَرَجَة الزَّعامَة ، ولَمَّا تَمَّ الصُّلح بين الوَزِير جعفر والإمام ، وَقَد كانَت صَدَرت مِن عبد الرحيم أُمُورٌ تَقتَضي أنَّه غَيرُ مُؤتَمٍ به ، وفَعلَ أُمُوراً قَبيحةً ذُكرت في سِيرَة الإمَام وشَرَّد مَن عَرفَ منهُ المَيلَ إلى الإمَام فاقتَضَى ذلك مُبَايَنَة الإمَام ، وتَبرَّأ مِن أفعاله وجَراءَته فَحشَرَ عليه الوَزِير جَعفر الجُنُود وجَعلَ سردارهم عمر كِيخيَا فَلَم تَزَل تُفتَح البِلاد التي قَد وَاجهَت إلى عبد الرحيم .

[١] – بيت عذاقة : في جبل مسور إلى الشمال الغربي مِن صنعاء .

[٢] – ذي أشرق : قرية كبيرة في وادي نخلان مِن أعمال إب .

[٣] – حورة : قرية ، عزلة (مجموعة قرى) في بِلاد ريمة إلى الغرب مِن صنعاء .

وفي شهر رَبيع الآخرة تُوفي الأَمير إسماعيل بن أحمد بن محمد بن شمس الدين وخَلفَه في إمارَة كَوْكَبان عَمُّ أَبيه الأَمير علي بن شمس الدين واستَقامَت لهُ الأُمُور وكَانَ مَوتُ الأَمير إسماعيل ، وَقَد بَلَغ عُمَر كيخيَا قَارِن[1] وعبد الرحيم مُشرِفٌ على الحِصَار ، وجَرَت بين عبد الرحيم وعُمَر كيخيَا حُروب عَديدَة آلت إلى انكشَاف أصْحَاب عبد الرحيم ، ثُم إن عَساكِر السَّلطَنة طَلَعت جَبل وعيلة[2] ، وانفَتَحت الحُرُوب على عبد الرحيمِ من كُلِّ جَانب ، ثُم نَهضَت الجُنُود السُّلطانيَّة فَدَخلُوا حورة[3] ، ولَم يَبقَ بِيَد عبد الرحيم غَيرَ الذنُوب[4] وحصن كَوْكَبان وحَجَّة ومَبْين[5] ، فَما شَعرَ عبد الرحيم وهو في الذنوب إلا وَقَد أُعلِن مَن في كَوْكَبان وحَجَّة بإسم السُّلطان ، وسَلَّمُوا الأمر إلى الأَمير عُمَر الكيخيا ، فَسارَ الأَمير عبد الرحيم إلى بلاد الشَّرف ، وجَعلَ في حِصن مَبين أَخاهُ أحمد ، ولما وَصَل بِلاد الشَّرف ، وفيه أَخُوه الأَمير محمد بن عبد الرحمن فَوجَدهُ قَد تَنكَّرَ لهُ ، ولَبِسَ لهُ جِلدَ النَّمِر ، فَتَوجه إلى حِصنِ كُحْلان الشَّرف ، وتَبِعهُ الأَمير محمد السردار في عَسكَر خوَّار ، وفَتحَ بِلاد الشَّرف سِلماً ، ووَاجَهَ الأَمير محمد بن عبد الرحمن ، وحَاصَرَ الأَمير محمد السردار عبد الرحيم في كُحْلان الشَّرف ، ومَنعَ مِنهُ الدَّاخِل والخَارِج .

وفي سَنة ثمان عشرة وألف وَاجَه الأَمير أحمد بن عبد الرحمن إلى الأَمير الكيخيا وسَلَّم إلَيه مَبْين وجَميع ما فِيه مِن الخَزائن والجبخانات والآلات والعُدَد ، واجتَمعَ بِأَخيه محمد ، وطَلَعُوا جَميعاً إلى حَضْرَة الوَزير جعفر ، ولَمَّا عَلم عبد الرحيم بِمُواجَهة أَخَوَيه ، وطُلُوعِهم إلى حَضْرَة الوَزير جعفر ، جَنَحَ إلى الصُّلح والدُّخولِ في طَاعَة السُّلطان

[1] – قارن : بكسر الراء ، إلى الغرب من عمران .

[2] – جبل وعيلة : الوعلة : الموضع المنيع من الجبل ، ولعلها القرية الواقعة في منطقة ملحان من أعمال المحويت .

[3] – حورة : سبق التعريف بها .

[4] – الذنوب : لعلها القرية الموجودة في جبل ثامر من بلاد المحويت .

[5] – مبين : بلدة مشهورة معروفة من أعمال حَجَّة ــ مجموع بلدان اليَمَن وقبائلها ــ .

وطَلبَ الأَمان ومَرسُوماً مِن حَضْرَةِ الوَزِير جعفر ، فَطَلعَ إلى صَنْعَاء صُحبة الأَمير محمد السردار ، فَلمَّا وَصَل قَرِيباً مِن صَنْعَاء إختار الوَزِير لِلقائه الأَمير عبدالله بن المعافى لِمَا بَينهُما مِن العَداوَةِ ، فَلمَّا وَقَعت عَينُ عبد الرحيم عَليه تَغيَّر وَجهُه وعَرَفَ الشَّر ، فَلمَّا وَصَل إلى صَنْعَاء واجَهَ الوَزِير في كَافَّة الأُمرَاء والأغوَات والسَّناجق ، ووَبَّخَهُ على قَبيحِ أفعَالِه ومُوبِقَاتِ أعمَاله ، وأمَرَ به إلى الدَّارِ الحَمراءِ ، ونَالَهُ مِن الأَمير عمر كيخيا بَعضُ إهانَة وتَعَبَ لها جنابُه .

وفي سَنة تسعة عشر وألف وَجَّه الوَزِير جعفر الجُنُود على الأَمير محمد أمِير صَعْدَة ، وذلك أنَّه تَولاهَا بعد مُصطفى مِن جِهَة الوَزِير حَسَن ، وطَالَت في ولايَتِها أَيَّامهُ ، وجَمَعَ أَموالاً عَظِيمَة ، ولما عُزِلَ الوَزِير حَسَن وخَلفَه سِنان تَركَةُ لَمَّا اشتَغَلَ بِفتنَة عبد الرحيم والإمَام القَاسِم ، وعَلِمَ أنَّه إن عَزَلَهُ أظْهَر العصيَان ، فَتصاغا عنه ، فَلمَّا قَبضَ الوَزِير جعفر على عبد الرحيم وصَالَحَ الإمَام أَحَسَّ الأَمير محمد بالشَّر ، فَطَلبَهُ الوَزِير جعفر فَلَم يُسعدهُ إلى ذلك المَرَام ، وأظْهَر الخِلافَ فَبلَغه نُهُوض العَساكِر السُّلطانيَّة عَليه ، فقَدَّمَ لِلقَائِهم السَّيِّد أحمد بن الإمَام الحسن علي بن داوود إلى خيوان[1] ، فَانهَزَم عن العَسكَر السُّلطاني ، فَلمَّا عَلِمَ الأَمير محمد بِذَلك رَكبَ على فَرَسِ جَوادِه وجَماعَةٌ مِن أَعيانِ حرَابَته مَعهُ ، وحَمَل ما أَمكَنَهُ مِن مَالِه ، وَقَد كانَ مُتَهيِّئاً لِلهَرَب مِن قَبلِ ذلك بِمُدَّة ، ودَخلَت عَساكِرِ السَّلطَنة صَعْدة ، وجَعَل الوَزِير جعفر والِياً في صَعْدة الأَمير صَفَر[2] .

وفي سَنة عشرين وألف أَرسَلَ الوَزِير جعفر بِعَبد الرحيم إلى الأَبوَابِ العَالِيَة صُحبَةَ أغا مِن أغوَاتِه .

---

[1] – خيوان : بلدة مشهورة إلى الشمال الشرقي مِن حُوث ، ذكرها الهَمْداني في صفة جزيرة العرب وقال: هي من غرر بلاد هَمْدان .

[2] – لعل إسمه "سفر" .

وفي سَنة إحدى وعشرين وألف بَلَغ الوَزير جعفر عَزلَهُ عن اليَمَن من جهَة سُلْطان الإسلام أحمد بن محمد بن مُراد بالبَاشَا إبراهيم فَتهَيَّأ للخُروجِ الوَزير جعفر من صَنْعَاء في الحادي عشر من رَبيع الأول سَنة اثنين وعشرين وألف ، وكانَ هذا الوَزير جعفر من أَحسَنِ مَن وَصَل إلى اليَمَن من البُوَش السُّلطانيَّة ، في تَعظيم العُلماءِ والأَشرَاف ومَعرفَة حُقُوقهم ، لأنه كانَ لهُ حصَّةٌ وافِرَة مِن العُلومِ الشَّرعيَّة والعَقليَّة ، وكانَ شاعراً مُجيداً ، وكانَ جُلَساؤهُ أعيان عُلَماء ذلك الوَقت وكانَ يَحتَمِل للعُلماءِ ويُخَالطُهم بنفسه ، ويُجزِلُ لَهم الصِّلاتَ ويُكرِّر لَهُم الهِبات فَكانَ على طَرِيقَة مَرضيَّة .

وفي خِلالِ ذلك وَصَل إلى تَعز ، وَقَد صَنعَ الكِيخيا عبد الله شلبي في صَنْعَاء نَائباً إلى وُصُولِ البَاشَا إبراهيم ، فوَصَل من إبراهيم باشا نيابَةً لعبد الله شلبي المَذكُور فَمَالَ عن الوَزير جعفر وفَارَقَ حَضرَتهُ فَجعَلَ لهُ الوَزير جعفر كيخيَا حَيدَر ، وفي أَثنَاءِ عَزْمِ الوَزير جعفر انتَقضَ الصُّلح بَينَهُ وبين الإمَام القاسم بن محمد عليه السلام ، فبَلَغ إبراهيم باشا فَسَارَع إلى تَلافي الأَمرِ بطُلوعه إلى صَنْعَاء فَشرَعَت فيه العلَّة مِن النجد الأحمر[1] ، وهي الحُمَّى ، وَقَد كانَ قَدم قَبلَهُ عبد الله شلبي وجَعلَهُ سردارا وعَيَّنهُ لحَرب الإمَام القَاسم فَدخَلَ صَنْعَاء وخُرِّبَت خيامُه عندَ مَسجِد فروَة بن مسيك ، فَلمَّا وَصَل إبراهيم ذَمار تَمكَّنَت منهُ العلَّة ، وأَضحَت قُوَّتهُ مُضمَحلَّة ، فَأخرَجُوه في التختروان[2] فَمات في مَنْقَذه[3] في يوم الإثنين الثامن والعشرين مِن جُمَادى الأولى ، وأَرجَعُوه إلى ذَمار ، فَقُبر عند حَسَن باشا في صَرحِ قُبَّة دَادَية[4] ، وَقَد تَبعهُ إلى اليَمَن الأَصاحية[5] من

(1) – النجد الأحمر : جنوب مدينة إب ، قيل إنَّه سُمِّي بذلك لحمرة تربته .

(2) – التختروان : سرير المرض (كما يقال اليوم سيارة الإسعاف) .

(3) – منقذه : قرية كبيرة إلى الشمال من ذَمار بمسافة ١٤ كم .

(4) – دَادَيْه: الآن هي داخل أحياء ذَمار وتسمى قبة دادية وهي مسجد ، و بجانب المسجد قبر لأحد الأولياء ، وتقع بين حي الجراجيش وحي المحل وحي الحوطة ، وقريب منها قبر الإمَامِ يحيى بن حمزة رحمه الله .

(5) – الأصاحية : سبق التعريف به .

حَضْرَة سُلْطان الإسلام ، وعَليهم أحمد أغا وسلمان أغا فَأجمَعَ رَأيُهمَا على استدعَاء الوَزير جعفر مِن زَبِيد لِضَبط أَحوَالِ اليَمَن ، فَلمَّا وصَلَهُ المَكتُوبُ بِمَا أجمَعَ عَليه رَأيُ الأُمرَاءِ والأغَواتِ عادَ من المَخا ، وَكَتبَ إلى صَنْعَاء إلى عبد الله شلبي في تَقرِيره على نِيابَة صَنْعَاء إلى وُصُوله ، فَأوجَسَ عبدالله شلبي في نَفسه خِيفَة ، مَع مَيله عن الوَزير جعفر ومُفَارَقته لهُ فَدبَّر في رَفعِ الوَزير جعفر والاستقلالِ ، وأَشارَ عَليه بَعضُ الدُّهاة[1] أن يَجعلَ ذلك بين العَسكَر ، فَطلَب أُمراء العَسكَر ووَعدَهُم ومَنَّاهُم ، ومَدَّ شاشاً[2] وجَعلَ فِيه مصحَفاً واستَحلَفَ الأُمرَاء والأغَوَات والعَسكَر ودَخَلوا تَحتَ الشَّاش الذي نَصبَهُ على أنَّهم يَدٌ واحِدَة على الوَزير جعفر .

وأَجابَ بَعدَ ذلك على الوَزير جعفر أن العَسكَر ذَكرُوا أنَّه قَد عُزِل ولا بَقِيَ لهُ حُكمٌ في اليَمَن ، وأنَّ عبد الله شلبي خَليفةُ إبراهيم باشا ولا يُمكِن أن يُعزَل من صَنْعَاء إلا بَعدَ أن يَعرِفُوا إلى حَضْرَة السُّلطان ، فَمَن رَجَّح أن يَبقَى في اليَمَن بَقِي . فَلمَّا وَصَل الكِتاب إلى الوَزير جعفر لم يُجب عليه بِحَرفٍ واحِد ، وضَاقَت الأرض على عبد الله شلبي ، فَكتَب إلى المَراتِب التي في جِهَة بِلاد الإِمَام بالوُصول إلَيه ، فاستَولى عَليهَا أصْحَاب الإمَام ، وأَحاطُوا بعَفار ووَاجَهَت بِلاد حَجَّة وبِلاد الأَمير علي بن شمس الدين جَميعها ، ولَم يَبقَ إلاَّ كَوْكَبان والطَّوِيلَة ، وتقَدَّم الحسن بن الإِمَام إلى بيت علمان[3] ، وعلي بن الإِمَام إلى حَضُور الشَّيخ ، وتقَدَّم السَّيِّد محمد بن أحمد بن عز الدين المُؤيَّدي والسَّيِّد أحمد بن المهدي مِن حَضْرَة الإِمَام إلى بِلاد صَعْدة فاستَفتَحُوهَا ، وأَخرَجُوا عَنهَا الأَمير حَسَن الذي ولاه البَاشَا جعفر ، فَتجَهَّز البَاشَا جعفر لِلطُّلوعِ ، فَلمَّا بَلَغ عبد الله

---

[1] – الدهاة : أهل الفتنة .

[2] – شاشاً : قطعة من القماش كبيرة مدها ورفعها على أعمدة ووضع عليها مصحفاً ، وقطعة الشاش هي التي تلف حتى تصبح عمامة .

[3] – بيت علمان : قرية مشهورة في جبل الأهنوم تخرج منها عدد كبير من العلماء .

شلبي ذلك أَرسَلَ الأَمير درويش ، والأَمير أحمد بن عبد الرحمن والأَمير رمضان ، وحسن بيك ، وصبيح كاشف ، والفَقيه علي الشهاري أحد أَعوانِ الإِمَامِ القاسم .

وَقَد كانَ خالَفَ الإِمَام في هذه الأيام حَسدَاً لأولاده[١] ، حَيثُ قَامُوا بالحُروب وكملُوا فِيها فَجَهَّزهُ عبدالله شلبي مِن جُملَة أُمرَاء العَسكَر ، فَنهضَ إِليهم الأَمير حيدر ، فَالتَقُوا في البرك الكَبيرة[٢] ، فَجَرى قِتالٌ بَينهُم فانهَزم أصْحَاب عبدالله شلبي ، ومَالَ أَكثَرُ العَسكَر إلى الأَمير حيدر ، وقُتلَ مِنهُم أَفراداً وأَسَر يوسف أغا كيخيا عبد الله شلبي ، ونَزلَ العَسكَر بأَجمَعِهم إلى الأَمير حيدر ، فَوجَّهَ الأُمرَاء والأَغوَات إلى حَضْرَة الوَزير جعفر إلى ذَمار فأَمَرَ بالأَمير رمضان وحسن بيك ومحمد قزل باش ، وفَريد بيك ، وصبيح كاشف والفَقيه علي الشهاري فَضُربت أَعناقُهُم صبراً ، وكَسَا الأَمير درويش والأَمير أحمد بن عبد الرحمن قَفاطين ، فَما شَعَر عبد الله شلبي إلاّ بِالخِيامِ قَد ضُربَت عِندَ المَاجل المُسَمَّى الآن "مَاجل الدَّمة"[٣] وغُلِّقَت أَبوابُ صَنْعَاء ، وانحصَر عبدالله شلبي في القَصر ، وخَرجَ الأَمير أحمد الأخرم آخذاً لأَهلِ صَنْعَاء أَماناً مِن الأَمير حيدر ، ثُم وَصَل البَاشَا جعفر ، وخَرجَ إِلَيه كَافَّةُ الأُمراءِ مِن صَنْعَاء فَكساهُم قَفاطين ولَّما وَصَل الوَزِير جعفر إلى سيان[٤] ، وأَمَرَ بعبد الله شلبي فَقُتِل ، وقُتِل مِن جَماعَتِه عِدَّة ، ثُم دَخَل جعفر صَنْعَاء في جَحفَلٍ عَظِيم .

---

[١] – كأن هناك تصرفات مِن البعض تخالف الفطرة حيث أن الأب في العادة يحب ويرغب أن يرى أولاده يرتقون المناصب ويتولون المراكز العليا وهذا الإمام يحسد أولاده ؟ الله المستعان .

[٢] – البرك الكبيرة : لم أجدها .

[٣] – الماجل : المسمى الآن ماجل الدمة ، وهو الآن مقبرة (مجنة) وموقعها إلى الجنوب الشرقي مِن موقف (فرزة) السيارات الذاهبة إلى تعز وغيرها بجانب الطريق الذاهب إلى شارع خولان .

[٤] – سيان : قرية مِن قرى سنحان قريبة مِن صنعاء .

فلمَّا استَقرَّ في القَصر طَلبَ الأُمرَاء والأغوات ، وعَاتَبهُم على تَرك مَراتبهم[1] بأستدعَاءِ عبدالله شلبي ، فقالُوا بِأجمَعِهم قَد أَخطَأنا وأَسأنا ، ولم يَبقَ لَنا مَنهَجٌ غَير العَفو ، فعفَى عَنهُم ، وجهَّز حيدر لقتَال أصْحَاب الإمَام فوَصَل إلى عمْران ، وبَلَغهُ أن الحسن بن الإمَام في غُرَّة الأَشمور في قلَّة من العَسكَر ، فاغتَنَم الفُرصَة ، ونَهضَ بجَميع العَسكَر الذي مَعهُ ، فَأحَاطَ بالحسن ، ولم يَكُن عِندهُ نصابٌ لِدَفعِ هذه الجُيُوش ، فَخَرج إلى يَد حيدر بالأَمَان ، وخَرجَ مَعهُ من جَماعَته قُربَ المئَة ، فَلمَّا وَصلُوا حَضْرَة الوَزير جعفر أَودَعَهُم الدَّار الحَمراء .

وفي سَنة ثلاث وعشرين وألف إفتَتَحَ الأَمير حيدر البلاد التي استَولى عليها الإمَام ، ولم يَبقَ بيَد الإمَام إلا وَادعَة والأَهنُوم ، ثُم توجَّه حيدر بِجَميع الأُمرَاء إلى الهجر ، ولم يُقابل حَرباً ، ثُم جَعلَ على حِصَار شُهَارة الأَمير عبدالله بن المُعافى ، ونَهضَ الأَمير حيدر إلى صَعْدة وفَتَحهَا واستَقرَّ بها ، ثُم إنَّه وَجَّه الأَمير رُستُم بشِرذِمة من العَسكَر إلى بَعضِ بِلاد صَعْدة لإصلاحِها ، فأَغارَ عليه علي بن الإمَام القاسِم ، وبَاشَرهُ بالحَرب المُتَلازِم ، فبَلَغ الأَمير حيدر إحاطَة أصْحَاب الإمَام بالأَمير رُستُم فَجهَّز الأَمير أحمد الأَخرَم مَدَداً لهُ فتأَخَّر في الطَّريق فَأَخذَ أصْحَاب الإمَام الأَمير رُستُم وقَتَلُوه هُو وجَميع مَن مَعهُ وأُخذَت رُؤوسُهُم ، فَأَغارَ الأَمير حيدر بِجَميع مَن مَعهُ .

وَقَد كانَ الإمَام القاسِم وَصَل بِنفسه ، فَجمعَ العَساكِر فَأَقبَلُوا كَالسَّيل ، فَخافَ الأَمير أحمد الأخرم مِن الأَمير حيدر أنْ يَفتك به لِتَراخيه عن الغَارَة على رُستُم حتَّى قُتل ، فَفَرَّ الأَمير الأخرم يُريدُ النَّجاةَ بِنفسه فالتَقاهُ أصْحَاب الإمَام وقَتَلُوه ، وبَعثُوا بِرأسه ورأسِ رُستُم إلى الإمَام ، وهو في بَعضِ بِلادِ صَعْدة ، ثُم حَصلَت واقعة

---

[1] – مراتبهم :مواقعهم وقطعاقم العسكرية ، أي أفم تركوا الأفراد وتحولوا إلى مواقع أخرى لتشكل مِن بعد مِحْوَراً ضد السلطة المركزية .

عرود[١] ، فيها انهَزَم الأَمير حَيدَر إلى صَعْدة ، ثُم دَبَّرَ الحيلَة في الخُرُوجِ من صَعْدة إلى اليَمَن فَخرَج في قَدرِ عِشرين فَارساً فَلمَّا عَلِمَ الإمَام بخُروجه عادَ إلى شُهَارة وقَد ثَارَت القَبائِل على الذين في الهجر مِن أَجنَادِ السُّلطان ، وحَاصَرُوهُم وضَيَّقُوا عَليهم وخَرجَ عيال الإمَام محمد والحسين والسَّيِّد ناصر بن محمد الغُربَاني وتَولُوا حِصَار ابن المُعافى ومَن مَعهُ من الأُمرَاء حتَّى عَدَمُوا القُوت ، فَلمَّا وَصَل حيدر إلى خَمِرْ دَبَّر الحيلَة في إخرَاجِ الأَمير عبدالله بن المُعافَى ومن مَعهُ ، وَقَد كانَ ابن المُعافى كَاتَبَ الإمَام يَطلُبُ الأَمانَ ويُسَلِّم نَفسَهُ إلَيه ، ويَخرُج عَسكَر السُّلطان بعد تَسليم سِلاحِهِم مُرفَقِين إلى عِند الأَمير حيدر ، فَأَشَار على الأَمير حيدر بَعضُ مَن عِندِه بِأَن يُوجِّه الأَمير دَرويش والأَمير عبد القادر بن النَّاصر وعُثمان أغا وإسماعيل أغا وعلي أغا وعَسكَر كَوْكَبان وأعيَانَ العَسكَر جُملَتُهُم إحدى عشر مائة مُبَندَقَة[٢] فاستَصوَبُوا ذلك وَوَجَّهَهُم .

وَقَد كانَ بَلَغ الحَال بِابن المُعافى ومَن مَعهُ إلى أنَّهم أَكلُوا الجِّمال والدَّواب ، وجَاعُوا حتَّى اسوَدَّت وُجُوهُهُم ، فَوَصَل إلَيهِم الأَمير درويش ومَن صَحبَهُ بَعدَ قِتالٍ عَظِيم ، فَقال لَهُم ابن المُعافى فَهَل مَعكُم شَيءٌ مِن الدَّقِيق والطَّعام فَأَعلَمُوه أنَّهُم لم يَستَصحِبُوا شيئاً وإنَّمَا وَصلُوا لإخرَاجِهِم ، فَسقَطَ ما في يد ابن المُعافى ، وأرَادَ الخروج مِن الهجر وتَرك رُتبَةٍ فِيه رَيثَمَا يَصِلُوا إلى مَأمَنِهم فَلمَّا خَرجُوا من الهجر تَبِعتهُم تلك الشِّرذمَة ، وخَلَفَهُم على الهجر أصْحَاب الإمَام وَضُرِبت عَليهِم الطُّبُول وغَارَت القَبائِل من كُلِّ فَجٍ ، وصَالَ عَليهِم قَبائِل الأَهْنُوم ، وعذر وظليمة ، وتقَدَّم الحُسين بن الإمَام فَقَطعَ عَليهِم الفَجّ في غَارب أَثلَه[٣] وأَتاهُم محمد بن الإمَام مِن وَرائِهِم بِتلكَ الجُمُوع ، فَلمَّا

[١] – عرود : لم أجدها ، ولعلها عُرْو: جبل الى الغرب من صَعْدة داخل المخلاف السليماني .

[٢] – مبندقة : حملة البنادق .

[٣] – غارب أثلة : قرية في بلاد حاشد من منطقة عمران إلى الشمال الغربي من صنعاء ، قامت بالقرب منها عدة وقائع وحروب بسبب وجود بئر ماء فيها أو قريب منها .

وصَلُوا غَارب أَثلَه استَأصَلَهُم أصْحَاب الإمَام قتلاً وأَسراً ، ولم يَنجُ منهُم أحدٌ ، وقُتل الأَمير عبد الله بن المُعافى ، والأَمير دَرويش ، والأَمير كيل[1] حُسين ، والأَمير حَسَن فلقه ، والأَمير عبد القادر بن ناصر الحَمزي وسنان أغا ، وعُثمَان أغا ، وأُخذَت الخَيل جَميعَها والجِمال وأُسلِبَت العَسكَرُ سلاحَهَا ، وَدَخَل بَعض عَسكَر السَّلطَنة وأهل كَوْكَبان وعلي أغا وقاسم أغا وإسماعيل أغا قرْنَ الوَعر[2] ، وانحَصرُوا فيه ، ثُم خَرجُوا إلى الأَسرِ وسَلَّمُوا سِلاحَهُم ، وأُطلقُوا إلى عند الإمَام إلى شُهَارة ، ورؤوسُ القَتلى ثلاث عشر مائة رَأس ، وتسعمائة أَسِير ، وبَعدَ هَذه الوَقعَة استَرجَعَ الإمَام بلادَه التي كانَت قَد دَخلَت تَحتَ وَطأَة الأَمير حيدر ، ونَهضَ حيدر من خَمرْ إلى الصرَارَة[3] ، خَوفًا مِن قَبائل الظَّاهر ، فَلمَّا بَلَغ علي بن الإمَام القاسم قَتلَة غَارب أَثلَة تَوجَّه على الأَمِير صَفَر لأَنَّه تَركَهُ حيدر في صَعْدَة لَمَّا خَرجَ منهَا كَما قَدَّمنا فَخَرج عليه الأَمير صَفَر وجَرَت بَينهُما وَقعَة ، قُتل فِيها علي بن الإمَام وجَماعَةٌ مِن أصْحَابه .

وفي سَنَة أربع وعشرين وألف تُوفي الإمَام الحسن بن علي بن داوود بحَضْرَة السُّلطان.

وفي سَنَة خمس وعشرين وألف عُزِل جعفر باشا بالبَاشَا محمد ، فَلمَّا وَصَل حَوض الأَشرَاف[4] خارج تَعز قَوَّض الوَزير جعفر خِيامَهُ من صَنْعَاء ، وَقد عقَدَ بَينَهُ وبين الإمَام صُلحَ سَنة كَاملَة ، ونَهضَ مِن صَنْعَاء في اليوم الحَادي عشر من رَمَضان ، وَقد استَخرَجَ الأَمِير صَفَر مِن صَعْدَة لأَنَّه مِن خَواصِه ، ووَلَّى على صَعْدَة الأَمِير صَلاح بن

---

[1] – في المطبوع كتل .

[2] – قرن الوَعر : قرية في بلاد حاشد .

[3] – الصرارة : قرية في جبل عيال يزيد إلى الشمال الغربي من صنعاء .

[4] – حوض الأشراف : الآن أحد أحياء مدينة تعز تنسب إلى الأشراف من بني رسول .

أحمد بن الحُسين المُؤيَّدي ، فَأَقام فِيهَا مُدَّة يَسيرة وقَاسَى خُطُوباً عَسيرة ، وأَخرَجتهُ القَبائل عَنهَا وحَفظُوهَا لِنفوسِهم ولم يُسعدهُم الإمَام لِتوليَتِها مَن لَدَيه في مُدَّة الصُّلح .

وفي سَنة ست وعشرين وألف تَوجَّه البَاشَا محمد إلى صَنْعَاء وهذا البَاشَا محمد كانَ مِن أَهلِ العَقلِ الوافِر ، والذّهنِ الحَاضِر ، والتَّدبير النَّافع ، ومَشَى على طَرِيقَة الوَزِير جعفر في تَقرِيب العُلماءِ ، واستخلاصِ الفُضَلاء ، وكانَ يُجالِس أَهلِ الأَدَب ، ويَميل إليهِم ويُجزِل لَهُم الصِّلات ، وكانَت الهُدنَة التي جَعلَها الوَزِير جعفر بَينَهُ وبين الإمَام آخرهَا شهرِ جُمَادى الآخرة من هذا العَام ، فَدخَل الوَزِير محمد صَنْعَاء يوم الاثنين لعشرٍ مِن شهرِ رَبيع الأول ، فَلمَّا كَمُلَت الهُدنَة بين الإمَام والوَزِير محمد ، وَجَّه الأَمير أَزدَمَر إلى بلاد حَضُور فَفتَحهَا بعد حُروبٍ حَصلَت عَظيمَة ، وكانَ رَئيس أصْحَاب الإمَام الشَّيخ عبد الله بن سَعيد الطَّير ، والسَّيِّد العَلاَّمة أحمد بن علي الشَّامي ، والقَاضِي يحيى بن أحمد المِخلافي ، فَقُتل الشَّيخ عبدالله الطَّير عندَ برك متنة[1] ، وبَعدَ ذلك وَاجَهَت تِلك البِلاد إلى السَّلطَنة .

وفي سَنة سبع وعشرين وألف والحُروبُ قَائِمَة بين أَجناد السَّلطَنة والإمام القاسم بن محمد وتَفصِيلُها يَحتَاجُ إلى مُجلَّدَات .

ودَخلَت سَنة ثمان وعشرين وأَلف وكانَ الصُّلح بين الإمَام القاسم والوَزِير محمد ، فَدَارَت المُكاتَباتُ في ذلك على صُلحِ عَشرَة أعوام ، وإخراجِ المَحابِيس من الجِّهَتَين ، وكانَ عند الإمَام أَسرى فَوق الثَّلاثمائة وتَمَّت الإصلاح وكانَ هذا الوَزِير محمد مُحسناً إلى الأَسرى ، وكانَ الحسن بن القاسم في الأَسرى حَسبَمَا قَدَّمنا ، فَأَحسَن إلَيه غَايَة الإِحسَان وفَكَّ عَنه القُيُود ، ورَخَّص لِلعُلَماء والأَعيان في الدُّخُول إلَيه وأَعطَاهُ سَرية[2] بَارِعة هي أُم ولدِه المهدي أحمد بن الحسن ، وشَرَى لَها بَيتاً في بِير العَزَب ، وكانَ يأذَنُ

---

[1] – برك متنة : لعلها البركة التي تتشكل من شلال الماء إلى الغرب مِن بلدة متنة عَلَى يسار المسافر إلى مدينة الحديدة .

[2] – سرية : أحد الإماء اللاتي تحت يده .

لهُ في الخُروجِ إلى بِير العَزَب مع مَن يَحفَظُه ، ولم يَدخُل إطلاقُه في الصُّلح ، اعتَذَرَ الوَزِير محمد عن إطلاقه أنَّه في حَبسِ السُّلطان ، وأنَّ الوَزِير جعفر قَد رَفعَ خَبرَ أَسرِه ولا يُمكِنُ إِطلاقه إلا بِإذنٍ مِن السُّلطان .

وَفيها فَتح الأَمير محمد البِلاد الوُصَابيَّة ، وتَسلَّم أَموالَهُم وسِلاحَهُم .

وَفيها جعل الوَزِير محمد كِيخيَا الأَمير محمد بن سِنان ، بعد أن ظَهَرت نَجابَته وكَفاءَتُه بَعد نُزولِه مِن حَضُور ، وَقَد انتَظَم بالصُّلحِ أَمرُ الجُمهُور .

وفي سَنَة تسع وعشرين وألف في الليلة المُسفِرَة عن صُبح يوم الثلاثاء ، الخامس عشر مِن شهرِ رَبيع الأول تُوفي الإمَام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي رحمه الله ، وَقَد تقَدم رفع نَسبُه في أَوَّل التَّرجَمة .

وكَانَت وفَاتُه رحمَةُ الله عليه بِحصنِ شُهَارة ، وبايَعَ مَن لَدَيه مِن العُلماءِ لِولدِه الإمَامِ المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم عليه السلام فَكتَبَ إلى الوَزِير محمد بِتَجدِيد الإصلاح وأَجابَ الوَزِير محمد عن مَسنُونِ السَّلام والتَّعزِيَة بِجَوابٍ عَجِيب ولَفظٍ غَرِيب ، ولا بَأس بِذكرِ الجَّواب وإن طال ، فَهوَ يُنَادي بِمَعرِفَة أَهلِ العَقلِ بِحُقوقِ آل الرَّسول ﷺ ، وهو قَولُه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لقَد كانَ لَكُم في رَسُولِ الله أُسوةٌ حَسَنة ، وَقُدوَةٌ مُستَحسَنة ، طَرِيقَةٌ سَلَكها سَيِّدُ البَشَر ، ولَن يُصَاب بِمِثله كَما قَد رُوي في الأَثَر :

الحمد لله رَبِّ العَالَمين على ما قَضَى وَقَدَّر وأَمضَى ، كُلُّ نَفسٍ ذَائقةُ المَوت ، وإنَّما تُوَفَّون أُجُورَكُم يَومَ القِيامَة ، فَمن زُحزِحَ عن النَّارِ وَأُدخِل الجَنَّة فَقَد فَازَ ، وما الحَياةُ

الدُّنيا إلا مَتاعُ الغُرُور ، وكُلُّ إنسَانٍ وإن طَالَ عُمرُه إلى الفوت[1] ، وإنا لله وإنا إلَيه رَاجعُون وعلى بَلائه صَابرُون .

وبَعْد : فَتُعزّي ولَدَنا الإمَام السَّيِّد المقَامِ الأكمَلِ ، والفَهَّامَةُ العَلَمُ الأطوَل مَنبَعُ الفَضَائل عُمدَةُ الأفاضِل ، مَالكُ أزمَّة المَفاخِر العميمَة ، والمَعارفُ الجَسيمَة محمد بن القاسم بن محمد مَنَحهُ الله صَبراً ، وكَتبَ لهُ أجراً بوالده الإمَام العَلَم الأطوَل ، الأعلَم الأفضَل ، تَغَشَّاهُ الله برَحمَته وإحسَانه ، وأسكَنَه بَحْبُوحَة جَنَّته ورضوَانه ، وجَعلَ نُزولَهُ في عِلّيين ، مع الذين أنعَمَ الله عَليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهَداء والصَّالحين ، والتَّسليمُ حَقُّ الله في أمره ، وحُكمُ فعله حُلوه ومُرِّه ، وحُكمُه النَّافذ السَّابق على جَميع الخَلائق ، والله يَجبُر المُصيبة وما سواهَا ولا أراكُم بَعدهُ سُوءاً ولا مَكرُوهاً .

والحَمدُ لله الذي جَعلَكُم القَائمينَ من بَعده ، والسَّادين مَسدَّه ، لما اختَارَهُ الله من الخَير من عَبده وقيامكُم بالأمر بَعد استخَارَة الله سبحانه ، ومُواطَأة من العُلماء الأخيَار ، والقُضَاة الأطهَار ، فَأنتُم إن شاء الله لذلك أهلٌ ، ولما وَقعَ من إختيارِكُم مَوضعٌ وَمَحل ، تولّى الله تَعالى عَونَكُم ورزَقَكُم الصَّبرَ وَكَتبَ على فراقه الأجرَ ، فَقَد نَالَنا بذلك السُّرور بعد الفَزَع ، وحَصلَ لَنا الحُبور الذي أذهَب الجَزَع ، وأنتُم بمَقامه أحَق وإليه أسبَق ، وذَكرتُم أن الذي بَينَنا وبين والدكُم رَحمهُ الله من العُهود والمَواثيق ثَابتٌ أساسُهَا زَادَ الله أساسَهَا ومراسهَا ثَباتَاً وإمرَاسَا وقُوَّةً كَما هي الإرَادَة المَرجُوَّة ، ونحن إن شاء الله على ذلك ما يَبدُو منَّا أمرٌ يَظهَر فيه اختلالٌ ، ولا يَكُون منَّا للمَوضُوعَات بقَواعدهَا وعُقُودها الحلال ، بَل إنا لَكُم كَما أنتُم لَنا ، وما هو المَوجُود عندَكُم هو كذلك عندَنا ، والألفَة الصَّافيَة الخَالصَة الوَافيَة كَما هي ، ما يُغَيِّرُ تلك القَواعد مُغَيِّر ، ولا يُكَدِّرُها مُكَدِّر ونحن لَكُم في أمرِ الخَيرِ مُساعدُون ، وطَريقِ مَرضَاتِ الله مُعاضدُون

[1] – الفوت : قال إبن منظور : فاته الأمر فوتاً وفواتاً وموت الفوات موت الفجأة وهو فوتٌ .

والله يَختَارُ لَنا ولَكُم الخير ، ويَأخُذ بِنَواصِينَا إلَيه ، ويُرشِدَنا ويُحسِن دَلائلَنا عليه وحَسبُنا الله وكَفَى .

بِتارِيخ سابع عشر في شهرِ رَبيع الأَول سَنة تِسع وعشرين وألف .

— حُرِّرَ بِمَحرُوس صَنْعَاء —

وفي سَنة إحدى وثلاثين وألف عُزِلَ الوَزِير محمد عن وِلايَة اليَمَن فَخَرجَ من صَنْعَاء لَمَّا وَصَل البَاشَا فضلي مُتولياً من الأَبوابِ العَالِيَة إلى بَنْدر المَخا ، فَلمَّا وَصَل البَاشَا محمد مَكَّة المُشَرَّفَة تُوفي بِها ، وقَبضَ الشَّرِيف إدريس بن الحسن بن أبي نُمَي جَميع خَزَائِنه وأَموَالِه وأَبقَى زَوجَتهُ وأَجرى عَليهَا نَفقَتَها .

وكانَ في هذه السَّنة خُروج مَولانَا الحسن بن القاسم من السِّجن في الدَّار الحَمراء في قَصرِ صَنْعَاء ، وَقَد ذَكَرنا أَسرَهُ مِن غُرَّة الأَشْمُور ولَبث في السِّجن إلى لَيلَة الثُّلاثاء سابِع شَهرِ جُمَادى الآخره مِن سَنة إحدى وثلاثين وألف مِن الهِجرَة النَّبويَّة على صَاحبِها أَفضَل الصَّلاة والسَّلام .

وكانَ خُروجَه مِن السِّجن بَعدَ عَزمِ البَاشَا محمد وَقَد كانَ مُحسناً إلَيه ، مُوسعاً لهُ في التَّصرُّفَات ، وخَشِيَ بَعدَ عَزلِه أن يَأتي الدُّوَيل[1] ولا يَعرف حُقُوقَه كَما مَرَّ فِيها الأول ، فَحاوَل نَقبَ الدَّار مِن أَسفَلِها حتَّى تَمَّ لهُ ، وأخرَجَ سَرِيته[2] وولَدَها أحمد بن الحسن ، وأَرسَلَهُما في اليومِ الأول مِن بيرِ العَزَب[3] ، فَلمَّا كانَ الليل خَرجَ الحسن من الثُّقب ومَعَهُ ثَلاثَةٌ مِن أصْحَابه ، وَقَد استَرقَدُوا الحَرس الذي حَولَهُم فَأرسَلُوا حِبالَهُم في دائرِ

---

[1] – الدويل : الوالي الجديد مِن قبل السَّلطَنة العثمانية .

[2] – سريته : زوجته ، أم ولده .

[3] – بير العزب : أحد أحياء مدينة صنعاء ، وحدوده الآن من باب السبح شرقاً إلى باب البلقة غرباً .

المَدينة وتَدلَّوا فيها ، وَقَد كانَ أمرَ سَايسَ[1] فَرسه أن يَقفَ بها بين القُبُور التي عندَ القَصر ، فَركَب على فَرسه وسَارَ هو ومن مَعهُ وَقَد قَرُب الصُّبح إلى أن وَصَل زيلة الخارد[2] ، ولَقيَه هُنالك جَماعة ممن هُو في جَانب الإمَام ، فَأمَرُوا بإشعَار الصَّريح في قَبائل الإمَامِ للقَائه فاجتَمعَت القَبائل إلى رَيدَان من بلاد أَرحَب وسَارُوا بين يَديه وكُلّما مَرَّ بقَبيلة سَارُوا بين يَديه ، وكانَ قَبائل الظَّاهر قد أَرادُوا إبقَائَهُ للضِّيافَة ، فامتَنَع من ذلك واستَعجَلَهُ الإمَام ، فَوَصَل إلى الإمَام في جُمُوعٍ لا تُحصَى ، ولما دَخَل البَاشَا القَادم من حَضْرَة سُلْطان الإسلام إلى صَنْعَاء وهو البَاشَا أحمد فضلي ، كَتبَ إلى الإمَام كِتاباً فيه تَواضعٌ وأَدبٌ ، وعَرضَ ببَقاءِ الصُّلح والذِّمَم والإستمرَار على الصُّلح الأَوَّل ، وأنَّه لا حَرجَ من خُروجِ صِنْوه الحسن ، وأنَّه لو بَقيَ إلى وُصوله صَنْعَاء لَكانَ هو المُطلَقُ لهُ مِن السِّجنِ على وَجْه جَميل ، ثُم أُمرَ بالأغا الذي كانَ مُتولياً على المَسجُونين فَضُربَت عُنُقه ، وجَماعَةٌ من الحَفظَة ، وأَرسَل بمَا بَقيَ للحَسن من الأَثاث الذي تَركَهُ ، وأَرسَلَ بثَمنِ الدَّارِ التي شَراهَا الحسن في صَنْعَاء .

وكانَ هذا البَاشَا فضلي يُوصَفُ بالخَيرِ ويُحبُّ الصَّدَقات ، ويَأمُرُ بالمَعرُوف ويَنهَى عن المُنكَرات ، ويُشفقُ على الضُّعفَاء والمَساكين كَما وجَدتُه في بَعضِ التَّواريخ .

وقيلَت في خُروجِ الحسن التَّهَاني العَظيمة مِن بُلَغاء ذلك العَصر تَركتُها إختصَاراً.

وفي هذه السَّنة حَصلَت فِتنَةٌ في مَدينَة صَعْدة بين العَسكَر الذي فيها لدى السَّيِّد صفي الدين أحمد بن الإمَام القاسم ، وافترَقَ أَهلِ الشَّام[3] وأَهلُ اليَمَن[4] ، وقُتلَ من عَسكَر الشَّام أَربعَة ومِن عَسكَر اليَمَن ثلاثة ثُم التَئَمَ الحَال .

---

[1] – سايس : الذي يقوم بخدمة الخيول .

[2] – زيلة الخارد : إلى الشمال من صنعاء فيها غيول جارية .

[3] – أهل الشام : المناطق المتاخمة للمخلاف السليماني من مخلاف صَعْدة .

[4] – أهل اليَمَن : المقصود صنعاء وما حولها .

ووَقَعَ بعد ذلك خلافُ بَعضِ خَولان الشَّام ، وامتَنعُوا عن الوُصُولِ إلى حَضْرَة أحمد ابن الإمَام وسَرى ذلك في غَيرِهم لَزَعمِهم أن ابن الإمَام يُفضِّل عَسكَر اليَمن عَليهم ، فَلمَّا كَادَت الفِتنَة تَعظُم والفَسَادُ في الجِّهَة الشَّامية يَطُم ، أَرسَلَ الإمَام المُؤيِّد أخاهُ الحسن بن القاسم في عَسكَر كَثير فوَصَل إلى تلك البلاد ، وحَاوَل إصلاح أُولئك المُخالفين ، وبَذلَ لَهم الأمان والعَفوَ عن جنايَتِهم ، فوَصَل إليه مَن وَصَل وامتَنعَ أَهلِ شعب[1] حجر فَلمَّا لم يَرعَوُوا نَاجَز إليهم الحَرب ، واستَولى على قُراهُم وديارهم ودَمَّر قُراهُم ، وأَخذَهُم أخذةً رَابيَة ، وأَصلَح تلك البلاد ، وانتَظَمت فيها الأُمُور ، وصَلُحَ الجُّمهُور فأرسَلَ إلَيه الإمَام بِولايَة البلاد ، وطَلبَ صِنْوه أحمد إلى حَضرَته ، فأقام الحسن في الجِّهَة الشَّامية ودَوَّخها إلى نَجران وظَهران[2] .

وغَزا إلى بِلاد العَمالسة[3] من بَكيل وأخَذَ تلكَ البلاد وكَثُرت مَعهُ المَواد ، ثُم تَوجَّه إلى بلاد فيفا[4] وهي أرضٌ نَازِحَة مُتَّصلة ببلاد قَحطان[5] وفي التَّهائم إلى قُربِ وادي ضَمَد ولم تَثبُت عليها دَولَةٌ ، ولا يَعرِفُون الله ورسُوله ولا أَحكامَ الإسلام ولا صَلاةً ولا صياماً ، وكانَت أنكحَتُهم على الجَّاهليَّة الجَهلاء والغَرانيق الأولى إذا اشتَهَت المرأة رَجُلاً تَزوَّجَها مِن دُونِ عَقد ولا شَهادَة ، وإذا وَصَل إليهمُ الضَّيف أَكرمُوهُ وطَلبُوا لهُ من نِسائِهم أَجمَلهُن يَبِتنَ مَعهُ في فِراشِه ــ إن هُم إلا كالأَنعامِ بَل هُم أَضَل ــ فَتوَجه عَليهم الحسن بِجُموعٍ كَثيرة ، وكانَ خُروجَه مِن صَعْدة يوم الثلاثاء لَعلَّه النِّصفُ مِن

---

(1) – شعب حجر : من أعمال حَجَّة .

(2) – ظهران : سبق التعريف بها ، وهي واد في جبال عسير .

(3) – العمالسة : من قبائل دهمة من أعمال صَعْدة .

(4) – فيفا : منطقة واسعة مِن بِلاد خولان بن عمرو من أعمال صَعْدة .

(5) – بِلاد قحطان : بنو قحطان من قبائل عسير والأشراف آل قحطان في بِلاد صَعْدة .

شهرِ رَبيع الأول سَنة خمس وثلاثين وألف فَصَارَ إلى مَجز[١] ، ثُم إلى رُغَافة[٢] ، ثُم إلى نَاحيَة يقضَان ، ثُم أَرسَلَ بالرُّؤساءِ بالعَسكَر مِن هُنالك ، فأرسَلَ السَّيِّد يحيى بن لُطف الباري بن عز الدين بن الإمَام شرف الدين ، والشَّريف علي بن حَسَن المُلقَّب خضر ، في عَسكَر مِن سحَار وبني جماعة إلى أَهلِ بني مالك[٣] من جهَة فيفا ، وأرسَلَ الشَّيخ علي بن شمسان الجبري في عَسكَر إلى خالد[٤] ، وأرسَلَ السَّيِّد الرئيس محمد بن أحمد ابن الإمَام الحسن بن علي بن داود ، وجَعلهُ أميراً على العَسكَر جَميعه ، وأَمرَهُ أن يَقصِد إلى خالد ، فتقَدَّم السَّيِّد يحيى بن لطف الباري إلى المعينة[٥] ، ووَقعَ حَربٌ قُتل فيه جَماعةٌ مِن أَهلِ تلك الجِّهَة .

ثُم اجتَمعَت العَسكَر لدى السَّيِّد محمد بن أحمد ، فتقَدَّم بِهِم جَبل مُراد ، مِن بلاد فيفا ، فالتَقاهُم أَهلِ فيفا وفيهِم شَجاعَةٌ و إقدام وهم كَثرَة ، اجتَمعَت منهُم ألوف مُؤلَّفَة ، ولكن لا بَنادقَ مَعهُم ، وإنَّما يَرمُونَ بالسِّهَام والأَحجَار في الأوضاف[٦] ولا يُخطِئُون بِها ، فوقَع قِتالٌ عَظِيم وانهَزَم أَهلِ فيفا وقُتل منهُم كثير ، وتَبعهُم عَسكَر ابن الإمَام واستولوا على البِلاد وغَنمُوا ما فِيها مِن الحُبوب والآلات والأَنعام والحَديد والنُّقود ، ثُم واجهَت تلك القَبائل كُلَّها ، ثُم وَقعَ نَكثٌ مِن بَعضِهم ، فَشَنُّوا عليهم الغَارات بالعَساكِر مِن كُل جِهَة ومن كُل وَجه ، وانتَهَبُوا أَموالَ النَّاكثِين وشَرَّدُوهُم في

---

[١] – مَجْز : بسكون الجيم ،وهي بلدة من أعمال صَعْدة ،وتعتبر من أكبر مديريات صَعْدة من حيث المساحة وعدد السكان .

[٢] – رُغَافة : قرية مشهورة مِن بلاد جماعة ، وهي إحدى قرى مَجْز من أعمال صَعْدة ،قال ياقوت في معجمه قرية عَلَى مرحلة مِن صَعْدة فيها معدن الحديد ويسبك منها ويصنع منها أشياء كثيرة .

[٣] – بني مالك : أحد البطون المتفرعة من سحار من خولان بن عمرو في بلاد صَعْدة .

[٤] – خالد : بنو خالد منطقة في بلاد آنس إلى القرب من ضوران آنس ، ولعل المقصود بيت خالد من الحمزات أشراف الجوف وصعدة .

[٥] – المَعيْنَه : بلدة من (مديرية) ضوران آنس من أعمال ذمار .

[٦] – الأوضاف : المقلاع ، وهي قطعة من النسيج المصنوع من الصوف أو الكتان توظف لرمي الحجارة إلى أبعد مدى . تُشاهَد مع الأطفال في الأرياف .

البِلاد ، وغَنى الفَليس مِن أَموالِهِم ، وذَلَّلوا عَاصِيهَا ، ومَلكُوا صَيَاصِيهَا[1] ، وهي بِلاد واسِعَة ، مَسيرُها فَوقَ عشرة أيام جبالٍ ووَطَا[2] .

وفي الأول مِن شهرِ صَفَر سَنة أربع وثلاثين وألف وصَلَت أَخبارٌ إلى البَاشَا فضلي بعَزلِه عن اليَمَن بالبَاشَا حيدر الذي كانَ مع الوَزير جعفر ، وكانَ فضلي اطمَأَنَّ في اليَمَن وسَاعَدهُ الزَّمَن ، وأُخصِبَت الأَرضُ في نَوبَته وحَسنَت دَولَته وسَكَنَت الفتَن ، واضمَحَلَّت المِحَن ، وجَمَع الأَموالَ العَظيمة ، فَحمَل أثقَالهُ وحَشدَ رِجالَهُ لِلمَسير ، وَقَد وَصَل البَاشَا حيدر إلى المَخا ، في آخر شهرِ صَفَر ، فَلمَّا وَصَل البَاشَا فضلي إلى أبي عَرِيش ، فاجأَهُ الحِمام[3] ، وانتقَل إلى جِوارِ المَلك العَلاَّم ، وَقد شَحنَ بَعضَ أَثقاله في البَحْرِ الزَّاخِر والسُّفنِ المَواخِر ، فَتوَجَّه الأَمير محمد بن سنان من صَنْعَاء ، برأي كانَ مِن شلبي خليفة البَاشَا فضلي ، فَقبَضَ الخَزائن جَميعَها ، وتَوجَّه بها إلى بَنْدر المَخا للقَاء البَاشَا حيدر ، فَأوَّلُ هَفوَةٍ جَرَت مِن حيدر أنَّه لَمَّا وَصَل إلَيه إلى المَخا الأَمير محمد بن سِنان بِتلكَ الخَزائن والعَسكَر الوَافِر أَمَرَ بِضربِ عُنُقه ، وصَلبه من غَيرِ جُرمٍ جَرى ، ولا وزرٍ طَرا ، بل حَسدَهُ حيدر على مَيلِ النَّاس إلَيه ورُغُوبِ أَكثَرِ العَسكَر فيه ، فَوجَمتِ القُلوب وتَكَدَّر المَشرُوب ، وبعد ذلك نَهضَ الأَمِير حيدر إلى تَعز فَقَتَلَ[4] من مشايخ اليَمَن ورؤساءِهم جَماعة .

ثُم وَصَل إلى ذَمار وبَقي فِيها شُهوراً ، وكَتب إلى الإِمَام أن الصُّلح باقٍ على ما وُقِّع بَينَهُ وبينَ مَن قَبلَه ، تامٌ لا يُغيِّرُه مُغَيِّر ، واشتَهرَ عن البَاشَا حيدر الإِنهِماكُ في شُربِ

---

(1) – صياصيها : حصونها وقلاعها .

(2) – وطا : الأرض المنخفضة والمنبسطة .

(3) – الحِمام : بكسر الحاء ، قدر الموت ، حان وقته ، قالها الجوهري في صحاحه .

(4) – فقتل : "دم المسلم حرام" ... بعض الولاة ـــ قاتلهم الله ـــ ، يتجبرون عَلَى عباد الله لنقص فيهم ، فيقتلون الناس بلا سبب وهذه جريمة كبرى .

المُسكر ومُعاقَرةِ الدنَان ، في جَميع الأَحيَان ، لحتى انهَمكَ النَّاس في ذلك الشَّأن ، وبيعَ الخَمرُ ظَاهِراً في سُوقه ، وقام الشَّرُ على سُوقه .

وفي هذه السَّنة وقَعَ التَّنافُس في مَكَّة المُشرَّفة بين الشَّريف إدريس بن حَسَن وابن أَخيه الشَّريف محسن بن حسين بن حَسَن على إمارَة مَكَّة المُشرَّفَة فَأخَذَ محسن بن حسين الولاية مِن سُلْطان الإسلام مُراد بن أحمد بن محمد بن مُراد ، فَخَرجَ الشَّريف إدريس بأثقاله إلى جبال الحِجَاز ، وأَراد أن يَجمَع لِحربِ الشَّرِيف مُحسن فَعاجَلَهُ الحِمَام فَماتَ في شهرِ جُمَادى الآخرة من هَذه السَّنة ، وتَمَّت لمحسن الإرادَة .

وفي سَنة ست وثلاثين وألف في مُنتَصف شهرِ المُحرَّم انتَقَض الصُّلح بين البَاشَا حيدر والإمام المُؤيَّد محمد بن القاسم ، وسَببُ ذلك أنَّه كانَ الفَقيه حَسَن العلمَاني من قَريَة علمان أَسفَل وادي ظهر مِن أصْحَاب الإمَام المُهاجرين في شُهَارة ، وكانَ يَتردَّدُ إلى وَطنه في بعض الحالات ، ويَدخُلُ صَنْعَاء في أَيَّام الصُّلح مع الأمَان ، وكانَ يَصل إلى البُوْش فَيُكرِمُونَه مع استِمرَارِ الصُّلح ، فَكانَ يَبلُغ البَاشَا حيدر أنَّه يَقبضُ للإمام من بَعضِ أَهالِي صَنْعَاء شَيئاً مِن الزَّكاة على جِهَة الخفيَة ، ويَأخُذُ مُحتاجَاتٍ مِن صَنْعَاء ، فانقَدَح في نَفسه مِن الفَقيه بَعضُ الشَّر ، فَوَصَل الفَقيه إلى باب البَاشَا حيدر ، واستَأذَنَ في الوُصُولِ إليه ، ولَعلَّه في تلك الحَال كَما يُقَال عَنه من مُقَارَفة ما سَبقَت الإشـــارَةُ إلَيه[1] ، فأَمَرَ البَاشَا بِضَربِ عُنُقِ الفَقيه المَذكُور في الحَال ، فما زال الإمَام المُؤيَّد بَعدَ بُلوغِ الخَبر إلَيه يُراجعُ البَاشَا في شَأن قَتلِ الفَقيه ، وكَرَّر المُراجعَة كَما ذُكر في السِّيرَة وأن يَرجع إلى حُكمِ الشَّرع في دَمِ هذا الفَقيه المُتعَلِّق به ، ولم يَقِف الإمَام من البَاشَا على جَواب ، ولا وقَعَ بمَعضل هذا الخطاب ، وقَد كانَ الأَمير حيدر جَهَّز الأَمير سنبل على قِتَال [أَهلِ منطقة][2] الحَدا ، فَقَتَّل فِيهم وأَسرَ لِخلافٍ جَرى مِنهم فوصَلُوا إلى

[1] – حالة السكر التي يقع فيها شارب الخمر .

[2] – [أهل منطقة] : لم ترد في المطبوع والمخطوط فزدناها لينتظم المعنى .

الإمَام ومَعهُم جَماعة مِن خَولان الطِّيال ، يَشكُون ما صَدَر مِنهُم فَقال لهُم الإمَام إنَّكم دَخلتُم في صُلحِ الأَترَاك ولَيسَ لَنا أن نَنصُركُم ، إلاَّ أن البَاشَا قَتلَ الفَقيه العلماني فإن يُنصِف بِحُكمِ الشَّرع فلا طَرِيقَ لنا إلى نَقضُ الإصلاح ، وإن يُصَمِّم على المُغالَطَة كانَت أَيدِينا وأَيدِيكُم واحِدَة فَلمَّا لم يَلتَئِم الحَال جَهَّز الإمَام صِنْوه الحسين إلى جِهَة الحَيْمَة وحَرَاز ، على جِهَة الكِتمَان ، وفي الظَّاهِر أن طَائفي البِلاد التي قَد صَارَت إلى الإمَام ، وكانَت طَرِيقه بِلاد الشَّرف .

ثُم تَوجَّه مُسرِعاً إلى حَجُور ، فَحثَّ السَّيرَ في يومين إلى بلاد مسار[1] .

ثُم نَهضَ إلى يفَاع مِن الحَيْمَة ، ولَقيَه الشَّيخ علي بن عبدالله الطيري ، فَوجَّههُ وعَسكَر مِن بركَة متنة إلى ذي بيْسَان[2] ، والحسين تقَدَّم إلى جَبل بيت خَولان[3] ، بَعدَ أن واجَه إلَيه بَنُو مَطَر ، وحَضُور الأَعلى والأَسفَل .

ثُم تَوجَّه الأَهجُر ، فَواجَهَت إليه[4] وجَهَّز الفَقيه يحيى المِخلافي إلى الطَّويلَة ، لمُناجَزةِ أَهلِ كَوْكَبان ، وتَعقَّبهُ بَعدَ خُروجَه مِن شُهَارة أَخُوه الأَكبَر سُلْطان اليَمَن الحسن بن القاسم ، خَرجَ مِن مَدينَة صَعْدة في جَميع أَهلِ الشَّام ، وكانَ طَرِيقُه المَشرِق ، فَواجَهَت إلَيه بِلاد نِهْم وخَوْلان الطِّيال ، وأَثارَت الحَدا الفِتنَةَ في طَرِيقِ اليَمَن الأَسفَل مُنتَمِين إلى أَولادِ الإمَام ، فاستَولى الحَسن على قَلعَة جَبل اللَّوز ، وكانَ فِيها أغا يُقال لهُ مزَاحم ، في شِرذِمةٍ مِن عَسكَر البَاشَا ، ونَهضَ الحسن بعد ذلك إلى بَلدَة بِيِّض[5] ، أَعلا بِلاد اليَمانيَّة العُليَا مِن خولان ، وقَامَت الحَدَا وخَوْلان بِجدِّهم وجُهدِهم في حَرب أصْحَاب السُّلطان لِما قَد وقَعَ مِنهُم مِمَّا أَشرْنا عَليهِ قَرِيباً ، وانقَطَعت الطَّرِيقُ إلى

---

[1] – مسار : بفتحتين ، مخلاف في بِلاد حراز ، ذكرهُ ياقوت في معجمه بالشين المعجمة وهو خطأ .

[2] – ذي بيسان : الصواب ذي يسان : قرية في بِلاد الروس جنوب صنعاء بمسافة ٣٥كم وإليها ينسب آل اليساني .

[3] – جبل بيت خولان : موقع في رأس جبل حَضُور المعروف اليوم بجبل شعيب غرب صنعاء .

[4] – فواجهت إليه : إنضمت إليه .

[5] – بِيِّض : مِن قبائل خولان العالية ، وتقع في الجزء الجنوبي مِن خولان المتاخمة لمنطقة الحدا .

صَنْعَاء ، وكانَت مَحطَّة البَاشَا في قَلعَة الذراع[١] ، مع الأَمير سنبل الذي صَارَ بَعدَ إلى أولاد الإمَام القاسم ، وذلك قَبلَ وصُولِه إلى الحسن بن الإمَام ، ولا زَالَت الحُرُوب تَتَتالا مِقدَار أَربَعة أشهُر .

ثُم عَزم الأَمير سنبل راجعاً إلى ذَمار ، واستَولى الحسن على قَلعَة الذراع وكانت للأَترَاك مُحطَّة في القبَّتين ، فَتأخَّرَت إلى ريْمَة بن حميد ، وغَنِمَ ما فِيها من الزَّبَارط والخِيَام والآلات ، وكانَ لِهَذهِ الوَقعَة مَوقُعٍ عَظِيم ، ثُم نَهضَ إلى حَدَّة بني شهاب فأَخذَهَا ، وتقَدَّم إلى حَضُور ، واستَقرَّ في مسيَب[٢] وكَتَب إلى صِنْوه الحسين بوصُولهُ إليه ، وكانَ مُستَقرّاً في صيح[٣] ، فَوصَل إلى صِنْوه الحسن إلى مسيَب ، فاستَقَرَّ مقدَار أربَعةِ أيامٍ وعَزَمُوا على قَصدِ أَهلِ كَوْكَبان إلى مَحطَّة الورد وهو مَوضِعٌ في ضلع كَوْكَبان فِيها الأَمير عبد الرب بن علي بن شمس الدين في عَسكَر مِن البَاسليَّة وَقَد أَمدَّهُ البَاشَا حيدر مع الأَمير ناصر الحبشي بِهؤلاءِ البَاسليَّة وهُم زُبدَةُ عَسكَر السَّلطَنة ، وإليهم في المَحطَّة عَسكَر كَوْكَبان وكانُوا أَحابيسَ الطِّعَان ، فَعزَمَ ولدي الإمَام على قَصدِ هَذهِ المَحطَّة ، ولم يَعلَم أَحَدٌ بِمَا عَزمَا عَليه ، ورَجعَ الحسين إلى صيح في أول شهرِ رَجَب مِن سَنَة ستة وثلاثين وألف ورَجعَ الحسن إلى حُدودِ صَنْعَاء كُل ذلك تَعميَةً لِئلاَّ يَظهَر قَصدُهُم ، وأمَّا أحمد بن القاسم فَإنَّهُ تَوجَّه بِمَجمُوعة وَسط نَحو خَمرْ ، وجَبلِ عِيَال يَزيد ، ووَاجَهَت إليه تلك البِلاد ، حتَّى وَصَل عَمْران وَفِيها عُمر كيخيَا البَاشَا حيدر في جَمعٍ وافِر فَحطَّ أحمد بن الإمَام على عَمْران ، وأَرسَلَ السَّيِّد عبدالله ابن عامِر إلى حَضُور الشَّيخ وثلا ، فَواجَهَت إلَيه تلك البِلاد ،ثُم إنَّ الأَمير صَفَر[٤]

---

[١] – قلعة الذراع : (الذراع) ، لعلها القرية الموجودة في جبل الدافع في منطقة السياني من أعمال إب .

[٢] – مَسيب : قرية في منطقة بني مطر من أعمال صنعاء ، نسبت إلى مسيب بن زيد بن عوف .

[٣] – صيح : لعل المقصود هو الوادي المسمى وادي صيح من أعمال المحويت إلى الغرب من صنعاء .

[٤] – صفر : الصواب سفر وردت محرفة .

جَمعَ الأَجنَاد ، واستَعادَ مَدينَة ثلا وانهَزَم السَّيِّد عبدالله بن عامر ، وأَحمد بن القاسم بَاقٍ على مُحاصَرةِ عَمْران ، وَقَد وَجَّه الإِمَام رُؤسَاءً إلى بلاد حَجَّة وكُحْلان ، فَواجَه السَّيِّد الهادي بن الحسن بن شرف الدين إلى أصْحَاب الإِمَام ، وفي آخر شهرِ رَجَب من السَّنة المَذكُورة كانَت وَقعَة الورد وَقَد ذَكرنا اجتمَاع ولَدَي الإِمَام في مسْيَب وتَفَرَّقا على قَصدِ هَذه المَحطَّة ، وبعد ستة أيامٍ وَصَل الحسن بمَجمُوعَته إلى الأَهجُر .

ثُم اجتَمعَ هو وصِنْوه الحسين وسَارُوا في الليل حتَّى صَبحُوا مَحطَّة بيت الورد شُروقَ الشَّمس وهُم غَافلُون فَحمَلَ ولدا الإِمَام ، فَفرَّ الأَمير عبد الرب على أَعنَاقِ عَبيدِه إلى حصن بكر[1] ، وبَعض الأُمراءِ إلى الطَّويلَة ، وأُحيطَ بالبَاقين قَتلاً وأَسراً ، وبَعدَ أن فَرغُوا من هذه الوَقعَة تقَدَّم ولدا الإِمَام إلى بركَة الخلب[2] ، ورَمَت البَنادق من هُنالك ، فَلَم يَلبَث الحسن حتَّى وصَلهُ مَكتُوبٌ من الأَمير عبد الرب يَبذلُ المُواجهَة ويَطلُب الأَمان ، ثُم خَرجَ إلى حَضْرَة الحسن والحسين وهُما في بركة الغرانق[3] ، ثُم اتَّفقَ الرَّأيُ واتَّحدَت الكَلمَة أن يَكُون الدُّخُول إلى كَوْكَبان يَداً بيَد ، ثُم دَخَلوا كَوْكَبان واتَّحدَ الأَمرُ بَينهُم ، وتَجهَّزَ الحسين إلى ثلا فَصادَفَ وُصُول أحمد بن الإِمَام ، فَدَخلا على الأَمير صَفَر واستَسلَم إليهما ، وعَزَم إلى حَضْرَة الإِمَام بنَظرِ أحمد بن القاسم ، ثُم واجَهَ الأَمير عمر الكيخيا ، وخَرجَ إلى صَنْعَاء بأَمَان ، ثُم تَوجَّه إلى خَولان إلى جِهَة صَنْعَاء فَتقَدَّم الحسين إلى بلاد هَمْدان فَتلَقَّاهُ الدعاة الأَمير إبراهيم الدَّاعي[4] ، والأَمير جعفر إلى ضلاع مُواجِهين ، ثُم تَبعَهُ الحسن والأَمير عبد الرب وأَهل كَوْكَبان ، فَدخَلُوا حِصنَ طَيبَة ، ثُم أَصبَحُوا سَائِرين إلى حَدَّة واستَقرُّوا فيها ، وَدَخل الرَّوضَة

---

(1) – حصن بكر : حصن في منطقة شبام كوكبان توفي فيه الإمَام عبد الله بن حمزة قبل أن ينقل إلى ظفار داود فيما بعد .

(2) – بركة الخلب : مِن حُصون منطقة المصانع القريبة مِن بلدة ثلا وهو الآن خرائب .

(3) – بركة الغرانق : حصن وبلدة مِن أعمال حَجَّة ، وتعرف اليوم بالغرانيق .

(4) – الأمير إبراهيم الداعي : مِن الباطنية الإسماعيلية.

السَّيِّد محمد بن أحمد بن الإمَام الحسن بن علي ، وأمَّا أحمد بن القاسم فإنَّه بَعدَما استَولى على عَمْران ، وإخوَتُه في حَدَّة بَلَغهُ خلاف هَمْدان وهَربَ الأَمير جعفر إلى صَنْعَاء ، فَتوَجَّه على هَمْدان بِمَن لَدَيه من الجُمُوع ، والحسنين وثَبا بمَن مَعهُمَا إلى الجِّرَاف لَيلاً لِيقطَعُوا على عَسكَر السُّلطان الطَّرِيق إلى هَمْدان ، لئلاَّ يَمدُّوهُم بعَسكَر ، وَقَد كَانَت خَرجَت شِرذِمةٌ مِن عَسكَر السُّلطان إلى قَريَة الجَّاهليَّة[1] ، فَجرَت حَربٌ عَظيمَة بُكرَة ذلك اليّوم ، فاستَولى أحمد بن القاسم على بِلاد هَمْدان ، وعَادَت إلى الطَّاعَة لأولاد الإمَام ، وعَادَ الحسن إلى حَدَّة ، لأَنَّ الأَمير عبد الرب باقياً فِيها عَن أَمرِ الحسن والحسين ، ثُمَّ عَزَم إلى أرْتل[2] ، وعُقَيبَ رُجُوعِ الحسن إلى حَدَّة وهو أول شَهرِ شَعبان وَصَلَ الأَمير سنبل إلى أولاد الإمَام مُواجِهاً بَعدَ مُكاتَبة جرَت بَينهُم ، وكانَ خَائفاً من البَاشَا حيدر بَعدَ هَزِيمَته من الذراع كَونَهُ تَوعَّدهُ ، فَمالَ إلى أولاد الإمَام ، وكانَت إلَيه ولايَةُ ذَمار وبِلادِها وجِهَةَ وُصَاب وعُتمَة وكانَ لِوصُولهُ مَوقِعٌ عَظِيم ، ووَاجَه أَيضاً الأَمير الحسين بن محمد الحَمزي وكانَ مِن الأُمرَاءِ الكِبَار مع البَاشَا حيدر ، وأَرسَلَهُ أَميراً على مَحطَّة غيمان[3] من بِلاد بني بَهلُول ، فَلمَّا رأى النَّاس قَد اجتَمَعُوا على مُوالاة أولاد الإمَام كَاتَبَ وأَرسَلَ إلى الإمَام بإشعَارٍ ومُكاتَبة تَركتُهَا اختِصَاراً .

ثُم وَصَل إلى حَضْرَة الحسن فأَرسَلَهُ إلى اليَمَن الأَسفَل لاستِفتَاحه فاستَفتَحهُ ، ثُم حَصلَت منهُ تَخبُّطَاتٌ على أَهلِ اليَمَن ، فَخالَفُوا عليه واستَدعُوا عَسكَراً من تَعز ، فارتَاعَ الأَمير سنبل ، فَلمَّا بَلَغ الحسن ما وَقعَ نَهضَ بِنفسه من حَدَّة ، واستَخلَف أَخاهُ الحسين في حَدَّة ، وأحمد في الرَّوضَة فاستَفتَحَ اليَمَن جَميعَهُ ، حتَّى وَصَل قُربَ تعز ،

---

[1] – قرية الجاهلية : مِن قرى هَمْدان قرب صنعاء من مخلاف مشرق جهران ، ذكرها القاضي الحجري في معجمه .

[2] – أرْتل : بسكون الراء وكسر التاء ، قرية إلى الجنوب الغربي مِن صنعاء بمسافة قريبة ، ذكرها ياقوت في معجمه .

[3] – غيمان : بلدة مشهورة في بني بهلول إلى الشرق مِن صنعاء عَلَى مسافة مرحلة ، فيها قبور لبعض ملوك حمير .

وحَصلت بَينَهُ وبين عَسكَر السُّلطان في اليَمَن حُروب كَثِيرة ، مِثلَ قَتلَة رَاس[1] وهو جَبلٌ بِالقُرب مِن تَعز قُتِلَ فِيها قَدر خمسمائة، وتقَدَّم حتَّى حَاصَرَ تَعز ، وَفِيها علي أغا، مِن كِبارِ الأُمَراء.

ودخَلَت سَنة سبع وثلاثين وألف وهو مُحاصِرٌ لها ، وفي غُرَّة شهرِ رمضان طَلَب البَاشَا حيدر هُدنَةً وأَجابَهُ الإِمَام إليها وَكَتَب إلى أَخويهِ بِرَفعِ الحِصارِ عن صَنْعَاء وتَعز .

وفي أول السَّنة الثامنة والثلاثين نَهضَ الحسين إلى الحَيْمَة لاستخلاصِ حُقوقٍ ، فاعتَرضَهُ القَاضِي يحيى المِخلافي ، وجَرَت بَينَهُ وبين الحسين حَربٌ آلَت إلى فِرَارِه إلى بِلاد خَولان.

ثُم حَصلَ الصُّلح بين البَاشَا حيدر والإمام على خُرُوجِ البَاشَا حيدر مِن صَنْعَاء ، وأَرسَلَ وَلَدهُ علي بن المُؤيَّد والقَاضِي عامِر الذَّماري إلى صَنْعَاء فَتَوَجه البَاشَا حيدر إلى تِهَامَة ، و سَايَرهُ ابن الإِمَام حتَّى وَصَل حَدَّ بلاد السُّلطان ورَجعَ مِن حُدودِ تِهَامَة في شهرِ رَجَب مِن السَّنة المَذكُورة سَنة ثمان وثلاثين وألف ، وتَولَّى صَنْعَاء علي بن الإِمَام المُؤيَّد مِن هذا التَّاريخ .

وأمَّا أَخبَارُ الحسن بن الإِمَام في تَعز ، فَإنَّه لَّما وَصَل البَاشَا آبدين[2] إلى بَنْدر المَخا ، مُتَولياً لليمن في خِلالِ الهُدنَة ، فَلمَّا عَرف الأَحوال تَوقَّفَ في المَخا ، ووجَّهَ أَعيانَاً من أصْحَابه إلى تَعز في خَزائِنٍ ومَدافِعٍ وأَموَال ، وكانَ الحسن في دِمْنَة خَدِيْر[3] فَلمَّا بَلَغه وصُول العَسكَر أَغَارَ عَليهِم فَلقِيَهُم في نَجدِ قسنم[4] بالقُربِ مِن يَفرُسْ[5] فَأحَاطَ بِهم

(1) – جبل رَاس : جبل و (مديرية) من أعمال الحديدة ، بالشرق الجنوبي من زبيد .

(2) – آبدين : المقصود عابدين ، باللهجة التهامية ، ينطقون العين ألفاً .

(3) – خَديْر : منطقة واسعة إلى الجنوب الغربي من مدينة تعز بمسافة ٣٥ كم ، عَلَى الطريق الواصلة إلى عدن مروراً ببلدة الراهدة ، وعاصمتها مدينة (الدمْنَة) المعروفة بـــ(دمْنَة خَديْر)سكنها المشائخ آل السَّلمي .

(4) – نجد قسنم : لعله نجد آل قَسَم بعد وادي الضباب إلى الجنوب من تعز .

(5) – يَفْرُسْ : مدينة كبيرة في المعافر (الحجرية) بالغرب الجنوبي من تعز بمسافة ٢٣كم ، فيها قبر أحمد بن علوان رحمه الله .

قَتلاً وأَسراً ، وأَخذَ تِلكَ الخَزائِن حتَّى مَلأَت أَيدِي أَصْحَابه ، ثُمَّ عادَ إلى مُحاصَرَة تَعز ، فاستَولى عَليهَا في شَوَّال مِن سَنة ثمان وثلاثين وألف ، وأَخرَج مَن فِيها مِن الأَغوَات ، وأرْسَلهُم إلى الإمَام وبَقي مُتردِّداً في اليَمَن الأسفل ، حتَّى بَلَغهُ خُروج البَاشَا قَانصُوه ، في أَجنادٍ واسِعَة فَرجفَت قُلُوب أَهلِ اليَمَن لِعظَمِ هذا التَّجهيز ، فاستَولى البَاشَا قَانصُوه على التَّهائِم ، والحسن طَلعَ مِن اليَمَن واتَّفَقَ بِأَصناه[1] الحسين وأحمد .

والبَاشَا قَانصُوه لَمَّا استَولى على التَّهائِم قَتَل البَاشَا آبدين الذي وَصَل قَبلَهُ إلى المَخا ، وكانَ آبدين قَد قَبضَ على البَاشَا حيدر وأَرسَلَهُ إلى زَيلَع مَسجُوناً فَاحتَجَّ عليه البَاشَا قَانصُوه بِذلك وقَتَلَهُ واستَصفَى أَموَالهُ ، وَقَد كانَ حِين وصُولِهُ مَكَّة المُشرَّفَة قَتَل الشَّرِيف أحمد بن عبد المطلب شَرِيف مَكَّة وأسَرَ الشَّرِيف الحارث ، وأَخرَجهُ مَعهُ إلى اليَمَن ثُم بَرزَ البَاشَا قَانصُوه إلى حيس ، وتَوجَّه الحسين بن الإمَام إلى وُصَاب لِمَعرِفة أين مَقصدُ البَاشَا قَانصُوه ، ثُم بَلَغه أن البَاشَا تَوجَّه نَحو اليَمَن الأسفل ، فَأسرَعَ الحسين السَّيرَ في يومين ، ثُم سَارَ في الليل إلى تَعز للإتفَاقِ بِصنْوه الحسن ، ثُم بَلَغ الخَبَر إلى أجناد السَّلطَنة متَوجَهة إلى تَعز وأَنهُم قَد صَاروا في نَجد الدَّار[2] ، فَنَهضَ الحسين ولقى صِنْوه الحسن إلى الزَّغارِير[3] ، ثُم وصَلَت أَجنادُ السَّلطَنة إلى مَحلٍ يُقال لهُ "الشَّيخ عيسى"[4] والتَقاهُم عِيالُ الإمَام فبَلَغ جُندَ السُّلطان وكَانُوا قَد طَلَعوا بِأَجمَعهِم وهُم جُموعٌ هَائِلَة عَليهِم يوسف كِيخيَا والبَاشَا قَانصُوه فَجرَّدُوا طَرِيق نَجد مخيرب[5]

---

(1) – بأصناه : الصنو ، الأخ .

(2) – نجد الدار : في بلاد الصبيحة .

(3) – الزغارير : إلى الغرب من تعز .

(4) – الشيخ عيسى : في بلاد الأقحون عقبة ، وإسم القرية البطنة وبها قبة الشيخ عيسى ومحل آخر في رسيان بعزلة الأحشوب في الزغارير يسمى الشيخ عيسى ، من هامش الأصل .

(5) – نجد مخيرب : منطقة شمال تعز ، في الجانب الغربي ما بين الشحنة والدعيسة ، من هامش الأصل .

، فَلقِيَهُم الأَمير سنبل بِحَرب عَظِيم فتحَيَّرُوا حتَّى وَصَل الحسين بن الإمَام إلى الأَمير سنبل والحسن تَوجَّه على الذي في الشَّيخ عيسى ، وَقَد أبقُوا فيه الأَمير عابدين[1] بالَمحطَّة ، فاستَولى الحسن على الذي في الشَّيخ عيسى قَتلاً وأَسراً ، وقَتَل الأَمير عَابدين والأَمير مُصطفى .

ثُم تَوجَّه الحسن إلى مخيرب مع أَخيه الحسين والأَمير سنبل وتَراكَزَ الجَمعَان شهر رمضان ، فَوصَلَت قَبيلَةُ الحَدا إلى نَجد في ثاني شهرِ شَوَّال ، وأَرَاد الحسن يُعَين لَهُم مَطرَحاً ، فَقالُوا لهُ إن الحَدا بَدو[2] ، ما هُم حَق مَراكِز وحَملُوا بَغتَةً على مَن في النَّجد، فَلمَّا رأى الحسن ذلك أَمرَ الأُمرَاء أن يُمدُّوهُم ، وأن يَحملَ كُل واحدٍ من جهَته ، فانهَزَم الكيخيا يوسف والأَمير عمر وأُخذَت مَحطَّته وقُتل أَكثَرُ مَن فيها .

قيلَ أن القَتلى قَدر ستة آلاف قَتيل ، وأُخذَت البَنَادق والخيل والجِمَال والخيَام والَمدافع .

وهَذه الوَقعَة كانَت هي الُمزيلَة للدَّولَة العُثْمَانية من اليَمَن في تلكَ الُمدَّة ، فَلمَّا عادَ الكيخيا يوسف إلى حيس ، فَرَّ البَاشَا قَانصُوه إلى الَمخا ، وأَرسَلَ يَطلُب الهُدنَة ، فَأسعَدَهُ الحسن وعَادَ الحسين إلى صَنْعَاء ، فَدَخلَها في شهرِ شَوَّال من تسعة وثلاثين وألف .

وفي سَنَة أربعين وألف ، طَلعَ الحسن إلى صَنْعَاء في الهُدنَة ، في جُموعٍ عَظيمَة ثُم رَحلَ إلى شُهَارة حَضْرَة الإمَام الُمؤَيَّد هو وصِنْوه أحمد بن القاسم وبَقيَ في شُهَارة قَدر شَهرَين ، ثُم رحل إلى الغرَاس[3] تَحتَ حِصن ذي مَرْمَر .

---

[1] – عابدين : ذكر قبل قليل بلهجة أهل تهامة (آبدين).

[2] – بدو : أراد أن أهل الحدا (بدو ، أعراب) وليسو أهل إدارة .

[3] – الغراس: منطقة أثرية أسفل حصن ذي مرمر إلى الشمال الغربي من صنعاء والنسبة غراسي .

ثُم طَلع كَوْكَبان وتَزوّج هُنالك بنت الأَمِير عبد الرب بن علي بن شمس الدين ، وهي أُمُّ ولَده حسين بن الحسن ، وتأهَّلَ أَخُوه يحيى بن الإِمَام هنالك وبَقي الحسن قَدرَ شَهرَين ، ثُم تَوجَّه إلى جَبل ضُوْرَان ، فَأَمرَ بعمَارَته وتَشييده بالمَبَاني فيه ، والحسين وَصَل بيت ردم [1]، وعمَّر حِصنَهَا المَعرُوف ، ثُم وَصَل إلى صِنْوه الحسن ، واشتَرَكا في عِمارَة الدَّامغ[2] .

ثُم تَوجَّه أولاد الإِمَام الحسن والحسين وإسماعيل ويحيى إلى بِلاد رَدَاع والمَشَارِق ، وعَادُوا إلى صَنْعَاء ، وَقَد واجَهَت وثَبَت العُمَّال فِيها .

وفي سَنة ثلاث وأربعين وألف تَوجَّه الحسن إلى تَهَامَة لَمَّا بَلَغه أن البَاشَا قَانصُوه جَهَّز على عَدَن ، وَقَد كانَ صَاحِبُها الأَمِير عبد القادر مُنتَمياً إلى الإِمَام وأَصنَاه ومُتَولياً مِن جِهَتِهم وكذلك جَهَّز إلى جَازان وأخرَج الوَالِي مِن الأَشرَاف ، وَقَد صَاروا مِن جِهَة الإِمَام ، وكُلُّ ذلك أيامِ الصُّلح كَما ذَكَر صَاحِب السِّيرة فَنزَل الحسن في جَمعٍ كَثير فَوقَ عَشرَةِ آلاف ، في رَجَب مِن السَّنة المَذكُورة ، فَجاءَتَ طَرِيقهُ بلاد آنس وأَسفَال رِيْمَة ، حتَّى وَصَل بَيت الفَقيه والزَّيديَّة خامس عشر مِن شَعبان ، وحِين بَلَغ جُمُوع عَسكَر السَّلطَنة تَوجُّهَهُ عَليهِم ارتَفعُوا مِن تَهَامَة جَميعها إلى زَبيد والمَخا ، فَولِيَ الحسن تَهَامَة وبَنادِرَهَا مِن غَيرِ قِتَال ، ثُم حَطَّ في المَخا على مِيلَين مِن زَبيد ثُم وَجَّه الشَّيخ علي شَمسَان إلى حيس ، واستَولى عَليهَا ، وخَرجَ مَن كانَ فِيها ، والأَمير سنبل استَقرَّ في القَريَة ، واتَّفقَت حُروب عَظيمَة ، وكانَت سِجَالاً وأدوالاً ، وتقَدَّم الأَمير شمس الدين ابن يحيى بن علي بن شمس الدين بن الإِمَام شرف الدين إلى مَحلٍ يُقالُ لهُ المظفرية[3] ، ما بين المَخا وموزع ، فَخرَج إليه الأَمير مُصطفى مِن المَخا يَوم عِيد الفطر ، وأَحاطَ

---

[1] – بيت ردم : حصن وقرية في منطقة بني مطر من أعمال صنعاء .

[2] – الدَّامِغ : بالغين المعجمة ، حصن معروف في جبل الأزد من أعمال صَعْدة .

[3] – المظفرية : سميت نسبة إلى المدرسة المظفرية ، والتي بناها الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي .

بِمَحطَّته ، وقَتَل الأَمير شمس الدين ومَن مَعهُ جَميعاً ، ما سَلِمَ إلا الأَمير هادي بن مطهر الشَّويع قَاتَل عن نَفسه حتَّى نَجا ، وأخَذَ مُصطفى أَثقَال أَهلِ المظفرية ، وقَد كانَ لهذه الوَقعة مَوقِعٌ عَظيم ، وارتَجَفَ مَن مع ابن الإمَام ، فأَغَارَ الحسين بَعدَ هَذه الوَقعة ، وأَغَار صِنْوه يحيى ويوسف عند الإمَام بجُموعٍ كَثيرة ، ووَصَلُوا عند الحسن مَحطَّة الحما[1] ، وجَمعَ أحمد بن الإمَام جُموعاً كَثيرة ، ووَصلَ إلى ذَمار فعرَّفهُ صِنْوه الحسن يَبقَى في ذَمار مُمدَّاً لما يَحتَاجُ إليه ، ولأجلِ أهلِ المشرق لا يَحصُل مِنهُم خِلافٌ واعتِداءٌ في الطَّرِيق .

وبعد اجتِماعِ الجُيُوش في الحما بَلَغ الحسن أن مُصطفى خَرَجَ مِن المَخا في جُموعِه ومَعهُ مَدفَعان عَظيمان وقَافلةٌ كَبيرة ومَددٌ لمَن في زَبيد ، فَخَرج الحسن في الليل فالتَقَوا في وادي النَّخيل[2] فَظَفر الحسن بالمدفَعين والحُمُولَة وقَتَل مَن مَعهَا أَجمَع ، ولم يَنجُ إلا مُصطفي بِنفسه في ثلاث أنفَار ، وصَلُوا زَبيد وجَرَّ المدفَعان بالبَقَر الزَّبيديَّة[3] .

وفي غُرَّة جُمَادى الأولى مِن سَنة أربع وأَربَعين وألف حَصلَت هُدنَةٌ بين البَاشَا وأولاد الإمَام ثلاثة أَشهُر ثُم أتبَعَ شهرَ رمضان ، وفي خِلالِهَا خَرجَ البَاشَا وجُنودُه على الأَمير سنبل إلى القَريَة ، وحَصلَت واقعَة عَظيمَة قُتل فيها السَّيِّد الهادي بن علي الشَّامي ــ من كِبَار الرُّؤساء ــ وآخرون ، وفي هذه الهُدنَة حَصلَ في مَحطَّة الحسن مَرضٌ مِن الحُمَّى والوَبَاء ، ومَرِضَ جَميعُ مَن في المَحطَّة ، وماتَ كَثير مِن أصْحَاب الحسن ، مِنهُم يوسف بن الإمَام ، ويحيى طَلعَ مَريضاً وتوفي في صَنْعَاء ، والحسن بن علي بن القاسم طَلعَ صَحيحاً وتوفي في ضُوْرَان ولم يَسلَم مِن المَرَض إلا القَليل والحسن مَرِض ولَكنَّه كانَ يَخرُج ويَأمرُ بما يُريد ، ولما انقَضَت الهُدنَة آخر شهرِ رمضان أَعادَ الحِصار على

---

[1] – محطة الحما : بلدة في منطقة بني الحارث إلى الشمال من صنعاء والمنطقة فيها آثار قديمة .

[2] – وادي النخيل : في سهل تهامة .

[3] – البقر الزبيدية : الثيران التي تجر المدافع كانت من أبقار زبيد .

زَبيد ، وأصْحَاب أولاد الإمَام في غَايَة الرِّكَّة والضُّعف من المَرَض ، وكانَ البَاشَا قَانصُوه يُحاوِل المُهادَنَة ويُخرِجُ الشَّرِيف حسين الأهدل يَطلُب ذلك ، فَيُساعِدُه الحسن ، وآخِرَ الأَمرِ عَقَدُوا هُدنَةً على كُرهٍ مِن الحسن ، ولكنَّهُم كَتبُوا إلى الإمَام فَأجابَهُم وَكَتبَ إلى أخويه بِصُلح سَنة كَامِلَة فَلَم يَسعهُم مُخالَفته ، وَقَد ضَاقَ بهم المَقَام وكانَ ابتَداءُ الصُّلح مِن مُحرَّم سَنة خمس وأربعين وألف ، فَلَم يَشعُر الحسن بن الإمَام في سَادِس شهرِ صَفَر في سَنة خمس وأربعين وألف إلا بوصُول البَاشَا قَانصُوه طَرَف المَحطَّة في خَمسةٍ مِن العَبِيد ، فَلقِيَهُ الحسن وآنَسهُ وزَادَ في إكرَامه غَايَة الإكرَام ، وذلك أنَّه نَفِدَ ما في يَدِه وأَلَحَّ عليه العَسكَر وأَرادُوا قَتلَهُ ففرَّ منهُم خَائفاً ، فتلقَّاهُ الحسن بِكلِّ ما يُحِب ، وبَقيَ لَديه مقدَارَ شَهرٍ ، وجَهَّزَهُ الجِّهازَات العَظِيمة ، قِيلَ أنَّه أَعطَاهُ ثلاثة لكوك[1] مِن الرِّيالاتِ والذَّهب ، وأَعطاهُ خَيلاً وجِمَالاً وخِيامَاً وآلات السَّفَر ، ورَحَل في أول شهرِ رَبيع الآخرة وَقَد أَراشَهُ وأَرسَلَ مَعهُ جُنُوداً يُوصِلُونَه إلى جَازان وبَقِي الأَمير مُصطفى على الأَجنَاد إلى شهرِ رَجَب مِن سَنة خمس وأربعين وألف والحسن انتَقَل بَعدَ خُروجِ البَاشَا إلى المنجيَة[2] .

ثُم طَلَبَ مُصطفى الصُّلح وعَزمه إلى الدِّيَار المِصريَّة بالأَجنَاد الذين مَعهُ ، وطَلَبَ مِن الحسن ما يَحتَاجُ إلَيه فَأَجَابهُ وأَعطَاهُ عَطاءً واسِعاً ، ورَحَل إلى المَخا ثُم رَكِبَ مَنهُ إلى البَحر .

وَدَخَل الحسن زَبيد في أول شَعبان مِن سَنة خمس وأربعين وألف ، وبَقي فِيها إلى آخر شهرِ رمضان ، وبَعدَ عِيدِ الفِطر عَزم الحسن إلى المَخا وقَرَّرَ قَواعِدهَا ، وجَعلَ فِيها عامِلاً [هو][3] مَملُوكُه سعيد ريحان وجَعلَ ولاية زَبيد وبيت الفَقيه بن عجيل إلى

---

[1] – لكوك : ثلاث لكوك ، ثلاثمائة ألف ريالات ذهبية ، اللّك = ١٠٠,٠٠٠ .

[2] – المنجية : لعلها من أعمال المخلاف السليماني .

[3] – [هو] : زيادة لم ترد في المطبوع والمخطوط ، ليستقيم المعنى .

السَّيِّد العَلاَّمة هاشم بن حازم بن أبي نُمَي أَحدَ الرُّؤسَاء وكانَ وَصَل إلى المُؤيَّد يَطلُب العلم .

ثُم وجَّههُ إلى أَخيه الحسن ، فَتولَّى التَّهائم وقَرَّرهُ الوِلاية في سَائر التَّهائم وتَوجَّه إلى العود[1] ثُم إلى الدَّامِغ فَوَصَل إلَيه آخر شهرِ ذي القعدة من سَنة خمس وأربعين وألف ، وَقَد نَفذَت جمالهُ وخَيلهُ بعطايَاهُ الوَاسعَة ومَواهبه الجَّامعَة ، فإنَّه كانَ أَكرَم مِن البَحْرِ الزَّاخرِ ، ولهُ حكاياتٌ في الجُّودِ يَخرُج بنا ذكرُها عن المَقصُود .

وفي سَنة ست وأربعين وألف ، كَتَبَ المُؤيَّد إلى أصناه رِسالَةً تُكتَبُ مِن العُيون بالسَّوَاد ، وتُفدَى مِن المُهجَة بسُويدَاءِ الأَكبَاد ، يَليقُ بكُلِّ أَمِير ومَأمُورٍ أن لا يُفارقَها في سَفرٍ ولا حَضَر ، يَحثُّ فيها على التَّواضُعِ وتَرك المَناهي مِن التَّطاوُل وشُكرِ النِّعمَة وحُسن السِّيرَة في الرَّعيَّة وإِعطاءِ ذَوي الحُقوقِ الحُقُوق والنَّهي عن الإستبدَاد والعُقُوق ، ولَولا طُولُها لَذَكرتُها ولكن الشَّرطَ الإختِصَار وذِكرُ ما نَحنُ بِصَدده مِن التَّسيير .

وفي سَنة سبع وأربعين وألف إرتَحَل المَلكانَ الحسن والحسين ، مِن ضُوْرَان متَوجِّهَين إلى صَنْعَاء اليَمَن في أُبَّهَةٍ حَيدَريَّة ومَملَكةٍ رُوميَّة ، وجُموعٍ تَندَكُّ لَها الشمُّ العَوَالي وخُيولٌ كالسَّعالى[2] ، وتَلقَّاهُم مَن بصَنْعَاء مِن عَسكَر الأَرْوَام ، فَدخَلُوها في وَقت مَسعُود، وطَالِعٍ أَغَرّ وكانَ يَوماً مَشهُوداً إبتَهَر[3] لهُ عَسكَر الأَرْوَام الذين رَغِبُوا إلى خدمَة الإِمَام .

ولَمَّا قَرَّ قَرارُهُم بصَنْعَاء إنفَصَل الحسن إلى رَوضَة حاتم البهيَّة بمَن مَعهُ مِن القُوَّاد والأَتابكَة ورَجعَ الحسين إلى ضُوْرَان ، وأَحيَا مَعالمَها بعُلومه وأَعلامِ حصَّته مِن الزَّمان ، ولما استَقرَّ حالُ المُؤيَّد بالله بضَبط مَملَكةِ اليَمَن وقَوَى جانبُها بمَهابَة أَخوَيه وقُوَّتهم

---

[1] – العود : جبل عظيم ومخلاف واسع في منطقة النادرة من أعمال إب .

[2] – السعالي : سعل سعلاً ، نشط .

[3] – ابتهر : بهر ، غاية الإعجاب ، زيادة في الإعجاب .

الحسن والحسين إنقطعَ إرسَالُ البُوش السُّلطانيَّة إلى اليَمَن لأنَّه إنضَافَ إلى ذلك اشتغالُ السُّلطان مُراد بن أحمد بن محمد بن مُراد باستدرَاك العراق من يدي سُلْطان العَجَم الشَّاه عباس بَعدَ مُتابَعة المِراس وائتلاف النَّفائس والأنفَاس، ولَمَّا اقتَعدَ أَخُوه السُّلطان إبراهيم بن أحمد كُرسيَّ مُلكه العَقيم[1] جَنحَ إلى سَدِّ هذا البَاب ، وإطفَاء سَعير الحُرُوب والحِرَاب ، واشتَغَلَ ببقيَّة أعمالِ العراق ، وطَرَد الشَّاه عَنهُ واستَقرَّ دُخولهُ في قَاعدة مَملَكة سُلْطان الإسلام ، وَقَد صَحَّ عن البَاشَا قَانصُوه ما يفْهِمُ اضطِرَابَ السُّلطان من اليَمَن ، فإنَّه لَمَّا فَرَّ إلى سُلْطان اليَمَن الحسن ـــ كَما قَدَّمنا ـــ ورأى مِن الحسن الإحسان الذي ليس عَليه مَزيد ، صَرَّح بالقَول ما مَعنَاه وقال : أنا الذي اختَرتُ الخُروجَ إلى اليَمَن وكُنتُ نَائباً في مصر ، وحِين رَأيتُ كَثرةَ أموالي طَمعتُ فَتحَمَّلتُ مَؤُونَة العَساكِر الرُّوميَّة مِن مَالي ، وأمَّا السُّلطان فَهو مُشتَغلٌ بِالعِرَاق وما لهُ نِيَّةٌ على الخُروج .

وفي هذه السَّنة عادَ الحسن إلى مُستَقرِّ مُلكه "ضُوْرَان" وأَطَال فِيه البُنيَان ، وكانَ أَكرَمُ مِن الغَيثِ الهَامِع[2] ، ولا أَقُول كالرَّسمِ الجَّامِع ومع استقرَارِه أَمِنَت قَبائل تلك الجِّهَة ، وكانَت الحَدا قَد أخلَتهَا عن تلك السَّاحَات ، واستَولَت على أَكثَرِ أموالها غَصباً ونَهباً .

وفي هذا العام إجتَمعَ الحسن والحسين بِضُوْرَان ، مع أن الحسين كانَ يَترَدَّدُ إلى وادي النَّايحة[3] ، وصَافيَة ذي بهلان[4] ، ولم يَكُن خَاطرهُ بِمحلٍ مِن الإطمِئنَانِ لِعوارِضٍ بَينَهُ وبين الإمَام المُؤيَّد .

---

[1] ـ العقيم : المتهاوي ، لا أمل له باستمراره .

[2] ـ الغيث الهامع : قال إبن منظور: همع يهمع همعاً ، همعت عينه إذا سالت دموعها ، وسحاب همع (سحاب ماطر) .

[3] ـ وادي النايحة : لم أجدها ، ولعلها الناحية من بلاد وصاب العالي ، إلى الغرب من ذَمار ، (خطأ من الناسخ) .

[4] ـ صافية ذي بهلان : بهلان : مزارع إلى الشمال الغربي مِن ضوران .

وَفِيها وَفَد على الحسن بن الإِمَام ابن أَخيه الحسين بن المُؤيَّد يَشكُو تَقاصُرِ مَوادِّه وقلَّة أَعدَاده وإمدَاده ، لعظِيم احتِياطِ والِدِه الإمَام المُؤيَّد في حَالِ مثلهُ ، فَأمَرَ الحسنُ المُدَفترَ[1] بإدخَالِه في زُمرَة الأُمرَاء ، وأَجرَى عَليهِم الرِّزقَ ما يَفُوتُ حَصر الحَاصِرِ ، ولازَمَ حَضْرَة بَابه ، وأَخذَ في الخِدمَة بِركَابه ، ولم يُفارِقهُ إلى أن فَارقَ الحسنِ الحَياة ؛ ثُم عادَ إلى والده وعَليهَا أَحسنُ الشَّارَات .

وفي سَنة ثمان وأربعين وألف وَصَل إلى الحسن السَّيِّد طاهر المَغربي المَكِّي ، وأَهــدَى إلَيه مُختَصراً من كِتَاب الجفر[2] ، فَقابَلهُ الحسن بالإِكرَام والفِعلِ الحسن ، وخَلَع عليه الخِلَع الفَاخِرة ، وأَجرَى عليه الأَرزَاق المُتَكاثِرَة ، وجَهَّزهُ بكَثِير من المَال ، قيلَ إنَّها قَدر مائة ألف ريال ، خَارج عن الخَيلِ والجِّمال ، كَونَهُ من أَبناءِ مُلوكِ فَارس وكانَ أَعمَامُه قَد أَخرَجُوه عن مَملَكة أَبيه ، فَرجِعَ واستَعادَهَا كَما ذَكَرنا في بَعضِ التَّوارِيخ واللهُ أعلم .

وفي شَوَّال من هذه السَّنة تُوفي الحسن بن الإمَام بالحِصن من ضُوْرَان وحَضَر وفاته صِنْوه الحسين رحمهما الله ، وكانَ عمر الحسن إحدى وخمسون سَنة ، وكانَ عندهُ وَلَدُه أحمد بن الحسن بأوَّل البُلوغِ ، وكانَ ولدُه محمد بن الحسن وهو الكَبِير نَائباً في صَعْدة فوَصَل لزِيارَة والده ثم رَحلَ قَبلَ أن يَبتَدىء المَرضُ بوالِده ، وعَزمَ إلى حَضْرَة الإمَام المُؤيَّد فبَلَغه وفَاةُ والِده ، وهو هُنالك فَرجِعَ إلى حَضْرَة عَمِّه الحسين إلى ضُوْرَان وكانَ يَظُنُّ أن الإمَام المُؤيَّد بالله سَيجعَلُ إليهما من بلاد أَبيهِما حصَّةً لمَا في وجُوهِهِمَا ، وانضَافَ أصْحَاب والِدِهما إليهما ، فاقتَضَى نَظَر الإمَام أنَّ البِلاد جَمِيعَها تصير إلى

---

[1] – المدفتر : مدير الخزانة ، مدير الأموال (المحاسب) .

[2] – كتاب الجفر : هذا الكتاب منسوب لسيدنا علي – كرم الله وجهه – ولا يصح ، وينسبه البعض إلى الإمَام جعفر الصادق ولا يصح أيضاً ، قال الإمَام محمد رشيد رضا : لا يعرف له سند إلى أمير المؤمنين وليس عَلَى النافي دليل ، وإنما يُطْلَبُ الدليل مِن مدعي الوجود ، ولا دليل لمدعي هذا الكتاب ونسبه إلى سيدنا أمير المؤمنين والكتاب بمجمله يتعلق بأمور الغيب والقادم مِن الأيام وهذه لا يعلمها أحد إلا الله .

صِنْوه الحسين ، وإليه تَدبيرُ حَاشِيتهما ، وأمَرَ ولدي أخيه بالتَّوقُف على رأي عَمِّهما الحسين ، وكانَ الحسن بن الإمَام مع شَجاعَته المَشهُورَة ونهايَة كَرمه وصَفاءِ بَاطنه وسَلامَة أحوالهُ ، وَقد أخذَ مِن العُلوم حِصَّة نَافعة ، ولهُ حَظٌّ في البَلاغَة جَيِّد ، ولهُ في حَبسِه أيامَ والِدِه وهو في أَسرِ البُوَش[1] قَصائد مَشهُورَة ، مِنهَا القَصيدة التي يَحثُّ فِيها والِدَه على الصُّلح ، والتي أولها :

مَولايَ إنَّ الصُّلحَ أعذَبُ مَوردا فَاسلُك لهُ جَـدَداً سَـوِياً أَجـرَدا[2]

رِفقاً عَدَاكَ اللَّومُ يابن مُحَمَّدٍ بالمُسلمين وعـطـفَـةً وتَــوَدُّدَا

أَرمِل دِلاءَ الحِلمِ في صَافِيَةٍ كَي تَروِي ضُمَاتَ المُسلمين عَنِ الصَّدَى[3]

وهِي طَويلَة ، ولهُ قَصائدُ أُخرَى تَركتُهَا ، ومَدَحهُ كَثيرٌ مِن الشُّعراء مِن اليَمَن والشَّام ومَكَّة ، وكانَ يُجيزُ الجَّوائزَ السَّنيَّة ، كَما ذَكرَ أَهلُ التَّاريخ .

وفي سَنة تسع وأربعين وألف استَقرَّ محمد بن الحسن بن القاسم بِذَمار بأكثرِ أَعيَان والِدِه ، ولما تَملَّحَ في القَضيَّة ووَجَدَ الإمَام قَد أَدرجَ يَدهُ في البِلاد بالمُلكيَّة وكانَ بِأَبوابِ تَدبير المَملَكَة خِريتاً[4] مَاهِراً ، لا يُدرَكُ لهُ غوراً ، ولا يُوقَفُ لهُ طَور ، إنبعَثَت هِمَّتُه إلى تَدوين أَعيَانِ والِدِه ، وأمَرَ كُلَّ رَئِيس بِضَبط ما تَحتَ يَدِه من الأَتباعِ ، وبَادَر

---

[1] – البوش : الباشوات ، ألقاب تركية والباشا يكون الوالي ويكون قائد الجيش .

[2] – جدداً : جدد : الجَدَد ، وهو السهل ، تقول العرب مَن سلك الجدد أمن العثار .

[3] – أرمل دلاء : أرمل: إملأ ،دلاء: جمع دلو ، وتروي : وردت في المطبوع "تزوي" ، والصدى : الصدأ ،سيف صدئ وقد ركبه الصدأ ويقال رجع فلان صاغراً لزمه صدأ العار واللوم ،قال الزمخشري في أساس البلاغة والمقصود ارواء الأمة بالحلم و الجود الذي يبعدهم عن مزالق الإنحراف والخطأ .

[4] – خِريتاً : بكسر الخاء ، الطبيب الماهر ، النطاسي .

إلى فَتحِ الدَّواوينِ والأَقطَاعِ وأشخَصَ نَفسَهُ للإنصَافِ بين المُتظالمين ، وقرَّبَ من قرَّبهُ والدهُ من السَّادَات والأَغوات ورُؤساءِ العَبيد ، وسَائِرِ المُعاوِنين ، وكانَ والدُه قد ضَمَّ من أَعيَانِ الدَّولَة جُملَةً يفتَتِحُ بِهم الأَماكِن العَاصِيَة ويَقتَنِصُ بها الرِّقَاب العَاتيَة ولمَّا ذَاقَ النَّاس حَلاوَةَ عَدلهُ مع ما رُزق مِن كيميَاءِ السَّعادَة وانجِذَاب خَواطِر العَالَم إليه بِمَا تَخرِقُ العَادَة ، وحَصلَ مِن آداب البِلاد ما كَادَ أن يَفِي بِأَرزَاقِ الأَجنَاد ، وتَزوَّجَ حِينَئذ بِنتَ الأَمير سنبل ، وَسَكنَ بِدَارِ أَبيها .

وأمَّا صِنْوه أحمد بن الحسين فإنَّه عادَ إلى ذي مَرْمَر والغَرَاس وعِندَهُ جُملَةٌ مِن الأَبطَالِ المَعدُودين لِيومِ النِّزَال ، وعَليهِ لَوائحُ السَّعَادَة تَلُوحُ ، وطُيُور الإِقبَالِ تَغدُو عن مَيامِنه وتَرُوح ، ثُمَّ إن عزَّ الإسلام محمد بن الحسن عندَما كَثُرَ الأَجنَادُ لَديه ، وتَضَاعَفَت النَّفقاتُ رجَّحَ أن يَتقدَّم إلى عَمِّه الحسين بِضُوْرَان ، فَوصَل إليه بِأُبَّهَةٍ مُلُوكيَّة وإشارَةٍ حَسَنيَّة ، ولاطَفهُ في أن يُفرِدَهُ ببلادٍ تَكُون إعانَةً لهُ في مَوادِ الأَجنَاد ، فَبادَرَ الحسين إلى إسعَاده ومَديداً إلى إمدَاده ، وقطعه[1] بلاد الشَّوَافي وخُبَان ، وبني سَرْحَة وتَرِيم والتَّعْكَر ، ثُم عادَ إلى ذَمار مَجبُوراً مَحبُوراً ، وأمَّا صفي الإسلام أحمد بن الحسن فَإنَّه بَعدَ ذلك تَجرَّدَ مِن ذي مَرْمَر عن أسدٍ نَافِر ، واستَقرَّ به السَّفرُ إلى حَضْرَة أَخيه محمد بن الحسن ، وكانَ شرف الإسلام الحسين قَد عَرضَ عليه ولاية وُصَاب ، فامتَثَل في المَبادي والقَبُول أَجاب ، ثُم سَخَطهَا لِحقَارَتها بالنَّظَر إلى مُكلِّفيه ، ثُم تقَدَّم أحمد بن الحسن إلى وُصَاب في شهرِ رمضان من هَذا العام ، ورَحلَ مَعهُ مَن جَنَحَ إلَيه من فُرسَان الصِّدَام ، ثُم انتَقلَ مِنهَا إلى بِلادِ عُتمَة فَخَرجَ عَنه واليهَا مِن قِبَلِ الإِمَام السَّيِّد الرئيس المُطهَّر بن محمد الجَرمُوزي ، ووَصَلَ إلى حَضْرَة الحسين وهو بجَبل ضُوْرَان ، فَرفَع الحسين الخَبر إلى الإِمَام المُؤيِّد وأَوضَحَ أن أحمد بن الحسين قَد رَفعَ والي الجِّهَة والرَّجلُ مَتبُوع ، وأنَّ المَطالبَ قَد انسَاقَت إلَيه .

---

[1] – أقطعهُ بِلاد كذا ، أعطاه ، منحه .

وَقَد انثَالَ أَهلهُ رَغبةً ورَهبةً عَليه ، وإنَّ علي شمسان قَد صَارَ لهُ مِن الأَعوانِ وهو والي جِهَة اليَمَن على إبْ وجبْلَة ثُم تقَدَّم الحسين لاستِدرَاكِ فعِلَة ذلك الهَصُور قبل أن يَظهَرَ في اليَمَن شرَرُهَا ويَملأ الكَونَ غُبارُهَا :

فإنَّ النَّارَ بِالعُودَينِ تَذكُو   وإنَّ الحَربَ أوّلها كَلامُ

فبات ببلد يُقال لهُ "ذَاهب"[١] .

وكانَ الحسين أَسَداً مِن أُسُود الله ، وسَيَفاً مِن سيُوفه المُنتَضَاه[٢] ، تَتجَلَّى عن يَدَيه المَعارِكُ السُّود ، ويَنحَد مِن رَوعِه بَراثِنُ الأُسُود ، وأمَرَ عندَ وصُولهُ بحفظِ مغربة عُتمَة ، ولما عَرفَ أحمد بن الحسن أن أصْحَاب عَمِّه الحسين قَد استَقرُّوا بِذلك المَكانَ هَيَّأ فُرسَانَ العِرَاك وأُسودَ الطِّعَان ، وتقَدَّم إلى إسعَار نَارِ الحَرب ، وإقامَة سُوقِ الطَّعنِ والضَّرب ، فلَم يَشعُر أصْحَاب الحسين إلا وَقَد طَلع عَليهِم من تَلقَّى أحمد بن الحسن (بَرق دَات)[٣] ، ووَراءَهُ الجَيشُ الجَرَّار ، عَليهِم النَّقيب المِقدَام عَطيَّة ، وأحمد بن الحسن استَقرَّ بِبلدَةِ الحَوادِث ، فَأرسَلَ أصْحَاب الحسين ما في بُطُونِ البَنادق ، فَانهَلَّت على أصْحَاب الصفي بِصَواعِقٍ وانصَرَفت إلى عَطيَّة رَصاصَة دَعَتهُ إلى هَلاكه وخَلاصه ، وكثير مِن عَسكَره ذَاقُوا مَذاقَه وأُشرِبُوا ترِيَاقَه فانهَزَم أصْحَاب الصفي ، ثُم تَسارَعَ جَماعة مِن العَسكَر إلى اللُّحوقِ بالأَثَر فَشقَّ ذلك على الحسين ، لأَنَّه كانَ يُريد أن تَنحَسِم فِتنَة ابن أَخيه بغَير قِتَال ولا مُفَاجَأة نِزَال شَفقَةً عَليه ومَحبَّةً في حَقنِ الدِّمَاء ، وتَسكِينِ الدَّهمَاء ، ثُم إنَّه رَكبَ واجترَّ العَسكَر بِأَجمَعه ، واستَولى على عَسكَر ابن أَخيه

---

[١] – ذاهب : بلدة وحصن في جبل ضوران من بلاد آنس من أعمال ذَمار .

[٢] – المنتضاه : نضا السيف من غمده جرّدهُ ونضا السهم : نضى ونضوت ثوبي ألفيته عني ، ـــ لسان العرب ـــ .

[٣] – وردت في المطبوع ببرق .

وقُتل منهُم مَن قُتل حَالَ الهَزيمَة ، وأُهمِبَت مَحطَّة أحمد بن الحسن وهو انحَازَ إلى قَريَة الحَوادِث[1] السُّفلى ، وقَد فَازَ عَمهُ بالقَدحِ المُعلا .

ثُم إن الحسين أَرسَلَ إلى ابن أَخيه السَّيِّد عبدالله بن أمير الدين ، وأَمرَهُ بالوُصُول فَوَصَل ، وخلَع عَليه وآنَسَه .

وكانَت وَقعَةُ الحَوادِث يوم الخميس في العشر الآخرة من شَعبان سَنة تسع وأربعين وألف .

ثُم ارتَحلَ شرف الإسلام الحسين إلى مَدينَة إب وَصُحبتُه ابن أَخيه أحمد بن الحسن ، فَوصَلهُ كتابُ المُؤيَّد بالله يَستَدعي أحمد بن الحسن إلى حَضرَته ، وكذلك علي شمسان ، فَسَارا إلى حَضرَته ، فَقَابلَهُما بالإكرَام والإعظَام والتَّسجيل والإحتشَام ، فَأمَّا أحمد بن الحسن فاستَقرَّ عندَ الإمَام أياماً ، ثُم استَأذَنهُ في القُفُول إلى صَنْعَاء ، وجَعلَ لهُ الإمَام أَوضَاعاً في كِفايَته وكِفايَة مَن إليه من أصْحَابه وأَخدَانه ، وبَعدَ ذلك وَصَل السَّيِّد العَلاَّمة إسماعيل بن القاسم إلى ضُوْرَان باستدعَاء صِنْوه الحسين لِيَنُوب عَنه في ذلك المَكانَ أَيَّام بَقائه في اليَمَن الأسفل ، وفي أَثنَاء هذا ذَكَرَ بَعضُ أهلِ التَّاريخ أن السَّيِّد أحمد بن القاسم أَصابَ في دار الكيخيا كَنْزاً من الذَّهبِ الأَحمر ، ولعلهُ من دَفين عبدالله شلبي الذي قَدَّمنا خِلافَهُ على البَاشَا جعفر .

وكانَ مُستَقرّاً في هذه الدَّار وحُوصِرَ فيها وقُتل في هذه الدَّار أَيَّام الوَزير جعفر .

وفي سَنة خمسين وألف ، تَهيَّأ الحسين بن الإمَام لِلطُّلوعِ من اليَمَن الأَسفَل إلى ضُوْرَان ، ثُم إلى زِيارَة الإمَام المُؤيَّد ، فَسارَ في شهرِ رَبيع الأول من السَّنة .

وَفيها وَصلَت الأخبار من الحَضْرَة السُّلطانيَّة والسُّدة الخَاقَانيَّة أن السُّلطان مُراد بن أحمد بن محمد بن مُراد قَصدَ مُحاصَرَة بَغْداد واقتلاعِ تلك الأَفلاذ ، وَقَد كانَ الشّاه قَد استَولى عليها وسَاقَ إليها الجُنُود والأموال ، وكانَت في الأَصلِ قَاعدة مَملَكةِ الرُّومِ ،

[1] – الحوادث : لم أجد قرية الحوادث ، ولعلها الحوادل ، وهي منطقة واسعة من بلاد ريمة إلى الغرب من صنعاء .

وإنّما وثَبَ عليها الشّاه بقوّة خزائنه ، وَقَد كانَ السُّلطان أرسَلَ البُوَش والوُزرَاء وحَشدَ الجُنُود ، فَلَم يَقفُوا على طَائل لقوّة الشّاه في بَغْداد ، وحين استعظَم أمرُه وعَظمَ خَطرُه تَوجَّه السُّلطان بنفسه ، وَقَد أشرَنا إلى ذلك فيمَا تقَدَّم من ذِكرِ السَّلاطِين ، ولكنَّنا أَحبَبنا بَسطَ القَضيَّة في تَاريخها ووَقتِها .

قَالُوا فَأحَاط بها السُّلطان مُراد من جَميع الجَّوانب ، ورتَّب عليها البُوَش[1] والأغوَات وأسرت المَرازِب[2] ، وكُل مقدَّم من أولئك الأعيَان بِضابط من تَحته عَدَّةُ من الرِّجالِ والفُرسَان ، ويُقَال أنَّه كانَ ذلك حَدُّ الخَارجين مع السُّلطان في ذلك الصَّوبِ أَربَعة عَشر لكّاً[3] ، وكانَ جُملَة الحِطَاط[4] أَربعين يَوماً ، وعَظُمَ على السُّلطان الخَطبُ واستَشَبَّ سَعير أهلِ الحَرب ، بِقوّة أَصْحَاب الشّاه وما قَد اختَرَعهُ من التَرتِيبِ وأَنشَأهُ ، فَقصَدَ سُلْطان الإسلامِ مَشهَد الشَّيخ الأعظَم والشَّريف المُكرَّم عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني القُطبِ الرَّباني ، واستَمدَّ السُّلطان منهُ الأَنفَاس[5] ، وأن يَكُون حَمايلهُ أَثنَاء الصِّدام والمِرَاس ، ثُم أَمرَ الصُّنَّاع أن يَصنَعُوا لهُ مدفَعاً من الخَوارِق لَيطلِقَ سُورَ بَغْداد من جَوفِه صَواعِقَ ، فَفعَلَ المدفَع كَما أَمرَ ووَجَّه إلى السُّورِ في الأَثر ، فَلمَّا انتَهت حجره إلى الدَّائر انعَكسَت على أصْحَاب السُّلطان مُراد فَأُهلكَت جُملةٌ من الأَعدَاد ، ثُم كَرَّرُوا الرَّمي مَرةً أُخرى فَفتَحَ جَانبٌ من السُّور ، وكانَ لِسَبَبِه الفَتحُ المَشهُور ، لأَنَّه انهَارَ الدَّائر فَبادَرَت إلى الدُّخُول العَساكر ، وقَتلُوا في بَغْداد عدَّةً لا يضبطُه الحَد ، وكانَ الشَّاه بِنفسه في جَانب من القَصر فَفرَّ بنفسه بعد تَدبير الحِيلَة العَظِيمة في ذلك ، وصَادَف اشتغَال العَسكَر بالقَتلِ والسَّلبِ ولما أَدرَك

---

[1] – البوش : قال ابن منظور: البوش :الجماعة الكبيرة وقال ابن سيده البوش جماعة القوم لا يكونون إلا من قبائل شتى .

[2] – المرازب : قال ابن منظور : المرازب ، مرزبة : وهو الفارس الشجاع المقدم عَلَى القوم وهو دون الملك .

[3] – لكاً : سبق التعريف بها .

[4] – الحِطَاط : المكوث أو الحصار .

[5] – هذه الإعتقادات بالمدد من الأموات مع قناعتنا بصلاحهم رحمهم الله ـــ غير صحيحة ـــ .

النَّجَاة كَتبَ إلى السُّلطان مُراد ، يَطلُب الصُّلح على غير هَذه البلاد التي قَد دَخلَت تَحتَ مَملَكة السُّلطان ، وأن يُؤمِّن كُلٌّ في سربه ، ويشتَغلَ بطائفَته وحزبه ، فَأجَابهُ إلى مَا رَام ، ولم يَكُن في مَطلبه غيرَ فتح المَدينة مَدينَة السَّلام واستَقرَّت يَدُ الشَّاه على بلاده التي هو فيها من جبال فَارس وما إليها ، واقتَصَر بعد أن عَايَن ذلك الهَولَ عليها ، مَع أنَّه لم يَترُك في أثنَاء حِصارِه مَجهُوداً ، وفي إذهَاب ريحِ السُّلطان فقَد دَبَّر الحِيَل العَويصَة لو كانَت تُنجي من الحدثان ، ولما فُتحَت بَغْداد أمرَ السُّلطان بعمَارَة قَبرِ أبي حَنيفَة رضي الله عنه ببغدَاد ، وكانَ الشَّاه قَد أمرَ بخرابه لزعمه أنَّه كانَ يُعارض جعفر بن محمد عليه السلام[1] في فَتَاويه ، وأمرَ السُّلطان أيضاً بعمَارة مَشهَد موسى بن جعفر (الكَاظم) ، فأَصلَح القَبرَين وعَظَّم الإمامين وهَذه من مَناقب هذا البَيت العُثمَاني .

قال بَعضُ أهلِ التَّاريخ وَقَد هَمَّ السُّلطان مُراد بعد فَتح بَغْداد بالنُّهوض إلى اليَمَن ، بَعد ما قَضَى مآربَهُ في العراقِ ، فَتَأهَّبَ لذلك فبَلَغهُ أنَّ صنْوه السُّلطان إبراهيم بن أحمد خان قَد خَالَفهُ ، وقَعدَ على سَرير مُلكه واستَقلَّ بمَملَكَة الرُّوم وتَمَّ لهُ الدّسْتُ فيمَا يَرُوم ، فَداخَلهُ من الضِّيقِ ما صَدَّه عن تلك الطَّريق وأَسرَع به إلى طَريق المَنيَّة ، وعَاوَن عليه سُلْطان العَوارِض النَّفسانيَّة فَفاضَت رُوحُه وخَلا عن المُلك سوحُه ، ولما ثَبَت أَخُوه السُّلطان إبراهيم على كُرسي السَّلطَنة تَحرَّكَت نَفسُه لفتحِ مَالطَة ، وما وَراءَها من تلك المَمالك الشَّاحطَة[2] ، ويأتِي من عَام خَبره وكَيفيَّة نَصره وظَفره ، ولم يَفتَتِح السُّلطان مُراد بَغْداد إلا بَعدَ أن أفنَى الأَموَال العَديدَة والذَّخائر العَتيدَة ، والأبطَال الكَرَّارة ، والخَيلِ المُختَارَة وأَوَّل جَيشٍ تَجهَّز من قِبَلِ السُّلطان جيش البَاشَا حافظ أحمد ، ورَجعَ بَعد حُروب طَويلَة بِقَلبٍ مُكمَّد ، وتَبعَهُ الوَزير الأَعظَم والمُختَار المُقدَّم مُراد

---

[1] – الإمَام جعفر الصادق بن محمد الباقر و أبو حنيفة النعمان : إمامان عظيمان من أئمة المسلمين حتى لو تعارضت فتاويهما ، ما العيب في ذلك ، إن ذلك يغني الفقه الإسلامي .

[2] – الممالك الشاحطة : قال ابن فارس : الشين والحاء والطاء أصلان أحدهما البعد ، والآخر إختلاط الشيئ وإضطرابه .

باشا ، فَطَال حِصَاره لِلمَدينَة وَضُربت خِيامُهُ بمشهَد الحسين ، ورَجعَ عن فَتحِ المَدينة بخُفَّي حُنَيْن ، لَكنَّهُ فَتحَ كَثِيراً مِمَّا حَولَهَا ، وتَعقَّبهُ هَذا المَركزُ الكَبِير الذي كانَ فِيه الفَتحُ الشَّهِير .

ولما استَقرَّ الصُّلح كَما سَلَف بين السُّلطان والشَّاه قَرَّر أَخُوه السُّلطان إبراهيم على مَراسِيمِه ومَنشَأه بِرُسُومٍ رُسِمَت على الشَّاه ، مِنهَا أَتاوَةٌ يَحملُها إلى السُّلطان في كُل عَامٍ فِيها الحَرير وغَيرُه ، ولم تَطب نَفسُ الشَّاه بَعدَ إخرَاجه مِن العراق واستيلاء السَّلطنَة على تِلك الآفَاق ، فَتعَقَّب ذلك خُروجَه عن دَائِر الحَياة ، ودُخُولَ مَملَكته في يَد ولَده صفي شاه ، ثُم إنَّ ابن أَخِيه عباس شَاه ثَارَ عَلَيه ، وأَخذَ المَملَكَة مِن يَديه ، وجَرَّعهُ كَأسَ المَنيَّة ، وأَعدَمَهُ تلكَ الأُمنِيَة ولِسَلاطِينِ العَجَم هؤلاء حَسبَمَا تَواتَرَ عَنهُم أَحوالٌ حَكَمُوا فِيها المُلكَ الذي عَاقبَته إلى زَوَال ، مِثلَ فَرشِ الأَبنيَة بِخَالِص الحَرِير ، واستِعمَال آنِية الذَّهَب والفِضَّة المُرصَّعَة بالجَّواهِر النَّفِيسَة وإطلاق رُؤوسِ البَطَّالين في مُدُنِهم مع البَغَايَا ، تَعلُّلاً بِشُبهَة المُتعَة[١] وتَسلِيط بَعضِ الأَنعَامِ على بَعضٍ بالإغرَاء بَينَها لِلتَّفرُّجِ والتَّفَكُّه بما يَصدُرُ مِنها ، وَقَد يُسَمُّون ما تُرك في النِّطاحِ بِمَن بَغَض جَانبه مِن أصْحَاب رَسُول الله ﷺ ، وإذا غَلَب صَاحُوا على مَن هو في مُلكه .

وذَكرَ بَعضُ السَّادَات عَمَّن رُوي لهُم أو شَاهَد أَنَّهم يُرقِّمُون أَسماءَ مَشاهِيرِ الصَّحابَة في نعالِهم ويَرفَعُون أَصواتَهُم بِلَعنِهم[٢] ، ويَجعَلُون ذلك مِن التَّقرُّب إلى اللهُ ، وهَذا خَاصَّةً فَليسَ بِمُستَنكَرٍ عِندَهُم ، ومن هو على ضَربِهِم ، وإنَّما العَجبُ كُل العَجب إنهِماكُهُم عن آخرِهم في تلك الأحوال التي تَدُلُّ على الخَلاصِ مِن العَقلِ والحِشمَة

---

[١] – نكاح المتعة : نكاح فاسد بالإجماع وهو المدخل إلى إنتشار الفاحشة .

[٢] – أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم حملة الرسالة وهم الذين ذبوا عن رسوله ودافعوا عن الدين وتحملوا في ذلك كل المكاره ، هل نكافئهم بلعنهم وشتمهم ، نعوذ بالله من الخذلان .

والإسلام ، وعَدمُ الإلمامِ بِشَيءٍ مِن شَريعة المَلك المُتعالي ، فلا حَولَ ولا قُوَّة إلا بالله العَليِّ العَظيم .

وفي شهرِ رَبيع الأول من هذه السَّنة طَلع الحسين بن القاسم من اليَمَن إلى ذَمَار ، واتَّفقَ بين معَسكَره وأَهلِ المَدينة شجارٌ ، لأن عَسكَر الحَيْمَة أَرادُوا دُخول البيُوت ، ولَم يَكُن قَد سَبقَ مثل ذلك مِن العَسكَر فاحترَكت نُفُوس أَهلِ ذَمار ، وأَقبَلُوا عَليهم بالحجَارة ، وكانَ فيها يَومئذ محمد بن الحسن بن الإمَام ، فَكأَنَّهُ كانَ منه إلى أَهلِ ذَمار رَمزٌ لَطيف ، أن ذُبُّوا عن أَنفُسكم ، ولَو بالدَّفعِ العَنيفِ وأما الحسين فَإنَّه عَلقَ به الأَلَمُ من ذلك الحين ، فَفارَقَ الحياة في يوم الثلاثاء خامس شهرِ رَبيع الآخر من سَنة خمسين وألف .

وَقَد كانَ قَامَ بِكفايَة بلاد أَخيه الحسن ، فَدبَّر الأُمُور وسَاسَ الجُّمهُور ، وَقَد ظَهرَ منهُ بَعدَ وَفاة أَخيه الخَلقُ الوَاسع والعَطاءُ النَّافع ، وحَضرَ دَفنَهُ ولَدُ أَخيه محمد بن الحسن وقُبر حَولَ قُبَّة الإمَام المُطَهَّر بن محمد بن سُلَيمان الحَمزي .

وأما علمُه فَهو الذي طَبقَ الأَرضَ وانعَقَد عليه الإتِّفاقُ ويَكفيه تَحقيقاً وتَدقيقاً وتَرصيعاً وتَنميقاً كتابه المُسمَّى "غَايَةُ السُّؤلِ في عِلم الأُصُول" وشَرحُه المُسَمَّى "هِدايَةُ العُقُول" فَإنَّه بَلَغ فِيه الغَايَة وجَاوَز النِّهايَة وأُعجِبَ به كَثيرٌ من مُحقِّقي هذا العلم من الدِّيار النَّازِحَة ، واستَنقَلهُ جَماعةٌ من عُلماءِ مِصر والعِرَاق ومَكَّة والهِند وخُراسَان في تلكَ الأَزمَان ، وهو مُؤلِّفٌ مُفيد وعقَدٌ في جيدِ الفخَار فَريد .

واشتَغَل الحسين في آخر مُدَّته بالحَديث وسَماعِ صَحيح مُسلم على الفَقيه الحافظ عبد الرحمن بن محمد الحَيمي صَاحِب الحَاشيَة على "بُلُوغ المَرَام" واستَجَازَ الحسين من عُلماء الشَّافعية والحَنفيَّة في زَبيد والحَرمَين ، ولهُ رِسالةٌ في عَدمِ اشتِرَاط الإمَامِ الأَعظَم في صَلاةِ الجُّمعَة وللسَّيِّد العَلاَّمة الحسن بن أحمد الجَّلال رِسَالةٌ في نَهجِه ، وَقَد ابتَدَى

القَولُ في هَذهِ المَسأَلَة السَّيِّد العَلاَّمة الحُجَّة محمد بن إبراهيم الوَزير[١] ، وللمَولى الحسين كِتابُ "آداب العَالِم والمُتعلِّم" ولهُ رِسالَةٌ في الإنكَارِ على مَن مَنَع الشَّافعية بالجَهرِ بالتَّأمين في الصَّلاة ، ولهُ حَواشي على أساسِ والِدِه الإمَام القاسم بن محمد ، وكَانَ لهُ من شدَّة البَأسِ في مَواقِف الحُروب ما يُخرِجُ عن طَورِ البَشَر ، ومَواطنُه مع شُجعَان الرُّوم[٢] أيَّام الحِطَاط على حيدر مَعرُوفَه ، فإنَّه قَاتَل ستمائة فارس هو وأخُوه الحسن ، وَقَد انهَزمَت عَليهِم الأجناد ولم يَبقَ إلا السَّيِّدان ، ثَبتَا في قَاعِ صَنْعَاء وقَاتَلا عَامَة اليَوم ، وقَتَلا مِن شُجعَان الأَترَاك كَثيراً ، وخَرجَا سَالِمَين .

ولهُ في صَعْدة مَواقِفُ عَظيمَة ، ويَوم غَارِب أثلة[٣] كانَ هو قُطبُ رَحاهَا ومَوقِد لَظَاهَا وهو مُتقدِّم لإثَارَة تلك الحُروب .

وممَّا جَرى لهُ مِن الشَّدائد في صِغَر سِنِّه أنَّه سَبحَ في غَدير الوَسَط مِن جِهَات بَطنَة عِذَر[٤] فغُمِس في المَاء كَما يَفعَلهُ المَاهِر في عَملِ السِّباحَة ، فَقذَفَ المَاء عندَ ارتفَاعه إلى جَانب شَديد الظُّلمَة ، مُنحَسِر عَنهُ المَاء ، لأَنَّ الغَدير بين جبلَين فَبقيَ في ذلك الجَّانب حَائراً في أَمرِه مِن نَهارِ ذلك اليَوم إلى صَباحِ اليَوم الثاني فَعندَ ذلك ظَهرَ لهُ شُعاعَ الشَّمس عِندَ شُروقِهَا فغمَسَ في الماء تَنحيًّا وتَحيُّناً لِمصعَد النَّجاة ، فَخلَّصهُ اللهُ وخَرجَ مِن ذلك الخِضَم بَعد أن حَصلَ الإيَاس عَنه .

ومن مآثرِه رحمه اللهُ المَسجد المَشهُور بِبَاب السَّبَح المَعرُوف الآن بمَسجِد حجر[٥] ، ووَقَفَ عليه ما يَكفيه ، وَقَد زَادهُ وحَسَّنهُ ولَدُه العَلاَّمة محمد بن الحسين .

---

[١] – الإمَامِ الحجة محمد بن إبراهيم الوزير : صاحب العواصم والقواصم المتوفي عام ٨٤٠هـ .

[٢] – الجيش التركي ، جيش السَّلطَنَة .

[٣] – غارب أثلة : تقدم إيضاحه .

[٤] – بطنة عذر : من بلاد حاشد إلى الغرب من مدينة حوث ويطلق عليها قفلة عذر .

[٥] – مسجد حجر : أزيل قبل مدة طويلة وكان آيلاً للسقوط وبني مكانه(البنك اليمني للإنشاء والتعمير) في ساحة التحرير بصنعاء ، وبني مسجد يحمل نفس الإسم بدلاً عنه في حي الصافية بصنعاء .

وفي سَنة أحدى وخمسين وألف جَهَّز السُّلطان إبراهيم بن أحمد خان على مَالطَة[1] من بِلاد الإفرَنج بأطرَاف جَزيرَة الأَندلُس ، ممَّا يَلي البَحْر ، فَما زَالَت سَرايَاهُ تَتنَاوَش تلك الدِّيَار بحرُوبٍ تُذهلُ عَنها القُلُوب ، وافتَتَح كَثيراً ممَّا في أَيدي الإَفرَنج من البُلدَان ، واستَمرَّ ولَدُه بَعدَ وفَاته على ذلك الشَّأن .

وفي شهرِ رَبيع من هذا العام وصَلَت كُتبٌ من الإمَام المُؤيَّد إلى أحمد بن الحسن ، يَستَكشِفُه عن شَأنُ خَزائِن والِده ، ويَطلُب منهُ أن يُوضِحَ لهُ في التَّصرُّف عنها صحيح مَقاصِدُه ، ويَقُول لهُ إن كانَت بَيتَ مَال ، فَليسَ لك عليها يدٌ بحالٍ وإن كانَت تَركَةٌ لوالِدك الحسن فَأنتَ فِيها أُسوَة الغُرمَاءِ وكُلُّكم في سُنَنٍ فَما هُدي الإستبدَاد الذي خَفَى عَلينَا فيه وَجهَ المُرَاد ، ولا بُدَّ من إعدَاد جَواب يَكُون إلى استدَامَة المَودَّة من أَقوَى الأَسبَاب ، وعِندَ ذلك جَاشَت نَفسُ الصَّفي[2] ، وَقَدَّر في خَاطِره أنَّ غَيرَ المُبايَنَة بكفَايَة الجَّواب لا يَفي ، فَتحَرَّك من حِصن ذي مَرْمَر للخُرُوج ، ووَكَّل الجَّواب إلى بُطُونِ الأَغمَاد وظُهورِ السُّروجِ فَتوَجه إلى بلاد خَولان في جَماعَةٍ من الرَّجَّالة والفُرسَان ، وَقَد ضَمَّ إلَيه الذَّخائِر النَّفيسَة والنَّقد الكَّثير ، وغَمَر أَصْحَابه بأنواعِ الإحسَان ثُم ارتَحَل إلى بِلاد عَنْس ، ثُم إلى جِهَة قَايفَة[3] وعندَ ذلك بَعثَ الإمَام في أَثره الرَّسَائل الإماميَّة ، وأَخذَ فيها بحِفظه على العُمَّال ، ووَصلَت إلى عَمِّه إسماعيل رِسَالة ، وكانَ يَومَئذٍ في "ضُوْرَان" تَتضمَّنُ إيجَاب الحَركَة عليه إلى ولد أَخيه و إرصَاد المَكامِن لهُ من كُل وَجْه والإيتَاء به إلى الحَضْرَة الإمَاميَّة ، فَحثَّ عليه الرِّكَاب وصَحبَهُ عبدالله بن الإمَام القاسم ، وكانَ مُتَولياً لِذمار ، وكانَ أحمد بن الحسن قَد قَصدَ قَعطَبَة فَتبعُوه إلى

---

[1] – مالطة : جزيرة داخل البَحْرَ الأبيض المتوسط وهي إلى الجنوب مِن إيطاليا وكانت الدولة العثمانية جهادية تحمي تغور المسلمين حتى عصور متأخرة .

[2] – الصفي : لقب لكل مَن إسمه أحمد هكذا يكنى أحمد وهذه خاصة في اليَمَن ، وكذلك تطلق كلمة العزّي لكل من إسمه محمد ، ولا أعلم أحدا يطلق هاتين الكنيتين عَلَى إسم أحمد ومحمد خارج اليَمَن .

[3] – قايفة : الصواب قيفا ، وهي مِن أعمال رداع .

نَقيل الشم فَوقَعَ الحَرب في تلك العَقَبة واصطَدَم الفَريقَان ، واختَلَط الجُندَان ، وكانَ يَوماً مَشهُوداً انهَزَم في آخره أحمد بن الحسن ، فانتَهَبت العَسكَر الأمامي أثقالَهُ وقَتَلَت رِجَالهُ ، فَترَجَّح لهُ العَزمُ بوجُوه أعيَانه إلى حَضْرَة الأَمير الحسين بن عبد القادر صَاحب "عَدَن" و "أبْيَن" فَبقي عِندَهُ زَماناً ولَقِيَ منهُ إحسَاناً ، ولم يَزَل عندَهُ بمحَلٍ رَفِيع إلى أن وَردَت إلَيه إشارَة المُؤيَّد يَقُول لهُ : أَرسِل إلينا الوَلَد أحمد ، فَأَحسَّ بَعدَ ذلك إنحرافاً من الأَمير الحسين ، ونَوْعُ تَرفُّعٍ دُونَ احتِمَاله عِندَ الصَّفي ، فَلاقاهُ الحسين فَفارَقهُ عَجلاً ، وانشَدَّ لِسانُ حالهُ مُتمثِّلاً شعراً :

ولا يُقيمُ على ضَيمٍ يُرادُ بهِ		إلا الأَذَلَّانِ عيرُ الحَيِّ و الوَتَدُ[١]

وقَصدَ بِلاد "يَافِع" فَرأَى مِنهُم نِهايَة المَرَام[٢] [والمَسرَّات][٣] وغَايَةُ الإعزَاز والإعظَام .

وفي سَنة اثنين وخمسين وألف ، نَجمَ خِلافُ الشَّيخ علي بن ناصر بن راجح الآنسي ، وانضَافَ إلَيه جَماعَةً وتَغلَّبُوا عَليه ، وتَعلَّلُوا بِأَنَّ عَاملَ ضُوْرَان عَاملهُم بالحَقَارَة والإمتِهَان ، فَطلَبُوا علي بن ناصر ، واشرَعُوا الأَسنَّة والبَواتر ، ومَنعُوا حُقُوق الدَّولَة ، واشتَدَّت مِنهُم الصَّولَة ، فانتَدَبَ الأكوَع عَاملُ ضُوْرَان وعَلِمَ أنَّ هَذه الفعلَة إنَّما تَرحَضُ[٤] بالسِّنَان لا بِالأَشنَان[٥] ، فَجمَعَ الجَّمعَ المَوفُور مِن الرِّجَال المُختَارَة

---

[١] – العير : الحمار ، و الوتد : بالفتح والبتحريك ، وهو ما غرز في الأرض أو إلى الحائط من خشب ، قاله الفيروز أبادي .

[٢] – ذكرت في المطبوع "الأرام" .

[٣] – والمسرات : وردت في المطبوع ولم ترد في المخطوط .

[٤] – ترحض : وردت مصحفة ، والصواب تدحض حتى يستقيم المعنى .

[٥] – الأشنان : الماء البارد ، والأشتان ، الشتن : النسج والحياكة ، وهو شاتن وشتون .

والخَيلِ الكَرَّارَة ، وتقَدَّم إليهم واستَولى على تلك الحُصُون والآطام منهَا حُصُون راجح ، وفَرَّ إبن رَاجِح طَرِيداً وذَهَب على غَيرِ طَرِيقه شَرِيداً ، حتَّى اتَّصَل بحَضْرَة محمد بن الحسن واستَجارَ به وأَذعَن فَقابَلهُ عزُّ الإِسلام بالقَبُول ، وأَخذَ لهُ الأَمان وهو الشَّفِيع المَقبُول .

ولما رأى الإِمَام إبن أَخيه أحمد بن الحسن جَانحاً إلى الغربَة سَكَنُه ، جَامحَاً في مَيدَان الإِعراض رسَنَه[١] ، وبيَد مَماليكه حِصن ذي مَرْمَر وهو قُفل باب خَولان والحَاكِم على ما تَحتَهُ من البُلدَان ، أَمرَ على مُحاصَرته الشَّيخ حَسَن بن الحاج أحمد بن عواض الأَسدي فَحاصَرهُ سَنَةً كَاملة ، حتَّى خَرجَ مَن فيه على رَسمِه ، وهُم الأغا فَرْحان ومن عندَهُ من المَماليك والأَعيَان ، ثُم أَمرَ الإِمَام بإخرَاب مَساكِن الحِصْن .

وفي هذه السَّنة وقَعَ فَسادٌ في بَحرِ القَلزَم[٢] وهو بحر اليَمَن من قِبَل الإِفرَنج ، فَجهَّز عَليهم أَمير اللُحيَّة وهو النَّقيب سعيد المحربي جَماعَةً من أُولائك العَسكَر والمُمارَسَة للحُروب فَقبَضُوا عَليهم ، وأرْسَلهُم الأَمير إلى حَضْرَة الإِمَام وهو بوادي أفسر[٣] في تلك الأَيَّام ، فَعرَضَ عَليهم الإِمَام الإِسلام وهُم زُهَاءُ سَبعِين نَفَر فَأسعَدُوا إلى الإِسلام والإِيمان ، وفَعلَ بِهم شعارَ[٤] الإسلام ، وهو الختان .

وفي هذه السَّنة أَرسَلَ الإِمَام إلى بلاد يَافِع القَاضِي الحسن بن أحمد الحَيمي ، يَسعَى في إستِمَالَة ابن أَخيه أحمد بن الحسن لِلرُّجُوع إلى ديارِه ، فَأسعَدَ أحمد والعوْد أحمد .

ولما وَصَل إلى حَضْرَة الإِمَام ظَهرَ منه الإِبتِهَاج واستقامَة الإِعوجَاج ، وزَوَّجهُ الإِمَام إِحدَى بَناتِه ، وجَمَّل حَركات سعُود حَركاته ، ثُم استَأذَن في الحَجِّ لِبَيت اللهُ الحَرَام ،

---

[١] – رسَنَهُ : الحبل وما كان من زمام عَلَى أنف الدابة ، قاله في القاموس المحيط .

[٢] – بحر القلزم : هو البَحْرُ الأحمر وكان يسمى قديماً "بحر القلزم" .

[٣] – وادي افسر : أفصر ، بالصاد المهملة بلدة وجبل آهل في منطقة كحلان الشرف من أعمال حَجَّة .

[٤] – أحد سنن الإسلام .

فَأذن لهُ مع جُملَةٍ مِن الأَعيَان والأعلام ، وَقَد صَحَّت تَوبَة أحمد بن الحسن عن هذه الخِلافَات على عَمِّه المُؤيَّد والنَّدَم والإقلاع ، وكانَ يَظهُر مَنهُ الأَسَف والحُزنُ على ما أَسلَف ، واشتَهَرَ عند ذلك في مَواقِفِ عَديدَة وفي هذا العَامِ وفَدَت الأَخبَار إلى اليَمَن أنَّ بِلاداً مِن تَبريز[1] بِلاد العَجَم استَولى عليها خَسفٌ عَظِيم شَقَّق الأَرضَ وهَدَّم العِمران وعَطَّل عَنهَا السُّكانَ ، وهو لا شَك مِن إمَارات السَّاعَة بالنِّسبَة إلى بِلاد العَجَم .

فَفي الترمِذي وغَيرُه ما مَعنَاه : " لا تَقُوم السَّاعَة حتَّى يَلعَن آخِرُ هَذِه الأُمَّة أَوَّلَها ، فَإذا فعلُوا ذلك فَليَرتَقِبُوا رِيحاً حَمرَاء ومَسخاً وخَسفاً[2] " .

وفي سَنة ثلاث وخمسين وألف أَذِن الإِمَام لإبن أَخيه أحمد بن الحسن بالإنتقَال إلى مَدينَة صَنْعَاء والاستِقرَار بها ، وَفيهَا طَلعَ العَلاَّمة إسماعيل بن الإِمَام القاسم مِن تَعز إلى ضُوْرَان عن رَأي أَخيه المُؤيَّدي واستَقرَّ به لِولايَة البِلاد والإصدَار فِيهَا والإِيرَاد ، فَعمل بالعَدلِ وحَكَمَ بالفَصل ، وصَارَ مَسعُودَ الحَركَات في الأَفعَال والأَقوَال ، وأَحيَا فِيها مَعالِمَ العُلُوم ، وفَتَّش فِيها مِن مآثِر الأَئِمَّة قَديم الرُّسُوم ، ولم يَنفَصِل عن مَدينَة تَعز إلاَّ وَقَد أَحرَز المَجدَ الأَصِيل والعِزَّ بما اقتَنَاهُ مِن ذَخائِر العُلُوم ، ورَحَلَ مِن خَزائِنِ المَنطُوقِ والمَفهُوم وسَمِع بِمَدينة تَعز "تَيسِير"[3] الدَّيبَع وسُنَن البَيهَقي الكُبرى واستَجَازَ مِن الحَافِظ محمد بن عبد العزيز بن تَقي الدين الحُبَيشي في جَمِيع كُتبِ الحَديث النَّبوي .

وفي سَنة أربع وخمسين وألف في شهرِ رَجَب مِنها تُوفي الإِمَام المُؤيَّد بالله محمد بن القاسم بن محمد بن علي ، وَقَد تقَدَّم رَفعُ نَسبِه في أَول تَرجَمةِ أَبيهِ الإِمَام القاسم

---

[1] – تبريز : في بلاد فارس (إيران اليوم) .

[2] – حديث : رقم الحديث /٢٢١٠/ باب ما جاء في حديث المسخ والخسف رواه سيدنا علي قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي سنده مقال .

[3] – تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، الكتاب للإمام إبن الديبع الشيباني مطبوع في ٤ مجلد

وكانَت وفَاتُه بمَحرُوسِ شهَارة وكانَ ذا سيرَة حسَنة وطَريقَه مُستَحسَنَه ، قَريبُ الجَناب شَريفُ الخطَاب زاهِداً في مَلبُوسه ومَأكُوله ، مُؤثراً بوَضع الأَموال في مَواضعها وإعطَاء المُستَحقّينَ وتَقريب الفُضَلاءِ والعُلَمَاء ، وحَثّهم على الأَمرِ بالمَعرُوف ، مُتوخّياً للسِّيرَة المَرضيَّة والأَخلاق النَّبويَّة ، لا يَخرُجُ عن الشَّرعِ الشَّريف ، ولا يميلُ عَنه ولا يحيف ، وكانَت الأَرزاقُ في وَقته هَاميَة[1] ، والبَركَات ببَركَته نَاميَة ، ولما تَوفَّاهُ اللهُ إلى رَحمَته اجتمَعَ فُضَلاءُ حَضرَته على نَصب أَخيه أحمد بن الإمَام القاسم في دسْـت الخلافَة[2] ، ولم يَكُن بكَمَالٍ من العُلُوم الشَّرعيَّة ، مع أَنَّه قَد أَخذَ بطَرف نَافعٍ في أَيَّام أَبيه وأَخيه ، فَلمَّا بَلَغ خَبرُ وفَاة الإمَام المُؤيِّد إلى ضُوْرَان ومَا وَقَع من أُولئك الأَعيَان ، وكانَ جُلَّةُ العُلماءِ بحَضْرَة المَولى إسماعيل بن القاسم ، فَأجمَعَ رَأيُهُم ورَأيُه على أنَّه الأَنهَضُ والأَكمَل في المَعارف العلميَّة التي هي شَرطٌ عندَ أَتبَاعِ العُترَة الزَّكيَّة ، فبرَزَ إلى مَسجد الحصين ، وطَلَب البَيعَة من العُلماءِ وسَائر الرُّؤسَاء ومن تُعْقد به من النَّاس ، فَدخَلُوا فيها أَفواجاً وسَلكُوا فيها فجَاجاً مع ما قَد كانُوا عَرفُوه في أَيَّام سيادَته من مُلاحَظته لجانبِ الشَّرعِ والكَرَم الذي تَميلُ إلَيه الخَواطر بالطَّبع .

وَقد كانَ أظْهَر دَعوَة هذا الإمَام السَّيِّد العَلاَّمة إبراهيم بن المُؤيَّد اليحيوي في نَواحِي الشَّام من بلاد صَعْدة ، وثَبتَت دَعوَةٌ أُخرَى للسَّيد العَلاَّمة محمد بن الحسن ، ثُم إن المُتوكل على اللهُ إسماعيل كَتَب إلى أَخيه أحمد يُعاتبُه على العَجلَة في الدَّعوة ثُم إن الحَال إلتأَمَ بين المُتوَكل وابن أَخيه محمد بن الحسن وكانَ ذلك مُستَهل السَّعادَة المُتوكلية ، فَإنَّ دَولَة عز الإسلام حينئذٍ كانَت مُوازيَة لدَولَة أَبيه الحسن ، وحين اتَّفقَ أَمرُهُما أقطَعَهُ الإمَام اليَمَن الأَسفَل بمن في حَضرَته من الأَجنَاد ، وصَلحَ بصَلاحها أَمرُ الجُمهُور ، فإنَّه مَالَ إلى المُتوَكِّل بذلك أَكثَرُ اليَمَن من ضُوْرَان إلى عَدَن وخَرجَ من

[1] – هامية : هموم سحابة ، هموم : صبوب المطر ، كثرة الأرزاق .

[2] – الخلافة : مصطلح الخلافة مصطلح أهل السنة ، أما مصطلح الإمامة فهو مصطلح الزيدية والشيعة الإثنى عشرية .

صَنْعَاء صفي الإسلام أحمد بن الحسن قَاصداً لحَضْرَة أَخيه محمد بن الحسن ومحمد بن الحسين قاصداً حَضْرَة عَمِّه المُتوَكل على الله ، ولما استَقرَّ كُل منهما حَيثُ وَصَل أنعَم عليهما الإمَام المُتوَكل بولايَاتِ البلاد واستَقرَّت أُمورُها على وِفقِ السَّدَاد ، وكانَت صَنْعَاء بيَد محمد بن أحمد بن القاسم ، وهو على رَأي والده أحمد ، والخُطبَة فيها لأحمد ابن القاسم ، ووَالَى الإمَام المُؤيَّد قبلَ وفَاته علي بن المُؤيَّد فأنفذَ محمد بن أحمد كَافَّة العَسكَر الذي في صَنْعَاء إلى خدار[1] ، وكانَ أميرهم السَّيِّد عز الدين بن دُرَيب وشعبان آغا القاريي فقَدما إلى خدار بِجَيشٍ جَرَّار ، فَلمَّا استَقرَّ بِهم المَقامُ طَردُوا عَامِل الإمَام ، فَجهَّز الإمَام السَّيِّد المِقدَام محمد بن الحسين بن الإمَام ومَعهُ سرور شلبي ، فوَصَلُوا خدار بمن مَعهُم من الجَيش المُختَار ، فَلمَّا قَارَبُوا القَريَة حَملُوا عليها حَملَة رَجلٍ وَاحِد ، حتَّى وصَلُوا المَسجد الذي خَارِجَ القَريَة ، ولم يَخرُج أصْحَاب السَّيِّد عز الدين وشعبان مِن البيُوت ، بَل رَمُوا بالبَنادق مِن قُرب ، فَقُتِل ثَلاثَةُ أنفارٍ مِن أصْحَاب الإمَام ، وآل الحَال إلى انهزَام أصْحَاب محمد بن الحسين إلى "رأس نَقيل يَسلِح" وأَقامُوا هُنالِك ، ولم يَتبَعهُم مَن في خدار ، وقَالُوا الكُلُّ إخوان وعسى يَصلُح الحَال .

فَلمَّا انقَضَت هذه الحُروب بَادَرَ عز الإسلام محمد بن الحسن بإرسَالِ أَخيه أحمد بن الحسن وهُمَا يَومئذٍ بِذَمار إلى جهَة صَنْعَاء وجَمعَ قَبائِل المَشرِق خَولان والحَدا ومن بِطريقها من سَنْحان وَكَتبَ إلى محمد بن الحسين أن يَلقى أحمد بن الحسن إلى الطَّريق ، وأنْ يكون الإجتماعُ على صَنْعَاء فإنهَا الرَّأس ، ويقَدَّم فَتحُها بناء على أَسَاس ، فَوَصَل محمد بن الحسين بمَن مَعهُ مِن الجند ، ووَصلَ إليهم الشَّيخ حَسَن بن الحاج أحمد الأسَدي ، فاتَّفقَ رأى مَن في صَنْعَاء على تَغلِيقها ، وَفيها الأَميران محمد بن أحمد وعلي ابن المُؤيَّد ، فاستَقرَّ أحمد بن الحسن ومحمد بن الحسين بِبير العَزَب ، فَلمَّا بَلَغ الحِطَاط

[1] – خدار : قرية في الطريق العام الذاهب مِن صنعاء إلى ذَمار ، وهي مِن أعمال صنعاء .

على صَنْعَاء إلى الصفي أحمد بن القاسم احتَركَ مِن شُهَارة يُريد الوُصولَ إلى صَنْعَاء ، فَلمَّا وَصَل بَعضَ الطَّريق بَلَغهُ حِصارُ صَنْعَاء فَتوَجه إلى ثلا ، فَلمَّا استَقرَّ بثلا وعَسكَره الذين كانُوا في خدار في حَضُور طَلع محمد بن الحسين إلى حَضُور وأَرعَدَ وأبرَقَ ، فَواجَههُ العَسكَر الذين في حَضُور ، ثُم وصَلَت بَيعَةُ الأَمير النَّاصر بن عبد الرب أَميرُ كَوْكَبان للإمام المُتوَكل ثُم تَبعَهُ الحسين بن المُؤيَّد ، وكانَ قَد أَجابَ الصفي ، لَكن رَأى حَركَة إلتِمَامٍ في غَير انتظَام فَأخَذَ بِقائم الأمر ، كَما يَفعلُهُ أَربابُ الأَحلام ، ثُم نَفذَ محمد بن الحسين إلى ثِلا ، فالتقاه الأَمير الناصر بن عبد الرب إلى قَاعِ حَوْشَان[1] ونَهضُوا جميعاً إلى ثِلا ، فَلمَّا رأى أحمد بن القاسم اجتِماعَ النَّاس على أَخِيه المُتوَكل ، وقَولِهم بإمامَته خَاطَب في الخُروجِ والمَسير إلى حَضْرَة صِنْوه الإمَام .

ثُم تَوجَّهت صُحبَتُه العَساكِر والأعيان إلى حَضْرَة المُتوَكل على الله بـــ "ضُوْرَان" ، واستَرَاح الإسلام عن الفِتَن والوَبَال وكفى اللهُ المُؤمنينَ شَرَّ القِتَال ، وصُحبَة أحمد بن القاسم القَاضِي العَلاَّمة أحمد بن سعد الدين المِسوَري ، والسَّيِّد العَلاَّمة إبراهيم بن أحمد ابن عامر وسَائر خَواصه ، ولما علم الذين بصَنْعَاء صَلاح الحَال بين الأخوين ، خَاطَبُوا بالطَّاعَة ، فَدخَلَ أحمد بن الحسن وأثبَتَ الخُطبَة للإمام بلِسَان خَطِيب صَنْعَاء وقَاضِيهَا العَلاَّمة صَارِمُ الدين إبراهيم بن يحيى السحولي[2] ، فَلمَّا وَصَل أحمد بن القاسم إلى صِنْوه الإِمَام تَلقَّاه بِأنوَاعِ الكَرم وخَيَّرهُ في الأَعمَال فاختَارَ صَعْدَه وبِلادِها ، وهي كانَت ولايَتُه مِن والده الإِمَام القاسم ، ووجَّهَ الإِمَام الجِّهَة القِبلِيَّة مِن عَمْران إلى حُدودِ

---

[1] – حوشان : قاع حوشان أرض فسيحة إمتدادها مِن شبام إلى حبابه إلى الغرب مِن صنعاء .

[2] – السحولي : إبراهيم بن يحيى بن محمد صلاح السحولي الصنعاني ، عالم فقيه مجتهد ، ولي القضاء في عهد المُؤيَّد بالله محمد ابن القاسم ت١٠٦٠هـــ . / عن أعلام المؤلفين الزيدية بتصرف.

بِلاد صَعْدة ، بِنَظرِ ولَدِه محمد بن أحمد وشُهَارة وعَفار والسوْدَة[1] ، وما إليها بنَظر الحسين بن المُؤيَّد .

[وفيها سَنة ١٠٥٤هـ] مات الشَّريف الهُمَام هاشم بن حازم المُتولي لِزبيد وما إليها ، وَأوصَى بخيلهُ وآلاتِه لِبَيتِ المَال بنظَرِ الإمَام .

وفي شهرِ شَوَّال مِن هذا العام جَهَّز الإمَام ابن أخيه صفي الإسلام أحمد بن الحسن ابن الإمَام على بِلاد الأَمير الحسين بن عبد القادر وهي : عَدَن ولَحْج وأبْيَن ، وكانَ الصفي مع وصُولهُ إلى هذا الأَمير أطَّلَعَ مِن سيرَته على ما يُقبِّح مِن الأُمُور ، وذَكرَ أنّه سَألَ اللهُ تعالى حِين عقَد التَّوبَة عن الخِلاف على عَمِّه المُؤيَّد أن يَجعَل فَتحَ هذه البلاد على يَدِه ، فَلمَّا وَصَل إلى تلك الدِّيَار شَبَّ على الأَمير الحسين سَعيرُ النَّار ، وأَحاطَ بِبلادِه ووارَاهَا أَجنَادَهُ ، فاقتَدَحَ الأَمير زَنداً ولَم يَترُك مِن الجَّلاد جُهداً .

ثُم إن الصفي شَدَّ لهُ شِدَّة الهَصُور، وأحَاطَت به أَجنَادُه إحاطَة السُّور ، فَكانَت الهَزيمة فيه وفي حِزبِه[2] ، وخَرجَ مِن مَملكَته مُصاحِباً لِكَربِه ، واستَولى الصَّفى على خَزائِنه وذَخائِرِه ، وهو فَرَّ إلى بلاد يَافع .

ثُم إن الصفى ولى الوُلاةَ على البلاد ، وَقَد ظَفِر بِغنَائم تَجِلُّ عن الحَصر ، وعَادَ إلى صَنْعَاء مَنصُور الأَلوِيَة مَعمُور الأنديَة ، فَوافَى حَضْرَة الإمَام وقَرَّبهُ نَظرَة ، وطَاب مِن الصَّفي عَمَّه خُبره وخَبَره .

وفي هذا العام خَرجَ أحمد بن الحسن بِأمر عَمِّه الإمَام إلى وادي "ملاحا"[3] من بلاد بني شَدَّاد ، بِخَولان الطِّيال فَأخرَبَ دِيارَهُم وقَطعَ أَعنَابَهُم وكانَ قَد فَشَا فِيهم الحُكمُ

---

[1] – السودة : بلدة مشهورة في الشمال الغربي مِن صنعاء بالقرب مِن عمران .

[2] – حزبه : جنده .

[3] – وادي ملاحا : ملاحا ، بلدة مِن أعمال الجوف ، وتقع في وادٍ كثير الغيول والمزروعات .

بالطَّاغُوت[١] وإبطَالِ الشَّرِيعَة المُحمَّديَّة ، وتَغلَّبُوا على الوَاجبَات ونَبذُوا طَاعَة الإمَام ، وَقَد كانَ هَمَّ سَائِرُ خَولان بِمثلِ فِعلِهم فَلمَّا وقَعَ بِهم الصفى حذرَ الآخرين وثَبتُوا .

وفي سَنة خمس وخمسين وألف أَعلَنَ السَّيِّد إبراهيم بن محمد المُؤيَّد بِدعوَته[٢] التي كانَ ابتِدَأها وهو مِن العِلم بِمَكَانَ ومن المَنصِب بِحَيث لا يختَلف فيه اثنَان من آل يحيى مَشايخ (ورسا في الهيجا[٣] سبع الاسامى سبلى ارد[٤]).

فَلمَّا شَاعَ هذا الخَبرُ وذَاع ، وكادَ أن يَعُمَّ البِقَاع بَادَر الإمَام بِتوجِيه ابن أَخيه السَّيِّد العَلاَّمة المِقدَام محمد بن الحسين بن الإمَام ، فنَهضَ إليه بِجيشٍ كَثِير ورين[٥] كَبير ، وجَأشٍ مَربُوط ، وهُم بأكنَافِ المَجرَّة مَبسُوط ، فَلمَّا انحَدَر في بلاده ، ووَاراها بأجنَادِه ، استَوثَق مِن الجِّهَات وسَلكَ في أَسباب قَبضَة كُل الطُّرقَات فَقبضَهُ أَسيراً ، وانقَلبَ إلى حَضْرَة عَمِّه الإمَام وهو يَومئذٍ بِصَنْعَاء ولَّما نَجزَ أَمرُه وأَشرَق بحَضْرَة الإمَام بَدرُه ، جَمعَ الإمَام الأعيان بديوَان القَصر الدَّاخِل ، ووَاجَه لهُ على كُرسِي البَاشَا .

ثُم تقَدَّم السَّيِّد مُؤديًّا للبَيعَة ، مُلاطفاً للحَضْرَة بِما حَضرهُ من المَقالِ وجَمِيل الحَال ، ثُم طَلبَ الرُّخصَة مِن الإمَام في العَزمِ إلى الشَّام[٦] والعَودِ إلى حَشَمه والأَرحَام فأَنعمَ عليه بذلك المَطلَب وسَاعدَهُ فيما أَحَب .

فَلمَّا وَصَل الصَّارِم إلى الشَّام أَعاد تلك الخَيالاتِ والأَحلامِ ، وفَزَع الإمَام إلى ابن أَخِيه المِقدام أحمد بن الحسن بن الإمَام ، وعقَدَ لهُ البُنُود وحَشدَ لهُ الجُنُود .

---

(١) – الحكم بالطاغوت : التحاكم إلى القبيلة والتحاكم إلى العرف المخالف للشريعة ، و ماحكم فيه بغير الشريعة المحمدية فهو حكم بالطاغوت .

(٢) – أعلن الخروج ونصب نفسه إماماً ودعا الناس إلى بيعته ، والأصل أن يجتمع أهل الحل والعقد ويبايعوه .

(٣) – ورسا في الهيجاء : ورؤساء في الحرب .

(٤) – سبع الأسامي سبـــ...الخ : وردت هكذا في المخطوط والمطبوع ولم أجد لها معنى .

(٥) – الرين : الطبع ران ريوناً غلب وكل ما غلبك رانك ، قاله إبن منظور ، قال تعالى{ بل ران على قلوبهم }.

(٦) – الشام : المقصود بالشام ، الجهات الغربية من بِلاد صَعْدة المحاذية للمخلاف السليماني .

فَلمَّا وَصَل "بوصان"[١] تَفرَّقَ مِن عِندِ الصَّارِمِ بوصُولهُ ذلك الصَّارم[٢] ، فانحَازَ إلى "مراص"[٣] لَمَّا تَكدَّرَت الحياط[٤] ، وأَنشأَ رِسَالةً بَلِيغَة الأَلفَاظ بِتسلِيمِ الأَمر للإمام المُتوَكل وإِلقَاءِ المَقاليد إلَيه ، تَركتُ ذِكرَ هذه الرِّسالة إختِصَاراً .

وفي سَنة سبع وخمسين وألف هـ وَفَد على الإِمَام رسول مَلك النَّصارى بالحَبشَة ، وكانَ قَد أَرسَلَ أولاً إلى الإِمَام المُؤيَّد بالله عام اثنين وخمسين وألف ، ووجَّهَ هَديَّة مِن الرَّقِيق والزِّناد والبِغَال وسِلاحِ الحَبشَة ، وضَمنَ كِتابَهُ جَميعاً استدعَاء رَسُول مِن الإِمَام لإِفَاضَة ما في نَفسه مِن الكَلام ، فَطمِعَ الإِمَام في إسلامه ، واستَأنَسَ إلى ظَاهِر كَلامه ، وأَنفَذَ إلَيه القَاضِي العَلاَّمة الرَّئيس الحسن بن أحمد الحَيمِي صُحبَة رَسُوله ، فَوَصَل إلَيه بَعد مَشاقٍ هَائلَة ومَسافَة طَايلَة ، وانعَكَس ذلك الأَمَل .

وفي سَنة ثمان وخمسين وألف بَدا للإمام رَأيٌ سَدِيد وانتَقشَ في خَاطِرِه أَمرٌ جَدِيد ، وهو أن يَجعَل لِلحَجَّاج أَميراً مِن أَصْحَابه يَصحُبه جَرِيدَة[٥] من الخَيَّالة ، ويعَسكِرَ مَعهُ جَماعة مِن أَهلِ الأَسلحَة الرَّجَّالَة ، ويستَصحبَ الأَمير صِلَة لأَحقَّاء في مَكَّة المُشرَّفَة ، وَفِيها للشَّرِيف حِصةٌ وَافِرة ولم يَكُن قَد وَقعَت مِن قَبل ، إنَّما كانَ يصحبُ الحَجَّاج أَمير جَازان إلى حلِي ابن يَعقُوب ويَعُود هنالك .

وفي سَنة ثلاث وستين وألف وقَعَ فَسادٌ بِبحرِ القَلزَم ، وذلك أن طائفة مِن الإفرَنج الذين أَسرَهُم السُّلطان في حَربِ مَالطَة كانُوا تَحتَ التَّرسِيم ببندَر السُّوَيس ، فَهرَبُوا مِن البَنْدَر واظهَرُوا كَمِين الشُّرُور ، ورَكبُوا بَحرَ اليَمَن يُرِيدُون النُّفُوذ إلى الإفرَنج الذين بِالهند ، فَصادَفُوا سَفِينَةً قُربَ القُنفُذَة فَأَخَذُوا ما فِيها مِن الأَزوَاد ، وقَتلُوا أَهلَها

---

[١] – بوصان : وادٍ إلى الغرب الشمالي مِن صَعْدة ، فيها قرى ومزارع وسكانها مِن بني جُمَاعة من خولان .

[٢] – الصارم : لقب أحمد بن الحسين .

[٣] – مراص : لم أجدها .

[٤] – الحياط : الأجواء والأوضاع .

[٥] – جريدة : قال الفيروز أبادي ، الجريدة :خيالة لا رجَّالة فيها .

جَميعاً ، ثُم تَوجَّهوا إلى البَحْرِ يَعُوثُون ، وحِين عَلِمَ بهم نَائبُ "اللُحَيَّة" الأَمير سعيد المخربي ، ونائب "المَخا" السَّيِّد العَلاَّمة محمد بن أحمد بن الإمَام الحسن أخَذَا عَليهم المَوارِدَ والمَصادِر ، وسَدَّا عَليهم جَوانب البَحْرِ الزَّاخر ، ولما انتَشَرَ لِواءُ القِتَال طَوُوا شَرائِحَ الإرتِحَال وجَائَت بِحينِهم الآجال ، وقَابلَهُم شُؤمُ الفَال ، وقَبضَ الأَميران عَليهِم ، وتَوجَّه الإدبَار إليهِم وأُدخِلُوا بَنْدر المَخا ، وعَرضَ عَليهم الإسلام الدَّاحض لما سَبقَهُ مِن أدرَانِ الآثام فَمالُوا إلى التَّحنُّق[1] ، واختَارُوا أن يَعمَل فِيهِم السَّيف ، فَقتَلُوا عن آخرهم ، وهم زُهاء مائة نفر .

وَفيها ورَدَت الأَخبارُ إلى اليَمَن بوفَاة السُّلطان الغَازي المُجَاهد إبرَاهيم بنْ أحمَد خَانْ وإلقَاء مَقَاليدَ المُلك إلى ذي القَهرِ والسُّلطان ، فاتَّفقَ رأى الوزَرَاء والأعيان عَلى إقَامَة ولَده السُّلطان مُحَمد بن إبرَاهيم بنْ أحمَد ، وكانَ يومئذٍ بِسنِّ البُلُوغ لكنَّهُ ثابتُ الجَأش كاملُ الحَزمِ نَبيه القَدر ، وكانَ لهُ ثَلاثةُ إخوَة : مُراد بن إبراهيم ، وسَليم بن إبراهيم فَثَبطَا تَحتَ قَيدِ التَّرسيم ، وأحمَد بن إبراهيم قَتلَهُ أَخُوه لأَمرٍ حَدَثَ منهُ ولَمَّا اجتَمعَ الأَمرُ في يدِ مُحَمد بن إبراهيم، أقبَلَ عَلى افتقَاد ذلك الإقليم ، وجَهَّز عَلى طَوابِق الإفرَنج كُل جَيشٍ عَظِيم ، فاستَفادَ المَمالِك الفَاخِرة ، وفَتحَ البِلاد العَامِرَة ، منهَا "مَالطَة" كَما سيأتي .

وفِيه أَعادَ صفي الإسلامِ الحَجَّ إلى بَيتِ اللهُ الحَرَام وزِيَارَة جَدِّه النَّبي عَليه أَفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام ، وتَواتَر أَنَّها فُتِحَت لهُ قُبَّة جَدِّه من العنايَة الرَّبانية[2] ، بَعدَ أن تَشمَّس عن فَتحِها أَهلُ الوِلايَة السُّلطانيَّة ، وذُكِر في بَعضِ التَّوارِيخ أنَّ الصفى لَمَّا

---

[1] – التحنق : تحنق ، اغتاظ ، وغضب ، العناد .

[2] – يبدو أن هذه مِن الإشاعات التي رواها أحدهم فسمع بِها البعض وصدقوها ونقلوها ــ ولا تصح .

وَصَل الصَّفرَاء[1] بالقُربِ مِن المَدينة المُنوَّرَة وصَلهُ كتابُ وَالي المَدينة من جهَة السُّلطان أن لا يَدخُل المَدينة إلا بإذنٍ مِن السُّلطان فَتكَدَّر بَالُ الصفى حَيثُ يُمنَعُ مِن زيارَة جَدِّه المُصطفى ، وصَمَّم على دُخولِ المَدينة والمُقاتَلَة بمَن مَعهُ ، فَأمَرَ أصْحَابه ومَعهُ سَبعُون فَارِساً أن يَلبَسُوا الدُّرُوعَ لِلقتَال ، فَوَصَل إلَيه عَاقِلُ قَبيلَة حَرب[2] المُسمَّى ابن مصان وهو مُصمِّمٌ على ذلك الشَّأن ، فاستَوقَفهُ وَكَتب إلى باشا المَدينة يَسألُهُ عن وَجْه مَنعِ الصفي عن زيارة جَدِّه المُصطفى ، ويَسألَهُ قُبُولَ الشَّفاعَةِ في دُخولهُ لِلزِّيارَة، فَصمَّمَ الوالي على مَنعِه إلاَّ برأي السُّلطان ، فَكَتَبَ ابن مصان إلى الوَالي أن صَاحب اليَمَن وَصَل لِزيارَة جَدِّه فإن تَترُكُوه يَدخُل لِلزِّيارَة ، وإلاَّ فوالله لأُدخلَنَّه المَدينة في مائة ألف سَيف ، فَلمَّا وَصَل كِتابه إلى الوالي عادَ شَمسُه إلى الإسعَاد ، بشَرطِ ضَمَانَة ابن مصان أن لا يَحصُل منه حَدثٌ في المَدينة ، فَدخَلَ الصفى أحمد بن الحسن المَدينة وتَصدَّقَ فيها ووَصَلَ أهلَها ، فَرغبُوا إلَيه في الإستيلاء عَليهَا فَلم يَفعَل وفاءً لابن مصان ، ولَمَّا زَارَ القَبرَ الشَّريف طَلبَ الطوَاشي[3] أن يَفتَح لهُ القُبَّة المُشرَّفَة لِلوُلُوجِ إلى حَضْرَة جَدِّه لِلتَّحلِّي بتلكَ البُقعَة الطَّاهِرة ، والتَّشفِّي[4] بآثار الغُرَّة الزَّاهِرة ، فامتنع ذلك الأغا وتَعدَّى لِمنعه وبَغى ، فَرجعَ الصفى مُكتَئِبَ الخَاطِر مُتغَيِّر البَاطِن والظَّاهِر ، ودَاخلَتهُ الغيرَةُ والإنكِسَار ، فَلَم يَشعُر إلا بالآغا يُقبِّلُ قَدمَيه ، ويسئَلُهُ الرُّجُوع إلى الحَضْرَة النَّبويَّة ، ويُلاطِفُ في الإعتذَار ويُبالِغُ في التَّلطُّفِ والإنكِسَار ، وظَهرَ بعد أنَّه افتَتَحَ

---

[1] – الصفراء : وادٍ جنوب غرب المدينة المنورة ، كثير النخل والزروع ، قال ابن الإصبع السلمي الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع ماؤها عيون وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وتسكنها قبائل جهنية وبني قهر .

[2] – قبيلة حرب : والنسبة "حربي" ، أحد القبائل العربية في الحجاز والمنتشرة أيضاً في أرجاء الجزيرة العربية ، والعاقل هو شيخ العشيرة .

[3] – الطواشي : القائمين على خدمة القبر الشريف وحراسته .

[4] – أراد الإستشفاء والتبرك بالقبر الشريف وهذا محل خلاف بين المسلمين ، والأسلم تجنب ذلك .

البَابَ بَعدَ إغلاقه بالعنايَة الرَّبانيَّة ، وصرَّت القَناديلُ وانكَسَر بَعضُها مِن غَيرِ سَبَب[1] ، فَقرَّ خَاطِر الصفى وأَجزَلَ العَطايَا للأغوات[2] ، وفَرِح بِهذِه الكَرامَة التي ظَهرَت والآية التي بَهرت ، وأنشَدَ لِسانُ حالِهُ وَقَد أشغَفهُ سُؤالُه :

إن يَدنُ منّى فَلى في قُربه نَسَبُ ... أَو يَنْأَ عَني فَفى عَرنينه شَمَمُ[3]

أو تَحم عَني بَنُو حَامٍ أَسرتهُ ... فَمَا صَميمٌ يُدَانيه هُنَاكَ صَمَمُ[4]

وفي سَنة أربع وستين وألف خَطبَ بدر بن عمر الكثيري[5] صَاحِب حَضرَموت للإمَام ، فَقبَضَ عليه ابن أَخيه بدر بن عبد الله بن عمر وكُبَراءُ دَولَته وخَلَعُوه عن الأَمرِ ووَضعُوهُ في الحَديدِ وأَطالُوا لهُ الزَّجرَ والتَّهديد ، ونَصبُوا ابن أَخيه المَذكُور في دسْته ، وأَقامُوا في تَختِه ، وحِينَ بَلَغ الإمَام ما صَنعُوه هَمَّ بِالتَّجهِيز عَليهِم ، وَقَدَّم الرَّسائِلَ إليهِم ، وسَيأتي تَمامُ ما وقَعَ في مَحلِّه .

وفي سَنة خَمس وستين وألف في شهرِ صَفَر أمرَ الإمَام بِحَشدِ الجُنُود وأبرَارِ البُنُود إلى "بني أرض"[6] لإصلاحِ فَاسِدِهَا وتَقويم خَارِبها ، لأَجلِ الدُّخُول إلى حَضرَموت لإنجاد

---

[1] – يظهر أن هذه من الإشاعات أيضاً ـــ ولاتصح .

[2] – الأغوات : هم الذين يقومون ويقضون حياتهم في خدمة الحرم النبوي والحرم المكي ومن الذين لا مأرب لهم في النساء .

[3] – عرنينه : عرنين ، الأنف ، أو ما صلب من عظمه ، شمم : لغة إرتفاع قصبة الأنف ، أراد العزة والإباء .

[4] – الصميم : من صميم قومه ، من خلص القوم ، وصمم : وردت "صم" في المطبوع .

[5] – الكثيري : من سلاطين حضرموت وليها بعد إعتزال أخيه عبدالله وزاحمه عَلَى السَّلطَنة إبن أخيه فاستنجد بإمام اليَمَن الإمَام المتوكل يساعده بإرسال جيش وخطب للإمام ودعا له ، توفي في المدينة المنورة في ١٠٧٣هـــ .

[6] – بني أرض : من قبائل سرو مذحج في البيضاء والنسبة أرضي .

بدر بن عمر ومَنعَت بلاد "الرصَّاص"[١] و "يَافع" وبلاد "العَولَقي" و "الجَّرشي" و"الوَاحدي" و "الفَضلي" عن المُضي من بلادهم فَجدَّ الإمَام في جهادهم ، فاجتَمَع لأولاد أخيه زُهاءَ عَشرةِ ألاف من مُقاتلَة الرِّجَال ، وألفُ عَنانٍ من الخَيل وجَزيلها لعزِّ الإسلام محمد بن الحسين الإمَام ، فأنفَذَ قَبلَ ذلك رَسائلهُ إلى الشَّيخ حسين الرصَّاص ، لأنَّه أول قُفلٍ لفكِّ الأقفَاص ، ولَبثَ في تلك العَرَاص[٢] ، فَلمَّا عَلمَ الرصَّاص بمَا أجمَعَ عليه الإمَام شَمَّخَ بالعَرنين ، وبَرزَ بُروزَ لَيث العَرين ، وحَشدَ قَبائل البلاد وحَرَّضَ على التَّأهُّب في غَورهَا والنَّجَاد وتَصَوَّر أنَّ نُفوذَ العَسكَر إلى خَلفه دَلالَةٌ على عَجزه وضَعفه ، ورَكَزَ نَفسَهُ هَدَفاً للحسين ، وانتَعشَ في نَامُوره[٣] قول أحمد بن الحسين[٤] شعراً :

غيرَ أنَّ الفَتى يُلاقي المَنَايَا كَالحَاتٍ ولا يُلاقي الهَوانَا

و إذَا لَم يَكُن من المَوت بُدٌ فَمنَ العَجز أن تَكُونَ جَبَانَا[٥]

وتَرتَّب هو والعَولَقي بعَسكَرهما بنَجد السَّلف وحَجَّا بنَفسه[٦] السَّلاطين من أمَامٍ وخَلف ، وكانَ قَليلٌ من أصْحَاب الإمَام قَد نَفذُوا إلى الزَّاهر[٧] ، وهي ممَّا غَلَب عليه الرَّصَّاص ، وكانَت في الأَصلِ للقَائفي ، ولمَّا سَئِم الرَّصَّاص من الإنتظَار بَادَرَ إلى

---

[١] – آل الرصَّاص : من مشائخ بلاد البيضاء ، ديارهم في منطقة مَسْوَرة وهم من قبيلة يقال لها (بنير) ، وكانت منطقة البيضاء وما حولها تخضع لنفوذهم وكان يطلق عليهم لقب (بيت السلطان) .

[٢] – العراص : العَرَصة والعَرَصَات : الأمكنة الآهلة .

[٣] – ناموره : الناموس : الرم ، قاله إبن منظور ، أراد انتعش في نفسه وتفاخر .

[٤] – الشاعر العربي المشهور "المتنبي" .

[٥] – تكون جبانا : في الديوان "تموت جبانا" .

[٦] – وردت في المخطوط "بنفسه" ، لعلها "ببقية" لاستكمال المعنى .

[٧] – الزاهر : بلدات كثيرة تحمل هذا الإسم ولكن المقصود عَلى ما يبدو هي بلدة من أعمال البيضاء .

ذي كرث[1] بجَيشٍ جَرَّار ، فَرقَا أولاد الإمَام بِنُفوسِهم على نَجد السَّلف وبَادَرُوا إلَيه يوم الخميس رابع رَبيع الأول من سَنة خمس وستين وألف ، وانقضَّ جَمعُهُم بُكرَةً على الشَّيخ ومن إلَيه ، فَقصَدَ الصفى مَركِزهُ وهو المَقامُ الأول والمَركزُ المُعدَّل ، فاشتَجَرت الرِّمَاح واشتَدَّ الكِفَاح واختَلفَت الرَّصاص ونَادَى لِسانُ الحَال "ولاتَ حينَ مَناص" ، وَقَد أبَان الصفى عن تَحليق العِقَاب وشَجاعَة أَبيه حيدر حين اقتَلَع الباب[2] ، فانخَذَلَ عن الرَّصاص منصر العَولَقِي ، وتَأَخَّر عن الحَربِ بالذُّلِّ الذي بَقِي ، وتَبعهُ قَبائِل يَافِع بمَن بَقِي ، وثَبتَ الكِفَاح على الرَّصَاص وصَارَ دَمُه[3] للرِّمَاح ، وهَدَفاً للرَّصَاص ، وأمَرَ الصفى أصْحَابه بِترَكِ الرَّمي فَاختَرطُوا السُّيوف وأقبَلُوا على الحُتُوف ، واختَلَطَ الفَرِيقَان حتَّى اغبَرَّت الدُّنيَا ، واصطَدَمَت الهَامَات في الجَّو ، فانجَلَت المَعرَكَة عن قَتلِ حسين الرَّصَّاص وجَميع من ثَبتَ مَعهُ ، فَحُملَ رَأسُه بَعدَ قَطعه بالحُسَام ، إلى أن مَثُل به في حَضْرَة الإمَام ، وانهَزَم أخُوه صالح الرَّصَّاص بحَشَمه وحَرِيمه إلى "البَيْضَاء"[4] وانتَهبَت العَسكَر جَميع ما في مُخيَّم الرَّصَّاص .

ثُم وَاجَه بعد ذلك صالح الرَّصَّاص على بِلادِه وقَبائلهُ ، وكانَ محمد بن الحسين حال أن تقَدَّمُوا للصِّدَام قَد خَرجَ عن بَطنِ الوَادِي في المَيمَنَة ، فَلَم يَصِلِ إلا وَقَد انجَلَت المَعرَكَة بِقَتل الرَّصَّاص وحزبه ، فَأسِفَ على عَدمِ حُضُوره هَذه الحُرُوب فَتوَجَّه مِن حِينه على البِلاد اليَافِعيَّة فَسارَ إلى "الخلف" ببعضِ الأَجنَاد ، واستَقرَّ بِها يَومَين .

ثُم تقَدَّم في نَهارِ الإثنين تاسع عشر شَهرِ جُمَادى الآخرة إلى ذَيل جَبل العز[5] لاستِخرَاجِ يَافِع ، فَوقَع حَربٌ قُتِلَ فِيه جَماعة مِن عَسكَر محمد بن الحسين .

---

[1] – ذي كرث : لم أجدها .

[2] – يشير إلى خَلْع أمير المؤمنين سيدُنا علي لباب خيبر في غزوة خيبر ـــ ولا تصح المقارنة .

[3] – في المطبوع درية للرماح ، وهي المكان أو القطعة التي تكون هدفاً للمهاجمين .

[4] – البيضاء : مدينة كبيرة إلى الجنوب الشرقي من ذَمار بمسافة ١٢٠ميل تقريباً .

[5] – جبل العز : إلى الجنوب والأطراف الجنوبية الغربية من وادي حضرموت في أعلاه حصن منيع بني عام ٨٤٢هـ .

ثُم حَمَلوا على أَهلِ العز في سَفحِ الجَّبل فَهزَمُوهُم إلى أَعلاه ، والقَتلُ والضَّربُ في أَعقَابِهِم .

ثُمِ طَلع عَسكَر الإِمَام عليهم الجَّبل قَهراً ، واستَولى محمد بن الحسين على الجَّبَل ، وَدَخَل الجُّندُ بلاد مرفد[1] ولَمَّا عَلمَت قَبائِل بلاد يَافع باستَقرَارِ أصْحَاب الإِمَام بمرفد اجتَمعُوا من كُل أَوب وأَحاطُوا بمرفد ، فَكَتَب محمد بن الحسين إلى الصفي فَبَادَر بالغَارَة والجِّيُوش الكَرَّارَة فَلمَّا ضُرِبَت طُبُولهُ ولَّت يَافِع الأدبَار ، وحَقَّ عَليهِم البوَار .

ثُم طَلبُوا الأَمان فَبذَل لَهُم ، ودَخَلَت الأَجنَاد الموسطة[2] ، وصَلحَ أَمرُ يَافِع وسَكنَت الزَّعازِع[3] ، وعَادَ الأَمرُ إلى حَضرَة الإِمَام ، وأَمَّرُوا على البلاد السَّيِّد شرف الدين بن المُطَهَّر بن عبد الرحمن بن المُطَهَّر بن شرف الدين ، وكانَ رأي الإِمَام عَدَم مُسارَعَة الأُمرَاء إلى الوُفُود وأنْ يَلبَثُوا بالجُّنُود ، ولَمَّا بَلَغ السُّلطان الذي في حَضرَموت هذا النَّصرَ الجَّسِيم والفَتح العَظِيم ، أَطلَق عَمَّهُ من التَّرسِيم ، وأشعَرَ بِطاعَة الإِمَام وإظهَار الخُطبَة والإئتِمَام ، فَأرسَلَ الإِمَام الأَمير صالح بن الحسين الجَّوْفي إلى تلك الدِّيَار فَوجَدَ الأَمرَ على حَقِيقَته ، ووجَّه إلى بدر بن عمرٍ ولاَيَة ظَفَار[4] ، وجعل الإِمام وِلاَيَة البَيْضَاء ويَافِع[5] إلى ابن أَخِيه الحسين بن الحسن ، فاستَمَرَّ على وِلاَيَتِهَا مِن رَدَاع إلى أَعمَال صَاحِب حَضرَموت .

---

[1] – بلاد مرفد : بلدة معروفة في بلاد يافع وبنو مرفد قبيلة من قبائل يافع كانت قد استوطنت وادي حضرموت ، والنسبة مرفدي .

[2] – الموسطة : منطقة واسعة في بلاد يافع مركزها بلدة القدمة وقبائل الموسطة ضمن قبائل يافع وقد استوطنوا وادي حضرموت .

[3] – الزعازع : قال الفيروز أبادي الزعازع قرب عدن ، وهي أيضاً الشدائد من الدهر ، والزعزعة تحريك الرياح للشجرة .

[4] – ولاَيَة ظفار : إقليم ظفار وهي منطقة كبيرة واسعة وتتبع اليوم دولة عُمان .

[5] – يافع: قبيلة كبيرة مشهورة منازلها بين الضالع ولحج ، وقد عانت بلاد يافع من العزلة بسبب طبيعتها الجبلية القاسية .

وفي سَنة ست وستين وألف تُوفي السَّيِّد المقَام العَالم الهُمَام صفي الإسلام أحمد بن القاسمِ بن محمد بِصَعْدَة ، وكانَ مُتَولياً لها حَسبَمَا قَدَّمنا ، وكانَ أكبَرَ سناً مِن أخيه المُتوَكل على اللهُ ، مُحباً لِلصَّدقَات وفِعلِ المآثر الحَسَنة ، ومِنهَا الحَسَنة الجَّارِيَة والمنقبَةُ الغَالِيَة (جَامِعُ الرَّوضَة) ووَقَع على الكَيفيَّة التي يَقطَعُ مِن شَاهدها أَنَّها بِرٌ مَوصُول وعَملٌ مُتَلقَّى بِالقَبُول ، حتَّى قال بَعضُهُم شِعراً :

لا تَحْسَبَ الجَّامِعَ في رَوضَةٍ   و إِنَّما الرَوضَةُ في الجَّامعِ

ووقَفَ عَليه أوقَافَاً وَسِيعَة .

ومن مآثره سَمسَرَة[1] الأَزرَقَين[2] وسَمسَرَة رَيْدَة[3] ، وعِمَارةُ جَامِعِ الهَادِي بِصَعْدَة وكان لهُ في الصَّدَقات وفِعلِ الخَيرَات في السِّنِين الشَّدِيدَة ما لا يُوصَفُ ولا يبْلغُ فِيه إلى طَرف .

ووجَّه الإمَام وِلايَة صَعْدة وبِلادِها إلى وَلَدِه العَلاَّمة علي بن أحمد .

وفي سَنة سبع وستين وألف أعادَ أحمد بن الحسن عِمارَة حِصن ذي مَرْمَر إلى ما كانَ عَليه ، وأسكَنَ أهلهُ فِيه وفي الغرَاس .

وفي يوم الجمعة ثامن شهرِ شَوَّال منهَا تُوفي السَّيِّد الإمَام العَلاَّمة صَاحِب العُلُوم التي مِنهَا "بُلُوغُ المَرَام في شَرحِ آياتِ الأَحكَام"[4] محمد بن الحسين بن الإمَام المَنصُور بالله

---

[1] – سمسرة : خان : إستراحة المسافرين ودوابهم ، فندق .

[2] – الأزرقين : منطقة في وادعة هَمْدان ، بالغرب الشمالي من مدينة صنعاء ، على الطريق الذاهبة إلى عمران وصعدة .

[3] – رَيْدَة: إلى الشمال من صنعاء وتشكل اليوم (مديرية) من أعمال عمران،وتبعد ٢٠كم شمال شرقي عمران .

[4] – الكتاب مطبوع ومتداول ، وقـد ذكره الزركلي في كتاب الأعلام باسم (منتهى المرام في شـرح آيات الأحكام ٦/١٠٢) .

القاسم ودُفِن بمقبَرَة البُستَان[١] إلى جَنب المَسجد الذي بَناهُ والدُه الحسين ، وكانَ لهُ في العُلوم اليَدُ الطُولى ، والتَفت آخر مُدَّته إلى الفقه ، وكانَ مع ذلك يُحبُّ السُّنَّة النَّبويَّة ويُعظِّم أهلَها ، وأكثرَ من السَّمَاعات لأَسَانيدها ، ومن مُؤلَّفاته "أَحاديثُ في التَّرغيبِ والتَّرهيب" وكانَ كَثير المُذاكَرَة ، عَظيم التَّواضُع والمُؤانَسَة ، وجَمع من الكُتُب شَيئاً كَثيراً .

وفي سَنة ثمان وستين وألف غَدَر[٢] صَاحِب حَضرَموت زيد بن عبد الله بعمِّه بدر بن عمر ، وأَخرَجهُ مِن ظَفَار ، فوَصَل إلى الإمَام للإنتصَار ، فأكرَمهُ الإمَام وأوعَدهُ بُلوغَ المَرَام ، وبَقي في الحَضْرَة مُكرَّماً حتَّى كانَ في شهرِ جُمَادى الأولى من سَنة تسعة وستين وألف بَرزَ الإمَام في المَنشيَّة[٣] ، وضَربَ فيها الوطاف[٤] ووَصَلهُ إليها عز الإسلام محمد بن الحسن ، فأجمَعَا على اصطِفَاء الصفي أحمد بن الحسن بن المَنصُور لِفَتحِ حَضرَموت والشِّحر المَشهُور .

وفي الخامس مِن شَوَّال تَهيَّأ الصفي فَسارَ إلى وادي السِّر بمخلاف خَولان ، ثُم منهُ إلى فحوَان[٥] ، ثُم إلى أرغوان[٦] ، ثُم سَارَ إلى مَأرب وبَيحَان ثُم دَخَل أَطرَاف بلاد العَولَقِي[٧] ، فوَصَل بَلدَة وَاسِط[٨] ، ثُم سَارَ إلى وَادِي حجر ثُم تَجرَّد مِن حجر تَجرُّدَ

---

[١] – مقبرة البستان : البستان : إلى الغرب مِن صنعاء وكانت الإسم القديم لمنطقة لبني مطر .

[٢] – غدر : هذا صراع عَلَى السلطة وهذا الصراع في معناه العام يفتقد إلى الأخلاق فقد يقتل الأخ أخاه وما أكثر ما حدث هذا في حكم الأئمة وحكم السلاطين في اليَمَن وغيرها .

[٣] – المنشية : نقيل المنشية يفصل بين قاع جهران وبين قرية سِمْح مِن قرى ضوران آنس .

[٤] – الوطاف : ضرب مِن السروج ، تصنع للخيل والحمير والبغال والمقصود أنَّه نصب خيامه في الموقع المذكور .

[٥] – فحوان : لم أجدها ، والواضح مِن السياق أنها بالقرب مِن الجوف .

[٦] – أرغوان :وردت هكذا في المخطوط والصواب رغوان: الواقعة أسفل الجوف بين الحزم ومأرب .

[٧] – بلاد العولقي : نسبت إلى سلاطين العولقي (العوالق) وتنقسم إلى العوالق العليا والعوالق السفلى وهي إلى الشمال الشرقي مِن سلطنة الفضلي بإتجاه بلاد يافع .

[٨] – واسط : قرية كبيرة مِن أعمال شبوة ــ وفيها آثار قديمة مهمة ــ وردت في المطبوع (واسطة) .

الحُسَام ، وَقَد كانَ سُلْطان حَضرَموت قَدَّم عَسكَره إلى أَعلى عُقبَة حجر لِمَنع أحمد بن الحسن مِن صُعُودِهَا ، فَطلَع عَليهم العقبَة ، فَفرُّوا مِن مَراكِزِهم وانهَزَم مُقَدَّمُ السُّلطان ، ومَهَّد لِمَن بَعدهُ هذا الفِّعَال فَصنَعُوا صُنعَه ، حَذوَ النَّعَال بالنَّعَال ، واستَولى الصفي على خَزَائنه ، وأَزوَاده وذَخيرَته وأَمدَاده وهذا المَحلُّ يُقَال لهُ "رَيْدَة أبا سدوس"[1] وعند ذلك طَلعَت على الصفى طَلائِع الإنتصَار ، وتَواتَرَت إلَيه قَبائِل تلك البلاد ، ثُم تقدَّم إلى بلاد الهجرين[2] ، ولَم يَبقَ إلى مَحلِّ السُّلطان عمر غَير مَسافَة يَومين ، فَتلَقَّاهُ الحَضارِم رُكبَاناً ورَجَّالَة ، وقَاتَلُوا عن مَنصب سُلطَانِهم لا مَحَالة ، فَأُطلقَت عَليهم الرَّصَاص بالمذَابَة ، ووجَّهَ إليهم الرَّدى أَسبَابَه ، فَقُتلُوا في الأَودِيَة والشُّعُوب ، وخَرُّوا على الأَذقَان والجُنُوب ، وانهَزَم السُّلطان مِن هبتن[3] إلى شبام وَقَد طَرأَ عليه بِساطُ الأَحكَام فَدخَل الصفى هبتن واغتَنَمَ ذَخائِر السُّلطان ، ثُم عَطفَ على شِبام وأَخذَهَا سَلامً بسَلام ، وهي عَينُ مَدائِن الإسلام ، فاستَولى الصفي على مَنازِل ذلك البَدر ، ولمَّا سَقَطَ في يَد السُّلطان ، عادَ إلى الطَّاعَة بَعدَ العصيَان ، وصَلَحَت الأَحوَال ورَجعَ الصفي في أَنعَمِ بَال وأَطيَب حَال ، وأَرسَلَ الصفي بالسُّلطان بدر إلى حَضْرَة الإمَام ، فاستَبْقَاهُ الإمَام أَيَّاماً ، ثُم فَسحَ لهُ إلى دِيارِه ، وتُوفي بِجهَتِه بَعدَ عَودَتِه إليها كَما سَيأتي ثُم ارتَحلَ الصفي إلى حَضْرَة الإمَام فَوَصَل ضُوْرَان في أُبَّهةٍ فَاخِرَة ، ودَولَةٍ قَاهِرَة تعنُوا بِهَا الأَكاسِرَة ، ونَصرٍ عَجِيب وفَتحٍ قَرِيب .

وفي سَنة سبع وسبعين وألف وفَدَت أَخبارٌ مِن مَكَّة بِوفَاة الشَّرِيف المَنِيف الحَازِم الصَّارِم ، زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نُمَي ، وَقَد تقَدَّم رَفعُ نَسبه فِيمَا أَسلَفنَاهُ مِن الإشارة إلى مَن وَلِيَ مِنهُم أَمرَ مَكَّة ، في أول هذا التَّوقِيع .

---

[1] – رَيْدَة أبا سدوس : الصواب أبا مسدوس بالميم وتسمى رَيْدَة الدِّيِّن ، وهي ما بين وادي دوعن ووادي عمد بحضرموت .

[2] – الهجرين : بلدة كبيرة في وداي دوعن بحضرموت وهي بلدة قديمة ترجع إلى العصور الحميرية .

[3] – هبتن : لم أجدها .

وهذا الشَّرِيف هو هِزَبْرُهَا الهَصُور وأَميرُها المَشهُور ، وإليه أَيضاً مِن السُّلطان نِيابَة الحِجَاز والمَدِينَة[1] والصَّفراء[2] وعَرة[3] ويَنبُع وبَدر وخَيبَر ونَجد الأَعلى ، كَالطَّائف ونَخيلَة[4] ، ومَا يَتَّصِل به مِن اليَمَامَة إلى بِيشَة[5] إلى بلاد البدلع[6] إلى القُنفُذَة[7] إلى حَلي[8] وعَبُود[9] وبِيْش[10] ، واضطَرَب حَالُ الأَشرَاف بَعدهُ ، حتَّى استَقرَّ الأَمرُ بِولايَةِ ولَدِه سعد بن زيد ، مِن جِهَة سُلْطان الإسلام محمد بن إبراهيم خان فَتَطاوَلَ إليها الشَّرِيف حمود [وأراد أن يَكُون صَاحِب البَندِ المَعقُود] وهو خَلِيق أن يَصعَد[11] عليه التَّاج ، ويَكُون أَميرَ هَذه الفِجَاج ، لِتلكَ النُّجُومِ القُرَشيَّة والحَرَكات السَّبعيَّة ، لكن اتَّفقَ أن الشَّرِيف زيد أَنجَبَ أَولاداً كَانُوا على يَد بَدِيل[12] نيابَة السُّلطان ، وانتَهَى إلى خَاطِر الأَمِيرين ذي الفَقَار وشعبان وكَثُر المَيلُ مِنهُمَا إلى الشَّرِيف سعد وأَخِيه الشَّرِيف محمد ، لَكِن اغتَنَم الأَعيانُ غَفلَة الشَّرِيف محمد وسَنَائه أَطوَل وسنُّه أَكبَر وأَجَلّ ، وكانَ نَصبَ سَعد مَشرُوطاً بِرَفعِ خَبرِه إلى الأَبوَاب العَالِيَة ، وما جاء من هُنَالِك ، فهو المُعتَمَد والصَّواب ، فَورَدَ الأَمرُ لِسَعد بِولايَةٍ مَنصُوصَة ودَولَة مُمَكَّنَة .

---

(1) – يقصد المدينة المنورة .

(2) – الصفراء : سبق التعريف بها .

(3) – العرة : مِن أرض الحجاز .

(4) – نخيلة : وادٍ في الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين وبها يجتمع حاج اليَمَن ، ذكرها ياقوت .

(5) – بيشة : أعلى جبل عسير إلى الجنوب مِن الطائف .

(6) – البدلع : مِن أرض الحجاز .

(7) – القنفذة : آخر بلدة مِن المخلاف السليماني شمالاً عَلَى ساحل البَحْرِ الأحمر ، إلى الغرب مِن عسير .

(8) – حلي : إلى الشمال مِن القنفذة عَلَى ساحل البَحْرِ الأحمر .

(9) – عبود : جبل بين المدينة والسيالة /معجم البلدان .

(10) – بيش : وادٍ مشهور إلى الشمال الغربي مِن صبيا في المخلاف السليماني .

(11) – وردت في المطبوع "يعقد" .

(12) – قصد أهم قادرون عَلَى نيابته .

وفي سَنة ثمان وسبعين وألف في شهرِ رَجَب كانَت وَفاةُ السَّيِّد العَلاَّمة علي بن المُؤيَّد بالله محمد بن المَنصُور بالله القاسم بن محمد ، وكانَ إليه من والده نيابَةُ صَنْعَاء وما إلَيها ، كالحَيْمَة وغيرِهَا من حينِ خُروجِ البَاشَا حيدر منهَا ، وكانَ مَشهُوراً بحُسن السِّياسَة ، ورعَايَة مَناصب النَّاس على مَراتبِهم ، ومُخالَطَة العُلماء وأَخذ الفَوائد منهُم ، والمُذاكرة في أنواعِ الفُنُون ، مَبسُوط الأَخلاقِ سَهلُ الطَّرِيقَة قَرِيبُ الجَانب ، غيرُ مُتطاولٍ في المَلبَسِ والمَأكلِ والمَسكَن ، واستَمرَّت ولايَتُه بصَنْعَاء قَدر أربعين عاماً ، غَالبُها أَحوالٌ جَميلَة ، وقُبر في صَرحِ مَسجِد الإمَام الوشلي[1] ، وبَنى عَليه قُبَّة عَظيمَة ، هُدمَت أَيامَ الخَوارجِ من نَجد[2] ، ورَجَّح الإمَام المُتوكل على اللهُ ولايَة صَنْعَاء لوِلَده الإمَامِ العَلاَّمة القُطبِ الرَّبَاني الزَّاهد النَّجيب عز الإسلام ، محمد بن المُتوكل على اللهُ على صَنْعَاء والحَيْمَة وحَرَاز ، ونِهْم وخَوْلان وسَنحَان وبلاد البُستَان وهَمْدان وبني الحَارث وثِلا ، مع إطلاقِ يَدِه في رَفعِ المَظَالِم من سَائر البُلدَان ، فاستَقرَّ بِقَصرِهَا ، ومَلَك أَمرَها ونَهيهَا.

ولَّما تَقرَّرَت لِسعد بن زيد أَميرَ مَكَّة المُشرَّفَة الوِلايَة والحَظُّ مِن السَّلطَنة العُثْمَانية بعَين العِنَاية ، أَنفَذَ الشَّريف حمود بن عبد اللهُ بن حَسَن ولَدَه إلى حَضْرَة السُّلطان ، وأَودَعهُ ما في خَاطِره من الأَشجَان ، فَتعَرَّضَ لهُ صَاحِب مصر[3] بالتَّعويقِ ، ومَنعَهُ من مُرُور الطَّرِيق ، فاستَشَاط على حمود حَنَقُه واستَطَال قَلقُه ، وأخَذَ يَعسِفُ الأُمُور ويحجرُ طَرِيقَ السَّلطَنة عن المُرُور .

---

[1] - مسجد الوشلي : في صنعاء القديمة ، معروف حتى اليوم .

[2] - المقصود جنود الحركة الوهابية الذين وصلوا في حركتهم إلى صنعاء وهدموا كل الأضرحة والعتبات . ثم إنهم ليسوا بخوارج ولكنهم يبالغون في تصوراتهم ... غفر الله للجميع .

[3] - صاحب مصر : والي مصر من قبل الدولة العثمانية هو إبراهيم باشا الصوفي ولّيها منذ عام ١٠٧٧هـ حتى عام ١٠٧٩هـ .

فَتَوَجَّه الأغا يوسف القُنبُطان بمِصر في عَساكِر مَنقُودَة ، وأَلوِيَة مَعقُودَة ، وكانَ الشَّرِيف حَمُود بِيَنبُع ، فَوَصَلَ يُوسُف أَطرَافَهُ ، وهَيَّأَ لهُ حَمُود أَشرَافَهُ ، ومِنهُم محمد بن زيد ، فابتَدَأَ بالحَربِ[1] حَمُود ، وصَدَمَ العَسكَر المِصريَّة بِخَميسٍ هو غُرَّته[2] ، وجَيشٍ لا يَبقَى بالسَّابرى معرته[3] ، فَلفَّ جَبينَه ذو حَسَن قَد أَسرَعُوا خرصاهم[4] ، وأَراضُوا فُرسَانَهُم شِعراً :

و في أَكُفِهِم النَّارُ الَّتي عُبِدَت | قَبلَ المَجُوسِ إلى ذي اليَومِ تَضْطَرِمُ[5]

هِندِيَةٌ إنْ تُصَغِر مَعْشَراً صَغُروا | بِحَدّها أَو تُعَظِّم مَعْشَراً عَظُموا[6]

فَصلَحَ بَينهُم هَجير العِرَاك ، ووَقَع الإختِلاطُ والإشتِبَاك ، وقُهِرت بِآخرِ المَعرَكَة صَولَة العِصابَة الحَسنيَّة ، فاستُأصِلَت شَأفَةُ الطَّائِفَة المِصريَّة ، نَاهيكَ أَنَّه لَم يَنجُ مِن العَطَبِ إلاَّ الأَمير سعد بِحينه بالهَرب ، وأَعيَت عَليه مَواقِعُ الطَّلَب ، ثُم أَمرَ الشَّرِيف حَمود بِذَخيرة البَاشَا وشُحنَتِه ، وَفِيها ما يَخجلُ ضَبطَهُ الأَقلام ، وتُقطَعُ لأَجلِهِ الأَوامِر[7]

---

[1] - ورد في المطبوع بحرب .

[2] - بخميس هو غرته : الخميس هو الجيش ، كان المشركون يقولون (جاء محمد والخميس ، أي جاء محمد والجيش)، وقُصد هنا أن حمود عَلَى رأس الجيش.

[3] - السابري معرته : كذا وجدها في المخطوط والمطبوع .

[4] - خرصاهم : كذا وجدها في المخطوط والمطبوع أيضاً.

[5] - كناية عن قوة الرجال وعزيمتهم في المعركة وأنهم لا يخافون النزال و اللقاء .

[6] - كناية عن أن حد السيف هو الذي يحدد مقام العز أو درجة الذل .

[7] - الأوامر : وردت في المطبوع "الأرامل" .

والأَرحَام ، فَنضحَ[١] حمود مِن صَحبهُ من الأَشرَاف مِن تِلكَ النَّفائِس بِجمهُور ، وادَّخَر ما بَقيَ لِعَواقِب الأُمُور .

وفي شَوَّال مِن هذه السَّنة سَنة ثمان وسبعين وألف جَاءَ صَحيحُ الخَبر بِخُروجِ طائِفَة مِصر والشَّام على الشَّرِيف حمود[٢] ، ثُم إن النُّفُوذَ إلى مَكَّة وهُم زُهاء أربعة آلاف مِنهُم خَمسَةُ أُمرَاء .

وفي سَنة تسع وسبعين وألف فِيها وَصَل العَسكَر السُّلطاني إلى مَكَّة ، وَقَد مَالَ حمود عن طَرِيقِهِم ، وتَخلَّى بأعيَانه إلى مَشرِق الحجَاز ، ولَّما تَمَّت أَعمالُ الحَجِّ خَرجُوا في طَلَبه ، ولَم يعذرُوا سعد بن زيد عن الرَّحيل لِيكُون لَهُم أَكيَسَ دَلِيل ، فتَوجَّهوا جَميعاً إلَيه ، ومَالُوا بِجُملَة تِلك الأَجناد عَليه فَلَم يَظفَرُوا به كَونَه أَوى إلى مُنحرزِ الجِّبال ، فانعَطَفُوا على قَبائِل يَنبُع وما والاهَا وجَرَّعُوهُم الوَبَال والهَوَان ، وانصَرفَ طائفةُ الرُّوم ، فانقَلَب سعد إلى دَارِ السَّعَادة[٣] ، وَقَد ثَبتَتَ لهُ الوِسَادَة ، وبقى حمود في تلكَ النُّجُود ، يَزأَرُ زَأرَ الأُسُود .

وفي ليلة الخميس ثامن رَبيع الأول مَات مَلكُ اليَمَن عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمَام عَقبَ وُصولهُ إلى الرَّوضَة مِن اليَمَن وقَبرُهُ بالرَّوضَة مَشهُور عليه قُبَّة فَاخرَة ، وكانَ مَوتُه رزءاً للإسلام ، وانحلالاً في النِّظَام ، فإنه كانَ عَيناً في المُلُوك والعُلَمَاء ، ورَأساً في الحُلَماءِ والحُكَماءِ مَهِيبَ الجَّانب شَدِيدَ الوَطأَة على المَرَدَة والبَطَّالين ، نظَاماً لقانُون المَلك ، مُلاحظاً لجانب العلم والعُلَماء ، وكانَت البِلاد بيَده بتَفويضِ عَمِّه المُتوَكل فَجمَعَ الأَجناد وأَصلَح البِلاد ، وكانَت خَيلهُ التي تُركَب بِرُكُوبه ثمانية عشر

---

[١] – فنضح : وردت في المطبوع "فنصح" .

[٢] – الشريف حمود : حمود بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمى رأس الأشراف وفارسهم في عصره ، اختصه أمير مكة زيد بن الحسن وزوجه إبنته وألقى إليه مهمات تطويع منطقة الحجاز ، توفي زيد عام ١٠٧٧هـ ، وتقدم حمود للإمارة فنازعه عليها سعد بن زيد إبن عمه واستقرت الأمور لزيد وبقي حمود مخلصاً لإبن عمه حتى توفي عام ١٠٨٥هـ ،/الأعلام .

[٣] – دار السعادة : استقر ودانت له الأمور وأصبح أمير مكة بلا منازع .

مائة عِنَان والرَّجَالَةُ إلى عشرة آلاف بُندُق ، وأَخذَ في العُلُوم أَولاً عن القَاضِي العَلاَّمة أحمد بن يحيى حابس صَاحِب التَّصانيفِ أيامَ وِلايَته بصَعْدَة نيابَةً عن أَبيه الحسن ، وسَمِع كُتبَ التَّفاسِير والحَدِيث والفقه والأَدوات[١] ، وآثاره في كُتبه تَدُلُّ على طُول يَده في جَميع الفُنُون ، وجَمعَ خزانَة كُتُبٍ عَظِيمَة بالخُطُوط المَنسُوبَة ، ولهُ "شَرحُ مرقاة الأُصُول" لِجَدِّه الإمَام القاسم بن محمد ، وجَوابُ مَتِين على الشَّيخ العَلاَّمة أحمد ابن علي مطير وغَيرِه ، ومن مَآثِره الحَميدَة تَوسِيعُ جَامع مَدِينَة ذَمار ، وعِمَارةُ مَنارَته .

وفي سَنة احدى وثمانين وألف ، بَلَغ الإمَام حُصولُ تَخطِيف[٢] مِن أَهلِ بَرَط في طَرِيقِ مَدِينَة صَعْدة ، وتَعرُّضٍ للمَارَّة ، وسَلبٍ لِلسَّيَارَة[٣] ، فَأمرَ والي بلاد بَكِيل السَّيِّد الهُمَام محمد بن أحمد بن الإمَام بالنُّفُوذ إلى بَرَط والأَخذ على أَيديهم من ذلك الشَّطَط ، فَسَار إلى هيَّان[٤] وطَلَبَ مَشايخَ بَرَط بما أَخذُوه في العَامِ المَاضِي على المَارَّة إلى صَعْدة ، فَسَلَّمُوا أَعواضَاً[٥] ،ثُم وَصَل قاسم بن علي شيخ "ذي مُحَمد"[٦] في أربعين نَفَر ، وَصُحبتُه القَاضِي جمال الإسلام علي بن محمد العَنسِي ثُم نَفذَ بِمَن مَعهُ إلى حَضْرَة الإمَام يَستعفيه عن دُخُولِ محمد بن أحمد إلى بِلاده ولَم يُسعدهُ الإمَام ، وأَعادَهُ بمَن مَعهُ بَعد أن أنعَمَ عَليــهِم بالكُسوَة والأَعدَاد ، وفي خِلالِ وُصُولهم الحَضْرَة تعرَّضَ جَمــاعَةٌ مِن ذي حسين[٧] بطَرِيق "خيوان"[٨] فَصَادَفُوا شَرِيفَاً وولَده مِن سَادَة

---

[١] – الأدوات : علم الكلام ، علم أصول الفقه ، علم مصطلح الحديث ، النحو والصرف ، الفرائض وغيرها .

[٢] – تخطيف : تقطع .

[٣] – السيارة : السائرون في الطريق ، العابرون .

[٤] – هيان : لعلها بنو الهيال : أحد بطون قبائل خولان .

[٥] – أعواضا: تعويضات .

[٦] – ذي محمد : قبيلة مِن غيلان مِن بكيل ومنازلهم في جبل برط .

[٧] – ذي حسين : قبيلة كبيرة ، أحد بطون غيلان بن بكيل .

[٨] – خيوان : بلدة إلى الشرق الشمالي مِن حوث قال الهَمْداني هي مِن غرر هَمْدان وأطيبها تربة وثمراً .

"حُوث"[1] في الجَبَل الأَسوَد فرمُوهُمَا فَأُصِيبَ ولَدُ السَّيِّد ، فَجَدَّ محمد بن أحمد على دُخُول "بَرَط" ونَقَل مَحطَّتَهُ إلى "وادي المراشي" وهي باب طَرِيقِ بَرط ، فاضطَرَبَ حَالُ أَهلِ بَرَط بين الإقدَامِ والإحجَام ، فَلَمَّا بَلَغ الصفى أحمد بن الحسن دَهمهُم من جَيشِه بالجُمهُور ، ونَهضَ بِعزمه المَشهُور وطَلع إلى بَرَط ، وابتَدأ بِبلاد "ذي حُسين" فَدخَلَها قهراً ، وطَلع محمد بن أحمد مِن جِهَته واتَّفقَا بالعَنَان ، وأَخرَبَ محمد بن أحمد بُيُوتَاً كَانَت مُجمَّعاً لِلفَسَاد ، فَأذعَنَ أَهلِ بَرَط وأَرجَعُوا ما قَد كانَ أَخَذُوه من مَارَّة الطَّرِيق حَق صَعْدة ورَغبوا في قُبولِ تَوبَتِهم ورِعَايَة سَوالِفهم ، فَرفَعَا الأَمرَ إلى الإمَام فَأمَرَهُما بِالقُفُولِ ، وجَاءَت طَرِيقُهُم السَّهلَ وتَجنَّبَا صُعُوبَة طَرِيق المَواشي ، وَقَد حَصل المُراد مِن طَاعَة تلك البِلاد وَقَد دَخلَت بَرَط في الدَّولَة العَبَّاسِيَّة[2] ، ودَخلَها عُنوَةً إمَام اليَمَن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين والإمَام أحمد بن سُلَيمان والإمَام المَنصُور بالله عبد الله بن حمزة والإمَام شرف الدين عليه السلام ، ودَخلَهَا التُّركُ في أيامِ سِنَان بَاشَا .

وفي سَنَة ستٍ وثمانين وألف وصَلَت الأَخبَارُ بِتَجهِيزِ صَاحِب التَّخت السُّلطان الأَعظَم محمد بن إبراهيم بنفسه على بلاد البُردُقَال[3] ، وذلك أنَّه لَمَّا سَرَى أَمرُهُم واستَحكَمَ شَرُّهُم أَفرَغَ السُّلطان مَجهُودَه ، فَحشَرَ الأَبطَال مِن كُلِ جَانِب ، وجَمَعَ البُوش من كُلِ صَوْب ، وَأوسَاهُم بنفسه النَّفِيسَة وأَسعَرَ جَحِيمَ الحَرب ، وأَحمَى وطِيسَهُ ، ثُم دَهَمهُم بأجنَادٍ يَضجُّ لَها الهَضبُ والوِهَاد ، ولَمَّا اتَّصلَ بِبلادِهم لاذُوا بقَلعَةٍ تُسمَّى "عماوية"[4] قَد نسقَ سَمَكهَا في الإرتِفَاع واسعَة الدَّائر والدُّور ، مُدَجَّجة الأَطرَاف عَالِيَة السُّور ، مَعمُورَةٌ بِالأَبطَالِ المُجرَّبَة والسُّيوفِ المُذَربَة[5] ، والمَدافع

---

[1] – سادة حوث : من الأشراف الهاشميين .

[2] – يشير إلى الأيام السالفة .

[3] – البردقال : القوات البرتغالية ، وكانت تتعرض وتتعدى عَلَى موانئ بِلاد المسلمين وسفنهم في وسط البَحر .

[4] – قلعة عماوية : في جزيرة الأندلس .

[5] – المذربة : الذراب هو السم ، والسيف الذرب، السيف المنقوع بالسم .

الدَّافعَة والشُّحنَة الوَاسِعَة ، فَقَدَّم السُّلطان بين يَديه الوُزرَاء والأَكابر والخُيول والعَساكِر ، ووَقَفَ بخاصَّةِ مُلكه على مَسير ثَلاثة أيام ، فَلمَّا شَاهَدَ الجَمعَ السُّلطَاني تلك القَلعَة قَدَّرُوا أن فَتحَهَا بالحَربِ الزَّبُون لا يَتهيَّأ ولا يَكُون ، فَدَبَّرُوا طَريقَة التَّقريب بأن حَفَرُوا هُنالك السَّراديبَ وأَلغَمُوهَا بالبَارُود واستَوثَقُوا على بَاب القَلعَة بسُور مِن الجُند ، وعِندَ أن تَمَّ لَهم ما رَامُوه ، أَلاحُو النَّار في أَوائل السِّردَاب ، فَحاصَ في القَلعَة لَهامُ الإلتِهَاب فَكانَت الغَنِيمَة البَارِدَة وهُم نَائمُون ﴿ إن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾(١) .

وعِندَ أن سعدَ التَّختُ بتَمام الدست ، عادَ السُّلطان ، وَقَد أفلَحَ سَهمُهُ ، وهَلكَ خَصمُه ، وبُوِّشَ على تِلكَ البِلاد سَبعَةٌ مِن المُقَدَّمين ، ونَالَ عِندَ اللهُ أجرَ الصَّابرِين المُرابطِين .

ودَخَلَت سَنة سبع وثمانين وألف ، وَفيها وَقعَ اختِلافٌ في بِلادِ صَعْدة بين والِيهَا علي ابن أحمد والحسن بن الإمَام المُتوَكل ، وحَصلَت وَحشَةٌ بَينهُما آلت إلى الحَربِ ، وأَخذَ خزانَةَ الحسن وإزعَاجَهُ عن صَعْدة وبلادها ، فَلمَّا حَصلَ ذلك استَوحَشَ علي بن أحمد مَعَ إساءَته مع ابن الإمَام ، وظَنَّ أنَّ ذلك الذَّنبَ لا يُغفر ، فَأتبعَ الشَّر بالشَّر ، ودَعَا إلى نَفسه وتَلقَّبَ بالمَنصُور ، واجتَمع لهُ طَاعَةُ أهلِ البِلاد تلك ، وأَشرَعُوا مَعهُ الأَسنَّة ، وَصَلوا الصعَاد ، وبَعثَ رَسائلهُ إلى آل الإمَام ، وذَكَر فيه ما صَارَ إلَيه حَالُ الإمَام من الزَّمَان والمَرضِ المُخوِّف ، المُفضِى إلى إختلالِ هَذا القُطر والمَيلِ إلى أَولاده ، وعِندَ أن وَردَ مَكتُوبٌ إلى الصفى أحمد بن الحسن مِن الإمَام يَضيقُ عَليهِ في التَّجهِيزِ إلى صَواب

(١) – سورة يس ٢٩ .

صَعْدة قَبلَ أن يَتفاقَم الحَادِث وينشرُ الحَال ، فَبادَرَ الصفى لأَخذ الأُهبَة مِن الغرَاس[١] ، وتَجرَّدَ لِمُنازَلَة الدَّاعِي ، وبَرزَ إلى مَوضعٍ يُقال لهُ "رَيسَه" مِن قُرى "الرَّحَبة"[٢] .

وفي لَيلَة الجُمعة خامس جُمَادى الآخرة فَاضَت رُوحُ الإمَام إلى دَارِ السَّلام ، وانقلَب إلى ما عند اللهُ مِن الكَرامَة والإكرَام ، نَوَّرَ اللهُ مَضجَعه ، وآنس مَوضعَه .

ودُفِنَ صُبحَ السبت بِجبَل ضُوْرَان وكانَ مُدرِّساً في كُل الفُنُون ، آيةً بَاهِرَة في الفقه ، فَهوَ يُعدُّ فِيه مِن السَّابِقين ، مُحبَّاً لِلعُلَماء مُحبَّباً إليهِم ، شَفيقاً بِالرَّعيَّة سِيَما ضَعيفُهُم مِن الطُّلاب وغيرِهِم فَطَالَما ما اجتَذَبُوا ثِيابَه حتَّى تَمزَّق شيءٌ مِنهَا ، وطَالما واجَهُوهُ بالقَاسِي مِن الكَلامِ فكأنَّه لم يَسمَعه .

ومن مُؤلَّفاته "العَقيدَة الصَّحيحَة في الأصول"[٣] ، ولَها شُروحٌ كَثيرة مِن عُلماء وَقته ، مِن أَهلِ اليَمَن وغَيرِهِم ، شَرحَهَا عَالِم مَكَّة البسايسي ، والشَّرِيف محمد الجنفردي وأمين حجازي والفَقيه صالح بن داوود الآنسي .

ومن مُؤلَّفات المُتوَكل "فَوائدُ المَسائِل المُرتَضَاة فِيما يَعتَمدُه القُضَاة".

ولهُ رَسائِل ومَسائِلُ وأَجوبَةٌ تأتِي في مُجلَّدَات واختِيارَاتٌ في مَظانِ الإلتبَاس[٤] ، واتَّفَقَ في دَولَته مِن تَعظِيمِ جَانِب العِلم ما لَم يُتَّفَق في دَولَة ، فَعكَفَ النَّاس في مَواقِفِ التَّدرِيس عليه ، ومَالَ إليهِم بِعَلاقَة العِلم ومَالُوا إليه حتَّى تَحبَّب إلَيه كُل مِنهُم

---

[١] – الغراس : قال القاضي الحجري هي قرية من بني الحارث من أعمال صنعاء في سفح جبل ذي مرمر فيها قبر الإمَامِ المهدي أحمد بن الحسن .

[٢] – ريسه : لم أجدها ، والرحبة قاع فسيح من شمال الروضة حتى بلدة أرحب وتشمل الآن مطار صنعاء وجمرك المطار والمناطق الآهلة حولها ، وفي هذه المنطقة قتل الملك سيف بن ذي يزن ــ قتله الأحباش ــ قبل الهجرة النبوية بــ ٥٠عاماً .

[٣] – ترجم له القاضي إسماعيل الأكوع في هجر العلم ومعاقله في اليَمَن ونسب إليه مجموعة مؤلفات تزيد عن ثمانية كتب ، وقال كان عالماً محققاً في فقه الهادوية .

[٤] – مضان الإلتباس : أراد أن له كتباً ومؤلفات، هي محل الخلاف تراجع في مضانها ويحسن الرجوع لكتب التراجم للزيادة .

مَجهُوده ، ووَفدَت عليه العُلماء من مصر والشَّام والحَرمَين والعِرَاق وخُراسَان والهند ، وكانَ يَتلقَّاهُم بالإكرَام ، ويُجزلُ لهُم الإنعَام ، وكَانَ لا يَأكُل الزَّكَاة[1] .

ومن كَلامه يُوصِي أَولادَهُ وسَائر قرابَته : "وأوصيكُم أيُّها الأولاد ذَكرَكُم وأُنْثَاكُم وسَائر قَرابتي وسَائر بني هَاشم ، أن تَجتَنبُوا الزَّكاة ولا تَأكُلُوهَا ، ولو أَكلتُم الشَّجَر ، فإنَّ الذي خَلقَكُم هو الذي يَرزُقُكم ، ولا تَفعلُوا كَما فَعل كَثيرٌ من النَّاس من التَّشبُّث بالشُّبَه في ذلك ، وابتَغُوا من فَضلِ اللهِ ولا تَتعَلوا ، ولا تَتَّخذُوا السُّؤَال حرفَةً فَبئسَت الحرفَةُ هي فَإنَّها مَقرُونةٌ بالفَقر ، ولكن اطلُبُوا الرِّزقَ الحَلال وإحياءِ الأموَال ، وإن أَمكَنَ أن تَجعلُوا نُوَّاباً لَكُم في البَيعِ والشِّرَاء فهو حَسَن نَافِع ، وإن لم يَكُن إلا بأنفُسكُم فَافعَلُوا ، فَلأن يُؤجرَ أَحدُكُم نَفسَه خَيرٌ لهُ من الحَرَام" .

وفي ثالث مَوتِ الإمَام المُتوَكِّل جَرَّد الهمَّة صفي الإسلام ، فاستَدعَى إلى الغراس المَحرُوس محمد بن المُتوَكل ، ووَلدَ عَمِّه محمد بن أحمد ، والأَمير المقدَام أحمد بن محمد ابن الحسين ، ومن أَكابر عُلمَاء صَنْعَاء القَاضِي العَلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرِّجال[2] ، والسَّيِّد العَلاَّمة المُحقِّق عبد الله بن مهدي الكِبسِي[3] ، والقاضي العَلاَّمة علي بن جَابر الهبل[4] ، والسَّيِّد العَلاَّمة غوث الدين بن يحيى بن غوث الدين بن المُطَهَّر بن شرف الدين ، فَبادَرَ الكُل إلى الصفى ، واجتَمَعُوا بِحاكمه وخَطِيبه القَاضِي العَلاَّمة عبد الوَاسِع بن عبد الرحمن القُرَشِي ، وكانَ مَيلُ عز الإسلام محمد بن المُتوَكل إلى

---

[1] – أراد أن الزكاة لا تصح لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هي لغيرهم .

[2] – أحمد بن صالح بن أبي الرجال : القاضي شهاب الدين عالم مبرز في الفقه وعلوم العربية له كتاب مشهور هو (مطالع البدور) في تراجم علماء الزيدية ، كان من أعيان الإمَامِ المتوكل إسماعيل توفي في الروضة عام ١٠٩٢هـ.

[3] – عبد الله بن مهدي الكبسي : عالم في الفقه ، ولي القضاء للإمام المتوكل إسماعيل توفي في مدينة جدة عام ١٠٩٠هـ وهو عائد من الحج .

[4] – علي بن جابر الهبل : عالم في الفقه ، ولي أعمال صنعاء في عهد الإمَامِ المتوكل إسماعيل توفي بصنعاء عام ١٠٩٨هـ وكان عمره ١٠٠عام تقريباً.

صفى الإسلام أحمد بن الحسن ، لِمَا يَعرِفُه مِن سَالفِ أَحوالهُ وجِهَادِه وبَذلِ نَفسِه لحِياطَة الإسلام وعِمَارة قُلُوب خَواصِّ الأُمَّة وهَمَّ العُلمَاء بمزِيدِ الرِّعايَة وسَابِق خِدمَتِه لِعمِّه المُتوَكل على اللهُ ، وشَجاعَتِه وكَرمِه وصَلابَتِه في دِين اللهُ ، ومَحبَّة العَامَّة لهُ المَحبَّة المُفرطَة ، والهَيبَة في قُلوب المَرَدَة وأَهلِ الدَّعارَة ومُعتَادي الشَّرَارَة ، ومَيل أَكثَر أَهلِ اليَمَن إلَيه سِيمَا صَنْعَاء وأَغلَبُ مَن ذُكِر مِن العُلماءِ رَأيُه مُوافِقٌ لِرأي عز الإسلام إلاَّ القَاضِي محمد بن علي قيس ، فَكانَ مُبطِناً لِلمَيل إلى العَلاَّمة قاسم بن المُؤيَّد بالله ، لِمَا تَناقَلَت عَنه الأَفواه مِن النَّشأَة الطَّاهِرة وتَبحُّرِه في العُلومِ الشَّرعِيَّة ، ولَكِن اتِّفاقَ العُلماءِ على إلزَامِ الصفى القِيَام ، وتَحمُّل هَذه الأَعبَاء العِظَام ، فَبايَعُوه جَميعاً وبَنُو القَولَ بِإمامَتِه ، وكَانَ المُتقَدِّم إلى تَمامِ البَيعَة السَّيِّد العَلاَّمة عبد اللهُ بن مهدي الكبسي ، فإنه أَول مَن ضَربَ يَدهُ على يَدِ الإمَام في ذلك المَقَام ، وعَضدهُ في انتِهازِ الفُرصَة الشَّيخ العالم الرَّئِيس الحسين بن أحمد بن عواض الأَسدِي[1] .

ثُم تَعقَّب تَصدِير الوِلايات مِنهَا وِلايَةُ عز الإسلام محمد بن المُتوَكل لبِلادِه ونَفذَت المَكتُوبات إلى القُطرِ اليَمنِي وإلى رُؤساءِ آل الإمَام القاسم ، مِثل العَلاَّمة الحسين بن الحسن والجمالي علي بن أحمد والحسن بن المُتوَكل وأَمير كَوْكَبان عبد القادر بن النَّاصِر ابن عبد الرب وتَعقَّبَ ذلك ظُهورَ دَعوَة السَّيِّد العَلاَّمة القَاسِم بن المُؤيَّد بالله ، وتَلقَّب بالمنصور بالله ، ودَعوَة الحسين بن الحسن وتَلقَّب بِالوَاثِق وأَجابَ إلى دَعوَة السَّيِّد العَلاَّمة قاسم بن المُؤيَّد جَميعُ الجِّهَة القِبلِيَّة[2] عُلمائهَا وعَامَّتِها .

وفي عَاشِرِ شَهرِ شَعبان مِن السَّـــنة بَعثَ الدَّاعِي قاسم بن المُؤيَّد إبن أَخِيه إبراهِيم ابن الحسين بن المُؤيَّد إلى "ذِيْبِين" والإمام المهدي أحمد بن الحسن جَهَّز الحسين بن محمد

---

(١) – الحسين الأسدي : لم أجده .

(٢) – الجهة القبلية : المناطق الواقعة شمال صنعاء باتجاه القبلة (الكعبة المشرفة) .

ابن أحمد إلى "خَمِرْ" وأَتبَعهُ بالشيخ علي خليل الهَمْداني ، وبعد ذلك جَهَّز الإمَام ولَدهُ علي بن المهدي إلى جِهَة ثلا ، فَقرَّرَ أَحوالَ ثلا ونَفذَ إلى الصلبَة ، وكانَ الأَمير عبد القادر قَد نَزلَ إلى "قراضَة"[١] فالتَقاهُم والأَمير أحمد بن محمد بن الحسين وقَصَدا عَسكَر الداعي قاسم بن المُؤيَّد إلى الصلبَة[٢] ، وكانَ الدَّاعي قَد حَشدَ إليها الجُنُود صُحبَةَ ولده علي بن قاسم ، وكانَ أَوَّلَ دَاخلٍ إلى الصلبَة الأَمير أحمد بن محمد بن الحسين ، فَراسَلَ رَئيس عَسكَر الدَّاعي المُسمَّى أبو رَاوِيَة من "ظُلَيمَة" في ترك الفتنَة والمُوالاة ، فَأجَابَ أن المُوالاةَ بأطرَاف الأَسنَّة اللامعَة والسِّيُوف القَاطعَة ، فَرتَّب النَّقيب الظُّلَيمي أصْحَابه في بيُوت بني فُضَيل[٣] .

ولَّما أَيسَ الأَمير أحمد بن محمد عن مُسالَمتهم قَدَّم جَريدَة[٤] من عَسكَره إليهم فَصبُّوا على أصْحَاب الدَّاعي ما في أَجوافِ البَنَادق فَأثخنُوهُم بالجِّرَاح ، وأَشعَرُوهُم أن تلك مُقَدِّمة تَصرُّب الصِّفَاح[٥] .

ثُم امتَدَّت الحَرب ، واتَّصلَ سُوقُ الطَّعنِ والضَّرب ، واتَّصلَ بأَصْحَاب أحمد بن محمد مَدَدَ الأَميرَين عبد القادر الحسام وعلي بن الإمَام ، فاتَّفقَت مَعركَةٌ عُظمَى ودَاهيةٌ صَمَّاء ، خَلصَ فِيها الأَمرُ على قَتلِ الرَّئيس أبي رَاوِيَة وستةً وثلاثين من عَسكَره ، وانتَهبَت عَسكَر الإمَام سُوقَ الصلبَة ، وفِيه أَموالٌ جَزيلَة لا تَضبطُها الأَقلام ، حتَّى

---

[١] – قراضة : بلدة في جبل مسور من أعمال عمران إلى الشمال الغربي من صنعاء ، وهناك بلدات ومواقع كثيرة تحمل هذا الإسم ولعل ما أثبتنا هو المراد .

[٢] – الصَّلبة : بلدة و حصن في جبل لاعة إلى الجنوب من حَجّة .

[٣] – بيوت بني فضيل : آل الفضيل ، من آل شرف الدين من كوكبان نسبوا إلى جدهم الفضيل أحمد بن يحيى بن الناصر من سلالة الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين .

[٤] – جريدة : مجموعة أو مجموعات مختارة من قواته ، القوات الخيالة .

[٥] – تصرب الصفاح : نهاية اللقاء والأجل المحتوم .

كَسدَت تَفارِيق[1] الهِند بأَيدِي العَسكَر ، وفي ذلك يَقُول المُفوَّه الحسين بن عبد القادر شِعراً :

إلى المحَافظَة بَادر   للبزّ واغنم كسَادَهْ
مَن شَاءَ يَأخُذ منهَا   فهِيَ المخَا وَزيَادَهْ

ثُم نَهضَ الإمَام المَهدِي بَعدَ العيد إلى مَحلٍ يُسمَّى بالرَّحَبة ، وصَحبَهُ سِردَار الجَّيش أحمد بن محمد بن شَمسَان فَأمرهُ يُشعِرَ القَبائِل بالصِّدَام ، فاجتَمعَ لهُ عَسكَر الإمَام ببني حشَيش ، وبَنُو الحَارِث وهَمْدان ونِهْم وبني علي وعيَال عبدالله وذيبَان وغَيرَهُم جَمعٌ وَافِر ووَصلَ مَشايِخَ حَجَّة يَطلُبُون الأَمَان بَعدَ أن كانُوا قَد انخَرَطُوا في سِلك أصْحَاب الدَّاعي .

ثُم ارتَحلَ الإمَام إلى "ذيبَان" ووَاجَهَ أَهلِ "البَون" ووَصَلُوا بالمَدَد والعَونِ ، ولمَّا بَلَغ مُقادَمَة الدَّاعِي الذين بِحَجَّة انتِهَاض الإمَام قهقروا[2] .

وفي عشرين في شَوَّال سَارَ عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن ، والسَّيِّد العَلاَّمة المقدَام صَلاح بن محمد بن القاسم إلى طَرف بِلاد الصَّيد[3] إلى مَحلٍ يُقالُ لهُ العنَان فَلمَّا دَخلوا في صَلاة الجُّمعَة لم يَشعُروا إلا بعَسكَر إبراهيم بن الحسين بن المُؤيَّد ، قَد دَهمَتهُم بالبَيارِق ، فَأَخَذَ أصْحَاب الإمَام مصَافهم ، واختَلطُوا وانجَلَت المَعرَكَة عن قَتلِ رَئِيسٍ مِن أصْحَاب الإمَام .

---

(1) – تفاريق : السيوف الهندية .

(2) – قهقروا : تراجعوا .

(3) – بلاد الصيد : أحد فروع قبيلة خارف من حاشد منازلها إلى الشرق مِن بلدة رَيْدَة إلى الشمال الغربي مِن صنعاء .

ثُم حقَّت الهَزيمَة في أصْحَاب الصَّارم ، حتَّى وصَلُوا "ذِيْبِين" بَعدَ أن حَجز بَينهُم الليل ، وكانَ الإمَام قَد نَدَب إلى أصْحَابه غَارَةً نَافعَة في الليل ، فَقصَدُوا مَن في "ذِيْبِين" في صَباحِ ذلك اليَوم ، ثاني يَومِ القِتَال وانخَذَل بنو أَسَد مِن أصْحَاب الدَّاعِي والتجَأَ الصَّارِم إلى البيُوت ، فَشنَّ أصْحَاب الإمَام الرَّصاصَ عَليهم .

ثُم إن أصْحَاب الإمَام جَادُوا بِنفوسِهم ، وحَملُوا حَملَة رَجلٍ وَاحِد ، حتَّى لَصقُوا بِالبيُوت وتَسنَّمُوها[1] ، وقَتلُوا مَن في البلاد عدَّة ، فاستَسلَمَ الصَّارِم وخَرجَ إلى أَيدي رُؤسَاءِ الإمَام فَكتَبُوا إلى الإمَام ، فَرجَّح إطلاقَه ويَعزم شُهَارة عِندَ إمامه .

ثُم وَصَل أصْحَابه إليَه بِالأَسارَى فَأطلَقَ وِثاقَهُم وعَفَى عَنهُم ، ثُم إن الإمَام تَوجَّه إلى بَلدَة "خَمِرْ" ، وَقَد كانَ صِنو[2] الدَّاعي السَّيِّد الأَجَلّ أحمد بن المُؤيَّد رَتَّب نَقيلاً عَجيباً ، وعِندهُ عَسكَر كَثِير مِن أَهلِ الظَّاهِر في خَمِرْ فَطلَع الإمَام النَّقيل فَتفرَّقَ ذلك الجَمع ، فَلَم يَسَع أحمد بن المُؤيَّد إلاَّ المُواجَهَة والخُروج إلى الإمَام .

ثُم نَهضَ الإمَام إلى بَيتِ الفَايعِي[3] تَحتَ شُهَارة ، فَلمَّا رَأَى الدَّاعِي مُواجَهَة أَكثرَ البِلاد إلى الإمَام وَصَل إلى بيت الفَايعِي في الثاني عشر مِن شهرِ القعدَة ، وَسَكن في بيت والِدِه الإمَام المُؤيَّد بالله ، فَوَصَل إليه الإمَام ، واتَّفق بَينهُما مَوقِفٌ لم يُقضَ فِيهِ مرَام .

ثُم وَقعَ بَينهُما المَوقفُ الثَّاني ، حَضرَهُ أَعيانُ الدَّولَة القاسمية مثلَ أحمد بن المُؤيَّد ، وأحمد بن المُتوَكل وحسين بن المُتوَكل ، فَأشَارَ الدَّاعِي إلى المُحاكَمَة فَأجابَ الإمَام : أن

---

[1] – وتسنموها : اعتلوا المنازل وارتفعوا فوق أسطحها .

[2] – الصنو : الأخ ، وتأتي بمعنى المثل يساويه في الرتبة والمقام .

[3] – بيت الفايعي : آل صلاح بن أحمد فايع من بيوت العلم في ضحيان ببلاد صَعْدة ينحدرون من سلالة فايع بن صلاح بن أحمد ....ينتهي نسبهم إلى (الإمَامِ الهادي) يحى بن الحسين ، ورحم الله الجميع .

هذا كانَ يَقعَ قَبلَ الخِصَام وسَلِّ الحُسَام ، وأمَّا الآن فما فيه إلاَّ أن يَكُون منكَ الوفَاق ، أو يَقُوم الحَرب ، فامتهلَ الدَّاعِي في فَصلِ الحَديث إلى عُقَيب النَّحر[1] .

وفي سَنة ثمان وثمانين وألف في ثالث صَفَر هَيأَ الدَّاعِي العَلَم ابن أَخيه إبراهيم بن الحسين بن المُؤيَّد للحَرب ، فَتقَدَّم إلى "مساقط الأهْنُوم" وجَمعَ عَسكَراً فيهم ، وبَلَغ إلى الأَبرَق ما بين "ظُلَيمَة" و "الأَهْنُوم" فَوقَ سوق "الثُّلُوث"[2] ، فَوجَّهَ إليه الإمَام لهاميمَ[3] الحَرب وبَياطيرَ[4] الطَّعنِ والضَّرب ، ثُم اتَّفقَ الحَرب الشَّديد بين الصَّارِم وأصْحَاب الإمَام ، فَكانَت الدَّائرَة على أَصحَاب الصَّارِم وقُتلَ مِنهُم نحو الخمسين ، وأُسِر الباقون مِن الأَشرَاف مُقَدَّمهُم إبراهيم بن الحسين .

وبعد ذلك وَصَل مَكتُوب الدَّاعِي القاسم بن المُؤيَّد يَتضَمَّنُ الجُنوحَ إلى التَّسليم ، ثُم وَصَل إلى صَنْعَاء السَّيِّد الرَّئيس صالح عَقَبات بالأَسرى ، وفيهِم إبراهيم بن الحسين فَحُسِمَت مَادَّةُ الشِّقَاق وسَكَنت الفِتنَة في الآفاق ، ونَزَل عُلماءُ الإسلامِ في قدرِه الرَّفيع عن حِصنه المَنيع إلى حَضْرَة الإمَام ووَقَفا على قَدرٍ مِن الإتفَاق تَنحَسمُ بِمَادَّة الشِّقَاق وعَادَ وَقَد رُزِقَ التَّخفيف ، وأطرَحَ جَلبَات التَّكليف ، ثُم تَوجَّه الإمَام إلى بلاد "صَعْدة الشَّام" فَلمَّا وَصَل العُيون وَقَد ضُرِب الوطَافُ لهُ برحبَان[5] ، تقدَّم إليه أَميرُ تلكَ الجِّهَات العَلاَّمة علي بن أحمد مُهنِّئاً ومُوالياً بمَن مَعهُ من الأَعيَان ، ثُم نَفذَ إلى زيارَة الإمَام الهَادي والأئمَّة ، وصَلَّى الجُّمعَة في جَامع الهَادي ، ورَجعَ إلى "رَحبَان" فَوفَدَت إلَيه الوُفُود مِن كُل أَوب فَأَعطَى وَوَهَب ، وجَمعَ الجُّيوشَ وأَرادَ النُّفوذَ إلى

---

[1] – هدنة ، مهلة حتى إنقضاء عيد الأضحى المبارك .

[2] – سوق الثلوث : سوق الثلاثاء الذي يقام كل أسبوع في مكان معروف .

[3] – اللهميم : الداهية ، اللهموم الناقة الغزيرة اللبن .

[4] – بياطير : قال الفيروز أبادي: البطر: النشاط والطغيان بالنعمة ، البطير: التمادي في الغي .

[5] – رحبان : وادٍ آهل إلى الشرق الجنوبي مِن صَعْدة فيه مساكن آل الهاشمي مِن ذرية الناصر الحسن بن علي المتوفي عام ١٠٤٢هـ .

الحَرمَين ، فَكتَب إلى شَريف مَكَّة بَركَات[1] ، وإلى بلاد النَّجديَّة يُشعِرُهُم بقُدومه إلى الحَرمَين وما وَرائِها مِن بِلاد السُّلطان فَأجَاب الشَّريف بما حَاصلةُ إني وَاحِدٌ منكُم يا أَهلِ اليَمَن وعلى الرَّحبِ والسَّلامَة ، خَلا أنَّ الذي نَقلهُ الوَاصِلُون من حَضْرَة التَّخت أن هَذه المُدَّة بزيارَة ونِهايَة السَّلطَنة، وهو الآن سَاكِتٌ عن هَذه الأَقطَار اليَمنيَّة ، ومع حَركَتكُم المَيمُونَة يرفَعُ إليه ذلك على أكُفِّ الرِّمَاح ، وتَطيرُ إليه أعيانُه بأقوى جَناح، فَدونَكُم وما يَتفِقُ بَعدَ ذلك بَينَكُم وبَينَه ، وأَمَّا نحن فكمَا قَالَ القَائِل شعراً :

وما أنا إلاَّ مِن غَزيَّةَ إنْ غَوتْ   غَويتُ وإنْ تَرْشد غَزيَّةُ أَرْشد[2]

فَعرَجَ الإمَام عن ذَلك الرَّأي ، وصَعدَ إلى افتقَاد اليَمَن .

وَفيها سَارَ الإمَام من "عيَان" إلى "الغرَاس" فَوصَلهَا في مُستَهلِّ شَهرِ الحجَّة الحَرَام من السَّنة المَذكُورة ، فَبقيَ أياماً وحَصَلَ من سُفيان تَعَد على القَافلَة النَّافذَة إلى مَدينَة "صَعْدة" وقَتلُوا رَجُلاً من التُّجَّار ، ولَمَّا بَلَغ الإمَام فِعلَهُم نَهضَ مُسرِعاً إلى أصْحَابه الخُلَّص فغزَا بنفسه إلى بَلدَة "سُفيَان" فَحقَّ عَليهِم الوَبَال وشَملَهُم النَّكال ، فَقتَل المُعتَدين ودَمَّر ديارَهُم " وأَخذَ الأَطمَاع ، وكانَ ممَّا وجَد حَوائج التَّاجر المَقتُول ودَمُه صَابغٌ عَليهَا ، وعَادَ مُظفَراً مَنصُوراً ومولدُه قَد ذَكرنَاه .

ووَفاتُه آخر نَهار الثلاثاء رابِع وعشرين مِن جُمَادى الأولى سَنة اثنين وتسعين وألف عن ثلاث وستين سَنة .

---

[1] – بركات : بركات (الرابع) بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمى ، شريف حسني من أمراء مكة المكرمة ولي مكة من عام ١٠٨٣هـ حتى توفي عام ١٠٩٤هـ .

[2] – غَزيَّة بن جشم ، بطن مِن هوازن مِن العدنانية ، كانت منازلهم بالسروات بين تهامة ونجد ، والبيت منسوب للشاعر دريد بن الصمة وهو مِن شعراء الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتل يوم حنين عَلَى دين الجاهلية عام ٨للهجرة .

وَقد أَحسنَ القَاضِي الأَدِيب علي بن صالح بن أبي الرجال[1] في أبيَاته المَكتُوبَة على ضَرِيح الإمَام المَهدِي ، وهي قَولُه :

لَقدحَلَّ في هَذا الضَّرِيحِ بِرَغْمِنا — إمامٌ بِهِ لَيلُ الغوايَةِ يَنْجَلي
إمامُ الهُدى المَهدِيُّ أَفْضَلُ قَائِمٍ — و خَيرُ إمامٍ عابِدٍ مُتَبَتِّلِ
ومَنْ لم يَزَلْ يَحمِي الزَّمانَ بِعَزمِه — ويَكْشِفُ عَن سُكَّانِها كُلَّ مُشْكِلِ
فطَهَّرَ أَقْطارَ البِلادِ بِسَيفِه — ومَهَّدَها لِلقائِمِ المُتَوكِلِ
فحاصَرَ صَنْعاءَ عِندَ ذاكَ بِجَحفَلٍ — يُظَلِّلُهُ فيها عُجاجَةُ قَسْطَلِ[2]
و سَارَ إلى لَحْجٍ وأَطْلالِ خنفر — بِكُلِّ فَتىً مَاضِي العَزِيمَةِ فَيْصَلِ[3]
فأَصْلَحَها ثُمَّ انْثَنى نَحوَ صَعْدَةٍ — فَزَحزَحَ عَنْها مُعْضَلاً أَيَّ مُعْضَلِ
و أَمَّ بِلادَ الجَوْفِ والخَوفُ قَد طَمَا — فصَارَتْ عن الخَوفِ الشَّدِيدِ بِمَعزَلِ
وسَلَّ على الرصَّاصِ في النَجْدِ صَا — رِماً جَوانِبُهُ مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ[4]
فَغَادَرَهُ مَيتاً لقَا تَحتَ خِدْرِه — كَبيرَ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[5]

---

[1] - علي بن صالح بن أبي الرجال : عالم، فقيه، شاعر، له مشاركة في علوم العربية ، عاصر ستة من الأئمة وسكن إب وبعدان - مرسلاً - من قبل الأئمة لنشر المذهب هناك ولد وتوفي بصنعاء - رحمه الله - .

[2] - قسطل : الغبار الكثيف .

[3] - خنفر : بلدة خاربة كانت قائمة في سفح جبل خنفر وسط سهل أبْيَن وقامت اليوم مكانها بلدة جعار

[4] - الرصَّاص : من أمراء يافع ، السجنجل : المرآه ، سبائك الذهب والفضة / القاموس المحيط .

[5] - بجاد مزمل : مغطى بالكساء .

وفي يافعٍ لم يَبْقَ للقومِ نافعٌ من السَّيفِ في قومٍ أغَرَّ مُحجَّلِ
وفي آلِ فضْلٍ لم يَدَعْ من كُماتِهم سوى هالكٍ تحتَ القَنا أو مُغَلْغَلِ[1]
وفي حَضْرَمَوتَ فَلَّ حَدَّ جُيوشِهم وحَكَّمَ بيضَ الهِندِ في كلِّ مَقْتَلِ
وعادَ إلى أطلالِ حَجَّةَ أدرعاً بكفِّ الأيادي جَحْفَلاً بعدَ جَحْفَلِ
ومَالَ إلى ذيبينَ عندَ فسادِها فمَزَّقَهُم بالسَّيفِ في كُلِّ مَنْهَلِ[2]
وفي الأَبرَقِ الفَرْدِ الذي شاعَ ذِكرُهُ سَقَا القومَ في الهَيْجا عُصارَةَ حَنْظَلِ[3]
وسُفْيانَ أَفْنَاها بسوءِ فعالِها بسُمْرٍ رقاقٍ مِنْ قَنا الخَطِّ ذبَّلِ[4]
فأَضْحَتْ مَعانيهُم رُسوماً دَوارِساً فهَلْ عندَ رَسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ
فما إنْ ترى منهُم على الأرضِ سَا عِياً سوى مُوثَقٍ في أَسْرِهِ أو مُجَنْدَلِ
ولَمَّا دَعاهُ اللهُ بالفَوزِ بالذي أَعَدَّ لَهُ في سَعْيِهِ المُتَقَبَّلِ
أَجابَ إلى جَنَّاتِ عَدْنٍ مُبادِراً وفَازَ بِقُربِ المُصْطَفى خَيرِ مُرْسَلِ

---

[1] – آل فضل : سلاطين أبْيَن قبل وأثناء الإحتلال البريطاني لجنوب اليَمَن ، مغلغل : مقيد بالأغلال

[2] – ذيبين : بلدة إلى الشرق من خَمِرْ شمال صنعاء .

[3] – الأبرق : بلدة في جبل عيال يزيد إلى الشمال من عمران ، والهيجاء : بلدة من أعمال تعز .

[4] – سفيان : قبيلة من ولد سفيان بن أرحب منازلهم إلى الشمال من حوث وأشهر بلداتهم حوث ، حرف سفيان .
سمر رقاق:السيوف، ذَبَلْ: قال الفيروز أبادي ذَبَلْ:جلد سلحفاة بحرية أو عظام ظهر دابة بحرية تتخذ منها الأمشاط والأساور .

فإنْ شئْتَ ياذا الفَضْلِ تاريخَ مَوتِه   فَفي الخُلد للمَهديِّ أبهجُ مَنزلِ

– انتهَت القَصيدَة الفَريدَة –

وقَام بَعدَهُ الإمَام المُؤيَّد بالله محمد بن المُتوَكل على اللهُ اسماعيل بن المَنصُور بالله القَاسِم بن محمد ، وَقَد تقَدَّم رَفعُ النَّسَب في تَرجَمةِ جَدِّه القَاسِم ، فَلا حَاجَّة إلى التَّطوِيل بإعَادَته .

كانَ رَحمهُ اللهُ أُوَيس[1] زَمانه ، وفُضَيل[2] أَوانه ، زَاهداً في الدُّنيَا مُؤثراً الآخرَة ، لا يَأكُلُ من بَيت المَالِ شيئاً ولا يَلبَس ، يَأنَسُ بالصَّالحين ويَستَوحشُ من المُترَفين ، دَعا عُقَيبَ مَوت المَهدي ، وعَارضَهُ الحسين بن الحسن ، وقاسم بن المُؤيَّد الذي تقَدَّم ذكرُه في تَرجَمةِ المَهدي ثُم سلمَا لهُ الأمر ، ولَم تَصفُ أَوقاتُه ولا سَاعدَتهُ إرادَتُه ، فَإنَّهُ حَصل عليه خِلافُ أهلِ المَشرق[3] ، وكانَ آل الإمَام قَد أَمِنُوا سَطوَتَه فاستَبَدُّوا بالأَمرِ ، وكانَ صِنْوه السَّيِّد العَالم الأَديب الرَّئيس النَّجيب علي بن المُتوَكل باليَمَن لهُ دَولَةٌ مُتَأثلَة وَصَولة مُكملَة ، وكانَت خَيلهُ أَلفُ عنَان ، ومُستَبداً بولايَة تلك البلاد ، وصَاحب المَنصُورَة ، محمد بن المهدي أحمد بن الحسن مُستَقلٌ بأعمَال الحُجَريَّة[4] وما إليها ، والحسين بن الحسن مُستقلٌ بِرَداع والمَشرق إلى أعمَال حَضرَمَوت ، وعلي بن أحمد مُستقل بمدينة صَعْدة وَأعمالها وحسن بن المُتوَكل كانَ في اللُّحَيَّة نَافذَ الأَوامر إلى زَبيد وبَيتِ الفَقيه ، والحسين بن محمد بن أحمد أبو طالب في عَمْران مُستَقلٌ ببلاد

---

[1] – أويس : أويس القرني ، كان مثلاً في النسك والعبادة ، شهد صفين مع سيدنا أمير المؤمنين علي ، الراجح أنَّه قضى فيها شهيداً عام ٣٧هـ .

[2] – فضيل بن عياض : كان مثلاً في الزهد والعبادة أيضاً .

[3] – أهل المشرق : المقصود المناطق الشرقية من اليَمَن الأعلى وقد عرفنا بها سابقاً .

[4] – الحجرية : من أعمال تعز ، مناطق واسعة آهلة ، حاضرها بلدة التربة .

حَاشد وبكيل إلى أَعمالِ صَعْدة ، وحُسَين بن المُتوَكل بصَنْعَاء وَأعمَالها ، وكانَ الإمَام المُؤيَّد يَتوَجَّعُ مِن سيرَة البَعض منهُم في الرَّعيَّة على غَيرِ ما يُبيحُه الشَّرع ، وعَرَض بعد دَعوَته خِلافُ يَافِع ، ووَقعَت حُروب عَظيمَة بَينهُم وبين أولاد الإمَام لَم يَقِفُوا على طَائِل وقُتِلَ في بَعضهَا الأَمير أحمد بن محمد بن الحسين ، وتَغلق المَشرِق مِن ذلك الوَقت والإمَامِ المُؤيَّد بَقِيَ على الحَالَة الحَميدَة إلى سَنة سبع وتسعين وألف ، وأَصابَهُ مَرضٌ أَقعَدهُ عن افتقَاد الأَطرَاف فَوجَدَ القَوم فُرصَةً وصَارَت الإمَارَة فَوضَى ، ثُم وُصِفَ للإمام المُؤيَّد بالذَّهاب إلى حَمَّام المعرَّة المَشهُور الآن بحمَّام علي[1] غَربي جَبل ضُوْرَان ، وكانَ مَرضُه أَلَمُ الإستسقَاء فَلمَّا وَصَل إلَيه بَقِيَ يَسيراً واشتَدَّ به المَرَض ، وانتَقَلَ إلى رَحمة اللهُ هُنالك ، وحُمِلَ إلى مَشهَدِ والِده المُتوَكل على الله إسماعيل في الجَبلِ المَذكُور ، وقُبِرَ في القُبَّة ، وكانَ كَثيرَ الشَّفَقَة على المسلمين ، يَحملُ النَّاس على المَحجَّة البَيضَاء ، لا تَأخُذُه في الله لَومَةُ لائم ، وكانَ أَكثَر دَرْسِه للعُلُوم على القَاضِي العَلاَّمة الزَّاهد المُحقّق محمد بن علي بن صالح العَنسي قَرأَ عليه في أَكثرِ الفُنُون وحَرزَ المَعلُوم والمَظنُون ، وقَرَأ وتَخرَّج على السَّيِّد الجَليل الزَّاهد أحمد بن هادي هارون .

ومن مَشايخه القَاضي العَلاَّمة أحمد بن صالح بن أبي الرِّجَال ، ومِنهُم القَاضِي الحسن ابن أحمد الحَيمي ، ومِنهُم القَاضِي العَلاَّمة علي بن أحمد بن سَعيد الهبل ووالِدُه الإمَام المُتوَكل على الله .

وكانَت وفَاتُه رَحمَهُ اللهُ يوم الخميس ثاني شهرِ جُمَادى الآخرة مِن سَنة سبع وتسعين وألف ، وعُمرُه ثلاث وخمسون سَنة ، ودَعَا[2] بَعدَهُ صِنوه السَّيِّد العَلاَّمة الجَليل يوسف ابن المُتوَكل على الله في " ضُوْرَان " .

---

[1] – حمام علي : وادٍ مشهور في ضوران آنس يبعد عن ذَمار حوالي ٤٠كم فيه عيون(ماء حارة) يؤمها الناس للإستشفاء .

[2] – دعا بالإمامة وطلبها كما طلبها غيره .

ودَعَا أَيضاً النَّاصِر محمد بن أحمد المَهدِي بِالمَنصُــورَة مِن بِلاد الحُجَرِيَّة وأَعمَالِ تَعز[1] .

ودَعَا الحسين بن محمد بن أحمد بن الإِمَام القَاسِم في "عَمْران" وحَصلَت بين يُوسُف ابن المُتوَكل والنَّاصِر محمد بن أحمد المهدي حُروبٌ عَظِيمَة ، وعَاضَدَ يوسف بن المُتوَكل أَعيانَ بَيتِ الإِمَام ، مِنهُم إِسحَاق بن المَهدِي صِنْو النَّاصِر وعبد الله بن النَّاصِر وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن ، وجَمعُوا الأَجنَادَ المَوفُورَة وحَاصَرُوا النَّاصِر في المَنصُورَة ، وكانُوا يَظُنُّونَ مَع تَوافُرِ أَجنَادِهِم وكَثرَةِ أَمدَادِهِم أَنَّهم قَادِرُونَ على النَّاصِرِ ، وأَنْ قَد عُدِمَ المُعِين والنَّاصِر والحَظُّ الوَافِر يُنَادِي عَليهِم بالخُذلانِ والوِلايَاتُ أَرزَاق ولَيسَت بِالفَضَائِل والكَمَال ولَكنَّها عَطايَا مِن المَلِك المُتعَال فَلَم يَشعُرُوا في بَعضِ الليالي حتَّى هَجَم عَليهِم النَّاصِر إلى مَحطَّتِهِم بِمَن عِندَهُ مِن شُجعَان العَسكَر ، فاستَولَى عَليهِم وقَبضَ على جَمِيعِ الرُّؤَساء وأَخَذَ مَحطَّتَهُم أَخذَةً رَابِيَة وأَطلَعهُم تَحتَ التَّرسِيم ، وبَعدَهَا نَهضَ إلى البِلاد العُليا ووَصَلَ مَدِينَة "ذَمار" وضَربَ مُخيَّمهُ خَارِجَهَا في "هِرَّان" ، وأَذعَنَت لهُ البِلاد ، وانقَادَ لهُ طَارِفُهَا والتَّلاد[2] ، ووَصلَهُ إلى هِرَّان يوسف ابن المُتوَكل طَائعاً ، وكذلك وَصَل الحسين بن محمد الدَّاعِي مِن عَمْران ووَصَلتهُ بَيعَةُ حسين بن المُتوَكل مع وَزِيرِه الفَقِيه زيد بن علي الجملولي[3] الأَهنُومِي ، وكَانَ قد

---

[1] – وأعمال تعز : أراد من أعمال تعز .

[2] – طارفها : الطرف، إطباق الجفن عَلَى الجفن، قال إبن سيده الطرف تحريك الجفون في النظر، قال الله تعالى((لايرتد إليهم طرفهم))،التلاد: قال إبن منظور تلد: ما ولد عندك من مال والتلاد كل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء.

[3] – الجملولي : فقيه ، عالم له معرفة بعلم الفلك والتنجيم كان من أتباع الحسين بن إسماعيل المتوكل وأحد أعوانه ، قتل بحدود عام ١٢٠١هـ .

ارتَسمَ في ذِهنِ النَّاصرِ أن الفَقيه مُتشبِّثٌ بشيءٍ من أَعمالِ التَّنجيمِ ، وأنَّه غَالبٌ على أُمورِ مَخدُومه بتلكَ الشَّعبَذَه[1] ، فَحين وَصَل حَضرَتهُ أَمرَ بضَرب عُنقه في الحَال ، ولعلهُ قَد كانَ استَعملَ شَيئاً من تلكَ البضَاعَة ، وتَوخَّى وَقت السَّفر في وَقت عندَهُ مسعود ، فَوقَع في عَكسِ المَقصُود ، فقال السَّيِّد عبدالله بن علي الوَزير شعراً :

مِنْ بَعدِ مَا عَايَنْتُ زَيداً لا أَرَى ... قَولَ المُنَجّمِ غَيرَ زُورٍ فَاضِحِ

مَسْراهُ في سَعْدِ السُّعودِ فَلَمْ غدَى ... مِنْ شُؤمِه في كَفّ سَعد الذَّابِحِ[2]

وبَقي النَّاصرِ في مَحطَّة هرَّان قَدر سنتين في إقبالٍ وإسعَاد ، وكانَ جَوادَاً في المَال سَفَّاكاً للدِّمَاء عَظيم السَّطوَة نَافذَ الأَوامر ، وَقعَ بكثيرٍ من آل الإمَام الذين تَغلَّبُوا على البِلاد مِثل عَمِّه الحسين بن الحسن ، فإنَّها حَصلَت بَينَهُ وبين الحسين حُروبٌ كانَ آخرُها القَبضُ عَليه وإرسَالُهُ تَحتَ الحفظ إلى قَصرِ صَنْعَاء ، وكذلك قاسم بن المُؤيَّد ، أَرسَلَ عَبدَهُ سلمان فَقبَضَ عَليه وحَبسَهُ في قَصرِ صَنْعَاء ، وهو قَبضَ العلمَ من "شُهَارة" ويوسف بن المُتوَكل صَدَر منهُ خلافٌ فَقبَضَ عليه وحَبسَهُ في "حصن حَبّ"[3] والحسين ابن المُتوَكل بَعدَ قَتلِ كَاتِبه كَما أَشرنَا إلَيه فَرَّ إلى مَكَّة المُشرَّفَة ، والحسن بن المُتوَكل

---

[1] – الشعبذة : أراد الشعوذة ، لأن غالب هذا العلم الذي يسمى علم النجوم هو تخرصات وشعوذة .

[2] – سعد السعود : أحد منازل القمر الجنوبية وهو كوكب صغير يتوسط كوكبين سمي سعد السعود لأن العرب كانت تتيمن بطلوعه بإنتهاء الحر وابتداء نزول المطر ، سعد الذابح : أحد منازل القمر الجنوبية كوكبان صغيران غير منيرين يكادان يلتصقان وأحدهما أكبر من الآخر يطلع سعد الذابح مع طلوع فجر ليلة ١٧كانون الثاني(يناير) ويغيب ليلة ١٧تموز (يوليو) وبعد طلوع سعد الذابح ب ثلاث عشرة ليلة يطلع نجم سعد بلع .... الخ .

[3] – حصن حَبّ : بفتح الحاء وتشديد الباء ، حصن منيع في جبل بعدان ويعتبر من أشهر الحصون المنيعة في اليَمَن .

خَرجَ عن ولايته ورَكِبَ البَحْرَ إلى جدَّة ، وقَبضَ أيضاً على الحسين بن عبد القادر أميرَ كَوْكَبان .

وعلى الجُملَة أنَّه صَالَ في آل الإمَام صَولَةَ الأُسُود ، وأَصلاهُم حَرَّ الحبُوسِ والقُيُود ، وإنَّما العَاجِز من لا يَستَبِد[١] ، ورَحَلَ بَعدَ قَبضِ عَمِّه الحسين إلى الخَضرَا[٢] بالقُربِ مِن مَدينَة رَدَاع وَسَكن فِيها وشَيَّد فِيها القُصورَ وعَملَ الحَمَّامَات والمَساجِد والدُّور ، فَصارَت مَدينَةً مِن أَكبَرِ المُدُن وانثَالَ إليهَا التُجَّار مِن جَميع الأَمصَار ، وبَقيَ فيها مِقدَار عَشرِ سِنِين ، ثُم استَوبَأَهَا وعَارَضهُ أَمراضٌ فِيها ، فانتَقَلَ عَنهَا إلى المَواهِب[٣] شَرقِي مَدينَة "ذَمار" وشَيَّد بِها العَمائِرَ ، وسَمَّاهَا "مَواهِبَ الكَرِيم" ، وكانَت دَارَهُ وقَرارَه ومَحلُّ قَبرِه ، وكانَ جَوادً مُفَضَّلاً مُقرِّباً لِلعُلمَاء ذا رَأي أَصِيل ، ولَكنَّه الذي حَوَّلَ الخِلافَة مُلكاً بعد أن كانَ مَن قَبلَهُ مِن الخُلفَاء مَاضُونَ على السِّيرِ المَرعيَّة والأَخلاقِ النَّبويَّة ، فاستَنَّ سُنَّتَهُ مَن بَعدَهُ وسَلَكُوا مَسلَكَهُ ، فَبقِيَ في المُلك مِن سَنَة سبع وتسعين وألف إلى سَنَة سبع وعشرين وإحدى عشر مائة ، وكانَ سِردَارَ عَسكَره وهِزَبرَ وَقائِعه ومَصادِره ابن أَخِيه القاسم بن حسين بن المهدي أحمد بن الحسن ، فَنَقِمَ عَليه بَعضَ الأُمُور وسَجَنَه في "صَنْعَاء" ثُم نَقلهُ إلى سِجنِ "ذَمار" .

وَقَد دَعَا في سَنَة أربع وعشرين ومائة وألف الحسين بن القاسم بن المُؤيَّد بن محمد بن القاسم في مَحلٍ يُقالُ لهُ "مركبان" مِن بِلاد العصيمات[٤] ، وبَثَّ رَسائِلَهُ ونَقمَ على

---

[١] – كذا قال الشاعر المتنبي

الظُّلمُ مِن شِيَمِ النُّفُوسِ فإن تَجِد   ذا عِفَّة فَلعلة لا يَظلِمُ

[٢] - الخضراء : بلدة خاربة إلى الجنوب مِن رداع وتقع في السفوح الغربية لجبل أحرُم .

[٣] – المواهب : بلدة كبيرة جوار هجرة منقذة مِن منطقة عنس مِن أعمال ذَمار وهي في هضبة عالية مشرفة عَلَى السهول المجاورة إتخذها الإمَامِ المهدي عاصمة له في القرن الثاني عشر الهجري حتى لقب بصاحب المواهب وفيها قبره .

[٤] – مركبان : لم أجدها ، والعصيمات أحد بطون قبيلة حاشد ويتفرعون إلى أربعة أقسام والشعبة عصيمي وحاضرهم بلدة حوث إلى الشمال الغربي مِن صنعاء بحوالي ١٥٠كم .

المَهدي أَفعَالهُ وقَبّح سيرَتهُ فَوقَع لِدَعوته قُبول وانثَالَ إلَيه أَهلِ اليَمَن ، وسَارَ إلَيه أَمير "كَوْكَبان" محمد بن حسين بن عبد القادر بن النَّاصِر ، فَجنَّد المَنصُورُ الأَجنَاد واستَولَى على كَثيرٍ مِن البِلاد ، وكُلَّما وَجَّه المَهدي جُندَاً رَجعُوا بِالخَيبَة ، فَأشارَ على المهدي وُزَراؤهُ أَن يُخرِجَ قاسم بن حسين مِن الحَبسِ ، ولنَذكُر هُنَا ما وجَدنَا في بَعضِ الكُتُب ، عن مُشاهَدة ما بين المهدي صَاحِب المَواهِب ، والمَنصُور الحسين بن القاسم بن المُؤيَّد ، وما أَنجَز إلَيه مِن خُروج المُتوكل قاسم بن حسين ، لِنَكتَفي في تَراجِم الثَّلاثَة الخُلفَاء .

إتَّفق في سَنة أربع وعشرين ومائة وألف أَنَّ العَلاَّمة الحسين بن قَاسِم بن المُؤيَّد وَفَد على المهدي إلى "المَواهِب" فَرأَى مِن أَحواله ما لَم يُوافِق خَاطِرَه ولا يَقرُّ به نَاظِرُه ، فَحجَّ في تلك السَّنة ، وَقَد كانَ لَقيَ في مَكَّة المُشرَّفَة عبدالله بن أحمد بن المُتوكل على الله إسماعيل ، نَافِراً مِن المهدي فاجتَمعَ به وعَرفَ ماعندَهُ من المَقت على المهدي والخَوفِ منه ، وكانَ عبدالله بن أحمد قَد اختَلَطَ بنَصُوح باشا ، بَاشَة[1] الحَاج الشَّامي تلك السَّنة ، وكانَ هذا نَصُوح باشا رَجُلاً شَهمَاً عَالماً لهُ تَطلُّعٌ إلى العُلماءِ ورَغبَةٌ إليهم ، فَعرَّفَهُ عبد الله بن أحمد بما أَخبَرَهُ به الحسين بن القاسم مِن أَحوالِ اليَمَن ، فاستَدعَاهُ إلى حَضرَته وأَمرَهُما أن يَجعَلا مَكتُوباً إلى السُّلطان ، ويُوضحَا ما عندَهُما مِن أَحوالِ اليَمَن ، فبَلَغ ذلك صَاحِب المَواهِب فَخامَرهُ القَلَق والغيظُ ، وكانَ "ابن مصان"[2] كَبير قَبيلَة حَرب قَد وَفَد إلى أَبيه المَهدي أحمد بن الحسن ، فَأكرَمهُ غَايَةَ الإكرَام ، وأَعطاهُ عَطاءً وَاسعاً .

ثُم وَصَل إلى المهدي محمد بن أحمد أَيَّام إمارَته بِالمَنصُورَة فَأجزَلَ لهُ العَطَاء مُكافأةً لِمَا صَنعَهُ مع المَهدي أحمد بن الحسن حِينَ مُنِعَ مِن زيارة رَسُول الله ﷺ كما قَدَّمنا في

---

[1] – باشة : أمير الحاج الشامي .

[2] – ابن مصان : شيخ قبيلة حرب وهي قبيلة غالبها مِن العدنانية ، وهي مجموعة أحلاف منازلها في نجد والحجاز .

تَرجَمته ، فَأرسَلَ المهدي محمد بن أحمد إلى ابن مصان بِأَلف مَشخَصٍ[1] أحمَر وعَرَّفهُ بِمَا يُرِيد نُصوح بَاشَا مِن الخروج إلى اليَمَن ، فَجمَع ابن مصان جُموعَهُ ، والتَقَى نصُوح باشا في طَرِيق مصر وقَتلَهُ وقَتلَ كَثيراً مِن أصْحَابه ، فَلمَّا رَجِعَ الحسين بن القاسم مِن مَكَّة المُشرَّفَة ، أَرسَلَ المهدي مَن يَقبِضُ عَليه لَمَّا بَلَّغهُ عَنهُ محمد بن الحسين ، وخَرَجَ عن "شُهَارة" .

وَقَد أشهرَ الدَّعوة وأنشأها كَما ذكرنا مِن مركبان .

وعَضدَهُ الشَّرِيف القُطيبي (صَاحِب أبي عَرِيش)[2] ، وأمدَّهُما صَاحِب "صَعْده" الحُسين بن علي بن أحمد ودَعَا ولَم يَكُن عِندَهُ شَيء ، والمَهدي في تلكَ القُوَّه والعُدَّة ولكنَّها لا تَنفَعُ العُدَّة إذا انقَضَت المُدَّة ، فَساقَت القَبائِل أَنفُسَها إلَيه ولَهجَ بِذِكره العَوام ونَصبُوا لهُ الإعانَة بالدُّعَاء ، وخَاضَ إلَيه محمد بن حسين بن عبد القادر مِن بَحرِ المَخاوِف لجَّة وكانَ عَاملاً للمَهدي الحُجَّة ، وَقَد أساءَ إلَيه المهدي وأَخرَجهُ عن مَملَكته بِكَوكَبَان ، ولَمَّا وَصَل إلَيه جَهَّزهُ بالقَبائِل واستَفحَلَ أمرُه ولَمَّا بَلَغ المَهدِي أَمْرَه أَملأَ بِالجُيُوش الحضار والغبوش[3] ، وأَيقَن أن الأَمرَ عَظِيم والخَطبُ جَسيم ، فَقامَ وقَعَدَ وتَوقَّعَ الخَطبَ واستَعدَّ وما زَالَ أَمرُ الحسين بن القاسم يَقوَى تَارَّةً ويَضعُفُ تَارَّةً ، وجَهَّز المَهدِي عَبدَاً مِن عَبِيده ، يُقال لهُ "غيث شلح" في جَيشٍ أَجَش مِن السُّودان[4] ، وكانَ "غَيث" العَبدِ المَذكُور هو الذي قَبضَ الشَّرِيف عز الدين القُطَيبي أَسيراً مِن أبي عَرِيش .

---

[1] – عملة ذهبية يتعامل بها في تلك الفترة .

[2] – صاحب أبي عريش : بياض في أصل المخطوط ، وقد أثبتناها من المطبوع .

[3] – الحضار : وردت في المطبوع الحصار ، والغبوش : قال الفيروز أبادي :محركة ، بقية الليل أو ظلمة آخره .

[4] – السودان : المقصود جيش من ذوي البشرة السوداء .

ثُم ضَربَ عُنُقَه بحَضْرَة المهدي بن أحمد ، فبَلَغ العَبيدَ إلى مُدع قَريباً مِن ثلا فتوجَّهَت القَبائل مِن حَضْرَة الحسين بن القاسم صُحبَة ابن أَخيه زيد بن علي بن قاسم فكانَت الدّائرة على العَبيد ، وقتلَ مُقَدَّمهُم بخيت[١] ثُم بَعدَ أيامٍ وَجَّه الحسين بن القاسم الأَمير محمد بن حسين "صَاحِب كَوْكَبان" وابن حبيش عَاقِل[٢] قَبيلَة سُفيَان ، وابن جزيلان عَاقِل "ذي محمد" مِن أَهلِ بَرَط ، وتَلقَّاهُم هَمْدان فغَلَبَت هَمْدان وانكَسَرُوا عن أصْحَاب المَنصُور بن حسين بن قاسم ووَضَعَت فِيهِم القَبائل السَّيف ، وَقَد كانَ إبراهيم بن المَهدي صَاحِب المَواهِب في الجَّاهليَّة[٣] بأجنَاد أَبيه المَهدي، فانكَسَرَ إلى صَنْعَاء ودَخَلت الجُّمُوع إلى "رَوضَة حَاتِم" ثُم نَفذُوا منهَا إلى "بيرِ العَزَب" ولَمَّا حَصلَت هَذه الأُمُور ، وكانَ المهدي قَد سَجَن قاسم بن حسين في قَصرِ صَنْعَاء ، فَلمَّا حَصلَت هَذه الأُمُور أَفرَجَ المَهدي عن قاسم بن حسين من حَبسِ ذَمار كَما ذَكرنَا .

ثُمَّ نَدبَهُ لِقتَال المَذكُورين ، فَتَوجَّه مِن حَضرَته وحِينَ سَمِعَت بِمَقدَمه تلك الجُّمُوع الذين في "بيرِ العَزَب" دَاخَلهُم الفَشَل وخَالَطهُم الرُّعبُ والوَجَل فَوَصَل إلى صَنْعَاء ، وتَأخَّرت تلكَ الجُّمُوع إلى الجِرَاف ، وكَانَت أَبوابُ صَنْعَاء مُغلَقَة فَفُتِحَت الأَبوَاب وَأمِنَ النَّاس .

ثُمَّ تَفرَّقَت تلك الجُّمُوع وأَجفَلَت عن الجِرَاف خَوفَاً مِن السَّطوَة المُتوَكليَّة ، ورَجَعَ إبراهيم بن المهدي إلى أَبيه فَقرَّرَ المُتوَكل أَحوَال صَنْعَاء ، ثُم خَرجَ عَنهَا إلى "رَوضَة حَاتِم" ثُم أَقَامَ بِها أياماً يَجمَعُ الأَموَال ويَحشدُ الرِّجَال ، وخَمدَت نَار الحسين بن القَاسِم في تلكَ الأَيَّام ، ثُم نَفذَ المُتوَكل قاسم بن حسين إلى عَمْران ، وذلك في سَنَة خمس وعشرين ومائة وألف ، فَأصلَحَ الفَاسِدَ وأَرغَمَ المُعانِد ، وكانَ المهدي قَد نَدمَ

---

[١] – بخيت : ورد في المطبوع (غيث) .

[٢] – عاقل : رأس القبيلة ، مختار ، عميد الأسرة .

[٣] – الجاهلية : سبق التعريف بِها وهي مِن بِلاد هَمْدان إلى الشمال مِن صنعاء .

على إطلاقِهِ ، وما زَالَت السِّعايَات بَينهُم تَشتَد ، والأَوهَامُ تَتجَدَّد وَقَد سَاءَ ظَنُّ عَمِّه فيه .

ولما طَالَ الأَمرُ لَم يَجِد القَاسِم بن حُسَين بُدًّا مِن خَلْعِ طَاعَة عَمِّه المهدي ، وَقَد أَحكَمَ التَّدبير بِحفظ صَنْعَاء وتَحصينِها ، فَأَولُ شَيءٍ ظَهرَ مِن أَمرِه طَبعَ الخَيل[1] بِإسمِ المَنصُور الحُسَين بن قَاسِم بن المُؤَيَّد، وَقَد كانَ القَاسِم بن حسين يَطلُب مِن العُلماء المُشَاورَة فِيما يَصلُح مَع قِيَام المَنصُور وكَونَهُ أَهلاً لِمَا قَام لهُ في العِلم والصَّلاح ، فاتَّفَقَ رأي العُلماءِ مِن آل القَاسِم كالسَّيِّد العَلاَّمة يوسف بن المُتوَكل والسَّيِّد الإمَام العَلاَّمة محمد بن عبد الله بن الحسين بن القَاسِم والسَّيِّد العَلاَّمة محسن بن الإمَام المُؤَيَّد محمد بن المُتوَكل على الله إسماعيل والكَافَة مِن الأَعيَان مِن غَيرِهم مِن القُضَاة والرُّؤسَاءِ والمَشَايخ على إجَابَة المَنصُورِ والدُّخُولِ في طَاعَته ، وخَلعِ المَهدي ، فَحصَلَ التَّوقِيفُ أن كَاتَب قاسم بن حسين إلى المَنصُور ، وصَلَحَ الأَمرُ بَينهُما على يَد جَماعَةٍ مِن الأَعيان ، مِنهُم أَمِيرُ كَوْكَبان محمد بن الحسين بن عبد القَادر ، وكانَ ذلك في أَواخِرِ شهرِ رَبيع مِن سَنة سبع وعشرين ومائة وألف فَلمَّا كانَ يَوم الجُمعَة غُرَّة شهرِ جُمَادى الأُولى خَطَب قاسم بن حسين في عَمْران لِلمَنصُور وأَخذَ البَيعَة مِن الجُّمهُورِ وكانَ عِندَهُ أَعيانُ دَولةِ عَمِّه المَهدي فَحمَلَهُم[2] على البَيعَة .

ومن العَجائب أنَّه خَطَبَ في الجُّمعَة الأُولى في عَمْران لِلمَنصُور كَما ذَكَرنَا ، والجُّمعَة الثَّانيَة خَطَبَ الخَطِيبُ في صَنْعَاء ، وَوقَع الحِصار على المَوَاهِب مُستَقرِّ المَهدي في الجُّمعَة الثالثة نِصفَ شهرِ جُمَادى الأولى واجتَمَعَت المَحَاطُ[3] مع أُمرَاء قاسم بن حسين وهُم الأَمِير الكَبِير محمد بن الحسين بن عبد القَادر صَاحِب كَوْكَبان وحُسَين بن قاسم بن

---

[1] – طبع الخيل: وشم يوضع عَلَى جبهة الحصان أو الفرس يدل عَلَى تابعية هذه الخيول للإمام المنصور .

[2] – حملهم : ألزمهم وأجبرهم عَلَى البيعة .

[3] – المحاط : القوات المحيطة ، المحاصرة .

حسين الذي صَارَ الخَلِيفَة بَعدَ أَبيه ــ كَما سيأتِي ــ ومَعهُم محطٌ[1] عَظِيم قَدرَ اثنا عَشَر أَلفاً ، وضَاقَ الحَالُ بِمَن في المواهب ، واستَمَرَّ الحِطَاط إلى سَلخِ شهرِ رَمضَان ووَقَعَ الصُّلح في أول شهرِ شَوَّال على تَسليمِ المَهدِي الأَمرَ لِلمَنصُور على شُروطٍ اقتَضَاهَا النَّظرُ ، فَأجَابَ المَنصُور بِصَلاح ذلك ، وكانَت الرُّسُل مِن عِند المَهدِي : الشَّيخ الصَّدر سَعِيد بن محمد المنوفي المكي ، وكانَ قَد وَفَد مِن مَكَّة فاستَوزَرَهُ المَهدي لَهُ والسَّيِّد الرَّئِيس الكَبِير العَالم الأَدِيبُ البَارِع الحسين بن علي بن المُتوكل ، وتَرَدَّدا حتَّى صَلحَ الحَال على وِفقِ المُرَاد ، ولما كانَ يومِ الإثنين سادس عشر شهرِ شَوَّال مِن سَنَة سبع وعشرين ومائة وألف خَرجَ الشَّيخ سَعِيد المنوفي بِبيعَة المَهدِي بِخُطبَة تَركنَاهَا اختِصَاراً وخَطَبَ خَطِيب المَهدِي لِلمَنصُور يوم الجُمعَة لعشرين مِن شهرٍ شَوَّال ، فَسكَنَت الأُمُور أَيَّاماً وانتَظَمَ الحَال .

وبعد ذلك في سَنَة ثمان وعشرين ومائة وألف حَصلَ الخلافُ بين القاسم بن حسين وأولادِ عَمِّه إسحَاق بن المهدي ولَم يَعتَمِدُوا أَوامِرَه وكانَ لهُم ولاياتٌ مِن جِهَة ابن عَمِّهِم حسين بن قاسم على "وُصَاب" و "تَعز" و "العُدَيْن"[2] و "شَرْعَب" ، فَكَانَت وُصَاب بِنَظرِ السَّيِّد العَلاَّمة الأَكبَر محمد بن إسحاق وتَعز بِنَظرِ صِنوه السَّيِّد العَلاَّمة صَاحِب التَّصانيف الحسن بن إسحاق والعُدَيْن بِنَظرِ صِنوهما عبدالله بن إسحاق ، وصِنوهما يحيى بن إسحاق كانَ في زَبِيد مِن جِهَة أَخِيه محمد بن إسحاق ، ومَعهُم مِن المَنصُور كَمالُ التَّفوِيضِ لِمَا هُم عَليه مِن العِلمِ والعَمَل فاستَبَدُّوا في الوِلايَة إلى الإمَام المَنصُور وأعرَضُوا عن أَوامِر ابن عَمِّهِم القَاسِم بن حسين ، فَجهَّزَ إليهم سَيفَ الإسلام

[1] – محط : معسكر أو تجمع للقوات المحاصرة ، يقدر مجموعها بإثنا عشر ألف فرد .

[2] – العدين : سلسلة جبلية كبيرة مترامية الاطراف وصقع واسع من أعمال إب وتنقسم العدين إلى خمسة نواح وبلدة العدين أهم بلدات المنطقة ..

قَاسم بن حسين رُسُلاً (؟؟؟)[1] فَمُنِعُوا على البِلاد وكَتَبُوا إلى المَنصُور بِصفَة الوَاقِع فَأَجابَ عَليهم أنَّهُم على ولايَتِهم مِنهُ وأَنَّهُم يُدافعُونَ سَيفَ الإسلام ولَو بالحَرب فَمَا زَالَت المُرَاجَعَة بين القَاسِم بن حسين والمَنصُور كَونَ الشَّرط بَينهُما عندَ المُنَاصَرَة أن بلادَ جَدِّه الحسن بن القاسم تَكُون الولايَةُ والعزلُ إلى القاسم بن حسين فِيها جَمِيعاً ، وإليهِ التَّفويضُ في الإيرَاد والإصدَار لا يَخرُجُ عن أَمرِه ، فاعترَاضُهُ كانَ مَبنيًّا على هذا الأَصل ، ولا زَالَت الرُّسُل تَختَلفُ والإمامُ يَشكُو منه أنَّه غَيرُ مُتوقِّف على أَوامِرِه والقَاسم بن حسين غَيرُ مُبالٍ بِالرُّجُوعِ عن الشُّروط حتَّى آل الأَمرُ إلى أن يَكتُبَ المَنصُور إلى البلاد بعَزلِ قاسم بن حسين وأَظْهَر المُبَايَنَة الكُلِّيَة لأَمرٍ يُرِيدُه اللهُ سبحانه .

ولَمَّا كانَ في شهرِ شَوَّال من سَنة ثمان وعشرين ومائة وألف جَدَّ المَنصُور على عَزلِ سَيفه المَشهُور ونَصيرِه الهَصُور القَائم بِدَعوَته القاسم بن حسين ، وجَمَعَ قَبائل حَاشِد وبَكِيل وأمرَهُم أن يَتقَدَّمُوا إلى صَنْعَاء ، فَلمَّا خَرجُوا مِن شُهَارة أجمَعَ رَأيُ كُبَرائِهم على أن يَتوجَّهُوا جِهَة المَغرب بلاد عَفار وكحْلان وحَجَّة ونَفذَ طائفةٌ إلى مَغارِب كَوْكَبان ، فابتَدءوا بنَهبِ أهلِ "حبُور" وسُوقِهِم ، وانتَهبُوا[2] بلاد "السودَة" وتَوجَّهوا إلى "حَجَّة" وعَاثُوا فيها واستَولُوا على أَموالِ الرَّعايَا فَحصَلَ مِن ذلك ما سَوَّدَ وجُوهَهُم وصَحائفَهُم وأَخَذُوا مِن البِلاد أَموالاً جَزيلَة ، ولَم يَبقَ للإِمَام المَنصُور إلا ذكرُه في الخُطبَة ، وتَوجَّه ابن حبيش السُّفيَاني إلى "تَهامَة" فَنهَبَ وقَتَلَ بِنفسه العَامِلَ مِن جِهَة قاسم بن حسين ، فقتَلَ ابن حبيش وأَراحَ اللهُ الضُّعَفاءَ مِن شَرِّه .

وأَمَّا ابن جزيلان وعلي الأَحْمَر فَوصَلُوا حَرَاز ، وأخَذُوا أَموَالاً جَزِيلَة ثُم وَصَلُوا الحَيْمَة واستَولُوا على عَامِلها القَاضي عبد الله بن حسين بن يحيى المخلافي ، فَلمَّا كَانَت هَذه الأُمُور وتَلاشي حَال المَنصُور اجتَمعَ آل الإمَام والسَّادَةُ الأَعلامِ والقُضَاةُ الحُكَّامِ

---

[1] – كلمة في المخطوط غير واضحة .

[2] – هذا التصرف والتعدي ونهب أموال الناس بالباطل أمرٌ لا يجيزه شرع ولا عرف ــ نعوذ بالله من الخذلان ــ.

على السَّيِّد الهُمَام البَيهَس[١] الضِّرغَام "القاسم بن حسين" ، وعَيَّنُوا عَليه القَيَام والذَّبَ عن حَوزَةِ الإسلام ، فَلمَّا كانَ يوم الجُمعَة ثامن شهرِ القعدة من سَنة ثمان وعشرين ومائة وألف خَلَعوا المَنصُور وأسقَطُوا ذكرَهُ في الخُطبَة .

ويوم السبت تاسع الشَّهرِ المَذكُور أظْهَر القاسم بن حسين الدَّعوَة لنَفسه ، والإمام المَنصُور بَقِيَ مُتردِّداً من "شُهَارة" إلى "حُوث" ولَم يَبقَ بيَده شَيءٌ من البلاد ، وبَقي على دَعوَته إلى أن حَضرَتهُ الوَفَاة في تاسع شهرِ شَعبان سَنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ودَعَى[٢] قاسم بن حسين ، وتَلَقَّب بالمُتوَكل على اللهِ رَبِّ العَالمين ، وكانَ من الإتفَاق العَجيب أن هَذه الكُنيَة بحسَاب الجمل الكَبير[٣] تَاريخاً لدَعوته ، فَقَام في البلاد أَحسَن قِيامٍ وحَصلت الفتنَةُ أَولاً بَينَهُ وبين عَمِّه صَاحب المَوَاهب لأَنَّه ظَهرَ منهُ خلاف ، فَجَهَّز عليه المحاطَ وحَاصَرَ المَوَاهب مَرَّةً أُخرَى فَوقَع مَوتُ المَهدي في رَمضَان سَنة ثلاثين ومائة وألف فَطَلَعَ أَولادُه إلى المُتوَكل وسَكَنت الفتنَةُ ، واشتَغَلَ بَعدَ ذلك بأولاد عَمِّه إسحاق بن المهدي فَجَهَّز عَليهم واستَولى عَليهم واحداً بَعدَ واحد وصَارُوا في قَصرِ صَنْعَاء مَسجُونين ، ثُم حَصلَ خلافٌ بَينَهُ وبين أَمير كَوْكَبان وأَسَرَهُ وحُبسَ بالقَصرِ مع آل إسحاق ، وحَصلَت في أَيامه سنينٌ شَديدَة وقَحطٌ في البلاد عَظيم سَنة خمس وثلاثين ومائة وألف وسَنة ست وثلاثين .

وبَعدُ وقَعَ عَليه خلافٌ من قَبيلَة أَرحَب بَعدَ أن أَباحَهُم في صَنْعَاء قَتلاً وأَسراً وخلاف هَمْدان كذلك ، وخَرجَ عَليهم وشَرَّدهُم في البلاد ، ثُم أن قَبيلَة أَرحَب بَعدَ الهدَار[٤] ذَهبُوا في بلاد حَاشد وبَكيل على قَاعدة القَبائل في اتِّحَاد بَعضهم لبَعضٍ عندَ

---

[١] – البيهس : من صفات الأسد / قاله إبن سيده .

[٢] – ودعى : وردت في المطبوع ادعى وهي الدعوة وطلب الإمامة .

[٣] – بحساب الجمل الكبيرة : كذا في المطبوع والمخطوط .

[٤] – الهدار : الكلام الذي لا طائل بعده

وُقوعِ كَائنة فِيهِم ، فَأحفَلَت مَعهُم القَبائل وخَرجُوا مَخرَجاً كَبيرا ، ودَخَلوا الرَّوضَة البَهِيَّة وعَاثُوا فِيها وانتَهَبُوا ثُم أَخرَجَهُم المُتوَكل منهَا ، وكانَ ولَدُه السَّيِّد الأَجَلّ الصَّارِم الحسين بن المُتوَكل بِعَمْرَان فَأجبرَهُ القَبائل بالخِلاف[1] على أَبيه وأَخرَجُوه مَعهُم ، وأَخذُوا حَدَّة بني شِهَاب واستَقَرُّوا فيها .

وبَعدَ صُلحِ الحَال بين المُتوَكل ووَلَده حسين واستِقَامَةِ الأُمُور ، فَوقَع مِن المُتوَكل إطلاقَ المَسجُونِين قَبلَ وفَاته فَبَقوا أَيَّاماً في صَنْعَاء ، وخَرجَ أَعيانُ آل الإمَام مِن صَنْعَاء ومحمد بن حسين صَاحِب كَوْكَبان والسَّيِّد العَلاَّمة محمد بن إسحاق وإخوَتُه ، والسَّيِّد العَلاَّمة محمد بن عبدالله بن الحسين بن الإمَام إلى بِلاد أَرْحَب .

فَأَمَّا محمد بن عبد الله فَأصَابَهُ مَرضٌ فَرجعَ وتوفى عُقَيبَ رُجُوعه ، وأَمَّا آل إسحاق ومن تَبِعَهم فَتوقَّفُوا على قِيامِ السَّيِّد العَلاَّمة محمد بن إسحاق .

وفي خِلالِ ذلك تُوفيَ المُتوَكل قاسم بن حسين في شهرِ رَمَضان سَنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، فَدَعى محمد بن إسحاق وتَكنَّى بالنَّاصر ، ودَعَى الحسين بن المُتوَكل في صَنْعَاء وتَكنَّى أيضاً بالنَّاصر أَولاً ، وجَرَت حُروبٌ وخُطُوبٌ لا حَاجَةَ بنا إلى سَوقِهَا فَالكَلامُ فِيهَا يَطُول ، وَقَد تَضَمَّنَتها تَواريخ ، وآل الأَمرُ إلى قَبضِ محمد بن إسحاق من حَدَّة بعد طُلوعِه مِن تَهَامَة لِحَربِ المَنصُور لأَنَّه حَوَّل الدَّعوة إلى المَنصُور ، ثُم قَبضَ عبد الله بن طالب بن المهدي وكَانَ مُظَاهِراً لآل إسْحَاق[2] ، ثُم قَبضَ الحسن بن إسحاق مِن "ثِلا" ثُم سَائِرَ آل إسحاق وتَمَّ الأَمرُ لِلمَنصُور الحسين بن القاسم وأَمِنَ سَيِّدي محمد بن إسحاق وَدَخَل صَنْعَاء واستَقَرَّ بِمَنزِله دَارَ السَّعادَة بِحافَّة الجَلاء[3] ،

---

[1] - الخروج عَلَى أبيه وطلب الإمامة لنفسه .

[2] - آل إسحاق : مِن الأشراف مِن أحفاد الإمَامِ السبط الحسن بن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، وآل إسحق من البيوتات الصنعانية المعروفة الآن .

[3] - حافة الجلاء : حي الجلاء ، أحد أحياء صنعاء القديمة وكان يسكنه اليهود حيث أجلاهم الإمَامِ الناصر في القرن الحادي عشر وسكنوا منطقة القاع وكان ينسب قاع اليهود لهم .

وهَكَذا الأَيامُ تَميل عن أَهلِ الفَضائل الأَعلام ، فَإنَّ السَّيِّد العَلاَّمة محمد بن إسحاق كانَ عَظيم الشَّأنِ وَاضِحَ البُرهَان عَلامَةَ المعقُولِ والمَنقُول المُحيط بِالفُروعِ والأُصُول ، فَصِيحَ اللَّهجَة شَاعِراً مَجيداً مُطلقاً مُترسِّلاً بَليغاً ولَكنَّ هَذه الدُّنيا حُظوظٌ وقِسَم لا تُساعدُ أَهلِ الفَضلِ في أَغلَبِ حَالاتِها وَتَميلُ إلى أَهلِ الجَّهلِ والغَبَاوَة ، وبَقي المَنصُور في الخلافَة مِن سَنَة تسع وثلاثين إلى حِينِ وفَاته في سَنة إحدى وستين ومائة وألف ، نَافذَ الأَوامر مَحمُودَ المَوارِدِ والمَصادر سَرِيعَ النَّهْضَة ثَابتَ الهِمَّة ، ووَقَعَ الخلاف بَينَهُ وبين صِنْوه الهُمَام أَحمد بن المُتوَكل، وهو كانَ مُتولياً لليَمَن الأَسفَل جِهَة بلاد التَّعزية والحُجَريَّة ومظهر مُلك كَبِير وكَرَمٍ شَهِير وحِلمٍ أَرسَخ مِن ثبير[1] ، ولَم يُطاوِع أَخاه ولا ساعَدَه لِمَا يَهواهُ فَحصَلَت بَينهُم حُروبٌ وخُطُوب واصطَلَحَا آخرَ الأَمرِ ، وبَقِيَ المَولى أَحمد على وِلايَته مُعتَزياً إلى أَخيه بِواسِطَة السَّيِّد العَلاَّمة البَدرِ المُنير محمد بن إسماعيل الأَمير رضي الله عنه .

ومِن فَتَكات المَنصُور المَشهُورَة وشَجاعَته المَأثُورَة أَنَّه أَيَّام الخلاف بَينَهُ وبين آل إسحاق أَنَّهم أَجمَعُوا الجَّميع مِن كُل جِيل مِن أَحياء حَاشِد وبَكِيل وبَعثُوهُم[2] لمُحاصَرته إلى صَنْعَاء وكَبيرُهُم الذي عَليه يُعوِّلُون وإليه يَرجِعُون رَجلٌ يُقالُ لهُ علي الأَحمَر مِن العُصَيمَات مِن السبع[3] فوصَلَت هَذه الجُّمُوع إلى عَصِر ، وأَرَادُوا مِن المَنصُور تَسليمَ الأَمرِ لِسَيِّدي العَلاَّمة محمد بن إسحاق ، فَكَتَب المَنصُور إلى النَّقيب علي الأَحمَر يُوافقُه إلى مِصبَانَة عَصِر[4] المَعرُوفَة للمُفَاوضَة فِيمَا يَصلُح فاتَّفقَا هُنالك ، وبَطَشَ به المَنصُور وقَتَلهُ وأَخذَ رَأسَهُ على سِنان حَربَته وأَجنَادُهُ بِالقُربِ مِن الخَيمَة ،

---

[1] – ثبير : أحد جبال مكة المكرمة ، قال الجوهري: ثبير من أعظم جبال مكة ، بين مكة ومنى وهو إلى مكة أقرب .

[2] – وردت "وبعثرهم" في المطبوع .

[3] – السبع : فخذ من العصيمات .

[4] – مصبانة عصر : بجانب أحد غيول عصر ، وكانت المصبانة مكان غسيل الملابس .

وخَرجَ المَنصُور ومَعهُ وَزير أَبيه القَاضِي حسين بن أحمد الحَيمِي والعَبِيد ، فَلَم يَكُن مِن القَبائِل إلاَّ الرِّمَايَة بِالبَنادِق دُفعَةً وَاحِدَة ، فَأُصيبَ القَاضِي حسين الحَيمي والمَنصُور وأَصْحَابه خَرجُوا سَالِمين ورَأسُ الأَحمَر في رَأسِ الحَربَة ، وبَعدَهَا تَفرَّقَت القَبائِل شَذَر مَذَر ، وقَوِيَ أمرُ المَنصُور واستَظهَرَ وقَتَلَ وأَسَر وفَازَ بِالظَّفرِ واستَقامَت دَولَتُه ونَفذَت صَولَتُه حتَّى تُوفي في سَنة إحدى وستين ومائة وألف كَما قَدَّمنا ، فَقامَ بِخلافَته ولَدُه العَبَّاس بن الحسين وتَكَنَّى بِالمَهدِي وأَجمَعَ عليه آل الإِمَام والعُلمَاء الأَعلام ، وكانَ أول مُبَايِعٍ لهُ المَولى العَلاَّمة محمد بن إسحاق ثُمَّ سَائر آل الإمَام ثُم العُلماء والحُكَّام .

وهذا المَهدِي العباس هو الغُرَّة الشَّادِخَة والتَّمرَقَةُ البَاذِخَة ، والخِرِّيتُ المَاهر والمُدَبِّر للمَلك أيَّ تَدبير والنَّاظِمُ للأَمرِ على الشَّرعِ المُنير مَشَى على أَحسَنِ السِّيرَة وَصَلاح السَّريرَة وحَفَّ بِأَخيارِ العُلماءِ وأَهلِ الزَّهادَة في الدُّنيَا وأَخذَ بِآرائِهم واستَضَاءَ بِأَنوارِهم وأَقامَ الشَّريعة الغَرَّاء وأَحيَا المِلَّة الزَّهرَاء وتَضَاعَفَت الصَّدقَات وبِنَاء المَساجِد وأَحيَا مَنارَ الدِّين ، وكانَ العُلماءِ يقدِّمُونَ عَليه الغَليظَ مِن الكَلام فلا يَظهُر عَليه غَضَبٌ ولا انتِقَام فَاستَقَامَت دَولَتُه وعَظمَت صَولَتُه وكَثرَتِ الأَرزَاق وقَام العَدلُ على سَاق ، وبَقِيَ في الأَمرِ إلى سَنَة تسع وثمانين ومائة وألف وتُوفيَ فِيها ، وقُبرَ في مَشهَده المَعرُوف تِلقَاءَ القُبَّة المَنسُوبَة إلَيه بِسايلَة صَنْعَاء[1] وَقَد عَملَ الحَقَّ وسَارَ بِالصِّدقِ ولَهُ المَآثرُ العَظِيمة والمَشاهِدُ المُستَقيمَة منها القُبَّة التي ذَكرَنا والمَسجِد الذي بِباب اليَمَن[2] على يَمِين الدَّاخِل ومَسجِد النُّور بِحافَّة معمر[3] ومَسجِد التَّقوَى[4] بِبستَان السُّلطان ، ووَقَف الأَوقَافَ العَظِيمة وأَحيا سُبلاً[5] كَثيرة مِنها بِركَةٌ بِمَطرح العز مِن "الحَيْمَة"

---

[1] – سايلة صنعاء : معروفة ، وهي بجانب الجدار الغربي لصنعاء القديمة .

[2] – باب اليَمَن : أحد أبواب صنعاء القديمة وأشهرها وأقدمها وهو مدخلها الرئيسي وعمر البناء يزيد عَلَى عدة قرون .

[3] – حافة معمر : أحد أحياء مدينة صنعاء القديمة على يمين الداخل من جهة باب شعوب .

[4] – مسجد التقوى : إلى الغرب من السايلة بجانب سوق معقاد .

[5] – سبل : سبيل ماء جاري ، عبارة عن بركة ماء غالباً ما تكون مستديرة يستقي منها الناس والحيوان .

الدَّاخِليَّة ، ومنهَا بِركَةٌ في سُوقِ حَجَّة المُسَمَّاة الزعبلية[1] ، ومَحاسنُه كَثيرة وسيرَتُه شَهيرَة وَقَد عَدَلنا إلى الإختصَار وحَذَفنَا ما وَقعَ في أَيَّامه من التَّسيير ، فقَد طَالَ الكتاب هذا ولَكنَّا في أَوَّله التزَمنا غَيرَ ما أَثبَتنا عن بَعد ، ولا يَخلُوا الجَميع من فَائدَة .

ولَمَّا تُوفي المَهدي عَباس قَامَ بالخِلافَة ولَدُه المَنصُور علي بن العباس[2] في سَنَة تسع وثمانين ومائة وألف في القرن الثاني عَشر واستَمرَّت إمَارَتُه على سَعادَة وإقبَال في أَوَّلها وأَوسَطِهَا ، وبَقيَ على تلكَ الحَالَة بَذَّالاً للأموَال ، شَيَّدَ الدُّورَ وعَمَّر القُصُور ، وكانَ في تَرَفٍ عَظِيم ومُلكٍ عَقِيم[3] مِن سَنَة تسع وثمانين ومائة وألف إلى سَنَة عشر ومائتين وألف هِجرِيَّة .

---

[1] – الزعبلية : مازالت تحمل هذا الإسم ويعرفها سكان وأهالي حَجَّة .

[2] – المنصور : هو(المنصور بالله) علي بن العباس بن الحسين من بني القاسم من أئمة الزيدية ، ولد بصنعاء ووليها في عهد أبيه وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه عام ١١٨٩هـ ، واستمر إلى أن توفي بصنعاء عام ١٢٢٤هـ .

[3] – عقيم : لعله قصد أنَّه لم يخرج لغزو ولم يبادر بفتح حصون أو ديار أخرى .

وفي هَذَا القَرن الثَّالث عَشر تَلاشَت عَليهِ الأُمُور بِخُروجِ التَّهَائم وبَنادِرهَا إلى الخَوارِجِ مِن نَجد ، لَمَّا قَامَت الفِتنَةُ وعَظُمَت المِحنَة بِقيامِ عَبد العَزيز النَّجدي ، ثُم ولَدُه سُعُود واستَولُوا على الحَرَمَين والعِرَاق وأَخذُوا المُدَن الكِبَار ، وقَتلُوا المُسلمين في الحُسَينيَّة وكانُوا يُكَفِّرُون جَميع المُسلمين إلاَّ مَن دَانَ بِدينِهِم[١] وعَاهَدَ مَذاهِبَهُم فَخَرجُوا على تِهَامَة وغَلبُوا الأَشرَاف آل أبي مِسمَار على المِخلاف السُّلَيماني ، ثُم أَذعَن لَهُم الشَّرِيف الهُمَام البَيهَسُ الضِّرغَام حمود بن محمد أبي مسمار وقَادَهُم على التَّهائم واستَولُوا عَليهَا ، فَلمَّا تَمكَّنَت وَطأةُ الشَّرِيف حمود بِطَائفَة النُّجُود قَلبَ لَهُم ظَهرَ المِجَن واستَقَلَّ بِمكَّة التَّهائم وأَخرَجَ عَنهَا النُّجُود وقَتل مَن بَقِيَ مِنهُم في الحُدُود ، فَجَهَّزُوا عَليهِ تَجاهِيزَ كَثِيرة ، فَلَم يَظفَرُوا مِنهُ بِطائل قُتِل في بَعضِهَا مُقَدَّمُهم عبد الوهَّاب أَبُو نُقطَة ، واستَبَاحَ عَسكَره وهُم فَوقَ ثَمانين ألف مُقاتل ، ثُم خَرَجُوا عليه مَخرَجاً آخَر ، وحَصلت قَتلَةُ الرَّاكة[٢] المَشهُورة ، ثُم صَالَحُوه على أن يَبقَى في التَّهائم ويَعتَزي إليهِم ظَاهِراً ، والمَنصُور بَعدَ ارتِفَاعِ أَهلِ نَجد جَهَّز تَجاهِيزَ إلى تِهَامَة ، لَم يَحصُل مِنهُ على طَائِل بَعدَ أن بَذَل الأَموَال وطَلَبَ القَبَائِل ، ولَم يَكُن مِنهُم نَصِيح كَامِل .

وكانَ الشَّرِيف حمود يَأخُذُهُم بالرَّغبَة والرَّهبَة ، ويُفسِدُهُم بالمَال ويُشهِرُ السُّيُوف الصِّقَال فَيرجِعُون عَنه إما لِذَا أو لِهَذَا ، فَلَم يَبقَ لِلمَنصُور في التَّهائم ذِكْر ، وكانَ وَلَدُه

[١] – دينهم هو الإسلام وخلاف الرأي والإجتهاد لا يخرجهم من الإسلام .

[٢] – الراكة : حصن في وادي عمد من بلاد دوعن من أعمال حضرموت ولا أظنها المقصودة ، ولعلها الراكبة وهو جبل صغير إلى الجنوب الغربي من بلدة العنان في منطقة برط من أعمال الجوف إلى الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة كبيرة .

سَيفُ الخِلافَة أحمد بن المَنصُور من أَهلِ العُقولِ الرَّاجحَة ، وكانَ يَكتُب إلى سُلْطان الإسلام مِن آل عُثمان ويَستَمدُّ منهُ العَونَ على إرجَاعِ التَّهائم ، وأَرسَلَ الهَدَايا وانضَافَ إلى السِّدَّة الخَاقَانيَّة والأَبواب السُّلطانيَّة ، فوَصَل إليه يُوسُف القنبطَان من مِصرَ بِهَديَّة ، فقابَلهُ بالإعظَام وأكرَمهُ غَايةَ الإكرَام.

وَقد صَارَ غَالباً على أمرِ أَبيه المَنصُور من تِلكَ الشُّهُور ، فَلمَّا بَرزَ الأَمرُ السُّلطاني على البَاشَا محمد علي نَائب السَّلطَنة في الدِّيَار المصريَّة بالتَّجهيزِ العَظيم على عبدالله بن سعود أَحدِ أُمرَاءِ النُّجُود ، كرَّر المُكاتَبَة المُتوَكل أحمد بن المَنصُور علي بن إلى محمد بن علي باشا في الإستعانَة به على تَمامِ المَآرب ونَجاحِ المَطلَب ، والمَنصُور بَقِيَ بَعدَ هَذه المُدَّة وَقَد لاحَت لَوائحُ زَوالِ هَذه الدَّولَة بتَسليط قَبائل القبلة وخُروجهِم في كُل سَنة لِنَهبِ الرَّعَايَا وأَخذ قراهم وثِمَارِهم ولَم يَكُن منهُ دَفعٌ حتَّى دَخَلت سَنة ثلاث وعشرين واثني عشرمائة[1] فَوقَعَ مِن القُضَاة بني العَنسِي رُؤَساءِ أَهلِ بَرَط إقدامٌ على وَزير المَنصُور حسين بن حَسَن عُثمان العُلُفي القُرَشي وطَعَنهُ أَحدُهُم طَعنَةً يَسيرَة سَلَّمهُ الله منها ، فَأمَرَ المَنصُور بِضَربِ أَعنَاقِهم أولئك القُضَاة فَبادَرَ والِدُهُم عبد الله بن حَسَن ، وخَرجَ بالقَبائل وحَاصَر صَنْعَاء في سَنة شَديدة وأَزمَة عَظيمَة ، فَكَادَ يَستَولي الهَلاكُ على أَهلِ صَنْعَاء ، وبَلَغ الطَّعامُ مبلَغاً عَظيماً في غَلاءِ الأَسعَار ، وشُحِّ الأَمطَار وطُول الحِصَار ، فَانثَالَ العُلماءِ إلى سَيفِ الخِلافَة أحمد بن المَنصُور وعَظَّمُوا عَليه التَّصاغي[2] عن هَذه الأُمُور ، فَوثَبَ على وُزراءِ والِده القُرَشيِّين وأَوقَعَ بِهم ونُهبَت بُيُوتُهم وَأودَعَهُم السُّجُون وأَخذَ منهُم كُل مَظنُون ، وأَصلَحَ البَاغِي ورَفَعهُ عن قَطعِ الطُّرُقَات ، وذلك على كُرهٍ مِن والِده المَنصُور ، ولَكنَّه أَلجَأَ إلى ذلك الفعلِ بِفَتوَى العُلماءِ أن لا طَاعَة لِمَخلُوقٍ في مَعصِيَة الخَالق .

---

(١) – سنة ١٢٢٣هـ .

(٢) – أن يصغي ويستمع لما يجري في البلاد .

ثُم بَقِيَ الأَمرُ في يَدِ سَيفِ الخِلافَة ، ولم يُصرِّح بِدَعوَة بل بَقي والِدُه على مَنصِبِه حتَّى تُوفي في شهرِ رمضان الكريم سَنة أربع وعشرين واثني عشر مئة ودَعَى إبنُه أحمد وتَكَنَّى بالمُتوَكل وكانَ حَازماً شَهمَاً عَاقلاً يُقرِّبُ العُلماءِ ، وأَصلَحَ ما قَد كانَ فَسدَ أيام والده ، إلاَّ التِّهائم فَهي بَقيَت في يَدِ الشَّرِيف حمود وما زالت المُكَاتَبَة من المُتوَكل تَتَكرَّرُ إلى السُّلطان وتَتَضاعَفُ الهَدايَا للبَاشَا محمد بن علي[١] ويَستَنجدُه على الشَّرِيف حمود حتَّى استَأصَلَ محمد علي أهلِ نَجد[٢] ، وقَبضَ عبد اللهُ بن سُعُود أَسيراً وأَرسَلَهُ إلى حَضْرَة السُّلطان ، في سَنة سبع وعشرين واثني عشر مائة.

فَجَهَّز خليل باشا في أَجنَادِ وَاسعَة لِتَتبَعَ أصْحَاب النَّجدي واستِبقَاءِ ما قَد أَخَذُوه مِن البِلاد ، وفي خِلالِ ذلك مَاتَ الشَّرِيف حمود بن محمد في سَنة ثلاثين ومائتين وألف وقَامَ مَقامَهُ ولَدُه الشَّرِيف أحمد بن حمود وبَقي سَنة واحدة إلى سَنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف ووَصَلَ البَاشَا خليل والتَقاهُ الشَّرِيف أحمد بن حمود لِلحَربِ فَغُلِبَ وأُسِر وبُعِثَ بِه إلى مِصر ثُم إلى الرُّوم ، واستَولَت السَّلطَنة على تَهَامَة اليَمَن ، وكانَ المُتوَكل أحمد قَد تُوفي في شهرِ القعدَة سَنة إحدى وثلاثين واثنا عشر مائة، فَبَقي أَمرُ تَهَامَة بأَيدِي أُمَناءِ السُّلطان مِن سَنة اثنين وثلاثين إلى سَنة ثلاث وثلاثين واثنا عشر مائة، وَقَد دَعى في صَنْعَاء المهدي عبد اللهُ بن المُتوَكل أحمد وثَبتَت لهُ صَولَة وتَمَكَّنَت لهُ الدَّولَة ، ولَكنَّه كانَ حَدثَ السِّن ، فَطلب قَبائِل بَرَط إلى صَنْعَاء وأَرادَ تَجهِيزَهُم إلى تَهَامَة لاستِنقَاذِهَا قَبلَ أن تَثبَتُ يَدُ السَّلطَنة عَليهَا .

---

[١] – محمد علي باشا والي مصر .

[٢] – أضعف وأوهن شوكة الحركة الوهابية التي قامت في نجد ، وقد قام بالهجوم عليهم بناءً عَلَى تكليف مِن السلطان العثماني .

ثُم ظَهرَ لهُ مِن أَهلِ بَرَط عُتُوٌّ وشَطَط وطَلبِ المُغلبَات فَأمَرَ بتهديرهم[١] في صَنْعَاء ، وحَبسَ كِبارَهُم مِن "ذي محمد" و "ذي حسين" فَأخَذُوا وسَلَبُوا وقَتَلُوا في الأَزِقَّة والأَسواق ، وانحَازَ بَعضُهُم إلى محلة السَّايلَة[٢] إلى الليل وخَرَجُوا مِن أعلى الدَّوائر ودَارَت على الآخرين الدَّوائر ، وأُخِذَت بُيُوت وتجلاهُم القَاطِنين بصَنْعَاء ، ثُم إنَّهُم ذَهبُوا إلى بِلادِهِم وحَشَرُوا منهَا طَارِفَهُم وتَلادَهُم ، وحَرَّضُوا مَن عَاداهُم مِن القَبائِل على مُظاهَرتِهم وخَرجُوا في جَمعٍ عَظِيم .

وحين بَلَغ المهدي تَألُّبَهُم أَخرَجَ عَاقِلَهُم الأَكبَر علي بن عبد الله بن أحمد الشَّايف من عُقَّالِ "ذي حسين" وضَربَ عُنقَه وصَلَبهُ ثُم أَمرَ بدَفنه في مَحلِّ النَّجاسَات فَكانَ ذلك مِمَّا زَادَ في جدِّهم وجُهدِهِم ، وكانَ مِنهُم في قَصرِ صَنْعَاء مَسجُونِين قَدر أربعمائة نَفر مِن كبارهم فَخافُوا أن يَقتُلَهُم المهدي لأَنَّه كانَ فَتَّاكاً لا يُبَالي بالعَواقب ، فَبادَرُوا إلى بير العَزَب فَدخَلُوها وَقَد ذَهَبت الأَجنَادُ الذين أَعدَّهُم المَهدي إلى الرَّوضَة ووَادي ظَهر وشُعُوب ولا يَظُن ظَان أنَّهم يُقدِمُون إلى دُخول بير العَزَب لأَنَّها كالجُزء من صَنْعَاء وأَكثَرُ كُبَراءِ الدَّولَة وآل الإمَام والوُزَراء والقُضَاة الأَكابر سَاكِنُون فيها في أَمان واطمِئنَان وغَفلَة عن طَوارِق الحدثَان ، فَوقَع في بير العَزَب مِن السَّلبِ والنَّهب والقَتلِ وانتِهَاكِ الحُرُم ما عَظُم به الخَطبُ واشتَدَّ به الكَرب وكانَت هَزِيمة عَظِيمَة ، ومُصيبَة حَميمَة إنهَلَّت لها العبرَاتُ وتَصاعَدَت الزَّفرَات ، وقُتِلَ فِيها مِن الأعيان والعُلَماء في الزَّمان كَالقَاضِي العَلاَّمة محمد بن يحيى بن صالح السحُولي وكانَ مِن الصُّدُور الكُبَرَاء والجُلَّة الأُمرَاء ، والسَّيِّد الأَجَل يحيى بن محمد حطبة نَاظِر الأَوقَاف في تلكَ المُدَّة والسَّيِّد الأَجل قاسم بن الصادق بن المَنصُور بن الحسين ..وعالَمُ كَثير ، وهُدِّمَت بَعضُ البُيُوت على أَبوابِهَا وطَاقَاتِها وبَقُوا فِيها قَدرَ ثمانية عشر يوما حتَّى أَطلَقَ المَهدي

(١) – بتهديرهم : هدر دمائهم ، أباحها وصادر أموالهم وأرزاقهم .

(٢) – ورد في المطبوع وانحاز بعضهم إلى محلة "سمرة شامي السايلة" وكذا وردت في هامش المخطوط .

كُبرائَهُم مِن السِّجن وجَعلَ لِكُبرائِهم شَيئاً مِن المَال ، وأَرجَعَ حُليَّهُم المَأخُوذَة في التَّهديرِ ، ومن هُنَا لَمَعت لَوامِعُ الإدبارِ لِهَذه الدَّولَة وأَشَطت القَبائِل في المَطالب ، ولكنَّها حَصلت بَعدَها مِن الألطاف أن سَمحَ السُّلطان الأعظَم عبد المجيد خان ـــ وفي بَعضِ التَّواريخ محمود خان ـــ بإرجَاعِ تَهَامَة وبَنادِرِها لِصاحَب صَنْعَاء عَمَلاً بتلك المُكاتَبات التي مِن المُتوكِّل أحمد وعِنَايَة عزيز مِصر محمد علي مُكافَأةً لتلك الهَدَايا والأَلطَاف ، فَجبرت الوَهن الذي أَصابَ الدَّولَة واختَلفَت الرُّسُل والرَّسَائِل حتَّى تَمَّ المُرَاد تَكرُّماً مِن سُلْطان الإسلام ، فَثَبتَت الدَّولَة في تلك الأيام واستَقَامَت على أَحسَنِ نِظَام واستَمَرَّ الأَمرُ مِن سَنَة أربع وثلاثين واثني عشر مائة ونَفذَ العُمَّال وتَقَلَّدُوا الأَعمَال إلى سَنَة ست وأربعين واثني عَشرَ مائة .

ونَجمَ نَاجِمٌ مِن الأَترَاك يُقالُ لهُ "تركي بلمان" خَرجَ مُغاضِباً لِلسُّلطان ومعه قَدر ألف من طَائفة الأَرنَاؤُوط[1] فَوصَلُوا إلى جدَّة ، وعَاثُوا فِيها وغَرَّقَ المَدافِعَ التي كانَت فِيها وأَخَذَ كُل سَفِينة غَصباً ثُم خَرجَ إلى اليَمَن ، واستَولى على التَّهائِم وقَتلَ الوُلاة اللذين مِن جِهَة صَاحِب صَنْعَاء المهدي المَذكُور وهُمَا السَّيِّد عبدالله بن عبدالله دُرَيب والفَقيه أحمد بن لُطف البَارِي طامش ، وأَخذَ زَبِيد والمَخَا وسَائِر مُدن تَهامَة وبَنادِرِهَا ، وبَقُوا في المَخَا يَعُوثُونَ ويُفسِدُون ، فَلمَّا بَلَغ العَسِيري وهو حِينئذ الأَمير علي بن مجثل مِن آل معيط هذا الأَمر، وكانَ في تلكَ الأَزمَانِ في قُوَّة وإمكانٍ حَشَدَ الجُنُود وأَعَدَّ البُنُود ، ونَهضَ في جيوشٍ تَملأُ الفَضَاء وتَترُكُ ما مَرَّت عليه كَأمسِ الذي مَضَى إلى أن هَبطَ تَهَامَة ، وضَربَ فِيها أَعلامَهُ ثُم أَخذَ مَدينَة زَبيد في سَاعَةٍ مِن النَّهار ، ثُم ارتَفعَ عَنهَا إلى بَنْدر المَخَا المَحفُوف بالخَيرِ والرَّخَاء ، وَقَد جَمَعَ تُركي بلمان جُندَهُ هُنَـــالِــك

[1] ـ الأرناؤوط : قوم مسلمون من سكان كوسوفو وبعض مناطق البوسنة وألبانيا ، وكان قسم كبير من أبنائهم ينتسبون إلى الجندية أيام الدولة العثمانية ، وكانت بلادهم تتبع الدولة العثمانية .

واستَعدَّ لِعَظِيمِ المَهالك وصَارَ لِسانُ حَاله قَولَ مَن قَالَ "أقتُلُوني ومَالكاً [واقتُلُوا مَالكاً مَعي][1]" فَرحَلَ العَسِيري في تلك الجُنُود التي مَلأَت الأَغوارَ والنُّجُود حتَّى قَرب مِن المَخَا وبَكَّرَها صَباحَاً فَحصَلَت هُنالكَ مَعرَكَةُ الحربِ وقِيامِ سُوقِ الطَّعنِ والضَّرب ، فَحمَلَت رِجالُ عَسِير على البَنْدَر فَتلقَّاهُم ذلك الغَضنَفَر وأَصلَى جَحِيمَ الحَربِ والعبُوسِ حتَّى مَلئَت الأَرضَ مِن مُهجِ النُّفُوس ، فَقُتِلَ مِن أصْحَاب العَسِيري فَوقَ الألف بالمَدافِع والزَّبَارِط والبَنَادِق ، فَلَم يُلهِهِم ذلك عن اقتِحَامِ الدَّوائِر ولَم يَردَعهُم القَتل الذي أَتَى على مُعظَمِ العَساكِر بَل دَخَلُوهَا والعُيُون تَشهَد وعَملُوا فِيها كُل صَارِمٍ مُستَند ، فلمَّا عَرفَ تُركي الغَلبَة طَارَت بِه الحَلبَة وفَرَّ إلى مَا لا يُعلَمُ جِهَتُه ولا يَدْري بوجهَتِه ، وَقَد قتلَ جنده وفلَّ حده ، واستَولَت قَبائِلُ عَسِير على هَذه المَملَكَة التِّهَامِيَّة ، وأَخَذُوا مِن المَخَا مِن أَموَالِ التُّجَّار ونَواخِيذِ البِحَار ما مَلأَ أَيديهِم وغَصَّ نَادِيهِم ، ووَلُّوا على تِهَامَة الوُلاةَ ، ورَجعَ أَميرُهُم علي بن مجثل وَقَد أَثبَتَ في تِهَامَة العُمَّال ، فلمَّا شَارَفَ وُصُولَ بَلَده دَعاهُ أَجَلهُ المَحتُوم فَمَات في الطَّرِيق قَبلَ أن يَستَقرَّ رِكابُه ويَضَع أَطنَابَه ، فَلمَّا بَلَغ هذا الأمر إلى عَزِيز مِصر محمد بن علي لَم يَقرَّ به قَرَار وبَادَرَ بِإرسَالِ الجَيش الجَرَّار ، ولَعلَّهُ عن أَمرِ السُّلطان محمود خان[2] فَخَرج البَاشَا إبرَاهيم[3] على التَّهائم ، ولَعلَّهُ مِن قَرابَة محمد علي كَما ذكرَ بِجُند وَافِر ومَجد قَاهِر ، فاستَولى البَاشَا إبراهيم على البَنادِر ، وثَبتَت الدَّولَة المِصريَّة فِيهَا في تلكَ المُدَّة ، وتَجاوَزُوا عَنهَا إلى اليَمَن الأَسفَل واستَولُوا على تَعز ومَخالِيفها وتَوفَّرَت الأَجنادُ هُنالك ، وسَنَذكُر ما انتَهَى إلَيه الحَال فِيمَا يَأتي قَرِيباً .

---

(1) – ما بين المعقوفتين [ ] لم ترد في المخطوط نقلتها من المطبوع ولعل المطبوع اعتمد مخطوطة أخرى .

(2) – السلطان العثماني محمود الثاني : ولي خلافة المسلمين من عام ١٢٢٣هـ حتى عام ١٢٥٥هـ أي مدة ٣٢سنةوتعتبر سنين حكمه من فترات القوة للدولة آنذاك .

(3) – إبراهيم باشا : بن محمد علي باشا والي مصر قاد الحملة ضد الحركة الوهابية عام١٢٣١هـ ثم سيره أبوه بجيش إحتل بلاد الشام جميعها حتى وصل إلى شمالي حلب .

وأَمَّا دَولَةُ صَنْعَاء فَإنَّه بَقي المَهدي عبد اللهُ بن المُتوَكل أحمد ، وَقَد خَرَجَت عن يَدِه التَّهائم واستَولى أَهلُ بَرَط على اليَمَن الأَسفَل وانقَضَت الدَّولَة ، وانقَبَضَت أيدِيهم عن أَكثَرِ البِلاد ، وتَغلَّبَ أَكثَرُ الرَّعَايا على الحُقُوقِ الدَّولِيَّة ، وتوفى المَهدِي عبد اللهُ في شهرِ رَجَب سَنَة إحدى وخمسين واثنا عشر مائة وهو آخرُ الملوك أهلِ الصَّولَة والإقدَام والحَلِّ والإبرَام ، ودَعا بَعدَهُ ولَدهُ علي بن المهدي عبدالله ، وَقَد تَضعضَعَت المَملَكَة ولم يَبقَ إلا المُدَّخَر[1] في خَزائن بيُوتِ الأَموالِ من آلة الحَربِ والذَّخائر فَكانَ يُنفِقُ منهَا ويُعوِّلُ عَليهَا وموارد البِلاد انقَطَع ، وكانَ الجُنُود يَهيجُون عليه ويَتسَلَّطُون في المَطالِب ولم يَكُن لهُ عَليهِم يَد .

ومن لَوائِحِ الادبَارِ أنَّه عَزَل أَميرَ الأَجنَادِ الذي كانَت لهُ اليَدُ القَويَّة عَليهِم الأَمير عنبر بشير فَبقي الأَجنَادُ على طَرِيقَة الفَسَاد حتَّى كانَ في شهرِ ذي القعدة في سَنَة اثنين وخمسين واثني عشر مائة فَثارَ عَليه العَسكَر ، وفَعَلُوا عَظِيم المُنكَر ، ودَخَلوا عَليه إلى دَارِه (ببُستَان المُتوَكل)[2] وهو غَافِلٌ عن أَمرِهِم فَقَبضُوه ونَصَبوا مَقامَه الإمَام النَّاصِر عبد اللهُ بن الحسن بن أحمد بن المهدي العباس، وهو مِن أَعلامِ السَّادة ، قَد أَحرَزَ العُلُومَ وجَمَعَ مَنطُوقَهَا والمَفهُوم ، واستَمرَّ في الطَّلبِ ودَأبٍ في غير مَكتَب ، ونَشأَ على طَرِيقةٍ مَرضِيَّة وشَمائلَ عَلوِيَّة مِن نَزاهَة الجَّانب وطَهارَة العِرضِ من المَعايب ، فَدَعا في شهرِ القعدة الحرام سَنَة اثنين وخمسين ومائتين وألف وأَودَعَ عَليهَا ابن المهدي وعَمَّهُ محمد بن المُتوَكل التَّرسيم[3] ، ونَهضَ في هذا الأمر ودَأَب في إصلاح العِبَاد ، وحَاوَل في زَجْرِ أَهلِ العِنَاد ، وكانَ في ابتِدَاء دَعوَته طُلُوعَ طَائفةٍ من "ذي محمد" المُتغلِّبين على اليَمَن ، فالتَقَاهُم أَصْحَاب النَّاصِر وأَسَرُوهُم مِن جَبلِ نُقُم وكانُوا قَدرَ ثلاثمائة نَفر ،

---

[1] – المدخر : المخبأ لوقت الحاجة .

[2] – بستان المتوكل : كان بستاناً وموقعه الآن إلى الجنوب والجنوب الشرقي من قبة المتوكل بإتجاه باب السبح .

[3] – الترسيم : أودعهم السجن(قيد الإعتقال) .

فانثَالَ عليه النَّاس مِن كُل جِهَة وتَوجَّه إلى ذَمار لإصَلاح البِلاد ودَحضِ دَواعِي الفَسَاد ، فَأقبَلَ إلَيه الرُّؤسَاءُ والمَشَايِخ مِن اليَمَن الأَسفَل وسَائِر البُلدَان ، كالجِّهَة الوُصَابية ورَيْمَة وعُتمَة ، ونَفَذَت العُمَّال وتَوجَّهت إلَيه الآمال ، ثُم إنَّه تَوجَّه إلى يَرِيم وأَخرَجَ المُتعدِّي في بِلادِهَا مِن طَائِفة بَكيل في جَبَل رياب وجبل بني مُسَلَّم ، وبَقَى فِيها أَيَّاما .

ثُم نَهضَ إلى اليَمَن الأَسفَل ، واستَقرَّ في مَدينَة "إبْ"[1] فَأشرَعَت أُمُورُه في الإنتظَام وشَرَعَ في مُناجَزَة المُفسدِين هُنَالك ، فَقابَلَهُ الإمتحَانُ بطُلُوعِ العَساكِر المصريَّة إلى مَدينَة "تَعز" وطَائِفَةٌ مِنهُم تَوجَّهَت على بِلاد العُدَيْن ، فأرسَلَ النَّاصِر مِن عِندِه العَساكِر لاستِخلاصِ مَدينَة تَعز ، وطَائِفَةٌ مِن عَسكَره تَوجَّهت إلى العُدَيْن فَخَرجَ مَن في تَعز مِن العَساكِر المِصريَّة والتَقُوا بأَصْحَاب النَّاصر إلى مَحلٍ يُقال لهُ الهَشَمَةْ[2] ، وحَصلَت حُروب عَظِيمَة قُتِلَ فِيها القَاضِي حسين بن يحيى بن عبد الله العَنسي كَبِيرُ أَهلِ بَرَط والنَّقيب علي بن علي بن سهل الهَبّال الجبري ، والنَّقيب مُثنَّى الأَعوَج مِن رِجَالِ نِهْم ، وانهَزَم العَسكَر النَّاصِرِي ، والذين في العُدَيْن وَقَعت بَينهُم وبين المِصرِيِّين وَقعَة ورَجعُوا خَائِبين ، ثُم إن "ذي محمد" الذين باليَمَن ثَارُوا على النَّاصِر وحَاصَرُوه في مَدينَة إبْ وعِندَهُ أجنَادٌ كَثيرة ، ولكنَّهُم أَلفَافٌ مِن القَبائِل لم يَكُن تَحتَهُم طَائِل ، فَاضطرَّ النَّاصِر إلى طُلُوعِ البِلاد العُليا ، ورَجعَ إلى صَنْعَاء وَقَد وَهَن أَمرُه فَثارَت عَليه هَمْدان ، وأَعلَنُوا بالخِلافِ والطُّغيَان ، فَخرَجَ عَليهِم إلى قَريَة "المعمر"[3] ، وَقَد استَدعَا قَبِيلَة أَرحَب فَأخَذَ هَذِه القَريَة وانهَزَمت هَمْدان .

---

[1] – مدينة إب من المناطق الوسطى ، واليمن الأسفل من تعز إلى عدن .

[2] – الهَشَمَة : صقع واسع إلى الشمال من تعز يشمل عدة بلدات منها البُرَيهي والدُمَينة والعرسوم وغيرها .

[3] – المعمر : قرية إلى الشمال الغربي من صنعاء على الطريق العام بين صنعاء وعمران وهناك أكثر من أربع بلدات تحمل نفس الإسم ، لعل المقصود هو ما أثبتناه .

ثُم خَرجَ عليهم إلى وادي ظَهر المَرَّة الأُولى وتَصَالَح هو وهم وَدَخَل مَعهُ كِبارُهُم وبَقى الأمرُ سَاكِناً حتَّى دَخَل شهرِ صَفَر مِن سَنة ست وخمسين واثنا عشر مائة فَخَرج إلى "وادي ظَهر" للنُّزهَة ، غيرَ مُعتَد[1] للحَرب لِكَون قَد أَظهَرَت هَمْدانُ الطَّاعَة فَلمَّا أرَادَ الخُروجَ مِن دَارِ الحَجَر[2] غَدَرت هَمْدان به وبأصْحَابه فَمَضَى شَهيداً حَميداً وقُتِلَ مَعهُ القَاضِي العَلاَّمة إسماعيل بن حسين بن حَسَن جغمان والأَمير عنبر بشير أَمير الأَجنَاد والأَمير محمد طاشخان أَمير بير العَزَب والسَّيِّد صَلاح الدين بن محمد بن عبد الله بن المَنصُور ، وكانَت هَذه الوَقيعَة فَاقرَة في الإَسلامِ ومُصيبَة تَكِلُّ عن وَصفِهَا الأَقلام ، ورَجِعَ طائفةٌ مِن أصْحَابه فَأخرَجُوا محمد بن المُتوَكل أحمد مِن سِجنِ النَّاصِر ، ونَصَّبُوه في دِستِ الخِلافَة ، وتَلقَّبَ أَولاً بالمُتوَكل ثُم جَدَّد الكُنيَة بالهَادي ، وقَامَت دَولَته ونَفذَت أَوامِرُه على البِلاد العُليا مِن يَرِيم إلى صَنْعَاء وبِلاد عَمَّار وقعطبَة والعود وغَيرِهَا ، وصَادَفَ في ابتِدَاءِ دَولَته ظُهُور الفَقيه سعيد بن صالح ياسين مِن مُتَصوِّفَة اليَمَن فانتَشَرَ وبَعُدَ صيتُه وقَويَت صَولَتُه ، فَإنَّه استَولى على المُفسدين مِن "ذي محمد" وأَخرَجهُم مِن حُصونِ شَوامِخ وجبالٍ بَواذِخ وتَكَنَّى بإمامِ الشَّرع المُطَهَّر المَهدي المُنتَظَر وضَربَ ضَرِيبةً مِن الفِضَّة الخَالِصَة[3] ، وأَجفَل إلَيه أهلِ اليَمَن مِن "نَقيلِ صَيْد" إلى "عَدَن" وأَتوهُ بالنُّذُورِ والزَّكَاة وكانَ يُطعِمُ الطَّعامَ لِمَن وَفَد إلَيه وارتَعَبَ المَشرِقُ والمَغرب حِينَ رَأوا رِجَالَ بَكيل قَد فَارَقُوا تلكَ الحُصُون ، وخَرَجُوا عَنهَا وارتَحَلُوا عن اليَمَن مَرعُوبِين مَنهُوبِين .

---

[1] – غير معتد : غير مستعد .

[2] – دار الحجر : بناء جميل مكون من عدة طوابق بني على صخرة كبيرة في أسفل قاع وادي ظهر والمعروف اليوم ببيت الإمام .

[3] – صك العملة مِن الفضة النقية الخالصة ، أو دفع الضرائب من الفضة الخالصة .

فَخَرج الإمَام الهادي من صَنْعَاء وصَامَ شهرَ رمضان من سَنَة ست وخمسين واثنا عشر مائة في مَدينَة ذَمار ثُم نَزَلَ إلى مَدينَة يَريم وكاتب إلى الفَقيه سَعيد ، وأَرسَلَ بَعضَ العُلماءِ لِيَختَبِرُوا أَحوَالهُ وتَمييز أَقوالهُ ، وكانَ منهُ بَعدَ شَهرِ رمضان أن بَعَثَ أَهلَ اليَمَن على الهادي المَذكُور فانثَالُوا من جَميعِ الأَقطَار ، وتَابَعهُم الشَّيخ حسين بن يحيى عباد من رُؤسَاءِ بلاد خُبان والشَّيخ عبد الله بن مثنى فَاضل وكانَ رَئيساً كَبيراً مَتبُوعَاً وأَحاطَت الأَجنَادُ بِمَدينَة يَريم من كُل جِهَة ، وضَاقَت الأَحوَال بالإمَام الهَادي وأصْحَابه ، وكانَ في جُملَة المُحاصرين لِمَدينَة يَريم طَائفَةٌ من ذي محمد والنَّقيب حسين ابن سعيد أبو حُلَيْقة والنَّقيب علي بن سهل الهَبّال ، وكانَ الفَقيه سعيد قَد قَبَضَ هَؤلاء المَذكُورين وسَجَنَهُم وأَخذَ قطعَهُم[1] في اليَمَن ، ثُم أَطلَقَهُم ووَجَّهم مع أَجناده من أَهلِ اليَمَن وفي قُلوبهم غَايَة الإحَن[2] ، فَأَجمَعَ رَأيهُم على مُظَاهَرة الهادي وخَدَعُوا المَقَادمَة[3] المُوجَّهين من عند الفَقيه سَعيد حَتَّى حَضَرُوا لَدَيهم فَقَبضُوهُم في الأَســـرِ وهُم في مَطرَح على حدَّتِهم ، وَقَد كَتَبُوا إلى الهادي بخُرُوجِ أصْحَابه للحَرب صَباحَ ذلك اليَوم وهُم أَثارُوا الحَرب من جهَتِهم ، فَخَرجَ أَصْحَاب الهادي على وَجَلٍ وخَوف .

فَلمَّا عرف أَهلِ اليَمَن قَبْضَ رُؤسائِهم تَوهَّمُوا وُصُولَ عَسكَر آخَرين ، وأنَّ الحَرب فِيهم ، وشَاعَ عندَهُم وُصُول قَومٍ من المَشرق ، فَأجفَلُوا هَاربين لا يَلوُونَ على شيء ، ووَقَعَ فِيهم القَتلَ والسَّلب وفَرُّوا فِرَارَ القِرَدَة ، وبَعدَ هَذه الوَقعَة وصَلَت الهادي أَجنَادٌ واسعَة من خَولان ونِهْم وهَمْدان والحَدَا وتَوجَّهُوا على ذلك الفَقيه ، فَحَصلَت حُروبٌ عَظيمَة آلت إلى أَسرِه وأَخذَ مَحلَّتهُ المُسمَّاة "الدُّنْوَة"[4] وغَنِمَ عَسكَر الهَادي جَميعَ ما

---

[1] – قطعهم : إقطاعاتهم ، الأراضي التابعة لهم .

[2] – الإحَن : أحقاد وفي القلب غصات .

[3] – المقادمة : القادمين .

[4] – الدنوة : قرية من أعمال إب سكنها الفقيه المتصوف سعيد بن صالح الهتار العنسي المذحجي ومنها أعلن دعوته ضد إمام صنعاء عام ١٢٥٤هـ ومن مآثره في القرية جامع كبير لا يزال عامراً حتى تاريخه .

في هذه البَلدَة ، وهو شيءٌ خَطِير ومَغنمٌ كَثِير يَجلُّ عن الوَصف ويَفُوت ، وبَعدَ أسره تَوجَّه الهادي إلى مَدينَة إب ، فَوصَلُوا بالفَقيه سعيد إليه فَضرَبَ عُنقَه وقطعَت من الدُّنيا عَلَقَته وسَكَنت فِتنَته ، وزَالَت محنَته وانتَظَمَ الحَال للهَادي في اليَمَن ، وأَرسَلَ العُمَّال إلى كُل عَملٍ خَطِير ، فَوجَّهَ الفتى الماس إلى تَعز وَأعمَالِها ، والقَاضي أحمد بن حسين العَنسي إلى بَعضِ الأَعمَال ، واستَقَامَت الأُمُور وَقَد كانَ في تلك الأَيَّام ارتَفعَت الأَجنَادُ المِصريَّة مِن اليَمَن والتَّهائم ، وذلك أن سُلْطان الإسلام عبد المجيد خان لمَّا وَلِيَ السَّلطَنة حَصلَ بَينَهُ وبين مُتوَلِّي الدِّيَار المِصريَّة بَعضَ مُفاوتَةٍ في الرَّأي ، ثُم صَلحَ الحَال بَينهُما على أن يَرفَع محمد علي أَجنَادِه مِن الحَرَمين واليَمَن والشَّام[1] ويَقتَصِرَ على الدِّيَار المِصريَّة ، فَرفَعَ أَجنَادهُ مِن جَمِيع التَّهائم والجِّبال ، ورَجَّحَ سُلْطان الإسلام وِلايَة التَّهائم إلى الشَّرِيف المنِيف العَادِل الفَاضِل الحسين بن علي بن حيدر بن أبي مسمار ، فاستَولى على التَّهائم بالفَرمَان السُّلطاني والعَونِ الرَّبَّاني ، والجِّبال استَولَى عَليهَا الهَادي في تلك المُدَّة بعد سُكُونِ فِتنَة الفَقيه سعيد .

وابتِدَاء دَولَة الشَّرِيف الحسين في شَوَّال سَنة خمس وخمسين واثنا عشر مائة أَيَّام النَّاصِر عبد الله بن حَسَن [الذي غَدَرَت به هَمْدان وقُتِلَ وجَماعَتهُ شُهدَاء][2] قَبلَ دَعوة الهادي بمقدَارِ خَمسةِ أَشهُر ، وهذا الشَّرِيف الحسين كانَ كَامِلَ الأَوصَاف شَرِيفَ الأَطرَافِ مِن الكُمَاة الشُّجعَان وأَهلِ البَأسِ عِندَ الطِّعَان ، وكانَ لهُ مُشَارَفة في العِلمِيَّات وصَلابَة في الدِّين ، وعَدل في الرَّعيَّة ومُلاحَظة للأُمُورِ الشَّرعيَّة ، فَبَقى الأَمرُ في اليَمَن على ما ذَكَرنَا ، فَأمَّا الهَادي فَارتَحَل عن اليَمَن الأسفل بَعدَ أن صَلحَ في تلك المُدَّة ، وزَالَ الفَسادُ مِقدَارَ سنتين ثُم رَجعَ أولئِكَ المُتَغلِّبُون مِن "ذي محمد" واستَولُوا

---

[1] – يشر إلى قوات محمد علي باشا حين استولت عَلَى بلاد الشام ووصلت طلائعها إلى داخل الأراضي التركية .

[2] – ما بين المعقوفتين [ ]وردت في المطبوع ولم ترد في المخطوط .

على اليَمَن الأعلى وامتَدَّت أَيديهِم على مِخلافِ تَعز ، ولا زَالَ الهَادي يُثاغِرُهُم[١] تَارَّة ويَترُكُهُم أُخرَى حتَّى تُوفي في ثامن عشر ذي الحجة سَنَة سبع وخمسين واثنا عشر مائة .

وقَامَ بِالخِلافَة بَعدهُ علي بن المهدي عبدالله الذي خَلَع أَولاً ورَجعَ إلى ما كانَ عَليه مِن إِخرَاجِ الذَّخَائِر وإتلافِ بيُوتِ المَالِ فِيمَا لا يَنفَع فَضعُفَت دَولَته ، وكَانَ الشَّرِيف الحسين قَد قَوِيَت دَولَته في تَهَامَة فَصَلحَت لهُ البلاد وذَلَّت لهُ النُّفُوس ، وانقَادَ لهُ النَّافر الشَّمُوس ، فَوَصَلَ إلَيه محمد بن يحيى بن المَنصُور علي بن المهدي العباس مِن الدِّيَار المصريَّة بعد أن بَقي في مِصر أَيَّاماً يطلُبُ الوِلايَة على اليَمَن من عزيز مصر محمد علي ، فَلَم يُساعد لِمَا تَقَدَّم بين محمد علي و سُلْطان الإسلام ، فَرجعَ مِن مصر واستَقرَّ به السَّفرُ في أبي عَريش ، فَأكرَمَهُ الشَّرِيف غَايَة الإكرَام واحتَفَلَ به كَما يَصنَعُ المُلوكُ الكِرَام ، ووَعَدهُ بالنَّصرِ وإنفاقِ المَال في مُراده والجِّد والإجتهَاد في إبلاغه إلى مُراده ، فَصادَفَ أن وَصَل إلى الشَّريف بَعضُ مَشايخ رِيْمَة يَستَدعُون الشَّرِيف الحسين لِولايَة قُطرِهم الوَاسع وبَلَدهم الجَّامع ، فَأرسَلَ صُحبَتهُم محمد بن يحيى بعَسكَر نَافِع من سَحَار[٢] وغَيرِهم ، فَوَصَل محمد بن يحيى إلى بِلاد رِيْمَة مع رُغُوب أَهلِ البِلاد إلى الشَّريف حسين وكَونه مولى مِن جِهَته فَبَقيَ محمد بن يحيى في رِيْمَة في حَالٍ جَميل ، والشَّرِيف الحسين مُظاهِراً له يُعمِلُ النَّظَر في تَمامِ أَمرِهِ حتَّى إنَّه تَوجَّه بنفسه إلى الجِّهَة التَّعزية ، وأَخرَجَ طَوائفَ الفَساد مِن اليَمَن الأَسفَل وأَصلَحَهُ مِن أَسفَله إلى أَعلاه ، وتَحمَّلَ غَرامَات في ذلك ومحمد بن يحيى بعد صَلاح رِيْمَة نَهضَ مَن لَدَيه بالعَسكَر إلى السَّلَفية[٣] ، فَتلَقَّاه شَيخُهَا المُنتَصِر بِالطَّاعَة وقَامَ بِمؤُونَة مَن لَدَيه .

---

[١] – يثاغرهم : يقاتلهم في الثغور .

[٢] – سحار : قبيلة كبيرة ومنطقة آهلة مركزها صَعْدة وتتفرع منها بطون عديدة .

[٣] – السلفية : منطقة واسعة مِن بِلاد ريمة وتحوي الكثير مِن القلاع والحصون الأثرية المنيعة .

وهُناكَ وفَدَت إلَيه الوُفُود ، ووَصَلَ إلَيه مِن الرُّؤسَاءِ كَثير يَحثُّونَهُ على الإنتِهَاض إلى صَنْعَاء ، ووِلايَة الأمرِ فِيهَا وكَون صَاحِبها غَيرَ صَالِح لِهَذا المَنصب ، فنَهضَ إلى جَبل ضُوْرَان ، واطمَأَنَّ به المكانَ ، ووَالَتهُ البِلاد الآنسيَّة وتَبعَت بَيعَة ذَمار ووُصُول عَامِلها علي مثنى الجرادي بالإمدَاد ، ووَصَل مِن عُقَّالِ القَبائل مَن وَصَل والقُضَاة آل العَنسي كِبَار أَهلِ بَرَط ، وعِندَها تَحرَّكَ علي بن المهدي مِن صَنْعَاء وجَمَعَ مِن لَفيفِ النَّاس جَمعاً ، وخَرجَ لِمُحارَبَة محمد بن يحيى ومَعهُ بَعض قَبائل خَولان وتَوابِعه الخَواص ، فَوَصَل إلى قَريَة "خدار" و "بيت الزيادي"[1] وبَلَغ خُروجَه إلى محمد بن يحيى ، فَأَنشَأ الدَّعوَة وتَكنَّى بالمُتوَكل ، وخَرجَ مِن "ضُوْرَان" فِيمَن تَبعَهُ مِن الأَعوانِ فَالتَقَى الجَمعَان أَولاً بِقَريَة "ضَاف"[2] وحَصلَت حُرُوبٌ خَفِيفَة لَم يَقعُوا منهَا على طَائِل ، ثُم ارتَفَعَ أصْحَاب علي بن المهدي إلى قَريَة النَّقِيل أَسفَلَ نَقِيل يَسلح الهَابِطِ إلى جَهرَان وتقدَّمَ إليهم محمد بن يحيى بأصْحَابه ، فَوقَعَت حَربٌ عَظِيمَة آلت إلى هَزِيمَة أصْحَاب علي بن المهدي ، وانحَصَرَ في قَريَة النَّقِيل ثُم دَارَت الرَسائِطُ على تَسلِيمِ الأَمرِ لِلمُتَوكِّل ، وخُروجِه إلَيه في شهرِ جُمَادى الاخره مِن سَنَة إحدى وستين واثنا عشر مائة ، فَخَرجَ علي بن المهدي ، فَلمَّا وَصَل إلى المُتوَكل قَامَ بِحُقُوقه وأَكرَمَهُ غَايَةَ الإكرَام ووَفَى لَهُ بما شَرَط ، وارتَحَلُوا بِيَد الجَمعِ إلى صَنْعَاء ، فَدخلَهَا المُتوَكل في جَمعٍ عَظِيم ، واستَقرَّ في بُستَانِ السُّلطان ، وَقَد صَلحَ لَهُ اليَمَن بِسَعي الشَّرِيف ، فَوفَدَ إلَيه مَشايِخُ اليَمَن الأَسفَلِ والأَعلى ، وسَاعَدَهُ المَقدُور وصَلحَت لهُ الأُمُور خَلا أنَّه وَجَد خَزائِنَ بُيوت الأموَال قَد استَولى عَلَيهَا الزَّوَال وذَهبَت بِأيدِي الرِّجَال ولَم يَبقَى إلاَّ مَا لا يُعوَّلُ عَليه ولا يَنفعُ عِندَ الشَّدَائد ، فَما زَال في حِلٍ وترحَال ومُقَاسَاة أَهوَال ، وكَانَ فِيه نَهضَةٌ وقُوَّة على الأَسفَارِ وارتِكَاب الأَخطَار إلى أن جَرَت مِنهُ الهَفوَةُ إلى وَلِيِّ نِعمَته الذي رَقَّاهُ

[1] – بيت الزيادي :قرب نقيل يسلح ، قرية من قرى بلاد الروس إلى الجنوب من صنعاء .

[2] – ضاف : قرية في أعلى قاع جهران إلى الشمال من معبر وهي قرية قديمة أثرية ذكرها الرحالة في كتاباهم .

إلى الخِلافَة وأَوصَلَهُ إلى أُمنيَته في الوِلايَة على الكَافَّة وهو الشَّريف الحسين ، فَإنَّه في سَنة ثلاث وستين واثنا عشر مائة جَمعَ الجُمُوع يُرِيدُ الإستيلاءَ على التَّهائم ، وإخرَاج الشَّريف عَنهَا جزاء سنمار ، فَنزَلَ الجَميع من ذي حسين[١] وخَوْلان والتَّوابع ، وَقَد أَجمَعَ شَورَهُ هو والشَّيخ علي حميدَة شَيخُ القَحرا من تَهَامَة وكانَ مُخالفاً على الشَّريف الحسين ، وَقَد حَصلَت حُرُوبٌ وخُطُوب وكانَ خَائفاً من الشَّريف ، فَما بَرِحَ يُكاتبُ إلى المُتوكل ويَعِدُه تَمامَ وِلايَة التَّهائم ، وأنَّه سَيُنفقُ مَعَهُ الأَموَال ويُعضدهُ بالرِّجَال ، فاستَخَفَّهُ الطَّيشُ وأَنس إلى هذا الأَمرِ فَالتَقَاهُم ابن حميدة إلى مَحلٍ يُقالُ لهُ "القَصر"[٢] فَظاهَر لهُ المُتوكل الإنعَام وأَركَبَهُ على الخَيلِ المُحلاة ، وخَلَع عليه وعلى أولاده نَفائسَ الخِلَع ، ثُم تقَدَّمُوا إلى مَحلٍ يُقال لهُ "الغَانمِيَّة"[٣] فَنهضَ الشَّريف الحسين في مُقلَة من العَسكَر ، ولم يَكُن مَعهُ إلاَّ بَعضُ الأَشرَاف ذو حَسَن وصِنْوه يحيى بن علي ومِدفَعٌ صَغير ولكنه يَظُن في نَفسه أن لا يَتَصَدَّا المُتوكل لِحَربه ، ولا يَقُوم بِحَربه فَوقَعَت مُنَاوَشة حَربٍ أُصيبَ الشَّريف فيها بِرَصاصَة فَوقَ الرُّكبَة وقُتِل أَخُوه يحيى بن علي وانهَزَم الشَّريف إلى "دِير القطِيع"[٤] وفيه من آل الأَهدَل[٥] ، وتَبعهُ محمد بن يحيى إلى ذلك المَحل ، وما زال مُحاصِراً لهُ حتَّى خَرجَ إلَيه فَأبقَاهُ عِندَ "ذي حسين" حتَّى يُسلِّم إليهِم مَالاً وانتَهَض إلى زَبيد ثُم إلى "المَخَا" والأَشرَاف دَبَّرُوا أَمرَهُم على نُفوذِ الشَّرِيف الحسن بن محمد بن علي بن حيدر إلى نَجرَان ، فَخَرَجَ[٦] قَبائل "يام" مع دَاعِيهِم وبَادَرُوا إلى تَهَامَة فاستَخرَجُوا الشَّرِيف الحسين مِن أَيدِي ذِي حسين ، واستَولى الحسن

---

[١] – ذي حسين : قبيلة كبيرة من ذو غيلان من بكيل .

[٢] – القصر : لم أجده ، لعلها القصير وهم حي من بلدة اللُّحَيَّة من أرض تهامة .

[٣] – الغانمية : قرية في سهل تهامة بين زبيد وبيت الفقيه .

[٤] – دير القطيع : اسمها القُطَيع،بلدة إلى الشمال الشرقي من المراوعة بالقرب من الطريق الواصل من الحديدة إلى باجل .

[٥] – آل الأهدل : من السادة الهاشميين ينسبون إلى جدهم الأعلى "علي" الملقب الأهدل المتوفي بالمراوعة عام ٦٠٧هـ .

[٦] – وردت هكذا في المخطوط ، والصواب خرجت .

على زَبيد وسَائر التَّهائم ومحمد بن يحيى المُتوَكل في المَخَا فَأرسَلَ إلى إبنه غالب بن محمد والقَاضي يحيى الإريَاني وكانُوا في تَعز فَوصَلُوا بـــ "ذي محمد" ولم يَكُن لَهم هِمَّةٌ في القتَال بَل بَلَغ محمد بن يحيى أن قَد دَارَت المَشُورَة على قَبضِه وإرسَالِه إلى الحسن بن محمد فأزمَعَ على الإرتحَال ، وخَادَعَ كَبيرَ "ذي محمد" أحمد بن صالح ثوابه[1] ، بأن جَعلَ لهُ رَايات في إقطَاعَات كَثيرة تَصير إلَيه حتَّى تَخَلَّص مِن حيس ، ونَهضَ إلى الجِّبَال ، فَلمَّا وَصَل يَريم قَبضَ على أحمد بن صالح وسَجنَهُ وآل حَالهُ إلى أن قَتلهُ في ذَمار بَعدَ ذلك ، وبَقى المُتوَكل في مُعانَاةٍ وقُوَّةٍ وضَعف إلى سَنة خمس وستين واثنا عشر مائة .

وكانَ خُروجُ الشَّرِيف الأَعظَم والرَّئِيس المُفَخَّم محمد بن عون وَصُحبَتُه تَوفة، في طائفة مِن جُندِ السُّلطان إلى تَهَامَة بعد دُخولِ الشَّرِيف الحسين إلى الأَبوابِ السلـ ـيه ، ومُكاتَبَة المُتوَكل إلى السِّدَّة الخَاقَانيَّة ، فَلمَّا خَرَجُوا إلى بَنْدر الحُدَيدة أَزمَعَ المُتوَكل إلى النُّهُوضِ إليهم وجَذبِهم إلى صَنْعَاء ، لِيستَريحَ من مُعانَاتِ القَبائل وتَخبُّطِهم واستِطَالَتِهم في المَطالب مع عَدَمِ النَّفعِ مِنهُم وتَظاهُرِهم على الغَدرِ والمَكر ، فَهبَطَ إلى تَهَامَة في حَفدَته وأَعلامه ، واتَّحدَ الحَال على طُلوعِ العَسكَر السُّلطاني صُحبَته ، ويُقبِضَهُم القَصر وادرَاكَ صَنْعَاء وتَكُون البِلاد إليهم وهو يَبقَى في البَساتين مُكرَّماً بكفايَته هو ومن يَلُوذُ به ، وسَلَّمُوا إليه مالاً مُقابلَ ذلك ونَهضُوا صُحبَتَه إلى صَنْعَاء وسَلّم إليهم القَصر ، ويوم ثاني وُصُولِهم في شهرِ رمضان حَدَثَت بَينهُم وبين عَسكَر صَنْعَاء وحَوازِهَا ، وثَارَت العَامَّة على الجُند السُّلطاني وهُم حِينَئذ قَليل آمنُون ، لم يَصدُر مِنهُم ما يُوجب ، وحَصلَ فَشلٌ وتَرويع وانحَصَرُوا في القَصر والمُتوَكل محمد بن يحيى في بُستَان السُّلطان ، وبَقِيت الفِتنَةُ أَياماً آلت إلى خُرُوجِهم بِمَدافِعهِم وخَيلِهم

---

[1] – ثوابه : آل ثوابه ينسبون إلى ثوابه بن دهمة بن دهم بن شاكر بن ربيعة بن مالك .... ، من بكيل منازلهم في جبل برط ، ومنهم في جبل بعدان مِن أعمال إب، وبعضهم في حصن الظِبر مِن بلاد يريم، وآخرون في بلاد قيفا مِن أعمال رداع .

وآلاتهم إلى تِهَامَة ، ومحمد بن يحيى المُتوَكل خَرجَ إلى علي بن المهدي لأَنَّهُم أَقامُوه إِماماً لَهُم ، فَأودَعَ محمد بن يحيى السِّجن[١] ، وكانَت هَذه الفتنَة نَكَالاً على أَهلِ صَنْعَاء ، فَإنَّه بَعدَها انصَبَّت المَصائب وتَوالَت النَّوائب ولَم تَستَقرَّ فيها دَولَة ، بَل وَقَعَت كَالخِرقَة الحَمرَاء يَتَناوَلُها في كُل حِين أَميرٌ وعَاقِل ، ويَقَعُ عليها الحِصار وقَطعُ السُّبُل ، وبِهَذا الأَمرِ انقَضَت الدَّولَة القَاسميَّة ولَم تَثبُت لَهُم وِلايَة إلاَّ أَمَانيَّ كَما سَنُشيرُ إلَيه .

وبَعدَ خُروجِ الجُندِ السُّلطانيِّ بَقي علي بن المهدي ، وتَكنَّى بالهَادي في ضَعف ، وَقَد كانَ خَرجَ مِن طَلَبَةِ العِلم مِن صَنْعَاء جَماعَةٌ إلى صَعدَه باستدعَاءِ أَهلِهَا ونَصَبُوا السَّيِّد العَلاَّمة أحمد بن هاشم إمامَاً في جِهَة صَعْدَه ، وبَقِيَ فِيهَا مِن إبتدَاءِ سَنَة أربع وستين و اثني عشر مائة وأَطاعَتهُ قَبائلها وأقبَلُوا إلَيه أَولاً ثُم انقَلَبُوا عَنه وأَخرَجُوه مِن صَعْدَه إلى قَريَة "الطَّلح"[٢] ثُم كَاتَبَهُ جَماعَاتٌ مِن سَادَاتِ الطَّاهِر واستَدعُوهُ إلى الخُروجِ إلى اليَمَن مع ضُعفِ الدَّولَة في صَنْعَاء ، فَخَرج في سَنَة ست وستين ومائتين وأَلف ووَصَلَ بَلدَةَ "حُوث" فتلَقَّاهُ أَهلُهَا وقَبائل حَاشد وبَايَعُوه ثُم وَصَل بَلدَة "خَمِرْ" واجتَمَعَ مِن القَبائل كَثير وانقَادَ إلَيه شَيخُ مَدينَة "عَمْران" الشَّيخ مُقبل الصعر ، وكانَ تَكنَّى بالمَنصُور ، ومع وُصولهُ عَمْران أَطاعَتهُ تلك البِلاد إلى حَجَّة وبِلاد الشَّرفَين وثلا فَأفزَعَ أَمرَهُ مَن في صَنْعَاء وجَمَعُوا الجُمُوع ، وخَرجَ الهادي ابن المهدي بِجَمعٍ وَافِر وجَيشٍ مُتَكاثِر ، وحَطَّ على مَدينَة "عَمْران" فَحصَلَت حُروبٌ مُتَعدِّدَة آلت إلى رُجُوعِ علي بن المهدي إلى صَنْعَاء بِخُفَّي حُنَيْن وصَفقَة حيْن[٣] ، ولَمَّا وَصَل إلى صَنْعَاء أَمَرَ بِقَتلِ محمد ابن يحيى في السِّجنِ في سَنَة ست وستين ومائتين وألف .

---

(١) – الامام محمد بن يحيى الإمام المنصور تولى الإمامة عام ١٣٠٧هـ ، وكانت بينه وبين الأتراك معارك وحروب ، توفي بقفلة عذر من بلاد حاشد ودفن في مدينة حوث عام ١٣٢٢هـ .

(٢) – الطلح : بلدة من سحار من أعمال صَعْدة ويقام فيها سوق مشهور يعرف بسوق الطلح .

(٣) – حين : الحين هو الهلاك .

فَوَجَمَت لذلك القُلُوب واشتَدَّت الكُرُوب، وبَعدَ رُجُوعه إستَدعَا أَهلَ مَسْيب شرذمَةٌ من جُندِ الإمَام المَنصُور فوصَلُوا صُحبَتَهُ الشَّرِيف أحمد بن محمد الحَازِمي واستولُوا على كَثيرٍ مِن البلاد في "حَضُور" وخَرجَ عَليهِم علي بن المهدي ثُم رَجع ، وبعد ذلك مَلَّ الجُندُ البَقاءَ في "مَسْيب" وارتفَعُوا[1] عَنهَا بِجُعلٍ مِن المَال جَعَلَ لهُم النَّقيب علي بن حَسَن الهَمْداني ، وتَعقَّبَها وُصُول المَنصُور أحمد بن هاشم إلى قَريَة "بيت رَدَم"[2] وحَصلَت أُمورٌ وحُرُوب يَطُول شَرحُهَا ثُم زَحَفَ المَنصُور إلى "سنَاع" وبَقى الحِصار على صَنْعَاء ، وقَد كانُوا مع بَقاءِ المَنصُور في "بيت ردم" خَلَعوا علي بن المهدي عن الإمَامَة وأَقامُوا السَّيِّد العَلاَّمة عباس بن عبد الرحمن من ذُرِّيَّة المُتوَكل على الله إسماعيل ابن القاسم وتَلقَّب بالمُؤيَّد وظَنُّوا أن ذلك سَيُطفئُ الفتنَة وتَزُولُ المحنَة ، فَلَم يَتأَثَّر عن ذلك إلى أنْ عَلا دُخَانُها وتَعاظَمَ شَأنُهَا وذَكَت نِيرَانُ الحَربِ في قَاعِ صَنْعَاء ، والمُؤيَّد يَخرُجُ في أَجنَادِه والمَنصُور يُرسِلُ أصْحَابه في أَغلَبِ الأَيَّام والحُروبُ قَائِمَة والطُّرُق مُنقَطِعَة ، وبَقِي الحَال على هَذهِ الوَتِيرَة حتَّى تَسنَّم[3] جَماعَةٌ من أَجنَاد المَنصُور دَائِر بُستَانِ المُتوَكل ودَخلوا لَيلاً وبعد دُخُولِهم أشعَرَ أَهلِ صَنْعَاء الطَّاعَة للمَنصُور ، وأَوْقَدُوا النَّار إعلانَاً بالطَّاعَه ، وانحَصَرَ المُؤيَّد في القَصر ثُم خَرجَ في صُلحٍ وأمان ، وكانَ ما كانَ .

ثُم أنَّ القَبائِل التي حَولَ صَنْعَاء أَثَارَت الفِتنَة وهُم "سَنحَان وهَمْدان" ، وقَد خَرجَ من صَنْعَاء إلى "وَادي ظَهر" علي بن المهدي وجَماعَةٌ من أَعيَانِ الحُكَّام فَعَادَت الفتنَة كَما بَدَأَت ، واستَأنَفُوا حِصَارَ صَنْعَاء واختَلَّ الجُند الذين في القَصر واستَدعُوا علي بن المهدي فَدخَلَ إليهِم ، وتَكَنَّى بالمُتوَكل وأعلَنَ أَهلُ صَنْعَاء بِطَاعَته وخَرجَ المَنصُور عنها

---

[1] – وارتفعوا : تركوها وانسحبوا .

[2] – بيت رَدَم : قرية وحصن في منطقة شهاب أسفل بني مطر من أعمال صنعاء وإليها ينسب آل الرَّدَمي .

[3] – تسنم : صعدوا أسوارها .

إلى بِلاد "أَرحَب" وبَقِي علي بن المهدي على ضُعف ووَهَن ، ثُم تَرجَّحَ لهُ الخُرُوج إلى بِلاد يَرِيم وخُبَان ، وتَلقَّاهُ الشَّيخ عبد اللهُ مثنى فَاضِل ، وبَقِيَ مُدَّة في مَدينَة يَرِيم لم يَحصُل على طَائِل ولم يَظفَر بنَائِل وقَامَ في حَوازِّ[١] صَنْعَاء السَّيِّد غالب بن محمد بن يحيى بن المَنصُور وتَكنَّى بالهَادِي ، وابتَدَاءَ دَعوَتَهُ في "حَدَّة بني شِهَاب"[٢] وظَاهَرَهُ السَّيِّد محمد بن علي الشَّامي ، وَدَخَل صَنْعَاء وعلي بن المهدي في يَرِيم ، ثُم إنَّه رَحَلَ مِن يَرِيم إلى وَادِي ظَهر ، والهَادِي بَقى أياماً في صَنْعَاء ثُم تَرَجَّـــحَ لهُ النُّفُوذَ إلى "حفاش"[٣] و"ملحان" وبَقى فِيه مُدَّة واجتَمَعَ جَماعَةٌ من أصْحَاب الدَّولَة وأَقَامُوا عباس بن المُتوَكل أحمد وأَدخَلُوه صَنْعَاء مِن غَيرِ رِضاً مِن أَهلِهَا مِن الخَنادِق العَدَنيَّة[٤] ثُم قَبضُوا دار المِحدَادَه[٥] ، ومَكَثَ الحَربُ في صَنْعَاء حتَّى وَصَلَ الهادي مِن حفاش وأَخرَجَ عباس عن صَنْعَاء ، وبَعدَ ذلك تَرجَّحَ لِلهَادِي العَزم إلى "جَبل بَرَط" لاجتِذَاب أَهلِهُ لِنُصرَتِه ، فَخَرَج بِطَائفةٍ منهُم وأَخَذَ "وادي ظَهر" بِهِم ، ثُم تَلاشَت الأَحوَال ولم يَستَقِرَّ على حَال ، وآل الخَوض أن الهَادي نَفَذَ إلى حفاش ومِلْحَان مَرَّة ثانِيَة ، وبَقِي الخَبطُ والفِتَن على هَذه الأَحوَال ، ثُم دَخَل صَنْعَاء السَّيِّد العَلاَّمة محمد بن عبد اللهُ الوَزِير ، وتَكَنَّى بالمَنصُور ، ووَزِيرُه السَّيِّد محمد بن علي الشَّامي ، وعَزَمَ إلى جِهَة الحَيْمَة وأَخرَجَ المُتَغلِّبين في الحُصُون مِن أَرحَب وبَنِي جَبر بِمَال ، ثُم انتَقَلَ إلى بِلادِ البُستَان[٦] ، وأَخَذَ قَريَةَ "بَيت ردم" وبَقي على هَذه الحَال مِقدار سَنَة.

---

[١] – حواز صنعاء : أطراف صنعاء والبيوت المتفرقة حولها ، الضواحي .

[٢] – حدة بني شهاب : حي حدة المعروف وهي من أحياء صنعاء الآن .

[٣] – حفاش : سلسلة جبلية بالقرب مِن جبل ملحان مِن أعمال المحويت ، وملحان : جبل عظيم مِن أعمال المحويت ، قال إبن مخرمة : هو جبل يطل عَلَى تهامة وفي الجبل تسعاً وتسعين عيناً مِن الماء ، وقال ياقوت : هو مخلاف باليمن ، وقال الهَمْداني : هو ملحان بن عوف بن مالك ...الخ .

[٤] – الخنادق العدنية :الجهات والمنازل الجنوبية مِن صنعاء .

[٥] – دار المحدادة : لعلها مصانع السيوف والدروع والخناجر وأدوات الحراثة والزراعة .

[٦] – بِلاد البستان : هو الإسم القديم لمنطقة بني مطر غربي صنعاء ، وقد تم التعريف بها سابقاً .

ثُم عَادَت الفتنَةُ وثَارَت القَبائل الذين هُم : أَرْحَب وهَمْدان وبنو الحَارِث وسَنحَان وقَطعُوا الطُّرُقَات وأَحاطُوا بصَنْعَاء مِن جَميع الجِّهَات ، وبَعدُ خَرجَ عَنها المَنصُور وأَقامُوا المُتوَكل محسن بن أحمد المَوجُود الآن[1] ، وبَقِي على أَحوالِ مُختَلفَة تَارَّة يُوالُوهُ أَهلِ صَنْعَاء وتَارَّةً يَميلُوا عَنه ، وَقَد أرجَعُوا في بَعضِ الأَحوَالِ غَالب بن محمد والمُتوَكل في كُحْلان تَاج الدين ، ثُم مَالُوا عن غَالِب وانتَمُوا إلى المُتوَكل محسن ، وبَقى الحَالُ إلى أن حَدَثَت فِتنَةٌ في صَنْعَاء وكانَ عَاقِلَهُم الشَّيخ محسن بن علي معيض في الرَّوضَة ، ثُم دَخَل صَنْعَاء وأَدخَلَ حسين بن المُتوَكل أحمد وتَكَنَّى بِالهَادِي ، والمُتوَكل وَصَل إلى الحَوَاز .

وما بَرِحَت الحُرُوب وقَطعُ الطُّرقَات قَائماً إلى أن حَصلَ بين حسين بن المُتوَكل والشَّيخ محسن معيض إختِلافٌ وحَصلَ مِن حسين بن المُتوَكل غَدر ، وأَرَادَ قَبض الشَّيخ محسن بن علي معيض فَثارَ عليه أَهلِ صَنْعَاء وأَهلُ الرَّوضَة وحَاصَرُوه وأَرَادُوا قَتلَهُ ، ثُم خَرجَ عن صَنْعَاء إلى الرَّوضَة وبَقي الحِصار على صَنْعَاء مِن المُتوَكل بِحاله حتَّى انتهَى الحَال إلى دُخُولِه صَنْعَاء وبَقي فِيهَا أَياماً وفَسدَ الحَال فِيها ، ورَجِعَ عَاقَلُ صَنْعَاء إليها وأَخرَجَ أَصْحَاب المُتوَكل وأَدخَلُوا السَّيِّد حسين بن محمد الهادي الذي كانَ دَاعِياً في كَوْكَبان وبِلادِها وبَقَى أَياماً يَسِيرَة ، ثُم ولُّو المُتوَكل وبَقِيَت الأُمُور على هَذه الوَتِيرَة ، ولم نَذكُر قِيامَ السَّيِّد حسين الهَادي الوَاقِع في سَنة خمس وسبعين إختِصَاراً وإلا فَهُوَ شهرَ[2] أَمرُه وعَظُم ، وكانَت شَائعَةٌ كُبرى مِثلَ ما وَقَعَ مِن الفَقيه سعيد صَاحِب اليَمَن ، وآل الحَال إلى بَقائه تَارَّةً في ضلعِ هَمْدان وتَارَّةً في الطَّويلَة مِن بِلاد كَوْكَبان وتَارَّةً في قَريَةِ القَابِل ، وآخر أَمرِه استَقرَّ في جَبل مَسْوَر ، ولِلعَوَامِ فيــه

(١) – الموجود الآن : معاصر للمؤلف .

(٢) – شهر : إشتهر أمره .

إعتِقَادٌ[١] في أَوَّلِ أَمرِه ، ولما كَانَت الأُمُور هَكَذا على غَيرِ الحَال المَعهُود ، لا دَولَةٌ في البِلاد ولا مَن يَذُبُّ عن العبَاد إلا أَمَانِيَّ وخيَالات حَصَلَت لأَسبَاب وُصُول الدَّولَة العلية والمَملَكَة السُّلطانيَّة بأن سَوَّلَت لأَمير عَسير ودَولَتها الخَطِير محمد بن عايض مرعي[٢] مع حَداثَة سِنِّه وغَفلَته عن عَواقِبِ الأُمُور أن يَنهَضَ إلى تِهَامَة ويَضمُّهَا إلى مَملَكته ويُخرِجَ عَنهَا أَجنَادَ السُّلطان ، وزَيَّنَ لهُ هذا الفعل الشَّيطَان فَخَرج في أَجنَاده وحَشَدَ طَارِفَهُ وتَلادَه ، ووَصَلَ إلى "بَاجل" في جُند مُتَواصِل ، وَقَدَّم طائفةً على بَندر الحُدَيدة فَتلقَّاهُم البَاشَا علي الذي في الحُدَيدة بحربٍ وكِفَاح ومَدافِعَ لَيسَ لها دَافِع إلا الله سبحانه ، فَانهَزَمُوا إلى أَميرِهِم وبَعضهُم لم يَعُد إلَيه ولا عَرَجَ بمَقامه ، ولا بَقي على لزَامه بل عَادُوا إلى دِيَارِهِم وذَهبُوا بأَدبَارِهم ، فَلمَّا بَلَغ مَسامِعَ سُلْطان الإسلام تَعدَّى العسِيري إلى بلادِه وانتهاكِه لحُرمَة أَجنَاده عَرفَ بذلك عصيَانه وعَجرَفَتهُ وطُغيَانَه ، وَقَد كانَ أَنعمَ عَليه بالبَاشَويَّة ورَفَعهُ إلى أَعلى مَزيَّة فَكَفَرَ النِّعمَة وتَعجَّل النِّقمَة ، فَخَرجَت الأَجنادُ الخَاقَانيَّة إلى جِهَة عَسِير ، يَقُودُهُم أَولاً المُشير محمد رديف ، حتَّى حَصلَ الإستيلاءُ على محمد بن عايض العَسِيري وحُصونُه المانِعَة وقُوَّته الدَّافعَة ، وكانَ يَظُن أن لَن يَقدرَ عليه لمَا هو فيه من القُوَّة القَويَّة والخُيُول العَرَبيَّة والمَعاقل التي تسَامي النُّجُوم النَيِّرَة وكَثرَة قَبائلهُ وطَاعَتهم لهُ وانقيادهم في مُراده ، وذَبِّهم عن حَوزَته وجِهَاته ، ولكنَّ هَذه السَّلطَنة القَاهرة من وَراءِ العُقُول ، ولله في خَلقة إرادَة ، فَلولا الله تعالى أَهَّلَهُم لحفظ بَيضَة الإسلام لَطَبقَت كَلِمَةُ الكُفرِ على كَافَّة الأَنَام فَذَهَب هذا محمد بن عايض العَسِيري نسْياً مَنْسيًا وقُتل بسَيف السَّلطَنة .

---

[١] – إعتقاد : حسن الظن به .

[٢] – محمد بن عايض بن مرعي : أمير بلاد عسير وليها عام ١٢٧٣هـ وخَلَع عليه من الأستانة بالباشوية واستمر وطمع بإحتلال تهامة وكانت تتبع الجيش العثماني فأرسل جيوشاً هُزمت قرب الحديدة فهاجمته القوات العثمانية إلى معاقله في جبال عسير واضطر إلى الإستسلام فحبس ثم قتل عام ١٢٨٩هـ .

وحين بَلَغت هذه الأخبار إلى أَهلِ اليَمَن ، ووَصَلَ مِن المُشير محمد رديف إعلانَاتٌ إلى أَهلِ اليَمَن بما حَصلَ مِن العَسيرِي وأنَّ صَاحِب التَّخت قَد تَحنَّنَ على جبَال اليَمَن وأَرادَ إضافَتِها إلى مَمالكه الوَاسعَة ، وَقَد كانَت التِّهائم في قَبضَة بُوَشِه ومَأمُوريَّته مِن التَّاريخ الذي قَدَّمنا ذِكرَه بعد تَخلِّي الشَّريف الحسين بن علي[1] عَنها وخُروجِ الشَّريف محمد بن عون عَنهَا كَما قَدَّمنَا ، فَلمَّا وصَلَت تلكَ المُكاتَبات وقَعَت الجَوابَات من أَهلِ صَنْعَاء بالإمتثَال والرَّغبَة والإقبَال وحَثُّوا على المُبادَرَة ورَغبُوا في هَذه الدَّولَة لمَا قَد كانَ نَالَهُم مِن المَشاقِ وصَادَرُوا مِن القَبائِل مِن العنتَ والتَّغَلُّب على حُقُوقِهم وقَطعِ طُرُقاتِهِم ، وَقَد كانَت الأُمُور تَفاقَمَت إلى حَدٍّ لا يُوصَف ، وأَخذَ القَوي الضَّعيف ، وكانَ المَكرَمي[2] في جِبَال حَرَاز والحَيْمَة في دَولَةٍ مُستَقيمَة وطَاعَةٍ مِن أَهلِـــهَا ، وَقَد تَغلَّبَ عَليهَا مِقدار ثلاثين سَنة وجَمَعَ الأَموَال ورَتَّبَ المَعاقِل ، وفي خِلالِ ذلك عُزِلَ البَاشَا محمد رديف وَدَخَل إلى دار السَّعَادَة لِمَرضٍ حَصل به ، واستَقامَ على المُشيرِيَّة على الأَجنَاد : المُشير الأَعظَم أحمد مُختَار بَاشَا فَلمَّا وَصَلَتهُ كُتُب أَهلِ صَنْعَاء وخُطُوطِ بَعضِ عُقَّال بَكيل يَحُثُّونَ بالمُبَادَرَة ويَعدُونَ بالمُظَاهَرة والمُنَاصَرة أَجمَعَ رَأيُه مع الإعتِضَاد بِالفَرمان السُّلطاني على القُدوم إلى الجِّهَة اليَمنيَّة وبُلُوغِ السُّؤل والأُمنيَة ، فَساعَده المَقدُورُ وصَلحَت لهُ الأُمُور وخَرجَ إلى بَندر الحُدَيدة بقُوَّةٍ مَانعَة وعُدَّةٍ نَافعَة ، وحَظٍ غَالب وسَعدٍ مُصَاحِب ، فلم يَستَقر في الحُدَيدة إلاَّ أيَّاماً قَلائل رَيثَما تَمَّت مَآربُه واستَرَاحَ مصَاحِبُه وتَكَامَلت نَجائبُه .

ونَهضَ بذلك الجَيشِ اللُّهَام مُقَدَّمهُم البَاشَا المُفخَّم وَلي الدين إلى بلاد ابن حميدة فَقابَلَ بالإذعَانِ والطَّاعَة ، والدُّخُولِ في الجَماعَة ، ثُم نَهضَ وَلي الدين لِصُعودِ الجِّبال ،

---

[1] – هو الشريف حسين بن علي بن حيدر آل خيرات من الأشراف الهاشميين توفي في مكة عام ١٢٩٤هـــ .

[2] – المكرمي : المكارمة : لقب للإسماعيلية الباطنية ويسمون بالمكارمة وهذا المكرمي عميدهم وما زالت منازلهم في بلاد حراز حتى الساعة .

وَقَدَّم الأثقال حتَّى انتهَى إلى حَراز ، وَقد كانَ يُقدِّم المُكاتَبات والأعذَار لطلَب المُسَالَمَة قبل أن يُشهِرَ السَّيف البَتَّار فَوجَدَ المَكرمي قَد استَعدَّ للقتَال وتَهيَّأ للنِّزال وحَشَرَ من نَجرَان[١] الأبطَال ، وبَرزَ جُندَهُ إلى مَنعِ الأجنَادِ السُّلطانيَّة عن صُعُود تلكَ الجِّبال ، فَتسنَّمُوها عَليه قَهراً وارتَقُوها قَسراً ، وضَايَقُوه في مُستَقرِّه الحِصْن المُسمَّى عتارة[٢] وَقد فَشِلَ أنصَارُه ، وخَمَدَت نَارُه ، فَصبُّوا عَليه أفواهَ المَدافِع والشَّاشخَان[٣] وأذاقُوهُ الوَيلَ والهَوَان وكانَ ولَدُه أحمد بن حَسَن بن إسماعيل في مُستَقرِّ مَناخَة ، فَخُيِّلَ إلَيه ما خَامَرَهُ مِن الفَزَعِ أن يُضرِمَ النَّارَ في جبخَانَة[٤] البَارُود ويُتلِفَهَا بالنَّار ذَات الوَقُود ، فَطارَت بأجنِحَة البَوارِ على مَن في الدَّار ، وتَناثَرَت أبنيَتُها إلى أبعَد قَرَار ، وكانَ لها صَوتٌ مُهَوِّل وفَزعَةٍ عَظيمَة على العُقُول ، فَفرَّ من بعد هذه مَن في الحُصُون في الحَيْمَة وغَيرِهَا وتَركُوا كُل مَصُون ولاذُوا بالذَّهاب ورَضُوا مِن الغَنيمَة بالإِيَاب ، وحسن بن إسماعيل دَاعِيهم المُجَاب أذعَنَ إلى التَّسليم .

وخَرجَ إلى الأَسرِ والتَّرسيم ، ولم يَبقَ في الحُصُون مَن يَحمي ولا يَرمي ، ولم يَقَع منها سَهمُ شيطٍ[٥] ولا ينمي ، وصَارَت خَزينته غَنيمَة للأجنَاد ، وانتُهِبَ منهَا الحَاضرُ والبَاد ، وهُدِّمَت تلكَ المَعاقِل وأُخليَت منهَا المَنازِل ، وصَدَق عَليهَا قَولُ أصدَق قَائلٍ تَعَالى ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٦] وَصَارَ بَعدَ ذَلك إلى أُمِّه الهَاوِيَة ونَارٍ حَامية ، فَهؤلاء البَاطنيَّة لَهم

---

(١) – مازال في نجران قوم من الإسماعيلية الباطنية حتى التاريخ .

(٢) – عتارة : قرية في بلاد حراز وبها حصن ، وهي علَى الطريق بين مناخة والحجلية ويقطنها الآن قبيلة من بني شبام من حاشد .

(٣) – الشاشخان : أحد أنواع المدافع .

(٤) – جبخانة : مستودع ، مخزن البارود .

(٥) – ورد في المطبوع بسيط .

(٦) – سورة النمل – آية (٥٢) .

أَقاويلُ مُتنافيَة ، تَدُلُّ على خُروجِهم مِن المُسلمين وانسلاخِهِم مِن الدِّين ، وتَهاوُنِهم بِملَّة سَيِّد المُرسَلين ، كَما تَواتَرَ عَنهُم مِن القَبائح واشتُهِر مِن الفَضائح .

وَقَد كانَ كَثير مِن العُلماءِ الأَعلام لا يَعدُّونَهُم مِن فِرَقِ الإسلام ، وبَعد أَخذ "عتارة" وأَسرِ ابن شبام وهَتك أَستارِه ، نَهضَ المُشير الأَعظَم مِن الحُدَيدة ووَصَلَ مَناخَة ، ثُم عَزم إلى عتارة وأَرسَلَ المَذكُور في قَيدِ الأَسرِ إلى الحُدَيدة مع أَولاده وجَماعة مِن أَقارِبِه ، فَلمَّا وَصَل إلى الحُدَيدة أَطلَقَهُ المَوتُ عن حَبسِ الأَسر بِعلَّة المَرَض مع كِبَرِ سِنِّه .

ثُم هَلكَ ولَدُه الأَكبَر أحمد ، وعَزمَ ولَدُه الأَصغَر علي ومن مَعهُ في قَيدِ الأَسرِ إلى دَارِ السَّعَادَة ، وحين استَقرَّ المُشير بَعدَ هَذا الفَتحِ الكَبير ، نَهضَ إِلَيه القَاضي حسين بن إسماعيل جغمان في أَعيَان مِن أَهلِ صَنْعَاء ، يَحُثُّونَهُ على البدار[1] ويُوضحُون لهُ طَاعَة هَذه الدِّيَار ، وأن المُتغلِّبين مَدُّوا أَعناقَ الوُثُوب على المَدينة وقَلَبُوا أَحداقَ الأَخذ لَها قَبلَ وُصُولِ الأَجنَاد المَكينَة ، فَسارَعَ المُشير الأَعظَم إلى هَذا المَرَام ، ولَم يَطُل في حَرازِ المَقَام .

ونَهضَ في أَوائِل شهرِ صَفَر مِن سَنة تسع وثمانين واثني عشر مائة ووَصَلَ صَنْعَاء في يوم الخميس سادس عشر شهرِ صَفَر المَذكُور والتَقاهُ أَعيان صَنْعَاء إلى "نَقيلِ عَصر" وتَلقَّاهُم بَالجَميل ، ثُم ضُرِبَت خيَامُه ، ورُكِّزَت أَعلامُه في المَاجل الذي عُدَّ في صَنْعَاء المُسمَّى مَاجِل الدَّمَّة[2] رَيثَمَا أَحكَمَ تَدبِيرَ العَسكَر ، ونَهَى فِيهِم وأَمَرَ ورَتَّب القَصر المُسمَّى غَمْدَان مِن خُلاصَة الأَعيان واطمَأنَّ المَكان ، ولَمَّا استَقرَّ في هَذه المَدينة صَنْعَاء التي هي أُمُّ مَدائِنِ اليَمَن وأَذعَنَت لهُ النُّفُوس وزَالَ البُؤسُ وكانَ في الجِّهَة القبليَّة رَجُلٌ

---

[1] – البدار : قول أهل صنعاء من بدري ، القدوم السريع ، باكراً .

[2] – ماجل الدمة : مقبرة كبيرة جداً يقطعها شارع يمر وسطها وهي بالقرب من مركز انطلاق سيارات تعز ومدن الوسط والجنوب وتسمى جربة الروض .

يُقال لهُ الدفعي[١] قَد تقَدَّم منهُ فعلُ المَحظُورَات واستبَاحَة المُحرَّمَات ونُسبَ إلَيه وإلى جَماعَته قَتلَ شَريف من آل القاسم يُقال لهُ : حَسَن بن عبدالله بن القاسم بن المهدي عباس ، فقُتلَ ظُلماً وعُدوَاناً في حَافَّة الفليحي بصَنْعَاء ، ثُم قُتلَ شَريفٌ آخر حُسَينيّ النَّسَب ومن سَادَات مَدينَة حُوث ، ثُم قُتلَ رَجلٌ آخر من شُعُوب يُقال لهُ "عبدالله بن ناصر الرَّحبي" على جهَة الغَدْر ، فَلمَّا استَقرَّ رِكابُ المُشير وصَلهُ أَهلِ الحَوازِ الذين بالقُرب مِن صَنْعَاء إلا هذا البَاغِي عبدالله الدفعي فَبَنَا على الخلاف وذلك لضعف عُقُول أَهلِ[٢] اليَمَن والغَبَاوَة ، وعَدَمِ التَّمييز وإلاَّ فَكُلُّ عَاقِل يَقضِي بأَنَّ مثلَ هذا الرَّجُل الفَرد في مَنْزِله (؟؟؟ ؟؟؟ ؟؟؟ ؟؟؟)[٣] بالقُرب مِن سُورِ صَنْعَاء ، وقَد دَخلَتهَا الأَجنَاد السُّلطانيَّة والجُيُوش الشَّاهَانيَّة بَعدَ أن سَلكَت المَسَامِع ، وشَمَلَت المَجامع استيلاؤُهم على مُلوكٍ عَاتِيَة وفِرَقٍ طَاغِيَة وأَخَذُوا سُلْطان عَسِير ، ولم يَنفَعهُ جَمعُه الغَفير .

ثُم صَاحب حَرَاز وهو في تلكَ القُوَّة والإحترَاز ، وهذا الرَّجُل في نَوبَة ضَعيفَة ، ولهُ مِن شُذَّاذِ اللُّصُوص سَخيفَة ، فَلمَّا عَرفَ المُشير تَمنُّعَه وتَناديه في مَهيَعه[٤] خَرجَ عليه في يوم الأحد بَعدَ أن كَرَّر لهُ التَأمين إن أَطَاع فلم يَقبَل وتقَدَّم بَعضُ الأَجنَاد السُّلطانيَّة فَأحرَجُهم من عِندِه ، وقتلَ نَفرٌ قَليل مِن الأَجنَاد الخَاقَانيَّة ، ثُم تَركُوا قتالَهُ وأَرسَلُوا عليه أَجوَاف المَدافِع حتَّى اندَقَّت نَوبَتُه وخَسرَت صَفقَتُه ، وخَرجَ هو ومن لَدَيه إلى الأَسر وسِيقُوا إلى القَصر ، وانتَهَى الحَال إلى قَتلِه وصَلبه قَصَاصاً بِمَن تقَدَّم ذِكرُهُم ، هو وابن أَخِيه وذَهَب نسياً مَنسيًّا .

---

[١] – الدفعي : من بيت دفع ، قرية في أرحب شمالي صنعاء ذكرها الهَمْداني في الإكليل وإليها ينسب آل الدفعي .

[٢] – وردت في المطبوع (بعض أهل اليمن ...) .

[٣] – كلمات غير واضحة بمقدار ثلاث كلمات .

[٤] – مهيعه : منازله .

ثُم بَعدَ هَذه الغَزوَة ظَهرَ خلافُ قَبائل أَرحَب ، ورُؤسائهم بَيت العُذَري وغَيرهم من كبَارِهم وتَجَمَّعُوا إلى أَطرَاف بلادهم وفي ذهنهم أنَّ الأَمرَ هَيِّن ، وأنَّ أَحَداً لا يَقدرُ على قَصدهم إلى ديارِهم ، وأنَّهُم الذين يَقسطُون ويَأخُذُون بعُقُول ضَالَّة وحُلوم مُختَلفَة ، فَلَم يَشعُرُوا إلا وَقَد دَهَمتهُم الأَجنَاد الشَّاهَانيَّة إلى قَرارِهم ، وقَصَدُوهُم إلى عُقرِ ديارِهم مُقَدَّمهُم البَاشَا وَلِيِّ الدين ، بَعدَ أن كَاتَبهُم المُشير ونَصحَهُم الكَبير والصَّغير بالطَّاعَة وبَذلَ لَهُم الأَمَان فَلَم يَقبلُوا ، فَخامَرهُم الذُّل والوَجَل وخَالَطهُم الوَهَن والفَشَل فوقَع بَعضُ حَرب ، أَجفَلُوا فيه إجفَالَ النَّعَام وتَركُوا ديَارَهُم ، بلا خيَام وفَرُّوا من تَحت حَدِّ الحُسَام ، فَخَربَت بَعضُ الدِّيَار وأدخَلَ الأَسَارَى ، واستَولَى عَليهم الإدبار ، وكانَت هَذه الوَقعَة بَاكُولَة[1] الفُتُوح ، فإنَّ هَذه القَبيلَة كانَت عندَ الرَّعَايَا[2] في إسمٍ كَبير ، وكَانُوا كَثيراً ما يَعُوثُون في المَغارِب ويَنتَهكُون الحُرُم ، ولا يُحرِّمُون حَراماً ، ولا يَحتَرمُون مُسلماً فَأَذاقَهُم اللهُ عَاقبَة البَغيِ والأُدوَان[3] ورَمَاهُم بالهَوان .

ثُم بَعدَ هذا واجَهَت خَولان ونهْم وأَكثَر بلاد أَرحَب ، ووقَعَ التَّجهيز على كَوْكَبان وأَهله بفرقَةٍ من العَساكِر مُقَدَّمهُم موسى كاظم قَبلَ بَاشَويَّته ، ثُم البَاشَا وَلِيِّ الدين ثُم البَاشَا محمد فَضلي وبَقِيَ الحِصار مقدار سبعة أشهر ، حتَّى تَسلَّمَ أَميرَهُم السَّيِّد النَّجيب أحمد بن محمد شرف الدين بن أحمد بن محمد بن الحسين ، وَدَخَل صَنْعَاء بأَمان ، وأَقَامَ في نعمَة وسلوَان ، واستَولَت الدَّولَة على بِلادهم ، وتَعقَّب خلاف وَقَعَ من قَبيلَة الحَدَا ، ورَفَعُوا المُدير ونَائبَ الشَّريعَة وأَضمَرُوا المَكرَ والخَديعَة ، فَخَرجَت عَليهم العَساكِر السُّلطانيَّة تَحتَ لِواءِ البَاشَا فَضلي واستَولُوا على بِلادهِم ، وانهَزَم

---

[1] – باكولة : الصواب باكورة وتعني : مقدمة وفتح وبداية .

[2] – الرعايا : الرعية ، وعموم الناس .

[3] – الأدوان : العدوان ، لهجة أهل تهامة يقلبون العين ألفاً .

مُقَاتلُهُم ، وقُتلَ أَحدُ كِبارِهم المُسمَّى القوسي ومَا بَرحُوا في هيَاطٍ وبيَاطٍ[1] ، وعَليهِم تَدُور الدَّوائِر في الحُروبِ حتَّى أَذعَنُوا ودَخَلوا في الطَّاعَة ، وسَكَنت أُمورُهُم .

ثُم في سَنة تسعين واثني عشر مائة[2] ، وَصَلَ دُوَيلٌ للمُشيرِ أحمد مختار وهو البَاشَا الأَعظَم المُسمَّى أحمد أيوب ، وارتَحَل المُشير الأول إلى الأَبوَاب العَاليَة ، ووَصَلَ المُشير المَذكُور ونَشَأ مَعهُ خِلاف خَولان ، سَوَّلَ لهُم الشَّيطَان مُعَاضَدة أَهلِ قَرية شَعْسَان[3] مِن بلاد سَنْحَان ، وكانُوا قَد خَرَجُوا عن الطَّاعَة فوقَع الحِطَاط عَليهِم ، وأَخَذَ مَحلَّهُم ونَادِيهِم ، وتَفرَّقُوا شَذَرَ مَذَر كَما يُقَال ، ثُم نَعَقَ نَاعِقُ فِتنَة مِن المَشرِق بوُصُول رَجُلٍ مِن تِهَامَة يَدَّعي أنَّه مِن أَشرَافِها ولهُ تَعلُّقٌ بالشَّعبَذَة والتَّنجِيم ، ويَأخُذُ في المَخارِيق والتَّوهُم ، ولم يكن لهُ بَصيرةٌ في أَمرِ الدِّين ولا عَقلٌ كَافِلٌ عِندَ المُتَصرين ، بل ذَكرتُ عَنه حَركَاتٌ تَدلُّ على نَقصِ عَقلِه ، وزِيَادَة غَباوَته وجَهله ، ويَدَّعي إحكَامَ صِنعَة الكِيميَاء وعَمل استِخرَاجَ الذَّهَب والفِضَّة وهو دَعوَى بَاطِلَة وعن الصَّوَاب عَاطِلَة ، ولَكنَّ هَؤُلاءِ العَوَام أَتبَاعَ كُل نَاعِق وأَحزَابِ كُلِّ مُنَافِق يَنخَدِعُون إلى الأَضالِيل ، ويَنخَرِطُون مع أَهلِ الأَباطِيل .

وكانَ مِن هذا الرَّجُل أن وَصَل إلى يَهُودِي في قَريَة "تنعم" لهُ تَشبُّثٌ بالأَسحَار وَقَد اشتَهَر عَنهُ أَخبَار فَاستَصحَبَهُ إلى مَأرِب ، وبِئسَ القَرِين والصَّاحِب ، ومَوَّهُوا على الشَّرِيف عبد الرحمن بن محسن بن علوي الحَمزي أن ولَدَهُ عبد المطلب لهُ حَظٌّ في المُلك ، وإنَّه صَاحِب الدَّعوَتَين وهَادِيهَا لَمَهدِيِّها ، وأنَّهُ الذي سَيَغلِبُ إن حَارَب ويَقْهَرُ مَن جَانَب فَانخَدَعَ ذلك الشَّرِيف إلى مَقالَتِهِمَا ، وهو مِن أَهلِ الجَهلِ والغَفلَة ، لا يَعرِفُ حَقائِقَ الأُمُور ، ولا يُمَيِّز بين القَاهِر والمَقهُور ، وخَرجَ بِولَدِه وهُما صُحبَتَهُ إلى بِلاد بني

---

[1] – هياط وبياط : كما يقال حيص بيص ، هرج ومرج .

[2] – عام ١٢٩٠هجرية حوالي ١٨٦٩م .

[3] – شعسان : قرية في بلاد سنحان من أعمال صنعاء ، ويوجد بها بعض الآثار القديمة .

جَبر من خَولان ثُم إلى ما عَدَاها من البُلدَان ، ودَعاهُم إلى الخلاف على جُند السُّلطان ، وانخَرطَ في دَاعي الشَّيطَان فأهرعَ أُولئكَ العَوامِ ، وأسرَعُوا إلى هَذه الأوهَامِ ، حينَ بَلَغ المُشير تَجمُّعَهُم أرسَلَ طائفَةً من العَسكَر إلى بلاد بني بَهْلُول بالقُرب من حُدُود خَوْلان فَلمَّا وَصَلَت مَسامعُ ألفَاف[1] القَبائل وُصُولَ هَذه الشِّرذمَة ظَنُّوا أنَّها الغَنيمَة البَاردَة والعيشَة الهَنيئَة الوَاردَة ، فَتقَدَّمُوا بجَهلهم على جُند السَّلطَنة إلى قَريَة يُقال لها "عنَاقَه"[2] من قُرَى بَني بَهلُول وحَصَلَ حَربٌ مَهُول ، انجَلَى عن هَزيمَة خَولان وفرارهم إلى الأَوطَان وقُتلَ منهُم مَن قُتل حَالَ الإنهزَام، وتَبعَهُم جُندُ السَّلطَنة إلى قرية من قُرَى قَروُى[3] يُقالُ لها الجعري[4] من بلاد خَولان فَأذعَنَ أهلِ تلك القَريَة بالطَّاعَة ، وأعلَنُوا بالمُسالَمَة والطَّوعَة فَرجعَ عَسكَر السَّلطَنة إلى مُخيَّمهم ظَافرين مَنصُورين .

وفي يوم ثاني الوَقعَة ، وَصَل المُشير الأعظَم أحمد أيوب ، ورَفَعَ جُندَ السَّلطَنة إلى صَنْعَاء ، وظَنَّ أن هَذه القَبيلَة قَد كَملَت طَاعَتُهُم بما وَقَع ، فَتأَخَّر عَنهُم وارتَفَعَ فَظنُّوا ذلك الفعلَ الجَّميل خَوفاً منهُم ومن عَودَتهم لسُخف عُقُولهم وتَمادُوا على العصيَان ، فَأَعذَرَ إليهم بإعلامَات إلى مَجامعهم وأسوَاقهم ، وتَوعَّدهُم على عَدَم الإمتثَال بالعُقوبَة والوَبَال ، فَزادَهُم تلك جُرأَة ولَجُّوا في الفَسَاد فَخرَج المُشير بنفسه إلى قَريَة "جحَانَة"[5] بمَدافعه وأعوَانه ، فَلمَّا دَخَل بَنَاديَهُم سَقطَ ما في أيديهم بَعدَهُم وتَعدِّيهم ، ووَصَلُوا إلَيه مَرغُوبين وانقَادُوا صَاغرين ، وَدَخَل صَنْعَاء وكبَارَهُم في ركابَه قَد لاذُوا بجَنابه ، فَعامَلَهُم بالإحسَان ووَفَّى لَهُم بالأمَان ولم يُغَيِّر لهُم حَالاً ولا كَدَّر لهُم بَالاً ، بل أَحسَنَ لهُم في الرِّفقِ على رَغبَتهم ، وجَعلَ عَليهم في السَّنة قَدراً يَسيراً يُحمَلُ إلى خزانَة

---

(1) – الفاف : لفيف من القبائل ، بعض منهم .

(2) – عناقة : قرية من بني بهلول إلى الشرق من صنعاء بمسافة ٣٠كم .

(3) – (من قرى قروى) : لم ترد في المطبوع ، وقروى أحد بطون بني جبير من خولان العالية .

(4) – الجعري : آل الجعراء من قبائل بلدة قروى في بني جبير من خولان العالية بمشارق صنعاء .

(5) – جحَانه : بفتحات : من خولان العالية وهي مساكن آل الشامي من الأشراف الحسنيين .

السُّلطان وأَرجَعَ عَليهِم المُدير وأَمرَهُ بِحسنُ السِّيرَة فِيهِم ، وكانَ هذا خَاتِمةُ الخِلاف وآخر العِصيَان فِيهِم والإختِلاف .

وحَصلَ بَعدَ هذا الشَّأنِ خِلافُ أَهلِ جَبل ضُوْرَان ومَيلهِم إلى العصيَان ، وهُم طَائفةٌ مِن حَاشِد وبَكِيل وضَعهُم إلى القَاسِم في إبتدَاءِ دَولتِهم وقُوَّة صَولَتِهم رُتبَةً[1] للجَّبَل وحفظَهُ مِن الخِلاف ، فاستَمرُّوا فِيه وتَولُّوا وكَسبُوا وتَاهُوا على مَوادِّ الدَّولَة مع تَمنُّعِهم ، وكانَ يَجرِي مِنهُم تَخبُّطَات على العُمَّال وهَفواتٌ في الأَحوَال ، لا يَقفُون على مُرادِ الدَّولَة ، مع تَمرُّدِهم وتَمنُّعِهم في الجَّبَل وأَمانِهم مِن العُقُوبَة والخَطَر ، وَقَد صَاروا عَدَدَاً كَثِيراً وكَبرَت نفُوسُهم وظَنُّوا أن لا يَقدر عَليهِم ، فَلمَّا ظَهَر خلافُهم خَرجَ عَليهِم العَسكَر السُّلطاني والجُّندُ الشَّاهَاني إلى عُقرِ دِيارِهم ، وحين وَصَلُوا إلى البُستَان أَسفلَ جَبل ضُوْرَان كَرَّرُوا إليهِم الأَعذَار ، وحَاولَ المُقدَّم طَاعَتهُم بالرِّفقِ والإجمَال فَلَم يَرعَوُوا ، وظَنُّوا أن حِصنَهُم مَانِعهُم وقُوَّتَهُم حَافِظتهُم ، فَحيثُ لم يَنفع فِيهِمُ الأَعذَار أضطرَّ الجُندُ السُّلطاني إلى رُكُوبِ شَهرِ السَّيف البَتَّار ، وارتَقُوا إليهِم الجَّبَل ، وأَصلُوهُم مِن نَارِ حَرِّ المَدافِع ، ولم يَكُن لَهُم دَافِعٌ ولا نَافِع ، وتَسنَّمُوا عَليهِم ذلك المَعقِل السَّامِي ، والمُشَمخَر[2] البَاذِخ النَّامِي ، وطَلَعُوهُ نَهاراً وأَخَذُوه جِهَاراً ، ولَم يَصدُر مِنهُم كَثِيرُ قِتَال ولا عَظِيم فِعَال ، بَل فَرُّوا فِرارَ الآبق المُريب إلى حَيثُ يَأوِي الذِّيب وأُخِذَت بيُوتُهم وآثارُهُم وحُبُوبُهم وأَثاثُهُم ، وتَفرَّقُوا في البُلدَانِ على ذُلٍّ وهَوَان .

وهَذِه الوَقعَة مِن أَعظَمِ ما وَقَعَ في اليَمَن كَونَها في سَاعَةٍ مِن نَهارٍ مِن دُونِ مُصابَرَةٍ وحِصَار وهُم في جَبَلِ "مناغي"[3] وتَنحَسِرُ حَولهُ الغُيُوم مِن المَعاقِل الحِميَريَّة ، والمَصانِع

---

[1] – رتبة : قوة عسكرية محدودة لحفظ الأمن .

[2] – المشمخر : الشمخرة : الكبر وشمخر : طَالَ والمُشَمْخَر : العالي المرتفع

[3] – جبل مناغي : مِن مناطق جبل ضوران مِن أعمال ذَمار .

اليَعرُبيَّة ، وأَهلهُ أَهلُ مُمَارَسَةٍ للحُروب وتَعَوَّدُوا لِيَومِها المَرهُوب ، فَما هي إلا آية سَماويَّة وعُقُوبةٌ رَبَّانيَّة بِما أَسلَفُوا من البَغي والطُّغيَان والتَّطَاوُل والبُهتَان .

وفي آخر الأَمرِ في مُدَّة ولايَة المُشير أحمد أيوب نَجَمَ خِلافُ حَاشِد ، وثَارُوا على جُند السُّلطان في مَطرَحِ "خمِرْ" وأَخرجُوهُم عَنه وأخَذُوا ما وَجدُوا وتَمَّ لهُم ماقصَدُوا وبَقُوا على هذا الخلافِ وفي ظَنِّهِم أن قَد سَاعَدهُم الأَقدار وكَملَ لهُم الإنتصَار ، وقَبائل أَرحَب عَادُوا إلى الطُّغيان ومَنعُوا أَتاوَة[1] السُّلطان ، ولم يَنهَضَ إليهم من يُقَوِّم أَوْدَهُم[2] ، ويُدَاوي لَددَهُم[3] حتَّى وَصَل عَزلُ المُشير الأول أحمد أيوب بالمُشير مُصطفى عَاصِم وكانَ وُصُولهُ في شهرِ جُمَادى الآخِرَة حَذَا حَذوَ مَن سَلفَهُ ، وأَظْهَر الفَرمَان السُّلطاني والمَرسُوم الخَاقَاني .

فَلمَّا استَقرَّ رِكابُه بصَنْعَاء انتَشرَ خِلافُ أَرحَب وحَاشِد وذِي محمد ، وتَابَعهُم غَيّهُم وظَنُّوا الظُّنُون وأَنَّهم على الحَربِ قَادِرُون ، وارتَفعَت رُؤوسُ كَثيرٍ من القَبائل للخلاف ، وأَجمَعَ قَبائل أَرحَب على استِئصَالِ مَشايخ بَني الحَارث بني دغيش وأَخَذهُم لإحَنٍ قَديمَة وضَغائنَ غيرَ سَليمَة فَخرَج العَسكَر السُّلطاني إلى أَطرَافِ بِلاد أَرحَب ، ووَصَلُوا إلى قَريَةٍ مِن قُرَاهُم قَريَةَ بَيت مران فَوقَعَت هُنالِكَ حَربٌ عَظِيمَة ووَقعَةٌ حَطِيمَة ، واقتَحَم العَسكَر السُّلطاني تِلكَ القَريَة وقَتَلُوا مَن فيها وأَسَرُوا ، وأُدخِلَت رُؤوسُ القَتلَى إلى صَنْعَاء ومَعَها الأَسرَى في الأَغلال ، وأُودِعُوا السُّجون ووَاجَهت بَعدَ الحَربِ بِلادُ أَرحَب ، وانقَادُوا وَدَخَل عُقَّالُهم ورَهَنُوا وصَلحَ أَمرهُم وَسَكن شَرُّهُم .

---

[1] – أتاوة السلطان : الخراج ، الضريبة التي تدفع للدولة .

[2] – أودَهُم : الصواب بأودهِم : نَفقاتهم وتَكاليفهم .

[3] – لددهم : جريحهم ، مصابهم .

ثُم تَوجَّه الجُند السُّلطاني إلى بلادِ عَمْران ، وَقَد كانَ خالَفَ بَعضُ أهلِ الجَّبلِ عيَال يَزيد واستَدعُوا مِن حَاشِد جَماعَةً لَديهِم ، ووَصلَ حَاشِد إلى بَيت الحَاز[1] في قَريَةٍ مِن قُرَى عيَال يَزيد فنَهضَت العَساكِر السُّلطانيَّة فَأغَارَ عَليهِم حَاشِد الذين في أطرَاف البِلاد فَلم يُغنُوا شَيئاً ، وَدَخَل عَليهِم النَّكد وأخذُوا الطَّارِف والبَلَد ، ثُم تقَدَّمَ العَسكَر السُّلطاني على من في يشيع[2] قَريَة مِن قُرَى حَاشِد تَجمَّعُوا إليها فَفَرُّوا عَنهَا ، وَدَخَل العَسكَر السُّلطاني تِلكَ البِلاد وطَبقُوا سَهلهَا والوِهَاد ، حتَّى وصَلُوا بَلدَة "خَمرْ" فَواجَهَت بَنُو صُرَيم ومَن قَارَبَهَا مِن وَادِعَة الظَّاهِر ومرهبَة وسُفيَان ، وَسَكن الشَّر والطُّغيَان ، وأَرجَعُوا المَدافِع التي أَخَذُوها في السَّنة الأُولى وتَمَّ بِطاعَتِهم المُرَاد ، وأَذعَن السَّهلُ والوِهَاد ، وَدَخَل كُبَراؤُهُم إلى حَضْرَة المُشِير ، فَأنعَمَ عَليهِم بالقَفاطِين الغَاليَات ، ونَفَّحهُم بالصلات ، ثُم وَصَل أميرُ الأَجنَاد البَاشَا المُفخَّم إسمَاعِيل حَافظ لِقَضَاء مَأرِب ونَجاح مَطلَب ، وعَادَ إلى تَمامِ عَمَله وإصلاحِ ما بَقِيَ من خَلَله ، وَقَد تَأخَّر أهلِ جَبل غُربَان[3] عَن طَاعَة السُّلطان ، فنَهضَ إليهِم العَسكَر وصَاحَبُوا إليهِم المَكر ، فَأُخِذَت بَعْض قُرَاهم ، ووَاجَهُوا بَعدَها وأَذعَنُوا وأَصَابُوا وأَحسَنُوا ، ووَصَلَ كَبيرُهُم السَّيِّد أحمد بن علي الغُربَاني حَضْرَة المُشِير مُصطفى عَاصِم ، ووَصَلَ مَعهُ النَّقيب يحيى بن هَادي فَارِع ، وكانَ رَأسُ من بَقى على الأَجنَاد ، ولَمَّا تَمَّت طَاعَةُ هَؤلاءِ القَبائِل ، تَأَخَّرَت بِلادُ السَّودَة وظُلَيمَة ومَا إليهَا فنَهَضَت إليهِم الجُنُود ولَقوا يَومَهُم المَوعُود ، فَوصَلُوا بَيت ابن علا[4] في حُدُود بِلادِ السوْدَة فَصَبُّوا عَليهِم أجوَافَ المَدافِع ، وأَرسَلُوا إليهِم البَلاءَ النَّاقِع فَهُدِّمَت مَبانِيهم الرَّفِيعَة وحُصُونُهُم المَنِيعَة ، فَفرَّ أَهلُ تِلكَ

---

[1] – حَاز : النسبة :حازي ، من قرى عيال يزيد من أعمال عمران شمال غربي صنعاء .

[2] – يشيع : بلدة إلى الشمال الغربي من رَيْدَة ، وهي بلدة أثرية قديمة ذكرها الهَمْداني في صفة جزيرة العرب .

[3] – جبل غربان : بضم الغين ، جبل آهل من منطقة خَمِرْ إلى الشمال الغربي من صنعاء ينسب إليه آل الغرباني وهم من الأشراف الحسنيين .

[4] – بيت ابن علا : في منطقة السودة من بلاد خَمِرْ وعمران إلى الشمال الغربي من صنعاء .

البَلدَة إلى أَقصَى البِلاد ، وانتَهَبَ من حَضرَ مَا جَمعُوهُ مِن الأَزوَاد ، ثُم وَاجَهَت بَعدَ ذلك بِلاد السوْدَة وظُلَيمَة والأَهنُوم ، وعَرَفُوا أن لا قُدرَة لَهُم على المُقَاتَلَة ، ولا قُوَّة على مُناصَبة هَذه الدَّولَة الثَّاقِبَة هذا شَأن القبلة[1] .

وفي خِلال هذه الفُتُوح ، وقَعَ خِلاف أَهلِ جبَل البخَارِي[2] مِن بِلاد المَخادر في اليَمَن المُتوسِّط ومَنعُوا عن المطَالِب ، وسَوَّلَ لَهُم الشَّيطَانُ نَيلَ المَآرِب ، فَخَرج إِليهِم قَائمقام مَدِينَة جِبلَة وإِب وشِرذِمةٌ يَسيرَة مِن جُند السُّلطان وطَائِفَةٌ مِن ذي محمد ـ حَي بَكِيل ـ فَأخَذُوا ذلك الجَّبَل واستَأصَلُوا شَأفَةَ أَهله وانتَهَبَ مَن حَضرَ أَثَاثَهُم وأَنعامَهُم وأَموالَهُم وقَلَعُوا شَجَرَة القَات التي هِيَ أَعظَمُ مَعاشِهِم وأَخَذُوا رِياشَهُم واستغنَى الفَليسُ[3] من سَائِر مَن حَضَر وقَابَلَهُم الإدبَارُ وَولُّوا الأَدبَار ، وكانُوا في نِعمَةٍ وَافِيَة ، وثَروَةٍ كَافِيَة فَما رَعوهَا حَقَّ الرِّعَايَة بِسُلُوكِ الطَّاعَة التي هِي الوَاقِيَة .

فَلمَّا تَمَّ عَملُ أَهلِ جَبل البخَارِي ، تَوجَّه ذلك العَسكَر إلى جَبل "وُصَاب" وَقَد كانَ حَصل مِنهُم الخِلاف ، ولَهُم عَادَةٌ في الخُرُوجِ عن طَاعَة الدَّولَة ، وعَدمِ المُبَالاة بِشدَّة الصَّولَة كَونُهُم في جِبالٍ شَامِخَة ومَصانِعَ بَاذِخَة وعند نُفُوسِهِم أن قَد تَعوَّدُوا القِتَال وغَلبُوا في مَواطِن النِّزَال ، فَلمَّا وَصلَهُم العَسكَر السُّلطاني ومن أَنضَافَ إِليهِم مِن العَرَب انثَال أَهلُ "وُصَاب" إلى حُدُودِهِم وبِلادِهِم وهُم عَدَدٌ وَافِر وجَمعٌ مُتكاثِر ، فَلَم يُغنِ عَنهُم جَمعُهُم الذي جَمَعُوا ولا سِلاحُهُم الذي صَنَعُوا ، بل صَارَت تلكَ الأَسلِحَة غَنِيمَةً في أَيدي عَسكَر السَّلطَنة ، وأَوقَعَ بِهِم الجُّندُ السُّلطاني وَقعَةً عَظِيمَة ، وأَخَذُوا جَميعَ ما أَجلَبُوا ، فَلاذُوا إلى طَلَبِ الأَمان ، وانقَادُوا إلى حُكمِ الشَّرعِ والإِيمَان وما هو أَولَى بِالصَّوَاب ووَافَقَ السُّنَّة والكِتَاب .

---

(1) ـ هذا شأن القبلة : هكذا وردت في المطبوع والمخطوط .

(2) ـ البخاري : جبل يشرف عَلَى قاع الحقل إلى الجنوب من يريم .

(3) ـ الفليس : المفلس الذي لا درهم لديه ولا دينار .

قَالَ في الأُمِّ[1] بخَطِّ المُصَنِّفِ رَحِمهُ اللهُ ثُم بَعدَ أن كَمُلَ الكتَاب ، وتَناقَلَتهُ الأَصْحَاب ، وَقد كُنَّا وَصَفنَا هَذا مُصطفى عَاصِم بِمَا جَرا بِهِ القَلَم ، وَقَعَت منهُ في سَنة خَمسٍ وتِسعين ومائتين وألف الفَاقِرَة العَظمَاء ، والدَّاهِيَة الصَّمَّاء التي أَسكَبَت لها العِبرَات مِن العيُونِ وحَزِنَ لَها جَميعُ المُؤمنُون ، وبَلَغت النُّفوس بِها التَّراقي وأُنزِفَت دماءُ الأَماقِي ، فَإنَّه عَمدَ إلى أَعيانِ العُلمَاء ، وواصَلَ نُجُومَ السَّماء والأَعلامِ ، والجُلَّة المُحقّقِين والعُلَماءِ العَامِلِين ، وأَودَعَهُم السُّـــجُون والحُبُوس ، وبَقُوا أَيَّاماً في دَارِ الذَّهَب[2] بقَصر صَنْعَاء وأَساءَ بِهِم صُنعَاً ، ثُم نَقَلهُم سَنة خمس وتسعين ومائتين وألف إلى بَنْدر الحُدَيدة بِشَاطِئِ البَحْرِ في تِهَامَة وأَكبَادُ أَولادهم تَتقَطَّعُ فَلذاً ، ودُمُوعُ أَرحَامِهِم تَجري مَدداً مِن غَيرِ جُرمٍ جَرَى ولا وِزرٍ طَرا ، ولَم يَتعَلَّق عَليهِم بحُجَّة ، ولا سَلَكَ في الإِنصَافِ محجَّة ، ولا نَزَعُوا يَداً عن طَاعَةٍ ، ولا خَالَفُوا الجَماعَة ، بل أَطاعُوا السُّلطان ورَغِبُوا في الأَمَان ، وكانَ في بَعضِهِم الإِعانَةَ للدَّولَة العُليَة والسُّدَّة الخَاقَانيَّة ، ولا وَقَعَ مِنهُم مِيلٌ عن الدَّولَة بِقَلمٍ ولا لِسَان ، ولَعلَّهُ قَبلَ قَولَ أَعداءٍ كَانَت في صُدُورِهِم إِحَن ، وانطَوُوا على ضغنٍ في أَيامِ الغَلَبَة والإختِلاف قَبلَ وُصُول هَذه الدَّولَة ، فَألقُوا إلى هَذا المُشيرِ أَباطِيلَ ، فانقَدَحَ شَرَرُ نَارِهِم ، وعَمِلَ بأشوَارِهم[3] ، وتَعدَّى الطَّورَ وعَمِلَ بالجَور وهُم : عَلامَةُ الزَّمَانِ وفَريدُ الأَوان المُجتَهِد الجَهبَذ الأَكبَر والعَلامَة المُطلَق والسَّابِقُ الذي لا يُلحَقْ مَن أَحَاطَ بِالعُلُوم مِن أَمَامٍ وخَلف وحَفِظَ مَنطُوقَهَا والمَفهُوم فَما غَادَرَ مِنهَا حَرفَا مَولانَا صَفِيُّ الإِسلام أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله الحسني الكبسي والسَّيِّد العَلاَّمة الزَّاهد محمد بن إسماعيل عشيش الحُسَيني ، مِن أَعلامِ الزَّمَان وفُضَلاءِ الأَوَان رَجُلٌ في عشرِ الثَّمانين لا يُداخِلُ الدَّولَة ولا يَخُوضُ في الفتَن

---

[1] – قال في الأم : لعل المقصود أصل المخطوط بخط المؤلف .

[2] – دار الذهب : مبنى ما زال قائماً وهو المبنى المواجه للداخل إلى صنعاء القديمة من جهة السائلة .

[3] – عمل بأشوارهم : بمشورتهم .

حَاملٌ كتابَ اللهِ ، ضَرِيرُ البَصَر ، حَمَلُوه إلى الحُدَيدة ، فَبَقى فِيها حتَّى تُوفى شَهِيداً سَعِيداً مَظلُوماً رَشِيداً .

والسَّيِّد الوَالد العَلاَّمة حسين بن علي بن حسين الكِبسي خَارَجهُ اللهُ[1] كَما سَنَذكُر والوَالدُ العَلاَّمة زَيد بن أحمد بن زيد الكِبسي الحَسَني والوَالدُ العَلاَّمة محمد بن أحمد المُطَاعِ الزَّاهِد ـــ أدرَكَتهُ الوَفَاة في الحُدَيدة شَهِيداً مَظلُوماً في دَارِ غُربَتِه ومَحَلِّ كربَتِه ـــ .

والسَّيِّد العَلاَّمة الشَّرِيف محمد بن قاسم الحُوثِي الحُسَيني ممن خَارَجهُ اللهُ .

والوَالِد العَلاَّمة النَّجِيب محمد بن يحيى بن محمد[2] بن الإِمَام المَدعُو ابن حَمِيد الدين ممن خَارَجهُ اللهُ .

والسَّيِّد العَلاَّمة علي بن محمد الجُدَيري ممن تَوَفَّى هُنالك مَظلُوماً شَهِيداً ، والقَاضِي العَلاَّمة المَرحُوم حسين بن إسماعيل جغمان رَحِمهُ اللهُ والفَقِيه العَلاَّمة محمد بن يحيى زَاهِر ممن امتُحِن .

وجَماعَةٌ آخَرين غَابُوا عن الحَواس ، وحِينَ بَقُوا هَذه المُدَّة فَوقَ العَامَين ، وضَاقَ بِهِم وبِأَهلِهِم الشِّدَّة ، ولم يَظهَر عَليهِم دَقِيقَة ولا جَلِيلَة ، ولا أُخِذَ عَليهِم حُجَّةً صَغِيرة ولا كَبِيرَة ، تَوسَّلتُ إلى اللهِ بِنَبيِّه الكَرِيم بِهذه الوَسِيلَة وأَرسَلتُهَا إلى الحَضْرَة الشَّرِيفَة المُكرَّمَة المَنِيفَة حَضْرَة نَبِيِّنا المُختَار والشَّفِيعِ المُشَفَّع الذي لا يَخِيبُ مَن تَوسَّل بِه ، عَظِيمُ الجَّاه عِندَ خَالِقه ، ومُشرفهُ حَضْرَة مُختَلفِ المَلائِكَة والوَحيِ ، والحَبِيبُ لا يُؤثِّرُ عَليه حَبِيب ، سَيِّدُنا وشَفِيعُنا ووَسِيلَتُنا إلى خَالِقنَا " محمد المُصطَفى الأَمِين المُجتَبَى ، الذي لا يُحاطُ بِأوصَافه الشَّرِيفة وشَمائِلِه المَنِيفَة ، وأَرسَلناهَا مع بَعضِ الزُّوَّارِ في سَنَة

---

(١) ـ خارجهُ الله : فرج الله عنه وأطلق سراحه .

(٢) ـ الإِمَامِ المنصور محمد بن يحيى حميد الدين من سلالة الهادي إلى الحق قام بأمر الإمامة عام ١٣٠٧هـــ خاض معارك كثيرة مع قوات الأتراك ، سجنه الأتراك ، كان شجاعاً فاضلاً فطناً توفي عام١٣٢٢هـــ = ١٩٠٤م .

سبع وتسعين ومائتين وألف ، فلمَّا وَصَلت حَضْرَة الوُجُود كانَ الفَرَجُ المَوعُود وهي هَذه :

عَرِّج على رَبْع سَلْعٍ و العَقيقِ وَ قُل ... هَذي مَعاهِدُ يُسْتَجْلى بِها النَّظَرُ[1]

و انزِلْ بِسَفْحِ الخليصا و أَجْرِ دَمْعَكَ ... في تلكَ الرُّبوعِ فَذَا حينَ انْقَضا الوَطَرُ[2]

و اقْرَا السَّلامَ و بُثَّ المُشْتَكا لَهُم ... بما يُقاسِي فُؤادُ الصَّبِّ إنْ نَفَروا

و مَا تُلاقِي مِنَ الأَشْواقِ في حَرَقٍ ... و ما يُصادِرُهُما إنْ أَغدَقَ السَّحَرُ

طوراً يُقلِّبُ جَنبَيه على حَرْق الرَّ ... مْضاء و آونَةٌ قَد مَسَّها السَّهَرُ

فهَل لَهُ زورَةٌ لِلسَّفحِ مِن أطم ... يَشْفي بِها حَرْقاً في القَلب تستَعِرُ

أُسائِلُ البَرقَ مِن نَعْما هَل سَفحَت ... ببَهجَة السُّحب و اخْضَرَّت بِها الشَجَرُ

وهَل يُزُرِّني شَذاً مِن طيب عَنبرِها ... الذَّكي يَحْيَى بِها قَلْبي و يَنْتَشِرُ

يا نَسْمةَ الفَجْرِ هَل مَرِّيت عابِرَةً ... على ديارٍ عَلَيها الدَّمعُ يبتَدِرُ

دارُ الأَحبَّة لا زالَت جَوانِبُها ... يُهدَى إلى رَبْعها اليَاقُوتُ و الدُّرَرُ

و نادِ بِالرَّبعِ بِالشَّكوَى لَهُم فَهُم ... وَسيلَةُ المُشْتَكي إنْ مَسَّهُ الضَّرَرُ

هُمُ الدَّواءُ وهُمْ بَرْءُ السِّقامِ و هُم ... غَوثُ اللَّهيفِ إذَا ضَاقَت بِه الفِكَرُ

---

[1] – سَلْعٌ : جبل بسوق المدينة ، والعقيق : وادٍ في المدينة عَلَى أميال منها .

[2] – الخليصا : حصن بين مكة والمدينة .

هُمْ أُولُوا الجَّاه و القَدْرِ الرَفِيعِ لَدى مَولاهُم و بِهِم يُستَدفَعُ القَدَرُ
شَكوى أَسيرٍ مَعَ أَسْرى نالَهُم صَرْفُ الزَّمانِ و لا خانُوا و لا غَدَرُوا
إلى حَبيبِ إلَـهِ العَرْشِ يَشْفَعُ في فَكِّ الأَسَارَى فَقَد ضَاقُوا وَقَد حُصِروا
فَما لَهُم مَلْجَأٌ يَأْوُوا إلَيه و لا مَنْجَا سِوى مَنْ أَتَتْ في مَدْحِه السُوَرُ
الشَّافِعُ النَّافِعُ الهَادي إلى طُرُق النَّـ ـجَاةِ خَاتِمِ رُسلِ اللهِ إن صَدَرُوا
نُورُ الإلهِ و مفتاحُ السَّلامَةِ مِن نَارِ الوَعيدِ إذا مَا أُحْمِيَت سَقَرُ
ذي المُعجِزاتِ التي دامَتْ على حِقَبِ الأَيامِ لا تَنْتَهي إنْ عَدَّها بَشَرُ
رُدَّت لهُ الشَّمسُ مِن بَعدِ المَغيبِ وَقَد انْشَقَّ بَدرُ الدُّجَى حتَّى لَهُ نَظَروا
و نَارُ فَارِسَ عادَت و هِيَ خامِدَةٌ كَذا البُحَيرةُ غاضَتْ و هِيَ تَنْهَمِرُ
الماءُ مِن كَفِّهِ أَروى الأَنَامَ و قَد أَوْدَى بِهِم ظَمَأٌ و اجْلَوَّذَ المَطَرُ[1]
و انْشَقَّ إيوانُ كِسْرى حينَ مَولِدِه و كانَ عِمْرانُهُ الصَّفَّاحُ و القِطْرُ[2]
و المُعْجِزُ الباهِرُ القُرقانُ دَامَ لَنا يُتْلى على صَفَحاتِ الدَّهرِ مُدَّخَرُ
يا مَنْ بِدَعوَتِه فَاضَ السَّحابُ على سَهلِ البِقَاعِ بِسَيلٍ دافِعٍ هَمِرُ
أَغِثْ بِجاهِكَ عِندَ اللهِ أُسْرَتَنا مِن آلِكَ الغُرِّ قد نالَتْهُم الغِيَرُ

---

(1) – اجلوذ المطر : طال وَقت تأخره وانقطاعه ، قاله ابن منظور .

(2) – الصفَّاح : الحجارة العريضة وأحدها صُفاحة ، والقطر : النحاس المذاب .

فِي الأَسْرِ عامَيْنِ والتَّغْرِيبُ لَيسَ لَهُم ذَنبٌ أَتَوهُ و لا خانوا و لا غَدَروا
ظُلْماً و بَغْياً و إِفْكاً زَوَّرُوهُ و لَم يَخْشَوا عِقابَ المَولى و النّارُ تَسْتَعِرُ
لَهُم إليكَ انْتِسابٌ لَمْ يُصَنْ و لَم يُرْعَى و قَدرُكَ عِندَ اللهِ مُشْتَهِرُ
وَ قَد أَتى مُحْكَمُ التَّنْزيلِ يُخبِرُنا أَجْرَ المَوَدَةِ في القُرْبى كَذا الأَثَرُ
هُمُ السُّلالَةُ مِنْ أَبناءِ فاطِمَةَ يَنْمُوا إِلَيكَ و مِنْ أَشياعِهِم نَفَرُ
لَمْ يَقرَبوا مُجرِماً عِندَ الظَّلُومِ و لا جاءُوا بِنُكْرٍ مِنَ الأَمرِ الذي نَكَروا
بِحَقِّ جاهِكَ عِندَ اللهِ لا هُضِمُوا و لا أُضِيمُوا و لا أَوْدى بِهِم ضَرَرُ
فاشْفَعْ لَهُم يا شَفيعَ الخَلقِ وارْعَ لَهُم حَقَّ القَرابَةِ يا مَنْ أَنْجَبَت مُضَرُ
و عَجِّلِ الغَوثَ يا مَن يُسْتَغاثُ بِه في كُلِ خَطْبٍ إِذا ما أَوْحَشَ الخَطَرُ
يا رَبَنا قَد تَوَسَّلنا إليكَ بِمَن لَهُ الوَسيلَةُ في الأُخْرى إِذا حَضَروا
و ما يَلُوذُونَ بِالذِكرِ الحَكيمِ و بالـ سَّبْعِ المَثانِي و ما جاءَتْ بِهِ الزُّبُرُ
بِحَقِّ نُوحٍ قَديمِ الأَنبياءِ و مَنْ نَصَرتَهُ إِذ طَغا قَومٌ بِهِ كَفَروا
وحَقِّ هُودٍ و مَنْ أَقْرَرتَ ناظِرَهُ بِالريحِ تَسْري فَلا تُبْقي و لا تَذَرُ
وحَقِّ صالِحٍ إِذا أَتْبَعتَ ناقَتَهُ بِصَيحَةٍ مِن ثَمودَ بَعدَما بَطِرُوا
وحَقِّ صَفوَتِكَ العُظْمى خَليلِكَ إِبْـ ـراهيمَ ما مَسَّهُ مِنْ نارِهِم شَرَرُ
ونَجْلِه صادِقِ الوَعْدِ الذَّبيحِ وقَد أَنْجَيتَهُ بِفِداءٍ و هوَ مُضْطَبِرُ

وحَقّ صَفوَته إسْحاقَ منْ نَجْلِ الرُ		سْلِ الكِـرامِ و عَـادَ السَمعُ والبَصَرُ
وحَقّ مُوسَى و مَنْ شَرَّفْتَهُ كَرَمـاً		و صَـارَ مـنـكَ قَـريبـاً قادَهُ السحـرُ
وحَقّ هارونَ والرُّوحِ الذي ظَهَرَت		آيـاتُـهُ و هــوَ فـيـْنـا الآنَ مُنْـتَـظَـرُ[1]
وحَـقّ آلِ النَبي المُخْتارِ مَنْ كَرُمُـوا		عَـنِ الأَنـامِ بِـطُـهرِ جَـدّهـم فَـخَـرُوا
وحَقّ أَصْحَابِ خَيْرِ الرُّسْلِ مَن جَهِ		دُوا في نَصْرِ دينكَ إذْ آوَوا وإذْ نَـصَروا
و حَـقّ كلِّ وَلِي صالِحٍ رُضِيَتْ		أَعْـمـالُـهُ و لَـهُ في دِيـنـه نَـظَـرُ
إقْبَل وَسيلَتَنا بالمُصْطفى و شَفْعهُ		فَـهُـم مِـن أَصْـلِـه فُـطِــرُوا
و اكْفُف يَدَ الظُّلمِ عَنْهُم و نَجّـهم		عَجلاً فقد ضَمينا لغوث منكَ يُـنْـتَظَرُ
فَلا تُخَيّب رَجَانا يا عَليمُ و عَجّـ		ـلْ بالإجـابَةِ و احْفَظْهم إذا نُـصروا
و اهْدِ السَّلامَ إلى طَهَ و عِتْرَته		معَ الـصَّـلاةِ دَوامـاً مـا هَمَا المَطَرُ

فَلمَّا أرَادَ اللهُ سبُحانَه الفَرَجَ ووَصَلَت هَذه الوَسيلَة إلى حَضْرَة الكَمال ومُنتَهى الآمَالِ أَلهَمَ اللهُ سُلْطانَ الإسلامِ الأمرَ بإطلاقِهم والتَّفريجِ عَنهُم ، فَوصَلَهُم ذَلك فَرحَلُوا إلى مُستَقَرِّ أَهلِهم وأَوطَانِهم ، وعَجَّلَ السُّلطان عَزلَ هَذا الوَالي الذي ارتَكَبَ هَذه الشَّنيعَة واجتَلَبَ هَذه الفعلَةَ الفَظيعَة ، ووَصَلَ دُويَلٌ[2] آخر سَنة سبعٍ وتسعين ومائتين وألف مِن أَهلِ العُقُولِ يُقالُ لهُ إسماعِيل حَافِظ فَأَحسَنَ إلى العُلماءِ وخَلطَهُم بِنفسه

---

[1] – الروح : المقصود سيدنا المسيح عليه السلام .

[2] – دويل آخر : والي آخر .

وجَعَلَ بَعضَهُم مِن خَواصِّه وأَهلِ مَشُورَته وقَرَّرَ لَهُم المَعاشَاتِ والخَدَم المُنَزَّهَات ، واستَمرَّ على ذلك إلى أن عُزِلَ وهو مَشكُورُ الفِعَال حَسَنُ السِّيرَة ، وكانَ منهُ عَزْلُ بَعضِ مَن عَاونَ في حَبسِ العُلماءِ مثلَ مُحسن معيض[1] شَيخِ صَنْعَاء ، وعبدالله الطَّرابُلسي[2] الذي جَعلُوهُ نَائبَ القُضَاة في الدِّيَار اليَمنيَّة ، ونَهضَ بعَسـكَر من العَرَب[3] الذي قَد كانَ أدخَلَهُم في سِلك العَسكَر النظَام وسَمَّاهُم الحميديَّة على قَبيلَة الحَدَا الذين مَنَعُوا الأَوامِرَ الدَّوليَّة واعتَدوا الطَّريق فَدَمَّر ديارَهُم ، وأَخلاهُم عن قَرَارهم[4] ، وبَقِي في الإمَارَة إلى أن رَجَّحَ سُلْطان الإسلام تَعويضَهُ بِدُوَيلٍ آخَر ، وهو المُشير محمد عِزَّة بَاشَا وكانَ رَجُلاً عَاقِلاً حَسَنَ الأَخلاقِ قَرِيبَ الجَنَاب ، رَفيقاً بالأَصْحَاب بَقِي في اليَمَن مقدَارَ ثَلاث سِنِين ، وانفتَحَ في مُدَّته "خلافَ خَولان الطِّيَال" فَجهَّز عَليهِم سَعيد بيه[5] "المُسَمَّى عندَ أَهلِ اليَمَن : [الأغا سعيد]"[6] .

ثُم أَعانَهُ[7] بِقُومندَان العَساكِر عُمَر باشا ، فاستَأصَلُوا المُفسدين وأَخَذُوا ديارَهُم وقُرَاهُم ومَرُّوا في البلاد حتَّى استَوفُوا منهُم المَطالبَ وقَضُوا ما أَرادُوا من المآرِبِ ثُم انفتَحَ خلافُ أَهلِ ظَفيرِ حَجَّة ، ووَصَلَ إليهم قَبائلُ من حَاشد وبَكيل ، فَأرسَلَ عَليهِم الأَجنَادَ الشَّاهَانيَّة ، فَوقَعَت حُروبٌ وخُطُوب تُذهِلُ الطَّالِبَ عن المَطلُوب "وحُوصِرَ من الظفير"[8] وآل الأَمرُ إلى استِظهَارِ عَساكِرِ الدَّولَة العُليَة ، ودَخَلوا حصن الظَّفير وخُرِّبَت دُورُها وبَعضُ مَشاهِدهَا وتَفرَّقَ القَبائل ولم يَحصُل بِطائلٍ وخَرجَ المُشير بِنفسه

---

[1] – محسن معيض : بيته أمام مسجد الأبهر في صنعاء القديمة وكان شيخ صنعاء وأحد العلماء المبرزين في حينه .

[2] – عبدالله الطرابلسي : وردت في المطبوع عبدالله العراسي .

[3] – بعسكر من العرب : من أبناء بلاد الشام والعراق والحجاز الذين تجندهم الدولة العثمانية في جيشها .

[4] – "وأخلاهم عن قرارهم" : وردت في المطبوع "وأجلاهم عن قراهم" .

[5] – سعيد بيه : سعيد (بيك) أحد الألقاب والكنى الشائعة أيام الدولة العثمانية .

[6] – أثبتناها من المطبوع ، لم ترد في المخطوط .

[7] – وردت في المطبوع : عززه .

[8] – لم ترد في المطبوع .

لِتَمامِ صَلاحِ البِلاد فَأصلَحَهَا ورَجعَ إلى صَنْعَاء ، وَقَد عَلقَت به العلّة ، وأَطاقَت به الأمرَاض ، فَتوفى بِمَحرُوسِ صَنْعَاء [ودُفِنَ بالقُبَّة التي غَربي قُبَّة البَكيلية][1] ، واتخَذَهَا سَكَناً ورَبعاً في سَنة تسع وتسعين واثنا عشر مائة ، وبَقي الأَمرُ بيَد المَأمُورين حتَّى وَصَل دُوَيلٌ يُقالُ لهُ أحمد فيضي باشا وكانَ رَجلاً حَازِماً ، عَرضَ في أَيَّامه خلافُ قَبائل أَرحَب ، فَجَهَّز عَليهم العَساكر وأَخذَهُم أَخذَةً رَابيَة ، ثُم انثالَ أَهلُ المَشرق من مُراد وبَني ظَبيَان وقَيفَة وعَزمُوا القَفرَ المُسَمَّاة "قَفر حَاشد" غَربي مَدينَة "ذَمار" وبلادها ، وأَخذُوا مَواشيهم وأَثاثَهُم فَجهَّز عَلَيهم "المُشير سَعيد بيك" فَأجفَلَت مَعهُ البلاد ، وتَلَقُّوا المُفسدين إلى مَغرب عَنْس ، فَانهَزَم المُفسدُون وأَخذ منهُم الطَّمعَ جَميعُه وجمَالهم التي وَصَلُوا بها من بلادهم ، وقَبَضُوا عُقَّالَهُم أَسَارَى ، وأَدخَلُوا الجَّميع إلى حَضْرَة المُشير أحمد فيضي ، فَتصَرَّف بِمَا أَخذَ على المُفسدين وأَطلَقَ الأَسَارَى .

---

[1] – البكيلية : الصواب : البكيرية ، ما بين المعقوفتين [] لم ترد في المطبوع ، والبكيرية أحد مساجد صنعاء القديمة وهو من بناء الوزير التركي حسن باشا في عام ١٠٠٥هـ ، نسبة إلى مولاه بكير بك المقبور بجانب المسجد .

إبْتداءُ المَائَــةِ الـرَّابعَة عَشر لِلهجرةِ النَّبوية

وهَذه الوَقعَة حَسَمت أَطمَاعَ الأَشرارِ عن التَّخَطُّف والخُرُوج ، وكانَ لَها مَوقِعٌ في النُّفُوس ، فَبَقِي هَذا المُشير أَيَّاماً إلى سَنة وَاحِد وثلاثمائة وألف ، وعُزِلَ من جِهَة السُّلطان فَوَصَل دُوَيلَهُ في الوِلايَة عَزيز بَاشَا مِن وُزَراءِ السُّلطان المُلُوكيَّة فَبقَى في صَنْعَاء أياماً قَلائِل مقدار عَامٍ واحِد .

ثُم عُزِلَ بِالمُشير المُستَمر عُثمان باشا المُسَمَّى الأَعرَج وكانَ مُشيراً جَليلاً لهُ هَيبَةٌ في النُّفُوس وقَبضَ على بَعضِ الكُبَراء مِن المُتَجَبِّرين مِن العَرَب وشَرَعَ في تَدبيرِ الأُمُور والنَّهيِ عن المُنكَرَات ولَم يَكُن عَرَضَ عَليهِ خِلاف وعَسى يُلهِمُه اللهُ إلى صَلاح البِلاد والعِبَاد وتَدميرِ أَهلِ الفَسَاد والرِّفقِ بالرَّعيَّة .

وإلى هُنا انتَهينَا في سَردِ هَذه الأَخبَار ، وكَملَ الكتابُ بِعَونِ المَلك الوَهَّاب إلى سَنة خمسٍ وثلاث عَشرة مائة فَهَذا ما صَنَّفَهُ الوَالد العَلاَّمة الحُجَّة عز الإسلام وجَاءَهُ الحمَام رَحمَهُ اللهُ وكَانَ الفَرَاغُ مِن نَسخِ[1] هَذا الكِتاب بِعَونِ المَلِك الوَهَّاب في لَيلَة الإثنَين لَعلَّهُ ثامن عشر شهرِ جُمَادى الأولى مِن شُهُورِ سَنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف من هِجرَةِ مَن لهُ العِزُّ والشَّرَف على صَاحِبهَا أَفضَلُ الصَّلاة والتَّسليم وآلهُ وصَحبِه الكِرَام وكانَ نَقلُهُ وتَحصِيلُهُ مِن نُسخَة المُصنِّف رِضوَانُ اللهِ عَليهِ بِخَطِّ سَيِّدي ووَالِدي العَلاَّمة عِزُّ الإِسلام وزِينَةُ الآلِ الكِرَام محمد بن حسين بن علي بن حسين الكِبسي

(1) – تم نسخ هذا الكتاب (نسخة خطية أخرى)على يد أحفاده وأولاد أحفاده .

حَفظَهُ اللهُ وأَبقَاهُ اللهُ ، وبِخَطِّ الأَخ الصَّفِي أحمد بن محمد بن حسين بن علي بن حسين الكِبسِي حَفِظَه اللهُ وبِخَطِّ كَاتِبِ الأَحرُف الحَقِيرِ الفَقِير إلى رَبِّه المُعتَرِف بِعَجزِه وذَنبه عَبدُه وابن عَبدَيْه محمد بن محمد بن حسين بن علي بن حسين الكِبسِي عَفَى اللهُ عَنهُم آمين اللّهُم آمِين .



وصَلّى اللهُ وسَلّم على سَيّدِنا مُحَمّد
الأَمِين وآله الطّاهِرِين
وصَحبه الرّاشِدِين
إلى يَوم
الدّين



يا خَالِقَ الخَلقِ طَوراً بَعدَ أَطْوارِي ... و عَالِمِ القَولِ مِنْ جَهْري وإِسْرَارِي
اغْفِـرِ لِكاتِبِهِ و اغْفِرِ لِمالِكِهِ ... و المُستَعيرِ لَهُ يا رَبِّ و القَارِي

مُلحَق لِحَفيدِ المُؤرِّخ وهو

الوَالد العَلاَّمَة محمد بن إسماعيل بن محمد المُؤَرِّخ بن إسْمَاعِيل بن محمد بن يحيى بن أحمد ، قَالَ فيه :

ثُم وَصَل دُوَيلٌ لِلوَالي عُثمان بَاشَا إسْمَاعِيل حَافظ بَاشَا المَرَّة الثَّانيَة ، وبَقِي في اليَمَن مُدَّة ، ثُم وَصَل نَقلهُ حَسَن أَديب بَاشَا في سَنة ١٣٠٨هـ ، وفي أَيَّامه تُوفِّيَ الإِمَام الهَادي لِدين الله أبو نيب رَحِمَهُ الله ، وادَّعَى بَعدَهُ الإِمَام المَنصُور بالله محمد بن يحي حَميد الدِّين في سَنة ١٣٠٨هـ .

وفي مُدَّة المُشير "حَسَن أَديب" وقَعَ فَسادٌ في اليَمَن ، وجَرَت حُروبٌ وخُطُوبٌ تُذهلُ الطَّالبَ عن المَطلُوب ، وذلك في سَنة ١٣٠٩هـ تسع وثلاثة عشر مائة ، وَقَد كانَت اضمَحلَّت الدَّولَةُ العُثْمَانية من اليَمَن ، ثُم وَصَل بَديلاً لِحَسن أَديب بَاشَا وهو أحمد فيضي بَاشَا المَرَّة الثَّانيَة وخَرجَ بِقُوَّات عَظيمَة ، وعَاثَ في اليَمَن ولاثَ وظَلَمَ العبَاد ، وبَقِيَ وَالياً في اليَمَن سبع سنين إلى أن كَادَ يَستَأصِلَ أَهلِ اليَمَن ظُلماً ، فَإِنَّهُ وَصَل بعَسكَر كَالسَّيلِ الجَرَار ، وَقَد كانَت صَنْعَاء مُحاصَرَةً وبَقِي الحِصار لِصَنْعَاء شَهرَين وفَكَّ الحِصار أحمد فيضي باشا في خِلالِ يَومَين ، وبعد ذلك وَصَل لهُ من البَاب العَالي أمرُ المُشيرِيَّة على اليَمَن ، واستَمَرَّ إلى سَنة ١٣١٦هـ ستة عشر وثلاثمائة وألف ، وظَلَمَ أهلِ اليَمَن ظُلماً جَائِراً ، وحَبَسَ من كِبَارِ اليَمَن من السَّادَات والمَشَايخ وكانَ ظَالماً جَائِراً فَجُوراً ، وأَرسَلَ المَحابِيسَ إلى رودس[1] ، وبَلَغ غلاءُ الطَّعامِ في أَيَّامه مبلَغاً

---

[1] – رودس : جزيرة داخل البَحْرِ الأبيض المتوسط .

عَظِيماً ، واشتَدَّت قِلَّةُ الأَمطَار ، وصَارَ سِعرُ الطَّعامِ بِالرِّيَال ثَمَنُه إلى رُبعِ رِيَال[1] ، ثُم عَزَلَهُ سُلْطان الإِسلام ، ووَصَلَ بَدِيلُهُ حسين حِلمِي بَاشَا وهو رَجلٌ عَادِل عَاقِل ، وعَارِفٌ بِأَبناءِ النَّاس ، وكانَ يُحِبُّ مُجالَسة العُلماء ، ومن بَعدِ وُصُوله انقَضَت الرَّحمَة بالأمطَارِ في اليَمَن ، وكانَ أَهلِ اليَمَن مُجرِّبِين في المُشيرِ الأَوَّل أحمد فيضي ، أنَّه نَحسٌ مُستَمِر ، وأنَّه عِندَ عَزلِهِ مِن اليَمَن لا بُدَّ يُفرِجُ اللهُ ، فَكانَ كَما ذَكَر .

ثُم نُقِلَ حسين حلمي بَاشا بِالمُشِير عبداللهُ باشا وبَقِيَ مُدَّةً ثُم وَصَل نَقلُهُ بِالمُشِير تَوفِيق بَاشَا .

وفِي أَيَّامِه تُوفي الإمَام المَنصُور بالله رَبِّ العَالَمين محمد بن يحيى حميد الدين في سَنَة ١٣٢٢هـ وادَّعَا بَعدَهُ ولَدُه الإمَام المُتوَكل على اللهُ رَبِّ العَالَمين يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين في سَنة ١٣٢٢هـ وأَخذَ صَنْعَاء وبَقِيَ فِيهَا قَدرَ أَربَعةِ أَشهُر ، ثُم خَرجَ المَرَّة الثَّانِيَة أحمد فيضي بَاشَا وخَرجَ بِجيُوشٍ عَظِيمَة ، وأَخرَجَ الإمَام يحيى بن محمد حميد الدين من صَنْعَاء وأَخَذَ اليَمَن كاملاً .

ثُم في شهرِ رمضان سَنة ١٣٢٢هـ جَهَّز جَيشاً عَظِيماً ولَحِقَ الإمَام محمد حميد الدِّين إلى شُهَارة وحَاصَر فِيهَا ، وكانَ خُرُوج المُشِير بنفسه ، ووَقَعَ حَربٌ عَظِيم في بَابِ شُهَارة بِالسِّلاحِ الأَبيَض وقُتِلَ من الأَترَاك عَدَدٌ كَبِير وانتَهَى الأَمرُ إلى هَزِيمَةِ الأَترَاك ، وعَادُوا إلى صَنْعَاء بَعدَ خَسائِرَ فَادِحَة في الأَروَاحِ والمُعدَّات .

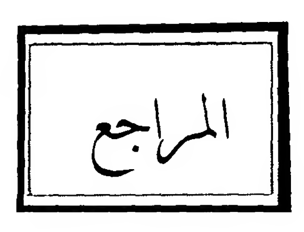
وإلى تَارِيخِ هَذا في سَنة ١٣٢٥هـ والمُشِير أحمد فيضي بَاقٍ في صَنْعَاء .

وإلى هُنَا انتَهَى الحَال ، وتَمَّت بِعَونِ اللهُ الوَاحد الصَّمَد المَنَّان .

هذا مَا أُلحِقَ بَذيلِ اللَّطائف السَّنِيَّة ، بِخَطِّ الوَالِد العَلاَّمة محمد بن إسماعيل حَفِيدُ المُؤرِّخ بن محمد بن يحيى أحمد الكِبسِي رَحِمَهُ اللهُ .

تم بحمد الله

[1] – ارتفع سعر الطعام أربع أضعاف سعره المعتاد .



الكتاب	المؤلف
الإكليل	محمد بن الحسن الهمداني
أعلام المؤلفين الزيدية	عبد السلام الوجيه
الأعلام ١/ ٨	خير الدين الزركلي
هجر العلم ومعاقله في اليمن ١/ ٥	إسماعيل بن علي الأكوع
البلدان اليمنية من معجم البلدان	إسماعيل بن علي الأكوع
المدارس الإسلامية في اليمن	إسماعيل بن علي الأكوع
معجم البلدان والقبائل اليمنية١/ ٢	إبراهيم المقحفي
مجموع البلدان اليمنية وقبائلها ١/ ٢	القاضي الحجري
معجم البلدان١/ ٥	ياقوت الحموي
معجم قبائل العرب ١/ ٥	عمر رضا كحالة
صفة جزيرة العرب	محمد بن الحسن الهمداني
الروض المعطار	الحميري
بلاد عسير	فؤاد حمزة
إقليم عسير	د. محمد أبو العلا
تهامة اليمن	د. حلمي جعفر
البرق اليماني في الفتح العثماني	د. حلمي جعفر
خلاصة العسجد	د. حلمي جعفر
سيرة الإمام المنصور ١/ ٢	علي الإرياني

سيرة الإمام يحيى ١/ ٢	عبد الكريم مطهر
العلاقة بين أمراء أبو عريش وأمراء عسير	علي الصميلي
مساجد صنعاء	القاضي الجرافي
منازل الأرجوان	د. خالد الكركي
العسجد المسبوك	الخزرجي
المختصر	الواسعي
طبقات الخواص	أحمد الشرجي
نزهة النظر	محمد زبارة
نيل الوطر	محمد زبارة
الصحاح	الجوهري
العين/ معجم عربي عربي	الخليل بن أحمد
القاموس المحيط	الفيروز أبادي
معجم ما استعجم ١/ ٢	البكري
مصادر التراث في المكتبات الخاصة ١/ ٢	عبد السلام الوجيه
لسان العرب	ابن منظور
معجم مقاييس اللغة	ابن فارس
الكليات	أبو البقاء
المعجم اليمني في اللغة والتراث	مطهر الإرياني
غيول صنعاء	عبد الوهاب عسلان

فهرس

الموضوع	الصفحة
	١٩٧